كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

الكتاب الثاني: الجزء العاشر

قرأه وعارضه بأصول المؤلف

محمد محمد أمين

تونس 2009

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

الكتاب الثاني : الجزء العاشر

قرأه وعارضه بأصول المؤلف

محمد محمد أمين

تونس 2009

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

تقديم

يمثّل هذا الجزء العاشر من العبر آخر الكتاب الثّاني، وبه ينتهي الخبر عن العرب التّابعة للعرب من أمم المشرق التي كان لها شأنٌ في تاريخ أحداث العالم الإسلاميّ بعد القرن الخامس الهجريّ.

وقد استهلّه بأخبار الأيّوبيّين منذ مَسير أسد الدّين شيركوه إلى مصر وصِدامه مع وزارة الفاطميّين، ثم موته، وولاية ابن أخيه صلاح الدّين الذي يعتبر المؤسّس الحقيقيّ للحكم الأيّوبيّ بشُعَبه المتباعدة في مصر وبلاد الشّام واليمن.

وقد عدّد ابنُ خلدون في هذا الجزء وقائعه وغزواته المتلاحقةَ على المدن والحُصون الشّاميّة بعد وفاة العادل نور الدّين، وتصدّيه لبلاد الإسماعيليّة، ثمّ استيلاءه على مدن الجزيرة: حرّان والرُّها والرَّقّة والخابور وسِنجار ونَصيبين، ثمّ محاصرته الموصل واستيلاءه على حَلَب وقَلْعة حارِم، ثمّ اتّجاهه لمجابهة الصّليبيّين في المدن والقِلاع الساحليّة، واستردادَه اللاذقيّة وأنطاكية وصَفد وطبريّة وعكّا، حتّى أصبح حكّام الأراضي الممتدّة بين النّيل والفُرات في طاعته، عَدَا المواقع السّاحليّة التي بقيت في يد الصّليبيّين. وقد تهيّأ له - بموقعة حِطّين الواقعة غربَ بحيرة طبريّة التّي انتصر فيها سنة 583هـ/1187م - أن يستعيد مدينة القُدْس التي صَدَمَ سقوطُها الوجودَ الصّليبي، وأصبح يستعدُّ للحرب الصليبيّة الثالثة بدَعْم رتشارد الأول Richard I ملك إنجلترا وفيليب أوغست Philippe August ملك فرنسا. وتوفي صلاح الدّين بعد أن عقد الصلح معهما أثناء حصار عكّا.

واقتسم الملكَ الواسع أخوته وأبناؤهُ وأبناء إخوته، وكان الملك العادل أقوى رجال الأسرة وأكثَرَهُم نفوذًا، فاستولى على دمشق، واستردّ يَافا من الفِرنج واتّجه إلى

الجزيرة، ثم استولى على مصرَ، وبعد وفاته توزّع المُلْك بين بنيه وأصبح التنازعُ بين فُروع الأيُوبيّين بعضهم على بعض شأنًا متكرراً.

واستطاع نجم الدّين أيُّوب بن الكامل أنْ يحكم مصرَ بعد أنْ انتزعها من يد أخيه الملك العادل، وأدركَتْه الوفاةُ والملك لويس ملك فرنسا يُحاصره في دِمْياط، ولم يستقرّ الأمْرُ لابنه المعظّم تورنْشاه الـّذي قُتِل، وأدارت شؤونَ المملكة أمّ خليل شجرة الدرّ التي مَهّدت لاستبدادِ زَوْجها أيبك وأُمَراء التّرْك بمُلْكِ مصر، وبزحْفَة الطَّطَر على الشّام انقرض مُلْك بني أيُوب.

ويعرض ابنُ خَلْدون بعدهم تاريخَ المماليك التُّرك والجراكسة بأحْداثه وتَدافُعِه منذ المعزّ أيبك إلى أيّام مُعاصِره الظّاهِر بَرْقوق وما تعرّض له في ثورة النّاصري القاسية. ولم يُتابع المؤلّف تفاصيلَ هذه الحادثة وكيف تطوّرت كما فعل في فصل "التعريف والرّحلة"، بلْ مَرّ بها باقتضابٍ، وأوردَ فيما بعد شيئاً عنها في أخبار الطّطَر، وتابع الدّوافع والأسبابَ وما نشأ عن ذلك من صدامات متتالية هزّت مصر والشّام وأدخلتها في فتنةٍ حارقة وإرْباكٍ امتدّا زمناً، وكيف صنَعتْ عِلّيّةُ الأحداث مُستقْبلَ الحكم في المنطقة بعد الإطاحة بالسُّلطان الجركسيّ الأوّل بَرْقوق بن سعيد، ثم انتشاله بصورةٍ أسطوريّة قلّما اتّفقت لآخرين، ولعلّ قرب ابن خَلْدون من هذا الحدث خاصّةً جعلَهُ مُلمًّاً بحقيقة دوافعه عند باعث الفتنة الأمير النّاصريّ الّذي استقدم منطاش من إقامته بين أحياء الطّطَر منذ رجوع العساكر عن سِيوَاس، "فدعاه ليُمْسِكَ معه حبل الفِتْنة والخِلاف"، وكان منطاش كما يصفُه طاوياً جوانحهُ على الغَدْر منذ دخل مع النّاصريّ إلى مصر، لأنّهم لم يوفّروا حظّه من الإقطاع، ولم يجعلوا له اسماً في الوظائف حينَ اقتسموها، ولم يُراعِ له النّاصريُّ حقّ خِدْمته ومُقارَعَتِه للأعْداء، وكان شديدَ الغيرة من أَلْطُنْبُغا الجوبانيّ الذي كان أثيراً مقرّباً عند السُّلطان لما سلَف من القُرْبى أيّام اعتُقِلا في الكَرَك".

وكان في هذا الفصل يعرض لما هو خارج رُقعة الدّولة من الأخبار التي يراها مُهمّة في دُوَل الأطراف، كوفاة ملك القُسطنطينة وأخبار النوبة والأزمن والمراسلات والمُهاداة مع ملك المغرب.

وقدّم المؤلّف ملخّصاً عن دولة بني رَسول، بدأهُ بربطها بفرع اليَمن الأيُوبيّ منذ استيلائهم عليها. وقد تعاقب عليها الوُلاة الأيُوبيّون ومنهم يوسف المسعود بن الكامل بن الملك العادل الّذي هزمَ أميرَ مكّةَ حسن بن قَتادة من بني مُطاعن من بني حَسن، ثم عاد إلى اليمن، وعندما طرقه المرض سنة 626هـ/ 1228م ارتحل إلى مكّة واستخلف على اليمن عليَّ بنَ رسول التُّركُمانيّ أستاذ داره. وتغيّرت الأحوال بموت المسعود وعودة ابن قتادة لمكّة، فنصّبَ ابن رسول على اليَمن ابناً ليوسف المسعود، ثم خُلع وخلفه آخر، فخلَعه عليّ بن رسول واستبدَّ بمُلك اليَمن، وأخذ بدعوة الملك الكامل بمصر، ثم توفّي فوَلي بعده ابنُه عمر. ولمّا شُغل بنو أيُّوب بالفتنة بينهم بعد وفاة الملك الكامل سنة 635هـ/ 1237م قَطع عُمر ما كان يُرسلُه لمصر. وطرأ خروجُ الحكم في صَعْدة من بني الرَّسّيّ، ثم بويع منهم أحمد بن الحسَيْن بحِصْن ثُلاَ سنة 645هـ/ 1247م فحاربه عُمر بن رسول وحاصره ثم أفرج عنه. وقُتِل عمر بمُمالأةِ بني أخيه. فقام بالدّولة بعده ابنُه المظفّر شمسُ الدّين يوسف، وكان عادلاً حازماً، استعاد حُصوناً من الزّيديّة، وملك صَعْدَة فبايَعهُ أحمدُ المتوكّل إمام الزّيديّة من بني الرَّسّي، ثم ولي بعده ابنُه الأشرف الّذي حكم عشرين شهْراً سَمّتْه جاريتُه بعدها. فحكم أخوه المؤيّد داود الذي كان له عِلمٌ وعلاقةٌ بعلماء عصره وولوع بجمع نوادر الكتب. وتولّى بعده ابنُه سيفُ الدّين المجاهد عليّ الذي انشغل بملَذّاته وأساءَ معاملةَ أهل المناصب الدّينيّة، فانتقض عليه جلال الدّين ابن عمّه الأشرف وحارَبَهُ ولكنّه هُزِم وحُبِس، وتمكّن من سِجْنه أن يُداخِل بعضَهم على خَلْعه، فتمكّن من القبض عليه، وبايَع لعمّه المنصور أيُّوب ابن المظفّر

يوسف وحَبَس المجاهدَ في قلعة تعز. واستمرّت هزّات هذا المُلْك بالخَلْع والحبس والاستعادة وذُيوع الفتنة والمَقاتل والانتقاض والعِصْيان، فبعث المجاهدُ عليّ بصَريخه إلى الملك النّاصر محمد بن قلاوون، فأنجدهُ بالعَسْكر، فسارَ به المجاهدُ من حِصْن المعزّيّة بنواحي عَدَن إلى تعزّ، فاستأمن أهلُها، وراسلوا الظّاهرَ ابن المنصور في الصّلح، فأجاب على أنْ يحتفظ بالدُّمْلُوَة، وناصَرَ العسكرُ المجاهدَ بمتابعة العُصَاة حتّى أطاعوا. وعمل المجاهدُ على تأنيس الظّاهر على الدُّمْلُوَة وإحكام الوصْلة حتّى اطمأنّ ونزلَ له عليها وصار في جُمْلته. ثم قبض عليه وقتلَه.

وحجّ المجاهدُ وأثار حُضوره فِتنةً انهزَم فيها وحُمِلَ معتقلاً إلى مِصْر، فحُبِس ثمّ أطلق سنة 652هـ/ 1254م، وبعد أحداثٍ أعيد إلى مُلكه حتى توفّي سنة 664هـ/1266م، وخَلَفه ابنُه عبّاس ثم ابنُه المنصور محمّد ثم أخوه الأشرفُ إسماعيل الّذي ذكر ابن خَلْدون عنه أنّه صاحبُ اليَمن لعَهْده سنة 796هـ/ 1394م.

وعقد فصلاً موجزاً ألمّ فيه "بالخبر عن دولة الطَّطَر من شعوب التُّرك وكيف تغلّبوا على الممالك الإسلاميّة، وانتزَوا على كرسيّ الخلافة ببغداد، وما كان لهم من الدُّول المفترقة، وكيف أسلَموا بعد ذلك، ومبدأُ أمورهم، وتصاريفُ أحوالهم"، فعدّهم من شُعوب التُّرك، استنادًا لما وردَ عن أنسابهم في التّوراة، وأشار إلى ما قدّمَهُ من ذِكْر أجناس التُّرك وشُعوبهم، وما عَدّده الإدريسيّ في "نُزهة المشتاق"، و"أنّ جمهورَ هذه الأمم من التُّرك. ومواقعُهم فيما وراء النّهر شرقًا إلى البحر المحيط ما بين الجنوب والشّمال من الإقليم الأول إلى السّابع، والصّين في وسط بلادهم، وهم إخوانُهم من بني يافث".

وأشار إلى أنّهم رحّالة، وكان لهم قبل الإسلام دولة، ولهم حروبٌ مع الفُرْس، وكان بينهم وبين العرب قبل الفتح الإسلاميّ حروب، وقد قاتلوهم على

الإسلام فلم يستجيبوا، وملكوا عليهم أطراف بلادهم، ثمّ أذعنوا للجزى وأقام ملوكهم على بلادهم، ويسمّيهم القان أو الخان. وكان لهم في الإسلام دولةٌ ببلاد تُركستان وكاشغر، و"أسلمَ ملوكهم بعد صَدْرٍ من المِلّة على بلادهم ومُلكهم وأقاموا بها".

وتحدّث عن الحرب والسّلم بينهم وبين بني سامان الّذين حكموا باسم بني العبّاس فيما وراء النّهر، واتّصل حالُهم عليها إلى أن انقرضا. وكيف قامَ محمود بن سُبكُتكين - من موالي السّامانيّين - بدولتهم، وظهور بني سَلجوق عليهم وعلى ملوك التُّرك "شأن الدّول البادية الجديدة مع الدّول القديمة الحاضرة"، و"استولَوْا على ممالك الإسلام بأسْرها، واستفحلت دولتُهم لما لم تَنْتهِ إليه دولةٌ بعد العرب والخلفاء في المِلّة"، ثم تلاشت دولتهم بعد مائتين من السّنين. وأشار إلى أُمّة الخطا وأُمّة الطّطَر اللّتين انتشَرَتا ما بين تُركستان وحدود الصّين، وخَلفتا السّلجوقيّة بعد خروجهم من بلادهم من خراسان ونزلَتا على الدّروب بين أرْسلان خان محمّد بن سليمان وبين الصّين لقاءَ الإقْطاع على ذلك.

وفي أوائل القرن السّادس الهجريّ تحفزت قوة جديدة تقْتحم ساحةَ الصّراع وتزحف من الصّين، هي قوّةُ مَلِك التُّرك الأعظم كوخان الّذي ضمَّ إليه أُمَمَ الخطا، ولاقاه الخان محمود بن محمد بن سُليمان بن داود بَغراخان، ابن أخت السّلطان سَنجر بن ملكشاه صاحب خُراسان من ملوك السّلجوقيّة الّذي جاء صريخاً لابن أُخته عند انهزامه، فانهزم معهُ، واستولى كوخان على ما وراء النّهر. وبموْت كوخان ملكت بعده بنتُه ثم ماتت فملكت بعدَها أُمُّها وابنه محمّد، ثم انقرض ملكهم واستولَى الخطا على ما وراء النّهر، ولم يكن لهم تجربة في إدارة ممالكهم الواسعة التّي سيطروا عليها، فكَثُر عَيْثُهم وظلمهم فيها، فعَبَر إليهم سنة 606هـ/ 1209م خُوارزم شاه علاء الدّين محمد بن تُكُش بعد أن استصرخ به ملوك الخانيّة على

الخطا، فملك بلادهم وأبقى فيها شحنة وعاد، ولكن ملك الخوارزمية تنكر وأعاد ارتباطه بالخطا، وقتل نوّاب خوارزم شاه الّذي رجع إليه وحاصره بسَمَرْقند ودخلها عنوة وقتله، ومحا أثر الخانية ومُلكهم فيما وراء النّهر، وأبقى نوّابه.

ووراء أمم الخطا كانت أمّة الطّطر تنزل في حدود الصّين ما بينها وبين تُركستان، وبين الخطا والطّطر صدامات وحروبٌ متكرّرة. واغتنم كشلي خان - قائد الطّطر - ما لاقاه الخطا من الهزائم على يد خُوارزم شاه فانقضّ عليهم، وبعث كلٌّ منهما يستمدُّ المناصرةَ من خُوارزم شاه الّذي أطْمعهما في مُساندته، ثم وقف إلى جانب الطّطر لمّا تبيّن هزيمة الخطا. ثم دبّ الخلاف بين المنتصِرَيْن على اقتسام ممتلكات الخطا ولم يتمكّنا من اقتسامها كما اقتَسما غلبتهم وإبادتَهم، وبدأ كلٌّ منهما يغيرُ ويمدُّ نفوذه على ما قرُبَ منه، ولكن خُوارزم شاه أجْلَى أهلَ الشّاش وفرغانةَ وأسفيجاب وكاشان وما حولها من المدن، ثم خرّبَها حتّى لا يملكها الطّطر.

وفي هذه الظروف من صِراع كشلي خان ملك الطّطر مع خُوارزم شاه، ظهرت طائفة المغل يقودهم جِنكز خان فشغل كشلي بحَزبهم، وعَبَرَ خُوارزم شاه النّهر إلى خراسان وفارقَ خُوارزمَ، واستولى على الأعمال ما بينه وبين بغداد، وبعث إلى الخليفة في الخُطبة كما كانت للسّلاجقة فامتنع، فاستقرّ في نيسابور، وبدأت رُسُل جنكز خان - الّذي ركّز سلطانه في الصّين وما يليها من بلاد التُّرك - تتوالى عليه بالهدايا طلبًا للموادعة وفتح مجالات الاتّجار للجانبَيْن، ولكن خُوارزم شاه لم يطمئِنّ لحضور طلائع التجّار وأساء الظّنّ بهم، فتجرّأ على قتلهم خفيةً والاستيلاءِ على أموالهم. ولم يخْفَ الخبر عن جنكز خان الّذي سار إليه في جيُوشه، وبدأت الملاحمُ بينهما، واستطاع ملكُ الطّطر بدهائه وقدرته على إبعاد الموالين لخوارزم شاه، أنْ يضيّقَ عليه ويلاحقَه بجيْشٍ أطلق عليه اسم "الطّطر المغرّبة" لتوغّلهم في البلاد غربيّ خُراسان إلى بلاد القفجاق.

وعرض ابن خلدون في لَمحٍ مقتضبٍ أيضاً لانتصارات الطّطَر المتلاحقة في قزوين وبلاد الكرج ومَراغة وهمذان وأرْدَبيل وبيلقان ثم بلاد القفجاق وبلاد الرُّوس ومَرْو ونيسابور وطوس، وكانوا يَعْمدون دائماً للقتْل والنّهب والتّخريب للمُدن الّتي تُقاومهم.

ولم يتمكّن أولاد علاء الدّين محمّد من تثبيت سُلطان الخُوارزميّة، وأصبحت ممالكُهم في العراق وكِرمان مستهدفةً لحملات الطّطر. واضطرّ أحد أبنائه جلال الدّين مَنكبُرتي الّذي عاد من الهِند سنة 621هـ/ 1224م أن يستولي على مُلْك أخيه غياث الدّين في العراق، وحاوَل أن يجدّدَ ولاءَه للعبّاسيّين، فطلب الخطبةَ فلم يسعفْهُ الخليفةُ بذلك، فتمرّدَ عليه، وانفرد بمُلْك العِراق وفارس وكِرمان وأذْرَبيجان وأرّان. وبقيت خُراسان مجالاً لغارات الطّطَر وعساكرهم، وامتدّت مطامعُ جلال الدّين إلى خِلاط، فاستولَى عليها، فزحف إليه صاحبُها الملكُ الأشرف بن العادل الأيُوبيّ ومعه علاء الدّين كيْقباذ صاحب بلاد الرُّوم، وأوقعوا به سنة 627هـ/ 1230م في وَقْعَة "أوهنتْ منه وحلّت عُرَى مُلْكِه".

وكان مقدّم الإسماعيليّة بقلعة ألَموت عدوًّا لجلال الدّين، فاتّصل بالطّطَر وخبّرهم عمّا آل إليه أمرُه من ضَعْف بعد معركةِ خِلاط. وعندما علِمَ بقيام الحملة ضدّه رحلَ عن تبْريز إلى موقان، ففاجأه الطّطَر هناك ولم يتمكّن من استمداد المُلوك والأُمراء من أصدقائه، وأخذت الدّسائس تُنسج من حَوْله، وعند نزوله بآمِدَ جاءَه نذيرٌ من التّرْكُمان بمسير الطّطَر لمُباغتته، فاتّهم خبرَهم، وفوجئ بهم يُحاصرونه منتصف شوّال سنة 628هـ/ 1231م، فتسلّل وتوارَى في قريةٍ من قُرى ميّافارقين، ثم صعد منها إلى جبل الأكراد فسلَبه المترصّدون للنّهب، وشعر بعضهم بأنّه السُّلطان فمضى به إلى بيته ليخلّصه، واقتحم عليه أحدُهم له ثأرٌ بأخٍ عند الخُوارزميّة فقتله.

وفي الكتاب تعريفٌ بتوجين الّذي سمّي فيما بعدُ بجنكز خان المغوليّ سُلطان الطّطَر، وضبط اسمه ونسبه وأسطورة ولادة جدّه بوذنجر وأوليّته، وتقسيم ممالكه على أولاده الأربعة: طوشي وأوكتاي وجغطاي وطُولي.

وعقد المؤلّف فصولاً قصيرةً عن ملوك التّخْت بقَرَاقُروم بعد جنكز خان وخلافاتهم وإسلام باطو بن دوشي خان ببُخارى على يد شيخ الصُّوفيّة سعيد بن المطهّر الباخَرزيّ من أصحاب نجم الدّين احمد بن عمر كُبْرى الّذي حرّضهُ على التمسّك بطاعة الخليفة ومكاتبة المستعصم ومُبايعته، ففعل وتأكّدت الموالاة.

وتحدّث عن مُلوك بني جغطاي بن جنكز خان بتُرْكستان وكاشغَر وما وراء النّهر، وهي مملكةُ التُّرك الأولى قبل الإسلام. وفيه أخبار عمّن توثّب على المُلْك فلم ينْتظِم له ومن غلَب ومن أعانَ على الاسترجاع.

وفي فَصْل ظُهور الأمير تيمور (تمُرْ) من بني جغطاي المُستَوْلى على دُوَل بني جنكز خان وتغلُّبه على سائر الأعمال؛ يذكر المؤلّف أنّه ظهر في أعقاب دولة بني جغطايْ بتُرْكستان وسَمرقَند تيمور بن طرغايْ، ولا يدري كيف يتّصل نسبُه إلى جَغطايْ، أهو صليبةٌ في نَسَبه أو من أخلافهم؟ لِمَا يُقالُ إنّه تغلّب على صبيّ من أعقاب ملوكهم تزوّج أمّه بعد مَهْلك أبيه، واستبدّ عليه. ويذكر ابنُ خلدون روايةً شفهيّة عمّن أخبره من أهل الصّين ممّن لقِيَهُ: أنّ أباه أيضاً كان في مثل مكانه من الإمارة والاستبداد. وقد بدأ ملاحِمَهُ من تُركستان بالاستيلاء على خُوارزم وبُخارى، ونزلها ثمّ انتقل إلى سَمَرْقَنْد، وواصل زُحوفه إلى خُراسان فملَك هراة ثم مازَنْدران كرسيّ طبَرِسْتان وجُرجان، ثمّ إلى أصفهان ومدّ يدَه إلى فارس وبها أعقاب بني المظفَّر اليَزديّ المتغلّبين عليها بعد بني هولاكو أو هُولاوُو كما يَردُ في

مخطوطات الكتاب[1]، فغلبهم عليها سنة 794هـ/ 1392م واستولى على بغداد والجزيرة وديار بكر إلى الفُرات، واستعدّ فرجُ ابن بَرْقوق للقائه. وقد نقل ابن خلدون أخباره عن الشيخ برهان الدّين الخُوارزميّ وعمّن لقيه من بَقات تلك الأعمال، ومن تقييدِ أملاه محمد بن إسماعيل بن كثير، ابن مؤرّخ دمشق، تحدّث فيه عن بداية أمْره وأعماله وملاحمه ووَصَف حَمْلته على بغداد وما استصفاه منها، وهو فصلٌ مهم جاءت بياناته عمّن عاصر الوقائع.

وواصل ابن خلدون بعد هذا متابعة مَسير تيمور من بغداد إلى ماردين وامتناعها، واتّجاهه إلى حصون الأكراد والأزمن.

وتدخّلَ الظّاهر بَرْقوق من مصر بمَدّ السّلطان أحمد بن أُوَيْس بجيش اتّجه إلى بغداد، وفَرّ أمامَهُ مَنْ بقي من عسكر تيمور، واستعاد السّلطانُ عرشه وعاد جيش الظاهر إلى مصر. ثم عادَ تيمور سنة 796هـ/ 1394م وبلغ الرُّها، فخرج له الظّاهر وجمع له العرَبَ والتّرْكُمان وعَسكَرَ على الفُرات، فانصرف تيمور لحرب تَطُمُش صاحب صَرَايْ حتّى هَزَمَهُ وشرّدهُ، ثم تحوّلَ إلى الهِنْد لمساعدة الملوك الذين اختلفوا واستَصْرخوا به، فدخل دلّي (دلهي) وعاثت عساكره بالنّهب والمصادرات على عادتهم فيما مَرّوا به. وبلغته وفاةُ الظّاهر بَرْقوق في مصر فكَرّ عائدًا نحو بلاد الشّام، وفي طريقه دمّر سِيوَاس وتجاوز حلَب، وانهزم جيشُ الأمير سودون حولَها فتحصّن الأمراءُ بالقلْعة، فاقتحم المغول وكُسِرت أبواب البلد ودخلها تيمور في 10 ربيع الأوّل سنة 803 هـ/ 1400م.

وقدّم ابن خلدون صورة دامية عن أعمال الجيش في النّاس والمدينة، وتحدّث عمّا بسط القولَ فيه في "التعريف والرّحلة"، عن خروج السّلطان فرج

(1) ربّما يستند ذلك على اللّفظ الصّوتيّ المغوليّ للاسم

ابن برقوق الذي واجَهَ وَقْتَها تَمَرُّداً من المماليك استطاع أن يحدَّ من أثره بمناورات أجراها معهم في طريقه، وأنهى مؤامرَتهم بمن قبض عليه من أتباعهم في دمشق، ولم تطل إقامة السُّلطان فَرَجِ طويلاً فعجّل بالعودة مُنتجيًا السّاحلَ حتّى غزّة ومنها دخل مصر. وقدّم النصُّ مشهدَ عَيْث تيمور في دمشق، وما صنعه في حصار القلعة وما طولبوا به من أموالٍ وما جمعه من مخلّف الدولة والعسكر من مالٍ ومتاع وسلاح وجياد، وما اشتَطّ به من فريضةٍ يحملونَها إليه، ويذكر أنّه "لمّا فرغ من جمع ذلك أطلق أيدي عساكره في انتهاب ما يقدرون عليه، فامْتكّوا العِظَام، وأتلفوا بالمُصادرة النّفوس، وانتظموا في رِبْقَةِ الأَسْر الأطفالَ والنّساءَ ومن عجزَ عن الفداء". وارتحل إلى أرضه "بعد أنْ انطلقت أيدي عساكره على العُمران بالنّهب والتّخريب وإطلاق النّار في الجُدران، فأحرقت السُّقوف، وتعدّى الحريق إلى المساجد والمدارس والخوانق والزّوايا والرُّبط والجامع الأعظم: جامع بني أُميّة، فسقطت كلُّها إلاّ بقايا من الجدران مائِلة لم تكن مُستَبْطِنة للخشب، وخرّب سور البلد أثناء ذلك من تناوله بأيدي العيث، وأصبحت دمشق أثراً ذميماً بعد أنْ كانت عيناً رائقة".

ثمّ أجاز تيمور نحو بَغداد وأكمل في طريقه ما فاته في حلَب، ولمّا وصلَها همّ عَسْكَرُها بقتاله فاستفزّه ذلك ليصنع فيها أعظم من فعاله في دمشق، وأرسل ما تجمّع لديه من الأسلاب والأثقال إلى سَمَرقند.

وخصّ ابنُ خلْدون في هذا الجزء دولةَ بني دوشي خان من مُلوك الطّطَر في خُوارزم ودشت القفجاق بالشّمال، وكان جنكز خان قد مَلَّك ابنه دوشي عليها بحدودها المتّسعة. وقدّمَ الكتابُ نبذاً عن هؤلاء الملوك. وأعادَ في ترجمة بركة بن دوشي ما سبق أنْ ذكره عن إسْلامه على يد الباخَرْزيّ، وذكر أنّه لم يقف على تاريخ لدَوْلتهم، ومعتمده فيما قدّمَه تاريخ أبي الفداء. ومن ملوكهم تُدَان مَنْكُو بن

منكُوتمُز الذي حكم خمس سنين ثمّ ترهّب وتنازل عن المُلك وانقطع إلى صحبة المشائخ والفقراء.

ثمّ تحدّث الكتاب عن دولة بني هُولاكو وفصّل بعض أخباره التي سبق أنْ ألمحَ إليها في ثنايا العبر. وخصّ بعده بالبيان ابنه أبْغا ثم تَكُدار ثم أرغُون ثم كِيخاتو ثم بِيدُو ثم غازان ثم خُرابندا (أو خُدابندا) ثم ابنه أبو سعيد وبه تنتهي أسرة بني هولاكو بالعراقين وخُراسان. وقد أشار ابن خَلدون في حديثه عن هذا الملك الأخير أنّه قتل الطّبيب رشيد الدّولة فضل الله بن أبي الخير الهَمَذانيّ الّذي اتّهمه بقتل أبيه خُدابندا، وأثنى عليه، وأنّه ألّف في أخبار الطّطَر تاريخًا "جمع فيه أنسابهم وقبائلَهم وكتبه مشجّرًا نحوًا ممّا في كتابنا هذا" فهو المثل الّذي اتّبعه ابن خَلدون في تشجير الأُسر الحاكمة في كتاب العبر، وهو أوّلُ مؤرّخ عربيّ فعل ذلك.

وقد اضطربت أحوال دولة بني هولاكو بعد موت أبي سعيد ببغداد سنة 636هـ/ 1239م عن غير عقب، فتدخّل المغول في تسمية آخرين من أسباطهم، منهم موسى خان، واستولى ابن عَمّةِ السُّلطانِ أبي سعيد الشّيخُ حسنُ الكبير على بغداد وتَبْريز، وبدأ التّصارع بين الأمراء والأقرباء على المُلك، وتدخّل التّركمان بضواحي الموصل وسَيطَروا على سائر بلاد الجزيرة، "وافترقت مملكةُ بني هُولاوو، فكان هؤلاء ببغداد وتبريز، وابن المظفّر بعراق العجم وفارس، والملك حسين بخراسان، واستولى على أكثر ملك الشمال أُزبك صاحب التّخْت بصَرَايْ من بني دُوشِي خان بن جنكز خان؛ وفصّل النصُّ بعض الأحداث عن التنازع على تَبْريز وبَغداد وتداوُلِها في أيدي المُتنازعين، وفرارِ الأمير احمد بن أُوَيس إلى مصر وطُروءِ تيمور المفاجئ على بغداد وما صنعه فيها، ثم زحْفه على تكريت "مأوَى المخالِفينَ وعشّ الحرابة ورَصْد السّابلة" وحصارها وتخريبها وإقفارها.

وأورد بعض الإفادة من خبر بني المظفّر اليزديّ المتغلّبين على أصفهان وفارس بعد انقراض دولة بني هُولاوو، وأنّ محمّد بن المظفّر - من أهل يزد - تولّى حفظ السّابلة أيّام دَوْلة أبي سعيد بن خُدابندا، وكان أحد من تخطّف الحكمَ، فتغلّب على كَرمان، وطمع في فارس، فغلب بجموعه على شيراز وأصفهان. وانقلب عليه ابناهُ محمودٌ وشجاعٌ وخَلعاه. ثم تنازع الأخوانِ، واستمرّت العداوةُ تتمكّن من الإخوة والأولاد، وتتحوّل إلى قتال ودسائس، حتى طرأ عليهم تمور وأنهى حياةَ من وَجدَ منهم، وظهر بعضهم في أماكن مختلفة، ولكنهم ظلّوا تحت حكم التّيموريّين.

وعن خبر بني أرتنا نراهُ أطال التقديم لمملكة بني قليج أرسلان من مُلوك السلاجقة الّذين قاموا بدعوة الإسلام في بلاد الرّوم، واستطرد إلى حركة الطّطر هناك بتخطيط منكو ابن أخي هولاوو وقيادة الأمير بيجو لمواجهة غياث الدّين كيخسرو بن علاء الدّين كيقباذ، وتابع هذا الحضورَ المغوليّ وما يتخلّله من أحداث يحرّكها التنازع على الحكم بالمواجهات العسكريّة والفَتْك والعَيْث المتبادَلَين. وتبدأ دولة بني أرتنا في أيّام أبي سعيد بن خُدابُندا الّذي ولّى على بلاد الرُّوم دمرداشَ (تمرتاش) ابنَ نائبه جوبان بن تداون فقويَ ملكُه، وكانت له مواقف وعلاقات مع الملك النّاصر محمد بن قلاوون، ثم قتلَ أبو سعيد والدَه جوبان، ففرّ دمرداش إلى مصر، ولُوحِقَ فقُتِل بها. وكان قبل انفصاله عن بلاد الرُّوم قد ترك بها من أُمَرائه "أرتنا" الّذي سرعانَ ما أرسل بطاعته إلى أبي سعيد فولّاه على البلاد، فاتّخذ سِيوَاسَ عاصمةً له.

وظهر في تبريز حسن بن دمرداش المقتول، فبايع له أرتنا ثم انتقض عليه، وكتب إلى الملك النّاصر في مصر ودخل في طاعته، فسار إليه ابن دمرداش للحرب، فلقيه بصحراء أكسنبوك وهَزمه وأسر من أمرائه، وذلك سنة 753هـ/

1352م. وتداول على المُلك بعده بنوه. وكان آخرَ من وَلِيَ منهم صَبِيٌّ من أعقاب بني أرْتِنَا استَبَدَّ عليه القاضي وقَتَلَهُ.

وقدّم المؤلّف للدّولة المستجدّة للتّركمان في شمال بلاد الرّوم إلى خليج القُسْطَنْطِينَة ولبني عثمان جُقْ منهم، فبدأ بالأنساب، وأنّ جموعَهم كانت مستكثرةً في بلاد الرُّوم لاستكثار ملوكها بهم في حروبهم مع أعدائهم، وكبيرهم في المائة الرّابعة جُقْ. ولمّا اضمحلّ أمْرُ الطّطر من بلاد الرّوم واستقرّ بنو أرْتِنا في سِيوَاس، نزل ملكُهم مدينةَ بُرْصا، وكان يُسَمّى أورخان بن عثمان جُقْ، فاتّخذها قاعدةَ مُلْكه، ونزلَ في الخيام في ضواحيها. وحكم بعده ابنُه مراد فوسّع فتوحَه إلى خليج البنادقة وحوّلَ سكّانَها إلى أهل ذِمّة، وأحاط بالقُسطنطينة من جميع نواحيها، ومات في حربه مع الصّقالبة سنة 796هـ/ 1394م. ووَلِيَ بعده ابنُه أبو يزيد (بايزيد)، ويصف ابنُ خلدون المعاصرُ لهذه الحِقْبة أحوالَ هذه الدّولة: "أن مُلْك ابن عُثمان لهذا العهد مُسْتَفْحِلٌ بتلك النّاحية الشّمالية ومتّسعٌ في أقطارها، ومَرْهوبٌ عند أُمم النّصرانيّة هنالك، ودولتُه مستجدّة عزيزةٌ على تلك الأُمَم والأحْياء"، ويتساءل ما الله صانع فيهم بعد ظهور هذا الملك تيمور؟!.

❁ ❁ ❁

إنّ مصادر المؤلّف الّتي صَرّح باستناده عليها في هذا الجزء من العِبر، المشتمِلِ على أخبار بني أيُّوب والمماليك وأخبار الدّول البعيدة عن دائرة المعارف التّاريخيّة العربيّة المتداوَلة، هي:

- القرآن الكريم.
- التوراة.

- ابن الأثير الجزريّ (ـ630هـ): الكامل في التّاريخ، وهو معتمده في قسم كبير من الكتاب وصرّح باسمه في حديثه عن الدّولة الخُوارزميّة.
- ــــــــــــ : الباهر في الدّولة الأتابكيّة.
- الإدريسيّ، محمد بن محمد (ـ560هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.
- أوروسيوس Orosius Paulus (القرن الخامس الميلاديّ): تاريخ العالم.
- بيبرس الدّوادار، ركن الدّين المنصوريّ (ـ725هـ): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة.
- ــــــــــــ : التّحفة الملوكيّة في الدّولة التّركيّة.
- ــــــــــــ : مختار الأخبار "تاريخ الدّولة الأيّوبيّة ودولة المماليك البحريّة إلى سنة 702هـ".
- ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسيّ القُرطبيّ (ـ456هـ): جمهرة أنساب العرب.
- ابن خلّكان، أحمد بن محمّد (ـ681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان.
- ابن شدّاد، بهاء الدّين (ـ632هـ): النّوادر السّلطانيّة والمحاسن اليوسفيّة.
- أبو الفداء، عماد الدّين إسماعيل، الملك المؤيّد (ـ732هـ): المختصر في أخبار البشر.
- ابن فضل الله العُمريّ، أحمد بن يحيى (ـ749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، اعتمده في التّعريف بجنكز خان، وبعض أخباره عنه منقولة شفاهاً عن شمس الدّين الأصفهانيّ ممّا أخذه عن أصحاب نصير الدّين الطّوسيّ، ونقل عنه بعض أخبار ملوك التّخت بقَراقروم وهي أخبار مرويّة عن شمس الدّين الأصفهانيّ أيضاً.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ـ774هـ): البداية والنّهاية.
- ابن كثير، محمد بن إسماعيل بن كثير، الابن: تقييد من إملائه.
- المسبّحيّ، محمد بن عبيد الله، عزّ الملك (ـ420هـ): أخبار مصر.

- النّسويّ، محمد بن أحمد النّسائيّ (ـ639هـ): سيرة السّلطان جلال الدّين منكُبرني.
- النّويريّ، أحمد بن عبد الوهّاب (ـ732هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب.
- الفيّوميّ، (من علماء بني إسرائيل ونسّابتهم).

أمّا المصادر التي أفاد منها على الترجيح ولم يذكر أسماءها:

- ابن أيبك الدواداريّ، أبو بكر بن عبد الله (ت بعد 736هـ): كنز الدّرر وجامع الغُرر.
- ــــــــــ : الدرّ المطلوب في أخبار ملوك بني أيّوب.
- ــــــــــ : الدُّررُ الزكيّة في أخبار الدّولة التّركيّة.
- ــــــــــ : الدرُّ الفاخر في سيرة الملك النّاصر.
- ابن حبيب الحلبيّ، الحسن بن عمر (ـ775هـ): درّة الأسلاك في دولة الأتراك.
- ــــــــــ : تذكرة النّبيه في أيام المنصور وبنيه.
- الخزرجيّ، علي بن الحسن (ـ812هـ): العقود اللّؤلؤيّة في تاريخ الدّولة الرّسوليّة.
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ـ809هـ): الجوهر الثّمين في سير الخلفاء والملوك والسّلاطين.
- أبو شامة، عبد الرّحمن بن إسماعيل (ـ665هـ): الرّوضتين في أخبار الدّولتين.
- الشّجاعيّ، شمس الدّين (ت بعد سنة 745هـ): تاريخ الملك النّاصر محمد قلاوون الصّالحي وأولاده.
- ابن شاهنشاه الأيّوبيّ، محمد بن عمر، الملك المنصور صاحب حماة (ـ617هـ): مضمار الحقائق وسرّ الخلائق.
- ابن عبد الظّاهر، محيي الدّين (ـ692هـ): الرّوض الزّاهر في سيرة الملك الظّاهر.

- ابن العديم، عمر بن أحمد (ـ660هـ): زبدة الحلب في تاريخ حلب.
- عماد الدّين الكاتب الأصفهانيّ (ـ597هـ): الفتح القسي في الفتح القدسيّ.
- ــــــــــــ : البرق الشّاميّ.
- ابن الفُرات، محمد بن عبد الرّحيم (ـ807هـ): تاريخ ابن الفُرات.
- ابن واصل الحمويّ، محمد بن سالم (ـ697هـ): مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب.
- ابن الورديّ، عمر بن مظفّر (ـ749هـ): تاريخ ابن الورديّ.
- اليوسفيّ، موسى بن يحيى (ـ759هـ): نزهة النّاظر في سيرة الملك النّاصر.

❁ ❁ ❁

هذا، ومحقّق هذا الجزء العاشر هو الأستاذ الدكتور محمد محمد أمين، أستاذ التّاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ورئيس قسم التّاريخ، ثم عميد كلية الآداب بجامعة السُّلطان قابوس بسلطنة عُمان.

وهو مؤرّخ جادّ مرموق عُرف بأبحاثه الدّقيقة وبمراسه المتمكّن في معالجة نصوص التّراث المعتمدة ودراستها وتحقيقها وإخراجها، وقائمة أبحاثه المحكّمة والمعتمدة حول الحُجج الوقفيّة خاصّة والتّاريخ المملوكيّ والدّراسات الإفريقيّة ذات أهمّيّة كبيرة وكلّها مِمّا نشرته المؤسسات العلميّة المعروفة، من ذلك:

- دراسته لمرسوم السُّلطان برقوق إلى رُهبان دير سنت كاترين بسيناء. وثيقة وقف السُّلطان قايتباي على المدرسة الأشرفيّة وقاعة السّلاح بدمياط.
- تحقيق ودراسة وثيقة وقف مسيحيّة (وقف ماريا ابنة أبي الفرج بركات) من وثائق بطيركة الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة.

- دراسة وتحقيق وثائق وقف السّلطان قلاوون على البيمارستان المنصوريّ.
- دراسة وتحقيق وثائق وقف السّلطان النّاصر محمد بن قلاوون.
- معاهدة تجاريّة بين مصر والبندقيّة من عصر السّلطان الملك المؤيّد شيخ المحموديّ.
- دراسة وتحقيق وثيقة مصارف أوقاف السّلطان الملك النّاصر حسن بن محمد بن قلاوون.

ومن الدّراسات الإفريقيّة:

- العبدلاب وسقوط مملكة علوة.
- العلاقات بين مملكة مالي وسنغاي وبين مصر في عصر سلاطين المماليك.
- الصّومال في العصور الوسطى.
- علماء زيلع ودورهم ... وغير ذلك من الأبحاث والدّراسات.

ومن تآليفه:

- كتاب الأوقاف والحياة الاجتماعيّة في مصر في عصر سلاطين المماليك.
- المُصطلحات المعماريّة في الوثائق المملوكيّة (بالاشتراك).
- فهرسة وثائق القاهرة حتّى نهاية عصر سلاطين المماليك.

ومن النصوص المحققة:

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان لبدر الدّين محمد العينيّ (ـ855هـ/1451م)؛ صدر منه خمسةُ أجزاء من القسم الخاصّ بعصر سلاطين المماليك.
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنّويريّ، الجزء 28 (بالاشتراك).

ـ تذكرة النبيه في أيّام المنصور وبنيه، للحسن بن عُمر، ابن حبيب الحلبيّ (ـ779هـ/ 1377م). صدر في ثلاثة أجزاء.

ـ المنهل الصّافي والمستوفي بعد الوافي ليوسف بن تغري بردي (ـ784هـ/ 1470م)، صدر في 13 جزءاً، انفرد أ. د محمد أمين وحده بإصدار 11 جزءاً منه.

ودراساته ومسيرته مع التُّراث النّصيّ طويلة استمرّت أكثر من ثلاثة عقود.

ثُمَّ هذا الجزء العاشر من كتاب العبر لابن خَلْدون، وقد تحرّى نصوصه وتابعها مقارناً بمصادرها وما عاصرها من نصوص المؤرّخين، ولا شكّ أنّ صعوبة هذا القسم تتجلّى في الأخبار الطّطريّة والأعجميّة التي لا توجد لأعلامها معاجم مضبوطة لصيغ النّطق بها، مع العلم أنّ العرب عرّبوا ما اتّصلوا به منها ولم يأتوا على ضبطه بما يُطمأنّ إليه على التأكّد.

وقد اعتمد المحقّق في إخراج هذا العمل على نسختين: نسخة "ظ" (الظّاهري) الكاملة التي تنتظم جميع أجزاء الكتاب، ونسخة "س" التي عليها أثَرُ المؤلّف، وهي غير تامّة؛ حيث تنتهي بأخبار ملوك غَزْنَة من بني دوشي وهو ما يقابل الورقة 433 ب من نسخة "ظ"، ويوجد بها خرم يوافق من نسخة "ظ" التّامّة: السّطر الثّاني من الورقة 269 ب وحتّى السّطر الخامس من الورقة 288أ. وتوجد زيادةٌ في هذه النّسخة لم ترد في "ظ"، تبدأ من منتصف الورقة 212 أ حتّى نهاية الورقة 214 ب.

وكما سبق أنْ نوّهنا في تقديم أجزاء أخرى من العبر، فأنَّ مشجَّراتِ أنساب الأُسر الحاكمة هي من صنع ابن خَلْدون وبخطّه، إلاّ ما تلف منها واستُعيدت كتابتُه. وقد سقط من هذا الجزء في أصل نسخة "ظ"، المشجّران

الأوّلان: مشجر أسرة صلاح الدّين يوسف بن أيُّوب وإخوته: تورنشاه وطُغتكين وشاهنشاه، وعمّه أسد الدّين شيركوه، ومشجر أُسرة العادل أبي بكر بن أيُّوب، وعُوِّضا بمثيلَيْن خطّهما ثلث مغاير، فاستُبْدلا هنا بمشجَّرَيْ نسخة "س" اللذين كتبتا بخطّه.

واستدركنا من نسخة "س" مشجَّرين لم يَردا في "ظ"؛ هما شجرة نَسب بني رسول في اليَمن، وشجرة أولاد جنكيز خان الأربعة ونَسبه، وقد ثبّتنا في موقعهما من الكتاب وهما بخطّ ابن خَلْدون.

هذا وقد بَذَل المحقّق بعلمه وخبْرته غايةَ الجَهْد في ضبط النّصّ وحُسْن قراءته وإعْداده هذا الإعْدادَ الجيّد، ليخرجَ على هذه الصورة المحقّقة الواضحة الأمينة على ما كتبه المؤلّف.

إبراهيم شبّوح

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

الكتاب الثاني : الجزء العاشر

[237 ب] / [بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ دَبِّرْ يا كَرِيم](أ)

❁ الخَبَرُ عَنْ دَوْلَةِ بَنِي أَيُّوبَ القَائِمِينَ بِالدَّعْوَةِ العَبَّاسِيَّةِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ المُلْكِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَاليَمَنِ وَالمَغْرِبِ وَأَوَّلِيَّةُ ذَلِكَ وَمَصَائِرُه

هَـٰذِهِ الدَّوْلَةُ مِنْ فُرُوعِ دَوْلَةِ بَنِي زَنْكِي كَمَا تَـرَاه، وَجَدُّهُم هُوَ أَيُّوبُ بن [شَاذِي](1) بنِ مَرْوَانَ بن أَبِي عَلِيّ بن عَنْتَرَةَ بن الحَسَنِ بن عَلِيّ بن أَحْمَدَ بن عَلِيّ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ بن هُذْبَةَ بن الحُصَيْنِ بن الحَارِثِ(2) بن سِنَانِ بن عَمْرِو بن مُرَّةَ بنِ عَوْفِ [بنِ أُسَامَةَ(3) بن بَيْهَس بن الحَارِثِ(4)، وهُوَ صَاحِبُ الحَمَالَةِ(5)، ابنِ عَوْفِ بنِ أَبِي حَارِثَةَ بنِ مُرَّةَ بن ذُبْيَانَ(6) بن بَغِيض](ب) ❁الحُمَيْدِيُّ الدُّوسِيّ❁(ج)، هَكَذَا نَسَبَهُ بَعْضُ المُؤَرِّخِينَ(7) لِدَوْلَتِهِم(د).

(أ) من س. (ب) من س. (ج) سقط ما بين النجمين من س. (د) في س: مؤرخي دولتهم.

---

(1) في الأصول: شادي، وشاذي: بالشين المعجمة، اسم أعجمي بمعنى فرحان: وفيات الأعيان 1: 259.

(2) يكتبها النُّسَّاخ بإسقاط المدّ بعد الحاء، فأعدناها حيث وردت بدون تنبيه.

(3) في س: بن مامه، والتصويب من وفيات الأعيان 7: 140.

(4) في الأصول: نبهش، والتصويت من وفيات الأعيان 7: 140.

(5) الذي حمل الدماء بين عبس وذبيان بمشاركة خارجة بن سنان: وفيات الأعيان 7: 140؛ والحَمَالَةُ هي الدِّيَةُ أو الغرامةُ يحملُها قومٌ عن قوم.

(6) بضم الذال أو كسرها: نفسه 7: 140، الاشتقاق 275.

(7) وفيات الأعيان 7: 140، نهاية الأرب 28: 351 - 353.

[وقَالَ ابنُ شَدَّادٍ مُؤرِّخهم: إنهُم مِن بَلَدِ دَوِين[1]، في آخِرِ عَمَلِ أذْرَبيجَان مِمَّا يَلي أرَّان وبِلَادَ الكُرْجِ، وإنهُم أكْرَادٌ رَوَادِيَة[2]، بَطْنٌ مِنَ الهَذْبَانِيَّة، وهي قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ منَ الأكْرَاد][أ][3]. وقَالَ ابنُ الأثِير: إنَّهم مِنَ الأكْرَادِ الرَّوَادِيَة[4].

وقَالَ ابنُ خلِّكَان: كَانَ شَاذِي أبُوهم مِنْ أعْيَانِ دَوِين، وكَانَ صَاحِبُه بِهَا بِهْرُوز[5]، فأصَابَه [خِصَاءٌ][ب] مِن بَعْضِ أمْرَائِها، وفَرَّ حَيَاءً مِنَ المُثْلَة، فلَحِقَ بدَوْلَةِ السُّلْطَانِ مَسْعُودِ بن مُحَمَّدِ بن مَلِكْشَاه، وتَعَلَّقَ بخِدْمَةِ دَايَة بَنِيه[6]، حَتَّى إذَا هَلَكَ الدَّايَة أقَامَه السُّلْطَانُ لِبَنِيه مَقَامَه، فظَهَرَتْ كِفَايَتُه، وعَلَا في الدَّوْلَةِ مَحَلُّه، فبَعَثَ عَن شَاذِي بنِ مَرْوَانَ صَاحِبِه، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الألْفَةِ وأكِيدِ الصُّحْبَة، فقَدِمَ عَلَيْه.

ثُمَّ وَلَّى السُّلْطَانُ بِهْرُوزَ شِحْنَةَ بِبَغْدَاد، فَسَارَ إلَيْهَا، وَأصْحَبَ شَاذِي مَعَه، ثُمَّ أقْطَعَه السُّلْطَانُ قَلْعَةَ تَكْرِيت[7]، فَوَلَّى عَلَيها شَاذِي، فهَلَكَ وَهُوَ وَالٍ عَلَيْهَا، وَوَلَّى بِهْرُوزُ مَكَانَه ابْنَه نَجْمَ الدِّين أيُّوب، وَهُوَ الأكْبَرُ مِن أسَدِ الدِّينِ شِيرَكُوه، فلَم تَزَلْ وِلَايَتُهَا عَلَيها[8].

(أ) من س. (ب) في ظ: خطا، والتصويب من س

---

(1) بفتح الدال، معجم البلدان 2: 491، ووفيات الأعيان 1: 255، 259، 7: 139.

(2) في س: الدادراوردية، والتصويب من وفيات الأعيان 7: 139.

(3) في النوادر السلطانية 6: مولده بدوين، وضبط في س: دُوَين. أما باقي النص فسقط من المطبوع من النوادر السلطانية، وينظر وفيات الأعيان 7: 139.

(4) الكامل 11: 341، التاريخ الباهر 256.

(5) وهو بهروز بن عبد الله الغياثي 7: 142: الضبط من وفيات الأعيان.

(6) في وفيات الأعيان 1: 25: الالا النعي لأولاده.

(7) الضبط من معجم البلدان.

(8) وفيات الأعيان 1: 256.

ولمَّا زَحَفَ عِمادُ الدِّين زَنْكِي[أ]، صَاحِبُ المَوْصِل، لمظاهَرةِ السلطانِ مَسْعُودٍ عَلَى الخَلِيفَةِ المُسْتَرْشِدِ سَنَة [سِتٍّ و][1] عِشرِينَ وَخَمسِ مائة، وَانهزَمَ الأتابِكُ زَنْكِي، وَانكَفَأ رَاجِعًا إلى المَوْصِل، ومَرَّ بِتَكْرِيت، فَقَامَ نَجْمُ الدِّين بِعَلُوفَتِه وأزْوَادِه، وعَقَدَ لَه الجُسُورَ عَلَى دِجْلَة، وَسَهَّلَ لهُ عُبُورَهَا، ثُمَّ إنَّ شِيرْكُوه أصَابَ دَماً في تَكْرِيتَ وَلَمْ [238 أ] يُقَدْ مِنه / أخُوه أيُّوبُ، فَعَزَلَه بِهْرُوزُ، وأخْرَجَهُمَا مِن تَكْرِيتَ، ولَحِقَا بعِمَادِ الدِّين بالمَوْصِلِ فأحْسَنَ إلَيهِمَا، وأقْطَعَ لَهُمَا، ثُمَّ مَلَكَ بَعْلَبَكَّ سَنَةَ [ثَلَاثٍ][2] وثَلَاثِين، فأنْزَلَ بِها أيُّوبَ مِنهُمَا وَجَعَلَهُ نَائِباً فِيها[3].

ولَمَّا مَاتَ عِمَادُ الدِّين زَنْكِي، سَنَةَ إحْدَى وأرْبَعِين، زَحَفَ صَاحِبُ دِمَشْق [مُجِيرُ الدِّين أبَق بنُ بُورِي بنِ][4] طُغْتِكِين إلى بَعْلَبَكَّ وَحَاصَرَها، وَاسْتَنْزَلَ أيُّوبَ مِنْها عَلَى مَا شَرَطَ لنَفْسِه مِنَ الإقْطَاعِ، وَأقَامَ مَعَهم بِدِمَشْق، وَبَقِيَ شِيرْكُوه مَعَ العَادِلِ نُورِ الدِّين بن[ب] زَنْكِي، وَأقْطَعَه حِمْصَ وَالرَّحْبَةَ لاضْطِلَاعِه وَكِفَايَتِه، وَجَعَلَه مُقَدَّمَ عَسَاكِرِه، ولَمَّا صَرَفَ نَظَرَه إلَى الاسْتِيلَاءِ عَلَى دِمَشْق، وَاعْتَزَمَ عَلَى مُدَاخَلَةِ أهْلِها، كَانَ ذَلِكَ عَلَى يَدِ شِيرْكُوه وبِمُكَاتَبَتِه لأخِيه أيُّوبَ وهُوَ بدِمَشْق، فَتَمَّ ذَلِكَ عَلَى أيْدِيهِمَا وبِمُحَاوَلَتِهِمَا، ومَلَكَها سَنَةَ تِسْعٍ وأرْبَعِين وخَمسِ مائة[5].

(أ) سقط من س. (ب) سقط من س.

---

(1) من الكامل 10: 675، وينظر ما سبق بالجزء التاسع.

(2) في الأصول: اثنتين، والتصويب من الكامل 11: 68، ونهاية الأرب 28: 355، ووردت فيما سبق بالجزء التاسع: في ذي الحجة آخر ثلاث وثلاثين، ووردت في وفيات الأعيان 7: 144: أربع.

(3) في الكامل 11: 341 - 342، التاريخ الباهر 256: مستحفظاً بها، وينظر وفيات الأعيان 7: 142- 143.

(4) في الأصول: فخر الدين مابق، والتصويب من وفيات الأعيان 1: 297، 7: 398.

(5) في الكامل 11: 197، 342، والتاريخ الباهر 257: في صفر، في وفيات الأعيان 5: 184: في تاسع صفر.

وكانَت دَولَةُ العَلويِّينَ بِمِصرَ قَدِ اختَلَقَت[أ]، وذَهبَ استِفحالُها واستَبَدَّ وزَراؤُها عَلَى خُلفائِها، فلَمْ يَكُنِ الخُلَفاءُ يَملِكُونَ مَعَهم أمراً، وطَمِعَ الفِرنجُ في سَواحِلِهم وَ[أمصارِهم][ب] بِما نالَهم مِنَ الهَرَمِ والوَهنِ، فَمالُوا عَلَيهِم وانتَزَعُوا البِلادَ مِن بَينِ[ج] أيدِيهِم، وَكادُوا يَرِدُونَ عَلَيهِم كُرسِيَّ خِلافَتِهِم بِالقاهِرَةِ، وَوَضَعُوا عَلَيهِمُ الجِزيَةَ، وَهُمْ يَتَجَرَّعُونَ الصَّابَ[1] مِنْ ذَلِكَ، وَيَتَحَمَّلُونَه مَعَ بَقاءِ أمرِهِم، وَجَلاَ مِنَ الأتابِكِ زَنكِي وَقَومِه السَّلجُوقِيَّةِ مِن قَبلِه، أنْ يَمحُوا دَعوَتَهم، ويَذهَبُوا بِدَولَتِهِم، وَأقامُوا مِن ذَلِكَ عَلَى مَضَضٍ وقَلَقٍ، وَجاءَ اللهُ بِدَولَةِ العاضِدِ آخِرِهِم، وتَغَلَّبَ عَلَيهِ، بَعدَ الصَّالِحِ ابنِ رُزِّيكَ[2]، شاوَرُ السَّعدِيُّ[3]، وقَتَلَ رُزِّيكَ بنَ الصَّالِحِ سَنَةَ ثَمانٍ وخَمسِينَ، وَاستَبَدَّ [عَلَى][د] العاضِدِ، ثُمَّ نازَعَه الضِّرغامُ[4] لِتِسعَةِ أشهُرٍ مِن وِزارَتِه، وغَلَبَهُ وأخرَجَهُ مِنَ القاهِرَةِ، فَلَحِقَ بالشَّامِ، ولَحِقَ بنُورِ الدِّينِ صَرِيخاً سَنَةَ تِسعٍ وخَمسِينَ[5]، وَشَرَطَ لَه عَلَى نَفسِه ثُلُثَ الجِبايَةِ بِأعمالِ مِصرَ، عَلَى أنْ يَبعَثَ مَعَه عَسكَراً يُقِيمُونَ بِها، فَأجابَه إلى ذَلِكَ، وبَعَثَ أسَدَ الدِّينِ شِيرَكُوه في العَساكِرِ، فَقَتَلَ الضِّرغامَ، ورَدَّ شاوَرَ إلى رُتبَتِه[6].

(أ) في س: قد أخلقت جدتها. (ب) في ظ: أمطارهم، والتصويب من س. (ج) سقط من س. (د) في ظ: إلى، والتصويب من س.

(1) الصاب: شجر مر، وقيل هو عصارة الصبر، لسان العرب.

(2) طلائع بن رزّيك الأرمني، ثم المصري الشيعي، الملك الصالح، وزير الديار المصرية، قتل تاسع عشر رمضان سنة 556 هـ: وفيات الأعيان 2: 526 – 530.

(3) شاور بن مجير بن نزار، قتل ربيع الآخر سنة 564 هـ. نفسه 2: 439، الكامل 11: 335، ويذكر اسمه بفتح الواو وضمّها.

(4) ضرغام بن سوار اللّخمي، الملك المنصور، قتل سنة 559 هـ: نفسه 2: 442.

(5) وذلك في ربيع الأول: الكامل 11: 298، وفي النوادر السلطانية 36: في شهور ثمان وخمسين.

(6) وفيات الأعيان 2: 444.

وَآلَ أَمْرُهم إِلَى مَحْوِ الدَّوْلَةِ العَلَوِيَّة، وَانْتِظَام مِصْرَ وَأَعْمَالِها فِي مَلَكَةِ ابنِ أَيُّوبَ / بِدَعْوَةِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بن زَنْكِي، وَيُخْطَبُ لِلْخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّين. ثُمَّ هَلَكَ نُورُ [238 ب] الدِّينِ مَحْمُود، واسْتَبَدَّ صَلاحُ الدِّينِ بأَمْرِه في مِصْرَ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى بَنِي نُورِ الدِّينِ مَحْمُود، ومَلَكَ الشَّامَ مِن أَيْدِيهِم، وكَثِيراً مِنَ الجَزِيرَةِ مِنْ بَنِي عَمِّهم مَوْدُود، واسْتَفْحَلَ مُلْكُه، وعَظُمَتْ دَوْلَتُه، وأَوْرَثَها بَنِيه مِن بَعْدِه إِلَى أَنِ انْقَرَضُوا.

مَسِيرُ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوه إِلَى مِصْر وإِعَادَةُ شَاوَرَ إِلَى وِزَارَتِه

لَمَّا اعْتَزَمَ نُورُ الدِّينِ مَحْمُودٌ، صَاحِبُ الشَّام، عَلَى صَرِيخِ شَاور، وإِرْسَالِ العَسَاكِرِ مَعَه، اخْتَارَ لِذَلِك أَسَدَ الدِّينِ شِيرْكُوه بنَ شَاذِي، وكَانَ مِن أَكْبَرِ أُمَرَائِه، فَاسْتَدْعَاه مِن حِمْص، وَكَانَ أَميراً عَلَيها، وَهِيَ مِنْ إِقْطَاعِه، وجَمَعَ لهُ العَسَاكِرَ وَأَزَاحَ عِلَلَهم، وَفَصَلَ بِهِم شِيرْكُوه مِن دِمَشْقَ في جُمَادَى [الأُولَى[1] سنَةَ] تِسْعٍ وخَمْسِين[2]، وَسَارَ نُورُ الدِّينِ بِالعَسَاكِرِ إِلَى بِلادِ الفِرَنْجِ لِيَأْخُذَ بِحُجْزَتِهِم عَنِ اعْتِرَاضِهِ أَو صَدِّه، بِما كَانَ بَيْنَهم وبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ مِنَ الأُلفَةِ والتَّظَاهُر. وَلَمَّا وَصَلَ أَسَدُ الدِّينِ بِلْبِيس لَقِيَهُ هُنَالِك نَاصِرُ الدِّينِ أَخُو الضِّرْغَامِ وَقَاتَلَه فَانْهَزَمَ، وَعَادَ إِلَى القَاهِرَةِ مَهْزُوماً، وَخَرَجَ الضِّرْغَامُ سَلْخَ جُمَادَى الآخِرَة، فَقُتِلَ عِنْدَ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَة، وقُتِلَ أَخُوهُ، وعَادَ

(1) من الكامل11: 298، التاريخ الباهر 257.

(2) في النوادر السلطانية 36: في الثاني من جمادى الآخرة سنة ثمان.

شاورُ إلَى وِزَارَتِه وتَمَكَّنَ فِيها[1]، وَصَرَفَ أَسَدَ الدِّينِ إلَى بَلَدِه، وأَعْرَضَ عمَّا كَانَ بَيْنَهمَا، فطَالَبَه أَسَدُ الدِّينِ بالوَفَاءِ، فلَمْ يُجِبْ إلَيْه، فتَغلَّبَ أَسَدُ الدِّينِ عَلَى بِلْبِيسَ والبِلَادِ الشَّرقِيَّة[2].

وبَعَثَ شَاورُ إلَى الفِرنْجِ يَسْتَمِدُّهُم وَيَعِدُهُم، فبَادَرُوا إلَى إجَابَتِه، وَسَارَ بِهِم مَلِكُهم مُرِّي[3]، لخَوفِهم أنْ يَمْلِكَ أسَدُ الدِّينِ مِصْرَ، واسْتَعَانُوا بِجَمْعٍ مِنَ الفِرنْجِ جَاءُوا لِزِيَارَةِ القُدْسِ[أ]، وَسَارَ نُورُ الدِّينِ إلَيهِم لِيَشْغَلَهم، فلَم يُثْنِهِم ذَلِكَ، وصَمَّمُوا لِعَزْمِهم، وَأَرَزَ[4] أَسَدُ الدِّينِ إلَى بِلْبِيس، وَاجْتَمَعَتِ العَسَاكِرُ المِصْرِيَّةُ والفِرنْجُ[ب] عَلَيْه، وَحَاصَرُوه ثَلَاثَةَ أشْهُرٍ، وَهُو [يُقَادِيهِمُ][ج] القِتَالَ ويُرَاوِحُهم، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِم، وقُصَارَاهم مَنْعُ الأَخْبَارِ عَنْه. وَاسْتَنْفَرَ نُورُ الدِّينِ مُلُوكَ الجَزِيرَةِ ودِيَارِ بَكْرٍ، وَقَصَدَ حَارِم، وَسَارَ الفِرنْجُ لمدَافَعَتِه، فهَزَمَهم وأَثْخَنَ فِيهِم، وَأَسَرَ صَاحِبَ / أَنْطَاكِيَةَ وَطَرَابُلُسَ[5]، وَفَتَحَ [239 أ] حَارِمَ قَرِيباً مِنْ حَلَب، ثُمَّ سَارَ إلَى بَانِيَاس، قَرِيباً مِنْ دِمَشْقَ[د]، فَفَتَحَها كَمَا مَرَّ فِي أَخْبَارِ نُورِ الدِّينِ[6].

(أ) في س: بيت المقدس. (ب) في س: الإفرنج. (ج) في ظ: يعادلهم، والتصويب من س. (د) في س: من حلب دمشق.

---

(1) الكامل 11: 229.

(2) المصدر نفسه والصفحة، التاريخ الباهر 258.

(3) هو عموري الأول (أملريك) Amalric ملك مملكة بيت المقدس الصليبية. ومُرّي بتشديد الراء، انظر الكامل 11: 301.

(4) أرز: رحل، لسان العرب.

(5) هو الكونت ريموند الثالث Raymond III، ولقبه الصنجيلي في بعض المصادر العربية، ينظر ما يلي حيث ورد في الأصول بمند، وتم تصويبها إلى ريمند، ينظر الكامل 11: 419.

(6) الكامل 11: 304، وينظر ما سبق بالجزء التاسع.

وَبَلَغَ الخَبَرُ بذَلِكَ إلَى الفِرنجِ، وَهم يُحاصِرُون أسَدَ الدّينِ في بِلْبِيس، فَفَتَّ في عَزائِمِهم، وطَوَوْا الخَبَرَ عَنه، وراسَلُوهُ في الصُّلحِ عَلى أنْ يَعُودَ إلى الشّام، فصالَحَهم، وعادَ إلَى الشّامِ في ذِي الحِجة مِنَ السَّنَةِ[1].

مَسِيرُ أسَدِ الدِّينِ ثانِيًا إلَى مِصْرَ ومُلْكُهُ الإسْكَنْدَرِيَّةَ ثُمَّ صُلْحُهُ عَلَيها وعَوْدُهُ

ولَمّا رَجَعَ أَسَدُ الدّينِ إلَى الشّام، لَم يَزَلْ في نَفْسِه مَا كَانَ مِن غَدْرِ شَاوِر، وَبَقِيَ يَتَحَيَّنُ لِغَزْوِهم إلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وسِتِّين، فَجَمَعَ العَسَاكِرَ، وَبَعَثَ مَعَه نُورُ الدّينِ[أ] جَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ، وَأكْثَفَ لَه العَسْكَرَ خَوْفاً عَلَى حِمَايَةِ[ب] الإسْلَام.

وَسَارَ أَسَدُ الدّينِ إلَى مِصْر[2]، وَانْتَهَى إلَى أُطْفِيح[3]، وَعَبَرَ مِنها إلَى العُدْوَةِ الغَرْبِية، ونَزَلَ الجِيزَة[ج]، وَأَقَامَ نَحواً مِن خَمْسِينَ يَوماً، وَبَعَثَ شَاوِرُ إلَى الفِرنْج يَسْتَمِدُّهم عَلَى العَادَة، وعَلَى مَا بِهِم مِنَ التَّخَوفِ مِنَ اسْتِفْحَالِ مُلْكِ نُورِ الدّينِ وشِيرْكُوه، فَسَارَعُوا إلَى مِصْر، وعَبَرُوا مَعَ عَسَاكِرِها إلَى الجِيزَة، وَقَدِ ارْتَحَلَ عَنهَا أَسَدُ

(أ) في س: نور الدين معه. (ب) في س: حامية. (ج) في س: إلى الجيزة.

(1) الكامل 11: 300: وفي النوادر السلطانية 37: في السابع من ذي الحجة سنة ثمان.

(2) في الكامل 11: 324، التاريخ الباهر 270: في ربيع الآخر، وفي النوادر السلطانية 37: في أثناء ربيع الأول.

(3) أطفيح: من الأعمال الجيزية، شرقي النيل، القاموس الجغرافي.

الدّينِ [شيرْكُوه][أ] إلَى الصَّعِيدِ، وَانتهَى مِنها إلَى البَابَيْن[1]، وَاتّبعوهُ وَأَدرَكُوهُ بها مُنتَصَف[2] [سَنَةِ][ب] اثْنَتَيْنِ وسِتِّين[3].

وَلَمّا رَأى كَثْرَةَ عَدَدِهِم وَاستِعْدَادَهم خَشِيَ مِنْ تَخَاذُلَ أَصْحَابِه فَاسْتَشَارَهم، فَأَشَارَ بَعْضُهم بِعُبُورِ النّيلِ إلَى العُدْوَةِ الشَّرْقِيَةِ وَالعَوْدِ إلَى الشّامِ، وَأَبَى زُعَمَاؤهم إلّا الاسْتِمَاتَةَ، سَيِّمَا مَعَ خِشْيَةِ العَتْبِ مِنْ نُورِ الدّينِ. وَتَقَدَّمَ صَلَاحُ الدّينِ بذَلِكَ، وَأَدرَكَهُمُ القَوْمُ عَلَى تَعْبِئَةٍ، وَجَعَلَ صَلَاحَ الدّينِ في القَلْبِ، وَأَوْصَاه أن يَنْدفِعَ أمَامَهم، وَوَقَفَ هُوَ في المَيْمَنَةِ مَعَ مَنْ وَثِقَ باسْتِمَاتَتِه. وَحَمَلَ القَوْمُ عَلَى صَلَاحِ الدّينِ، فَسَارَ بَيْنَ أيْدِيهِم عَلَى تَعْبِئَةٍ، وَخَالَفَهم أَسَدُ الدّينِ إلَى مَخْلَفِهم، فَوَضَعَ السَّيْفَ فِيهم، وأَثْخَنَ قَتْلاً وأَسْراً، وَرَجَعُوا عَنْ صَلَاحِ الدّينِ يَظُنُّونَ أنّهم سَارُوا مُنْهَزِمِين، فَوَجَدُوا أَسَدَ الدّينِ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى مَخْلَفِهم وَاسْتَبَاحَهُ / فَانْهَزَمُوا إلَى مِصْرَ[4]. [239 ب]

وَسَارَ أَسَدُ الدّينِ إلَى الإسْكَنْدَرِيَة، فَتَلَقَّاه أَهْلُها بالطَّاعَةِ، وَاسْتَخْلَفَ بها صَلَاحَ الدّينِ ابنَ أخِيه، وَعَادَ إلَى الصَّعِيدِ فَاسْتَوْلَى عَلَيه، وَفَرَّقَ العُمّالَ عَلَى جِبَايَةِ أَمْوالِه.

(أ) من س. (ب) من س.

---

(1) البابين: مدينة قديمة تقع غرب النيل بصعيد مصر، وهي حالياً قرية من قرى مركز ملوى بمحافظة أسيوط، نفسه.

(2) الكامل 11: 325: في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة، التاريخ الباهر 271، الروضتين 2: 11: ومن جمادى الأولى.

(3) الكامل 11: 324 – 325.

(4) الكامل 11: 326، التاريخ الباهر 272.

وَوَصَلَت عَسَاكِرُ مِصْرَ وَالفِرِنْجِ إِلَى القَاهِرَة، وَأَزَاحُوا عِلَلَهم وَسَارُوا إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَة فحَاصَرُوا بها صَلَاحَ الدِّينِ، وَجَهدَه الحِصَارُ، وَسَارَ أَسَدُ الدِّينِ مِن الصَّعِيدِ لإِمْدَادِه وَقَدِ انْتَقَضَ عَلَيْه طَائِفَةٌ مِنَ التُّرْكُمَان مِنْ عَسْكَرِه، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي ذَلِكَ جَاءَته رُسُلُ القَوْمِ فِي الصُّلحِ عَلَى أنْ يَرُدَّ إِلَيهِمُ الإِسْكَنْدَرِيّة، وَيُعْطُوه خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ سِوَى مَا جَبَاه مِن أَموالِ الصَّعِيدِ، فَأَجَابَهم إِلَى ذَلِك، عَلَى أَن يَرْجِعَ الفِرِنْجُ إِلَى بِلادِهم، وَلَا يَمْلِكوا مِنَ البِلادِ قَرْيَةً، فَانْعَقَدَ ذَلِك بَيْنَهم مُنْتَصَفَ شَوَّال[1].

وَعَادَ أَسَدُ الدِّينِ وأَصْحَابُهُ إِلَى الشَّام مُنْتَصَفَ[2] ذِي القَعْدَة، ثُمَّ شَرَطَ الفِرِنْجُ[أ] عَلَى شَاوِرَ أَنْ يُنْزِلُوا بالقَاهِرَة شِحْنَةً، وتكُونَ أَبْوابُها بِأَيْدِيهم لِيَتَمَكَّنُوا مِن مُدَافَعَةِ نُورِ الدِّينِ، وَضَرَبُوا عَلَيْه مِائَةَ أَلْفِ دِينَار فِي كُلِّ سَنَةٍ جِزْيَةً، فَقَبِلَ ذَلِك، وَعَادَ الفِرِنْجُ إِلَى بِلَادِهِم بِسَوَاحِلِ الشَّامِ، وَتَرَكُوا بِمِصْرَ جَمَاعَةً مِنْ زُعَمَائِهم.

وَبَعَثَ الكَامِلُ شُجَاعُ بْنُ شَاوِرَ إِلَى نُورِ الدِّينِ بِطَاعَتِه، وَأَنَّه يَبُثُّ بِمِصْر دَعْوَتَه، وَقَرَّرَ عَلَى نَفْسِه مَالًا يَحْمِلُ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى نُورِ الدِّينِ، فَأَجَابَه إِلَى ذَلِك، وبَقِيَ شِيعَةً لَه بِمِصْر[3].

(أ) في س: الإفرنج.

---

(1) الكامل 11: 326، التاريخ الباهر 273.

(2) في الكامل 11: 327، التاريخ الباهر 273، النوادر السلطانية 38: ثامن عشر.

(3) الكامل 11: 327، التاريخ الباهر 273 – 274.

اسْتِيلاءُ أَسَدِ الدِّينِ عَلَى مِصْرَ وَمَقْتَلُ شَاوِر

وَلَمّا ضَرَبَ الفِرِنْجُ الجِزْيَةَ عَلَى القَاهِرَةِ ومِصْرَ وَأَنْزَلُوا بها الشِّحْنَةَ وَمَلَكُوا أَبْوَابَهَا، تَمَكَّنُوا مِنَ البِلادِ، وَأَقَامُوا فِيها جَمَاعَةً مِنْ زُعَمَائِهِم، فَتَحَكَّمُوا وَاطَّلَعُوا عَلَى عَوْرَاتِ الدَّوْلَةِ، فَطَمِعُوا[أ] فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الاسْتِيلاءِ، وَرَاسَلُوا بذَلِكَ مَلِكَهم بالشَّامِ، وَاسْمُهُ مُرِّي، وَلَمْ يَكُنْ ظَهَرَ بالشَّامِ مِنَ الفِرِنْجِ مِثْلُه، فَاسْتَدْعَوْهُ لذَلِكَ وأَغْرَوْه، فَلَمْ يُجِبْهم، وَاسْتَحَثَّه أَصْحَابُه لـمَلِكِها. وَمَا زَالُوا / يَفْتِلُون لَه في الذِّرْوَةِ [240أ] وَالغَارِبِ، وَيُوهِمُونه القُوَّةَ •بِمُلْكِها عَلَى نُورِ الدِّينِ•[ب]، وَغَرَضُهم هُوَ أَنَّ ذَلِكَ يَؤُولُ إِلَى خُرُوجِ أَصْحَابِها عَنْها لنورِ الدِّينِ لِيَتَقَوَّى[ج] بِها، إِلَى أَنْ غَلَبُوا عَلَيْه، فَرَجَعَ إِلَى رَأْيِهِم، وَتَجَهَّزُوا.

وَبَلَغَ الخَبَرُ إِلَى نُورِ الدِّينِ، فَجَمَعَ عَسَاكِرَه، واسْتَنْفَرَ مِن ثُغُورِه، وَسَارَ الفِرِنْجُ إِلَى مِصْرَ مُفْتَتَحَ أَرْبَعٍ وسِتِّين، فَمَلَكُوا بِلْبِيس عَنْوَةً، [وَاسْتَبَاحُوهَا في صَفَرٍ][د]، وَكَاتَبَهم جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْدَاءِ شَاورَ فَأَنِسُوا بِكِتَابِهِم، وَسَارُوا إِلَى مِصْرَ وَنَازَلُوا القَاهِرةَ[1].

وَأَمَرَ شَاورُ بِإِحْرَاقِ مَدِينَةِ مِصْرَ لِيَنْتَقِلَ أَهْلُها إِلَى القَاهِرةِ فِيضْبِطَها الحِصَارُ، فَانْتَقَلُوا وَقَدْ أَخَذَهُم الحَرِيقُ، فَامْتَدَّتِ الأَيْدِي وَانتُهِبَتْ أَمْوَالُهم، وَاتَّصَلَ الحَرِيقُ فِيها شَهْرَيْنِ، وَبَعَثَ العَاضِدُ إِلَى نُورِ الدِّينِ مُسْتَغِيثاً بِه، فَأَجَابَ وَأَخَذَ في تَجْهِيزِ العَسَاكِرِ.

(أ) في س: وطمعوا. (ب) في س: على نور الدين بملكها. (ج) في س: فيقوى. (د) في ظ: في صفر، واستباحوا، والتصويب من س.

(1) في الكامل 11: 336، التاريخ الباهر 279، الروضتين 2: 47: عاشر صفر.

وَاشْتَدَّ الحِصَارُ عَلَى القَاهِرَةِ، وَضَاقَ الأَمْرُ بِشَاوَرَ، فَبَعَثَ إِلَى مَلِكِ الفِرِنْجِ يُذَكِّرُه بِقَدِيمِه، وَأَنَّ هَوَاه مَعَهُ دُونَ العَاضِدِ وَنُورِ الدِّينِ، وَيَسْأَلُ فِي الصُّلحِ عَلَى المَالِ لِنُفُورِ المسْلِمِينَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، فَأَجَابَه مَلِكُ الفِرِنْجِ عَلَى أَلفِ أَلفِ دِينَار لِمَا رأَى مِنَ امْتِنَاعِ القَاهِرَةِ، وَبَعَثَ إِلَيهِم شَاوَرُ بِمائَةِ أَلفٍ مِنْهَا، وَسَأَلَهم فِي الإِفْرَاجِ فَارْتَحَلُوا[1].

وَشَرَعَ فِي جَمْعِ المالِ، فَعَجَزَ النَّاسُ عَنه، وَرُسُلُ العَاضِدِ، خِلَالَ ذَلِكَ، تَتَرَدَّدُ إِلَى نُورِ الدِّينِ فِي أَنْ يَكُونَ أَسَدُ الدِّينِ وعَسَاكِرُه حَامِيَةً عِنْدَه وعَطَاؤُهم عَلَيه، وثُلُثُ الجِبَايَةِ خَالِصَةً لِنُورِ الدِّينِ، فَاسْتَدْعَى نُورُ الدِّينِ أَسَدَ الدِّينِ مِنْ حِمْص وَأَعْطَاه مِائَتَيْ أَلفِ دِينَار، وَجَهَّزَه مِنَ الثِّيَابِ وَالدَّوَابِّ وَالأَسْلِحة، وَحَكَّمَه فِي العَسْكَرِ والخَزَائِنِ، وَنَقَدَ[2] العَسْكَرَ عِشرِينَ دِيناراً لِكُلِّ فَارِسٍ[3]، وبَعَثَ مَعَه مِن أُمَرَائِه مَوْلاه عِزَّ الدِّينِ جُوزدِيك[4]، وغَرَسَ الدِّينِ قِلِيج[5]، وشَرَفَ الدِّينِ بُرْغُش[6]، وعَيْنَ الدَّوْلَةِ اليَارُوقِي، وقُطْبَ الدِّينِ يَنَالَ بن حَسَّانَ المَنْبِجي، وأَمَرَ [240 ب] صَلاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بنَ أَيُّوبَ / بالمسِيرِ مَعَ عَمِّه أَسَدِ الدِّينِ، فَتَعَلَّلَ عَنه، واعتَزَمَ عَلَيه فَأَجَاب، وسَارَ أَسَدُ الدِّينِ مُنْتَصِفَ رَبِيعٍ [الأَوَّل][7]، فَلَمَّا قَارَبَ[أ] مِصْرَ رَجَعَ

(أ) في ظ: قرب.

---

(1) الكامل 11: 337، التاريخ الباهر 279، الروضتين 2: 48.

(2) في الأصول: ونقل، والتصويب يتفق مع السّياق والمعنى المقصود، ينظر ما يلي.

(3) الكامل 11: 338، التاريخ الباهر 280: معونة غير محسوبة في جامكيته.

(4) في الأصول: خرديك، والتصويب من وفيات الأعيان 2: 440 - 441، وسيجرى تصويبها فيما يلي دون إشارة.

(5) في الكامل 11: 338: عز الدين قلج في هذا الموضع والمواضع التالية.

(6) في الكامل 11: 338، الروضتين 2: 50: برغش.

(7) من الكامل 11: 338، التاريخ الباهر 280.

الفِرنْجُ إلَى بلادِهِم، فسُرَّ بذَلِكَ نُور الدِّينِ، وأقَامَ علَيه البَشَائرَ في الشّام.

ووَصَلَ أَسَدُ الدِّينِ القَاهِرَةَ ودَخَلَهَا [رَابِعَ رَبِيعِ الآخِرِ][1] ونَزَلَ بِظَاهِرِها، [ولَقِيَ][ا] العَاضِدَ، وخَلَعَ عَلَيه، وَأجْرَى عَلَيه وعَلَى عَسْكَرِهِ الجِرَايَات والإقَامَات، وأقَامَ أَسَدُ الدِّينِ يَنْتَظِرُ شَرْطَهم، وَشَاوِرُ يُمَاطِلُه ويُعَلِّلُه بالموَاعِدِ، ثُمَّ فَاوَضَ أَصْحَابَه في القَبْضِ عَلَى أَسَدِ الدِّينِ وَاسْتِخْدَام جُنْدِه، فَمَنَعَهُ ابنُه الكَامِلُ مِن ذَلِكَ فأَقْصَر، ثُمَّ أَشْرَفَ أَصْحَابُ أَسَدِ الدِّينِ عَلَى اليَأسِ مِنْ شَاور، وَتَفَاوَضَ أُمَرَاؤُه في ذَلِكَ، فاتَّفَقَ صَلَاحُ الدِّينِ ابنُ أخِيه وَعِزُّ الدِّينِ جُورْدِيكُ *عَلَى قَتْلِ شَاور، وَأَسَدُ الدِّينِ يَنْهَاهم، وَغَدَا شَاورُ يَوماً عَلَى أَسَدِ الدِّينِ في خِيَامِه فَأَلفَاه قَدْ رَكِبَ لِزِيَارَةِ تُرْبَةِ الشَّافِعِيِّ، فَتَلَقَّاه صَلاحُ الدِّينِ وجُورْدِيك*[ب]، وَرَكِبُوا مَعَهُ لقَصْدِ أَسَدِ الدِّينِ، فَقَبَضُوا عَلَيْه في طَرِيقِهِم، وَطَيَّرُوا بالخَبَرِ إلَى أَسَدِ الدِّينِ، وَبَعَثَ العَاضِدُ لِوَقْتِه يُحَرِّضُهم عَلَى قَتْلِه، فَبَعَثُوا إلَيه بِرَأسِه[2]، وَأمَرَ العَاضِدُ بنَهبِ دُورِه، فَنَهَبَهَا العَامَّةُ.

وَجَاءَ أَسَدُ الدِّينِ إلَى قَصْرِ العَاضِدِ فَخَلَعَ عَلَيْه للوِزَارَةِ، ولَقَّبَه المَلِكَ المَنْصُورَ أَمِيرَ الجُيُوشِ. وَخَرَجَ لَه مِنَ القَصْرِ مَنْشُورٌ[3] مِن إنْشَاءِ القَاضِي الفَاضِل البَيْسَانِي، وعَلَيه مَكْتُوبٌ، بخَطِّ الخَلِيفَة، مَا نَصُّه[4]:

(ا) في ظ: لقي، والتصويب من س. (ب) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) في الأصول: منتصف جمادى الآخرة، وفي الكامل 11: 339، والتاريخ الباهر 280: سابع جمادى الآخرة، والتصويب من الروضتين 2: 55 ، 58، ويتفق مع ما يلي من تواريخ الأحداث.

(2) في السابع عشر من ربيع الآخر (564 هـ). الكامل 11: 340، التاريخ الباهر 281، وفيات الأعيان 2: 441، 480، وينظر النوادر السلطانية 39 – 40، الروضتين 2: 57.

(3) ينظر نص المنشور في صبح الأعشى 10: 80 – 90.

(4) ينظر صبح الأعشى 9: 406 - 407، الروضتين 2: 64، مفرج الكروب 1: 165، سنا البرق الشامي 42.

هَذَا عَهْدٌ [مَا](أ) عُهِد لِوَزِيرٍ بِمِثْلِه، فَتَقَلَّدْ مَا رَآكَ اللهُ وأميرُ المُؤمنين أهْلًا لِحَمْلِه، وعَلَيكَ الحُجَّةُ مِنَ اللهِ فِيمَا أوْضَحَ [لَكَ](ب) مِن مَرَاشِدِ سُبُلِه، فَخُذْ كِتَابَ الفَخَارِ بِقُوَّة، واسْحَبْ ذَيْلَ الفَخَارِ بِأنِ اعتَزَتْ خِدْمَتُكَ إلَى بُنُوةِ النُّبُوَّة، وَاتَّخِذْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لِلفَوزِ سَبِيلاً، ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [سورة النحل، من الآية 91].

ثُمَّ رَكِبَ أَسَدُ الدِّينِ إلَى دَارِ الوِزَارَةِ التي كَانَ فِيها شَاوِرُ، وَجَلَسَ مَجْلِسَ الأَمْرِ والنَّهْيِ، وَوَلَّى عَلَى [الأَعْمَالِ](ج)، وَأَقْطَعَ البِلَادَ للعَسَاكِرِ(1)، وَأَمَرَ أَهْلَ مِصْرَ
[241 أ] بالرجُوعِ إلَى بلَادِهِم / وَرَمِّهَا وَعِمَارَتِها. وَكَاتَبَ نُورَ الدِّينِ بالوَاقِعِ مُفَصَّلاً، وَانْتَصَبَ لِلأُمُورِ، ثُمَّ دَخَلَ إلَى العَاضِدِ، وَخَاطَبَه الأُسْتَاذُ جَوْهَرٌ الخَصِيُّ عَنه، وهُو يَوْمَئِذٍ أَكْبَرُ الأُسْتَاذِينَ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ مَوْلَانَا: قَدْ كُنَّا نُؤْثِرُ مَقَامَكَ عِنْدَنا مِن أَوَّلِ قُدُومِك، وأَنْتَ تَعْلَمُ المَوَانِعَ مِنْ ذَلِك، وَلَقَدْ تَيَقَّنَّا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ دَخَرَكَ لَنَا نُصْرَةً عَلَى أَعْدَائِنا، فَحَلَفَ لَهم(د) أَسَدُ الدِّينِ عَلَى النَّصِيحة واظْهَارِ الدَّوْلَة، فَقَالَ الأُسْتَاذُ عَنِ العَاضِدِ: الأَمَلُ فِيكَ هَذَا وَأَكْثَر، ثُمَّ جُدِّدَتِ الخِلَعُ، وَاسْتَخْلَصَ أَسَدُ الدِّينِ الجَلِيسَ عَبْدَ القَوِيّ، وَكَانَ قَاضِيَ القُضَاة وَدَاعِيَ الدُّعَاة، وَاسْتَحْسَنَه وَاخْتَصَّه.

وَأَمَّا الكَامِلُ بنُ شَاوِرَ فَدَخَلَ [القَصْرَ](هـ) مَعَ إِخْوَتِه مُعْتَصِمِينَ بِه، وَكَانَ آخِرَ

(أ) في ظ: لا، والتصويب من س. (ب) من س. (ج) في ظ: على العمال، والتصويب من س. (د) في س: له.
(هـ) من س.

---

(1) الكامل 11: 340، التاريخ الباهر 281.

العَهْدِ بِه، وَأسِفَ أَسَدُ الدِّينِ [عَلَيْه][ب] لِمَا كَانَ مِنْه فِي رَدِّ أَبِيه شَاوِرَ عَنْه، وذَهَبَ كلٌّ بِمَا كَسَبَ[1].

وَفَاةُ أَسَدِ الدِّينِ، وَوِلايَةُ صَلاحِ الدِّينِ ابْنِ أَخِيه

ثُمَّ تُوفِّيَ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوه آخِرَ[2] جُمَادَى الآخِرَةِ مِن سَنَةِ أَرْبَعٍ وسِتِّين، لِشَهْرَيْن مِنْ وِزَارَتِهِ، وَلَمَّا اسْتَحْضَرَ أَوْصَى طَوَاشِيَّهُ بَهاءَ الدِّينِ قَرَاقُوش[3]، فَقَالَ [لَه][ج]: الحَمْدُ لله الذي بَلَّغَنَا مِنْ هَذِه الدِّيَارِ مَا أَرَدْنَا، وَمُتْنَا وَأَهْلُهَا رَاضُونَ عَنَّا، فَلَا تُفَارِقُوا سُورَ القَاهِرَة، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي الأُسْطُول.

وَلَمَّا تُوفِّيَ تَشَوَّفَ الأُمَرَاءُ، الَّذِين مَعَه، إِلَى رُتْبَةِ الوِزَارَةِ مَكَانَه، مِثْلَ: عَيْنِ [الدَّوْلَة][د] اليَارُوقِي، وَسَيْفِ الدِّينِ المَشْطُوبِ الهَكَّارِي، وَقُطْبِ الدِّينِ يَنَالَ ابْنِ حَسَّانَ المَنْبِجِي، وَشِهَابِ الدِّينِ مَحْمُودٍ الحَارِمِيّ، وهُوَ خَالُ صَلاحِ الدِّينِ، وجَمَعَ كلٌّ لِمُغَالَبَةِ صَاحِبِه عَلَيهَا[4].

وَكَانَ أَهْلُ القَصْرِ وَخَوَاصُّ الدَّوْلَة قَدْ تَشَاوَرُوا بَعْدَه، فَأَشَارَ جَوْهَرٌ بِإِخْلاءِ رُتْبَةِ الوِزَارَة، وَاصْطِفَاءِ ثَلاثَةِ آلافٍ مِنْ عَسْكَرِ الغُزِّ يَقُودُهم قَرَاقُوش، وتُعْطَى لَهُمْ[د]

(أ) من س. (ب) من س. (ج) في ط: الدين، والتصويب من س. (د) في الأصول: وتُعطاهم.

---

(1) الكامل 11: 341.

(2) في الكامل 11: 341، النوادر السلطانية 40، وفيات الأعيان 2: 450: يوم السبت الثاني والعشرين، وينظر الروضتين 2: 68.

(3) لفظ تركي معناه الطائر الأسود، وتوفي قراقوش سنة 597 هـ، وفيات الأعيان 4: 92.

(4) الكامل 11: 343.

الشَّرْقيةُ إقْطَاعاً يَنْزِلُونَ بها سَدّاً دُونَ الفِرَنْجِ، وَلَا نُوَلِّي مَنْ يَسْتَبِدُّ عَلَى الخَلِيفَةِ بَلْ يُقِيمُ وَاسِطَةً بَيْنَه وبَيْنَ النَّاسِ عَلَى العَادَةِ، وَأَشَارَ آخَرُونَ بِإِقَامَةِ صَلاحِ الدِّينِ مَقَامَ [241ب] / عَمِّه والنَّاسُ تَبَعٌ لَه، وَمَالَ العَاضِدُ لِذَلِكَ حَيَاءً مِن صَلَاحِ الدِّينِ، وجُنُوحاً إلَى صِغَرِ سِنِّه، وَأَنَّه لَا يَتَوَهَّمُ فِيه مِنَ الاسْتِبْدَادِ مَا يَتَوَهَّمُ فِي أَصْحَابِه، وَأَنَّهم فِي سَعَةٍ مِن رَأْيِهم مَعَ وِلَايَتِه، فاسْتَدْعَاهُ وخَلَعَ عَلَيه، ولَقَّبَهُ المَلِكَ النَّاصِرَ[1].

واخْتَلَفَ عَلَيه أَصْحَابُه وَلَم يُطِيعُوه، وكَانَ عِيسى الهَكَّارِيُّ شِيعَةً لَه، فَاسْتَمَالَهم إِليه إِلَّا اليَارُوقِيَّ فإِنَّه امْتَنَعَ وعَادَ إِلَى نورِ الدِّينِ بالشَّامِ، وثَبَتَت قَدَمُ صَلاحِ الدِّينِ في مِصْرَ[أ]، وكَانَ نائباً عَن نُورِ الدِّينِ، *ونُورُ الدِّينِ يُكَاتِبُه*[ب] بالأَمِيرِ الإسْفَهْسَلَارِ[2]، ويَجْمَعُه فِي الخِطَابِ مَعَ كافَّةِ الأُمَرَاءِ بالدِّيارِ المِصْرِيةِ[3].

ومَا زَالَ صَلاحُ الدِّينِ يُحْسِنُ المبَاشَرَةَ، و[يَسْتَمِيلُ][ج] النَّاسَ، ويُفِيضُ العَطَاءَ حتَّى غَلَبَ عَلَى أَفْئِدَةِ النَّاسِ، وضَعُفَ أَمْرُ العَاضِدِ، ثُمَّ أَرسَلَ يَطْلُبُ إِخْوَتَهُ وأَهْلَه مِن نُورِ الدِّينِ، فَبَعَثَ بِهِم إِلَيه مِنَ الشَّامِ، واسْتَقَامَت [أُمُورُه][د]، واطَّرَدَتْ سَعَادَتُه[4].

(أ) في س: بمصر. (ب) مكررة في س. (ج) في ظ: يستميد، والتصويب من س. (د) من س.

---

(1) ينظر نص المنشور في صبح الأعشى 10: 91 - 98، ونص خط الخليفة على المنشور في صبح الأعشى 9: 407.

(2) الاسفهسلار: كلمة تركية مركبة بمعنى مقدم العسكر، نفسه 3: 479.

(3) الكامل 11: 344، التاريخ الباهر 284، وينظر الروضتين 2: 72.

(4) الكامل 11: 344.

واقِعَةُ السُّودَانِ بِمِصْرَ

كَانَ بِقَصْرِ العَاضِدِ خَصِيٌّ حَاكِمٌ عَلَى أَهْلِ القَصْرِ يُدْعَى مُؤْتَمَنَ الخِلافَة، فَلَمَّا غَصَّ أَهْلُ الدَّوْلَةِ بِوِزَارَةِ صَلاحِ الدِّينِ، دَاخَلَ جَمَاعَةً مِنهم، وكَاتَبَ الفِرِنْجَ يَسْتَدْعِيهم لِيَبْرُزَ صَلاحُ الدِّينِ لِمُدَافَعَتِهِم فَيَثُورُوا بِمَخْلَفِه، ثُمّ يَتْبَعوهُ وقَدْ نَاشَبَهُ الفِرِنْجُ وَيَأْتُوا عَلَيْه، وبَعَثَ بِالكِتَابِ مَعَ ذِي طِمْرَيْنِ حَمَلَهُ فِي لِفْقِ نِعَالِه، فَاعتَرَضَه بعضُ التُّرْكُمان واسْتَلَبُوه، ورَأَوْا النِّعَالَ جَدِيدَةً فاسْتَرَابُوا بها، فَجَاءوا بِهِ إِلَى صَلاحِ الدِّينِ[1]، وقَرَأَ الكِتَابَ، ودُلَّ عَلَى كَاتِبِه حَتَّى أَخبَرَهُ بِحَقِيقَةِ الأَمْرِ، فَطَوَى ذَلِكَ، وانْتَظَرَ مُؤْتَمَنَ الخِلافَةِ حَتَّى خَرَجَ إِلَى بَعْضِ قُرَاه مُتَنَزِّهًا وبَعَثَ مَنْ جَاءَه بِرأْسِه[2]، وعَزَلَ الخِصْيان بالقَصْرِ مِن[ا] وِلايَةِ أُمُورِه، وَقَدَّمَ عَلَيهِم بَهَاءَ الدِّينِ قَرَاقُوش خَصِيّاً أَبيَض مِن خَدَمِه، وجَعَلَ إِلَيهِ سَائِرَ الأُمُورِ بالقَصْرِ.

وامْتَعَضَ السُّودَانُ بِمِصْرَ لِقَتْلِ مُؤْتَمنِ الخِلافَةِ، واجْتَمَعُوا لِحَرْبِ صَلاحِ الدِّينِ، وبَلَغُوا خَمْسِينَ أَلفاً، ونَاجَزُوا عَسْكَرَهُ بَيْنَ القَصْرَيْنِ / فِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ آخِرِ السَّنَةِ، وبَعَثَ إِلَى مَحَلَّتِهِم، [المَعْرُوفَةِ][3] بِالمَنْصُورَةِ[4]، مَنْ أَحْرَقَها عَلَى أَهْلِيهم وأَولادِهِم، فَلَمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ انْهزَمُوا، وأَخَذَهُمُ السَّيفُ بالسِّكَكِ[ب]، فَاسْتَأْمَنُوا وعَبَرُوا

(ا) في س: عن. (ب) في س: في السكك.

---

(1) في الأصول: نجم الدين، والتصويب يتفق مع السياق.

(2) الكامل 11: 345: في أوائل ذي القعدة 564 هـ.

(3) من الكامل 11: 347.

(4) يعني الحارة المنصورة خارج باب زويلة، وهي حارة متسعة فيها عدة مساكن السودان، المواعظ والاعتبار، المجلد الثالث 53.

إلَى الجيزة، فسَار إليهم شمسُ الدَولَة، أخُو صَلاح الدّين، فِي طَائفةٍ مِنَ العَسْكَرِ فاسْتَلْحَمَهم وأبَادَهم[1].

مُنازَلَةُ الفِرِنْج دِمياطَ وفَتْحُ أيْلَة مِن أيديهم

ولَمَّا اسْتَوْلَى صَلاحُ الدّينِ عَلَى دَوْلَةِ مِصْرَ، وقَدْ كَانَ الفِرِنْجُ أسِفُوا عَلَى مَا فَاتَهم مِن صَدِّه وصَدِّ عَمِّهِ عَن مِصْرَ، وتَوَقَّعُوا الهَلاكَ مِنَ اسْتِطَالَةِ نُورِ الدّينِ عَلَيهم بمُلْكِ مِصْر، فبَعَثُوا الرُّهْبانَ والأقِسَّةَ إلَى بِلادِ النَّصْرانية يَدْعُونَهم إلَى المُدَافَعَة عَن بَيتِ المَقْدِس، •وكَاتَبُوا الفِرِنْجَ بصِقِلّيَةَ والأنْدَلُس يَسْتَمِدُّونَهم، فنَفَرُوا واسْتَعَدُّوا لإمْدَادِهِم•[(أ)].

واجْتَمَعَ الذينَ بسَوَاحِلِ الشّامِ فِي فَاتِح خَمْسٍ وسِتّين، ورَكِبُوا فِي ألفٍ وثَلاثِ مِائَة مِنَ الأسَاطِيل، وأرْسَوْا بدِمْيَاطَ ليَمْلِكُوهَا ويَقْرُبُوا مِنْ مِصْرَ، وكَانَ صَلاحُ الدّينِ قَدْ وَلَّاهَا شَمسَ الخَواصِّ مَنْكُورس، فبَعَثَ إليه بالخَبَرِ، فَجَهَّزَ [إليها][(ب)] بَهاءَ الدّينِ قَرَاقُوش، وأُمَرَاءَ الغُزِّ فِي البَرِّ مُتَتَابِعِينَ، ووَاصَلَ المَرَاكِبَ بالأسْلِحةِ والإقَامَات، وخَاطَبَ نُورَ الدّينِ يَسْتَمِدُّه لدِمْيَاط، لأنَّه لا يَقْدِرُ عَلَى المَسِيرِ إلَيهَا خَشْيَةً مِنْ أهْلِ الدَولَةِ بِمِصْرَ، فبَعَثَ نُورُ الدّينِ إلَيهَا العَسَاكِرَ [أرْسَالاً][(ج)]، ثُمّ سَارَ بنَفْسِه وخَالَفَ الفِرِنْجَ إلَى بِلادِهم بسَواحِلِ الشّام، فاسْتَبَاحَها وخَرَّبَها، وبَلَغَهمُ الخَبَرُ بذَلِك

(أ) سقط من س. (ب) في ظ: بها ، والتصويب من س. (ج) من س، ظ: رسالا.

---

(1) الكامل 11: 347.

عَلَى دِمْيَاطَ. وقَدِ امتَنَعَتْ عَلَيهِم، ووَقَعَ فِيهِمُ المَوَتَانُ فَأَقْلَعوا عَنها لِخَمسِينَ يَوماً مِن حِصَارِهَا، وَرَجَعَ أَهْلُ سَوَاحِلِ الشَّامِ إلَى بِلادِهِم فَوَجَدُوها خَراباً[أ] [1].

وكَانَ جُمْلَةُ مَا بَعَثَهُ [العَاضِدُ][2] في المَدَدِ لِصَلَاحِ الدِّينِ فِي شَأنِ دِمْيَاطَ هَذِهِ الأَلْفَ أَلْفَ دِينَارٍ، سِوَى الثِّيَابِ وَالأَسْلِحَةِ وَغَيرِها.

ثُمَّ أَرسَلَ صَلاحُ الدِّينِ / إلَى نُورِ الدِّينِ فِي مُنْتَصَفِ السَّنَةِ يَسْتَدْعِي مِنهُ [242 ب] أَبَاه نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ، فَجَهَّزَه إليهِ مَعَ عَسكَرٍ، واجْتَمَعَ مَعَهم مِنَ التُّجارِ جَمَاعَةٌ، وخَشِيَ عَلَيهِم نُورُ الدِّينِ فِي طَرِيقِهِم مِنَ الفِرنْجِ الذينَ بالكَرَكِ، فَسَارَ إلَى الكَرَكِ وَحَاصَرَهُم بِها، وجَمَعَ لهُ الفِرنْجُ الآخَرُونَ، فَصَمَدَ للقائِهِم، فَخَامُوا[3] عَنه، وسَارَ فِي وَسَطِ بِلادِهِم، وانتَهى إلَى عَشْتَرَا[4]، ووَصَلَ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ إِلَى مِصْرَ، ورَكِبَ[ب] العَاضِدُ لتَلَقِّيهِ[5].

ثُمَّ سَارَ صَلاحُ الدِّينِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ لِغَزْوِ بِلادِ الفِرنْجِ، وَأَغَارَ عَلَى أَعْمَالِ عَسْقَلانَ والرَّمْلَةِ، وَنَهَبَ رَبَضَ غَزَّةَ، وَلَقِيَ مَلِكَ الفِرنْجِ فَهَزَمَه، وَعَادَ إلَى مِصْرَ، ثُمَّ أَنْشَأَ مَرَاكِبَ وَحَمَلَهَا مُفَصَّلَةً عَلَى الجِمَالِ إلَى أَيْلَةَ، فأَلَّفَها وقَذَفَها فِي البَحْرِ، وَحَاصَرَ

(أ) سقط من س. (ب) في س: ووصل.

---

(1) الكامل 11: 351 – 352، التاريخ الباهر 286، النوادر السلطانية 41 – 43.

(2) في الأصول: نور الدين، والتصويب من ابن الأثير، حيث ورد أن صلاح الدين قال: ما رأيت أكرم من العاضد، أرسل إلى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرى سوى الثياب وغيرها. الكامل 11: 352، التاريخ الباهر 286، وينظر عقد الجمان – العصر الأيوبي 1: 35.

(3) خام: جَبُنَ.

(4) موضع بحوران من أعمال دمشق، معجم البلدان 4: 125.

(5) الكامل 11: 353، التاريخ الباهر 286، في النوادر السلطانية 44: في أثناء جمادى الآخرة.

أيلَةَ بَرّاً وبَحْراً، وفَتَحَها عَنْوَةً في شَهْرِ رَبيعٍ [الآخِرِ][1] مِنَ السَّنَة، واسْتَباحَها، وعَادَ إلَى مِصْرَ فَعَزَلَ قُضَاةَ الشِّيعَةِ مِنْ مِصْرَ، وَأَقَامَ قَاضِياً شَافِعِياً فِيها، وَوَلَّى فِي جَمِيعِ البِلادِ كَذَلِك.

ثُمَّ بَعَثَ أخاه شَمسَ الدَّوْلَةِ تُورَان شَاه إلَى الصَّعِيدِ، فَأَغَارَ عَلَى العَرَبِ، وكَانُوا قَدْ عَاثُوا وأَفْسَدُوا، فَكَفَّهُم عَن ذَلِك[2].

إِقَامَةُ الخُطْبَةِ العَبَّاسِيَّةِ بِمِصْرَ

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيه نُورُ الدِّينِ بإِقَامَةِ الخُطْبَةِ للمُسْتَضِيءِ بِبَغْدَادَ، وَتَرْكِ الخُطْبَةِ للعَاضِدِ بِمِصْرَ، فَاعْتَذَرَ عَن ذَلِكَ بِمَيْلِ أَهْلِ مِصْرَ للعَلَوِيِّين، وَفي[أ] بَاطِنِ الأَمْرِ خَشِيَ[ب] مِن نُورِ الدِّينِ، فَلَم يَقْبَلْ نُورُ الدِّينِ عُذْرَهُ فِي ذَلِك، وَلَم تَسَعْهُ مُخَالَفَتُه، وَأَحْجَمَ الخُطَبَاءُ عَنِ القِيَامِ بِذَلِكَ، وَوَرَدَ عَلَى صَلاحِ الدِّينِ شَخْصٌ مِن عُلَمَاءِ الأَعَاجِمِ يُعْرَفُ [بِالخَبُوشَانِي][3]، وَيُلَقَّبُ بِالأَمِيرِ العَالِمِ، فَلَمَّا رَآهُمْ مُحْجِمِينَ عَنْ ذَلِكَ صَعِدَ المِنْبَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ[4] قَبْلَ الخَطِيبِ، وَدَعَا للمُسْتَضِيءِ، فَلَمَّا كَانَتِ الجُمُعَةُ القَابِلَةُ

(أ) في س: فى. (ب) في س: وخشي.

---

(1) من الكامل 11: 365.

(2) المصدر نفسه 11: 366.

(3) في الأصول: الخبشاني، وصوابه ما أثبتناه. [نسبة إلى خُبُوشان، قرية من أعمال نيسابور، وهو محمد بن الموفَّق، نجم الدين الصوفي، ولد سنة 510هـ، ودخل مصر سنة 565هـ، وهو باني تربة الإمام الشافعي. الذهبي: تاريخ الإسلام 12: 841، وفيات الأعيان 4: 239.

(4) الكامل 11: 369، التاريخ الباهر 301: أول جمعة من المحرم.

أمَرَ صَلَاحُ الدِّينِ الخُطَبَاءَ بِمِصْرَ وَالقَاهِرَةِ بِقَطْعِ خُطْبَةِ العَاضِدِ والخُطْبَةِ لِلمُسْتَضِيءِ، فَتَرَاسَلُوا فِي ذَلِكَ ثَانِيَ جُمُعَةٍ مِنَ المُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِ مائة[1].

وَكَانَ المسْتَضِيءُ قَد وَلِيَ الخِلَافَةَ بَعْدَ أبيهِ المُسْتَنْجِدِ في رَبِيعٍ [الآخِرِ][2] / مِنَ السَّنَة[3]. [243 أ]

وَلَمَّا خُطِبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ مِصْرَ، كَانَ العَاضِدُ مَرِيضاً فَلَم يُشْعِرُوهُ بِذَلِكَ، وتُوفِّي يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنَ السَّنَة، فَجَلَسَ صَلاحُ الدِّينِ لِلعَزَاءِ، وَاسْتَوْلَى عَلَى قَصْرِه، وَوَكَّلَ بِهِ بَهَاءَ الدِّينِ قَرَاقُوش، وَكَانَ فِيه مِنَ الذَّخَائِرِ مَا يَعِزُّ وُجُودُه، مِثْلَ: حَبْلِ اليَاقُوتِ الَّذِي وَزْنُ كُلِّ حَصَاةٍ مِنه سَبْعَةَ عَشَرَ مِثْقَالاً، وَنِصَابُ [الزُّمُرُّدِ][أ] الَّذِي طُولُه أَرْبَعَةُ أَصَابِعَ فِي عَرْضِ العِقْدِ[ب]، وَمِثْلَ: طَبْلِ القَوْلَنْجِ الَّذِي يَضْرِطُ[ج] ضَارِبُه يُعَافِي بِذَلِكَ مِنْ دَاءِ القَوْلَنْج، وَكَسَرُوهُ لَمَّا وَجَدُوا ذَلِكَ مِنه، فَلَمَّا ذُكِرَتْ لَهُم مَنْفَعَتُه نَدِمُوا عَلَيه، وَوَجَدُوا مِنَ الكُتُبِ النَّفِيسَةِ المعْدُومَةِ مَا لا يُعَدُّ[4].

ونَقَلَ أَهْلَ العَاضِدِ إِلَى بَعضِ حُجَرِ القَصْرِ، وَوَكَّلَ بِهِم، وأَخْرَجَ الإِمَاءَ والعَبِيدَ وَقَسَّمَهم بَيْنَ البَيْعِ وَالعِتْقِ وَالهِبَة.

(أ) في ظ: الزمد، والتصويب من س. (ب) في س: عقد. (ج) في س: يَضْرُط.

(1) الكامل 11: 369، التاريخ الباهر 301، الروضتين 2: 190 – 191.
(2) من الكامل 11: 360، التاريخ الباهر 294.
(3) الكامل 11: 360، التاريخ الباهر 294: سنة 566 هـ.
(4) الكامل 11: 370، وعن خزانة الكتب بالقصر الفاطمى ينظر المواعظ والاعتبار، المجلد الثانى 355.

وكَانَ العَاضِدُ لَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُه اسْتَدْعَاه فَلَمْ يُجِبْ دَاعِيَه، وَظَنَّهَا خَدِيعَةً، فلَمَّا تُوفِّي نَدِمَ، وَكَانَ يَصِفُه بالكَرَمِ ولِينِ الجَانِبِ وغَلَبَةِ الخَيْرِ عَلَى طَبْعِه وَالإنْقِيَادِ[1].

ولَمَّا وَصَلَ الخَبَرُ إِلَى بَغْدَادَ بالخُطْبَةِ للمُسْتَضِيءِ بمِصْرَ، ضُرِبَتِ البشَائِرُ، وزُيِّنَتْ بَغْدَادُ أياماً، وبُعِثَتِ الخِلَعُ لِنُورِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الدِّينِ مَعَ صَنْدَلٍ الخَادِمِ مِنْ خَوَاصِّ المُقْتَفِي[2]، فَوَصَلَ إِلَى نُورِ الدِّينِ، وَبَعَثَ بِخِلْعَةِ صَلَاحِ الدِّينِ، وخِلَعِ الخُطَبَاءِ بِمِصْرَ، وَالأَعْلَامِ السُّودِ[3].

الوَحْشَةُ بيْنَ صَلاحِ الدِّينِ ونُورِ الدِّينِ

قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ لَنَا ذِكْرُ هَذِه الوَحْشَةِ فِي أَخْبَارِ نُورِ الدِّينِ مُسْتَوْفَاةً[4]، وأَنَّ صَلاحَ الدِّينِ غَزَا بِلادَ الفِرِنْجِ سَنَة سَبْعٍ وسِتِّين[5]، وحَاصَرَ حِصْنَ الشُّوبَكِ عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنَ الكَرَكِ، حَتَّى اسْتَأْمَنُوا إِلَيْه، فَبَلَغَ ذَلِكَ نُورَ الدِّينِ، فَاعْتَزَمَ عَلَى غَزْوِ بلادِ الفِرِنْجِ مِن نَاحِيةٍ أُخْرى، فَارْتَابَ صَلاحُ الدِّينِ فِي أَمْرِه، وفِي لِقَاءِ نُورِ الدِّينِ وَإِظْهارِ طَاعَتِه، ومَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِن تَحَكُّمِه فِيه، فَأَسْرَعَ العَوْدَ إِلَى مِصْر، واعْتَذَرَ لِنُورِ الدِّينِ بِشَيءٍ بَلَغَهُ عَن / شِيعَةِ العَلَوِيِّين، فتغَيَّرَ له نُورُ الدِّينِ، وأَخَذَ فِي الاسْتِعْدَادِ [243 ب]

---

(1) الكامل 11: 370.

(2) المقتفي لأمر الله، أمير المؤمنين، أبو عبد الله محمد بن المستظهر، توفي سنة 555 هـ، وفيات الأعيان 6: 234.

(3) الكامل 11: 371، التاريخ الباهر 303

(4) ينظر ما سبق بالجزء التاسع.

(5) الكامل 11: 371: في صفر.

لعَزْله. وبَلَغَ ذَلِكَ صلاحَ الدِّينِ وأصْحابَه، فتفَاوضُوا في مُدافعَتِه، ونَهَاهم أبُوه نَجْمُ الدِّينِ أيُّوب، وأشَارَ بمُكَاتَبَتِه والتَّلَطُّفِ بهِ مَخافَةَ أنْ يَبْلُغَه غيرُ ذَلِكَ فيَقْوَى عَزمُه عَلَى العَمَلِ لَه. فَفَعَلَه[أ] صَلاحُ الدِّينِ فسَالَمَهُ نُورُ الدِّينِ، وعَادَت المُخَالَصَةُ بَيْنَهما كَما كَانَت[1].

وَاتَّفَقَا عَلَى اجْتِمَاعِهِمَا لِحِصَارِ الكَرَك، فَسَارَ صَلاحُ الدِّينِ لذَلِكَ سَنَةَ ثَمانٍ وَسِتِّينَ[2]، وَخَرَجَ نُورُ الدِّينِ مِنْ دِمَشْقَ بَعْدَ أن تَجَهَّزَ. فَلَمَّا انْتَهَى إلَى الرَّقِيمِ، عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنَ الكَرَكِ، وَبَلَغَ صَلاحَ الدِّينِ خَبَرُه، ارْتَابَ ثَانِيَةً، وَجَاءَه الخَبَرُ بمَرَضِ نَجْمِ الدِّينِ [أبِيه][ب] بِمِصْرَ فَكَرَّ رَاجِعاً، وَأرْسَلَ إلَى نُورِ الدِّينِ الفَقِيهَ عِيسَى الهَكَّارِيّ بِمَا وَقَعَ مِنْ حَادِثِ المَرَضِ بِأبِيه، وَأنَّه رَجَعَ مِنْ أجْلِه. فَأظْهَرَ نُورُ الدِّينِ القَبُولَ، وَعَادَ إلَى دِمَشْق[3].

وفاةُ نَجْمِ الدِّينِ أيوب

كَانَ نَجْمُ الدِّينِ أيُّوب، بَعْدَ انْصِرافِ ابْنِه صَلاحِ الدِّينِ إلَى مِصْرَ، أقَامَ بِدِمَشْقَ عِنْدَ نُورِ الدِّينِ، ثُمَّ بَعَثَ عَنْه ابْنُه صَلاحُ الدِّينِ، عِنْدَمَا اسْتَوْسَقَ لَه مُلْكُ مِصْرَ، فَجَهَّزَه نُورُ الدِّينِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ في عَسْكَرٍ، وَسَارَ لِحِصَارِ الكَرَكِ لِيُشْغِلَ

(أ) في س: ففعل ذلك. (ب) في ظ: أبوه، والتصويب من س.

(1) الكامل 11: 372 - 373، التاريخ الباهر 304 – 305، النوادر السلطانية 45.

(2) في شوال. الكامل 11: 392.

(3) المصدر نفسه 11: 393.

الفَرِيْجُ عَنْ اعتِرَاضِه كَما مَرَّ ذِكْرُه، وَوَصَلَ إلَى مِصْرَ، وَخَرَجَ العَاضِدُ لتَلقِّيه، وَأَقَامَ [مُكَرَّماً][أ]، ثُمَّ سَارَ صَلاحُ الدِّينِ إلَى الكَرَكِ، سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّين، المَرَّةَ الثَّانِيَةَ في مُوَاعَدَةِ •نُورِ الدِّينِ، وَأَقَامَ•[ب] نَجْمُ الدِّينِ بِمِصْر، وَرَكِبَ يَوماً في مَوْكِبِهِ، وَسَارَ ظَاهِرَ البَلَدِ، وَالفَرَسُ في غُلَوَاءِ [مِزَاجِه][ج] وَمُلاعَبَةِ ظِلِّه فَسَقَطَ عَنه، وَحُمِلَ وَقِيذاً[1] إلَى بَيْتِه، فَهَلَكَ لأيَّامٍ مِنْها آخِرَ[2] ذِي الحِجَّةِ مِنَ السَّنَة[3].

وَكَانَ خَيِّراً جَواداً مُحْسِناً للعُلَماءِ والفُقَراءِ، وقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَوَّلِيَّتِه.

اسْتِيلاءُ قَرَاقُوشَ عَلَى طَرَابُلُسِ المَغْرِب

كَانَ قَرَاقُوشُ[4] مِنْ مَوَالِي تَقِيِّ الدِّينِ عُمَرَ بنِ [شَاهِنْشَاه][د] بنِ نَجْمِ الدِّينِ [248أ] أَيُّوب، وَهُو ابنُ / أَخِي صَلاحِ الدِّينِ، فَغَاضَبَ مَوْلاه في بَعْضِ النَّزَعَاتِ، وَذَهَبَ مُغَاضِباً إلَى المَغْرِبِ[5]، وَلَحِقَ بجِبَالِ نَفُوسَة، مِنْ نَواحِي طَرَابُلُسِ المَغْرِبِ، وَأَقَامَ هُنَاكَ[هـ] دَعْوَةَ مَوَالِيه، وَكَانَ في بَسَائِطِ تِلْكَ الجِبَالِ مَسْعُودُ بنُ زِمَام، المَعْرُوف

(أ) من س. في ظ: مكروماً. (ب) سقط ما بين النجمين من س. (ج) من س. في ظ: مراحله. (د) من س. ظ: شاه. (هـ) في س: هنالك.

---

(1) الوقيذ: الشديد المرض المشرف على الموت، تاج العروس.

(2) في السابع والعشرين: في الكامل 11: 393، وينظر الروضتين 2: 248.

(3) وفيات الأعيان 1: 255 – 261، وينظر الكامل 11: 392 – 394، النوادر السلطانية 45 – 46.

(4) هو شرف الدين قراقوش الأرمني التقوى المظفرى: وهو غير بهاء الدين قراقوش الأسدى، وفيات الأعيان 4: 91.

(5) كانت بداية خروج قراقوش إلى المغرب سنة 568 هـ: الكامل 11: 389.

بالبُلُطِ[1]، في أَحْيَائِه [مِن][ا] رِيَاحٍ مِنْ عَرَبِ هِلَالِ بن عَامِر، كَانَ مُنْحَرِفاً عَنْ طَاعَةِ [ابنِ][2] عَبْدِ المؤْمِن شَيْخِ المَوَحِّدِين، وخَلِيفَةِ المَهْدِيِّ فِيهِم، فَانْتَبَذَ مَسْعُودٌ بِقَوْمِه عَنِ المَغْرِبِ وإِفْرِيقِيَّةَ إِلَى تِلْكَ القَاصِيَةِ، فَدَعَاه قَرَاقُوش إِلَى إِظْهَارِ دَعْوَةِ بَنِي أَيُّوب، فَأَجَابَه وَنَزَلَ مَعَه بِأَحْيَائِه إِلَى[ب] طَرَابُلُس، فَحَاصَرَها قَرَاقُوش وافْتَتَحَهَا، وَأَنْزَلَ أَهْلَهُ وَعِيَالَه فِي[ج] قَصْرِهَا.

ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَى قَابِسَ[3] مِنْ وَرَائِهَا، وَعَلَى تَوْزَرَ وَنَفْطَةَ وبِلَادِ نَفْزَاوَةَ مِنْ أَرْضِ الجَرِيدِ بِإِفْرِيقِيَّة، وَجَمَعَ أَمْوَالاً جَمَّة، وَجَعَلَ [ذَخِيرَتَه][د] بِمَدِينَةِ قَابِس، وخُرِّبَتْ تِلْكَ البِلَادُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ [بِاسْتِيلَاءِ][هـ] العَرَبِ عَلَيْها، وَلَمْ يَكُن لَه قُدْرَةٌ عَلَى مَنْعِهِم.

ثُمَّ طَمِعَ فِي الاسْتِيلَاءِ عَلَى جَمِيعِ إِفْرِيقِيَّة، وَوَصَلَ يَدَه بِيَدِ يَحْيَى بنِ غَانِيَةَ المَسُوفِيِّ، الثَّائِرِ بِتِلْكَ النَّاحِيَة بِدَعْوَةِ لَمْتُونَة، ومِنْ بَقِيَّةِ الأُمَرَاءِ فِي دَوْلَتِهِم، فَكَانَتْ لَهُمَا بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ آثَارٌ مَذْكُورَةٌ فِي أَخْبَارِ دَوْلَةِ المُوَحِّدِين، إِلَى أَنْ غَلَبَهُ ابنُ غَانِيَة عَلَى مَا مَلَكَ مِنْ تِلْكَ البِلَادِ، وَقَتَلَه، كَمَا هُو مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِهِم.

(ا) ظ: في. (ب) في س: على. (ج) في س: بها. (د) في ظ: ذخيرة. (هـ) في ظ: بالاستيلاء.

(1) في الكامل 11: 389: البلاط.

(2) من نهاية الأرب 28: 371، وهو يوسف بن عبد المؤمن، توفي سنة 580 هـ، ويراجع وفيات الأعيان 7: 130، وورد: خارجاً عن طاعة عبد المؤمن وأولاده: في الكامل 11: 389.

(3) سنة 579 هـ: في مضمار الحقائق 164.

اسْتِيلاءُ شَمْسِ الدَّوْلَةِ تُورَانْ شَاه بن أَيُّوب عَلَى بِلادِ النُّوبَةِ، ثُمَّ عَلَى بِلادِ اليَمَن

كَانَ صَلاحُ الدِّينِ وَقَوْمُه - عَلَى كَثْرَةِ ارْتِيَابِهِم مِنْ نُورِ الدِّينِ، وَظَنِّهِم بِهِ الظُّنُونَ - يُحَاوِلُونَ مِلْكَ القَاصِيَةِ عَنْ مِصْرَ لِيَمْتَنِعُوا بِهَا إِنْ طَرَقَهُم مِنْه حَادِثٌ، أَوْ عَزَمَ عَلَى المَسِيرِ إِلَيْهِم فِي مِصْرَ، وَتَوَجَّهَ عَزْمُهُم فِي ذَلِكَ إِلَى بِلادِ النُّوبَةِ أَوْ بِلادِ اليَمَنِ، وَتَجَهَّزَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ تُورَان شَاه بنُ أَيُّوب، وَهُوَ أَخُو صَلاحِ الدِّينِ الأَكْبَرُ، إِلَى [بِلَادِ][أ] النُّوبَةِ، وَسَارَ إِلَيْهَا فِي العَسَاكِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ[1]، وَحَاصَرَ قَلْعَةً مِنْ ثُغُورِهِم فَفَتَحَهَا وَاخْتَبَرَهَا فَلَمْ يَجِدْ بِهَا / [244 ب] خَرَجاً ولا فِي البِلادِ بِأَسْرِهَا جِبَايَةً، وَأَقْوَاتُهُمُ الذُّرَةُ، وَهُم فِي شَظَفٍ مِنَ العَيْشِ وَمُعَانَاةٍ لِلفِتَنِ، فَاقْتَصَرَ عَلَى مَا فَتَحَ[ب] مِن ثُغُورِهِم[ج]، وَعَادَ بِغَنِيمَةِ العِبِدَّى[2] وَالجَوَارِي.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مِصْرَ أَقَامَ بِهَا قَلِيلاً، وَبَعَثَه صَلاحُ الدِّينِ إِلَى اليَمَنِ، وَقَدْ كَانَ غَلَبَ عَلَيْه عَلِيّ بن مَهْدِي الخَارِجِي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِين، وَصَارَ أَمْرُه إِلَى ابْنِه عَبْد النَّبِي، وَكُرْسِيّ مُلْكِه بِزَبِيد[3] مِنْهَا، وفِي عَدَنْ يَاسِر بن بِلَال بَقِيَّة مُلُوك بَنِي الزُّرَيْع.

(أ) في ظ: بلد. (ب) في س: ما فتحه. (ج) في س: ثغرهم.

(1) في جمادى الأولى: الكامل 11: 386.

(2) عِبِدَّى: بالكسر وتشديد الدال، جمعٌ عزيزٌ لكلمة عَبْد. مختار الصحاح.

(3) الكامل 11: 396.

وَكَانَ عُمَارَةُ اليَمَنِيُّ، شَاعِرُ العُبَيْدِيِّين وَصَاحِبُ بَنِي رُزِّيكَ، مِن أُمَرَائِهِم، وكَانَ أَصْلُه مِنَ اليَمَن، وَصَارَ فِي خِدْمَةِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ اسْتِيلائِه عَلَى مِصْرَ، ومِنْ جُمْلَةِ حَاشِيَتِه، فكَانَ كَثِيراً مَا يُرَغِّبُهُ في اليَمَن وَيُغْرِيه بِها، فَسَارَ إِليها شَمْسُ الدَّوْلَة بَعْدَ أَن تَجَهَّزَ، وأَزَاحَ العِلَل، وَاسْتَعَدَّ للمَلَإِ وَالقِتَالِ، وَسَارَ مِن مِصْرَ مُنْتَصَفَ تِسْعٍ وَسِتِّين[1]، وَمَرَّ بِمَكَّةَ وَانتَهَى إِلَى زَبِيد، وبِها مَلِكُ اليَمَن عَبْدُ النَّبِي ابنُ عَلِيِّ بنِ مَهْدِي، فبَرَزَ إِلَيْه وَقَاتَلَه، فَانْهَزَمَ وَانْحَجَرَ بالبَلَدِ، وَزَحَفَتْ عَسَاكِرُ شَمسِ الدَّوْلَة فَتَسَنَّمُوا أَسْوارَهَا وَمَلَكُوهَا عَنْوَةً وَاسْتَبَاحُوهَا، وَأَسَرُوا عَبْدَ النَّبي وزَوْجَتَه، وَوَلَّى شَمسُ الدَّوْلَةِ عَلَى زَبِيدَ مُبَارَكَ بنَ كَامِلِ بنِ مُنقِذ، مِن أُمَرَاءِ شَيْزَر، كَانَ فِي حَمْلَتِه، وَدَفَعَ إِلَيْه عَبْدَ النَّبي لِيَسْتَخْلِصَ مِنه الأَمْوَالَ، فَاسْتَخْرَجَ مِن قَبْرِ أَبِيه دَفَائِنَ كَانَتْ فِيها أَموالٌ جَلِيلَة، وَدَلَّتْهم زَوْجَتُه الحُرَّةُ عَلَى وَدَائِعَ اسْتَوْلَوْا مِنها عَلَى أَمْوالٍ جَمَّة، وَأُقِيمَتِ الخُطْبَةُ العَبَّاسِيَّةُ بزَبِيد[2].

وَسَارَ شَمسُ الدَّوْلَةِ تُورَان شَاه إِلَى عَدَنَ وبِها يَاسِرُ بنُ بِلال، كَانَ أَبُوه بِلالُ ابنُ جَرِيرٍ مُسْتَبِدّاً فِيها عَلَى مَوَالِيه بَنِي الزُّرَيْع، ووَرِثَها عَنْهُ ابنُهُ يَاسِرٌ، فَسَارَ يَاسِرٌ لِلِقَائه، فَهَزَمَهُ شَمسُ الدَّوْلَة، وَسَابَقَتْه عَسَاكِرُه إِلَى البَلَدِ فَمَلَكُوهَا، وَجَاءُوا بِيَاسِرٍ أَسِيراً إِلَى شَمسِ الدَّوْلَة، فَدَخَلَ عَدَنَ وَعَبْدُ النَّبِيِّ مَعَهُ فِي الاعتِقَال، وَاسْتَوْلَى عَلَى نَوَاحِيها، وَعَادَ إِلَى زَبِيد، ثُمَّ سَارَ إِلَى حُصُونِ الجِبَالِ فَمَلَكَ [تَعِزّ][أ]، وهِيَ مِنْ

[أ] من س، وفي ظ: ثغر.

(1) الكامل 11: 396: مستهل رجب، وفي النوادر السلطانية 46: في أثناء رجب.
(2) الكامل 11: 397، وينظر الروضتين 2: 271 وما بعدها.

[245 أ] [أحصن](أ) القِلاع، وحِصْنَ التَّعْكُر(1) والجَنَد(2) وغيرَها / مِنَ المَعَاقِلِ والحُصُون، وَوَلِيَ عَلَى عَدَنَ عِزُّ الدَّوْلَة(3) عُثْمَانُ بنُ الزَّنْجِيلِيّ(4).

وَاتَّخَذَ زَبِيدَ كُرْسِيًّا لمُلْكِه، ثُم اسْتَوْخَمَها، وَسَارَ فِي الجِبَالِ وَمَعَهُ الأَطِبَّاءُ يَتَخَيَّرُ مَكَانًا صَحِيحَ الهَوَاءِ للسُّكْنَى، فَوَقَعَ اخْتِيَارُهم عَلَى تَعِزّ، فَاخْتَطَّ هُنَالِكَ مَدِينَةً وَاتَّخَذَهَا كُرْسِيًّا لِمُلْكِه، وبَقِيَتْ لِبَنِيه وَمَوَالِيهِم بَنِي رَسُول، كَمَا نَذْكُرُ فِي أَخْبَارِهِم.

واقِعَةُ عُمَارَةَ ومَقْتَلِه

كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ شِيعَةِ العَلَوِيَّةِ بِمِصْرَ، مِنْهم: عُمَارَةُ بنُ أَبِي الحَسَنِ اليَمَنِيُّ الشَّاعِر، وَعَبْدُ الصَّمَدِ الكَاتِب، والقَاضِي العوريس(5)، وابنُ كَامِل، ودَاعِي الدُّعَاة، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الجُنْد، وَحَاشِيَةُ القَصْر، اتَّفَقُوا عَلَى اسْتِدْعَاءِ الفِرِنْج مِن صِقِلِّيَةَ وسَوَاحِلِ الشَّام، وَبَذَلُوا لَهُمُ الأَمْوَالَ عَلَى أَنْ يَقْصِدُوا مِصْرَ، فَإِنْ خَرَجَ صَلاحُ الدِّينِ للقائهم بعساكِرِه ثَارَ هَؤُلاءِ بالقَاهِرَةِ ومِصْرَ، وَأَعَادُوا دَوْلَةَ العَلَوِيَّة، وَإِلَّا فَلا بُدَّ لَه إِنْ أَقَامَ مِنْ بَعْثِ العَسَاكِرِ لمُدَافَعَةِ الفِرِنْج، فَيَنْفَرِدُوا بِه وَيَقْبِضُوا عَلَيْه.

(أ) في ظ: أحسن، والتصويب من س.

---

(1) قلعة مطلة على الجبل المطل على جبلة وهي سفحه، معجم البلدان 2: 34.

(2) الجند: بالتحريك، من المدن النجدية باليمن، المصدر نفسه 2: 169.

(3) في الكامل 11: 398: عز الدين.

(4) المصدر نفسه 11: 398.

(5) في متن الكامل 11: 398: العُوَيْرِس، وفي إحدى نسخه: العوريس.

وَوَاطَأهم عَلَى ذَلِكَ جَمَاعةٌ مِنْ أُمَرَاءِ صَلاحِ الدِّينِ، وَتَحَيَّنُوا لِذَلِكَ غَيْبَةَ أخِيهِ تُورَان شَاهِ باليَمنِ، وَوَثِقُوا بأنْفسِهم وَصَدَّقُوا تَوَهُّمَاتِهم، وَرَتَّبُوا وَظَائِفَ الدَّوْلَةِ وَخِطَطَها، وتَنَازَعَ في الوِزَارَةِ بَنُو رُزِّيكَ وَبَنُو شَاور[1].

وكَانَ عَلِيُّ بنُ نَجا الوَاعِظُ مِمَّن دَاخَلَهم فِي ذَلِكَ، فَأطْلَعَ صَلاحَ الدِّينِ عَلَى ذَلِكَ، فَأمَرَه بِمُلازَمَتِهم حَتَّى تَنْتَهِيَ جَلِيَّةُ الحَالِ فِيهم، وَوَصَلَ رَسُولُ مَلِكِ الفِرنْجِ مِنَ السَّاحِلِ إِلَى صَلاحِ الدِّينِ، وهُوَ فِي البَاطِنِ إِلَيهم[2]، وَنُمِيَ الخَبَرُ إِلَى صَلاحِ الدِّينِ مِنْ عُيُونِه بِبِلادِ الفِرنْجِ، فَوَضَعَ عَلَى الرَّسُولِ عِنْدَه عُيُونًا جَاءوهُ بجَلِيَّةِ خَبَرِه، فقَبَضَ حِينَئِذٍ عَلَيهم[3].

وَقِيلَ: إِنَّ عَلِيَّ بنَ نَجا أنْهَى خَبَرَهم إِلَى القَاضِي الفَاضِلِ فَأوصَلَه إِلَى صَلاحِ الدِّينِ، وَلَمَّا قَبَضَ عَلَيهم صَلاحُ الدِّينِ أمَرَ بصَلْبِهم، وَمَرَّ عُمَارَةُ بِبَيْتِ القَاضِي الفَاضِلِ وَطَلَبَ لقَاءَه، فلَمْ يُسْعِفْه، فَأنْشَدَ البَيْتَ المشْهُورَ لهُ [من مجزوء الكامل]:

عَبْدُ الرَّحِيمِ قَدِ احْتَجَبْ إِنَّ الخَلاصَ هُوَ العَجَبْ[4]

/ ثُمَّ صُلِبُوا جَمِيعاً، ونُودِيَ فِي شِيعَةِ العَلَوِيَّةِ بالخُرُوجِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ إِلَى [245ب]
الصَّعِيدِ، وَاحْتِيطَ عَلَى سُلالَةِ العَاضِدِ بالقَصْرِ، وجَاءَ الفِرنْجُ بعْدَ ذَلِكَ مِن صِقِلِّيَةَ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيةِ(ا)، كَمَا يَأتِي خَبَرُه.

(ا) في الأصول: سكندرية.

---

(1) الكامل 11: 399.

(2) المصدر نفسه 11: 399.

(3) المصدر نفسه 11: 400.

(4) في نهاية الأرب 28:368: من العجب، وينظر الروضتين 2: 294.

وُصُولُ الفِرِنْجِ مِن صِقِلِّيَةَ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ

لَمَّا وَصَلَتْ رُسُلُ هَؤُلاءِ الشِّيعَةِ إِلَى الفِرِنْجِ بِصِقِلِّيَةَ تَجَهَّزُوا، وَبَعَثُوا مَرَاكِبَهم مِائَتَي أُسْطُولٍ[1] لِلْمُقَاتِلَةِ، فِيها: خَمْسُون أَلْفَ رَاجِلٍ[2]، وأَلْفَانِ[3] وَخَمْسُ مِائَةِ فَارِسٍ، وَسِتَّةٌ وَثَلاثُونَ مَرْكَباً لِلخُيُولِ، وَسِتَّةُ مَرَاكِبَ لآلَةِ الحَرْبِ، وَأَرْبَعُونَ لِلأَزْوَادِ، وَالمُقَدَّمُ عَلَيهم ابنُ عَمِّ المَلِكِ صَاحِبِ صِقِلِّيَةَ، وَوَصَلُوا إِلَى سَاحِلِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ سَنَةَ سَبْعِينَ[4]، وَرَكِبَ أَهْلُ البَلَدِ الأَسْوَارَ، وَقَاتَلَهُمُ الفِرِنْجُ، وَنَصَبُوا الآلاتِ عَلَيْهِم.

وَطَارَ الخَبَرُ إِلَى صَلاحِ الدِّينِ بِمِصْرَ، وَوَصَلَتِ الأَمْدَادُ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ نَوَاحِيهَا، وَخَرَجُوا فِي اليَومِ الثَّالِثِ فَقَاتَلُوا الفِرِنْجَ، فَظَهَرُوا عَلَيهم، ثُمَّ جَاءَهُمُ البَشِيرُ آخِرَ النَّهارِ بِمَجِيءِ صَلاحِ الدِّينِ، فَاهْتَاجُوا لِلحَرْبِ وَخَرَجُوا عِنْدَ اخْتِلَاطِ الظَّلامِ، فَكَبَسُوا الفِرِنْجَ فِي خِيَامِهِم بِالسَّاحِلِ، وَتَبَادَرُوا إِلَى رُكُوبِ البَحْرِ، فَتَقَسَّمُوا بَيْنَ القَتْلِ وَالغَرَقِ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الأَقَلُّ، وَاعْتَصَمَ مِنهم نَحْوٌ مِنْ ثَلاثِ مِائَةٍ بِرَأْسِ رَابِيَةٍ هُنَالِكَ إِلَى أَنْ [أَصْبَحُوا][أ]، فَقُتِلَ بَعْضُهم، وَأُسِرَ البَاقُون، وَأَقْلَعُوا بِأَسَاطِيلِهِم رَاجِعِين[5].

(أ) من س، وفي ظ: أصبح.

---

(1) في النوادر السلطانية 48: في ست مائة قطعة.

(2) وكانوا في ثلاثين ألفاً. المصدر نفسه 49، وينظر الروضتين 2: 334.

(3) في الكامل 11: 412، مفرج الكروب 2: 13: وألف.

(4) في الكامل 11: 412: في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين، في مفرج الكروب 2: 11: لأربع بقين من ذي الحجة، وينظر الروضتين 2: 334.

(5) الكامل 11: 414، وينظر مفرج الكروب 2: 15 – 16.

وَاقِعَةُ الكَنْزِ بالصَّعِيد

كَانَ أميرُ العَربِ بنَوَاحِي أُسْوَان يُلقَّب كنزُ الدَّوْلَة[1]، وَكَانَ شِيعَةً للعَلَويَّة بمِصْرَ، وَطَالَتْ أيَّامُه واشْتَهَرَ. وَلَمَّا مَلَكَ صَلاحُ الدِّينِ مِصْرَ قَسَّمَ الصَّعِيدَ إقْطاعًا بَيْنَ أمَرَائِه، وَكَانَ أخُو أبي الهَيْجَاءِ السَّمِين مِنْ أمَرَائِه، وإقْطَاعُه في نَواحِيهم، فعَصَى كَنْزُ الدَّوْلَةِ سَنَةَ سَبْعِين، وَاجْتَمَعَ إلَيْه العَرَبُ وَالسُّودَان، وَهَجَمَ عَلَى أخِي أبي الهَيْجَاء السَّمِينِ فِي إقْطَاعِهِ فقَتَلَه، وَكَانَ أبُو الهَيْجَاء مِنْ أكْبَرِ الأُمَرَاء، فَبَعَثَهُ صَلاحُ الدِّينِ لِقِتَالِ الكَنْزِ[2]، وَبَعَثَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ، / وَأكْثَفَ[ا] لَهُ الجُنْد، فَسَارُوا إِلَى [246 ا] أُسْوَان، وَمَرُّوا بِطَوْدَ[3] فَحَاصَرُوا بِهَا جَمَاعَةً مِنْ أصْحَابِ الكَنْزِ، وَظَفِرُوا بِهِم فَاسْتَلْحَمُوهم، ثُمَّ سَارُوا إِلَى الكَنْزِ وَقَاتَلُوهُ[ب] وَهَزَمُوه، وَقُتِلَ وَاسْتُلْحِمَ جَمِيعُ أصْحَابِه، وَأمِنَتْ بِلادُ أُسْوَان [وَالصَّعِيدُ][ج][4].

اسْتِيلاءُ صَلاحِ الدِّينِ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّامِ بَعْدَ وَفَاةِ العَادِلِ نُورِ الدِّينِ

كَانَ صَلاحُ الدِّينِ، كَمَا قَدَّمْنَاه، قَائِماً فِي مِصْرَ بِطَاعَةِ العَادِلِ نُورِالدِّينِ مَحْمُودِ

(ا) في س: وكثف. (ب) في س: فقاتلوه. (ج) من س.

(1) كنز الدولة: لقب منحه لأول مرة الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله لحاكم النوبة في عهده. البيان والإعراب 50.

(2) وقدم عليهم أخاه الملك العادل سيف الدين: في النوادر السلطانية 48، مفرج الكروب 2: 17.

(3) بليدة بصعيد مصر فيما بين قوص وأسوان، معجم البلدان 4: 47.

(4) الكامل 11: 414.

ابنِ زَنْكي، وَلَمّا تُوفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ[1]، وَنُصِّبَ ابنُهُ الصَّالِحُ إسْمَاعِيلُ بدِمَشْقَ فِي كَفَالَةِ شَمْس الدِّينِ مُحَمَّدِ بن عَبْدِ المَلِكِ المُقَدَّم، بَعَثَ إلَيْه صَلاحُ الدِّينِ بِطَاعَتِه، وَنَقَمَ عَلَيْهِم أنَّهم لَمْ يَرُدُّوا الأُمُورَ إلَيْه. وَسَارَ غَازِي، صَاحِبُ المَوْصِلِ، ابنُ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودِ بنِ زَنْكي، إلَى بلادِ نُورِ الدِّينِ التي كَانَت لَهُ بالجزِيرَة، وهِيَ: نَصِيبِينُ، وَالخَابُورُ، وَحَرَّانُ، وَالرُّهَا، وَالرَّقَّةُ، فَمَلَكَهَا، وَنَقَمَ عَلَيهم صَلاحُ الدِّينِ أنَّهم لَمْ يُخْبِرُوه حَتَّى يُدَافِعَه عَنْ بِلادِهِم[2].

وَكَانَ الخَادِمُ سَعْدُ الدِّينِ كُمُشْتِكِينُ، الَّذِي وَلاَّهُ نُورُ الدِّينِ قَلْعَةَ المَوْصِل، وَأَمَرَ سَيْفَ الدِّينِ غَازِي بمُطَالَعَتِه بأُمُورِه، قَدْ لَحِقَ - عِنْدَ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ - بِحَلَبَ، وأَقَامَ[أ] بِها عِنْدَ شَمسِ الدِّينِ عَلِيِّ بنِ الدَّايَة، المسْتَبِدِّ بِها بَعْدَ نُورِ الدِّينِ، فَبَعَثَهُ [ابنُ الدَّايَةِ][ب] إلَى دِمَشْقَ فِي عَسْكَرٍ لِيَجِيءَ بالمَلِكِ الصَّالِح إلَى حَلَبَ لِمُدَافَعَةِ سَيْفِ الدِّينِ غَازِي، فَنَكِرُوهُ أَوَّلًا وَطَرَدُوه، ثُمَّ رَجَعُوا إلَى هَذَا الرَّأي، وَبَعَثُوا عَنْهُ فَسَارَ مَعَ [المَلِكِ][ج] الصَّالِح إلَى حَلَب، وَلِحِينِ دُخُولِه قَبَضَ عَلَى ابنِ الدَّايَة وَعَلَى مُقَدَّمِ[د] حَلَبَ[3]، وَاسْتَبَدَّ بِكَفَالَةِ الصَّالِح، وَخَافَهُ الأُمَرَاءُ بِدِمَشْق، وَبَعَثُوا إلَى سَيْفِ الدِّينِ غَازِي أَن يُمَلِّكُوه، فَظَنَّها مَكِيدَةً مِنَ ابنِ عَمِّه، وَامْتَنَعَ عَلَيهم وَصَالَحَ ابنَ عَمِّهِ عَلَى مَا أَخَذَ مِنَ البلادِ[4].

(أ) مكررة في س. (ب) من س، وفي ظ: نور الدين. (ج) من س. (د) في س: مقدمي.

---

(1) الكامل 11: 402، التاريخ الباهر 308، وفيات الأعيان 5: 187: حادي عشر شوال.

(2) الكامل 11: 405، 407، التاريخ الباهر 310.

(3) رئيس حلب ومقدم الأحداث فيها: الكامل 11: 415.

(4) المصدر نفسه 11: 415.

فَبَعَثَ أُمَرَاءُ دِمَشْقَ إِلَى صَلاحِ الدِّينِ، وَتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ ابنُ المُقَدَّمِ، [فَبَادَرَ][(أ)] إِلَى الشَّامِ وَمَلَكَ بُصْرَى، ثُمَّ سَارَ إِلَى دِمَشْقَ فَدَخَلَهَا فِي سَلْخِ رَبِيعٍ [الأَوَّلِ سَنَةَ][(1)] سَبْعِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ، وَنَزَلَ دَارَ أَبِيهِ المَعْرُوفَةِ بالعَقِيقِي، وَبَعَثَ القَاضِيَ كَمَالَ الدِّينِ ابنَ الشَّهْرَزُورِي / إِلَى رَيْحَان، الخَادِمِ بالقَلْعَةِ، بِأَنَّهُ عَلَى طَاعَةِ المَلِكِ [246 ب] الصَّالِحِ وَفِي خِدْمَتِهِ، وَمَا [جَاءَ][(ب)] إِلاَّ لِنَصْرِهِ، فَسَلَّمَ لَهُ القَلْعَةَ وَمَلَكَهَا، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى دِمَشْقَ أَخَاهُ سَيْفَ الإِسْلَامِ [طُغْتِكِين][(2)].

وَسَارَ إِلَى حِمْصَ[(3)]، وبِهَا وَالٍ مِنْ قِبَلِ الأَمِيرِ مَسْعُودِ الزَّعْفَرَانِيّ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْمَالِهِ فَقَاتَلَهَا وَمَلَكَهَا، وَجَمَّرَ عَسْكَراً لِحِصَارِ قَلْعَتِهَا.

وَسَارَ إِلَى حَمَاةَ[(4)] مُظْهِراً طَاعَةَ المَلِكِ الصَّالِحِ، وَارْتِجَاعَ مَا أُخِذَ مِنْ بِلَادِهِ بالجَزِيرَةِ، وَبَعَثَ بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ قَلْعَتِهَا جُوزدِيك فَاسْتَحْلَفَهُ، وَسَارَ إِلَى المَلِكِ الصَّالِحِ لِيَجْمَعَ الكَلِمَةَ، وَيُطْلِقَ أَوْلَادَ الدَّايَةِ، وَاسْتَخْلَفَ [جُوزدِيك][(5)] بِقَلْعَةِ حَمَاةَ أَخَاهُ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَلَبَ حَبَسَهُ كُمُشْتِكِينُ الخَادِمُ، وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلَى أَخِيهِ بِقَلْعَةِ حَمَاةَ، فَسَلَّمَهَا لِصَلاحِ الدِّينِ[(6)].

(أ) من س، وفي ظ: فبادروا. (ب) من س.

(1) من الكامل 11: 415، الروضتين 2: 339، وورد: ربيع الآخر: في النوادر السلطانية 50.
(2) في الأصول: طغركين، في الكامل 11: 417: طغدكين، في نهاية الأرب 28: 375: طغرتكين. والتصويب من وفيات الأعيان 2: 525، وينظر مُفرج الكروب 2: 19 – 20.
(3) في الكامل 11: 417، النوادر السلطانية 50، مُفرج الكروب 2: 22: مستهل جمادى الأولى 570 هـ.
(4) الكامل 11: 418، مفرج الكروب 2: 22: وصل إلى حماة مستهل جمادى الآخرة.
(5) من الكامل 11: 418.
(6) الكامل 11: 418، مفرج الكروب 2: 23.

وَسَارَ [صَلَاحُ الدِّينِ][1] إِلَى حَلَب فَحَاصَرَهَا ثَالِثَ جُمَادَى الآخِرَة، وَاسْتَمَاتَ أَهْلُهَا فِي المُدَافَعَةِ عَنِ الصَّالِحِ، وَكَانَ بِحَلَبَ رِيمُنْد، صَاحِبُ طَرَابُلُس، مِنَ الفِرِنْجِ، مَحْبُوسًا مُنْذُ أَسَرَهُ نُورُ الدِّينِ عَلَى حَارِمٍ سَنَة تِسْعٍ وَخَمْسِين، فَأَطْلَقَه كُمُشْتِكِينُ عَلَى مَالٍ وَأَسْرَى[2]، وَلَحِقَ بِبَلَدِه، وَتُوفِّيَ مُرِّي المَلِكُ أَوَّلَ السَّنَةِ، وَخَلَّفَ ابْناً مَجْذُوماً، فَكَفَلَه رِيمُنْد، وَاسْتَوْلَى [عَلَى][3] مُلْكِهِم. فَلَمَّا حَاصَرَ صَلَاحُ الدِّينِ حَلَبَ بَعَثَ كُمُشْتِكِينُ إِلَى رِيمُنْدَ يَسْتَنْجِدُه، فَسَارَ إِلَى حِمْص وَنَازَلَهَا[4]، فَسَارَ إِلَيْه صَلَاحُ الدِّينِ، [وَتَرَكَ][5] حَلَب، وَسَمِعَ الفِرِنْجُ بِمَسِيرِه، فَرَحَلُوا عَنْ حِمْص، وَوَصَلَ هُو إِلَيْهَا عَاشِرَ رَجَبٍ فَحَاصَرَ[ا] قَلْعَتَهَا، وَمَلَكَهَا آخِرَ شَعْبَانَ[6] مِنَ السَّنَةِ[ب].

ثُمَّ سَارَ إِلَى بَعْلَبَكَّ، وَبِهَا يُمْنٌ، الخَادِمُ مِنْ أَيَّامِ نُورِ الدِّينِ، فَحَاصَرَه حَتَّى اسْتَأْمَنَ إِلَيْه، وَمَلَكَهَا رَابِعَ[ج] رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ.

وَصَارَ بِيَدِه مِنَ الشَّامِ: دِمَشْقُ، وَحَمَاةُ، وَحِمْصُ، وَبَعْلَبَكّ.

وَلَمَّا اسْتَوْلَى صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى هَذِه البِلَادِ مِنْ أَعْمَالِ المَلِكِ الصَّالِحِ[د]،

(ا) في س: لحاصر هو. (ب) وملكها: مكررة في ظ. (ج) في س: آخر. (د) سقط من س.

---

(1) من الكامل 11: 418.

(2) الكامل 11: 419: بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير.

(3) سقط من الأصول، والإضافة تتفق مع السياق.

(4) سابع رجب (570 هـ): الكامل 11: 419، مفرج الكروب 2: 29.

(5) في الأصول: وملك، والتصويب يتفق مع سير الأحداث.

(6) الكامل 11: 420: في الحادي والعشرين، وينظر الروضتين 2: 370.

كَتَبَ الصَّالِحُ إلَى ابنِ عَمّه سَيْفِ الدِّينِ غَازِي، صَاحِبِ المَوْصِل، يَسْتَنْجِدُه عَلَى صَلَاحِ الدِّينِ، فَأَنْجَدَه بِعَسَاكِرِه مَعَ أخِيه عِزّ الدِّينِ مَسْعُود، •وَصَاحِبِ جَيْشِه عِزّ الدِّينِ•(أ) [مَحْمُود](1) زلفنْدَار، وَسَارَتْ مَعَهم عَسَاكِرُ حَلَب، [وَسَارُوا](ب) جَمِيعاً لمحارَبَةِ صَلَاحِ الدِّينِ.

وَبَعَثَ صَلَاحُ الدِّينِ إلَى سَيْفِ الدِّينِ غَازِي أنْ يُسَلِّمَ لَهُم حِمْص وحَمَاة، ويَبْقَى / بدِمَشْق نَائباً عَنِ الصَّالِح، فَأَبَى إلّا رَدَّ جَمِيعِها، فَسَارَ صَلَاحُ الدِّينِ إلَى العَسَاكِرِ(ج) وَلَقِيَهم آخِرَ(2) رَمَضَانَ بنواحِي حَمَاة، فَهَزَمَهم وَغَنِمَ مَا مَعَهم، وَاتَّبَعَهم إلَى حَلَب وَحَاصَرَهَا، [وَقَطَعَ](د) خُطْبَةَ الصَّالِح، ثُمّ صَالَحُوه عَلَى مَا بِيَدِه مِنَ الشَّام، فَأَجَابَهم، وَرَحَلَ عَنْ حَلَبَ لِعَشْرٍ مِنْ شَوَّال، وَعَادَ إلَى حَمَاة(3). [247 آ]

وَكَانَ فَخْرُ الدِّينِ مَسْعُودُ بنُ الزَّعْفَرانيّ مِنَ الأُمَرَاءِ النُّورِيَة، وَكَانَت بَعْرِين(4) مِنْ أعْمَالِه مَعَ حِمْص وَحَمَاة وَسَلَمِيَّة وَتَلّ خَالِدٍ وَالرُّهَا، فَلَمّا مَلَكَ تِلْكَ أطَاعَه عَلَى هَذِه، وَاتَّصَلَ بِه، فَلَم يَرَ نَفْسَه عِنْدَه كَمَا ظَنَّ فَفَارَقَه، فَلَمّا عَادَ صَلَاحُ الدِّينِ مِنْ حِصَارِ حَلَبَ إلَى حَمَاة سَارَ إلَى بَعْرِين، وَاسْتَأْمَنَ إلَيْه وَالِيهَا فَمَلَكَهَا، وَعَادَ إلَى حَمَاة

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) من س، وفي ظ: وسار. (ج) في س: العسكر. (د) من س، وفي ظ: وقلع.

---

(1) من الكامل 11: 420، مفرج الكروب 2: 31.

(2) الكامل 11: 421، النوادر السلطانية: تاسع عشر.

(3) الكامل 11: 422، مفرج الكروب 2: 33.

(4) بارين، وتنطقها العامة: بعرين: بُليدةٌ بين حمص والساحل، معجم البلدان 1: 452.

فأقْطَعَها خالَه شِهَابَ [الدّينِ][أ] مَحْمُوداً، وَأقطَعَ حِمْصَ نَاصِرَ [الدّين][1] ابنَ عَمِّه شِيرَكُوه، وَأقْطَعَ بَعْلَبَكَّ شَمْسَ الدّينِ بنَ المقَدَّم، وَعَادَ إلَى دِمَشْق[2].

واقِعَةُ صَلاحِ الدّينِ مَعَ المَلِكِ الصَّالِحِ [و][ب] صَاحِب المَوْصِلِ وما مَلَكَ مِنَ الشَّامِ بَعْدَ انْهِزامِهِما

ثُمَّ سَارَ سَيْفُ الدّينِ غَازِي، صَاحِبُ المَوْصِل، فِي سَنَةِ إحْدَى وَسَبْعِينَ بَعْدَ هَزِيمَةِ أخِيه وَعَسَاكِرِه، وَاسْتَنْجَدَ صَاحِبَ كَيْفَا وصَاحِبَ مَارِدِين، وَسَارَ فِي سِتَّةِ آلافِ فَارِس، وَانْتَهى إلَى نَصِيبِينَ فِي رَبيعٍ [الأوّل][3] مِنَ السَّنَة، فَشَتَّى بِها حَتَّى ضَجِرَتِ العَسَاكِرُ مِنْ طُولِ المُقَام، وَسَارَ إلَى حَلَب، فَخَرَجَتْ إلَيْه عَسَاكِرُ المَلِكِ الصَّالِح مَعَ كُمُشْتِكِينَ الخَادِم، [وَسَارَ][ج] صَلاحُ الدّينِ مِنْ دِمَشْقَ لِلِقَائِهِم فلَقِيَهم بِتَلِّ السُّلْطَان فَهَزَمَهم وَاتَّبَعَهم إلَى حَلَب، وَعَبَرَ سَيْفُ الدّينِ الفُرَاتَ مُنْهَزِماً إلَى المَوْصِل، وَتَرَكَ أخَاه عِزَّ الدّينِ بِحَلَب، وَاسْتَوْلَى صَلاحُ الدّينِ عَلَى مُخَلَّفِهم، وَسَارَ إلَى بُزَاعَةَ[4] فَمَلَكَهَا[5] وَوَلَّى عَلَيْها، ثُمَّ إلَى مَنْبِج وَ[بِها][د] قُطْبُ الدّينِ يَنَالُ بنُ حَسَّانَ المَنْبِجِيُّ،

(أ) من س. (ب) من س. (ج) في ظ: وصار، والتصويب من س. (د) من س.

---

(1) في الأصول: الدولة، والتصويب من الكامل 11: 423، وينظر ما سبق في الجزء التاسع.

(2) الكامل 11: 421 - 422، النوادر السلطانية 50 - 51، كنز الدرر 7: 58 - 59.

(3) من الكامل 11: 427.

(4) بلدة من أعمال حلب، واقعة بينها وبين منبج، معجم البلدان 1: 403.

(5) في مفرج الكروب 2: 42، الروضتين 2: 405: لثمان بقين من شوال.

وَكَانَ خنِقاً عَلَيه لقُبحِ آثارِه فِي عَداوتِه، فضَيَّقَ حِصارَه، ونَقَبَ أسْوارَه، وَمَلَكَهَا عَلَيه عَنْوَةً، وَأَخذَه أسيراً، وَاسْتَبَاحَه، ثُمَّ أَطْلَقَه فَلَحِقَ بالمَوْصِل، وَوَلَّاه غَازِي مَدِينَةَ الرَّقَّة[1].

ثُمَّ سَارَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى قَلْعَةِ عَزَاز[2] فَحَاصَرَهَا / أَوَائِلَ ذِي القَعْدةِ[أ] مِنَ السَّنَةِ أَرْبَعِينَ يَوماً[3]، وَشَدَّ حِصَارَهَا فَاسْتَأْمَنُوا إِلَيْه، فَمَلَكَهَا ثَانِيَ الأَضْحَى مِنَ السَّنَة[4]. [247 ب]

وَوَثَبَ عَلَيْه فِي بَعْضِ أَيَّامِ حِصَارِها[5] بَاطِنِيٌّ مِنَ الفِدَاوِيَّةِ فَضَرَبَه، وَكَانَ مُتَسَلِّحاً، فَأَمْسَكَ[ب] يَدَ الفِدَاوِي حَتَّى قُتِلَ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً كَانُوا مَعَهُ لِذَلِكَ[6]، وَرَحَلَ صَلاحُ الدِّينِ، بَعْدَ الاسْتِيلَاءِ عَلَى قَلْعَةِ عَزَاز، إِلَى حَلَب، فَحَاصَرَها وَبِها المَلِكُ الصَّالِح، وَاعْصَوْصَبَ عَلَيْه أَهْلُ البَلَدِ وَاسْتَمَاتُوا فِي المُدَافَعَة عَنْه، ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ فِي الصُّلْحِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ صَاحِبِ المَوْصِل وَصَاحِبِ كَيْفَا وَصَاحِبِ مَارِدِين، فَانْعَقَدَ بَيْنَهم فِي المحرَّم[ج] سَنَةَ[د] اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِين[7]، وَعَادَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ أَنْ رَدَّ

(أ) في الأصول: ذي قعدة. (ب) مكررة في ظ. (ج) في س: محرم. (د) سقط من س.

(1) الكامل 11: 430، مفرج الكروب 2: 43، وينظر الروضتين 2: 405.
(2) في الكامل 11: 430، النوادر السلطانية 52: إعزاز، وعَزاز: بليدة شمالي حلب، معجم البلدان 4: 118.
(3) في الكامل 11: 430، مفرج الكروب 2: 45: ثمانية وثلاثين يوما.
(4) الروضتين 2: 407، وفي النوادر السلطانية: في رابع عشر ذي الحجة (571هـ).
(5) في الروضتين 2: 409: في حادي عشر ذي القعدة.
(6) ينظر مفرج الكروب 2: 44 – 45.
(7) في الأصول: وتسعين، والتصويب من الكامل 11: 431، ويتفق مع سير الأحداث.

قَلْعَةَ عَزازَ إلَى المَلِكِ الصَّالِحِ، فَوَسِيلَةُ، أُخْتُه الصَّغِيرةُ، خَرَجَتْ إِلَى صَلاحِ الدِّينِ زائِرةً، فاسْتَوْهَبَتْه قَلْعَةَ عَزازَ فوَهَبَها إيَّاها[1].

مَسِيرُ صَلاحِ الدِّينِ إلَى بِلادِ الإسْمَاعِيلِيَّةِ

وَلَمَّا رَحَلَ صَلاحُ الدِّينِ عَنْ حَلَب، وَقَدْ وقَعَ بِهِ مِنَ الإسْمَاعيلِيَّةِ عَلَى حِصْنِ عَزازَ مَا وَقَعَ، فَقَصَدَ بِلَادَهم فِي مُحَرَّمِ اثنتَيْنِ وسَبْعِينَ وَنَهبَها وَخَرَّبَها، وَحَاصَرَ قَلْعَةَ مِصْيَاب[2]، وَنَصَبَ عَلَيْها المجانِيقَ، وَبَعَثَ •أَبُو الحَسَنِ سِنَانُ بنُ [سُلَيْمانَ][3] ابنِ مُحَمَّدٍ•[ا]، مُقَدَّمُ الإسْمَاعِيلِيَّةِ بالشَّامِ، إلَى شِهَابِ الدِّينِ الحَارِمِيِّ، خَالِ صَلاحِ الدِّينِ، بحَمَاةَ، يسْأَلُه الشَّفَاعَةَ فِيهم، ويَتَوعَّدُه بالقَتْلِ، فَشَفَعَ فِيهم، وَأَرْحَلَ العَسَاكِرَ عَنْهم[4].

وَقَدِمَ عَلَيْه [أخُوه][ب] تُورَان شَاه مِنَ اليَمَنِ بَعْدَ فَتْحِهِ وإظْهَارِ دَعْوَتِهم فِيه، وَوَلَّى عَلَى مُدُنِه وَأَمْصَارِه، فَاسْتَخْلَفَه صَلاحُ الدِّينِ عَلَى دِمَشْق[5]، [وَسَارَ إلَى مِصْرَ[6] لِطُولِ عَهْدِهِ بِها][ج]. وَلَمَّا وصَلَ إلَيها أَمَرَ بإدَارَةِ سُورٍ عَلَى مِصْرَ والقَاهِرَة

(ا) سقط ما بين النجمين من س. (ب) في ظ: أخو، والتصويب من س. (ج) من س.

---

(1) الكامل 11: 431، وينظر الروضتين 2: 422.

(2) في الأصول: مصيات، والتصويب من الكامل 11: 436، معجم البلدان 5: 144، وقلعة مصياب: حصن مشهور للإسماعيلية بساحل الشام قرب طرابلس، والبعض يقول مصياف.

(3) سقمان: في ظ، والتصويب من وفيات الأعيان 5: 185.

(4) الكامل 11: 436.

(5) المصدر نفسه 11: 434.

(6) في النوادر السلطانية 52: في ربيع الأول، في مفرج الكروب 2: 52: لأربع بقين من ربيع الأول.

والقَلْعَة التي بالجَبَلِ، دَائِر تِسْعَة وعِشْرون ألف ذِرَاع وثلاثُ مِائة ذِرَاعٍ [وذِرَاعَان][(1)] بالهَاشِمي، واتَّصَلَ العَمَلُ فِيه إلَى أنْ مَاتَ صَلاحُ الدِّينِ، وَكَانَ مُتَوَلِّي النَّظَرَ فِيه مَوْلاه قَرَاقُوش[(2)].

غَزَوَاتٌ بَيْنَ المُسْلِمينَ والفِرِنْجِ

كَانَ شَمْسُ الدِّينِ [مُحَمَّد][(أ)] بنُ المقَدَّم صَاحِبَ بَعْلَبَك، وَأغَارَ جَمْعٌ مِنَ الفِرِنْجِ عَلَى البِقَاعِ مِنْ أعمَالِ حَلَب، فَسَارَ إلَيهِم، وَأكْمَنَ لَهم في [الشَّعَارِي و][(3)] الغِيَاضِ، حَتَّى نَالَ مِنْهم وَفَتَكَ فِيهِم، / وَبَعَثَ إلَى صَلاحِ الدِّينِ بِمِائَتَيْ أسِيرٍ مِنْهم، [248 أ] وَقَارَنَ ذَلِك وُصُولَ شَمْسِ الدَّوْلَةِ تُورَان شاه بنِ أيُّوبَ مِنَ اليَمَن، فَبَلَغَه أنَّ جَمْعاً مِنَ الفِرِنْجِ أغَارُوا عَلَى أعْمَالِ دِمَشْق، فَسَارَ إلَيْهِم وَلَقِيَهم بالمُرُوجِ، فَلَم يَثْبُت وهَزَمُوه، وأسِرَ سَيْفُ الدِّينِ أبُو بَكْرِ بنُ السَّلَار، مِنْ أعْيَانِ الجُنْدِ بِدِمَشْق، وَتَجَاسَرَ [الفِرِنْجُ][(ب)] عَلَى تِلْك [الوِلاية][(ج)].

ثُمَّ اعتَزَم صَلاحُ الدِّينِ عَلَى غَزْوِ بلادِ الفِرِنْج، فبعَثُوا في الهُدْنَة، وأَجَابَهم إلَيها، وعَقَدَ لَهم.

(أ) من س. (ب) من س، وفي ط: الفرج. (ج) من س.

---

(1) من مفرج الكروب 2: 52.
(2) الكامل 11: 436 – 437.
(3) من الكامل 11: 437.

هزيمة صلاح الدين بالرملة أمام الفرنج

ثُمّ سَارَ صَلاحُ الدّينِ مِن مِصْرَ فِي جُمَادَى الأُولَى سَنَة ثَلاثٍ وسَبْعينَ إلَى سَاحِلِ الشَّامِ لغَزْوِ بلَادِ الفِرنْجِ، وانْتَهى إلَى عَسْقَلان، فَاكْتَسَحَ أعْمَالَها، وَلَم يَرَوا للفِرنْجِ خَبَرًا، فانْسَاحُوا فِي البِلادِ، وانْتَهَوْا إلَى الرَّمْلَة[1]، فَمَا رَاعَهم إلا الفِرنْجُ مُقْبِلُونَ إليهم فِي جُمُوعِهم وأبْطَالِهم، وَقَدِ افْتَرَقَ أصْحَابُ صَلاحِ الدِّينِ فِي السَّرَايا، فثَبَتَ فِي مَوْقِفِه، وَاشْتَدَّ القِتَالُ، وَأبْلَى يَوْمَئِذٍ مُحَمَّدٌ ابنُ أخِيه فِي المُدَافَعَةِ عَنه، وقُتِلَ مِنْ أصْحَابِه جَمَاعةٌ، وَكَانَ لِتَقِيِّ الدّينِ بنِ شَاهِنْشَاهِ ابنٌ اسْمُهُ أحْمَد، مُتَكَامِلُ الخِلالِ، لَم يُطِرَّ شَارِبُه، فَأبْلَى يَوْمَئِذٍ وَاسْتُشْهِدَ، وَتَمَّتِ الهزِيمَةُ عَلَى المُسْلِمين[2].

وَكَانَ بَعْضُ الفِرنْجِ تَخَلَّصَ إلَى صَلَاحِ الدِّينِ، فَقُتِلَ بَيْنَ يَدَيْه، وعَادَ مُنْهَزِماً، وَأُسِرَ الفَقِيه عِيسَى الهَكَّارِي، بَعْدَ أنْ أبْلَى يَوْمَئِذٍ بَلاءً شَدِيداً[3].

وَسَارَ صَلَاحُ الدّينِ حَتَّى غَشِيَهُ اللَيْلُ، ثُمّ دَخَلَ البَرِّيَةَ فِي فَلٍّ قَلِيلٍ إلَى مِصْرَ، ولَحِقَهمُ الجَهْدُ مِنَ العَطَشِ، وَدَخَلَ إلَى القَاهِرَة مُنْتَصَفَ جُمَادَى الآخِرة.

قَالَ ابنُ الأثِيرِ: وَرَأيتُ كِتَابَه إلَى أخِيه تُورَان شَاه بدِمَشْقَ يَذْكُرُ الوَاقِعَةَ، وفِي أوَّلِه [من الطويل]:

ذَكَرْتُكَ والخَطِّيُّ يَخْطُرُ بَيْنَنا　　　وقَدْ نَهَلَتْ مِنّا المُثَقَّفَةُ السُّمْرُ[4]

---

(1) في الروضتين 2: 462، نهاية الأرب 28: 393: مستهل جمادى الآخرة.

(2) الكامل 11: 442، وينظر الروضتين 2: 463 - ، مفرج الكروب 2: 58 – 63.

(3) الكامل 11: 443.

(4) ينسب هذا البيت لأبي عطاء السّنديّ، من شعراء القرن الثاني الهجري، ينظر شرح ديوان الحماسة.

ومِنْ فُصُولِه: لَقَدْ أَشْرَفْنَا عَلَى الهَلاكِ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَمَا أَنْجَانَا اللهُ سُبْحَانَه وتَعَالَى[أ] مِنهُ إِلَّا لِأَمْرٍ يُرِيدُه:

وَمَا تَبَتَّتْ إِلَّا وفي نَفْسِها أَمْرُ[2]

انتهى[3]. وَأَمَّا السَّرَايَا التي دَخَلَتْ بِلَادَ الفِرنْجِ فَتَقَسَّمَهُمُ القَتْلُ وَالأَسْرُ، وَأَمَّا الفَقِيهُ عِيسَى الهَكَّارِيُّ / فَلَمَّا وَلَّى مُنْهَزِماً، وَمَعَهُ أَخُوه الظُّهِيرُ، ضَلَّا عَنِ الطَّرِيقِ، [248 ب] وَمَعَهُما جَمَاعةٌ مِنْ أَصْحَابِهِمَا، فَأُسِرُوا، وَفَادَاهم صَلَاحُ الدِّينِ بعْدَ ذَلِكَ[4] بِسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ[5].

حِصَارُ الفِرنْجِ مَدِينَةَ حَمَاة

ثُمَّ وَصَلَ[ب] في جُمَادَى الأُولَى إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ، زَعِيمٌ[6] مِنْ طَوَاغِيتِ الفِرنْجِ، وَقَارَنَ وُصُولَه هَزِيمَةَ صَلَاحِ الدِّينِ، وَعَلَى دِمَشْقَ يَوْمَئِذٍ تُورَان شَاهِ بنُ أَيُّوبَ فِي قِلَّةٍ مِنَ العَسْكَرِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُنهمِكٌ فِي مَلَذَّاتِه. فَسَارَ ذَلِكَ الزَّعِيمُ، بَعْدَ أَنْ جمَعَ فِرنْجَ الشَّامِ، وَبَذَلَ لَهُمُ العَطَاءَ، فَحَاصَرَ مَدِينَةَ حَمَاة، وَبِها شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودٌ الحَارِمِيُّ، خَالُ صَلَاحِ الدِّينِ مَرِيضاً، وَشَدَّ حِصَارَهَا وَقِتَالَها حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى

(أ) سقط من س.　　(ب) في س: وصل الفرنج.

---

(1) من قول المتنبي: وأَشجَعُ مني كلَّ يوم سَلامَتي... وما ثَبَتَتْ إلاّ وفي نَفْسِها أَمْرُ. ينظر ديوان المتنبي.
(2) الكامل 11: 443، وينظر مفرج الكروب 2: 62.
(3) وما خلص الفقيه عيسى إلاّ بعد سنين. مفرج الكروب 2: 61.
(4) الكامل 11: 443، مفرج الكروب 2: 61.
(5) هو فيليب الألزاسي، كونت فلاندرز، الذي قدم إلى مملكة بيت المقدس الصليبية في سبتمبر 1177م، على رأس قوة من الفرسان الفلمنكيين، ينظر رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية 2: 668 – 670.

أخذِهَا، وَهَجمُوا يَوماً عَلَى البَلَدِ وَمَلكُوا نَاحِيَةً مِنه، [فَدَافَعَهُمْ][أ] المُسْلِمُونَ وَأخرَجُوهم، وَمَنَعُوا حَمَاةَ مِنهم، فَأفرَجُوا عَنْها بَعْدَ أَرْبَعَةِ أيَّامٍ[1].

وَسَارُوا إلَى حَارِمَ فَحَاصَرُوهَا، وَلَمَّا رَحَلُوا عَنْ حَمَاةَ مَاتَ شِهَابُ الدِّينِ الحَارِمِيُّ، ولَمْ يَزَلِ الفِرنْجُ عَلَى حَارِمَ يُحَاصِرُونَها، وَأطْمَعَهم فِيهَا مَا كَانَ مِن نَكْبَةِ الصَّالِح صَاحِبِ حَلَب، لكُمُشْتِكِينَ الخَادِمِ كَافِلِ دَولتِه، ثُمَّ صَانَعَهم بِالمَالِ فَرَحَلُوا عَنْها[2].

ثُمَّ عَادَ الفِرنْجُ إلَى مَدِينَةِ حَمَاةَ فِي رَبِيعٍ [الأوَّلِ][3] [سَنَةَ] أرْبَعٍ وَسَبْعِين، فَعَاثُوا فِي نَوَاحِيها وَاكْتَسَحُوا أعْمَالَها، وَخَرَجَ العَسْكَرُ، حَامِيَةُ البَلَدِ، إلَيهِم، فَهَزَمُوهم، وَاسْتَرَدُّوا مَا أخَذُوهُ مِنَ السَّوَادِ، وَبَعَثُوا بِالرُّءوسِ وَالأسْرَى إلَى صَلَاحِ الدِّينِ وَهُوَ بِظَاهِرِ حِمْصَ مُنقَلِباً مِنَ الشَّامِ، فَأمَرَ بِقَتْلِ الأسْرَى[4].

انتِقَاضُ ابنِ المُقَدَّمِ بِبَعلَبَكَّ وفَتْحُها

كَانَ صَلاحُ الدِّينِ لَمَّا مَلَكَ بَعْلَبَكَّ اسْتَخْلَفَ فِيهَا شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ المَلِكِ المُقَدَّمَ جَزَاءً بِمَا فَعَلَه فِي تَسْلِيمِ دِمَشْق، وَكَانَ شَمْسُ الدَّولَةِ مُحَمَّدٌ أخُو صَلاحِ الدِّينِ نَاشِئاً فِي ظِلِّ أخِيه وَكَفَالَتِه، فَكَانَ يَمِيلُ إلَيه، وطَلَبَ مِنه إقْطَاعَ بَعْلَبَكَّ،

(أ) من س، وفي ظ: فدافعه.

---

(1) الكامل 11: 444.
(2) المصدر نفسه 11: 444.
(3) المصدر نفسه 11: 450.
(4) المصدر نفسه 11: 450.

فأمَرَ ابنَ المُقَدَّم بتمْكِينِه مِنها فأبَى، وَذكَّرَهُ عَهْدَهُ فِي أمرِ دِمَشق، فأعْرَضَ عَنْه، فسَارَ ابنُ المُقَدَّم إلَى بَعْلَبَكَّ وامْتَنَعَ فِيها، وَنازَلْته العَسَاكِرُ فامْتَنَع، وَطَاوَلُوهُ / حَتَّى |249أ| بَعَثَ إلَى صَلاحِ الدّينِ يَطْلُبُ العِوَضَ فعَوَّضَهُ عنها، وَسَارَ أخُوه شَمْسُ [الدَّوْلَة](1) إلَيها فملكَها(2).

وقَـائِعُ مَعَ الفِرِنْجِ

وفِي آخِرِ(3) سَنَةَ أرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَارَ مَلِكُ الفِرِنْجِ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ، وَأغَارَ عَلَى أعْمَالِ دِمَشق، وَاكْتَسَحَها وَأثْخَنَ فِيهَا قَتْلاً وَسَبياً، وَأرْسَلَ صَلَاحُ الدّينِ فَرُخشَاه، ابنَ أخِيه [شَاهِنْشَاه](4)، فِي العَسَاكِرِ لمدَافعَتِه، فكَمَنَهم(أ)، فَسَارَ يَطْلُبُهم، وَلَقِيَهم عَلَى غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ، فقَاتَلَ أشَدَّ قِتَالٍ، وَنَصَرَ اللهُ المُسْلِمِين، وقُتِلَ مِنْ زُعَمَاءِ الفِرِنْجِ جَمَاعَةٌ، مِنْهم(ب): هِنْفِرِي(5)، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَل(6).

ثُمَّ أغَارَ البِرِنْس(7)، صَاحِب أنْطَاكِيَّةَ واللاذِقِيَّة، عَلَى سَرْحِ المُسْلِمِينَ بشَيْزَرَ وأخَذَه(8).

(أ) في س: فلقيهم. (ب) في س: وقتل جماعة من زعماء الفرنج، ومنهم.

---

(1) في الأصول: الدين، والتصويب مما سبق، ومن الكامل 11: 451.

(2) الكامل 11: 451، مفرج الكروب 2: 71.

(3) في الكامل 11: 452: في ذي القعدة.

(4) في الأصول بياض مقدار كلمة، والإضافة من مفرج الكروب 2: 72.

(5) هو همفرى الثاني Humphrey II صاحب حصن بانياس.

(6) الكامل 11: 452.

(7) هو بوهمند الثاني Boohemond II.

(8) الكامل 11: 453.

وَأَغَارَ صَاحِبُ طَرَابُلُسَ[1] عَلَى أَحْيَاءٍ مِنَ التُّرْكُمَان، فَاسْتَاقَ مَوَاشِيَهم، وَكَانَ صَلاحُ الدِّينِ عَلَى بَانِيَاس لِتَخْرِيبِ حِصْنِ الفِرِنْج بِمَخَاضَةِ الأَحْزَان، فَبَعَثَ تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ ابنَ أَخِيه شَاهِنْشَاه وَنَاصِرَ الدِّينِ مُحَمَّداً إِلَى حِمْصَ[2] لِحِمَايَةِ البِلَادِ مِنَ العَدُوِّ[3]، كَمَا نَذْكُرُ[أ].

تَخْرِيبُ حِصْنِ الفِرِنْج

كَانَ الفِرِنْجُ قَدِ اتَّخَذُوا حِصْناً مَنِيعاً بِقُرْبِ بَانِيَاس، عِنْدَ بَيْتِ يَعْقُوبَ عَلَيْه السَّلام، وَيُسَمَّى مَكَانُه مَخَاضَةَ الأَحْزَان، فَسَارَ صَلَاحُ الدِّينِ مِن دِمَشْقَ إِلَى بَانِيَاسَ سَنَةَ خَمْسٍ وسَبْعِينَ، فَأَقَامَ بِها، وبَثَّ الغَارَاتِ عَلَى بِلادِهِم، ثُمَّ سَارَ[ب] إِلَى الحِصْنِ فَحَاصَرَه لِيَخْتَبِرَه، وَعَادَ عَنْهُ إِلَى اجْتِمَاعِ العَسَاكِرِ، وَبَثَّ السَّرَايَا فِي بِلَادِ الفِرِنْج لِلغَارَةِ[4].

وَجَاءَ مَلِكُ الفِرِنْجِ لِلغَارَةِ[ج] عَلَى مِيرَتِه، ومَعَها جَمَاعَةٌ مِن عَسْكَرِه، فَبَعَثُوا إِلَى صَلاحِ الدِّينِ بالخَبَرِ، فَوَافَاهم وَهم يقْتَتِلُون، فَهَزَمَ الفِرِنْجَ وأَثْخَنَ فِيهم، ونَجَا مَلِكُهم

(أ) كما نذكر: سقط من س.   (ب) مكررة في س.   (ج) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) هو الكونت ريموند الثالث الصنجيلي Le Conte Raymond ...de Saint-Agilles.

(2) في الكامل 11: 453: إلى مصر.

(3) المصدر نفسه 11: 453.

(4) المصدر نفسه 11: 455.

في فِلّ، وَأُسِرَ صَاحِبُ الرَّمْلَةِ وَنَابُلس[1] مِنهم، وَهُو رِدِيفُ مَلِكِهِم، وَأُسِر أَخُوه[2] صَاحِبُ جُبيل وَطَبَرية، وَمقَدَّمُ الدَّاوِية[3]، ومُقَدَّمُ الإِسْبِتَارِيَّة[4]، وغيرُهم مِن طَواغِيتِهِم، وَفادَى صَاحِبُ الرَّمْلَة نَفْسَه، وهُوَ ابنُ بِيرزَان[5]، بِمائةٍ وَخَمسِينَ أَلْف دِينارٍ [صُورِيَّة][أ] وَأَلْفِ أَسِيرٍ مِنَ المسْلِمِين[6].

وَأَبْلَى في هَذَا اليَوم عِزُّ الدِّينِ فَرُخشَاه ابنُ أَخِي صَلَاحِ / الدِّينِ بَلَاءً حَسَناً. [249ر]

ثُمّ عَادَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى بَانِيَاس، وَبَثَّ السَّرَايَا في بِلادِ الفِرنْجِ، وَسَارَ لِحِصَارِ الحِصْنِ فقَاتَلَه قِتَالاً شَدِيداً، وَتَسَنَّمَ المُسْلِمُونَ سُورَه حَتَّى مَلَكُوا بُرجاً مِنه، وَكَانَ مَدَدُ الفِرنْجِ بِطَبَرِيّة، وَالمُسْلِمُونَ يَتَرَقَّبُونَ وُصُولَهم، فَأَصْبَحُوا مِنَ الغَدِ وَنَقَبُوا السُّورَ وَأَضْرَمُوا فِيه النَّارَ فَسَقَطَ، وَمَلَكَ المُسْلِمُونَ الحِصْنَ عَنْوَةً آخِرَ[7] رَبِيعٍ [الأَوَّلِ][8] [سنَةَ] خَمْسٍ وَسَبْعِين، وَأَسَرُوا كُلَّ مَنْ فِيه، وَأَمَرَ صَلاحُ الدِّينِ بِهَدْمِ الحِصْن، فأُلْحِقَ بِالأَرْضِ، وَبَلَغَ الخَبَرُ إِلَى الفِرنْجِ، وهُم مُجْتَمِعُونَ بِطَبَرِيَّةَ لإِمدَادِه، فَافْتَرَقُوا، وَتَمَّ الفَتْحُ[9].

(أ) من س، وفي ظ: سورية.

---

(1) المصدر نفسه 11: 455.

(2) في الكامل 11: 455: أخا.

(3) المقصود جماعة فرسان المعبد Templars، ومقدمهم في ذلك الوقت أودو سانت أماند Odo of Saint-Amand.

(4) هم: جماعة فرسان المستشفى Hospitallers، ولم تذكر المصادر المتداولة اسم مقدمهم في ذلك الوقت.

(5) هو Balian II ابن Barizan.

(6) الكامل 11: 456، وينظر مفرج الكروب 2: 75 - 76.

(7) في الكامل 11: 457: لست بقين من.

(8) من الكامل 11: 457.

(9) الكامل 11: 457، وينظر مفرج الكروب 2: 80 – 85.

الفِتنةُ بينَ صَلاحِ الدِّينِ وقِليجِ[أ] أَرْسَلانَ صَاحِبِ الرُّومِ

كَانَ حِصْنُ رَعْبَانَ[1]، مِنْ شَمَالِيِّ حَلَبَ، قَدْ مَلَكَه نُورُ الدِّينِ العَادلُ مِنْ قِلِيجِ[5] أَرْسَلانَ صَاحِبِ بَلَدِ[ب] الرُّومِ، وَهُو بِيَدِ شَمْس الدِّينِ ابنِ المُقَدَّم، فَلَمَّا انقَطَعَ حِصْنُ رَعْبَانَ عَن إِيالَةِ صَلاحِ الدِّينِ وَرَاءَ حَلَب، طَمِعَ قِلِيج أَرْسَلان فِي [اسْتِرْجاعِه][ج]، فَبَعَثَ إِلَيْه عَسْكَراً يحاصِرُونَه، وَبَعَثَ صَلاحُ الدِّينِ تَقِيَّ الدِّينِ ابنَ أخِيه فِي عَسْكَرٍ لِمُدَافَعَتِهم، فَلَقِيهم وَهَزَمَهم، وَعَادَ إِلَى عَمِّه صَلاحِ الدِّينِ، وَلَمْ يَحْضُرْ مَعَهُ تَخْرِيبَ حِصْنِ الأَحْزَان[1].

وَكَانَ نُورُ الدِّينِ [مُحَمَّدُ بن قَرَا][2] أَرْسَلانَ بن دَاوُدَ [بنِ سُقْمَانَ][3]، صَاحِبُ حِصْنِ كَيْفَا وآمِدَ وغَيرِهِمَا مِنْ دِيَارِ بَكْر، قَدْ فَسَدَ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ قِلِيجَ أَرْسَلان صَاحِبِ بِلادِ الرُّومِ، بِسَبَبِ اضْرَارِه بِبِنْتِه وَزَوَاجِه عَلَيْها، وَاعْتَزَمَ قِلِيج أَرْسَلان عَلَى حَرْبِه وَأَخْذِ بِلَادِه، فَاسْتَنْجَدَ نُورُ الدِّينِ بِصَلَاحِ الدِّينِ، وَبَعَثَ إِلَى قِلِيج أَرْسَلان يَشْفَعُ فِي شَأْنِه، فَطَلَبَ اسْتِرْجَاعَ حُصُونِه الَّتِي أَعْطَاهَا لِنُورِ الدِّينِ عِنْدَ المُصَاهَرَة، وَلَجَّ فِي ذَلِكَ[4].

(أ) في الكامل: قلج. (ب) سقط من س. (ج) من س، وفي ظ: استرجاه.

---

(1) مدينة بالثغور بين حلب وسميساط، قرب الفرات من العواصم، معجم البلدان 3: 51.

(2) في الكامل 11: 458، مفرج الكروب 2: 79: قلج.

(3) الكامل 11: 458.

(4) في الأصول: محمود بن قليج، والتصويب من الكامل 11: 464، وفيات الأعيان 5: 82، وينظر مفرج الكروب 2: 96.

(5) من الكامل 11: 464، وينظر ما سبق في الجزء التاسع.

(6) الكامل 11: 464.

فَصَالَحَ صَلَاحُ الدِّينِ الفِرِنْجَ، وَسَارَ إِلَى رَعْبَان، وَمَرَّ بِحَلَبَ فَتَرَكَهَا ذَاتَ الشِّمَالِ، وَسَلَكَ عَلَى تَلِّ [بَاشِر][1].

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَعْبَان جَاءَهُ نُورُ الدِّينِ [مُحَمَّدٌ][2] وَأَقَامَ عِنْدَه، وأَرْسَلَ إِلَيْه قِلِيجُ أَرْسَلانُ يَصِفُ فِعْلَ نُورِ الدِّينِ وَاضْرَارَهُ بِبِنْتِيه. فَلَمَّا أَدَّى الرَّسُولُ / الرِّسَالَةَ(أ) [250أ] امْتَعَضَ صَلَاحُ الدِّينِ، وَتَوَعَّدَهم بِالمَسِيرِ إِلَى بِلَادِه، فَتَرَكَه الرَّسُولُ حَتَّى سَكَنَ، وَغَدَا عَلَيْه يَطْلُبُ الخَلْوَةَ، فَتَلَطَّفَ لَه، وَأَرَاه قُبْحَ مَا هُو فِيه مِنْ تَرْكِ الغَزْوِ وَنَفَقَةِ الأَمْوَالِ فِي هَذَا الغَرَضِ الحَقِيرِ، وَأَنَّ بِنْتَ قِلِيجَ أَرْسَلان يَجِبُ عَلَى مِثْلِكَ مِنَ المُلُوكِ الامْتِعَاضُ لَهَا، وَلا تُتْرَكُ لِلمُضَارَرَةِ بِمَنْ دُونَهَا.

فَعَلِمَ صَلاحُ الدِّينِ الحَقَّ فِيمَا قَالَه، وَقَالَ لِلرَّسُولِ: إِنَّ نُورَ الدِّينِ اسْتَذَمَّ بِي، فَلَعَلَّكَ تُصْلِحُ الأَمْرَ بَيْنَهما، وَأَنَا مُعِينٌ عَلَى مَا تُحِبُّونَه جَمِيعاً. فَفَعَلَ الرَّسُولُ ذَلِكَ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا، وَعَادَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى الشَّامِ، وَنُورُ الدِّينِ [مُحَمَّدٌ][3] إِلَى دِيَارِ بَكْر، وَطَلَّقَ ضُرَّةَ بِنْتِ قِلِيجَ أَرْسَلانَ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَه لِلرَّسُولِ(ب)[4].

(أ) في س: رسالته. (ب) في س: الرسول.

---

(1) في الأصول: تل ناشر، والتصويب من الكامل 11: 464، وهي قلعة حصينة شمالي حلب، معجم البلدان 2: 40.

(2) في الأصول: محمود، والتصحيح من الكامل 11: 464، وينظر ما سبق.

(3) في الأصول: محمود، والتصحيح من الكامل 11: 464، وينظر ما سبق.

(4) الكامل 11: 465 - 466، مفرج الكروب 2: 96 – 98.

مَسِيرُ صَلَاحِ الدِّينِ إلى بَلَدِ ابنِ اليُونِ[1]

كَانَ مَلِيحُ بنُ اليُونِ، مِنْ مُلُوكِ الأَرْمَنِ، صَاحِبَ الدُّرُوبِ المُجَاوِرَةِ لِحَلَب، وَكَانَ نُورُ الدينِ مَحْمُودٌ قَدِ اسْتَخْدَمَهُ وَأَقْطَعَ لَهُ في الشَّامِ، وَكَانَ بِعَسْكَرٍ مَعَه، وَكَانَ حَرْباً عَلَى صَاحِبِ القُسْطَنْطِينِيَة، وَمَلَكَ أَذَنَةَ وَالمَصِّيصَةَ وَطَرَسُوس [مِنْ][أ] يَدِ الرُّومِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حُرُوبٌ. وَلَمَّا تُوُفِّيَ نُورُ الدِّين، وَانْقَضَتْ دَوْلَتُه، أَقَامَ ابنُ اليُونَ في بِلَادِه، وَكَانَ التُّرْكُمَانُ يَحْتَاجُونَ إلى رَعْيِ مَوَاشِيهِم بِأَرْضِه عَلَى حَصَانَتِهَا وَصُعُوبَةِ مَضَائِقِهَا، وَكَانَ يَأْذَنُ لَهُم فَيَدْخُلُونَهَا، وَغَدَرَ بِهِم في بَعْضِ السِّنِين وَاسْتَبَاحَهُم وَاسْتَاقَ مَوَاشِيَهُم، وَبَلَغَ الخَبَرُ إلى صَلَاحِ الدِّين مُنْصَرَفَهُ مِنْ رَعْبَان، فَقَصَدَ بِلَادَه وَنَزَلَ النَّهرَ الأَسْوَدَ، وَبَثَّ الغَارَاتِ في بِلَادِه وَاكْتَسَحَهَا، وَكَانَ لابنِ اليُونَ حِصْنٌ وَفِيهِ ذَخِيرَتُه، فَخَشِيَ عَلَيْهِ فَقَصَدَ تَخْرِيبَه، وَسَابَقَهُ إلَيْهِ صَلَاحُ الدِّين فَغَنِمَ مَا فِيه، وَبَعَثَ إلَيهِ ابنُ اليُونَ بِرَدِّ مَا أَخَذَ مِنَ التُّرْكُمَان، وَإِطْلَاقِ أَسْرَاهُم عَلَى الصُّلْحِ وَالرُّجُوعِ عَنْه، فَأَجَابَه إلى ذَلِك، وَعَادَ عَنْه في مُنْتَصَفِ[2] [سِتٍّ][3] وَسَبْعِين[4].

(أ) من س، وفي ظ: ومن.

(1) ابن ليون: في الكامل 11: 466، Leon II، وهو روبين الثالث، وابن لاون: في مفرج الكروب 2: 98.

(2) في جمادى الآخرة. الكامل 11: 467.

(3) في الأصول: خمس، والتصويب من الكامل 11: 467، وينظر مفرج الكروب 2: 98 - 100.

(4) الكامل 11: 466 - 467.

غَزْوُ صَلاحِ الدِّينِ إلى الكَرَكِ

/ كَانَ البِرِنْسُ أَرْنَاط، صَاحِبُ الكَرَكِ، مِنْ مَرَدَةِ الفِرِنْجِ وَشَيَاطِينِهِم، وَهُوَ [250 ب] الَّذِي اخْتَطَّ مَدِينَةَ الكَرَكِ وَقَلْعَتَهَا، ولم تَكُنْ هُنَاكَ، واعْتَزَمَ عَلَى غَزْوِ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَسَمِعَ عِزُّ الدِّينِ فَرُّخْشَاه بِذَلِكَ وَهُوَ بِدِمَشْق، فَجَمَعَ وَسَارَ إلى الكَرَكِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِين، وَاكْتَسَحَ نَوَاحِيَه، وَأَقَامَ لِيُشْغِلَه عَنْ ذَلِكَ الغَرَضِ حَتَّى انقَطَعَ أَمَلُه وَعَادَ إلى الكَرَكِ، فَعَادَ فَرُّخْشَاه إلى دِمَشْق[1].

مَسِيرُ سَيْفِ الإسْلامِ طُغْتِكِينَ بنِ أَيُّوبَ [إلى اليَمَنِ][ا] وَالِيًا عَلَيْها

قَدْ كَانَ تَقَدَّم لَنَا فَتْحُ شَمْسِ الدَّوْلَة تُورَان شَاهِ لِليَمَن، وَاسْتِيلَاؤُه عَلَيْهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّين، وَأَنَّه وَلَّى عَلَى زَبِيدَ مُبَارَكَ بنَ كَامِل بن مُنْقِذٍ[ب] مِنْ أُمَرَاءِ شَيْزَر، وَعَلَى عَدَنَ عِزَّ الدَّولة عُثْمَانَ الزِّنْجِيلِيَّ، وَاخْتَطَّ مَدِينَةَ تَعِزَّ في جِبَالِ اليَمَنِ وَاتَّخَذَها كُرْسِيًّا لِمُلْكِه، ثُمَّ عَادَ إلى أَخِيه سَنَةَ اثنَتَيْنِ وسَبْعِين، وَأَدْرَكَه مُنْصَرِفاً مِن حِصَارِ حَلَب، فَوَلَّاه عَلَى دِمَشْق، وَسَارَ إلى مِصْرَ، ثُمَّ وَلَّاه أَخُوه صَلَاحُ الدِّين بَعْدَ ذَلِكَ مَدِينَةَ الإسْكَنْدَرِيَّة[2]، وَأَقْطَعَهُ إيَّاهَا مُضَافَةً إلى أَعْمَالِ اليَمَن، وَكَانَتِ الأَمْوَالُ[ج] تُحْمَلُ إلَيْه

(ا) من س. (ب) في س: ومنقذ. (ج) في س: الأعمال.

---

(1) الكامل 11: 470، مفرج الكروب 2: 101 - 102.
(2) الكامل 11: 461.

مِنْ زَبِيدَ وَعَدَنَ وَسَائِرِ وِلَايَاتِ اليَمَن، وَمَعَ ذَلِكَ فكَان عَلَيه دَيْنٌ قَرِيبَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ مِصْرِيَّة، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعِينَ، فقَضَاها عَنْهُ صَلَاحُ الدِّين، وَلَمَّا بلَغَهُ خَبَرَ وَفَاتِهِ سَارَ إِلى مِصْرَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى دِمَشْقَ عِزَّ الدِّين فرُخْشَاه، ابنَ أَخِيهِ شَاهِنْشَاه[1].

وَكَان سَيْفُ الدِّين مُبَارَكُ بنُ كَامِلِ بن مُنْقِذٍ الكِنَانِيُّ، نَائِبُهُ بِزَبِيد، قَدْ تَغَلَّبَ فِي وِلَايَتِه وَتَحَكَّمَ فِي [الأَعْمَالِ][أ]، فَنَزَعَ إِلى وَطَنِه[2]، وَاسْتَأْذَنَ شَمْسَ الدَّوْلَةِ قَبْلَ مَوْتِه، فَأَذِنَ لَهُ فِي المَجِيءِ، وَاسْتَنَابَ أَخَاه حِطَّانَ بِزَبِيد، وَأَقَامَ مَعَ شَمْسِ الدَّوْلَة، حَتَّى إِذَا مَاتَ صَارَ[ب] فِي خِدْمَةِ صَلَاحِ الدِّين، وَكَان مُحَسَّداً، فَسُعِيَ فِيهِ عِنْدَه أَنَّه احْتَجَرَ أَمْوَالَ اليَمَن، فَلَمْ يَعْرِضْ لَه، فتَحَيَّلَ أَعْدَاؤُه عَلَيْه، وَكَان يَنْزِلُ بِالعَدَوِيَّة مِنْ قُرَى مِصْرَ، فَصَنَعَ فِي بَعْضِ الأَيَّام صَنِيعاً دَعَا إِلَيْه أَعْيَانَ الدَّوْلَة، وَاخْتَلَفَ مَوَالِيه [251أ] / وَخَدَمُه[ج] إِلى مِصْرَ فِي شِرَاءِ حَاجَاتِهِم، [فَخَيَّلُوا][د] لِصَلَاحِ الدِّين أَنَّه هَارِبٌ إِلى اليَمَن، فَتَمَّتْ حِيلَتُهم وَقَبَضَ عَلَيْه، ثُمَّ عَلِمَ جَلِيَّةَ الحَالِ، وَصَادَرَه عَلَى ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ سِوَى مَا أَعْطَى لأَهْلِ الدَّوْلَة، وَأَطْلَقَه وَأَعَادَه إِلى مَنْزِلِه[3].

ثُمَّ بَلَغَ وَفَاةُ شَمْسِ الدَّوْلَةِ إِلى اليَمَن، فَاخْتَلَفَ نُوَّابُه بِهَا: حِطَّانُ بنُ مُنْقِذ وعُثْمَانُ بنُ الزَّنْجِيلِيِّ، وَتَحَارَبُوا، وَخَشِيَ صَلَاحُ الدِّين أَنْ تَخْرُجَ اليَمَنُ عَنْ طَاعَتِه،

(أ) من س، وفي ظ: المال. (ب) في س: بقي. (ج) في س: وخدامه. (د) من س، وفي ظ: فتخيلوا.

---

(1) الكامل 11: 469.

(2) وكان هواه بالشام لأنه وطنه. الكامل 11: 471.

(3) الكامل 11: 471، مفرج الكروب 2: 102 – 104.

فَجَهَّزَ جَمَاعَةً مِنْ أُمَرَائِهِ إِلَى اليَمَنِ مَعَ صَارِمِ الدِّين قُطْلُغ أَبَه[1] وَالِي مِصْرَ •مِنْ أُمَرَائِهِ•[ا]، [فَسَارَ][ب] لِذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ، وَاسْتَوْلَى[ج] عَلَى زَبِيد قُطْلُغ أَبَه مِنْ يَدِ حَطَّان بن مُنْقذ، ثُمَّ مَاتَ قَرِيباً، فَعَادَ حِطَّانُ إِلَى زَبِيدَ وَأَطَاعَه النَّاسُ، وَقَوِيَ عَلَى عُثْمَانَ الزَّنْجِيلِيّ[2].

فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى صَلَاحِ الدِّين أَنْ يَبْعَثَ بَعْضَ قَرَابَتِه، فَجَهَّزَ صَلَاحُ الدين أَخَاهُ سَيْفَ الإِسْلَام طُغْتِكِين، فَسَارَ إِلَى اليَمَن[3]، وَخَرَجَ حِطَّانُ بْنُ مُنْقِذ مِن زَبِيدَ وَتَحَصَّنَ فِي بَعْضِ القِلَاعِ، وَنَزَلَ سَيْفُ الإِسْلَام زَبِيد، وَبَعَثَ إِلَى حَطَّان بالأَمَان، فَنَزَل إِلَيْه، [وَأَوْلَاهُ][د] الإِحْسَانَ، ثُمَّ طَلَبَ اللَّحَاقَ بالشَّامِ، فَمَنَعَه، ثُمَّ أَلَحَّ عَلَيْه، فَأَذِنَ لَهُ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ وَاحْتَمَلَ رَوَاحِلَه، وَجَاءَ لِيُوَدِّعَه قَبَضَ عَلَيه وَاسْتَوْلَى عَلَى مَا مَعَه، ثُمَّ حَبَسَهُ فِي بَعْضِ القِلَاعِ، فَكَانَ آخِرَ العَهْدِ بِه، وَيُقَالُ: كَانَ فِيمَا أُخِذَ لَه سَبْعُونَ جِمْلاً مِنَ الذَّهَبِ[4].

وَلَمَّا سَمِعَ عُثْمَانُ الزَّنْجِيلِيّ خَبَرَ حِطَّانَ خَشِيَ عَلَى نَفْسِه، وَحَمَلَ أَمْوَالَه فِي البَحْرِ وَلَحِقَ بالشَّامِ، وَلَقِيتْ مَرَاكِبَهُ مرَاكِبُ لِسَيْفِ الإِسْلَام فَاسْتَوْلَتْ عَلَيها، ولم يَخْلُصْ إِلَّا بِمَا كَانَ مَعَهُ فِي طَرِيقِه، وَصَفَا اليَمَنُ لِسَيْفِ الإِسْلَام[5].

(ا) سقط من س. (ب) من س، وفي ظ: فساروا. (ج) في س: واستولى قطلغ آبه. (د) من س، وفي ظ: وأولا.

---

(1) قتلغ أبه: في الكامل 11: 472، وورد خطأ: في الروضتين 2: 6، وتاريخ ثغر عدن 2: 102.

(2) الكامل 11: 472.

(3) سنة 578 هـ، الكامل 11: 480، مفرج الكروب 2: 105.

(4) الكامل 11: 480.

(5) الكامل 11: 481، مفرج الكروب 2: 105 – 106.

دُخُولُ قَلْعَةِ إلْبِيرَةَ فِي إِيَالَةِ صَلاحِ الدِّينِ، وَغَزْوَةُ الفِرِنْجِ وَفَتْحُ بَعْضِ حُصُونِهِمْ مِثْلَ شَقِيفِ وَالغَوْرِ وَبَيْرُوت

[251 ب] كَانَتْ قَلْعَةُ إلْبِيرَةَ، مِنْ قِلَاعِ الفُرَاتِ، لِشِهَابِ الدِّينِ بنِ أُرْتُق، وَهُوَ ابنُ / عَمِّ قُطْبِ الدِّينِ إيلْغَازِي بن ألبِي، صَاحِبِ مَارِدِين، وَكَانَ فِي طَاعَةِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ ابنِ زَنْكِي، صَاحِبِ الشَّام، ثُمَّ مَاتَ وَمَلَكَ إلْبِيرَةَ بَعْدَه[أ] ابنُه، وَمَاتَ نُورُ الدِّينِ فَصَارَ إلى طَاعَةِ عِزِّ الدِّين مَسْعُود، صَاحِبِ المَوْصِل، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ صَاحِبِ مَارِدِينَ وَصَاحِبِ المَوْصِلِ مِنَ المُخَالَصَةِ وَالاتِّفَاقِ مَا وَقَعَ، فَطَلَبَ مِنْ عِزِّ الدِّين أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي أَخْذِ إلْبِيرَة، فَأَذِنَ، فَسَارَ قُطْبُ الدِّين فِي عَسَاكِرِه إلى قَلْعَةِ سُمَيْسَاط، وَأَقَامَ بِهَا، وَبَعَثَ العَسْكَرَ إلى إلْبِيرَةَ وَحَاصَرُوهَا، وَبَعَثَ صَاحِبُهَا يَسْتَنْجِدُ صَلَاحَ الدِّين وَيَكُونُ لَهُ كَمَا كَانَ أَبُوهُ لِنُورِ الدِّين، فَشَفَعَ صَلَاحُ الدِّين إلى قُطْبِ الدِّين صَاحِبِ مَارِدِين، وَلَم يُشَفِّعْه، وَشُغِلَ عَنْهُ بِأَمْرِ الفِرِنْج، وَرَحَلَتْ عَسَاكِرُ قُطْبِ الدِّين عَنْهَا، فَرَجَعَ صَاحِبُهَا إلى صَلَاحِ الدِّين وَأَعْطَاه طَاعَتَه، وَعَادَ فِي إِيَالَتِه[1].

ثُمَّ خَرَجَ صَلَاحُ الدِّين مِن مِصْرَ فِي مُحَرَّم[2] ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ قَاصِداً الشَّام، وَمَرَّ بِأَيْلَةَ، وَجَمَعَ الفِرِنْجُ لاعْتِرَاضِه، فَبَعَثَ أَثْقَالَه مَعَ أَخِيهِ تَاجِ المُلُوكِ بُورِي إلى

(أ) في س: بعد.

---

(1) الكامل 11: 475 – 476، مفرج الكروب 2: 116 – 117.

(2) في الكامل 11: 478: خامس المحرم.

دِمَشْق، وَمَالَ عَلَى بِلادِهِم فَاكْتَسَحَ نَوَاحِيَ الكَرَك والشَّوبَك، وعَادَ إلى دِمَشْق مُنْتَصَفَ[1] صَفَر[2].

وَكَانَ الفِرَنْجُ لَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى الكَرَك قَدْ أَخْلَوْا بِلَادَهُم مِنْ نَاحِيَةِ الشَّام، فَخَالَفَهم عِزُّ الدِّين فَرُّخْشَاه نَائِبُ دِمَشْقَ إِلَيْهَا، وَاكْتَسَحَ نَوَاحِيَهَا وَخَرَّبَ قُرَاهَا، وَأَثْخَنَ فِيهِم قَتْلاً وَسَبْياً، وَفَتَحَ الشَّقِيف[3] مِنْ حُصُونِهِم عَنْوَةً، وَكَانَ لَهُ نِكَايَةٌ فِي المُسْلِمِين، فَبَعَثَ إلى صَلَاحِ الدِّين بِفَتْحِهِ فَسُرَّ بِذَلِك[4].

ثُمَّ أَرَاحَ صَلَاحُ الدِّين بِدِمَشْقَ أَيَّامًا، وَسَارَ فِي رَبِيعٍ الأَوَّل مِنَ السَّنَة، وَقَصَدَ طَبَرِيَّة، وَخَيَّمَ بِالأُرْدُنّ، وَاجْتَمَعَتِ الفِرَنْجُ عَلَى طَبَرِيَّة، فَسَيَّرَ صَلَاحُ الدِّين فَرُّخْشَاه ابنَ أَخِيه إلى بَيْسَان فَمَلَكَهَا عَنْوَةً وَاسْتَبَاحَهَا، وَأَغَارَ عَلَى الغَوْرِ فَأَثْخَنَ فِيهَا قَتْلاً وَسَبْياً، وَجَاءَ العَرَبُ لإِنْجَادِه، فَاكْتَسَحُوا أَعْمَالَ جِينِين[5] وَاللَّجُونِ وَسَائِرِ تِلْكَ الوِلَايَاتِ إلى مَرْجِ عَكَّا[6].

وَسَارَ الفِرَنْجُ مِنْ طَبَرِيَّةَ إلى جَبَلِ كَوْكَب[5]، وَتَقَدَّمَ صَلَاحُ الدِّين إِلَيْهِم بِعَسَاكِرِه / فَتَحَصَّنُوا بِالجَبَل، فَأَمَرَ ابْنَي أَخِيه: تَقِيَّ الدِّين عُمَر، وَعِزَّ الدِّين فَرُّخْشَاه [252أ]

---

(1) في الكامل 11: 479: حادي عشر.

(2) المصدر نفسه 11: 479.

(3) قلعة حصينة قرب بانياس وتعرف بشقيف أرنون، معجم البلدان 3: 356.

(4) الكامل 11: 479.

(5) بلدة بين نابلس وبيسان من مدن فلسطين، معجم البلدان 2: 202.

(6) الكامل 11: 481

(7) قلعة حصينة بالجبل المطل على طبرية، معجم البلدان.

ابنَيْ شاهِنْشاه فقَاتَلُوا الفِرنْج قِتالاً شَدِيداً، ثُمّ تَحاجَزُوا، وَعَادَ صَلَاحُ الدِّينِ إلى دِمَشْق[1].

ثُمّ سَارَ إلى بَيْرُوتَ فَاكْتَسَحَ نَواحِيَها، وَكَانَ قَدِ اسْتَدْعَى الأسْطُولَ مِنْ مِصْرَ لِحِصَارِها، فَوَافَاه بِها وَحَاصَرَها أيّاماً، ثُمّ بَلَغَه أنّ البَحْرَ قَدْ قَذَفَ بِدِمْيَاط مَرْكَباً لِلفِرنْج فِيه جَمَاعَةٌ مِنْهم جَاءُوا لِزِيَارَةِ القُدْسِ فَألْقَتْهُمُ الرِّيحُ بِدِمْيَاط وَأُسِرَ مِنْهم ألْفٌ وسِتُّ مِائةٍ[2] أسِيرٍ، فَارْتَحَلَ عَنْ بَيْرُوتَ إلى [الجَزِيرَة][ا] كَمَا نَذْكُرُه.

مَسِيرُ صَلاحِ الدِّينِ إلى الجَزِيرَة، واسْتِيلاؤُهُ عَلَى حَرّانَ والرُّها والرَّقّة والخَابُورِ وسِنْجَارَ ونَصِيبِينَ[ب]، وحِصَارُ المَوْصِل

كَانَ مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكبُورِي[3] بنُ زَيْنِ الدِّينِ كُجُك[4] الّذِي كَانَ أبوهُ نَائبَ القَلْعَة بالمَوْصِل، مُسْتَولياً في دَوْلةِ مَوْدُودٍ وبَنِيه، وانْتَقلَ آخِراً إلى إرْبِلَ ومَاتَ بِها، وأَقْطَعَ عِزُّ الدِّين، صَاحِبُ المَوْصِل، ابنه مُظَفَّر الدّين، وكان هَوَاه مَعَ صَلَاحِ الدِّين، ويُؤَمِّلُهُ لِمُلْكِ بِلَادِ الجَزِيرَة، فَرَاسَلَهُ وهُوَ مُحَاصِرٌ لبَيْرُوت، وأَطْمَعَهُ في البِلَادِ،

(ا) في ظ: إلى الجيزة، والتصويب من س. (ب) ونصيبين وسنجار: في س.

---

(1) الكامل 11: 481.

(2) ألفاً وستمائة وستة وسبعين أسيراً. الكامل 11: 482.

(3) في الأصول والكامل 11: 482: كوكبري، والتصويب من وفيات الأعيان 5: 153، وكوكبوري: بضم الكافين والباء، اسم تركي معناه ذئب أزرق، المصدر نفسه 4: 121.

(4) علي بن بكتكين المعروف بكجك. المصدر نفسه 4: 114.

واستحثّه في الوصول(أ)، فسارَ صَلَاحُ الدّين عَن بَيْرُوت مُورِّياً بحِصَارِ حَلَب، وقَصَدَ الفُرَات، ولَقِيَه مُظَفَّرُ الدّين، وسَارُوا إلى إلبِيرَة، وقد دَخَلَ صَاحِبُها في طَاعَةِ صَلَاح الدّين، وكَان عِزُّ الدّين، صَاحِبُ المَوْصِل، وَ[نَائِبُه](1) مُجَاهِدُ الدّين [قَايْمَاز](2)، لمّا بلَغَهُمَا مَسِيرُ صَلَاحِ الدّين إلى الشّام، ظَنُّوا أنهُ يُرِيدُ حَلَب، فسَارُوا لمُدَافَعَتِه، فلَمّا عَبَر الفُرَاتَ عَادُوا إلى المَوْصِل، وبعَثُوا [حَامِيَةً](ب) إلى الرُّها(3).

وكَاتَبَ صَلَاحُ الدّين مُلُوكَ الأطْرَافِ بِدِيارِ بَكْرٍ وَغيرِهَا بالوَعْدِ(ج) وَالمُقَارَبَة. ووَعَدَ نُورَ الدّين [مُحَمَّداً](4)، صاحِبَ كَيْفَا، أنّه يُمَلِّكُهُ آمِد، ووَصَلَ إلَيهِ فَسَاروا إلى مَدِينةِ الرُّها فَحَاصَرَها، وبِها يومَئِذٍ الأَمِيرُ فَخْرُ الدّين مَسْعُودٌ الزّعْفَرانيّ، واشْتَدَّ عَلَيه القِتَالُ، فَاسْتَأْمَنَ إلى صَلَاح الدّين ومَلَّكَه المدِينَةَ، / وحَاصَرَ معَهُ القَلْعَةَ حَتّى [252 ب] سَلَّمَها النّائبُ الّذِي بِها علَى [مَالٍ](د) شَرَطَه، فأَضَافَها صَلَاحُ الدّين إلى مُظَفّرِ الدّين مَعَ حَرّان.

وَسَارَ إلى الرَّقّة وبِها نَائِبُها قُطْبُ الدّين يَنَالُ بنُ حَسّانَ المَنْبِجيُّ، فَفارقَها إلى المَوْصِل، ومَلَكَها صَلَاحُ الدّين(4).

(أ) في س: للوصول. (ب) من س، في ظ: حماية. (ج) بالوعد إلى الرها، عليها شطب في س. (د) من س، في ظ: على ما.

(1) من مفرج الكروب 2: 119.
(2) من وفيات الأعيان 4: 82.
(3) الكامل 11: 483.
(4) في الأصول: محمود، والتصويب من الكامل 11: 464، وينظر ما سبق.

ثُمَّ سَارَ إلى قَرْقِيسِيَا ومَاكِسِينَ وعَرَابان، وهي بلادُ الخابور، فاستولى على جميعها[1].

وَسَارَ إلى نَصِيبِينَ فَمَلَكَ المدِينَةَ لِوَقْتِها، وحَاصَرَ القَلْعَةَ أيَّاماً، ثُمَّ مَلَكَهَا وأَقْطَعَها [الأميرَ][أ] أبا الهَيْجاءِ السَّمِينَ[2].

ثُمَّ رَحَلَ عَنْها، ونُورُ الدِّينِ صَاحِبُ كَيْفَا مَعَه، مُعْتَزِماً عَلَى قَصْدِ الموْصِلِ، وَجَاءَه الخَبَرُ بِأَنَّ الفِرِنْجَ أغَارُوا عَلَى نَواحِي دِمَشْقَ وَاكْتَسَحُوا قُرَاهَا، وأَرَادُوا تَخْرِيبَ جَامِعِ دَارَيَّا، فَتَوعَّدَهم نَائِبُ دِمَشْقَ بتَخْرِيبِ بِيَعِهِم وكَنَائِسِهِم فتَرَكُوه، فَلَمْ يَثْنِ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِه، وَقَصَدَ المَوْصِلَ وَقَد جَمَعَ صَاحِبُها العَسَاكِرَ وَاسْتَعَدَّ للحِصَارِ، وَجَلَّى نَائِبُه مُجَاهِدُ الدِّينِ في الاسْتِعْدَادِ، وبعَثَ إلى سِنْجَارَ وإرْبِل وجَزِيرَةِ ابنِ عُمَر، فشَحَنَها بالأمْدَادِ مِنَ الرِّجَالِ والسِّلاحِ والأمْوَال، وأَنْزَلَ صَلاحُ الدِّين عَسْكَرَه بقُرْبِها، وتَقَدَّمَ هُوَ ومُظَفَّرُ الدينُ وابن شِيرِكُوه، فَهَالَهُمُ اسْتِعْدَادُ البَلَد، وأَيْقَنُوا بامْتِنَاعِه، وعَذَلَ صَاحِبَيْهِ هَذَيْن، فإنَّهما كانَا أشَارَا بالبدَاءَةِ بالموْصِلِ[3].

ثُمَّ صَبَّحَ صَلاحُ الدِّين الموْصِلَ مِنَ الغَدِ[4] في عَسَاكِرِه، وَنَزَلَ إِلَيْه[ب] أَوَّلَ رَجَبٍ عَلَى بَابِ كِنْدَة، وَأَنْزَلَ صَاحِبَ الحِصْنِ[5] بِبَابِ الجِسْرِ، وَأَخَاه تَاجَ المُلُوكِ

(أ) من س. (ب) في س: عليه.

---

(1) الكامل 11: 484، وينظر النوادر السلطانية 57، مفرج الكروب 2: 117-118.

(2) الكامل 11: 484.

(3) المصدر نفسه 11: 485.

(4) كان نزول السلطان على الموصل يوم الخميس حادي عشر رجب 578 هـ . مفرج الكروب2: 120.

(5) صاحب حصن كيفا. مفرج الكروب 2: 120.

[بُوري][1] بالبَابِ العِمَادِيّ، وَقَاتَلَهم فلمْ يَظْفَرْ، وَخَرَجَ بَعْضُ الرَّجْلِ[2] فنَالُوا مِنه، وَنَصَبَ مَنجَنِيقًا فنصَبُوا عَلَيْه مِنَ البَلدِ تِسْعَةً، ثُم خَرَجُوا إِلَيْه مِنَ البَلَد فأَخَذُوهُ بَعْدَ قِتَالٍ كَبِير، وَخَشِيَ صَلَاحُ الدِّينِ مِنَ البَيَاتِ، فتَأَخَّرَ، لأنَّه رَآهُم في بَعْضِ اللَيَالِي يَخْرُجُونَ مِنْ بَابِ السِّرِّ[أ] بالمَشَاعِلِ ويَرْجِعُونَ[3].

وكَانَ صَدْرُ الدِّينِ شَيْخُ الشُّيُوخِ وَبَشِيرٌ الخَادِمِ قَدْ وصَلَا مِن قِبَلِ الخَلِيفَةِ النَّاصِرِ في الصُّلحِ، وتَرَدَّدَتْ بَيْنَهما[ب] الرُّسُلُ *في الصُّلحِ*[ج]، فطَلَبَ عِزُّ الدِّين مِنْ صَلَاحِ الدِّين إِعَادَةَ مَا أَخَذَه مِن بِلَادِهِم، فأَجَابَ، عَلَى أَنْ يُمَكِّنُوه مِن حَلَب، فامْتَنَع، ورَجَعَ إلى تَرْكِ مُظَاهَرَةِ صَاحِبِها، فامْتَنَع أيضاً[4].

ثُمّ وصَلَتْ/ أيضاً رُسُلُ قُزل[5] أَرْسَلَان صَاحِب أَذْرَبِيجَان، ورُسُلُ شَاه [253 ا]
أرْمَن[6] صَاحِبِ خِلَاط في الصُّلح، ولَم يَتِمّ[7].

وصَارَ أَهلُ سِنجَارَ يعتَرِضُون مَنْ يَقْصِدُه مِن عَسَاكِرِه وأَصْحَابِه، فأَفْرَجَ عنِ

(أ) في س: باب سر. (ب) في س: بينهم. (ج) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) من مفرج الكروب 2: 120.
(2) في الكامل 11: 486: بعض العامة.
(3) الكامل 11: 486.
(4) المصدر نفسه 11: 486 – 487.
(5) في مفرج الكروب 2: 123: قرا.
(6) في الأصول، وبعض المصادر: شاهرمن، والتصويب من الكامل 11: 487، وسوف يجرى تصويبها فيما يلي. وهو: شاه أرمن ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن سكمان القطبي، المتوفى سنة 581 هـ، وفيات الأعيان 5: 206.
(7) الكامل 11: 487.

المَوْصِل، وسَارَ إلَيها وبِها شَرَفُ الدِّين أميرُ أمِيرَان هِنْدُو[ا][1]، أخُو[2] عِزّ الدِّين صَاحِبِ المَوْصِل، في عَسْكَرٍ، وبَعَثَ إلَيه مُجَاهِدُ الدين النَّائِبُ بعَسْكَرٍ آخَرَ مَدَداً، وحَاصَرَها صَلَاحُ الدِّينِ وضَيَّقَ عَلَيها، واسْتَمَالَ بَعْضَ أُمَراءِ الأَكْرادِ الذينَ بها مِنَ الزَّرْزَارِيَّة، فواعَدَه مِن ناحِيتِه، وطَرَقَهُ صَلَاحُ الدِّين لَيلاً[1]، فَمَلَكَهُ البُرْجَ الّذي في نَاحِيَتِه، فاسْتَأمَنَ أميرُ أمِيرَان، وخَرَجَ وَعَسْكَرُه معَهُ إلى المَوْصِل، ومَلَكَ صَلَاحُ الدِّين سِنْجَارَ، ووَلّى عَلَيها سَعْدَ الدِّين [مَسْعُودَ][3] بن مُعِين الدِّين أنَر، الّذِي كَانَ أبُـوه كَافِلَ بَني طُغْتِكِين بدِمَشْق، وصَارَت سِنْجَار [كالسُّورِ][4] عَلَى سَائِرِ البِلَاد الّتي مَلَكَها مِنَ الجَزِيرَة[5].

وسَارَ صَلَاحُ الدِّينِ إلى نَصِيبِين، فَشَكَا إليه أهْلُها مِن أبي الهَيْجَاءِ السَّمِين، فعَزَلَهُ عَنْهم واسْتَصْحَبَهُ مَعَه، وسَارَ إلى حَـرَّانَ في ذِي القَعْدَةِ مِن سَنَةِ ثمَانٍ وسَبْعِين، وفَـرَّقَ عَسَاكِرَهُ لِيَسْتَرِيحُوا، وأقَامَ في خَوَاصِّه وكِبارِ أصْحَابِه[6].

مَسِيرُ شَاهِ أرْمَن صَاحِبِ خِلاطَ لنَجْدَةِ صَاحِبِ المَوْصِلِ

كَانَ عِزُّ الدِّينِ قَد أرْسَلَ إلى شَاهِ أرْمَن يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى صَلَاحِ الدِّين، فبَعَثَ إليه عِدَّةَ رُسُلٍ شَافعاً في أمْرِه فلَم يُشَفِّعْه وغَالَطَه، فبَعَثَ إليه آخِراً مَوْلَاهُ سَيْفَ

(ا) سقط من س.

(1) في الأصول: هند، انظر الكامل 11: 487، مفرج الكروب 2: 123.
(2) في الأصول: وأخو، وانظر الكامل 11: 487، وورد: نائباً عن أخيه عز الدين: في مفرج الكروب 2: 123.
(3) من مفرج الكروب 2: 124.
(4) من الكامل 11: 488.
(5)، (6) المصدر والصفحة.

الدّين بَكْتَمُر، وهُوَ عَلَى سِنْجَارَ يَسْأَلُهُ فِي الإفْرَاجِ عنها، فلم [يُجِبْهُ](أ) إلى ذلك وسَوَّفَه رَجَاءَ أن يَفْتَحَها، فأبْلَغَه بَكْتَمُرُ الوَعِيدَ عَنْ مَوْلَاه، وفَارَقَه مُغَاضِباً ولم يَقْبَلْ صِلَتَه، وأغْرَاهُ بصَلَاحِ الدِّين. فَسَارَ شَاه أَرْمَن [مِن](ب) مُخَيَّمِه بظَاهِرِ خِلَاط إلى مَارِدِين، وصَاحِبُها يومَئذٍ ابنُ أُخْتِه(ج)، وابنُ خَالِ عِزِّ الدِّين وصِهْرُهُ عَلَى بِنْتِه، وهُوَ قُطْبُ الدِّين بنُ نَجْمِ [الدِّين](1) ألْبي، وسَارَ إليهم أتابِكُ عِزِّ الدِّينِ صَاحِب المَوْصِل، وكَانَ صَلَاحُ الدِّين في حَرَّانَ مُنْصَرَفَه مِنْ سِنْجَار، وقَد/ فَرَّقَ عَسَاكِرَه، [253 ب] فَلَمَّا سَمِعَ باجْتِمَاعِهِم اسْتَدْعَى تَقِيَّ الدِّين، ابنَ أخِيه شَاهِنْشَاه، مِنْ حَمَاة، [ورَحَلَ](د) إلى رَأْسِ عَيْن، فافْتَرَقَ القَوْمُ وَعَادَ كُلٌّ إلَى بَلَدِه، وقَصَدَ صَلَاحُ الدِّين مَارِدِين، فأقَامَ عَلَيها عِدَّةَ أيَّامٍ ورَجَع(2).

واقِعَةُ الفِرِنْجِ في بَحْرِ السُّوَيْس

كان البِرِنْسُ أرْنَاط، صَاحِبُ الكَرَك، قَد أَنْشَأَ أُسْطُولاً مُفَصَّلاً، وحَمَلَ أَجْزَاءَه إلى سَاحِلِ أَيْلَة، ورَكَّبَه عَلَى ما تَقْتَضِيهِ صِنَاعَةُ إنْشائِه، وقَذَفَه في السُّوَيْس وشَحَنَه بالمُقَاتِلَة. وأقْلَعُوا في البَحْرِ، فَفِرْقَةٌ أقامُوا عَلَى حصْنِ أَيْلَةَ يُقَاتِلونَه(هـ)، وفِرْقَةٌ سَارُوا نَحوَ عَيْذَاب، وأَغَارُوا عَلَى سَوَاحِلِ الحِجَاز، وأَخَذُوا مَا وَجَدُوا بِها مِن مَراكِبِ

(أ) من س، وفي ظ: يجب. (ب) من س. (ج) في س: أخيه. (د) من س. (هـ) في س: يحاصرونه.

---

(1) من الكامل 11: 489، وينظر الروضتين 3: 142.

(2) في ذي الحجة 578 هـ. الكامل 11: 489، النوادر السلطانية 57 – 58، كنز الدرر 7: 73، نهاية الأرب 28: 397

التُّجّارِ، وطَرَقَ النّاسَ منهم بَلِيَّةٌ لم يَعْرِفُوها، لأنَّه لم يُعْهَدْ ببحْرِ السُّوَيْس إفرنْجيٌّ مُحَارِبٌ ولا تَاجِر(1).

وكان بمِصْرَ المَلِكُ العَادِلُ أبو بَكْرِ بن أيُّوبَ نائِباً عَن أخِيهِ صَلَاحِ الدِّين، فعَمَّرَ أسْطولاً وشَحَنَهُ بالمقَاتِلة، وَسَارَ بهِ حُسامُ الدِّين لُؤلُؤٌ الحاجِبُ صاحِبُ الأساطِيلِ بدِيَارِ مِصْر، فبَدَأ بأسْطُولِ الفِرنْجِ الذي يُحاصِرُ أيْلَةَ فمَزَّقهم كُلَّ مُمَزَّق(2)، وبَعْدَ الظَّفرِ بهم أقلَعَ في طَلَبِ الآخَرِين، وانتهى إلى عَيْذاب فلم يجِدْهم، فَرَجَعَ إلى رَابِغ وأدْرَكَهم بساحِلِ الحَوْرَاء(3)، وكانُوا عَازِمِينَ عَلَى طُرُوقِ الحَرَمَيْنِ واليَمَن، والإغارَةِ عَلَى الحَاجّ، فلَمّا أطَلَّ عَلَيهم لُؤلُؤٌ بأُسْطولِه، أيْقَنوا بالعَطَبِ وتَرَامَوْا إلى الحَوْرَاءِ وسُيِّحُوا إليها، وَاعْتَصَمُوا بشِعَابِها، ونَزَلَ لُؤلُؤٌ مِن مَرَاكِبِه، وجمَعَ خَيْلَ الأعْرابِ هُنَاكَ، وقَاتَلَهم فظَفِرَ بهم، وَقَتَلَ أكْثَرَهم وَأَسَرَ البَاقِينَ، فأرْسَلَ بَعْضَهم إلى مِنًى، فقُتِلوا بها [أيّامَ النَّحْرِ](أ)، وَعَادَ بالبَاقِينَ إلَى مِصْرَ(4).

وَفَاةُ فَرُّخْشَاه

ثُمّ تُوفِّيَ عِزُّ الدِّين فَرُّخْشَاهِ بنُ شَاهِنشَاه، أخُو صَلاحِ الدِّين، النَّائبُ عَنْهُ بدِمَشْق، وكان خَليفَتَهُ في أهْلِه، ووُثُوقُه بِهِ أكْثَرُ مِن جَمِيعِ أصْحابِه، وَخَرَجَ مِنَ

(أ) من س.

---

(1) الكامل 11: 490.

(2) المصدر والصفحة، وفي الروضتين 3: 133: في شوال (578 هـ).

(3) في الكامل 11: 491: الجوزاء، والحوراء: مرفأ سفن مصر إلى المدينة، معجم البلدان 2: 316.

(4) الكامل 11: 491، نهاية الأرب 28: 397 – 39.

دِمَشْقَ غَازِياً الفِرِنْجَ، فَطَرَقَه المَرَضُ وَعَادَ، فتُوفي في جُمَادَى [الأُولَى سنةَ][1] ثمَانٍ وَسَبْعِين، وَبَلَغَ خَبَرُه إِلى صَلَاحِ الدِّين، وَقَدْ عَبَرَ الفُرَاتَ إِلَى الجَزِيرَةِ وَالمَوْصِل، فأَعَادَ شَمْسَ الدِّين مُحَمَّدَ بنَ المقَدَّم إلى دِمَشْقَ وَجَعَلَهُ نائِباً فيها، وَاسْتَمَرَّ لشَأْنِه[2].

اسْتِيلاءُ صَلَاحِ الدِّينِ عَلَى آمِد، وتَسْلِيمُها لصاحِبِ كَيْفَا [254 أ]

قَدْ تَقَدَّمَ لنا مَسِيرُ صَلَاحِ الدِّين إلى مَارِدِينَ وَإِقَامَتِه عَلَيها أَيَّاماً بحَرْزَم[3]، مِنْ نَواحِيها، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْها إلى آمِد، كَما كَانَ العَهْدُ بَيْنَه وَبَيْنَ نُورِ الدِّين [مُحَمَّدٍ][4] صاحِبِ كَيْفَا، فَنَازَلَها مُنْتَصَفَ ذِي الحِجَّة[5]، وبِها بَهَاءُ الدِّينِ بنُ [نَيْسَان][6]، فَحَاصَرَها، وَكَانَت غَايَةً في المَنَعَة، وَأَسَاءَ ابنُ النَّيْسَان التَّدْبِيرَ وَقَبَضَ يَدَه عَنِ العَطَاء، وكَانَ أَهْلُها قد ضَجِرُوا منهُ لسُوءِ سِيرَتِه وتَضْيِيقِه عَلَيهِم في مَكَاسِبِهم، وكَتَبَ إِلَيهم صَلَاحُ الدِّينِ بالتَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ، فتَخَاذَلوا عَن ابن نَيْسَان وتَرَكُوا القِتَال معَه[7].

---

(1) من الكامل 11: 491، وينظر الروضتين 3: 127، وفيات الأعيان 2: 452 – 453.

(2) الكامل 11: 491.

(3) بين ماردين ودُنَيْسِر من أعمال الجزيرة، معجم البلدان 2: 240.

(4) في الأصول: محمود، والتصويب من الكامل 11: 493، وفيات الأعيان 5: 82.

(5) في الكامل 11: 493، الروضتين 3: 145: سابع عشر ذي الحجة 578 هـ، وورد: لثلاث بقين من ذي الحجة في مفرج الكروب 2: 134.

(6) في الأصول: بيسان، والتصويب من الكامل 11: 493، وهو مسعود بن أبي علي بن نيسان، مضمار الحقائق 136.

(7) الكامل 11: 494.

ونَقِبَ السُّورُ مِن خارجٍ، فيَئِسَ ابنُ نَيْسَانَ [وأخرَجَ][أ] نِساءَه إلى القَاضي الفَاضِل يَستَأمِنُ لهُ صَلاحَ الدِّين، ويُؤجِّلُه ثلاثةَ أيّامٍ للرحلة، فأجَابَه صَلاحُ الدِّين، ومَلَكَ البَلَدَ في عاشوراء[1] تِسعٍ وسَبْعِين، وبَنَى خَيمةً بظَاهِرِ البَلَد ينقُلُ إليها ذَخِيرَتَه، فلم يَلتَفِتِ النَّاسُ إلَيْه، وتعَذَّرَ عَلَيه أمْرُه، فبَعَثَ إلَى صَلاحِ الدِّينِ يَسـألُهُ الإعَانَةَ، فأمَرَ لهُ بالدَّوَابِ والرِّجَالِ، فنَقَلَ في الأيَّامِ الثَّلاثةِ كثيراً مِن مَوْجُودِه، ومُنِعَ بعْدَ انقِضَاءِ الأجَلِ مِنْ نقْلِ مَا بَقِي[2].

ولَمَّا مَلَكَهَا صَلاحُ الدِّين سَلَّمَها لنُورِ الدِّين، صاحِب كَيْفا، وأخبَرَ صَلاحُ الدِّين بِمَا فِيها مِنَ الذَّخَائِرِ لينقُلَها لنَفْسِه، فأبَى، وقَالَ: مَا كُنْتُ لأُعْطِيَ الأَصْلَ وأَبْخَلَ بالفَرْعِ، ودَخَلَ نُورُ الدِّينِ البَلَدَ، ودَعَا صَلاحَ الدِّينِ وأُمَرَاءَهُ إلى صَنِيعٍ صَنَعَهُ لهُمْ، وقَدَّمَ لَهم مِنَ التُّحَفِ والهَدَايَا ما يَلِيقُ بِهِم وبِهِ، وعَادَ صَلاحُ الدِّين[3].

اسْتِيلاءُ صَلاحِ الدِّينِ عَلَى تَلِّ خَالِدٍ وعَيْنْتَابِ[4]

ولَمَّا فَرَغَ صَلاحُ الدِّينِ مِن آمِدَ سَارَ إلى أعْمَالِ حَلَب، فحَاصَرَ تَلَّ خَالِد، ونَصَبَ عَلَيهِ المَجَانِيقَ حتَّى تَسلَّمَه بالأمَانِ في مُحَرَّمٍ تِسعٍ وسَبْعِين.

(أ) من س، وفي ظ: وخرج.

(1) في الروضتين 3: 146: في رابع عشر المحرم.

(2) الكامل 11: 494، نهاية الأرب 28: 383.

(3) الكامل 11: 494، مضمار الحقائق 138، وينظر مفرج الكروب 2: 134 – 139.

(4) يرسمها ياقوت: عَيْن تاب. معجم البلدان: 4: 176.

ثُمّ سَارَ إلى عَيْنتاب فَحَاصَرَها، وبِها ناصِرُ الدّينِ مُحَمَّدُ [بنُ خُمارتِكين][1]، أخو الشّيخ إسْماعيل، الّذي كَانَ خَازِنَ نُورِ/ الدّينِ العَادِلِ وصَاحِبَهُ[2]، وهُوَ وَلّاهُ عَلَيها، [فطَلَبَ][أ] مِن صَلَاحِ الدّينِ أن يُقِرّها بِيَدِه، ويَكُونَ في طَاعتِه، فأجَابَه إلى ذَلِك وَحلَفَ لَهُ، وَسَارَ في خِدْمَتِه[3]. [254 ب]

وَغَنِمَ المسْلِمُونَ خِلَالَ ذَلك مَغَانِمَ، فمِنْها في البَحْرِ: سَارَ أُسْطُولُ مِصْرَ[4] فَلَقِيَ في البَحْرِ مَرْكَباً فيه نَحْوُ ثَلَاثِ مائةٍ مِنَ الفِرنْج بالسّلَاحِ وَالأمْوَالِ قَاصِدِينَ الفِرنْجَ[ب] بالشّام، فظَفِروا بهم وغَنِمُوا مَا مَعَهم، وَعَادُوا إلَى مِصْرَ سَالِمِين، وَمِنْها في البَرّ: أغَارَت بالدّارُون[5] جَمَاعَةٌ مِنَ الفرنْج، ولَحِقَهُمُ المسْلِمُونَ بأيْلَة واتّبَعُوهم إلى العُسَيْلَة[6]، وَعَطِشَ المسْلِمُونَ، فَأنْزلَ اللهُ عَلَيهمُ المطَرَ حَتّى رَوُوا، وَقَاتَلُوا الفِرنْجَ فظَفِروا بهم هُنَالِكَ واسْتَلْحَمُوهم، واسْتَاقُوا مَا مَعَهم، وعَادُوا سَالمين إلى مِصْر[7].

اسْتِيلاءُ صَلاحِ الدّينِ عَلَى حَلَبَ وقَلْعَةِ حَارِم[8]

كَانَ المَلِكُ الصّالحُ إسْمَاعِيلُ بنُ نُورِ الدّينِ العَادِلُ صَاحِبُ حَلَب، لم يَبْقَ لَه

(أ) في ظ: وطلب، والتصويب من س. (ب) في س: الافرنج.

(1) من الروضتين 2: 42، مفرج الكروب 2: 139.
(2) في مفرج الكروب 2: 139: وحاجبه.
(3) الكامل 11: 495، نهاية الأرب 28: 384.
(4) في الكامل 11: 495، مفرج الكروب 2: 139: في العاشر من المحرم 579 هـ.
(5) الدارون أو الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، معجم البلدان 2: 424.
(6) في الكامل 11: 496: فنزلوا بماء يقال له العسيلة.
(7) المصدر نفسه والصفحة.
(8) حصن وكورة جبلية تجاه أنطاكية من أعمال حلب. معجم البلدان 2: 205.

مِنَ الشَّامِ غيرُها، وَهُوَ يُدافِعُ صَلَاحَ الدِّين عَنها، فَتُوفِّي مُنتصَفَ سَبْعٍ وسَبْعِين، وعَهِدَ بها لابنِ عَمِّه عِزِّ الدِّين مَسْعُودٍ صَاحِبِ المَوْصِل، وسَارَ عِزُّ الدِّين مَعَ نائبِهِ مُجَاهِدِ الدِّين قَايْمَازَ إليها فَمَلَكَها، ثُمّ طَلَبَها مِنْهُ أَخُوهُ عِمَادُ الدِّين [زَنْكِي بنُ مَوْدُودِ بنِ زَنْكِي][1] صَاحِبُ سِنْجَارَ، عَلَى أَنْ يَأْخُذَ عَنْها سِنْجَار، فَأَجابَه إلى ذلك، وأَخَذَ عِزُّ الدِّينِ سِنْجَارَ، وَعَادَ إلى المَوْصِل[2].

وَسَارَ عِمَادُ الدِّينِ إلى حَلَبَ فَمَلَكَها، وَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى صَلَاحِ الدِّين، وخَشِيَ أَنْ يَسِيرَ مِنْها إلى دِمَشْق، وكان بِمِصْرَ، فَسَارَ إلى الشَّامِ، وسَارَ مِنْها إلى الجَزِيرَة، وَمَلَكَ مَا مَلَكَ مِنْها، وَحَاصَرَ المَوْصِل، ثُمّ حَاصَرَ آمِدَ وَمَلَكَها، ثُمّ سَارَ إلى أَعْمَالِ حَلَبَ كما ذَكَرْنَاهُ، فَمَلَكَ تَلَّ خَالِدٍ وَعَيْنْتَاب، ثُمّ سَارَ إلى حَلَبَ وحَاصَرَها في مُحَرَّمِ[3] تِسْعٍ وسَبْعين، ونَزَلَ بالمَيْدَان الأَخْضَر أياماً، ثُمّ انتَقَلَ إلى جَبَلِ الجَوْشَن(أ)، وأَظْهَرَ البِنَاءَ عَلَيها، وهُوَ يُفَادِيها القِتَالَ ويُرَاوِحُها، وطَالَبَ عِمَادَ الدِّينِ جُنْدُهُ في العَطَاءِ وضَايَقُوه، فَجَنَحَ إلى تَسْلِيمِ حَلَبَ لِصَلَاحِ الدِّين، وَأَرْسَلَ / إليهِ في ذَلِكَ [255أ] الأَمِيرَ طُمَان اليَارُوقِيّ، وكان يَمِيلُ إلى صَلَاحِ الدِّين، فَشَارَطَهُ(ب) عَلَى سِنْجَارَ ونَصِيبِينَ والرَّقَّةِ والخَابُورِ وسَرُوجَ، وَيَنْزِلُ لهُ عن حَلَب، وَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِك، وخَرَجَ عَنها عِمَادُ الدِّينِ ثامِنَ عَشَرَ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ[4] إلى هَذِهِ البِلَاد، وَدَخَلَ صَلَاحُ الدِّينِ

(أ) في س: جوشن. (ب) في س: فشارطوه.

---

(1) الكامل 11: 496.

(2) الكامل 11: 497.

(3) في مفرج الكروب 2: 141: لأربع بقين من المحرم.

(4) في الكامل 11: 497: سنة 579 هـ.

حلَب، بَعْدَ أنْ شَرَطَ عَلَى عِمَادِ الدِّين أنْ يُعَسْكِرَ مَعَه مَتَى دَعَاه، وَلَمَّا خرَجَ عِمَادُ الدِّين إلى صَلَاحِ الدِّين صَنَع لهُ دَعْوةً احْتَفَلَ فِيها وَانْصَرَفَ[1].

وَكَان فِيمَن هَلَكَ في حِصَارِ [حَلَبَ][أ]: تَاجُ المُلُوكِ بُورِي[2]، أخُو صَلَاحِ الدِّينِ الأصْغَر، أصَابَتْه جِرَاحَةٌ فَمَاتَ مِنْها بَعْدَ الصُّلحِ، وَقَبْلَ أنْ يَدْخُلَ صَلَاحُ الدِّينِ البَلَدَ[3].

وَلَمَّا مَلَكَ صَلَاحُ الدِّين حَلَب سَارَ إلَى قَلْعَةِ حَارِم، مِن أعْمَالِهَا، وَبِها الأمِيرُ سَرَخَك، مِن مَوالِي نُور الدِّين العَادِل، وَلَّاه عَلَيها ابنُهُ المَلِكُ الصَّالِح، فحَاصَرَهُ صَلَاحُ الدِّين ووَعَدَه، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهم، وهُوَ يَمْتَنِعُ، وقَد رَاسَلَ[ب] الفِرنْجَ يَدْعُوهم لِلإنْجَادِ، وَسَمِعَ بِذَلِكَ الجُنْدُ الذِين مَعَهُ، فَوَثَبُوا بِهِ وحَبَسُوه، واسْتَأْمَنُوا إلى صَلاحِ الدِّين، فَمَلَكَ الحِصْنَ، وَوَلَّى عَلَيْهِ بَعْضَ خَوَاصِّه[4].

وَأقطَعَ تَلَّ خَالِدٍ لِبَارُومَ اليَارُوقِيِّ، صَاحِبِ تَلِّ بَاشِر[5].

وأمَّا قَلْعَةُ عَـزَازَ فَـإنَّ عِمَادَ الدِّينِ إسْمَاعِيلَ كَانَ خَرَّبَها، فأقْطَعَهَا صَلَاحُ الدِّين[ج] لِسُلَيْمَانَ بنِ جَنْدَر[6].

(أ) من س، وفي ظ: الحلب. (ب) في س: أرسل. (ج) في س: إسماعيل.

---

(1) الكامل 11: 498.

(2) توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر. وفيات الأعيان 1: 292.

(3) الكامل 11: 498.

(4) الكامل 11: 499، مفرج الكروب 2: 146 - 147.

(5) الكامل 11: 499.

(6) يقال له دلدرم سليمان بن جندر. الكامل 11: 499.

وَأقَـامَ بحَـلَبَ إلى أنْ قَـضَى جَمِيـعَ أشْـغَالِها، وأقْطَـعَ أعْمَالَهـا، وَسَــارَ إلى دِمَشْقَ[1].

غَزْوَةُ بَيْسَــان

وَلَمَّا فَرغَ صَلَاحُ الدِّينِ مِنْ أمْرِ حَلَبَ وَلَّى عَلَيْها ابْنَهُ الظَّاهِرَ غَـازِي، ومَعَـهُ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ يَازْكُوجُ[2] كَافِلاً لَهُ لِصِغَرِه، وهُـوَ أكْبَرُ الأُمَـرَاءِ الأَسَـدِيَّة[3].

وَسَارَ إلى دِمَشْقَ فتَجَهَّزَ للغَزْوِ، وجَمَعَ عَسَاكِرَ الشَّامِ وَالجَزِيرَةِ وَدِيَارِ بَكْرٍ وقَصَدَ بِلَادَ الفِرَنْجِ، فعَبَرَ الأرْدُنَّ مُنْتَصَفَ[4] تِسْعٍ وَسَبْعِين. وأجْفَلَ أهْلُ تِلْكَ الأعْمَالِ أمَامَه، فقَصَدَ بَيْسَانَ وَخَرَّبَها وأحْرَقَها، وأغَارَ عَلَى نَواحِيها، واجْتَمَعَ الفِرَنْجُ [لَهُ][أ]، فلَمَّا رَأوْهُ خَامُوا عَنْ لِقَائه، واسْتَنَدُوا إلى جَبَلٍ وخَنْدَقُوا عَلَيهم، وأقَامَ يُحَاصِرُهم خَمْسَةَ أيَّامٍ، وَيَسْتَدْرِجُهم للنُّزُولِ، فلم يَفْعَلُوا، فَرَجَعَ المسْلِمُونَ عَنْهم، وأغَارُوا عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي، وامْتَلَأتْ أيْدِيهم بالغَنَائمِ[ب]، وعَادُوا إلَى بِلَادِهم[5].

(أ) من س.   (ب) في س: من الغنائم.

---

(1) في مفرج الكروب 2: 148: يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر 579 هـ. وينظر الكامل 11: 499، 501.

(2) في الأصول: تاركج، في الكامل 11: 501: يازكج، والتصويب من وفيات الأعيان 7: 170، مفرج الكروب 2: 147.

(3) الكامل 11: 501.

(4) في المصدر نفسه 11: 501: تاسع جمادى الآخرة.

(5) الكامل 11: 502، مفرج الكروب 2: 148 - 151.

/ غَزْوُ الكَرَكِ، وولايةُ العَادِلِ عَلى حَلَبَ [255 ب]

ولمّا عادَ صَلَاحُ الدِّينِ مِن غَزْوَةِ بَيْسَانَ، تَجَهَّزَ لغَزْوِ الكَرَكِ، وسَارَ في العَسَاكِرِ[1]، واسْتَدْعَى أخَاه العَادِلَ أبا بَكْرِ بنَ أيُّوبَ مِن مِصْرَ، وهُوَ نَائِبُها، ليَلْحَقَ بهِ عَلَى الكَرَكِ، وكان قد سَأَلَهُ في وِلَايَةِ حَلَبَ وقَلْعَتِها، فأجَابَهُ إلى ذَلك، وأمَرَهُ أنْ يَجِيءَ بأَهْلِهِ وَمَالِه، فَوَافَاهُ عَلَى الكَرَكِ، وَحَاصَرُوهُ أيَّاماً ومَلَكُوا رَبَضَه، ونَصَبُوا عَلَيهِ المَجَانِيقَ، ولَمْ يَكُنْ بَالَغَ في الاسْتِعْدَادِ لِحِصَارِه، لِظَنِّه أنَّ الفِرنْجَ يُدَافِعُونَ عَنْه، فأَفْرَجَ عَنْهُ مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ[2].

وبَعَثَ تَقِيُّ الدِّينِ [عُمَرُ][3] ابنَ أخِيه شَاهِنشَاهِ عَلَى نِيَابَةِ مِصْرَ مَكَانَ أخِيهِ العَادِلِ، واسْتَصْحَبَ العَادِلَ مَعَهُ إلى دِمَشْقَ، فوَلَّاه مَدِينَةَ حَلَبَ بقَلْعَتِها وأَعْمَالِها، وَمَدِينَةَ مَنْبِجَ وَمَا إلَيها، وَبَعَثَهُ لذَلِكَ في شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَة، [وَاسْتَدْعَى](ا) وَلَدَهُ الظَّاهِرَ غَازِيَ مِن حَلَبَ إلى دِمَشْقَ[4].

ثُمَّ سَارَ في رَبِيعٍ الآخِرِ[5] سَنَةَ ثَمَانِينَ لحِصَارِ الكَرَكِ، بعْدَ أن جَمَعَ العَسَاكِرَ، واسْتَدْعَى نُورَ الدِّينِ صاحِبَ كَيْفَا وعَسَاكِرَ مِصْر، واسْتَعَدَّ لحِصَارِه، ونَصَبَ

(ا) من س، وفي ظ: واستدعاه.

---

(1) وصل صلاح الدين إلى الكَرَك في رجب 579 هـ. الكامل 11: 502.

(2) الكامل 11: 502.

(3) من مضمار الحقائق 154.

(4) الكامل 11: 502.

(5) سار السلطان إلى الكرك ونازلها..... لأربع عشرة ليلة مضت من جمادى الأولى. مفرج الكروب 2: 157.

المَجانِيقَ عَلَى رَبَضِه، فَمَلَكَه المسلمون، وبَقِيَ الحِصْنُ وَرَاءَ خَنْدَقٍ بَيْنَهُ وبيْنَ الرَّبَض عُمْقُه سِتُّون ذِرَاعًا، ورَامُوا طَمَّهُ فَنَضَحُوهم بالسِّهَام، ورَمَوْهُم بالحِجَارة، فأمَرَ بِرَفْعِ السَّقْفِ لتَمْشِيَ المُقَاتِلَةُ تَحْتَها(أ) إلى الخَنْدَقِ، وأرْسَلَ أهْلُ الحِصْنِ إلى مَلِكِهِم يَسْتَمِدُّونَهُ ويُخْبِرُونَهُ(ب) بِمَا نَزَلَ بِهِم، فاجْتَمَعَ الفِرَنْجُ وأوْعَبُوا وسَارُوا إلَيْهِم، فرَحَلَ صَلاحُ الدِّين لِلِقَائِهِم، حَتَّى انْتَهى إلى حُزُونَةٍ [مِنَ](ج) الأرْضِ، فأقَام يَنْتَظِرُ خُرُوجَهم إلى البَسِيطِ، فخَامُوا عَن ذَلِك، فتأخَّرَ عَنْهم فَرَاسِخ، فأسْرَوْا إلى الكَرَك(1).

وَعَلِمَ صَلاحُ الدِّينِ أنَّ الكَرَكَ قَدِ امْتَنَعَ بِهَؤلاءِ، فتَرَكَهُ، وَسَارَ إلى نَابُلُس، فَخَرَّبَها وحَرَّقَها، وسَارَ إلى سَبَسْطِيَة، وبِها مَشْهَدُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلام، فاسْتَنْقَذَ مَنْ وَجَدَ بِها مِنْ [أسْرَى](د) المسْلِمِينَ، ورَحَلَ إلى جِينِين، فنَهَبَهَا وخَرَّبَهَا، وَسَارَ إلى دِمَشْق بعْدَ أنْ بَثَّ السَّرَايا في كُلِّ نَاحِيَة، ونَهَبَ كُلَّ مَا مَرَّ بِه، وامتَلأتِ الأيْدِي مِنَ المغَانِم(هـ)، وعادَ إلى دِمَشْقَ مُظَفَّرًا(2).

/ حِصَارُ صَلاحِ الدِّينِ المَوْصِلَ [256 أ]

ثُمَّ سَارَ صَلاحُ الدِّين مِن دِمَشْقَ إلى الجَزِيرَةِ في ذِي القَعْدَة مِن سَنَة

(أ) في س: عليه تحتها. (ب) في ظ: يستمدونهم ويخبرونهم، والتصويب من س. (ج) من س. (د) من س، وفي ظ: أمرا. (هـ) في س: الغنائم.

(1) الكامل 11: 506.

(2) المصدر نفسه والصفحة، مفرج الكروب 2: 158 - 159.

ثمانين[1]، وعبَرَ الفرَاتَ، وكان مُظَفَّـرُ الدِّين كُوكبُوري بنُ[ا] عَلِيّ كُجُك يَسْتَحِثُّه للمَسِيرِ في كُلِّ وقتٍ، ورُبَّمَا وَعَدَه بِخَمْسِينَ ألفَ دِينارٍ إذا وَصَل. فلَمَّا وصَلَ إلى حَرَّانَ لم يَفِ لهُ بذَلِكَ، فقَبَضَ عَلَيْه، ثُمَّ خَشِيَ نَكِيرَ أَهْلِ الجَزِيرَة، فأَطْلَقَهُ وأعادَ إلَيه حَرَّانَ والرُّها[2].

وَسَارَ في رَبِيعٍ الأَوَّل، ولَقِيَهُ نُورُ الدِّينِ صَاحِبُ كَيْفَا، ومُعِزُّ الدِّين سَنْجِر شَاه صَاحِبُ جَزِيرَةِ ابنِ عُمَرَ وقدِ انْحَرَفَ عَن عَمِّه عِزِّ الدِّين صَاحِب المَوْصِلِ بَعْدَ نَكْبَةِ مُجَاهِدِ الدِّين نَائِبِه، وسَارُوا كُلُّهم مَعَ صَلَاحِ الدِّينِ إلى المَوْصِل، وانْتَهَوْا إلى مَدِينَة بَلَد، فلَقِيَهُ هُنَالكَ: أُمُّ عِزِّ الدِّين، وابنَةُ عَمِّه نُورِ الدِّين [مَحْمُود بن زَنْكِي][3]، وجَمَاعَةٌ مِن أَهْلِ بَيْتِه، يَسْأَلْنَه في الصُّلْحِ، ظَنّاً بأنَّه لا يَرُدُّهُن، وسِيَّمَا بنتُ نورِ الدِّين[4].

وَاسْتَشَارَ صَلَاحُ الدِّين أَصْحَابَه، فَأَشَارَ الفَقِيهُ عِيسَى، وعَلِيُّ بنُ أَحْمَد المَشْطُوبُ بِرَدِّهِن، وَسَارُوا إلى المَوْصِل وقَاتَلُوهَا، واسْتَمَاتَ أَهْلُهَا، وامْتَعَضُوا لِرَدِّ النِّسَاء، فَامْتَنَعَتْ عَلَيهِم، وعَادَ عَلَى أَصْحَابِه باللَّومِ في إِشَارَتِهم[5].

وَجَاءَ زَيْنُ الدِّين يُوسُف، صَاحِبُ إِرْبِل، وأَخُوهُ مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكبُورِي، فأَنْزَلَهمَا بالجَانِبِ الشَّرقِيّ [مِنَ المَوْصِل][6].

(ا) سقط من س.

---

(1) توصل إلى حلب، وأقام بها إلى أن خرجت السنة. الكامل 11: 511.

(2) الكامل 11: 511.

(3) من الكامل 11: 512.

(4) في الكامل 11: 512: ابنة مخدومه وولي نعمته.

(5)، (6) المصدر نفسه والصفحة.

وَبَعَثَ عَلِيَّ بنَ أَحْمَدَ المَشْطُوبَ الهَكَّارِيَّ إِلى قَلْعَةِ [الجُدَيْدَةِ][1] لِيُحاصِرَها، فاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الأَكْرادُ الهَكَّارِيَّةُ إِلى أَنْ عادَ صَلاحُ الدِّينِ عَنِ المَوْصِلِ[2].

وبَلَغَ عِزَّ الدِّينِ أَنَّ نائِبَهُ بالقَلْعَةِ [زَلْفَنْدار][3] يُكاتِبُ صَلاحَ الدِّينِ، فَمَنَعَهُ مِنْها، وانْحَرَفَ عَنْه إِلى الاقْتِداءِ بِرَأْيِ مُجاهِدِ الدِّينِ وَيَصْدُرُ عَنْه[4].

ثُمَّ بَلَغَهُ خَبَرُ وَفاةِ شاهِ أَرْمَن صاحِبِ خِلاطَ مُنْتَصَفَ[5] رَبيعٍ الآخِرِ مِن سَنَةِ إِحْدَى وثَمانِينَ، وأَنَّ مَوْلاهُ بَكْتَمُرَ اسْتَوْلَى عَلَى خِلاطَ، فَطَمِعَ صَلاحُ الدِّينِ في مُلْكِها، وَأَنَّه يَسْتَعِينُ بِها عَلَى أُمُورِه، ثُمَّ جاءَتْه كُتُبُ أَهْلِها يَسْتَدْعُونَه، فَسارَ عَنِ المَوْصِلِ إِلَيها[6].

وكانَ أَهْلُ خِلاطَ إِنَّما كاتَبُوهُ مَكْراً، لأَنَّ شَمْسَ الدِّينِ البَهْلَوانَ [مُحَمَّدَ][7] بنَ إِيلْدِكِز، صاحِبِ أَذْرَبِيجانَ وهَمَذانَ[8]، قَصَدَهُ لِيَتَمَلَّكَهم بَعْدَ أَنْ كانَ زَوَّجَ ابْنَتَه مِن شاهِ أَرْمَن عَلَى / كِبَرِه، وجَعَلَ ذَلِكَ ذَرِيعَةً إِلى مُلْكِ خِلاطَ، فلَمَّا سارَ إِلَيهم كاتَبوا [256 ب]

---

(1) في الأصول والكامل 11: 512: الجزيرة، وينظر معجم البلدان 2: 115 بين نصيبين والموصل حصنية متّصلة بأعمال حصن كيفا.

(2) الكامل 11: 513.

(3) في الأصول: زلقندار، والتصويب من الكامل 11: 513.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

(5) توفي شاه أرمن تاسع ربيع الآخر، فوصل الخبر بوفاته في العشرين منه، الكامل 11: 513، وينظر الروضتين 3: 231.

(6) الكامل 11: 514، وفي الروضتين 3: 231: في أواخر شهر ربيع الآخر.

(7) من مفرج الكروب 2: 168.

(8) معجم البلدان 5: 410.

صَلَاحَ الدّين، وَدَافعُوا كُلاً مِنهُمَا بالآخر، فسَارَ صَلاحُ الدّين، وفي مُقدّمَتِه ناصِرُ الدّينِ مُحَمّدُ بنُ شيركوه، ومُظَفّرُ الدّينِ صَاحِبُ إربلَ، وغيرُهما، فتقدّمُوا إلى خِلَاط، ونزَلَ صَلاحُ الدّين عَلى مَيّافارِقين، وجَاءَ البَهْلَوانُ صَاحِبُ أَذْرَبيجَانَ فنزَلَ قريباً مِن خِلَاط، وتَرَدَّدَتْ رُسُلُ أَهْلِ خِلَاطَ بَينَهُ وبَيْنَ البَهْلَوانِ وصَلاحِ الدّين، ثُمّ خطَبوا للبَهْلَوان[1].

استيلاءُ صَلاحِ الدّينِ عَلى مَيّافارِقين

ولَمّا خَطَبَ أهْلُ خِلَاطِ للبَهْلَوان، وصَلَاحُ الدّينِ عَلَى مَيّافارِقين، وكَانَت لقُطْبِ الدّين[2] صَاحِبِ مَارِدين، فتُوفّيَ، ومَلَكَ بَعْدَه ابنُهُ طِفْلاً صَغيراً، ورَدَّ أمْرَهَا إلى شَاهِ أَرْمَن صَاحِبِ خِلَاط، وأنزَلَ بِها عَسْكَرَه، فطَمِعَ فيها صَلاحُ الدّين، بعْدَ وفاةِ شَاهِ أرْمَن، وَحَاصَرَها مِنْ أول جُمَادَى [الأولَى][3] [سَنَةَ] إحْدَى وثَمَانِين، وعَلَى أجْنادِها الأميرُ أسَدُ الدّين يَرْنَقْش، فأحْسَنَ الدّفاع. وكان بالبَلَدِ زَوْجَةُ قُطْبِ الدّينِ صَاحِبِ مَارِدين المتَوَفّى، ومَعَها بنَاتُها مِنه، وهيَ أُخْتُ نُورِ الدّين [مُحَمّدٍ][4] صاحِبِ كَيْفَا، فرَاسَلَها صَلاحُ الدّين بأنّ يَرْنَقْش قَدْ مَالَ إلينا في تَسْليمِ البَلَد، ونَحْن نَرْعَى حَقَّ أخِيكِ نُورِ الدّين، فأُزَوّجُ بنَاتِكِ مِن أبْنَائي، ويَكُونُ البَلَدُ لَكِ، ووَضَعَ

(1) الكامل 11: 514.

(2) هو إيلغازي بن ألبي، توفي سنة 580 هـ. الكامل 11:508.

(3) من الكامل 11: 515، ونهاية الأرب 28: 387.

(4) من الكامل 11: 515.

عَلَى بَرْنَقْش مَنْ أَخْبَرَهُ بِأَنَّ الخَاتُونَ قد مَالَت إلى صَلَاحِ الدِّين، وأَنَّ أَهْلَ خِلَاط كَاتَبُوه، وكان خَبَرَ أَهْلِ خِلَاطَ صَحِيحاً، فسُقِطَ في يَدِهِ، وَبَعَثَ في التَّسْلِيم عَلَى شُرُوطٍ اشْتَرَطَهَا مِن إقْطَاعٍ ومَالٍ، وسَلَّمَ البَلَدَ، فمَلَكَهَا صَلَاحُ الدِّين[1]، وعَقَدَ النِّكَاحَ لبَعْضِ وَلَدِهِ عَلَى بَعْضِ بنَاتِ خَاتُون[2]، وأَنْزَلَها وبنَاتِها بقَلْعَةِ هَتَاخ[3].

وَعَادَ إلى المَوْصِل، ومَرَّ بنَصِيبِين، وانتَهَى إلى كَفْرِ زَمَّار، واعتَزَم عَلَى أن يَشْتُوا بِه، ويُقْطِعَ جَمِيعَ ضِيَاعِ [المَوْصِل][أ] ويَجْبِيَ أعْمَالَهَا ويَكْتَسِحَ غَلَّاتِها[4].

وَجَنَحَ مُجَاهِدُ الدِّين [قَايْمَاز][5] إلى مُصَالَحتِه، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ في ذَلِك عَلَى أن يُسَلِّمَ إليه عِزُّ الدِّين: شَهْرَزُورَ وأَعْمَالَها، وولايةَ القَرَابِلِي، وَسَائِرَ ما وَرَاءَ الزَّاب مِنَ الأَعْمَال، [وأَنْ يَخْطُبَ لهُ عَلَى مَنَابِرِ بِلَادِه، ويَضْرِبَ اسْمَهُ عَلَى السِّكَّةِ][6].

ثُمَّ طَرَقَه المَرَضُ، فَعَادَ[7] إلى حَرَّان، وأَدْرَكَه الرُّسُلُ بالإجَابَةِ إلى مَا

(أ) من س.

---

(1) في التاسع والعشرين من جمادى الأولى (581 هـ). النوادر السلطانية 69.

(2) زوج السلطان ابنه معز الدين إسحاق بإحدى كرائمها. الروضتين 3: 234، وينظر مفرج الكروب 2: 170.

(3) في الأصول: هفتاخ، وهتاخ: قلعة حصينة بديار بكر قرب ميافارقين، والتصويب من معجم البلدان 5: 392، وينظر مفرج الكروب 2: 170.

(4) الكامل 11: 517.

(5) من وفيات الأعيان 4: 82.

(6) من الكامل 11: 517 لاستكمال النص.

(7) رحل في مستهل شوال (581 هـ). النوادر السلطانية 70، قبل عيد الفطر بيوم. الروضتين 3: 235.

/ طَلَب، فانعَقَدَ هُنالك، وتَحالَفوا وتَسَلَّمَ البِلادَ. وَطَالَ مَرَضُهُ بِحَرّان، وكَانَ عِنْدَه [257 أ] أخُوه العَادِلُ، وبِيَدِه حَلَبُ، وبِها[1] المَلِكُ العَزِيزُ عُثْمَانُ بنُ صَلاحِ الدِّين.

وَاشْتَدَّ بهِ المَرضُ، فقَسَّمَ البِلادَ بَيْنَ أولادِه، وَأوصَى أخَاه العَادِلَ عَلَى الجميع[2].

وَعَادَ إلى دِمَشْقَ في مُحَرَّمِ اثنَتَيْنِ وثَمانين، وكَان عِنْدَه بِحَرّانَ ناصِرُ الدِّين مُحَمَّدٌ ابنُ عَمِّه شِيرَكُوه، ومِن إقْطَاعِه حِمْص والرَّحْبة، فعَادَ قَبْلَه إلى حِمْص ومرَّ بحَلَب، وصَانَعَ جَمَاعةً مِن أحْدَاثِها عَلَى أن يَقُومُوا بدَعْوتِه إنْ حَدَثَ بصَلَاحِ الدِّين أمْرٌ، وبَلَغَ إلى حِمْص، فبعَثَ إلى أهْلِ دِمَشْقَ بمِثْلِ ذَلك. وأفَاقَ صَلَاحُ الدِّين مِن مَرَضِه، ومَاتَ ناصِرُ الدِّين لَيْلَةَ الأَضْحى[3]، ويُقَال: دَسَّ عَلَيه مَنْ سَمَّه، ووَرِثَ أعمَالَه ابنُه شِيرَكُوه، وهُوَ [ابنُ](أ) اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنة[4].

قِسْمَةُ صَلاحِ الدِّينِ الأَعْمَالَ بَيْنَ وُلْدِهِ وأخِيه

كَانَ ابنُه العَزِيزُ عُثْمانُ بحَلَبَ في كَفَالَةِ أخِيه العَادِل، وابنُهُ الأكْبَرُ الأفْضَلُ عَلِيٌّ بمِصْرَ في كَفَالَة تَقِيِّ الدِّين عُمَرَ ابنِ أخِيه شَاهِنشَاه، بعَثَهُ إليها عِنْدَمَا اسْتَدْعَى

(أ) من س.

---

(1) في الكامل 11: 517: وولده.

(2) الكامل 11: 517.

(3) وذلك أنه شرب خمراً وأكثر منه، فأصبح ميتاً. مفرج الكروب 2: 174.

(4) الكامل 11: 518، وينظر مفرج الكروب 2: 174.

العَادِلَ منها، كَما مَرَّ، فلَمَّا مَرِض بحرَّان أسِفَ عَلَى كَوْنِهِ لم يُوَلِّ أحدًا مِن [أوْلَادِهِ][أ] استِقْلَالاً، وَسَعَى إِلَيه بذَلك بَعْضُ بِطانَتِه، فَبَعَثَ ابنَهُ العَزِيزَ عُثْمَان إلى مِصْرَ في كَفَالة أخِيه العَادِل، كما كان بحَلَب، ثُمّ أَقْطَعَ العَادِل حرَّان والرُّهَا وَميّافَارِقِين مِن بِلادِ الجزيرَة، وتَرَكَ عُثمانَ ابنَهُ بِمِصْرَ[1].

ثُمّ بَعَثَ عَنِ ابنِهِ الأفضَل وتَقِيِّ الدِّين ابنِ أخِيه، فامْتَنَعَ تَقِيُّ الدِّين مِنَ الحُضُورِ وَاعْتَزَمَ عَلَى المسِيرِ إلى المغرِب واللَّحَاق بمَوْلاهُ قَرَاقُوش في وِلَايتِه الّتي حَصَلَتْ لهُ بِطَرَابُلُس والجَرِيد مِن إفرِيقيَّة، فَرَاسَلَهُ صَلَاحُ الدِّين ولاطَفَه، ولمّا وَصَلَ أَقْطَعَهُ حَمَاةَ ومَنْبِجَ والمعَرَّةَ وكَفَرطَابَ وجَبَلَ جُور[2] وسَائِرَ أعْمَالِهَا، وقيل: إنَّ تَقِيَّ الدِّين لَمَّا أُرْجِفَ بمَرَضِ صَلَاحِ الدِّين ومَوْتِه، تَحَرَّكَ في طَلَبِ الأَمْرِ لنفسِه، وَبَلَغَ ذَلكَ صَلَاحَ الدِّين، فأرْسَلَ الفَقِيه عِيسَى الهَكَّارِيَّ، وكان مُطَاعاً فِيهم، وأَمَرَ بإخْرَاجِ تَقِيّ الدِّين مِن مِصْرَ والمقَام بها، فسَارَ ودَخَلَها عَلَى حِينِ غَفْلَة، وأمَرَ تَقِيُّ الدِّين بالخُرُوج ولم يُمهِلْه، فأقَامَ خَارجَ البَلَد، وتَجَهَّزَ للمَغرِب، فَرَاسَلَه / صَلَاحُ الدِّين، إلى [257 ب] آخِرِ الخَبَرِ[3].

(أ) من س، وفي ظ: من ولده.

---

(1) الكامل 11: 523.

(2) كورة كبيرة من نواحي أرمينيّة، متصلة بديار بكر، معجم البلدان 2: 102.

(3) الكامل 11: 524، مفرج الكروب 2: 180 – 182.

اتفاقُ القُمُّص صاحب طرابُلس مع صلاح الدين ومُنابذة البرنس صاحب الكرك له وحصارُه إياه، والإغارةُ على عكا

كَانَ القُمُّصُ صَاحِبُ طَرَابُلُس، وهُوَ رِيمُنْدُ[1] بنُ رِيمُنْد بنِ صَنجِيل، تَزَوَّجَ بالقُومَصَةِ[2] صَاحِبَةِ طَبَرِيَّة، وَانتَقَلَ إليها فأقام عِندَها، ومَاتَ مَلِكُ الفِرنْجِ بالشَّام، وكان مَجذُوماً[3]، كَما مَرَّ، وَأَوصَى بالمُلْكِ لابنِ أُختِهِ[4] صَغِيراً[5]، فكَفَلَه هذا القُمُّص، وقَام بتَدبِيرِ مُلكِه لِعِظَمِه فيهم، وطَمِعَ أن تَكُونَ كَفالَتُه ذَرِيعةً إلى المُلْك، ثُمَّ مَاتَ الصَّغِيرُ، فانتَقَلَ المُلْكُ إلى أُمِّه، وَيَئِسَ القُمُّصُ رِيمُنْدُ مِمَّا كَانَ يُحَدِّثُ به نفسَه، ثُمَّ إنَّ المَلِكَةَ تَزَوَّجَتْ بزَعِيمٍ[6] مِنَ الفِرنْجِ القَادِمِينَ مِنَ المغرب، [وتوَّجَتْه](أ) وَأَحضَرَتِ البَطْرَكَ والقُسُوسَ والرُّهبانَ والإسْبِتَارِيَّةَ والدَّاوِيَّةَ والبَارُونِيَّة، وَأَشهَدَتْهم [خُرُوجَها](ب) لَهُ عنِ المُلْك[7].

ثُمَّ طُولِبَ القُمُّصُ بالجِبَايَةِ أيَّامَ كَفَالَتِه للصَّبِيِّ، فأَنِفَ وغَضِبَ، وجَاهَرَ بالشِّقَاقِ لهم، وَرَاسَلَ صَلَاحَ الدِّين، وسَارَ إلى وِلايَتِه، وحَلَفَ لهُ عَلَى نَصْرِه مِنْ

(أ) من س، وفي ظ: وتروجته. (ب) من س، وفي ظ: خروجه.

---

(1) هو ريموند الثالث.

(2) هي إيشيفا بورز.

(3) هي سبيلاً Sibylla ملكة بيت المقدس.

(4) هو جاى لوزنجيان، ينظر تاريخ الحروب الصليبية 2: 663، 716، 721.

(5) هو بلدوين الرابع Baldwin IV.

(6) هو بلدوين الخامس Baldwin V، ينظر تاريخ الحروب الصليبية 2: 710، 721.

(7) الكامل 11: 526 – 527.

أهلِ مِلَّتِه، وأطْلَقَ لهُ صَلاحُ الدّينِ جَماعَةً مِن زُعَماءِ النّصارَى، كانُوا أسْرَى عِنْدَه، فازْدادَ [غِبْطَةً][أ] بمُظاهَرَتِه، وكَان ذلكَ ذَرِيعَةً لفَتْحِ بِلادِهم وارْتِجاعِ القُدْسِ مِنهم، وبَثَّ صَلاحُ الدّينِ السَّرَايا مِن ناحِيَةِ طَبَرِيَّةَ في سَائِرِ بِلادِ الفِرنْجِ، فاكْتَسَحُوها وَعَادُوا غَانِمِين، وَذلكَ كُلُّه سَنَةَ اثنَتَيْنِ وثَمانِين[1].

وكان البِرِنْسُ أَرْنَاط صَاحِبُ الكَرَكِ مِن أعظَمِ الفِرنْجِ مَكْراً وأَشَدِّهم ضَرَراً، وكان صَلاحُ الدّينِ قد سَلَّطَ [الغَارَةَ][ب] والحِصَارَ عَلَى بَلَدِه حَتى سَأَلَ في الصُّلحِ فأَجَابَه، وَصَلَحَتِ السَّابِلَةُ بينَ الأُمَّتَيْنِ[2].

ثُمَّ مَرَّتْ بهِ[ج] في هَذه السَّنَةِ قَافِلَةٌ كَثِيرةُ التُّجّارِ والجُنْدِ، [فغَدَرَ بِهم][د] وأَسَرَهم وأَخَذَ مَا مَعَهم، وبعَثَ إليه صَلاحُ الدّين، فأَصَرَّ عَلَى غَدْرَتِه، فنَذَرَ أنَّه يَقْتُلُه إنْ ظَفِرَ بِه[3].

وَاسْتَنْفَرَ النَّاسَ للجِهَادِ مِن سَائِرِ الأَعْمالِ مِنَ المَوْصِلِ والجَزِيرَةِ وإرْبِلَ ومِصْرَ والشَّامِ، وخَرَجَ مِن دِمَشْقَ في مُحَرَّمٍ ثَلاثٍ وثَمانِين، وانتَهَى إلى رَأسِ الماءِ، وبَلَغَهُ [258 أ] أنَّ البِرِنْسَ صَاحِبَ الكَرَكِ يُرِيدُ أنْ يَعْتَرِضَ الحَاجَّ مِنَ الشَّامِ، •وكان[هـ] / مَعَهمُ

(أ) من س، وفي ظ: غبطه. (ب) من س، وفي ظ: الغار. (ج) في س: ثم سارت. (د) من س، وفي ظ: فغدرتهم.
(هـ) وترك الساكر، وعليها شطب.

(1) الكامل 11: 527، وينظر مفرج الكروب 2: 184 – 185.
(2) الكامل 11: 528، وينظر الروضتين 3: 274.
(3) المصدران السابقان.

ابنُ أخيه[1] محمدُ بنُ [عُمَرَ بن][2] لاجِينَ وغيرُه*[3](أ) فترَكَ العساكرَ مع ابنِهِ الأفضلِ عليٍّ، وسارَ إلى بُصرى، وسمِعَ البرنسُ بمسيرِه فأحجَمَ عنِ الخروجِ، ووَصَلَ الحاجُّ سالِمين[4].

وسارَ صلاحُ الدّينِ إلى الكَرَكِ، وبثَّ السَّرايا في أعمالِها وأعمالِ الشَّوبَكِ فاكتَسَحُوها، والبرنسُ محصورٌ بالكَرَكِ، وقد عجزَ الفرنجُ عن امدادِه لمكانِ العساكرِ مع الأفضلِ بنِ صلاحِ الدّينِ[5].

ثُمّ بعثَ صلاحُ الدّينِ إلى ابنِهِ الأفضلِ يأمُرُه بارسالِ بعثٍ إلى عكّا ليكتسِحُوا نَواحِيَها، فبعثَ مُظفَّرَ الدّينِ كُوكبُوري صاحبَ حرّانَ والرُّها، وقايمازَ النَّجميَّ ودارُومَ[6] اليارُوقي، وساروا في أواخرِ صفرٍ فصبَّحُوا صَفُّورِيَةَ[7] وبها جمعٌ من الدّاويّةِ والإسبتاريّةِ، فبرَزُوا إليهم، وكانت بينهم حربٌ شديدةٌ تولّى اللهُ فيها النّصرَ للمُسلمين، وانهزَمَ الفرنجُ، وقُتِلَ مُقدَّمُهم[8]، وامتلأت أيدي المسلمين من

(أ) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) هو ابن أخت صلاح الدين. الكامل 11: 530.

(2) إضافة للتوضيح من الروضتين 3: 276.

(3) ووالدته أخت السلطان مع جملة من الخواص. الروضتين 3: 276.

(4) الكامل 11: 530.

(5) المصدر نفسه 11: 530.

(6) في الكامل 11: 530: دلدرم، وفي مفرج الكروب 2: 187: بدر الدين دلدرم بن ياروق صاحب تل باشر، وينظر ما سبق.

(7) بلدة قرب طبرية، معجم البلدان 3: 414.

(8) مقدم الإسبتارية. الكامل 11: 531، وينظر مفرج الكروب 2: 187.

الغَنَائِم، وانقَلَبوا ظَافِرِين. ومَرُّوا بطَبَرِيَّةَ وبها القُمُّصُ فلم يَهْجُهم لِمَا تَقَدَّم بَيْنَهُ وبَيْنَ صَلَاحِ الدِّينِ مِنَ الوَلَايَة، وعَظُمَ هَذَا الفَتْحُ، وسَارَ البَشِيرُ بِهِ فِي البِلَادِ[1].

هَزِيمَةُ الفِرِنْج، وفَتحُ طَبَرِيَّةَ ثُمَّ عَكَّا

ولَمَّا انْهَزَمَ الدَّاوِيَّةُ والإسْبِتَارِيَّةُ بصَفُّورِيَةَ، وَمَرَّ المسْلِمونَ بالغَنَائِم عَلَى القُمُّص رِيمُنْدَ بطَبَرِيَّة، ووَصَلَت البَشَائِرُ بِذَلِك إِلَى صَلَاحِ الدِّين، عَادَ إِلَى مُعَسْكَرِه الَّذِي مَعَ ابنِهِ الأَفْضَل، ومَرَّ بالكَرَك، واعْتَزَمَ عَلَى غَزْوِ بلَادِ الفِرِنْجِ، فَاعْتَرَضَ عَسَاكِرَه. وبَلَغَهُ أنَّ القُمُّصَ رِيمُنْدَ قَد رَاجَعَ أَهْلَ مِلَّتِه ونَقَضَ عَهْدَهُ مَعَه، وأنَّ البَطْرَكَ والقُسُوسَ والرُّهبَانَ أنكَرُوا عَلَيه مُظَاهَرَتَهُ للمُسْلِمِين، ومُرُورَ عَسَاكِرِهم ـ بِه ـ بأَسْرَى النَّصَارَى وغَنَائِمِهم ولَمْ يَعْتَرِضْهم، مَعَ إيقَاعِهم بالدَّاوِيَّة والإسْبِتَارِيَّة أَعْيانِ المِلَّة، وتَهَدَّدُوه بإلْحَاق كَلِمةِ الكُفرِ بِه، فتَنَصَّلَ ورَاجعَ رَأْيَه، واعْتَذَرَ إِلَيهم، فقَبِلُوا عُذْرَه، وخَلُص لِكُفرِهِ وطَوَاغِيتِه، فجَدَّدُوا الحِلْفَ والاجْتِمَاع، وسَارُوا مِن عَكَّا إِلَى صَفُّورِيَة.

وبَلَغ الخبرُ إِلَى صَلَاحِ الدِّين، وشَاوَرَ أَصْحابَه، فمِنهم مَنْ أَشَارَ بتَرْكِ اللقَاءِ وشَنِّ الغَارَاتِ [عَلَيهم](أ) حتَّى يَضْعُفُوا، ومِنهم مَن أَشَارَ باللقَاءِ لِيَزُولَ عَنَّا وَصْمُ مَا فَعَلْنَاهُ بالمسْلِمِينَ(ب) بالجزيرَة، فَاسْتَصْوَبَهُ صَلَاحُ الدِّينِ واسْتَعْجَلَ / لِقَاءَهم[2]. [258 ب]

(أ) من س. (ب) في س: في المسلمين.

---

(1) الكامل 11: 531.

(2) المصدر نفسه 11: 532.

ثُمَّ رَحَلَ من الأُقْحُوانَة(1)، وسَارَ(2) حَتَّى خَلْفَ طَبَرِيَّةَ، وتَقَدَّمَ إلى مُعَسْكَرِ الفِرِنْجِ فلَمْ يُفَارِقُوا خِيامَهم، فلَمَّا جَنَّ الليلُ أقامَ طَائِفَةً مِن العَسْكَرِ قُبالَ(أ) الفِرِنْجِ، وسَارَ إلى طَبَرِيَّةَ فقاتَلَها ومَلَكَ المدِينَةَ مِن لَيْلَتِه عَنْوَةً ونَهَبَها وحَرَقَها(ب)، وامْتَنَعَ أهْلُها بالقَلْعَة، ومَعَهمُ المَلِكَةُ وأَوْلادُها. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى الفِرِنْج، فَجَنَحَ القُمُّص رِيمُنْدُ إلى الصُّلْح(3)، وأطَالَ القَوْلَ في تَعْظِيمِ الخَطْبِ وكَثْرَةِ المسْلِمِين، [فَنَكِرَ](ج) عَلَيه البِرِنْس صَاحِبُ الكَرَك، وَاتَّهَمَهُ بِبَقَائِه عَلَى وِلَايَةِ صَلَاحِ الدِّين، واعتَزَمُوا عَلَى اللقَاء، ورَحَلُوا مِن مَكَانِهم لقَصْدِ المعَسْكَر، وعادَ صَلَاحُ الدِّين إلى مُعَسْكَرِه، ونَفِدَتِ المِيَاهُ حَوالَيِ الفِرِنْج وعَطِشُوا ولم يَتَمَكَّنوا مِن الرُّجُوعِ، فرَكِبَهُمُ الخُذْلَانُ، وطَمِعَ المسْلِمُونَ فِيهم، فَصَايَحُوهم بالقِتَال، وَقَصَدُوا طَبَرِيَّةَ للوِرْدِ، فاعتَرَضَهم صَلَاحُ الدِّين دُون قَصْدِهِم، وَاشْتَدَّتِ الحَرْبُ، وصَلَاحُ الدِّين يَجُولُ بيْنَ الصُّفُوفِ مُتَفَقِّداً أحْوالَ المسْلمين(4).

ثُمَّ حَمَلَ القُمُّصُ عَلَى نَاحِيَةِ تَقِيِّ الدِّين عُمَرَ [بن](د) شَاهِنْشَاه حَمْلَةً استَمَاتَ فيها هُوَ وأَصْحابُه، فأُفْرِجَ لهُ الصَّف، وخَلَصَ مِن تِلْكَ النَّاحِيَةِ إلى مَنْجَاتِه، وَاخْتَلَّ مَصَافُّ الفِرِنْجِ، وتَابَعُوا الحَمَلاتِ، وكَان بالأَرْضِ هَشِيمٌ أَصَابَتْه جَذْوَةٌ فاضْطَرَمَ نَاراً،

(أ) في س: قبالة. (ب) في س: وأحرقها. (ج) من س، وفي ظ: فكر. (د) من س.

---

(1) موضع بالأردن على شاطىء بحيرة طبرية، معجم البلدان 1: 234، مدوّنة النصوص الجغرافية 1: 111.

(2) الكامل 11: 533، النوادر السلطانية 76، الروضتين 3: 280: لسبع بقين من ربيع الآخر 583 هـ.

(3) ولما بلغه افتتاح بلده قامت قيامته، وقال للفرنج: لا قعود لنا بعد اليوم، وإذا أخذت طبرية ذهبت منا البلاد بأسرها. مفرج الكروب 2: 179، وينظر الروضتين 3: 279.

(4) الكامل 11: 533 – 534.

فَجهدَهم لَفحُها ودُخانُها وما تَبِعَهُ مِنَ العَطَش، فوَهَنُوا، وأحاطَ بِهِمُ المسلِمُون مِن كُلِّ ناحِيَة، فارتَفَعُوا إلى تَلٍّ بناحِيَة حِطِّين لِيَنصُبُوا خيامَهم به، فلَم يتمَكّنوا إلّا مِن خَيْمَة المَلِك فقَط. والسَّيفُ يَجُولُ فيهم مَجَالَهُ حَتى فنِيَ أكثرُهم، ولَم يبقَ إلاّ نحوُ المائة والخمسينَ مِن خُلاصَةِ زُعَمائهم معَ مَلِكِهم، والمسلِمُون يكرُّون علَيهم مَرَّة بعْدَ أخرى حتّى ألقَوْا بأيدِيهم واستَسْلَموا. وَأُسِرَ المَلِكُ[1] وأخوهُ والبِرِنْس أرْناطُ صَاحِبُ الكَرَك، وصَاحِبُ جُبيل، وابنُ هَنفِري، ومُقَدَّمُ الدَّاوِيَّة وجماعَةٌ مِنَ الدَّاوِيَّة والإسْبِتَارِيَّة، وَلَم يُصَابوا مُنذُ مَلَكُوا هَذِه البِلَادَ أعْوامَ التِّسعينَ [والأربعِ مِائةِ][ب] بِمثْلِ هذه الواقِعَة[2].

ثُمّ جَلَسَ صَلَاحُ الدِّين في خَيْمَتِه وأحضَرَ هَؤلَاءِ الأسْرَى، وقَرَّعَ المَلِكَ ووَبَّخَهُ[ج] بعْدَ أنْ أجْلَسَهُ إلَى جانِبه وَفَاءً بِمَنْصِبِ المَلِك/، وقام إلى البِرِنس صَاحِبِ [259 ا] الكَرَك، فَتَوَلَّى قَتْلَهُ بيَدِهِ حِرْصاً عَلَى الوَفاءِ بِنَذْرِه، بَعْدَ أنْ قَرَّعَه بغَدْرَتِهِ، وبجَسارَتِهِ عَلَى ماكان يَرُومُهُ في الحَرَمَيْن، وحَبَسَ الباقِينَ[3].

وَأَما القُمّصُ صَاحِب طَرَابُلُس فنجَا، كَمَا ذكَرْناهُ، إلى بلَدِه، ثُمّ مَاتَ لأيّامٍ قَلائِلَ أسِفاً[4].

(أ) من س.   (ب) في س: ووبخه وفاه، ومشطوب على كلمة وفاه.

---

(1) ولم يُؤسر الملك حتى أُخذ صليب الصَلَبوت... وهم يزعُمون أنه من الخشبة التي صُلب عليها معبودهم، وقد غلفوه بالذهب الأحمر، وكللوه بالدر والجوهر: الفتح القسي 66، وينظر الروضتين 3: 287، مفرج الكروب 2: 189.

(2) الكامل 11: 534 – 537، وينظر النوادر السلطانية 75 – 79، الروضتين 3: 280 - 289، 292 – 307، مفرج الكروب 2: 188 – 195.

(3)، (4) الكامل 11: 537 – .

وَلَمّا فرَغَ صَلَاحُ الدِّين مِن هَزيمَتِهم، نَهَضَ إلى طَبَرِيَّة فنازَلَها، واستأمَنَتْ إليه المَلِكَةُ بها، فأمَّنَها في وَلَدِها وأصْحابِها ومَالِها، وخَرَجَتْ إليه فوَفَّى لها[1].

وبَعَثَ المَلِكَ وأعْيانَ الأسْرَى إلى دِمَشْقَ فحُبِسُوا بها، وجَمَعَ أَسْرى الدَّاوِيَّة والإسْبِتارِيَّة، بَعْدَ أَنْ بَذَلَ فِيمَنْ يَجِدُه مِنْهم بِيَدِ المُقاتِلة خَمْسِين دِيناراً مِصْرِيَّةً لِكُلّ وَاحِدٍ، وقَتَلَهم أجْمَعِين[أ]، وبَعَثَ إلى نائِبِه بدِمَشْقَ [لِيَقْتُلَ مَنْ دَخَلَ البَلَدَ مِنهم][2].

قَال ابنُ الأثِير: ولقَد اجْتَزْتُ بِمَكَانِ الوَاقِعَة بعْدَ سَنَة، فرَأيْتُ عِظَامَهم مائِلَةً عَلَى البُعْدِ بعْدَ أنْ جَحَفَتْها السُّيُولُ ومَزَّقَتْها السِّبَاع[3].

وَلَمّا فَرَغَ صَلَاحُ الدِّينِ مِن طَبَرِيَّة سَارَ عنها[ب] إلى عَكَّا فنَازَلَها، وَاعْتَصَمَ الفِرنْجُ الذينَ بِها بالأسْوَار، وتَنَادَوا بالاسْتِئْمان، فأمَّنَهم وخَيَّرَهم، فاخْتارُوا الرَّحِيلَ، فَحَمَلُوا ما أقَلَّتْه رِحَالُهُم، ودَخَلَها صَلَاحُ الدِّين غُرَّةَ جُمَادَى [الأُولَى][4] [سنةَ] ثَلَاثٍ وثَمانِين، وَصَلُّوا في جامِعِها القَدِيم الجُمُعَةَ يَومَ دُخُولِهم، فكَانَتْ أول جُمُعَةٍ أُقِيمَت بسَاحِلِ الشَّام بعْدَ اسْتِيلاءِ الفِرنْج عَلَيه[5].

وَأقْطَع صَلَاحُ الدِّين بَلَد عَكَّا لابنِهِ الأفْضَل، وجَمِيعَ مَا كَان فيهِ للدَّاوِيَّة مِن

(أ) في س: اجمعين بعد، ومشطوب على كلمة بعد. (ب) في س: منها.

---

(1) الكامل 11: 538.

(2) المصدر نفسه 11: 538.

(3) مع اختلاف في بعض الكلمات، الكامل 11: 538.

(4) من الكامل 11: 539، وينظر الروضتين 3: 308.

(5) الكامل 11: 539.

إقْطَاعٍ وضِيَاعٍ[1]، وَوَهَبَ للفقِيهِ عِيسَى الهَكَّارِيّ كَثِيراً مما عَجِزَ الفِرنْجُ عَنْ حَمْلِهِ، وقَسَّمَ البَاقِيَ عَلَى أَصْحَابِه، ثُمَّ قَسَّمَ الأَفْضَلُ مَا بَقِيَ في أَصْحَابِه بَعْدَ مَسِيرِ صَلَاحِ الدِّين، ثُمَّ أقَامَ صَلَاحُ الدِّين أيَّاماً حَتَّى أَصْلَحَ أحْوالَها وَرَحَلَ عَنْها[2].

فَتحُ يافَا وصَيدَا وجُبَيْل وبَيْرُوت وحُصُونِ عَكَّا

لَمَّا هَزَمَ صَلَاحُ الدِّين الفِرنْجَ، كَتَبَ إلى أَخِيه العَادِلِ بِمِصْرَ يُبَشِّرُه ويَأْمُرُهُ بالمَسِيرِ إلى جِهَاتِ الفِرنْجِ مِنْ جِهَةِ[أ] مِصْرَ، فنَازَلَ [مَجْدَلِيَابَة][3] وفَتَحَهُ وغَنِمَ مَا فِيه، ثُمَّ سَارَ إلى مَدِينة يَافَا ففَتَحَها عَنْوَةً واسْتَبَاحَها[4].

وَكَان صَلَاحُ الدِّين، أيَّامَ مُقامِهِ بعَكَّا، قَد جَهَّزَ بُعُوثَه إلى قَيْسَارِيَّة وحَيْفَا و[صَفُّورِيَة][5] ومَعْلِيَا وشَقِيف وغَيرِها في نَواحِي عَكَّا،/ [259 ب] فَمَلَكُوها واسْتَبَاحوها، وامْتَلأَتْ مِن غَنَائِمِها أيْدِيهم[ب].

وَبعَثَ حُسَامَ الدِّين عُمَرَ بنَ لَاجِينَ في عَسْكَرٍ إلى نَابُلُس، فَمَلَكَ [سَبَسْطِيَة][6]

(أ) في س: جهات. (ب) في س: أيديهم من غنائمها.

---

(1) وأعطى جميع ما كان فيه للداوية من إقطاع وضياع وغير ذلك للفقيه عيسى. الكامل 11: 539، وينظر الروضتين 3: 310، مفرج الكروب 2: 201.

(2) الكامل 11: 540.

(3) في الأصول: مجدل يافا، والتصويب من الكامل 11: 540، ومجدليابة: قرية قرب الرملة بها حصن محكم، معجم البلدان 5: 57.

(4) الكامل 11: 540.

(5) في الأصول: شقورية، والتعديل من الكامل 11: 540 معجم البلدان 3: 414.

(6) في الأصول: سبصطية، والتعديل من معجم البلدان 3: 184، وهي بلدة من نواحي فلسطين.

مَدِينة الأَسْبَاط، وبِها قَبرُ زَكَرِيَّا عَلَيهِ السَّلَام، ثُمّ سَارَ إلى مَدِينةِ [نابُلُس][أ] فمَلكَها، واعْتَصَم الفِرنْجُ الذين بِها بالقَلْعَة، فأقَرّهم عَلَى أموالهم[1].

وبَعثَ تَقِيُّ الدِّين عُمَرَ [بنَ][ب] شَاهِنشَاه [إلى][ج] تِبْنِين لِيَقْطَعَ المِيرَةَ عَنْها وعَن صُورَ، فَوصَل إليها وحَاصَرَها، ثُمّ ظَهَرَ لهُ أنه لَا يَقُومُ بذَلك، فاسْتَحَثَّ عمّه صَلَاحَ الدِّين للوصُولِ، فوَصَلَها[د] وحَاصَرَها وضَيَّقَ عَلَيها حَتّى اسْتَأْمَنوا، فَأَمَّنَهم ومَلَكَها[2].

وَرَحَل إلَى صَيْدَا، ومَرَّ في طَرِيقِه [بصَرَفَنْدَ][هـ] فمَلَكَها بغَيرِ قِتَال، وجاءَه الخَبرُ بفِرَارِ صَاحِبِ صَيْدَا، فَسَارَ وَمَلَكَها آخِرَ[3] جُمَادى [الأُولى][و] منَ السَّنَة.

ثُمّ سَارَ مِنْ يَوْمِه إلى بَيْرُوت، وقَاتَلَها مِنْ إحْدَى جَوانِبِها، فتَوَهَّمُوا أنَّ المُسْلِمِينَ دَخَلُوا عَلَيهم منَ الجَانِبِ الآخَر، فاهْتَاجُوا لِذَلِك فَلَم يَصِحَّ، وَلَا قَدِروا عَلَى تَسْكِينِ الهَيْعَة لكَثْرَةِ مَا مَعَهم مِن أخْلَاطِ السَّوَاد، فاسْتَأْمَنُوا إلَيه، ومَلَكَها آخِرِ يَومٍ من جُمَادى الأُولى لثَمَانِيةِ أيَّام مِن حِصَارِها[4].

وكان صَاحِبُ جُبِيلَ أسِيراً بدِمَشْق، فضَمِنَ لِنَائِبها تَسْلِيمَ جُبِيلَ لِصَلاحِ الدِّين

(أ) من س. (ب) من س. (ج) من س. (د) في س: فوصل. (هـ) من س، وفي ظ: بطرفند.
(و) من س.

---

(1) الكامل 11: 540، وينظر مفرج الكروب 2: 202 - 203.
(2) الكامل 11: 541 – 542، يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى. مفرج الكروب 2: 206.
(3) حادي عشر. الكامل 11: 542.
(4) الكامل 11: 542 - ، مفرج الكروب 2: 206.

عَلَى أنْ يُطْلِقَه، فَاسْتَدْعاهُ وَهُوَ مُحَاصِرٌ لِبَيْرُوت، وسَلَّمَ الحِصْنَ وأطْلَقَه، وكان مِنْ أعْيَانِ الفِرنْج وَأولِي الرَّأيِ فِيهم[1].

وصُولُ المرْكِيس[أ] إلى صُورَ وامْتِنَاعُهُ بِها

كَانَ القُمُّصُ صَاحِبُ طَرَابُلُس لَمَّا نَجَا مِن هَزِيمَة حِطِّين، لَحِقَ بِمَدِينَة صُور وأقَامَ بها يُرِيدُ حِمَايَتَها ومَنْعَها منَ المُسْلِمِين، فلَمَّا مَلَكَ صَلاحُ الدِّين تِبْنِينَ وصَيْدَا وبَيْرُوتَ ضَعُفَ عَزْمُه عن ذَلِكَ، ولَحِقَ ببَلَدِه طَرَابُلُس، وبَقِيَتْ صُورُ مِنْ دُونِ حَامِية.

وجَاءَ المرْكِيسُ[2] مِنْ تُجَّارِ الفِرنْج منَ المَغْرِبِ في كَثْرَةٍ وقُوَّةٍ، فأرْسَى بعَكَّا ولم يَشْعُرْ بفَتْحِها، وخَرَجَ إلَيْه الزَّائِدُ فأخْبَرَهُ بمَكانِ الأفْضَلِ بنِ صَلاحِ الدِّين فيها، وأنَّ صُورَ وعَسْقَلانَ باقِيَةٌ للفِرنْج، فلَم يُطِقِ الإقْلاعَ [إليهِمَا][ب] لرُكُود الرِّيح، فشَغَلهم بطَلَب الأمَان ليَدْخُلَ المَرْسَى، ثُمَّ طَابَتْ رِيحُهُ وجَرَتْ بهِ إلى صُور، وأمَرَ الأفْضَلُ بخُرُوج الشَّوَاني في طَلَبِهِ فلم يُدْرِكُوهُ حَتَّى دَخَلَ مَرْسَى صُور، فوَجَدَ بِها / أخْلاطًا [260 أ] كَثِيرَةً مِن الفِرنْج مِن فَلِّ الحصُون المُفْتَتَحة فآووا إليه، وضَمِنَ لَهم حِفْظَ المدِينة وبَذْلَ أموالِه في الإنْفَاقِ عَلَيها عَلَى أن تكُون هي وأعْمالها له دُون غَيْره، واسْتَحْلَفَهم

(أ) في س: المركيش. (ب) من س، وفي ظ: إليها.

---

(1) الكامل 11: 543.

(2) هو كونراد مركيس دي منتفرات Conrad , Marquis de Montferrat.

عَلَى ذلكَ، ثُمَّ قامَ بتَدْبيرِ أحْوالِها، وشَرَعَ في تَحْصِينِها بحَفْرِ الخَنادقِ وَرَمِّ الأسْوارِ، [واسْتَبَدَّ بها][أ][1].

فَتحُ عَسْقَلانَ ومَا جَاوَرَها

ولَمَّا مَلَكَ صَلاحُ الدِّينِ بَيْرُوتَ وجُبَيلَ وتِلْكَ الحُصُونَ، صَرَفَ هَمَّهُ إلى عَسْقَلانَ والقُدْسِ لعِظَمِ شأنِ القُدْسِ، ولأنَّ عَسْقَلانَ تَقْطَعُ بَيْنَ الشَّامِ ومِصْرَ، فَسَارَ عن بَيْرُوتَ إلى عَسْقَلانَ، ولَحِقَ بِهِ أخُوه العادِلُ في عَساكِرِ مِصْرَ، وَنازَلَها أوائلَ[2] جُمَادَى الآخِرَة، واسْتَدْعَى مَلِكَ الفِرِنْجِ [ومُقَدَّمَ][ب] الدَّاوِيَّة، وكانَا أسِيرَيْنِ بدِمَشْق، فأحْضَرَهُما وأمَرَهُما بالإذْنِ للفِرِنْجِ بعَسْقَلانَ في تَسْليمِها، فَلَمْ يُجِيبُوا إلى ذَلِكَ، وأساءُوا الرَّدَّ عَلَيْهِمَا[3]، فاشْتَدَّ في قِتالِهِم ونَصَبَ المَجانيقَ عَلَيهِم، ومَلِكُهم يُرَدِّدُ الرِّسالَةَ إلَيهِم في التَّسْليمِ عَسَاهُ يَنْطَلِقُ فيأخُذَ الثَّأرَ[ج] مِنَ المسْلِمِين، فلَمْ يُجيبوه[4].

ثُمَّ جَهِدَهُمُ الحِصَارُ وبَعُدَ عَلَيهِمُ الصَّرِيخُ، فاسْتَأمَنُوا إلى صَلاحِ الدِّينِ عَلَى شُرُوطٍ اشْتَرَطُوها، كَانَ أهَمُّها عندَهم أنْ يَمْنَعَهم مِنَ المَهْرانِيَة، بما قَتَلُوا أميرَهم في

(أ) من س، وفي ظ: واستبدّها. (ب) من س، وفي ظ: وصاحب. (ج) في س: بالثأر.

---

(1) الكامل 11: 543، وينظر مفرج الكروب 2: 207 - .

(2) يوم الأحد السادس عشر. الكامل 11: 545، النوادر السلطانية 80، مفرج الكروب 2: 209.

(3) يقصد ردّ أهل عسقلان على طلب ملك الفرنج ومقدّم الداويّة.

(4) الكامل 11: 545.

الحِصَار، فأجَابَهم إلى جَميع ما اشترَطُوه، وَمَلَكَ المدينَة مُنتصف[1] السَّنةِ لأربعَة عَشَرَ يَوماً مِن حِصَارِها، وَخرَجُوا بأهلِيهم وأولَادِهم[ا] وأموالِهم إلى القُدْس[2].

ثُمّ بَثَّ السَّرَايَا في تِلْكَ الأعْمَال، فَفَتَحُوا الرَّمْلَةَ والدَّارُومَ وغَزَّةَ ومَدْفِنَ الخَلِيل وبيتَ لَحْم ونطْرُون[ب] وكُلَّ مَا كَان للدَّاوِيَّة[3].

وَكَان أيَّامَ حِصَارِ عَسقَلَانَ قَد بَعثَ عَن أُسطُولِ مِصر، فَجَاءَ بِهِ حُسَامُ الدِّين لُؤلُؤ الحَاجِبُ، وأقَام يُغيرُ عَلَى مَرْسَى عَسقَلَانَ والقُدْس، ويَغْنَمُ جَميعَ ما يقصِدُها منَ النَّواحي[4].

فَتحُ القُدْس

وَلَمَّا فَرغَ صَلَاحُ الدِّين *مِن أمْر عَسقَلَانَ*[ج] وما يُجاوِرُها، سَارَ إلى بيْتِ المقْدِس، وبِها البَطْرَكُ الأعْظَم وبَالْيان بنُ بيرْزَان[د] صَاحِبُ الرَّمْلَة، ورُتْبَتُهُ قَرِيبةٌ[هـ] المَلِك، ومَن نَجا مِن زُعَمائِهم مِن حِطّين، وأهْلُ البلادِ المفْتَتحةِ عَلَيهم، وقدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهم بالقُدْس، [وَاسْتَمَاتُوا][و] للدِّين. وبَعُدَ الصَّرِيخُ، وأكْثَرُوا [260 ب] / الاسْتِعْدَادَ، ونَصَبُوا المَنْجَنِيقَاتِ مِن دَاخِلِه. وتَقَدَّمَ إليه أميرٌ منَ المسلمين[5] فخَرجَ إليه الفِرنْج

(ا) في س: وولدهم. (ب) في س: النطرون. (ج) سقط ما بين النجمين من س. (د) في س: بيزران.
(هـ) في س: قريب. (و) من س، وفي ظ: واستأمنوا.

---

(1) في الكامل 11: 546: سلخ جمادى الآخرة.
(2) ، (3) المصدر والصفحة نفسها.
(4) المصدر والصفحة نفسها.
(5) هو الأمير جمال الدين شروين بن حسن الزرزاري. مفرج الكروب 2: 212.

[مُسْتَمِيتِين][أ] فأوقعوا به وقتلوه في جماعة ممن معه، وفُجِعَ المسلمون لفقده[ب]، وساروا فنزلوا على القدس منتصف رجب، وهالهم كثرة حاميته[1].

وطاف به صلاح الدين خمسة أيام يتخير متبوأ عليه للقتال، حتى اختار جهة الشمال نحو باب العمود وكنيسة صهيون، فتحول إليها ونصب المنجنيقات عليها، واشتد القتال، وكان كل يوم يقتل بين الفريقين خلق كثير[ج]، وكان ممن استشهد عز الدين عيسى بن [مالك][2] من أكابر [أمراء][د] بني بدران، وأبوه صاحب قلعة جعبر. فأسف المسلمون لقتله وحملوا عليهم حتى أزالوهم عن مواقفهم وأخجروهم بالبلد، وملكوا عليهم الخندق، ونقبوا السور، فوهن الفرنج واستأمنوا لصلاح الدين، فأبى إلا العنوة كما ملكه الفرنج أول الأمر سنة إحدى وتسعين وأربع مائة، فاستأمن له باليان بن بيرزان صاحب الرملة، وخرج إليه، وشافهه بالاستئمان، واستعطفه، [فأصرّ][هـ] على الامتناع، فتهدده بالاستماتة وقتل النساء والأبناء، وإحراق الأمتعة وتخريب المشاعر المعظمة، واستلحام أسرى المسلمين، وكانوا خمسة آلاف أسير، واستهلاك جميع الحيوانات الداجنة بالقدس من [الظهر][و] وغيره[3].

فحينئذ استشار صلاح الدين أصحابه، فجنحوا إلى تأمينهم، فشارطهم على عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة وديناريين للولد، صبياً كان[ز] أو صبية، وعلى

(أ) من س. (ب) في س: بفقده. (ج) سقط من س. (د) من س، وفي ظ: الأمراء. (هـ) من س، وفي ظ: فأصرف. (و) من س، ظ: الطهي. (ز) سقط من س.

(1) الكامل 11: 547، وينظر النوادر السلطانية 81، مفرج الكروب 2: 211 – 212.
(2) في الأصول: ملك، انظر الكامل 11: 548، الروضتين 3: 339.
(3) الكامل 11: 548 - ، ومفرج الكروب 2: 214.

أجَلِ أرْبَعينَ يوماً فَمَن تأخَّرَ أداؤه عَنْها فَهُوَ أسِيرٌ، وبَذَلَ باليَان بنُ بِيرْزان عَنْ فُقَراءِ أهْلِ مِلَّتِه ثَلاثِينَ ألفَ دِينار[1].

وَمَلَكَ صَلاحُ الدِّينِ المدِينةَ يَوْمَ الجمُعَةِ لِسَبْعٍ وعِشْرينَ مِن رَجَبٍ ثَلاثٍ وثَمانِين، ورُفِعَتِ الأعلامُ الإسْلاميةُ في أسْوَارِه، وكان يَوماً مَشْهُوداً[2].

وَرَتَّبَ عَلَى أبوابِ القُدْسِ الأُمَناءَ لِقَبْضِ هَذا المالِ، وَلَم يُبْنَ الأمْرُ فيه عَلَى المشَاحَحَة، فَذَهَبَ أكْثَرُهم دُونَ شَيءٍ، وعَجَزَ آخِرَ الأمْرِ سِتَّةَ عَشَرَ ألفَ نَسَمَةٍ فأُخِذُوا أسْرى[3].

[261أ] وكَان فيه عَلَى التَّحْقِيقِ / سِتُّونَ ألفَ مُقَاتِل غَيْرَ النِّسَاءِ والوِلْدَان، فإنَّ الفِرنْجَ أرِزُوا مِن كُلِّ جَانِبٍ إلَيها(أ) لَمَّا افْتُتِحَتْ عَلَيهم حُصُونُهُم وقِلَاعُهم.

ومِنَ الدَّلِيلِ عَلَى مُقَارَبَة هَذا العَدَد: أن باليَان، صَاحِبَ الرَّمْلَة، أعْطَى ثَلاثِينَ ألفَ دِينارٍ عَن ثَمانِيَةَ عَشَرَ ألفاً، وعَجَزَ مِنْهم سِتَّةَ عَشَرَ ألفاً، وأخْرَجَ جَميعُ الأُمَرَاءِ خَلْقاً لا تُحْصَى مِنهم في زِيِّ المسْلِمِينَ بعْدَ أن شَارَطُوهم عَلَى بعْضِ القَطِيعَة، واسْتَوْهَبَ آخَرُون جُمُوعاً منْهم يَأْخُذُون قَطِيعَتَهم فوهَبَهم إيَّاهم، وأطْلَقَ بعضَ نِسَاءِ المُلُوكِ مِنَ الرُّوم(ب) كَانوا(ج) مُتَرَهِّبَاتٍ، فأطْلَقَهم بعَبِيدِهم وحَشَمِهم وأمْوالهم، وكَذَا

(أ) في س: إليها من كل جانب. (ب) في س: ملوك الروم. (ج) في س: وكانوا.

---

(1) الكامل 11: 549، وينظر الروضتين 3: 331، 333 - 376، مفرج الكروب 2: 214.
(2) الكامل 11: 549، وينظر الفتح القسي 116 - 124، سنا البرق الشامي 309 - 310، مفرج الكروب 2: 215، نهاية الأرب 28: 404 - .
(3) الكامل 11: 550 .

مَلِكَة القُدْس الَّتي أَسَرَ صَلَاحُ الدِّينِ زَوْجَها الذي مَلَكَ الفِرِنْجَ بِسَبَبِها، وكان مَحْبُوسًا بِقَلْعَةِ نَابُلُس، فأَطْلَقَها بِجَمِيعِ مَا مَعَها، وَلَم يَحْصُلْ مِنَ القَطِيعَةِ عَلَى طَائِلٍ[1].

وَخرَجَ البَطْرَكُ الأَعْظَمُ بِما مَعَهُ مِن مَالِهِ وأَموالِ البِيَع، ولم يُعْرَضْ لَهُ[2].

وَجَاءَتْه امرَأةُ البِرِنْس، صَاحِب الكَرَك، الَّذي قَتَلَه يَومَ حِطِّين، تَشْفَعُ فِي وَلَدِها، وكَان أَسِيرًا، فبَعَثَها إِلى الكَرَكِ لتَأْذَنَ للفِرِنْجِ في النُّزُولِ عنْهُ للمُسْلِمِين، فلَم يُجِيبُوهَا[3].

وَكَان عَلَى رَأْسِ قُبَّةِ(أ) الصَّخْرَة صَليبٌ عَظِيمٌ مُذَهَّبٌ[4]، وَتَسَلَّق جَماعَةٌ مِن المسْلمِينَ إلِيهِ وَاقْتَلَعوه، وَارْتَجَّتِ الأَرْضُ بالتَّكْبِيرِ(ب) والعَوِيل[5].

وَلَمَّا خَلَا القُدْسُ مِنَ العَدُوِّ، أَمَرَ صَلَاحُ الدِّين بِرَدِّ مَشَاعِرِه إِلى أَوْضَاعِها القَدِيمَة، وَكَانوا قَد غَيَّرُوهَا، فَأُعِيدَتْ إِلى حَالِها الأَوَّل، وَأَمَرَ بتَطْهِيرِ المسْجِدِ والصَّخْرَةِ مِنَ الأَقْذَارِ، [فطُهِّرَا](ج)، ثُمَّ صَلَّى [السُّلْطانُ][6] الجُمُعَةَ الأُخْرى[7] فِي قُبَّةِ الصَّخْرَة،

(أ) سقط من س. (ب) في س: بالنكير. (ج) في الأصول: فطهروا.

---

(1) في الكامل 11: 550: وبالجملة فلم يصل خزانته إلاّ القليل.

(2) الكامل 11: 551.

(3) الروضتين 3: 344.

(4) وهو صليب آخر غير صليب الصّلبوت الذى استولى عليه المسلمون بعد معركة حطين. ينظر ما سبق، الكامل 11: 551، مفرج الكروب 2: 217.

(5) أما المسلمون فكبروا فرحاً، وأما الفرنج فصاحوا تفجعاً وتوجعاً. الكامل 11: 551.

(6) في الأصول: المسلمون، والتصويب للتوضيح من الفتح القسي 138، والكامل 11: 551.

(7) المقصود الجمعة التالية للفتح، وهي الرابع من شعبان، حيث تم الفتح يوم الجمعة 27 رجب، ينظر ما سبق، وفي النوادر السلطانية 82: وصليت الجمعة يوم فتحه.

وخَطَبَ بِهِم مُحْيي الدِّينِ بنُ الزَّكِي، قَاضِي دِمَشْقَ، بأمرِ صَلاحِ الدِّين، وأتى في خُطْبَتِه بعَجَائبَ منَ البَلاغَةِ في وَصْفِ الحَالِ وعظَمَةِ الإسْلام اقشَعَرَّت لَها الجُلُود، وتَنَاقَلَهَا(أ) الرُّوَاةُ، وتحدَّثَ بها السُّمَّرُ أحْوالاً(1).

ثُمَّ أقَامَ صَلاحُ الدِّينِ بالمَسْجِدِ إمَاماً للصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وخَطِيباً، وأمَرَ بِعَمَلِ المِنبَرِ لَهُ، فتَحَدَّثُوا عِنْدَه بأنَّ نُورَ الدِّينِ مَحْمُوداً قَدِ اتَّخَذَ لَهُ مِنبراً مُنذُ عِشرِينَ سَنَةً، وَجَمَعَ الصُّنَّاعَ بِحَلَبَ فَأَحْسَنُوا صَنعَتَهُ في عِدَّة سِنِين، فَأَمَرَ بِحَمْلِهِ ونَصْبِهِ [261 ب] / بالمَسْجِدِ الأقْصَى، ثُمَّ أمَرَ بعِمَارَةِ المَسْجِدِ وَاقتِلاعِ الرُّخَامِ الَّذِي فَوْقَ الصَّخْرَة، لأنَّ الأقِسَّةَ كَانُوا يَبِيعُونَ الحَجَرَ مِن الصَّخْرَة، يَحُتُّونَها حَتّاً ويَبِيعُونَها بالذَّهَبِ: وَزناً بوَزنٍ، فتَنَافَسَ الفِرَنْجُ فيها لالتِمَاسِ البَرَكَةِ فيها، ويُودِعُونَها في الكَنَائِس والمَذَابِح، فخَشِيَ مَلِكُهم(ب) أن تَفْنَى الصَّخْرَةُ، فعَالُوا عَلَيها بِفَرْش الرُّخَام، وأمَرَ صَلاحُ الدِّين باقتِلاعِه، ثُمَّ أكْثَرَ(ج) في المَسْجِد مِن المَصَاحِف، وَرَتَّبَ بِهِ القُرَّاء، وَوَفَّرَ لَهُم الجِرَايَات، وتَقَدَّمَ ببِنَاءِ الرُّبُطِ والمَدَارِس(2)، فكَانَت مِن مَكْرُمَاتِه، رَحِمَهُ اللهُ تعالى(3).

وَارْتَحَلَ الفِرَنْجُ [بَعدَ أن](د) بَاعُوا جَمِيعَ ما يَمْلِكُونَهُ مِنَ العَقَارِ والخُرثيِّ بأرْخَصِ

(أ) من س، وفي ظ ص: تناقل بها. (ب) في س: ملوكهم. (ج) في س: استكثر. (د) من س، وفي ظ: واو العطف.

---

(1) الكامل 11: 551، ينظر نص الخطبة في الروضتين 3: 384 - 391، وفيات الأعيان 4: 230 - 234، مفرج الكروب 2: 219 - 227.

(2) ينظر نص وقفية صلاح الدين للخانقاه الصلاحية بالقدس في وثائق مقدسية تاريخية 81 – 104.

(3) الكامل 11: 552، وينظر الفتح القسي 141 - 142، الروضتين 3: 398 ، مفرج الكروب 2: 229 - 232.

ثمن، واشتَرَاهُ أَهْلُ العَسْكَرِ ونَصَارَى القُدْسِ الأَقْدَمُونَ بَعْدَ أَن ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الجِزْيَةُ كَمَا كَانَتْ(1).

حِصَارُ صُورٍ ثُمَّ صَفَدَ وكَوْكَبَ والكَرَكِ

لَمَّا(أ) فَتَحَ صَلَاحُ الدِّينِ القُدْسَ أَقَامَ بظَاهِرِه إلى آخِرِ(2) شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ حَتَّى فَرَغَ مِن جَمِيعِ أَشْغَالِه، ثُمَّ رَحَلَ إلى مَدِينَةِ صُورَ وقَدِ اجْتَمَعَ بِها مِنَ الفِرَنْجِ عَوَالِم، وَقَد نَزَلَ بِها المَرْكِيسُ [وضَبَطَها](ب). وَلَمَّا انتَهَى صَلَاحُ الدِّينِ إلى عَكَّا، أَقَامَ بِها أَيَّاماً، [فَبَالَغَ](ج) المَرْكِيسُ في الاسْتِعْدَادِ وتَعْمِيقِ الخَنَادِقِ وإِصْلَاحِ الأَسْوَارِ. وكَانَ البَحْرُ يُحِيطُ بِها مِن ثَلَاثِ جِهَاتِها فَوَصَلَ جَانِبَ اليَمِينِ بالشِّمَالِ، وصَارَت كالجَزِيرَةِ، وسَارَ إليها فنَزَلَ عَلَيها لِتِسْعٍ بَقِيْنَ مِن رَمَضَانَ عَلَى تَلٍّ يُشْرِفُ مِنه عَلَى مَكَانِ القِتَالِ، وجَعَلَ القِتَالَ عَلَى أَهْلِ عَسْكَرِهِ نُوَباً: بَيْنَ ابنِه الأَفْضَلِ، وابنِهِ الظَّاهِرِ، وأَخِيهِ العَادِلِ، وابنِ أَخِيه تَقِيِّ الدِّينِ، ونَصَبَ عَلَيها المَجَانِيقَ والعَرَّادَاتِ(3).

وكَانَ الفِرَنْجُ يَرْكَبُونَ في الشَّوَانِي والحَرَّاقَاتِ ويَأْتُونَ المُسْلِمِينَ مِن وَرَائِهِم فَيَرْمُونَ عَلَيهِم مِنَ البَحْرِ، ويُقَاتِلُونَهم ويَمْنَعُونَهم مِنَ الدُّنُوِّ إلى السُّورِ، فَبَعَثَ صَلَاحُ الدِّينِ عَن أُسْطُولِ مِصْرَ مِن مَرْسَى عَكَّا، فَجَاءُوا ودَافَعُوا الفِرَنْجَ، وتَمَكَّنَ المُسْلِمُونَ

(أ) في س: زلما. (ب) من س، وفي ظ: وضبط بها. (ج) من س، وفي ظ: فبالغها.

(1) الكامل 11: 552 – 553.
(2) إلى الخامس والعشرين. الكامل 11: 553.
(3) الكامل 11: 553 – 554.

مِن قِتَالِ الأسْوَارِ [وَحَاصَرُوهَا](أ) بَرّاً وبَحْراً، ثُم كَبَسَ أسْطُولُ الفِرَنْج خَمْسَةً مِن أسَاطِيلِ المسْلِمِين ففتَكُوا بِهِم، ورَدَّ صَلَاحُ الدِّين البَاقِيَ / إلى بَيْرُوتَ لِقِلَّتِها، فأتْبَعَتْها [262 أ] أسَاطِيلُ الفِرَنْج، فلَمَّا أرْهَقُوهم في الطَّلَبِ ألْقَوْا بأنْفُسِهِم إلى السَّاحِلِ وتَرَكُوها، فحَطَّمَها صَلَاحُ الدِّين ونقَضَها، وَجَدَّ في حِصَار صُورَ فلَم يُغْنِ، وَامْتَنَعَتْ عَلَيه لِمَا كَان فِيها مِن كَثْرَةِ الفِرَنْجِ الذين أمَّنَهم بعَكّا وعَسْقَلانَ والقُدْس، فنَجَوْا إليها بأمْوالِهم وأمَدُّوا صَاحِبَها، وَاسْتَدْعَوْا الفِرَنْجَ مِن وَرَاءِ البَحْرِ فوعَدُوهم بالنَّصْرِ، وَأقَامُوا في انْتِظَارِهِم(1).

ولَمَّا رأى صَلَاحُ الدِّين امتِنَاعَها شَاوَرَ أصْحَابَهُ في الرَّحِيلِ فتَرَدَّدُوا، [وتَخَاذَلوا](ب) في القِتَال، فرَحَلَ آخِرَ شَوَّالٍ إلى عَكّا، وأذِنَ للعَسَاكِرِ في المشْتَى بأوْطَانِهم إلى فَصْلِ الرَّبِيع، وَعَادَت(ج) عَسَاكِرُ الشَّرْقِ والمَوْصِلِ والشَّامِ ومِصْر، وأقَامَ بقَلْعَةِ عَكّا في خَواصِّه، ورَدَّ أحْكَامَ البَلَدِ إلى جُوزدِيك، مِن أمَراءِ نُورِ الدِّين(2).

و[كَان](د) صَلَاحُ الدِّينِ عِنْدَما [اشْتَغَلَ](هـ) بِحِصَارِ عَسْقَلانَ بعَثَ عَسْكَراً لحِصَارِ هُونِينَ فَشَدُّوا حِصَارَها وقَطَعوا عنْها المِيرَةَ، وَبَعثُوا إلى صَلَاحِ الدِّين، وهُوَ يُحَاصِرُ [صُورَ](3)، فَاسْتَأمَنوا إليه(و) فنَزَلُوا عنْها ومَلَكَها(4).

(أ) من س، وفي ظ: وحاصرها. (ب) من س، وفي ظ: وتجادلوا. (ج) مكررة في ظ. (د) من س.
(هـ) من س، وفي ظ: استعجل. (و) في س: له.

---

(1) الكامل 11: 555 – 556.
(2) نفسه 11: 557.
(3) في الأصول: صول، الكامل 11: 557، ويجرى تصويبها كلما وردت.
(4) الكامل 11:557، مفرج الكروب 2: 247، نهاية الأرب 28: 407.

وكَان أيضاً صَلاحُ الدِّين لمَّا سَارَ إلى عَسْقَلان جَمَّرَ عَسْكراً لحِصَار قَلْعَةِ كَوْكَب، ويَحْرسُونَ السَّابِلَةَ في طَرِيقِها مِنَ الفِرنْج الذين بها، وهِيَ مُطِلَّةٌ عَلَى الأردنّ، وهِيَ للإسْبِتَاريّة، وجَمَّرَ عسْكَراً آخَرَ لحصَارِ صَفَدَ، ـ وهي للدَّاوِيَّة ـ مُطِلَّةٍ عَلَى طَبَريَّة، ولَجَأَ إلى هَذَيْنِ الحِصْنَيْنِ مَن سَلِمَ مِن واقِعَةِ حِطِّين، وَامْتَنَعوا [بهما][أ]، فلمَّا جَمَّرَ العَسَاكِرَ عَلَيها صَلَحَت الطُّرُق، وارْتَفَعَ منْها الفَسَادُ[1].

فلمَّا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِن شَوَّالٍ غَفَلَ المُوَكَّلُونَ بالحِرَاسَةِ عَلَى قَلْعَة كَوْكَب، وكَانَت لَيْلَةً شَاتِيَةً قَارَّة، فَكَبَسَهُمُ الفِرنْجُ وَنَهَبُوا مَا عِنْدَهم مِن طَعَامٍ وسِلَاح وعَادُوا إلى قَلْعَتِهم[2]، وبَلَغَ ذَلِكَ صَلَاحَ الدِّين، وهو مُعْتَزِمٌ عَلَى الرَّحِيل عَن صُور، فشَحَذَ عَن[ب] عَزِيمَتِه، ثُمَّ جَمَّـرَ عَسْكَراً عَلَى صُورَ مَعَ الأَمِيرِ قَايْمَازَ النَّجْمِيّ، وَارْتَحَلَ إلى عَكَّا، فَلَمَّا انْصَرَمَ فَصْلُ الشِّتَاء سَارَ مِن عَكَّا في مُحَرَّم أَرْبَعٍ وثَمَانِين إلى قَلْعَة كَوْكَب فحَاصَرَها، وَامْتَنَعَتْ عَلَيه، ولم يَكُنْ بَقِيَ عَلَيهِ في البِلادِ السَّاحِلِيَّةِ مِن عَكَّا إلى الجَنُوبِ غَيْرُها وغَيْرُ صَفَدَ والكَرَك،/ [262 ب] فَلَمَّا امتَنَعَت عَلَيْهِ جَمَّرَ العَسْكَرَ لِحِصَارِها مَعَ قَايْمَازَ النَّجْمِيّ، وَرَحَلَ عنها في رَبِيعٍ الأَوَّل إلى دِمَشْق، وَوَافَتْه رُسُلُ قِلِيج أَرْسَلان وقزل[ج] أرْسَلان، وفَرِحَ النَّاسُ بقُدُومِه[3].

(أ) من س، وفي ظ: بها. (ب) في س: من. (ج) في س: قليج.

---

(1) الكامل 11: 558.

(2) ينظر النوادر السلطانية 84 – 85، الروضتين 4: 6 - 7، مفرج الكروب 2: 246 – 247.

(3) الكامل 12: 5 – 6.

غَزْوُ صَلاحِ الدِّينِ إلى سَواحِلِ الشَّامِ ومَا فَتَحَهُ مِن حُصُونِها، وصُلْحُهُ آخِراً مَعَ صَاحِبِ أَنطَاكِيَةَ

لَمَّا رَجَعَ صَلاحُ الدِّين مِن فَتحِ القُدْس [وجِصَارِ][(أ)] صُورَ وصَفَدَ وكَوْكَب إلى دِمَشْق، أَقَامَ بها أَيَّاماً، ثُمّ تَجَهَّزَ للغَزْوِ إلى سَواحِلِ الشَّامِ وأَعْمالِ أَنْطَاكِيَة، وسَارَ عَن دِمَشْقَ في رَبيعٍ [الأَوَّلِ سنةَ][(1)] أَرْبَعٍ وثَمانِين، فَنَزَلَ عَلَى حِمْص، وَاسْتَدْعَى عَسَاكِرَ الجزيرَةِ ومُلُوكَ الأَطْرافِ فَاجْتَمَعُوا إليه، وَسَارَ إلى حِصْنِ الأَكْرَاد، فَضَرَبَ مُعَسْكَرَهُ هُنَاكَ[(ب)]، وَدَخَلَ مُتَجَرِّدًا[(2)] إلى القِلَاعِ بأَعْمالِ أَنْطَاكية •فنَقَضَ طُرُقَها وأَغَارَ عَلَى وِلايَاتِها إلى طَرَابُلُس حَتّى شَفَى نَفْسَه مِن ارتِيَادِها، وَعَادَ إلى مُعَسْكَرِه يَجُرُّ الأَرْضَ بالغَنَائم، فأَقَامَ عندَ حِصْنِ الأَكْرَاد[(3)].

ووفَدَ عَلَيه هُنَاكَ مَنْصُورُ بنُ نُبَيل قَاضِي جَبَلَة، وكَان مِنَ[(4)] اسْتِيلاءِ الفِرنْج عَلَى جَبَلَة، عندَ صَاحِب أَنْطَاكيَة•[(ج)]، حَاكِمًا عَلَى جَميعِ المسْلِمِين فِيها، ومُتَوَلِّياً أُمُورَ بِهِمُنْد، فَلَمَّا هَبَّتْ رِيحُ الإسْلَام بصَلَاحِ الدِّينِ وظُهُورِه نَزَعَ إِلَيهِ لِيَكْشِفَ الغَمَّاء، وَدَلَّهُ عَلَى عَوْرَةِ جَبَلَةَ واللاذِقِيَّة، وَاسْتَحَثَّهُ لهُما، فَسَارَ أَوَّلَ جُمَادَى [الأُولَى][(5)] ونَزَلَ

(أ) من س، وفي ط: وحاصَرَ. (ب) في س: هنالك. (ج) سقط ما بين النجمين من س.

(1) من الكامل 12: 6.
(2) في المصدر نفسه والصفحة: وسار جريدة.
(3) في المصدر نفسه والصفحة: إلى آخر ربيع الآخر.
(4) في هذا الملخص غموض، وعبارة ابن الأثير: كان هذا القاضي عند بيمند صاحب أنطاكية وجَبَلة مسموع القول... له الحرمة الوافرة والمنزلة... وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها على ما يتعلق بالبيمند.
(5) الكامل 12: 7: رابع جمادى [الأولى].

أنطرسوس[1]، وقدِ اعْتَصَمَ الفِرنجُ منها بِبُرْجَيْنِ حَصِينَيْنِ وأخلَوْا المدينةَ، فخرَّبها واستباحها[2].

وَكَان أحدُ البُرْجَيْنِ للدَّاوِيَّة وَفِيهِ مُقَدَّمُهمُ الّذي أسَرَهُ صَلاحُ الدِّينِ يومَ المصَافِّ وأطْلَقَه عندَ فَتحِ القُدْس.

وَاسْتَأمَنَ إليهِ أهْلُ البُرْجِ الآخَرِ ونَزَلُوا لهُ عَنه، فخرَّبَه صَلاحُ الدِّينِ وألْقَى حِجَارَتَهُ في البَحْر، وامْتَنَعَ عَلَيه بُرْجُ الدَّاوِيَّة[3].

فَسَارَ إلى المرْقَب، وهُوَ للإسبِتَارِيَّة، ولا يُرَامُ لِعُلُوِّه وامْتِنَاعِه، والطَّرِيقُ في الجَبَلِ إلى جَبَلَةَ عَلَيه، فهُوَ عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ، والبَحْرُ عَن يَسَارِه، في مَسْلَكٍ ضَيِّقٍ إنَّمَا يَمرُّ بهِ الواحِدُ فالواحِد[4].

فَتحُ جَبَلَةَ

وكان أُسْطُولٌ وَصَلَ مِن صَاحِبِ صِقِلِّيَّةَ مَدَدًا للفِرنْجِ بتِلْكَ السَّواحِلِ في سِتِّينَ قِطْعَة وَأرْسَوْا بطَرَابُلُس، فلَمَّا / سَمِعُوا بصَلاحِ الدِّين أقْلَعوا إلى المَرْقَب، [263 ا]
ووقَفُوا قُبَالَتَها يَنْضَحُون بسِهَامِهمُ المَارَّةَ بتِلْكَ الطَّرِيق، فَضَرَب صَلاحُ الدِّينِ عَلَى ذَلكَ المَضِيقِ سُورًا مِن جِهَةِ البَحْرِ منَ التِّرَاس، وَوَقَفَ وَرَاءَه الرُّمَاةُ حَتّى سَلَكَ

(1) على البحر من أعمال طرابلس، ينظر الكامل 12: 7، معجم البلدان 1: 270.
(2) الكامل 12: 7، النوادر السلطانية 87، مفرج الكروب 2: 256 - .
(3) الكامل 12: 7.
(4) المصدر نفسه.

العَسْكَرُ المضِيق إلى جَبَلَة، فوصَلَها آخِرَ[1] جُمادَى [الأولى][2]، وَسَبَقَ إليها القَاضِي، ومَلَكَها صَلاحُ الدِّينِ لحِينِه، وَرَفَعَ أعْلامَ الإسْلام عَلَى سُورِها، ولَجأَ حَامِيتُها إلى القَلْعَة، فَاسْتَنْزَلَهمُ القَاضِي عَلَى الأمَان، وَاستَرْهَنَ مِنْهم جَمَاعَةً في رَهْنِ القَاضِي والمسْلِمين، عِنْدَ صَاحِب أنْطَاكِية، حتّى أطْلَقَهم[3].

وَجَاءَ رُؤسَاءُ أهْلِ الجَبَل إلَى طَاعَةِ صَلاحِ الدِّين، وَهُوَ جَبَلٌ مَا بَيْنَ جَبَلَةَ وحَمَاةَ، وَكَان الطَّرِيقُ عَلَيه بَيْنَهم صَعْبًا، فَنَهَجَهُ صَلَاحُ الدِّين مِن ذَلِكَ الوَقْت، وَاسْتَنَابَ بِجَبَلَة سَابِقَ الدِّين عُثْمَانَ بنَ الدَّايَةِ صَاحِبُ شَيْزَر، وسَارَ عنها إلى اللّاذِقِيَّة[4].

فَتحُ اللاّذقيّة

وَلَمّا فَرَغَ صَلاحُ الدِّين مِن أمْرِ جَبَلَةَ، سَارَ إلى اللّاذِقِيَّة، فوصَلَها آخِرَ[5] جُمَادَى الأُولَى، وَامْتَنَعَ حَامِيتُها بِحِصْنَيْنِ لَها في أعْلَى الجَبَل، ومَلَكَ المسْلِمُون المدِينَة وحَصَرُوا الفِرِنْجَ في القَلْعَتَين، وحَفَروا تَحْتَ الأسْوَار، وأيْقَنَ الفِرِنْجُ بالهَلَكَة، ودَخَلَ إليهم قَاضِي جَبَلَةَ ثَالِثَ نُزُولِها فاسْتَأْمَنوا مَعَه، فَأمَّنَهم[(أ)] صَلاحُ الدِّين، وَرَفَعُوا أعْلَامَ

(أ) في س: وامنهم.

---

(1) في الكامل 12: 8، الروضتين 4: 19: ثامن عشر.

(2) من الكامل 12: 8.

(3) الكامل 12: 8، وينظر الروضتين 4: 20.

(4) الكامل 12: 8.

(5) في الكامل 12: 9، النوادر السلطانية 89: في الرابع والعشرين.

الإسْلَام في الحِصْنَيْن، وَخرَّبَ المسْلِمُونَ المدِينَة، وَكانَت [مَبانِيها](أ) في غَايَةِ الوَثَاقَةِ والضَّخَامَة، وَأَقْطَعَها لتَقِيِّ الدّين ابنِ أَخيه، فَأَعَادَها إلى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ منَ العِمَارَةِ والتَّحْصِين، وكان عَظِيمَ الهِمَّةِ في ذَلِكَ.

وَكَان أُسْطُولُ صِقِلِّيَةَ في مَرْسَى [اللّاذِقِيَّة](ب)، وَسَخِطُوا مَا فَعَلَه أَهْلُها وَمَنَعُوهم مِنَ الخُرُوج منْها، وَجَاءَ مُقَدَّمُهم إلى صَلَاحِ الدّين، فَرَغِبَ مِنْهُ إقَامَتَهم عَلَى الجِزْيَة، وَعَرَّضَ في كَلَامِه بالتَّهْدِيدِ بِامْدَادِ الفِرنْج مِن وَرَاءِ البَحْر، فَأَجَابَهُ صَلَاحُ الدّين باسْتِهَانَة أَمْرِ الفِرنْج، وهَدَّدَهم بأَعْظَمَ مِن تَهْدِيدِه، وَانْصَرَفَ إلى أَصْحَابِه، وَرَحَلَ صَلَاحُ الدّين إلَى صِهْيُون(1).

فتحُ صِهْيُون

وَلَمَّا فَرَغَ صَلَاحُ الدّين / مِن فَتْح اللاذِقِيَّة، سَارَ إلى قَلْعَةِ صِهْيُون، وَهِيَ [263 ب]
عَلَى جَبَلٍ، صَعْبَةُ المُرْتَقَى بعِيدَةُ المَهْوَى، يُحِيطُ بِجَبَلِها وادٍ عَمِيقٌ ضَيِّق، ويَتَّصِلُ بالجبَلِ مِن جِهَةِ الشَّمَالِ، وَعَلَيها خَمْسَةُ أَسْوَارٍ، وخَنْدَقٌ عَمِيقٌ [ضَيِّق، ويَتَّصِلُ بالجَبَلِ](ج)، فَنَزَلَ صَلَاحُ الدّين عَلَى الجبَلِ لِصْقَها، وَقَدِمَ وَلَدُهُ الظَّاهِرُ، صَاحِبُ حَلَب، فَنَزَلَ عَلَى مَضِيقِ الوَادِي، ونَصَبَ المَنْجَنِيقَاتِ هُنالِك، فرَمَى بِها عَلَى الحِصْنِ، ونَضَحَهم بالسِّهَامِ مِن سَائِر أَصْنَافِ القِسِيّ. وصَابَرُوا مَلِيًّا، ثُمّ زَحَفَ المسْلِمُونَ ثَاني

(أ) من س، وفي ظ: من بانيها. (ب) من س، وفي ظ: لاذيقية. (ج) من س.

(1) الكامل 12: 9، وكذا ضبطها ياقوت بكسر الصاد (المعجم 3: 436)، وأشار إلى فتح صلاح الدين لها.

جُمادَى [الآخِرَة][1] [2]، وتَسَلَّقُوا بيْن الصُّخُورِ حَتّى مَلكُوا أوّلَ أسْوارِهم، وقَاتَلُوهم مِنه، فَملَكُوا عَلَيهم سُورَيْنِ آخَرَيْنِ، وغَنِمُوا جَمِيعَ ما كَان بالبَلَدِ مِنَ الدَّوابِ والبَقَرِ والذَّخَائِرِ، ولَجَأ[تِ][3] الحَامِيةُ إلى القَلْعَةِ[4]، وقَاتَلَهمُ المسْلِمُونَ عَلَيها فنَادَوْا بالأمَان، فشَرَطَ عَلَيهم مِثْلَ قَطِيعَةِ القُدْس، ومَلَكَ الحِصْن، ووَلّى عَلَيهِ نَاصِرَ الدِّين [مَنْكُورَس][5]، صَاحِبَ قَلْعَةِ بُوقُبَيْس[6]، فحَصَّنَه[7].

وَافتَرَقَ المسْلِمُونَ في تِلْكَ النَّواحِي، فوَجَدُوا الفِرنْجَ قَدْ فَرُّوا مِن حُصُونها فَملَكُوهَا جَمِيعًا، ونَهَجُوا إليها طَرِيقًا عَلَى عَقَبَةٍ صَعْبةٍ لِعَفَاءِ طَرِيقِها السَّهلِ بالفِرنْجِ والإِسْماعِيلِيّة[8].

فَتحُ بَكَاسَ والشُّغْر

ثُمّ سَارَ صَلَاحُ الدِّينِ عَن صِهْيُون ثَالِث جُمَادَى [الآخِرةِ][9] إلَى قَلْعَةِ بَكَاس[10]، وَقد فَارَقَها الفِرنْجُ وَتَحَصَّنُوا بقَلْعَة الشُّغْر، فَمَلَكَ بَكَاسَ وحَاصَرَ قَلْعَةَ

(1) في الأصول: الأخرى.

(2) في الكامل 12: 10، النوادر السلطانية 90: في السابع والعشرين من جمادى الأولى.

(3) إضافة يقتضيها السياق.

(4) في الكامل 12: 11: واحتمى الفرنج بالقلة التي للقلعة.

(5) في الأصول، والكامل 12: 11: منكوبرس، والتصويب من مفرج الكروب 2: 263، وهو منكورس بن خمارتكين، ينظر الروضتين 4: 28.

(6) أبي قبيس. الكامل 12: 11.

(7) الكامل 12: 11.

(8) المصدر نفسه 12: 11.

(9) من الكامل 12: 12.

(10) بتخفيف الكاف، قلعة من نواحي حلب، على نهر العاصي، بينها وبين قلعة الشُغر وادٍ كالخندق. معجم البلدان 1: 474.

الشُّغر، والطَّريقُ منها مَسْلُوكٌ إلى اللّاذِقِيَّة وجَبَلَةَ وصِهْيُون، فقَاتَلَهُم ونَصَبَ المَجانِيقَ عَلَيهم، فقَصُرَتْ حِجارَتُها عنِ الوُصُولِ، وكَادُوا يَمْتَنِعون، وبَعَثُوا خِلَالَ ذلكَ إلى بـِمُنْدَ، صَاحِبِ أَنْطَاكِـيَة، وكَان الحِصْنُ مِن إيَالَتِه، فاسْتَمَدُّوهُ وإلاَّ أَعْطَوا الحِصْنَ بما قَذَفَ اللهُ في قُلُوبِهِم مِن الرُّعْبِ، فلَمَّا قَعَدَ عَن نَصْرِهِم اسْتَأْمَنُوا إلَى صَلَاحِ الدِّين، وَسَأَلوه إنْظَار ثَلاثٍ للفَتْح، فَأَنْظَرَهم وأخذَ رَهْنَهم، ثُمّ سَلَّمُوهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ في مُنْتَصَفِ[1] جُمَادَى [الآخِرَةِ][2] مِنَ السَّنَة.

فَتحُ سَرْمِينِيَةَ

كَانَ صَلَاحُ الدِّين عِنْدَ اشْتِغَالِه بفَتْح هَذِه الحُصُون بَعَثَ ابنَهُ الظَّاهِرَ غَازِي، صَاحِبَ حَلَب، إلى سَرْمِينِيَةَ[3]، فحَاصَرَها، وَاسْتَنْزَلَ الفِرِنْجَ الذين بِها عَلَى قَطِيعَةٍ أَعْطُوها، وهَدَمَ الحِصْنَ، وكان/ فَتْحُهُ آخِرَ[4] جُمَادى الآخِرَة، فانْطَلَقَ جَمَاعَةٌ مِنَ الأُسَارَى [كانُوا](أ) بِهذه الحُصُون. [264 ا]

وَكَانَت هذِه الفُتُوحَاتُ كُلُّها في مِقْدَارِ شَهْرٍ ونِصْف، وجَمِيعُها مِن أَعْمَالِ أَنْطَاكِيَة[5].

(أ) من س، وفي ظ: وكانوا.

---

(1) سادس عشر. الكامل 12: 13، النوادر السلطانية 91، مفرج الكروب 2: 264.

(2) من الكامل 12: 13.

(3) سرمانية. النوادر السلطانية 92، مفرج الكروب 2: 264، وهي: سَرْمِين: بلدة مشهورة من أعمال حلب، ينظر معجم البلدان 3: 215.

(4) في الكامل 12: 13، النوادر السلطانية 92: الثالث والعشرين.

(5) الكامل 12: 13.

فَتْحُ بَرْزَيه

وَلَمَّا فَرَغَ صَلاحُ الدِّين مِن قَلْعَةِ الشُّغْر، سَارَ إلى قَلْعَةِ بَرْزَيْه[1]، قُبالَةَ أفامِيَة وتُقاسِمُها في أعْمالِها، وبَيْنَهما بُحَيْرَةٌ مِن مَاءِ العَاصِي والعُيُونِ التي تَحتلُّها، وكانوا أشَدَّ شَيءٍ في الإيذاء بالمسلمين، فنَزَلَها في الرَّابع والعِشرين مِن جُمادَى الآخِرة[2]، وهِيَ مُتَعَذِّرَةُ المَصْعَد مِنَ الشَّمال والجَنوب، وَصَعْبَةٌ مِن الشَّرق، وَبِجِهَةِ [الغَرْب][أ] مَسْلَك إليها، فنَزَلَ هُناك صَلاحُ الدِّين، ونَصَبَ المَجانِيق، فلم تَصِلْ حِجارَتُها لبُعْدِ القَلْعَةِ وعُلُوِّها، فرَجَعَ إلى المُزاحَفَة، وقَسَّمَ عَساكِرَهُ عَلَى أُمَرائِه، وجَعَلَ القِتالَ بينَهم نُوَباً[3].

فقَاتَلَهم أوَّلاً عِمادُ الدِّين زَنْكي بنُ مَوْدُودٍ صَاحِبُ سِنْجار، وأصْعَدَهم إلى قَلْعَتِهم حَتَّى صَعُبَ المُرْتَقَى عَلَى المُسْلِمِين، وبَلَغُوا مَواقِعَ سِهامِهم وحِجارَتِهم مِنَ الحِصْن، وكَانُوا يُدَحْرِجُونَ الحِجارَةَ عَلَى المُقَاتِلَة فلا يَقُومُ لها شَيء، فلَمَّا تَعِبَ أَهْلُ هَذِه النَّوْبَةِ [عادُوا][ب]، وَصَعِدَ خاصَّةُ صَلاحِ الدِّين فقَاتَلُوا قِتالاً شَدِيداً، وصَلاحُ الدِّين وتَقِيُّ الدِّين ابنُ أخِيه يُحَرِّضانِهم حَتَّى أَعْيَوْا وهَمُّوا بالرُّجُوع، فَصَاحَ فيهم صَلاحُ الدِّين وفي أَهْلِ النَّوْبَةِ الثَّالِثَة فتَلاحَقُوا بِهم، وجَاءَ أَهْلُ نَوْبَةِ عِمادِ الدِّين عَلَى إثْرِهم، وحَمِيَ الوَطِيسُ وَرَدُّوا الفِرِنْجَ عَلَى أعْقَابِهم إلى حِصْنِهم فدَخَلُوه[ج]، ودَخَلَ المُسْلِمُونَ مَعَهم[4].

(أ) من س، وفي ظ: المغرب. (ب) من س. (ج) في س: فدخلوا.

---

(1) في معجم البلدان 1: 383: برزويه، والعامة تقول: برزيه.

(2) سنة 584 هـ. الكامل 12: 14.

(3) الكامل 12: 15.

(4) الكامل 12: 16.

وَكَان بَقِيَّةُ المسْلِمِينَ في الخِيَام شَرْقِيَّ الحِصْن، وَقَد أَهْمَلَهُ الفِرنْج، فَصَعِدَ أَهْلُ الخِيَام مِن تِلْكَ النَّاحِية، وَاجْتَمَعُوا مَعَ المسْلِمِين عَلَى أَعْقَابِ الفِرنْج عِنْدَ الحصْنِ فَمَلَكُوهُ عَنْوَةً، وَلَجَأَ الفِرنْجُ إِلى قُبَّةِ الحِصْنِ وَمَعَهم جَمَاعَةٌ مِن أُسَارَى المسْلِمِينَ في القُيُودِ، فَلَمَّا سَمِعُوا تَكْبِيرَ إِخْوَانِهِم خَارِجَ القُبَّةِ كَبَّرُوا، فَدَهِشُوا الفِرنْج وظَنُّوا أَنَّ المسْلِمِينَ خَالَطُوهم، فَأَلْقَوْا بِاليَدِ وَأَسَرَهُمُ المسْلِمُون، وَاسْتَبَاحُوهم وأَحْرَقُوا البَلَد، وأَسَرُوا صَاحِبَهَا وأَهْلَه وولَدَه[1].

وَافْتَرَقُوا في [أَسَارِهِم][أ]، فَجَمَعَهم صَلَاحُ الدِّين، حَتَّى إِذَا قَارَبَ أَنْطَاكِيَةَ / بَعَثَهم إِليها، لأَنَّ زَوجَتَهُ وزَوْجَةَ صَاحِبِ أَنْطَاكِيَةَ أُخْتَان، وَكَانَت زَوجَةُ صَاحِبِ [264 ب] أَنْطَاكِيَةَ تُرَاسِلُ صَلَاحَ الدِّين بالأَخْبَارِ وتُهَادِيه، فَرَعَى لها ذَلِكَ[2].

فَتْحُ دَرَبْسَاك[3]

وَلَمَّا فَرَغَ صَلَاحُ الدِّين مِن حِصْنِ بَرْزَيَه رَحَلَ مِنَ الغَدِ إِلى جِسْرِ[ب] الحَدِيد عَلَى نَهْرِ العَاصِي قُرْبَ أَنْطَاكِيَة، فَأَقَامَ عَلَيه، فلَحِقَ بِه مَخْلَفُ العَسْكَرِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى قَلْعَةِ دَرَبْسَاك وَنَزَلَ عَلَيها ثَامِنَ[ج] رَجَبٍ مِنَ السَّنَة، *وهِيَ [مِن][4] مَعَاقِلِ

(أ) س: أساريهم، ولعلها في أساراهم، أي اختلطوا. (ب) في س: حصن. (ج) في س: ثاني.

---

(1) الكامل 12: 16، النوادر السلطانية 93: وكان هو ومَنْ أُخذ من أهله سبعة عشر نفساً.

(2) الكامل 12: 17.

(3) كذا ضُبطت بالحركات في الكامل 12: 239، وفي نسخة س: دَرَبْساك، وفي أوضح المسالك 326: دُرَبْساك.

(4) من الكامل 12: 17.

الدَّاوِيَّة الَّتي يَلْجأُونَ إلى الاعْتِصام بها، ونصَبَ عَلَيها المَجانِيقَ حتّى هُدِمَ مِن سُورِها، ثُمّ هَاجَمَهَا بالمزاحفَة، وكَشَفَ المقَاتِلَةَ عَن سُورِها، ونَقَبُوا مِنْها بُرجاً مِن أسفَلِهِ فسَقَطَ، ثُمّ بَاكَرَ الزَّحفَ منَ الغَد، وصَابَرَهُمُ الفِرنْجُ يَنْتَظِرون المَدَدَ مِن صَاحِبِهم بِمُنْدَ، صَاحِبِ أنْطَاكيَة، فلَمّا تَبيّنُوا عَجْزَهُ اسْتَأْمَنُوا إلَى صَلاحِ الدِّين، فأَمَّنَهم في أَنْفُسِهم فَقَطْ، وَخَرَجُوا إلى أنْطَاكيَة، وَمَلَكَ الحِصْنَ لعِشْرِين[1] مِن رَجَبٍ مِنَ السَّنة●[أ][2].

فَتح بَغْرَاس[3]

ثُمّ سَارَ صَلَاحُ الدّين[ب] مِن[ج] دَرْبَسَاكَ إلى قَلْعَةِ بَغْرَاس عَلَى تَعَذُّرِها وقُرْبِها مِن أنْطَاكيَة، فيَحْتَاجُ معَ قِتَالِها[د] إلى رِدْءٍ منَ العَسْكَرِ بينَه وبيْنَ أنْطَاكيَة. فَحَاصَرَها ونَصَبَ عَلَيها المَجَانِيقَ، فقَصُرَتْ عَنها لِعُلُوِّها، وشَقَّ عَلَيهم حَمْلُ الماءِ إلَى أعْلَى الجبَل، وبَيْنَمَا هُم في ذَلك إذْ جَاءَهم[هـ] رَسُولُهم يَسْتَأمِنُ لهم، فأَمَّنَهم في أنْفُسِهم فَقَط، كَمَا أَمَّنَ أهْلَ دَرْبَسَاك، وتَسَلَّمَ القَلْعَةَ بما فيها[4]، وخَرَّبَها، فَجَدَّدَها ابنُ اليون، صَاحِبُ الأَرْمَن، وَحَصَّنَها وصَارَتْ في وِلَايَتِه[5].

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) سقط من س. (ج) في س: عن. (د) في س: قبالها. (هـ) في س: جاء.

(1) تاسع عشر. الكامل 12: 18، ورفع عليها العلم الإسلامى في ثاني عشرين رجب، النوادر السلطانية 93.
(2) الكامل 12: 17 – 18، وينظر الروضتين 4: 38 – 40.
(3) أوضح المسالك 218، معجم البلدان 1: 467، تقويم البلدان 258.
(4) ورفع العلم السلطانى عليها في ثانى شعبان من شهور سنة أربع وثمانين: النوادر السلطانية 94.
(5) الكامل 12: 19.

[صُلْحُ](أ) أَنطَاكِيَة

وَلَمَّا فتحَ حِصْنَ بَغْرَاسَ خَافَ بِمُنْدُ، صَاحِبُ أَنطَاكِيَةَ، وأَرْسَلَ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ فِي الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يُطْلِقَ أَسْرَى المسلمِينَ عِنْدَه(1)، وتَحَامَلَ عَلَيه فِي ذَلِكَ أَصْحَابُه لِيُرِيحَ النَّاسَ ويَسْتَعِدُّوا، فَأَجَابَهُ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى ذَلِكَ لِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ(2) مِن يَوْمِ عَقْدِ الهُدْنَة(3)، وَبَعَثَ إِلَيْه مَن اسْتَحْلَفَه وأَطْلَقَ الأَسْرَى(4).

وكان بِمُنْدُ فِي هَذَا الوَقْتِ عَظِيمَ الفِرنْجِ بِمُتَّسَعِ(ب) المَمْلَكة، وطَرَابُلُسُ وَأَعْمَالُهَا قَدْ صَارَتْ إِلَيهِ بعدَ القُمُّص، وَاسْتَخْلَفَ/ فِيها ابنَهُ الأَكْبَرَ(5). [1265]

وَعَادَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى حَلَب، فدَخَلَهَا ثَالِثَ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَة، وانْطَلَقَ مُلُوكُ الأَطْرَافِ بالجَزِيرَة وغَيْرِها إِلَى بِلَادِهِم(6).

ثُمَّ رَحَلَ إِلَى دِمَشْق، وكان مَعَهُ أبو فَلِيتَةَ قَاسِمُ بنُ المُهَنَّا، أَمِيرُ المدِينَةِ النَّبَوِيَّة، قَدْ عَسْكَرَ مَعَهُ، وشَهِدَ فُتُوحَهُ، وكَانَ يَتَيَمَّنُ بِصُحْبَتِه ويَتَبَرَّكُ بِرُؤْيَتِه، وَيَجْتَهِدُ فِي تَأْنِيسِهِ وتَكْرِيمِهِ(ج)، ويَرْجِعُ إِلَى مَشُورَتِه، ودَخَلَ دِمَشْقَ أَوَّلَ رَمَضَان مِنَ

(أ) في ظ: فتح، والصويب من س، ومن سياق النص. (ب) في س: متسع. (ج) سقط من س.

---

(1) وكانوا ألف أسير. مفرج الكروب 2: 270.

(2) وكان إلى سبعة أشهر. النوادر السلطانية 94، الروضتين 4: 44.

(3) أولها تشرين الأول (أكتوبر 1188 م: شعبان 584 هـ): الكامل 12: 19، نهاية الأرب 28: 430.

(4) الكامل 12: 19.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه 12: 20.

السّنَة، وأُشِيرَ عَلَيه بتَفْرِيق العَسَاكِر، فأَبَى، وَقَال: هَذه الحصُون: كَوْكَب وصَفَدُ والكَرَكُ في وسَطِ بِلَادِ الإِسْلَام فَلَا بُدَّ منَ البِدَارِ إلى فتْحِها[1].

فَتحُ الكَرَك

كَانَ صَلَاحُ الدِّينِ قَد جَمَّرَ العَسَاكِرَ عَلَى الكَرَك معَ أخِيهِ العَادِل حِينَ سَارَ إلى دَرْبَسَاكَ وبَغْرَاس، وأَبْعَدَ في تِلك النَّاحِية، فشَدَّ العَادِلُ حِصَارَها حتَّى جَهِدُوا وفَنِيَتْ أَقْوَاتُهم، فَرَاسَلُوهُ في الأَمَان، فَأَجَابَهم، وتَسَلَّمَ القَلْعَةَ وَمَلَكَها، ومَلَكَ الحُصُونَ الّتي حَوَالَيْها وأَعْظَمُها الشَّوْبَك[2]، وأَمِنَتْ تِلك النَّاحِيةُ، واتَّصَلَتْ إِيَالَةُ المسْلِمِين مِن مِصْرَ إِلى القُدْس[3].

فَتحُ صَفَد

لَمَّا عادَ صَلَاحُ الدِّينِ إلى دِمَشْق، أَقَامَ بِها نِصْفَ رَمَضَان، ثُمّ تَجَهَّزَ لِحصَارِ صَفَد، فنَزَلَ عَلَيها ونَصَبَ المَجَانِيق، وكَانَت أَقْوَاتُهم قَد تَسَلَّطَ عَلَيها الحصَارُ الأَولُ فخَافُوا مِن نَفَادِها، وَاسْتَأْمَنُوا، فَأَمَّنَهم وَمَلَكَها[4]، وَلَحِقُوا بمَدِينَةِ صُور[5].

---

(1) الكامل 12: 20.

(2) وكان هذا الفتح في أثناء شهر رمضان 584 هـ. مفرج الكروب 2: 272.

(3) الكامل 12: 21.

(4) في رابع عشر شوال 584 هـ . النوادر السلطانية 95، والروضتين 4: 49.

(5) الكامل 12: 21 – 22.

فَتحُ كَوكَب

فلمَّا[أ] كانَ صَلاحُ الدِّين علَى صَفَدَ خافَ[ب] الفِرنجُ بصُور علَى حِصْنِ كُوكَب، فبَعَثوا إليه نَجْدَةً، وكان قايمازُ النَّجْميُّ يُحاصِرُه، فشَعَرَ بتلك النَّجْدة، ورَكِبَ إليهم، وهم مُختَفُونَ في بَعْضِ الشِّعابِ، فكَبَسَهم، ولم يُفْلِتْ منهم أحدٌ[ج]، وكانَ فيهم مُقَدَّمانِ منَ الإسْبِتارِيَّة، فحَمَلَهما إلى صَلاحِ الدِّين علَى صَفَد، فحَضَرَهما[د] للقَتْلِ علَى عادَتِه في الدَّاوِيَّةِ والإسْبِتارِيَّة، فاسْتَعْطَفَه الواجِد، فعَفا عنهما وحَبَسَهما[1].

ولَمَّا فَتَحَ صَفَدَ سارَ إلى حِصْنِ كَوْكَب وحَاصَرَه، وأرْسَلَ إليهم بالأَمَان، فأَصَرُّوا علَى الامْتِناع، فنَصَبَ عَلَيهِمُ المَنْجَنيقَاتِ، وتابَعَ المُزاحَفَةَ، ثُمَّ عاقَهُ المَطَرُ عنِ القِتَال، وطَالَ مُقَامُه، فلَمَّا انقَطعَ المطرُ عَاوَدَ / [265 ب] المُزاحَفَة، وضَايقَهم بالسُّور، ونَقَبَ منه بُرجاً فَسَقَط، فارْتَاعوا واسْتأْمَنُوا، ومَلَكَ الحِصْنَ مُنْتَصَفَ ذِي [القَعْدَة][2] منَ السَّنة[3].

ولَحِقَ الفِرنجُ بصُور، واجْتَمَعَ فِيها[هـ] الزُّعَماءُ مِنهم، وتَابَعُوا الرُّسُلَ إلَى إخوانِهم وراءَ البَحْرِ وفي[و] جُزُرِهِ يسْتَصْرِخُونَهم لإمْدادِهم[ز]، فتَتَابَعُوا إليهم، واتَّصَلَ المُسْلِمُونَ في السَّاحِلِ: منَ أيْلَةَ إلى بَيْرُوتَ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهم إلَّا مَدِينَةُ صُور.

(أ) في س: لما. (ب) في س: خافه. (ج) في الأصل: أحداً، خطأ. وتجيء بالرفع على الصواب في ص 115.

(د) في س: فأحضرهما. (هـ) سقط من س. (و) في س: في. (ز) في الأصول: وإمدادهم.

---

(1) الكامل 12: 22 – 23.

(2) في الأصول: قعدة، والتصويب من الكامل 12: 23.

(3) الكامل 12: 23، وينظر النوادر السلطانية 96، الروضتين 4: 52، مفرج الكروب 2: 272 – 276.

وَلَمَّا فَرَغَ صَلَاحُ الدِّينِ مِنْ صَفَدَ وكَوْكَب، سَارَ إلى القُدْسِ، فقَضَى فيه نُسُكَ الأَضْحَى، ثُمَّ سَارَ إلى عَكَّا فأقَامَ بِها إلى انْسِلَاخِ السَّنةِ[1].

فَتحُ الشَّقِيف

ثُمَّ سَارَ صَلَاحُ الدِّينِ في رَبِيعٍ [الأوَّل[2] سنةَ] خَمْسٍ وثَمانِينَ إلى مُحَاصَرةِ الشَّقِيف[3]، وكان لأَرْنَاطَ[4] صَاحِبِ صَيْدَا، وهُوَ مِنْ أعظمِ النَّاسِ مَكْراً وَدَهَاءً، فلَمَّا نَزَلَ صَلَاحُ الدِّينِ بِمَرْجِ العُيُونِ جَاءَ إلَيْه وَأَظْهَرَ لهُ المَحَبَّةَ والمَيْلَ، وطَلَبَ المُهْلَةَ إلى جُمَادَى الآخِرةِ لِيَتَخَلَّصَ وَلَدُهُ وأَهْلُهُ مِنَ المَرْكِيس بصُور، و[قال][أ]: أُسَلِّمُ لَكَ الحِصْنَ[ب]، فأقَامَ صَلَاحُ الدِّينِ هناكَ[ج] لِوَعْدِه[5].

وَانقَضَتْ مُدَّةُ الهُدْنَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ بَيْمُنْدَ صَاحِبِ أَنْطَاكِيَة، فبَعَثَ تَقِيَّ الدِّينِ ابنَ أَخِيه في العَسَاكِرِ مَسْلَحَةً إلى البِلَادِ الَّتِي قُرْبَ أَنْطَاكِيَة[6].

ثُمَّ بَلَغَه اجْتِمَاعُ الفِرِنْجِ بِصُورَ عِنْدَ المَرْكِيس، وأَنَّ الأَمْدَادَ وافَتْهم مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهم وَرَاءَ البَحْرِ، وَأَنَّ مَلِكَ الفِرِنْجِ بالشَّام، الَّذِي أَطْلَقَه صَلَاحُ الدِّينِ بَعْدَ فَتْح

(أ) إضافة لتوضيح السياق. (ب) في س: حصن الشقيف. (ج) في س: هنالك.

---

(1) الكامل 12: 23.

(2) من الكامل 12: 27، وينظر الروضتين 4: 66.

(3) شقيف أرنون = شقيف أرنوم: قلعة بين بانياس والساحل، معجم البلدان 3: 356.

(4) هو Reynold Garnier، ينظر تاريخ الحروب الصليبية.

(5) الكامل 12: 27.

(6) المصدر نفسه والصفحة.

القُدْس، قَدِ اتَّفَقَ مَعَ المَرْكِيس ووَصَلَ يَدَهُ بِه، وَاجْتَمَعُوا فِي أُمَمٍ لا تُحْصَى، وَعَسْكَرُوا بظَاهِرِ صُور، وخَشِيَ أن يَتَقَدَّمَ إلَيْهِم ويَتْرُكَ الشَّقِيفَ وَرَاءَه فَتَنْقَطِعَ عَنْهُ المِيرَة، فأقَام بمَكَانِه[1].

فَلَمَّا انْقَضَى الأَجَلُ تَقَدَّمَ إلى الشَّقِيف، وَاسْتَدْعَى أَرْنَاطَ فَجَاءَ وَاعْتَذَرَ بأَنَّ المَرْكِيسَ لم يُمَكِّنه مِنَ أَهْلِهِ ووَلَدِه، وَطَلَبَ الإِمْهَالَ مُدَّةً أُخْرَى، فَتَبَيَّنَ صَلَاحُ الدِّين مَكْرَهُ [فَحَبَسَه][أ]، وَأَمَرَه أن يَبْعَثَ إلى أَهْلِ الشَّقِيفِ بالتَّسْلِيم، فَلَم يُجِيبُوا، فبَعَثَ بِهِ [إلَى][ب] دِمَشْقَ فَحُبِسَ بِها، وتَقَدَّمَ إلى الشَّقِيفِ فَحَاصَرَهُ بَعْدَ أن أَقَامَ مَسْلَحَةً قُبَالَةَ الفِرِنْج الَّذِينَ بظَاهِرِ صُور، فَجَاءَهُ الخَبَرُ بأنَّهم فَارَقُوا صُورَ لِحِصَارِ صَيْدَا، فَلَقِيَتْهُمُ المَسْلَحَةُ وقَاتَلُوهم فغَلَبُوهم، وأَسَرُوا سَبْعَةً مِنَ فُرْسَانِهِم وَقَتَلُوا آخَرِين، وَقُتِلَ / [266 ا] مَوْلًى لصَلَاحِ الدِّينِ مِن أَشْجَعِ النَّاس[2]، وَرَدُّوهم عَلَى أَعْقَابِهم إلى مُعَسْكَرِهِم بظَاهِرِ صُور[3].

وَجَاءَ صَلَاحُ الدِّينِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الوَاقِعَة فَأَقَامَ فِي [المَسْلَحَة][ج] رَجَاءَ أن يُصَادِفَ أَحَداً مِنَ الفِرِنْج فَيَنْتَقِمَ مِنْهم، ورَكِبَ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ لِيُشَارِفَ مُعَسْكَرَ الفِرِنْج، فَظَنَّ عَسْكَرُهُ أنه يُرِيدُ القِتَال، فَخَفُّوا وأَوْغَلُوا إلى العَدُوّ، وبَعَثَ صَلَاحُ

(أ) من س، وفي ظ: وحبسه. (ب) من س، وفي ظ: إليه. (ج) من س، وفي ظ: الأسلحة.

---

(1) الكامل 12: 27 – 28.

(2) يُعرف بأيبك الأخرش. النوادر السلطانية 99، والروضتين 4: 71، وفي مفرج الكروب 2: 285: أيبك الأخرس.

(3) الكامل 12: 28 – 29.

الدّين الأمَراء في إثرِهم يَرُدُّونهم فلَم يَرْجعُوا، وَرآهُمُ الفِرنْجُ فظَنُّوا أنّ وراءَهم كَميناً، فأرسَلُوا مَنْ يَكْشِفُ خبَرَهم، فوجَدُوهم مُنقَطِعين، فحَمَلُوا عَلَيهم وأَتَامُوهم جميعاً، وذَلكَ تاسِعَ جُمادى الأُولَى منَ السَّنَة، ثُمّ انْحَدَرَ إليهم صَلاحُ الدّين في عَسَاكِرِهِ منَ الجبَل فهزَمَهم إلى الجِسْرِ، وَغرِقَ منهم في البَحْرِ نَحْوٌ منْ مِائةِ [ذارِعٍ][أ] سِوَى مَن قُتِل[1].

وعَزَمَ السُّلطَانُ عَلَى حِصَارِهم، وَاجْتَمَعَ إلَيهِ النَّاسُ، ثُم عَادَ الفِرنْجُ إلى صُور، وَعَادَ السُّلطَانُ إلى تِبْنِين ليُشَارِفَ عَكّا ويَرْجِعَ إلى مُخَيَّمِه[2].

ولَمّا وَصَلَ إلى العَسْكَرِ جَاءَه الخَبَرُ بِأَنَّ الفِرنْجَ يَبْعُدُونَ عَن [صُورَ][ب] مَذاهِبَهم في حَاجَاتِهم، فكَتَبَ إلى العَسْكَرِ بعَكّا، ووَعَدَهم ثَامِنَ جُمَادَى الآخِرَةِ يُوافُونَهم منْ نَاحِيَتِهم للإغَارَة عَلَيهم، وأكْمَنَ لهُم في الأَوْدِيَةِ والشِّعَابِ منَ سَائِرِ النَّواحِي، وَاخْتَارَ جَمَاعَةً منْ فُرْسَان عَسْكَرِه، وتَقَدَّمَ إلَيهم بأَن يَتَعَرَّضُوا للفِرنْج، ثُم يَسْتَطْرِدوا لَهُم إلَى مَواضِعِ الكُمَنَاءِ، ففَعَلُوا ونَاشَبُوا الفِرنْج، وأَنِفُوا منَ الاسْتِطْرَاد، وطَالَ عَلَى الكُمَنَاءِ الانْتِظَار، فخَرَجُوا خَشْيَةً عَلَى أَصْحَابِهم ووَافَوْهم في شِدَّةِ الحَرْب، فانْهَزَمَ المسْلِمُون، ووَقَعَ التَّمْحِيص، وكان أرْبَعةٌ منَ الكَمِينِ منَ أُمَراءِ طَيّءٍ[3] فعَدَلُوا عَن طَرِيقِ أَصْحَابِهم وسَلَكُوا الوَادِي، وتَبِعَهم بَعْضُ العَسْكَر منَ

(أ) من س، وفي ظ: ذراع. (ب) من س، وفي ظ: الصور.

---

(1) الكامل 12: 29 – 30.

(2) المصدر نفسه 12: 30. وتبنين في جبال بني عامر تطلّ على بانياس بين دمشق وصور. معجم البلدان 2: 14.

(3) في الكامل 12: 31: من ربيعة وطيء.

مَوَالِي صَلَاحِ الدِّينِ، وَرَءَاهُمُ الفِرِنْجُ بِالوَادِي، فَعَلِمُوا أَنَّهم قد أَضَلُّوا الطَّرِيقَ فَاتَّبَعُوهم وقَتَلُوهم[1].

مُحَاصَرَةُ الفِرِنْجِ أَهْلِ صُورَ لِعَكَّا والحُرُوبُ عَلَيْهَا

كَانَت صُورُ، كَمَا قَدَّمْنَاهُ، قد ضَبَطَهَا المَرْكِيسُ، مِنَ الفِرِنْجِ، الوَاصِلُ مِنَ وَرَاءِ البَحْرِ، وقَام بِأَمْرِهَا، وكان كُلَّمَا فَتَحَ صَلَاحُ الدِّينِ مَدِينَةً أو حِصْنًا عَلَى الأَمَانِ / لَحِقَ أَهْلُهَا بِصُور، فَاجْتَمَعَ بِهَا عَدَدٌ عَظِيمٌ مِنَ الفِرِنْجِ وأَمْوَالٌ جَمَّةٌ[2]. [266 ب]

ولَمَّا فَتَحَ القُدْسَ لَبِسَ كَثِيرٌ مِنَ رُهْبَانِهم وقُسُوسِهِم وزُعَمَائِهِمُ السَّوَادَ حُزْنًا عَلَى البَيْتِ المَقْدِس، وارْتَحَلَ بَطْرَكُ القُدْس، وهُم مَعَهُ يَسْتَصْرِخُونَ أَهْلَ المِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ مِنَ وَرَاءِ البَحْرِ لِلأَخْذِ بِثَأْرِ القُدْسِ، فَخَرَجُوا لِلجِهَادِ مِنَ كُلِّ بِلَدٍ، حَتَّى النِّسَاءُ اللَّوَاتِي يَجِدْنَ القُوَّةَ عَلَى الحَرْبِ، وَمَن لم يَسْتَطِعِ الخُرُوجَ اسْتَأْجَرَ مَكَانَه، وبَذَلُوا الأَمْوَالَ لإِمْدَادِهِم[3].

وَجَاءَ الفِرِنْجُ مِنَ كُلِّ مَكَان، وَاجْتَمَعُوا بِصُور، وَمَدَدُ الرِّجَالِ والأَقْوَاتِ والأَسْلِحَةِ مُتَدَارَكٌ لَهُم في كُلِّ وَقْتٍ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى عَكَّا ومُحَاصَرَتِهَا، فَخَرَجُوا ثَامِنَ رَجَب خَمْسٍ وثَمَانِين، وَسَلَكُوا عَلَى طَرِيقِ السَّاحِل، وَأَسَاطِيلُهُم

---

(1) الكامل 12: 31.

(2) المصدر نفسه 12: 32

(3) المصدر نفسه 12: 32.

تُحاذيهم في البَحْرِ، وَمَسْلَحَةُ المسْلِمِينَ تَخَطَّفُهم من جَوانِبهم حتّى وَصَلُوا إلى عَكّا مُنْتَصَفَ رَجَب[1].

وَكَانَ رَأْيُ صَلَاحِ الدِّين أن يُحَاذِيَهم في مَسِيرِهِم لِينَالَ مِنْهم، فخالَفَهُ أَصْحابُهُ وَاعْتَذَرُوا بضِيقِ الطَّرِيقِ ووَعْرِه، فسَلَكُوا(أ) طَرِيقاً آخَرَ، ووَافاهم عَلى عَكّا، وقَد نَزَلوا عَلَيها، وَأَحَاطُوا بِها منَ البَحْرِ إلى البَحْر، فلَيْسَ للمُسْلِمِين إليها طَرِيق[2].

وَنَزَلَ صَلَاحُ الدِّينِ بالمُسْلِمِينَ قُبَالَتَهم، وَبَعَثَ إلى الأَطْرَافِ لِيَسْتَنْفِرَ النَّاسَ، فجَاءَهُ(ب) عَسْكَرُ المَوْصِل ودِيَارِ بَكْرٍ وسِنجارَ وسَائِرِ بلادِ الجَزِيرَة، وجَاءَ تَقِيُّ الدِّينِ ابنُ أَخِيه منَ حَمَاةَ، ومُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكبُوري منَ حَرَّانَ والرُّها، وكانَتْ أَمْدَادُ المسْلمينَ تَصِلُ في البَرّ، وأَمْدَادُ الفِرِنْجِ في البَحْرِ، وهُم مَحْصُورُونَ في صُورَةِ حَاصِرين، وكَانَتْ بينَهم أيّامٌ مَذْكُورَة ووقَائِعُ مَشْهُورة[3].

وَأَقَامَ السُّلْطَانُ بَقِيَّةَ رَجَبٍ لَم يُقَاتِلْهم، فلَمّا اسْتَهَلَّ شَعْبَانُ قَاتَلَهم يوماً بكَمَالِه، وبَاتَ النَّاسُ عَلَى تَعْبِئَة، ثُمّ صَابَحَهم بالقِتَالِ، ونَزَلَ النَّصْرُ(ج)، وحَمَلَ [عَلَيهم](د) تَقِيُّ الدِّينِ ابنُ أَخِيه مُنْتَصَفَ النَّهارِ حَمْلَةً منَ المَيْمَنةِ أَزَالَهُم عَن مَوَاقِفِهم وَمَلَكَ مَكَانَهم، وَاتَّصَلَ بالبَلَدِ فدَخَلَها المسْلِمُون، وَشَحَنَها صَلَاحُ الدِّين بالمَدَد من كُلّ شَيء، وبَعَثَ

(أ) في س: فسلك. (ب) في س: فجاء. (ج) في س: الصبر. (د) من س.

---

(1) الكامل 12: 33.

(2) المصدر نفسه 12: 34.

(3) المصدر نفسه 12: 34.

إليهم الأميرُ حُسَامُ الدِّين أبَا الهَيْجَاء السَّمين، منَ أكابِرِ أمَرَائهِ منَ الأكْرَادِ الحَطِيَّةِ[1] منَ إربل[2].

ثُمّ نَهَضَ / المسْلِمُونَ منَ الغدِ[3]، فوَجَدُوا الفرنْجَ قدْ أدَارُوا عَلَيهم خنْدَقاً يَمْتَنِعُونَ به، وَمَنَعُوهُمُ القِتَالَ يَوْمَهم، وأقامُوا كَذَلكَ[4]. [1 267]

وَكَانَ معَ صَلَاحِ الدِّينِ[أ] أحْياءٌ منَ العَرَب، فكَمَنُوا في مَعَاطِفِ النَّهرِ منَ نَاحِيَةِ الفِرنْجِ [للسَّارِحِ][ب] وَالمُخْتَطِبِ مِنْهم، وَكَبَسُوهم مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ وقَتَلُوهم، وجاءُوا بِرُؤُوسِهم إلى صَلَاحِ الدِّينِ فأحْسَنَ إليهم[5].

الواقِعَةُ عَلَى عَكَّا

كَانَ صَلَاحُ الدِّين قَد بَعَثَ عَنَ عَسْكَرِ مِصْر، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى الفِرنْج، فأرَادُوا مُعَاجَلَتَهُ قَبْلَ وصُولِهم، وكَانَتْ عَسَاكِرُهُ مُفْتَرِقَةً في المَسَالِحِ عَلَى الجِهَات، فمَسْلَحَةٌ مُقَابِلَ أنْطَاكيَة لصَدِّ بَمُنْد صَاحِبِها [عَنِ][ج] أعْمَالِ حَلَب، ومَسْلَحَةٌ بِحِمْص[د] لِحِفْظِها منَ أهْلِ طَرَابُلُس، ومَسْلَحَةٌ قُبَالَةَ صُور، ومَسْلَحَةٌ بثَغْرِ دِمْيَاطَ والإسْكَنْدَرِيَّة، وَاعْتَزَمَ الفِرنْجُ عَلَى مُهَاجَمَتِهم بالقِتَالِ، ولَم يَشْعُرُوا بهم، وصَابَحُوهم لعِشْرِين منَ

(أ) في س: ومع السلطان. (ب) من س، وفي ظ: للساحل. (ج) من س، وفي ظ: من. (د) في س: لحمص.

(1) في الكامل 12: 35: من الأكراد الحكمية.
(2) الكامل 12: 35 .
(3) في الكامل 12: 36: وهو سادس شعبان.
(4) الكامل 12: 36.
(5) المصدر نفسه 12: 36.

شعْبان[1]، وَرَكِبَ صَلَاحُ الدِّين وَعَبَّأ عساكِره، وَقَصَدُوا الميْمَنة، وَعلَيْها تَقِيُّ الدِّين ابنُ شَاهِنشَاه، فَتَزَحزَحَ بَعْضَ الشَّيء، وَأَمَدَّه صَلَاحُ الدِّين بالرِّجَالِ من عِنْدِه، فَحَطَمُوا عَلَى صَلَاحِ الدِّين في القَلْب، فتَضَعْضَعَ واسْتُشْهِد جَمَاعةٌ، مِنْهم: الأَمِيرُ مُجَلِّي بنُ مَرْوَان، والظَّهِير أخُو الفَقِيه عِيسَى وَالِي القُدْس، والحَاجِبُ خَلِيلٌ الهكَّارِيُّ، وغيْرُهم[2].

وَقَصَدُوا خَيْمَةَ صَلَاحِ الدِّين، فَقَتَلُوا مَن مَرُّوا بِه ونَهَبُوا، واسْتُشْهِدَ جَمَالُ الدِّين بنُ رَوَاحَةَ منَ العُلَمَاءِ، ووَضَعُوا السَّيْفَ في المسْلِمِين، وانْهَزَمَ الذين كانُوا حَوَالَي الخَيْمَةِ ولم تَسْقُطْ، وانقَطَعَ الذين وَلُوهَا منَ الفِرنْج عن أَصْحَابِهم وَرَاءَهم، وحَمَلَتْ مَيْسَرَةُ المسْلِمِين علَيهم فأَحْجَرَتْهم وَرَاءَ الخَنَادِق، وعَادُوا إلى خَيْمَة صَلَاحِ الدِّين فقَتَلُوا كُلَّ مَن وجَدُوا عِنْدَها منَ الفِرنْج[3].

وصَلَاحُ الدِّين قَد عَادَ منَ اتّبَاعِ أَصْحَابِه يَرُدُّهم للقِتَالِ، وَقدِ اجْتَمَعُوا [عليه][أ]، فَوَافَى الفِرنْجَ عندَ خَيْمَتِه معَ أَهْلِ المَيْسَرَة، واجْتَمَعُوا عَلَيهم، فلَم يُفْلِتْ منهم أَحدٌ، وأُسِرَ مُقَدَّمُ الدَّاوِيَّة، فَأَمَرَ بقَتْلِه، وَقَد كَان أَطْلَقَهُ في المَرَّةِ الأُخرى، وبَلَغَتْ عِدَّةُ القَتْلَى عَشَرَةَ آلافٍ فأَلْقَوا في / النَّهر[4]. [267 ب]

[أ] من س، وفي ظ: الفرنج.

---

(1) الكامل 12: 36.

(2) الكامل 12: 37 – 38، وينظر النوادر السلطانية 109 – 115، مفرج الكروب 2: 294 – 302.

(3) الكامل 12: 38.

(4) الكامل 12: 38 – 39.

وَأمَّا المُنهَزِمُون مِن المسْلِمِين فَمِنْهم مَنْ رَجَعَ مِن طَبَرِيَّة، ومِنْهم مَنْ جَاوَزَ الأُرْدُنَّ وَرَجَع، ومِنْهم مَن بَلَغَ دِمَشْق[1].

واتَّصَلَ قِتَالُ المسْلِمِينَ للفِرنْج، وَكَادُوا يَلِجُـون عَلَيهم [مُعَسْكَرَهم][أ]، ثُمَّ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ بنَهْبِ أموالِهم، وكَان المُنْهَزِمُونَ قَدْ حَمَلُوا أثْقَالَهم، فَامْتَدَّتْ إلَيها أيْدِي الأوْشَابِ[2] وَنَهَبُوها، فكَان ذَلك مِمَّا شَغَلَ المسْلِمِينَ عَنِ استِئْصَالِ الفِرنْج، وأقَامُوا فِي ذَلكَ[ب] يوماً ولَيْلَةً يَسْتَرِدُّونَ النَّهْبَ مِن أيْدِي النَّاس، وَنَفَّسَ بِذَلِكَ عنِ الفِرنْجِ بَعْضَ الشَّيْء[3].

رَحِيلُ صَلاحِ الدِّينِ عَنِ الفِرنْجِ بِعَكَّا

وَلَمَّا انقَضَتْ هَذِه الوَاقِعَةُ وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْ جِيَفِ الفِرنْج، تَغيَّرَ الهَوَاءُ وأنْتَن، وَحَدَثَ بِصَلَاحِ الدِّين قُولَنْجٌ كَانَ يُعَاوِدُه، فَأشَارَ أصْحَابُهُ عَلَيه بالانتِقَالِ عَنِ الفِرنْجِ ينْتَقِلُون، وإنْ أقَامُوا عُدْنا إليهم، وَحَمَلَهُ الأطِبَّاءُ عَلَى ذَلك، فَرَحَلَ[4] رَابِعَ رمَضَانَ منَ السَّنَة[5]، وتَقَدَّمَ إلى أهْلِ عَكَّا بحِيَاطَتِها، وأعْلَمَهم بسَبَبِ رَحِيلِه[6].

(أ) في ظ: بعسكرهم، والتصويب من س. (ب) في س: كذلك.

(1) الكامل 12: 39.

(2) في الكامل 12: 39: أوباش العسكر وغلمانه.

(3) الكامل 12: 39.

(4) إلى الخروبة. الكامل 12: 40، وينظر الروضتين 4: 93، مفرج الكروب 2: 203.

(5) سنة 585 هـ. الكامل 12: 40.

(6) الكامل 12: 40.

فلمّا ارتَحَلَ اشتدَّ الفِرنجُ في حِصَارِ عَكّا، وأحَاطُوا بِها دائرةً مع أسْطُولِهم في البَحْرِ، وحَفَرُوا خنْدَقاً عَلَى مُعَسْكَرِهِم، وَأدَارُوا عَلَيهم سُورًا مِن تُرَابِه، حِصْناً مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ أنْ يعُودَ إليهم، وَمَسْلَحَةُ المسْلِمِينَ قُبَالَتَهم يُنَاوِشُونَهمُ القِتَالَ فَلَا يُقَاتِلونَهم. وبَلَغَ ذَلِكَ صَلَاحَ الدِّين، وَأشَارَ أصْحَابُه بارْسَالِ العَسَاكِرِ لِمَنْعِهِم مِنَ التَّخصِين، فامْتَنَعَ مِن ذَلِكَ لِمَرضِه، وتَمَّ للفِرنْجِ مَا أرادُوه[1]، وأهلُ عَكّا يَخْرُجُونَ إليهم في[أ] كُلِّ يَوْمٍ ويُقَاتِلُونَهم[2].

مُعَاوَدَةُ صَلاحِ الدِّينِ حِصَارَ الفِرنْجِ عَلَى عَكّا

ثُمَّ وَصَلَ العَادِلُ أبُو بَكْرِ بنُ أيُّوبَ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ في عَسَاكِرِ مِصْرَ، وَمعَهُ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنَ المُقَاتِلةِ وَالأصْنَافِ الكَثِيرة مِنَ آلاتِ الحِصَارِ، وَوَصَلَ عَلَى إثْرِه أُسْطُولُ مِصْرَ مَعَ الأمِيرِ لُؤلُؤ، وكَبَسَ مَرْكَباً للفِرنْج فغَنِمَ مَا فِيه[ب]، وَدَخَلَ بِهِ إلَى عَكّا.

وبَرِىءَ صَلَاحُ الدِّينِ مِن مَرَضِه، وَأقَامَ بِمَكَانِهِ بالخَرُّوبَة إلَى انْسِلَاخِ الشِّتَاء[3]. / وسَمِعَ الفِرنْجُ أنّ صَلَاحَ الدِّينِ سَائِرٌ إليهم، وَاسْتَقَلُّوا مَسْلَحَةَ المسْلِمِين [268 أ]
عِنْدَهم، فزَحَفُوا إلَيهم في صَفَرٍ سِتٍّ وثَمَانِين. وَاسْتَمَاتَ المسْلِمُونَ، وَقُتِلَ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ

(أ) في: سقط من س. (ب) فيه: سقط من س.

(1) فانقطعت طريق المسلمين إلى عكا بالكلية. مفرج الكروب 2: 303.

(2) الكامل 12: 40 – 41.

(3) المصدر نفسه 12: 41، 44.

خلقٌ، وتحاجزوا، وبلغَ الخبرُ بذلك إلى صلاحِ الدّين، وجاءته العساكرُ من دمشق وحمص وحماة، فتقدّمَ من الخروبةِ إلى تلّ كيسان، وتابعَ القتالَ على الفرنجِ، ليشغلَهم عن المسلمين، فكانوا يقاتِلون الفريقَين[1].

وكانَ الفرنجُ في مُدّةِ مُقامِهم على عكّا قد صنعوا ثلاثةَ أبراجٍ من الخشبِ، ارتفاعُ كلِّ برجٍ ستّونَ ذراعاً، وفيه خمسُ [طبقاتٍ][2]، وغشّوها بالجلودِ وطلَوْها بالأدويةِ التي لا تعلقُ النارُ بها، وشحنوها بالمقاتِلة، ودحَوها إلى البلدِ من ثلاثِ جهاتٍ في العشرين من ربيعٍ الأوّلِ سنةَ ستٍّ وثمانين، وأشرفوا بها على السورِ، فانكشفَ من كان عليه من المقاتِلة، فشرعَ الفرنجُ في طمّ الخندق[3].

وبعثَ أهلُ عكّا إلى صلاحِ الدّين سابحًا في البحرِ يصِفُ له حالَهم، فركِبَ في عساكِره، واشتدَّ في قتالِ الفرنجِ، فخفَّ عن أهلِ البلدِ ما كانوا فيه، وأقاموا كذلك ثمانيةَ أيامٍ، والفرنجُ يقاتِلون الجهتَين، وعجزوا عن دفعِ الأبراجِ، ورمَوها بالنّفطِ فلم يؤثّر فيها[4].

وكان عندهم رجلٌ من أهلِ دمشق[5] يعاني أحوالَ النّفطِ وأدويتَه تأثيراً ومنعاً، فحضرَ عند قراقوش حاكمِ البلد، وأعطاه دواءً، وقالَ له: يُرمى بهذا في

(1) الكامل 12: 44 – 45.

(2) في ظ: طباتم، في س: طيات. والتصويب من الكامل 12: 45.

(3) الكامل 12: 45.

(4) المصدر نفسه 12: 45 – 46.

(5) يقال له: علي ابن عريف النحاسين. مفرج الكروب 2: 316.

المَنْجَنِيقِ المُقَابِلِ لأحَدِ الأبراجِ فيَحْتَرِق، لِجُوْدَ عليه، ثُم وَافَق ورَمَى بهِ في قِدْرٍ، ثُمّ رَمَى بَعْدَه بِقِدْرٍ أخرى مَمْلُوءَةٍ ناراً، فاضْطَرَمَتِ النّارُ وَاحْتَرَقَ البُرْجُ بِمَن فيه، ثُمّ فَعَلَ بالثّاني والثّالِثِ كَذَلِك[1]، وَفَرِحَ أَهْلُ البَلَدِ وتَخَلّصُوا مِن تِلْك الوَرْطَة، وأَمَرَ صَلَاحُ الدّينِ بالإحْسَانِ إلَى ذَلِكَ الرّجُل، فلم يَقْبَلْ، وَقَالَ: إنّمَا فَعَلْتُهُ لله، ولَا أُرِيدُ الجَزَاءَ إلّا مِنه[2].

ثُمّ بَعَثَ صَلَاحُ الدّينِ إلى مُلُوكِ الأَطْرَافِ يَسْتَنْفِرُهم، فَجَاءَه عِمَادُ الدّينِ زَنْكِي ابنُ مَوْدُودٍ صَاحِبُ سِنْجَار، ثُمّ عَلَاءُ الدّينِ ابنُ صَاحِبِ المَوْصِل عِزّ الدّينِ مَسْعُودِ ابنِ مَوْدُود، بَعَثَهُ أَبُوهُ بالعَسَاكِرِ، ثُمّ زَيْنُ الدّينِ [يُوسُفُ][3] / [268 ب] صَاحِبُ إرْبِل، وَكَان كُلُّ وَاحِدٍ منهم إذَا وَصَلَ يَتَقَدّمُ بعَسْكَرِه فيُقَاتِلُ الفِرنْجَ، ثُمّ يَضْرِبُونَ أَبْنِيَتَهم[4].

وَجَاءَ الخَبَرُ بوصُولِ الأُسْطُولِ مِن مِصْرَ[5]، فَجَهّزَ الفِرنْجُ أُسْطُولاً لِقِتَالِه، وشَغَلَهم صَلَاحُ الدّينِ بالقِتَالِ لِيَتَمَكّنَ الأُسْطُولُ مِن دُخُولِ عَكّا، فلَم يُشْغَلُوا عَنْهُ، وَقَاتَلُوا الفَرِيقَيْنِ بَرّاً وبَحْراً، ودَخَلَ الأُسْطُولُ إلى مَرْسَى عَكّا سَالماً[6].

(1) يوم السبت الثامن والعشرين من ربيع الأول 586 هـ. الروضتين 4: 125.

(2) الكامل 12: 46 – 47، وينظر الروضتين 4: 122.

(3) من الكامل 12: 47.

(4) الكامل 12: 47.

(5) قدمت خمسون قطعة مع حسام الدين لؤلؤ منتصف ذي القعدة 585 هـ. الفتح القسّي 340 - ، وينظر الروضتين 4: 103.

(6) الكامل 12: 47.

وصولُ مَلكِ الألمانِ إلى الشامِ ومَهلكُهُ

هَؤلَاءِ الألمَانُ شَعْبٌ مِن شُعُوبِ الفِرنجِ، كَثِيرُ العَدَدِ، مَوصُوفُون بالبَأسِ والشِّدَّة، وهُم مُوطَّنُون بجَزِيرةِ أنكلَطِرَّة في الجِهَةِ الشَّمالِيَةِ الغَربِيةِ مِنَ البَحرِ المُحِيط، وهُم حَدِيثُو عَهْدٍ بالنَّصْرَانِيَّة. ولَمَّا سَارَ القُسُوسُ والرُّهبانُ بخَبَرِ بَيْتِ المَقْدِس واسْتِنْفَارِ النَّصْرَانِيةِ لَهَا، قَامَ مَلِكُهم[1] في رَكَائِبِه وجَمَعَ عَسَاكِرَهُ وسَارَ للجِهَادِ بزَعْمِه، وفَسَحَ النَّصارى لهُ الطَّرِيقَ، وقَصَدَ القُسْطَنطِينَةَ، فَعَجَزَ مَلِكُ الرُّومِ عَن مَنعِهِ بَعْدَ أن كَانَ يَعِدُ بِذَلك نَفْسَه، وكَتَبَ بهِ إلَى صَلَاحِ الدِّين، لكِنَّه منَعَ عَنْهُمُ المِيرَةَ، فَضَاقَتْ عَلَيهِمُ الأقْوَاتُ، وعَبَرُوا خَلِيجَ القُسْطَنطِينَة، ومَرُّوا بمَملَكَةِ قِلِيجِ أرْسَلَان، و[اتبَعهم][ا] التُّرْكُمانُ يتَحَيَّفُونَهم[2] ويَتَخَطَّفُونَ منهم، وكَانَ الفَصْلُ شِتَاءً والبِلَادُ بارِدةً فَهَلَكَ أكثَرُهم مِنَ البَرْدِ والجُوعِ[3].

ومَرُّوا بقُونِيَة، وبِها قُطْبُ الدِّين مَلِكُ شَاه بنُ قِلِيجِ أرْسَلان، قَد غَلَبَ عَلَيهِ أوْلادُهُ وافتَرَقُوا في النَّواحِي، فَخَرَجَ لِيَصُدَّهم، فلَم يُطِقْ ذَلِك ورَجَعَ، فسَارُوا في إثْرِهِ إلى قُونِيَةَ وبَعَثُوا إليه بِهَدِيَّةٍ عَلَى أن يَأذَنَ لهُم في المِيرَة، فأذِنَ لهُم، واسْتَرْهَنُوا عِشرِينَ مِن أُمَرَائِه، وتَكَاثَرَ عَلَيهِمُ اللُّصوص، فقَيَّدوا أُولئِكَ الأُمَرَاءَ وَحَبَسُوهم، وَسَارُوا إلَى بِلَادِ الأرْمَن، وَصَاحِبُها لَافُونُ بنُ اصطِفَانَةَ بنِ اليون، فَأمَدَّهُم بالأزْوَادِ

(ا) ظ: واتبعوهم، والمثبت من س.

---

(1) المقصود فردريك بربروسا Frederic Barbarousse .

(2) يأخذون من حافاتهم.

(3) الكامل 12: 48.

والعَلُوفات، وأظهَرَ طَاعَتَهم، وسَارُوا إلى أنطَاكِيَة، ودَخَلَ مَلِكُهم لِيَغتَسِلَ في نَهرٍ هُنَالِكَ فغَرِقَ، ومَلَكَ ابنُهُ بَعْدَه[أ]، ولَمَّا بلَغُوا أنطَاكِيَة اختَلَفُوا، فبعضُهم مَالَ إلى تَمليكِ أخِيه، وبَعضُهم مَالَ إلى العَوْدِ فعَادُوا كُلُّهم[1].

[269 أ] وسَارَ ابنُ المَلِكِ / فيمَن ثَبَتَ مَعَه، يَزِيدُونَ عَلى أَربَعِينَ ألفاً، وأصَابَهمُ المَوَتَانُ، وحَسَّنَ لهُم صَاحِبُ أنطَاكِيَة [المسِيرَ إلى][ب] الفِرنج عَلى عَكّا، فسَارُوا عَلى جَبَلَةَ واللاذِقِيَّة، ومَرُّوا بحَلَب، فتَخَطَّفَ أهلُها منهم خَلقاً، وبَلَغوا طَرَابُلُس وقد أفنَاهمُ المَوتَانُ ولم يَبقَ منهم إلا نَحوُ ألفِ رَجُل، فرَكِبُوا البَحرَ إلى عَكَّا، ثُم رَأوا ما هُم فِيه منَ الوَهنِ والخِلافِ، فرَكِبُوا البَحرَ إلى بِلَادِهم، وغَرِقَتْ بِهِمُ المَرَاكِب، ولَم يَنجُ منهم أحدٌ[2].

وكَانَ المَلِكُ قِلِيجُ أرسَلان يُكَاتِبُ صَلاحَ الدِّينِ بأخبَارِهم، ويَعِدُهُ بمَنعِهم منَ العُبُورِ عَلَيه، فلَمَّا عَبَرُوا اعتَذَرَ بالعَجزِ عَنهم، وافتِرَاقِ أولادِه واستِبدَادِهم عَلَيه[3].

وأمَّا صَلاحُ الدِّين فإنَّهُ استَشَارَ أصحَابَه عِندَ وصُولِ خَبَرِهم[4]، فأشَارَ بَعضُهم بلقَائِهم في طَرِيقِهم ومُحَارَبَتِهم، وأشَارَ آخَرُونَ[ج] بالمَقَامِ لِئَلَّا يأخُذَ الفِرنجُ عَكّا،

(أ) في س: وملك بعده ابنه.   (ب) في ظ: إلى المسير إلى.   (ج) في س: بعضهم.

---

(1) الكامل 12: 49.

(2) الكامل 12: 49 – 50.

(3) المصدر نفسه 12: 50.

(4) ينظر نص كتاب كاغيلوس (كاغيكوس) الأرمني، مقدّم الأرمن وصاحب قلعة الروم، إلى السلطان صلاح الدين في: النوادر السلطانية 124 – 126، مفرج الكروب 2: 320 – 322.

ومَالَ صَلَاحُ الدِّينِ إلى هَذا الرَّأي، وبَعَثَ العَسَاكِرَ مِن جَبَلَة واللاذِقِيَّة وشَيْزَر إلى حَلَب لِيَحْفَظُوها مِن عَادِيَتِهِم[1].

وَاقِعَةُ المُسْلِمِينَ مَعَ الفِرِنْجِ عَلَى عَكَّا

ثُمَّ زَحَفَ الفِرِنْجُ عَلَى عَكَّا في عِشْرِينَ جُمَادَى الآخِرَة مِن سَنَة سِتٍّ وثَمَانِين، وخَرَجُوا مِن خَنَادِقِهم إلى عَسْكَرِ[ا] صَلَاحِ الدِّين، وقَصَدُوا العَادِلَ أبَا بَكْرِ بنَ أيُّوبَ في عَسَاكِرِ مِصْر، فاقْتَتَلُوا قِتالاً شَدِيداً حَتَّى كَشَفَهُم الفِرِنْجُ عَنِ الخِيَام ومَلَكُوها، ثُمَّ كَرَّ عَلَيهِمُ المِصْرِيُّونَ فَكَشَفُوهم عَن خِيَامِهم، وخَالَفَهم بعضُ عَسَاكِرِ مِصْرَ إلى الخَنَادِق فقَطَعُوا عنهم مَدَدَ أصْحَابِهم، فأخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ، وقُتِلَ مِنْهم مَا يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلاف[2].

وكَانَتْ عَسَاكِرُ المَوْصِلِ قَرِيباً مِن عَسْكَرِ مِصْر، ومُقَدَّمُهم عَلاءُ الدِّين [خُرَّم شَاه][3] بنُ عِزِّ الدِّين مَسْعُودٍ صَاحِبِ المَوْصِل، فحَمَلُوا عَلَى الفِرِنْج وفَعَلُوا فِيهِم مِثْلَ ذَلك، فَخَمَدَتْ جَمْرَتُهم، وأمَرَ صَلَاحُ الدِّين بمُنَاجَزَتِهم عَلَى هَذه الحَال، وبَلَغَهُ الخَبَرُ بمَوْتِ مَلِكِ الألْمَان، ومَا أصَابَ قَوْمَهُ منَ الشَّتَاتِ، فسُرَّ المسْلِمُونَ بِذَلك، وظَنُّوا وَهْنَ الفِرِنْجِ به[4].

(ا) في س: عساكر.

---

(1) الكامل 12: 50.

(2) الكامل 12: 51، وينظر النوادر السلطانية 129 – 131، مفرج الكروب 2: 325 – 327.

(3) في الأصول: خوارزم شاه، والتصويب من الكامل 12: 51، والروضتين 4: 124.

(4) الكامل 12: 51 – 52.

ثُمّ بَعْدَ يَوميْنِ لَحِقَتْ بالفِرنْج أَمْدَادٌ فِي البَحْرِ مَعَ[أ] كِنْدٍ[1] مِنَ الكُنُودِ يُقَالُ لَهُ: الكِنْد هِرِي[2] / [269 ب] ابنُ أخِي الإفْرَنسِيس لأبيه، وابنُ أخِي مَلِكِ انْكِلْطَار لأُمّه، ففَرّقَ فِي الفِرنْج أمْوَالاً، وجَنّد لَهُم أجْنادا[ب]، ووَعَدَهم بوصُولِ الأمْدَادِ عَلَى إثْرِه، فاعْتَزَمُوا عَلَى الخُرُوجِ لِقِتَالِ المسْلِمِين، فانْتَقَلَ صَلَاحُ الدّين إلى الخَرُّوبَة مِن مَكَانِه لِثَلاثٍ بَقِيْنَ مِن جُمَادَى الآخِرة لِضِيقِ المجَال، ونَتْنِ المكَان مِن جِيَفِ القَتْلَى، ثُمّ نَصَبَ الكِنْد هِرِي عَلَى عَكّا مجَانِيقَ ودبَّابَات، فأخَذَها أهْلُ عَكّا، وقَتَلُوا عِنْدَها جُمُوعاً مِنَ الفِرنْجِ، فأرَادَ نَصْبَ آخَرَ فَلَم يَتَمَكّنْ مِن ذَلك، ولاَ مِن [إقَامة][ج] السّتَائِر عَلَيْها، لأنّ أهْلَ البَلَدِ كَانُوا يُصِيبُونَها، فَعَمِلَ تَلّاً عَالِياً مِن التُّرَابِ، ونَصَبَ المَجَانِيق مِن وَرَائِه، وضَاقَت الأحْوالُ بعَكّا، وقَلّت المِيرَة.

وأرْسَلَ صَلَاحُ الدّينِ إلى الإسْكَنْدَرِيّة بِبَعْثِ الأقْوَاتِ في[د] المرَاكِبِ إلَى عَكّا، وبعَثَ إلى بَيْرُوتَ بِمثْلِ ذَلك، فبَعَثُوا مَرْكَباً ونَصَبُوا فيه الصُّلْبَانَ يُوهِمُون أنّه للفِرنْجِ حَتّى دَخَلُوا إلى المرْسَى، وَجَاءَت بَعْدَه المِيرَةُ مِنَ الإسْكَنْدَرِيّة.

ثُمّ جَاءَتْ مَلِكَةٌ مِنَ الفِرنْج مِن وَرَاءِ البحْرِ فِي نَحْوِ ألفِ مُقَاتِلٍ للجِهَادِ بِزَعْمِها، فأُخِذَتْ ببَحْرِ الإسْكَنْدَرِيّة وجَمِيعُ مَا مَعَها[3].

(أ) في س: مِن. (ب) يوجد خرم في نسخة س، تطابق من نسخة ظ، من بداية السطر الثاني من 269 ب حتى السطر الخامس من 288 أ. (ج) إضافة يقتضيها السياق. (د) في ظ: إلى، ومصححة دون شطب.

---

(1) هي Conte بالفرنسية، وComes باللاتينية. واستعملوا في نقلها للعربية: قومس، وقُمّس وقُمّص وكند وقند، وكونت. الكرملي: الألقاب الرومانية عند قدماء العرب.

(2) هو هنري Henri of Troyes كونت شمبانيا Henri de Champogne.

(3) الكامل 12: 52 – 53، النوادر السلطانية 135.

ثُمّ كَتَبَ البَابَا، كَبِيرُ المِلَّةِ النَّصْرَانِيَة، مِن كَنِيسَتِهِ بِرُومَةَ يَأْمُرُهم بالصَّبْرِ والجِهَاد، ويُخْبِرُهم بوصُولِ الأَمْدَادِ، وأنه رَاسَلَ مُلُوكَ الفِرِنْج يَحُثُّهم عَلَى إمْدَادِهم، فازْدَادُوا بِذَلِك قُوَّةً، وَاعْتَزَمُوا عَلَى مُنَاجَزَةِ المسْلِمِين. وَجَمَّرُوا عَسْكَراً مِنْهم لِحِصَارِ عَكَّا، وَارْتَحَلُوا حَادِيَ عَشَر شَوَّالٍ مِنَ السَّنَة، فنَقَلَ صَلَاحُ الدِّين أَثْقَالَ العَسْكَرِ إِلَى قَيْمُونَ، عَلَى ثَلاثةِ فَرَاسِخَ مِن عَكَّا، ولَقِيَ الفِرِنْجَ عَلَى التَّعْبِئَة[1].

وَكَانَ أَوْلادُه: الأفْضَلُ عَلِيٌّ والظَّاهِرُ غَازِي والظَّافِرُ خَضِرٌ في القَلْبِ، وأَخُوهُ العَادِلُ أبو بَكْرٍ في المَيْمَنَةِ بعَسَاكِرِ مِصْرَ ومَنِ انضَمَّ إليهم، وعِمَادُ الدِّين صَاحِبُ سِنْجَارَ وتَقِيُّ الدِّينِ صَاحِبُ حَمَاةَ ومُعِزُّ الدِّينِ سَنْجَر شَاه صَاحِبُ جَزِيرَةِ ابنِ عُمَرَ في المَيْسَرة، وصَلَاحُ الدِّينِ في خَيْمَةٍ صَغِيرةٍ عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ نُصِبَ لهُ مِن أَجْلِ مَرَضِه.

فَلَمَّا وَصَلَ الفِرِنْجُ وَعَايَنُوا كَثْرَةَ المسْلِمِينَ / نَدِمُوا عَلَى مُفَارَقَةِ خَنَادِقِهم، [270 ا] وبَاتُوا لَيْلَتَهم، وَعَادُوا منَ الغَدِ إلى مُعَسْكَرِهم، فاتَّبَعَهم أَهْلُ المُقَدَّمَة وتَخَطَّفُوهم مِن كُلِّ نَاحِية، وَأَحْجَزُوهم وَرَاءَ خَنَادِقِهم، ثُم نَاوَشُوهُم القِتَالَ في الثَّالِثِ والعِشْرِينَ مِن شَوَّال، بَعْدَ أَنْ أَكْمَنُوا لهُم عسْكراً، فخَرَجَ لهمُ الفِرِنْجُ في نَحْوِ أَرْبَعِ مائةِ فَارِس، واسْتَطْرَدَ لهمُ المسْلِمونَ إلَى أَنْ وَصَلُوا كَمَائنَهم، فخَرَجُوا عَلَيهم ولم يُفْلِتْ مِنْهم أحدٌ[2].

وَاشْتَدَّ الغَلَاءُ عَلَى الفِرِنْجِ، وَبَلَغَت الغَرَارَةُ مِائةَ دِينَارٍ صُورِي، معَ مَا كَانَ يُحْمَلُ إِلَيهم منَ البلْدَان: مِن بَيْرُوتَ عَلَى يَدِ صَاحِبِها أُسَامَة، ومِن صَيْدَا عَلَى يدِ

(1) الكامل 12: 53.

(2) المصدر نفسه 12: 53 – 54.

نائبِها سَيفُ الدِّين عَلِيّ بن أحمدَ المشطُوب، ومِن عَسقَلان، وغيرِها. ثُم اشتَدَّ الحَالُ عَلَيهم عِندَ هَيَجانِ البَحرِ وَانقِطَاعِ المَرَاكِبِ في فصلِ الشِّتاء[1].

ثُم هَجَمَ الشِّتاءُ، وأرسَى الفِرنجُ مَرَاكِبَهم بصُور خوفًا عَلَيها عَلَى عَادَتِهم في فصلِ الشِّتَاء، ووُجِدَ الطَّرِيقُ إلَى عَكَّا في البَحرِ، فأرسَلَ أهلُهَا إلى صَلاح الدِّين يَشكُونَ مَا نَزَلَ بِهم، وَكَان بِها الأميرُ حُسَامُ الدِّين أبو الهَيجاء السَّمين، فشَكَى مِن ضَجَرِه بطُولِ المُقَامِ وَالحزبِ، فأمَرَ صَلَاحُ الدِّين بإنفَاذِ نائِبٍ وعَسكرٍ إليها بدَلاً منهم، وَأمَرَ أخَاهُ العَادِلَ بمبَاشَرَةِ ذَلك، فانتَقَلَ إلى جَانِبِ البحرِ عِندَ جَبَلِ حَيفَا، وَجَمَعَ المَرَاكِبَ والشَّوَانِيَ، وبَعَثَ العَسَاكرَ إليها شَيئًا فشَيئًا، كُلَّمَا دخَلَتْ طَائِفَةٌ خَرَجَ بدَلُهَا، فَدَخَلَ عِشرونَ أميرًا بَدَلا عَن سِتِّينَ كَانُوا بِها، وأهمَلُوا أمرَ الرِّجَل[2]، وتَعِبَتْ دَوَاوِينُ صَلَاح الدِّين، وَكَانُوا نَصَارَى، عَلَى الجُندِ في إثبَاتِهم واطْلَاقِ نفَقَاتِهم، فَقَلَّتِ الحَامِيةُ بعَكَّا وَضَعُفَت، وَعَادَتْ مَرَاكِبُ الفِرنجِ بَعْدَ أنِ انحَسَرَ الشِّتَاء، فانقَطَعَتِ الأَخبَارُ مِن عَكَّا وعَنها[3].

وكَانَ منَ الأُمَرَاءِ الذين دَخَلُوا عَكَّا: سَيفُ الدِّين عَلِيُّ بنُ أحمد المشطُوبُ، وعِزُّ الدِّين [أرْسَل][4] مُقَدَّمُ الأسَدِيَّة، وابنُ جَاوَلِي، وغَيرُهم، وكَان دُخُولُهم عَكَّا أوَّلَ سَنةِ سَبعٍ وثَمانِين[5].

(1) الكامل 12: 54 – 55.

(2) في الكامل 12: 55: وأهمل نواب صلاح الدين تجنيد الرجال وإنفاذهم.

(3) الكامل 12: 55.

(4) في ظ: أرسلان، والتصويب من الكامل 12: 55، وما يلي.

(5) الكامل 12: 55.

وَفاةُ زَيْنِ الدِّينِ صَاحَبِ إرْبل، وَوِلايةُ أُخيه كُوكبُوري

/ كَانَ زينُ الدِّينِ يُوسُفُ بنُ زَيْنِ الدِّين عَلِيّ كُجُك قَد دَخَلَ في طَاعَةِ صَلَاح الدِّين، وَكَانتْ لَهُ إربل كَمَا كَانَتْ لأَبِيه، وحَرَّانُ والرُّهَا لأَخِيهِ مُظَفَّر الدِّينِ كُوكبُورِي، وكان يُعَسْكِرُ مَعَ صَلَاحِ الدِّينِ في غَزَوَاتِه، وحَضَرَ عِنْدَه عَلَى عَكَّا، فأَصَابَهُ المَرَضُ، وتُوفِّيَ ثَامِنَ عَشَرَ رَمَضَانَ أَرْبَعٍ وثَمَانِين، فَقَبَضَ أَخُوهُ مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكبُورِي عَلَى بُلْدَاجي، مِن أُمَرَائِه، وَبَعَثَ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ يَطْلُبُ إِرْبل، ويَتْرُكُ عَنْ حَرَّانَ والرُّهَا، فَأَجَابَه وأَقْطَعَهُ [إِيَّاهَا][1]، وَأَضَافَ إِلَيها[2] شَهْرَزُورَ وأَعْمَالَها، ودَرْبَنْدَ قَرَابِلي وبَنِي قَفْجَاق[3]. [270 ب]

وَكَاتَبَ أَهْلُ إِرْبِلَ مُجَاهِدَ الدِّين قَايْمَاز نَائِبَ المَوْصِلِ لِيُمَلِّكُوه، وكَانَ هَوَاهُم مَعَهُ، فَامْتَنَعَ مِن ذَلك، هُوَ وسُلْطَانُه عِزُّ الدِّينِ صَاحِبُ المَوْصِل، خَوْفاً مِن صَلَاحِ الدِّين، مَعَ أَن مُجَاهِدَ الدِّين كَان عِزُّ الدِّين قَد حَبَسَه، كَمَا مَرَّ، ثُمَّ أَطْلَقَه [وَوَلَّاهُ][4] بِنِيَابَتِه، وَجَعَلَ بَعْضَ غِلْمَانِهِ عَيْناً عَلَيه، وكَان يُنَاقِضُهُ في كَثِيرٍ مِنَ الأَحْوَالِ، فَأَنِفَ مُجَاهِدُ الدِّين أَنْ يَفْعَلَ مَعَهُ مِثْلَ ذَلِكَ في إِرْبِل، فَامْتَنَعَ مِنْها، ووَلِيَها مُظَفَّرُ الدِّين، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ فيها[5].

---

(1) في ظ: اياها، الكامل 12: 56.

(2) في ظ: إليها، الكامل 12: 56.

(3) الكامل 12: 56.

(4) في ظ: وولا، الكامل 12: 57.

(5) الكامل 12: 57.

ولَمَّا نزَلَ مُظفَّرُ الدِّينِ عن حرَّانَ والرُّها، ولَّاها صَلاحُ الدِّينِ لابنِ أخيه تقِيِّ الدِّينِ عُمَر شاهِنْشاه، مُضافةً إلَى مَيَّافارِقِين بدِيارِ بَكْرٍ وحَماةَ وأعْمالِها بالشَّام، وتقدَّم لهُ أن يُقْطِعَ أعْمالَها للجُنْدِ فيتقَوَّى بهم علَى الفِرنْج، فسارَ تقِيُّ الدِّينِ إليها وقرَّرَ أمُورَها، ثُمَّ انتهى إلَى مَيَّافارِقِين، وتجدَّدَ لهُ طَمَعٌ فِيمَا يُجاوِرُها مِنَ البِلادِ فقصَدَ مَدِينةَ حَانِي[1]: مِن دِيارِ بَكْر، فحصَرَها ومَلَكَها. وسارَ إلَيه سَيْفُ الدِّينِ بَكْتَمُر ـ صَاحِبُ خِلاطَ ـ في عساكِرِهِ وقاتَلَهُ، فهزَمَهُ تقِيُّ الدِّينِ ووَطِئَ بلادَه، وكانَ بَكْتَمُر قد قبَضَ علَى مَجْدِ الدِّينِ بنِ رَشِيقٍ وزيرِ سُلْطانِه شاهِ أرْمَن وحَبَسَهُ في قَلْعَةٍ هُناك، فلَمَّا انْهزَمَ كتَبَ إلَى والِي القَلْعَةِ بقَتْلِه، فوافاهُ الكِتابُ وتقِيُّ الدِّينِ مُحاصِرٌ لهُ. فلَمَّا مَلَكَ القَلْعَةَ أطْلَقَ ابنَ رَشِيقٍ وسارَ إلَى خِلاطَ وحاصَرَها، فامْتَنَعَتْ علَيه، وعادَ عنها إلَى مَلاذْكِرْدَ[2] فضيَّقَ علَيها حتَّى اسْتأمَنُوا لَه، وضرَبَ لَهم أجَلًا في تَسْلِيمِ / [271 أ] البَلَد، ثُمَّ مَرِضَ ومَاتَ قبْلَ ذلكَ الأجَلِ بيَوْمَيْن، وحَمَلَه ابنُه إلى مَيَّافارِقِين فدَفَنَه، [واسْتَفْحَلَتْ][3] دَوْلَةُ بَكْتَمُر في خِلاط[4].

وصُولُ أمْدادِ الفِرنْجِ مِنَ المغرِبِ إلى عَكَّا

ثُمَّ تتَابعَتْ أمْدادُ الفِرنْجِ مِن وَرَاءِ البَحْرِ إلى إخْوانِهِمُ المُحَاصِرِينَ لعَكَّا، وأوَّلُ مَن وَصَلَ مِنهُمُ الملِكُ فِيلِيب مَلِكُ إفْرَنْسَة، وهُوَ ذُو نَسَبٍ فيهِم، ومُلْكُهُ لَيسَ

(1) بوزن قاضي، مدينة بديار بكر، معجم البلدان 2: 208.

(2) في أحسن التقاسيم 376: ملازكرد، وفي أقوم المسالك 601: ملازجرد.

(3) في ظ: استفلحت، وينظر الكامل 12: 63.

(4) الكامل 12: 63.

بالقَوِيّ، هَكذا قَال ابنُ الأثِيرِ[1]، وعِنْدِي أنه كَان مُسْتَفْحِلاً في ذَلكَ العَصْرِ، لأنَّه في الحقِيقَة مَلِكُ الفِرنْج، وهُم في ذَلكَ العَصْرِ أَشَدُّ مَا كَانُوا قُوةً واستِفْحَالًا، فوصَلَ ثَاني عَشَرَ رَبِيعٍ الأوَّلِ سَنَةَ أَرْبَع وثَمَانِينَ في سِتَّةِ مَرَاكِبَ عَظِيمةٍ مَشْحُونَة بالمقَاتِلَةِ والسِّلَاح، فقَوِيَ الفِرنْجُ عَلَى عَكَّا بِمَكَانِه، وَوَلِيَ حَرْبَ المسْلِمِينَ فِيها[2].

وكَانَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى شَفْرَعَمَ[3] قَرِيبًا مِن مُعَسْكرِ الفِرنْجِ، فكَانَ يُصَابِحُهم كُلَّ يومٍ فيَشْغَلُهم عَن مُزَاحَفَةِ البَلَد، وتَقَدَّمَ إلى أُسَامَةَ في بَيْرُوتَ بتَجْهِيزِ مَا عِنْدَهُ مِنَ المرَاكِبِ والشَّوَانِي إِلَى مَرْسَى عَكَّا لِيَشْغَلَ الفِرنْجَ أيضًا، فبَعَثَها، ولَقِيَت خَمْسَ مَرَاكِبَ في البحْرِ، كَانَ مَلِكُ إِنكِلْطَار قَدَّمَها، وأَقَام عَلَى جَزِيرَةِ قُبْرُص طَامِعاً في مُلْكِها، فغَنِمَ أُسْطُولُ المسْلِمِينَ الخَمْسَ مَرَاكِبَ بِمَا فيها[4].

ونَفَذَتْ كُتُبُ صَلَاح الدِّينِ إلى سَائرِ النُّوَّاب بأَعْمَالِه بمِثْلِ ذَلك، فجَهَّزُوا الشَّوَانِيَ ومَلأُوا بها مَرْسَى عَكَّا[5].

وَوَاصَلَ الفِرنْجُ قِتَالَ البَلَد ونَصَبُوا عَلَيْها المنْجَنِيقَاتِ رَابعَ جُمَادَى [الأُولَى][6]، وتَحَوَّلَ صَلَاحُ الدِّين بعَسْكَرِهِ قَرِيباً مِنْهم لِيَشْغَلَهم عنِ القِتَالِ، فخَفَّ قِتَالُهم عَن أَهْلِ البلَدِ[7].

---

(1) الكامل 12: 64، وعبارته: ومُلكه ليس بالكثير.

(2) المصدر نفسه 12: 64.

(3) قرية كبيرة قرب عكّا اتخذها صلاح الدين مركزاً عند منازلته عكّا سنة 586هـ، معجم البلدان 3: 353.

(4) المصدر نفسه 12: 64، وينظر مفرج الكروب 2: 349.

(5) المصدر نفسه 12: 64.

(6) المصدر نفسه 12: 64.

(7) المصدر نفسه 12: 64.

ثُم فرَغَ مَلِكُ إنكِلْطَار مِن جزيرَةِ قُبْرُص، وَمَلَكَها، وَغَدَرَ بصَاحِبِها، وَأَقْلَعَ إِلَى عَكَّا في خَمْسَةٍ وعِشْرِينَ مَرْكَباً مَشْحُونَةً بالرِّجَالِ والأَموالِ، ووَصَلَ مُنْتَصَفَ جُمَادَى [الأولى]، ولَقِيَ في طَرِيقِه مَرْكَباً جُهِّزَ مِن بَيْرُوتَ إلى عَكَّا وفيه سَبْعُ مِائةِ مُقَاتِلٍ فقَاتَله، فلَمَّا يَئِسَ المسْلِمُونَ الذين بهِ منَ الخَلاصِ نَزَلَ مُقَدَّمُهم، وهُوَ يَعقُوبُ الحَلَبيُّ، [271 ب] غُلَامُ ابنِ شِقِّين، فخَرَقَ المَرْكَبَ، أَنْ يَظْفَرَ / الفِرنْجُ برجالِه وذَخَائِرِه، فغَرِق[1].

ثُم عَمِلَ الفِرنْجُ دَبَّابَاتٍ وكِبَاشًا وزَحَفُوا بها، فأَحْرَقَ المسْلِمُونَ بَعْضَها وأَخَذُوا بَعْضَها، فرَجَعَ الفِرنْجُ إِلَى نَصْبِ التِّلَالِ منَ التُّرَابِ يُقَاتِلُونَ مِن ورَائِها، فامْتَنَعَتْ مِن نُفُوذِ الحِيلَةِ فِيها، وضَاقَ حَالُ أَهْلِ عَكَّا.

اسْتِيلاءُ الفِرنْجِ عَلَى عَكَّا

وَلَمَّا جَهَدَ المسْلِمِين بعَكَّا الحِصَارُ، خَرَجَ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّين عَلِيُّ بن أَحْمَدَ الهَكَّارِيُّ المشْطُوب، مِن أَكْبَرِ الأُمَراءِ بها، إلى مَلِكِ إفرَنْسَةَ يَسْتَأْمِنُهُ لأَهْلِ عَكَّا فلَم يُجِبْه، وضَعُفَتْ نُفُوسُ أَهْلِ البَلَدِ لذَلِكَ ووَهَنُوا، ثُمَّ هَرَبَ مِنَ الأُمَراء: عِزُّ الدِّين أُرْسَلُ الأَسَدِيُّ، وابنُ عِزِّ الدِّين جَاوُلِي[2]، وسُنْقُرُ الأُوجَاقِيُّ في جَمَاعَةٍ مِنْهم، ولَحِقُوا بالمعَسْكَر، فازْدَادَ أَهْلُ عَكَّا وَهْناً.

(1) إيراد ابن الأثير لهذا الخبر (الكامل 12: 65)، أنّ صلاح الدين جهّز بطْسة بها سبع مائة مقاتل سَيَّرها من بيروت، فصادفَها ملك إنكلطار، فقاتلها، فلمّا أيس من فيها من الخلاص نزل الحلبيّ مُقدّم الجنداريّة - ويُعرف بغلام ابن شقّتين - إلى أسفلها، فخرقَها لئلاً يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذّخائر، فغرقت. و"أن" بمعنى حتّى لا. وانظر مفرج الكروب 2: 350.

(2) وكذا في كامل ابن الأثير 12: 66، وفي مفرج الكروب 2: 357، سماه: حسام الدين تمرتاش الجاولي.

وَبَعَثَ الفِرَنْجُ إِلى صَلَاحِ الدِّينِ في تَسْلِيمِها، فأجَابَ عَلَى أن يُؤَمِّنُوا أَهْلَ البلَدِ، ويُطْلِقَ لَهُم صَلَاحُ الدِّينِ مِن أَسْرَائِهِم بعَدَدِ أَهْلِ البلَدِ، ويُعْطِيَهُمُ الصَّلِيبَ الّذِي أَخَذَه مِن القُدْسِ، فلَمْ يَرْضَوْا بِمَا بذَل، فبعَثَ إلى المسْلِمِينَ بعَكّا أن يَخْرُجُوا بِجَمْعِهِم ويَسِيرُوا معَ البَحْرِ، ويَحْمِلُوا عَلَى العَدُوّ حَمْلَةً واحِدَةً مُسْتَمِيتِين، ويَجيءُ المسْلِمُون مِن وَرَاءِ العَدُوّ، فعَسَاهم يَخْلُصُونَ بِذَلك. فلَمَّا أَصْبَحُوا زَحَفَ الفِرَنْجُ إلى البَلَدِ، ورفَعَ المسْلِمُونَ أعْلَامَهم بالسُّورِ، وَكانَتْ هِيَ العَلامَةَ بينَهم وبَيْنَ إِخْوانِهم، فحَمَلَ أهلُ المعَسْكَرِ عَلَى الفِرنْجِ مِن جَمِيعِ جِهَاتِهم، فَشَغَلُوهم، وَأرْسَلَ المشْطُوب منَ البَلَدِ إلى الفِرنْجِ فصَالَحَهم عَلَى الأَمَانِ عَلَى أن يُعْطِيَهم مِائتَيْ أَلْفِ دِينَار، ويُطْلِقَ لهُم خَمْسَ مائةِ أَسِير، ويُعيدَ لهُمُ الصَّلِيبَ، ويُعْطِيَ للمَرْكِيس صَاحِبِ صُورَ أَرْبَعةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَار، فأجَابُوا إِلَى ذَلك، وضَرَبُوا المدَّةَ للمَالِ والأسْرى: شَهْرَيْنِ، وسَلَّموا لهُم البَلَدَ[1]، فلَمَّا مَلَكُوهُ غَدَرُوا بهم وحَبَسُوهم رَهْناً بزَعْمِهم في المَالِ والأَسْرَى والصَّلِيب[2].

ولم يَكُن لصَلَاحِ الدِّين ذَخِيرَةٌ منَ المالِ، لِكَثْرَةِ إنْفَاقِه في المصَالِح، فَشَرَعَ في جَمْعِ المالِ حَتّى اجْتَمَعَ مِائةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وبَعَثَ ليسْتَحْلِفَهم ثَانياً، عَلَى أن يَضْمَنَ الدَّاوِيَّةُ الأمْرَ، لاشْتِهَارِهم / بالوَفاء، وَامْتَنَعَ الدَّاوِيَّةُ منَ الحَلِفِ والضَّمان خَوْفاً مِن [272 ا] غَدْرِ أَصْحَابِهم، وقَالَ مُلُوكُهم: إذَا سَلَّمْتُمُ المالَ والأَسْرَى والصَّلِيبَ تُعْطُونا رهْناً في المالِ، ونُطْلِقُ أَصْحَابَكم، وطَلَبَ صَلَاحُ الدِّينِ أن يَضْمَنَ الدَّاوِيَّةُ الرَّهْنَ ويَحْلِفُوا،

(1) في الكامل 12: 66، مفرج الكروب 2: 360: في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة.

(2) الكامل 12: 67.

فامتَنَعُوا أيضًا، وقالُوا: تُرسِلُ المائةَ ألفِ دِينارٍ والأَسْرَى والصَّلِيبَ فنُطْلِقُ مَن نَرَاهُ ونُبْقِي البَاقِينَ إلى مجيء بقِيَّةِ المالِ، فتَبيَّنَ المسْلِمُون غدْرَهم، وأنَّهم إنَّما يُطْلِقُون مَن لا يُؤْبَهُ له ويتَمَسَّكُونَ بالأُمَرَاءِ والأَعْيانِ حَتَّى يُفَادُوهم، فلَم يُجِبْهم صَلَاحُ الدِّينِ إلى شيء[1].

ولَمَّا كَانَ آخِرُ[2] رجَبٍ رَكِبَ الفِرِنْجُ إلى ظَاهِرِ البَلَدِ في احْتِفَال، ورَكِبَ المسْلِمُونَ فشَدُّوا عَلَيْهِم وكَشَفُوهم عَن مَوَاقِفِهِم، فإذَا المسْلِمُونَ الذين كَانُوا عِنْدَهم قَتْلَى بيْنَ الصَّفَّيْنِ قدِ اسْتَلْحَمُوا ضُعَفَاءَهم، وتَمَسَّكُوا بالأَعْيَان للمُفَاداة، فسُقِطَ في يَدِ صَلَاحِ الدِّين وتَمَسَّكَ بالمالِ الذي جَمَعَهُ لغَيْرِها منَ المصَالِح[3].

تخريبُ صلاحِ الدِّينِ عَسْقَلانَ

ولَمَّا اسْتَوْلَى الفِرِنْجُ عَلَى عَكَّا اسْتَوْحَشَ مَرْكِيسُ صَاحِبُ صُورَ مِن مَلِكِ إنْكِلْطَار، وأَحَسَّ مِنه بالغَدْرِ، فلَحِقَ ببَلَدِهِ صُور.

ثُمَّ سَارَ الفِرِنْجُ مُسْتَهَلَّ شَعْبَانَ لقَصْدِ عَسْقَلَان، وسَارُوا مَعَ سَاحِلِ البَحْرِ لا يُفَارِقُونَه، ونَادَى صَلَاحُ الدِّينِ في عَسَاكِرِه باتِّبَاعِهم مَعَ ابنِهِ الأَفْضَل وسَيْفِ الدِّين إيَازْكُوش وعِزِّ الدِّين جُورْدِيك، فاتَّبَعُوهم يُقَاتِلُونَهم ويتَخَطَّفونَهم مِن كُلِّ نَاحِيَة، ففَتَكُوا فيهِم بالقَتْلِ والأَسْرِ، وبَعَثَ الأَفْضَلُ إلى أَبِيه يَسْتَمِدُّه، فلَم يَجِدِ العَسَاكِرَ

(1) الكامل 12: 68.

(2) في الكامل 12: 68: السابع والعشرين.

(3) الكامل 12: 68، وينظر مفرج الكروب 2: 364.

مُسْتَبعِدَةً، وسَارَ مَلِكُ إنكِلْطَار في سَاقَةِ الفِرنْجِ فحَمَاهم، وَانتَهَوْا إلى حَيْفا، فأَقَامُوا بِها، والمسْلِمُون قُبَالَتَهم يُقِيمُون، ولَحِقَ بِهِم مِن عَكَّا مَا احتَاجوا إليه، ثُمَّ سَارُوا إلى[1] قَيْسَارِيَّةَ والمسْلِمُونَ يَتْبَعُونَهم، ويقْتُلُون مَن ظَفِروا بِهِ مِنْهم، وزاحَمُوهم عِنْدَ قَيْسَارِيَّة، فنالوا مِنْهم، وباتُوا بها مُتَناوِرِينَ، وَاختَطَفَ المسْلِمُونَ منهم باللَّيلِ فقَتَلُوا وَأَسَروا[2].

وَسَارُوا منَ الغَدِ إلى أرْسُوف، وَسَبَقَهُمُ المسْلِمُون إليها لضِيقِ الطَّرِيق، فحَمَلُوا عَلَيهِم / عِنْدَها حَتَّى اضْطَرُّوهم إلى البَحْرِ، فحِينَئِذٍ اسْتَمَاتَ الفِرنْجُ وحَمَلُوا [272 ب] عَلَى المسْلِمِينَ فهَزَمُوهم، وَأَثْخَنُوا في بَاقِيهِم، وأَلْحَقُوهم بالقَلْبِ وفِيهِ صَلَاحُ الدِّين، وتَسَتَّرَ المسْلِمُونَ المنْهَزِمُونَ بِخَمَرِ الشَّعْراء[3]، فرَجَعَ الفِرنْجُ عَنْهم، وانفَرَجَ مَا كَانُوا فيه مِنَ الضِّيق[4]. وسَارُوا إلى يَافَا فوجَدُوهَا خَالِيَةً فمَلَكُوهَا[5].

وَكَانَ صَلَاحُ الدِّينِ قَد سَارَ مِن مَكَانِ الهَزِيمةِ إلى الرَّمْلَة، وجَمَعَ مُخَلَّفَهُ وأَثْقَالَه، وَاعتَزَمَ عَلَى مُسَابَقَةِ الفِرنْجِ إِلَى عَسقَلَان، فمَنَعَهُ أَصْحَابُه وقَالُوا: نَخْشَى أن يُزاحِمَنا الفِرنْجُ عَلَيها ويغْلِبونا عَلَى حِصَارِها، كَمَا غَلَبُونا عَلَى حِصَارِ عَكَّا، ويَملِكُوها آخِراً ويَقْوَوْا بِمَا فِيها مِنَ الذَّخَائرِ والأَسْلِحَة، فنَدَبَهم إلى المَسِيرِ إليها وحِمَايَتِها مِنَ الفِرنْجِ، فلَحُّوا في الامْتِنَاعِ مِن ذَلك، فَسَارَ وتَرَكَ العَسَاكِرَ مَعَ أَخِيهِ العَادِلِ قُبَالَ

(1) في ظ: في، والتصويب من الكامل 12: 69، ويتفق مع السياق.

(2) الكامل 12: 69.

(3) في الكامل 12: 70: وكان بقرب المسلمين شعرة [صوابها شعراء] كثيرة الشّجر: وتقدم شرح الخمَر.

(4) ينظر وصف موقعة أرسوف في النوادر السلطانية 183 – 185.

(5) الكامل 12: 70.

الفِرنْجِ، وَوَصَلَ إلى عَسقَلانَ وَخرَّبَها تاسِعَ عشَرَ شَعْبان، وأُلْقِيتْ حِجَارَتُها في البَحْرِ، وعَفِيَ أَثَرُها، وَهَلَكَ فِيها منَ الأَمْوالِ والذَّخائرِ مَا لا يُحْصَى، فلمَّا بَلَغَ الفِرنْجَ ذلكَ أقامُوا بِيَافا[1].

وَبَعَثَ المَرْكِيسُ إلى مَلِكِ إنكِلْطار يعذِلُه حَيْثُ لمْ يُنَاجِزْ صَلَاحَ الدِّينِ عَلَى عَسْقَلَانَ ويَمْنَعه مِن تَخْرِيبِها، فَمَا خرَّبَها حَتَّى عَجزَ عَن حِمَايَتِها[2].

ثُمَّ رَحَلَ صَلَاحُ الدِّينِ مِن عَسقَلانَ ثَانِيَ رَمَضَانَ إلى الرَّمْلَة، فَخَرَّبَ حِصْنَها، ثُمَّ سَارَ إلى القُدْسِ في شِدَّةٍ منَ البَرْدِ والمطَرِ، لِيَنْظُرَ في مَصَالِحِ القُدْسِ ويُرَتِّبَهم في الاسْتِعْدَادِ للحِصَارِ، وأَذِنَ للعَسَاكِرِ في العَوْدِ إلى بِلَادِهِم للإِرَاحَة، وعَادَ إلى مُخَيَّمِه ثَامِنَ رَمَضَان[3].

وأقامَ الفِرنْجُ بِيَافا وشَرَعُوا في عِمَارَتِها، فرَحَلَ صَلَاحُ الدِّينِ إلى [الـ]ـنَّطْرون وخَيَّمَ بهِ مُنْتَصَفَ[4] رَمَضَان.

وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَ مَلِكِ إنكِلْطَارَ وبَيْنَ العَادِلِ عَلَى أن يُزَوِّجَه مَلِكُ إنكِلْطَار أُخْتَه، وتَكُونَ القُدْسُ وبِلَادُ المسْلِمِينَ بالسَّاحِلِ للعَادِل، وعَكَّا وبِلَادُ الفِرنْجِ بالسَّاحِلِ لها إلى مَمْلَكَتِها وَرَاءَ البَحْرِ، بشَرْطِ رِضَا الدَّاوِيَّة، وأَجَابَ صَلَاحُ الدِّين

(1) الكامل 12: 71.

(2) المصدر نفسه 12: 71.

(3) المصدر نفسه 12: 72.

(4) في الكامل 12: 72: ثالث عشرة.

إلى ذلك، ومَنَعَ الأقِسَّةُ والأسَاقِفَةُ والرُّهبَانُ أختَ [مَلِكِ][1] إنكِلْطَار مِن ذلك / ونكِرُوا عَليها، فلم يَتِمَّ، وإنَّما كَانَ مَلِكُ إنكِلْطَار يُخَادِعُ بذلك[2]. [1273]

ثُم اعتَزَمَ الفِرنجُ عَلَى القُدسِ ورَحَلُوا مِن يَافَا إلى الرَّمْلَة ثَالثَ ذِي [القَعْدَة][3]. وَسَارَ صَلَاحُ الدِّينِ إلى القُدسِ، وقَدِمَ عَلَيه عَسْكَرُ مِصْرَ مَعَ أبي الهَيجَاءِ السَّمِين، فقَوِيَت نُفُوسُ المسْلِمِينَ بِهِم[4]. وَسَارَ الفِرنجُ مِن الرَّمْلَة إلى النَّطْرُون ثَالثَ ذِي الحِجَّة، والمسْلِمُونَ يُحَاذُونَهم، وكَانَت بَيْنَهم وقَعَاتٍ، أَسَرُوا في واحِدٍ مِنها نَيِّفًا وخَمسِينَ مِن مُقَاتِلَةِ الفِرنجِ[5].

وَاهتَمَّ صَلَاحُ الدِّينِ بعِمَارَةِ أَسْوَارِ القُدْسِ، ورَمِّ ما تَثَلَّمَ مِنها، وضَبَطَ المكَانَ الَّذِي مَلَكَ القُدْسَ مِنه وسَدَّ فُرُوجَه، وأَمَرَ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ خَارِجَ الفَصِيل، وقَسَّمَ وِلايَةَ هَذِه الأَعْمَالِ بَيْنَ ولَدِه وأَصْحَابِه، وقَلَّتِ الحِجَارَةُ للبُنْيَان، فكَانَ صَلَاحُ الدِّين يَرْكَبُ إلى الأَمَاكِنِ البَعِيدة ويَنقُلُها عَلَى مَرْكُوبِه فيَقْتَدِي به العَسْكَرُ[6].

ثُمَّ إنَّ الفِرنجَ ضَاقَتْ أَحْوَالُهم بالنَّطْرُون، وَقَطَعَ المسْلِمُونَ عَنهم المِيرَةَ مِن سَاحِلِهِم، فلَم يَكُن كَما عَهِدُوهُ بالرَّمْلَة. وَسَأَلَ مَلِكُ إنكِلْطَار عَن صُوَرِ القُدْس ليَعْلَمَ كَيفَ يُرَتِّبُ حِصَارَها، فصُوِّرَت لَه، ورَأَى الوَادِيَ مُحِيطًا بِها إلَّا قَلِيلاً مِن جِهَة

---

(1) إضافة مما سبق، وينظر الكامل 12: 72.

(2) الكامل 12: 72 – 73.

(3) في ظ: قعدة، الكامل 12: 73.

(4) الكامل 12: 74.

(5) المصدر نفسه 12: 74.

(6) المصدر نفسه 12: 74.

الشَّمَال مع عُمْقِه ووُعُورَةِ مسَالِكِه، فقَال: هَذِه لا يُمكنُ حِصَارُها، لأنَّا إنِ اجتمَعْنا عَلَيها مِن جَانِبٍ بَقِيَتِ الجَوَانبُ الأُخرى، وإنِ افترَقْنا عَلَى جَانِبِ الوادِي والجَانِبِ الآخَرِ كَبَسَ المسْلِمُونَ إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَلَم تَصِلِ الأُخرى لإنْجَادِهم خَوفاً مِنَ المسْلِمِينَ عَلَى مُعَسْكَرِهِم، وإنْ تَرَكُوا مِن أَصْحَابِهم حَامِيَةً للمُعَسْكَرِ فَالمدَى بعِيدٌ ولا يَصِلُونَ للإنْجَادِ إلا بَعْدَ الفَوَات، هَذَا إلى مَا يَلحَقُنَا مِن تَعَذُّرِ القُوتِ بانْقِطَاعِ المِيرَة، فعَلِمُوا صِدْقَه وارتَحَلُوا عَائِدِينَ إلى الرَّمْلَة[1].

ثُم ارتَحَلُوا في مُحَرَّم ثمانٍ وثمانِينَ إلَى عَسْقَلان، وشَرَعُوا في عِمَارَتِها، وسَارَ مَلِكُ إنكِلْطَارَ إلَى مَسْلَحَةِ المسْلِمِينَ فوَاقَعَهم، وجَرَتْ بَيْنَهم حَرْبٌ شَدِيدَة، وهَذَا وصَلَاحُ الدِّينِ يَبْعَثُ سَرَايَاه منَ القُدْسِ إلى الفِرنْجِ للإغَارَة وقَطْعِ المِيرَة فيَغْنَمُونَ ويَعُودُون[2].

[273 ب] / مَقْتَلُ المَرْكِيس ومُلْكُ الكُنْدهِرِي مَكَانَه

ثُم أرسَلَ صَلَاحُ الدِّين إلى سِنَانٍ مُقَدَّم الإسْمَاعِيلِية بالشَّامِ في قَتْلِ مَلِكِ إنكِلْطَارَ أو المرْكِيس، وجَعَلَ لهُ عَلَى ذَلِكَ عَشرةَ آلاف دِينَار، فلَم يُمكِنْهم قَتْلُ مَلِكِ إنكِلْطَار، ولَا رَأوْهُ مَصْلَحَةً لِئلَّا يَتَفَرَّغَ لهُم صَلَاحُ الدِّين، وبَعَثَ لِقَتْلِ المرْكِيس رَجُلَيْنِ في زِيِّ الرُّهْبَان، فاتَّصَلَا بصَاحِب صَيْدَا وابن بيرْزَان صَاحِب [الرَّمْلَة][3]،

(1) الكامل 12: 74 – 75.

(2) الكامل 12: 78.

(3) بياض في الأصول، والإضافة من الكامل 12: 79.

وأقامَا عندَهُما بِصُور سِتَّةَ أشْهُرٍ مُقْبِلَيْنِ عَلَى رَهْبَانِيَّتِهِمَا حَتّى أَنِسَ بِهِمَا المَرْكِيس، ثُمَّ دَعَاهُ الأسْقُفُ بصُور إلى دَعْوة[1]، فَوَثَبَا عَلَيه الباطِنِيَّانِ فجَرَحَاه، ولَجَأَ أحدُهُمَا إلى كَنِيسَةٍ وَاخْتَفَى فِيها، وحُمِلَ إليها المَرْكِيسُ لشَدِّ جِرَاحِه، فأجْهَزَ عَلَيه ذَلِكَ البَاطِنِي، وقُتِلَا، ونُسِبَ ذَلِكَ إلى مَلِكِ إنْكِلْطَارَ رَجَاءَ أَنْ يَنْفَرِدَ بِمُلْكِ الفِرَنْجِ بالشَّام[2].

ولَمّا قُتِلَ المَرْكِيسُ مَلَكَ بَعْدَه بمدِينَةِ صُورَ زَعِيمٌ مِنَ الفِرَنْجِ الوَارِدِينَ مِن وَرَاءِ البَحْرِ يُعْرَفُ بالكِنْد هِرِي، وَهُوَ ابنُ [أخي][3] مَلِكِ إفْرَنْسةَ مِن أبِيه، وابنُ [أخي][4] مَلِكِ إنْكِلْطَارَ مِن أُمِّه، وتَزَوَّجَ بالمَلِكَةِ في لَيْلَتِه، ومَلَكَ عَكَّا وسَائِرَ البِلادِ بَعْدَ عَوْدِ مَلِكِ إنْكِلْطَار، وعَاشَ إلى سَنَةِ أَرْبَعٍ وتِسْعِين، وسَقَطَ مِن [على] سَطْحٍ فَمَاتَ[5].

وكَانَ لَمَّا رَحَلَ مَلِكُ إنْكِلْطَارَ إلى بلادِهِ أَرْسَلَ هَذا الكِنْد هِرِي إلى صَلَاحِ الدِّين، وَاسْتَمَالَه للصُّلْح، والتَمَسَ مِنْهُ الخِلْعَةَ، فبَعَثَ إلَيْه بِها، ولَبِسَها بعَكَّا[6].

مَسِيرُ الفِرِنْجِ إلَى القُدْس

وَلَمَّا أَقَامَ صَلَاحُ الدِّين بالقُدْسِ، وكَانَ قَدْ بلَغَه مَهْلِكُ تَقِيِّ الدِّينِ عُمَرَ ابنِ أخِيه شَاهِنْشَاه، وأنَّ ابنَهُ نَاصِرَ الدِّين مُحَمَّداً اسْتَوْلى عَلَى أَعْمَالِهِ بالجَزِيرَة وهي:

---

(1) في ثالثة عشرة ربيع الآخر 588 هـ. النوادر السلطانية 208.

(2) الكامل 12: 79.

(3) ، (4) في ظ: أخت، والتصويب مما سبق ص 123.

(5) الكامل 12: 79، والعبارة عبارته، والزيادة ضرورية، مفرج الكروب 2: 382.

(6) المصدر نفسه 12: 79.

حَرّانُ، والرُّهَا، وسُمَيْسَاطُ، ومَيّافارِقِين، وحَاني، وبعَثَ إلى صَلَاحِ الدّين يَسْأَلُ إبقاءَها بِيَدِهِ مُضَافَةً إلى مَا كَانَ لأَبِيه مِنَ الأَعْمَالِ بالشّام، فَاسْتَقْصَرَهُ صَلَاحُ الدّين عَن ذلِك لصِغَرِه[1].

وَطَلَبَ مِنه ابنُهُ الأَفضَلُ أَنْ يَقْطَعَها له ويَنْزِلَ عَن دِمَشْق، فَأَجابَهُ إلى ذَلِك، [274أ] وَأَمَرَهُ أن يَسِيرَ إِلَيها، وكَاتَبَ مُلُوكَ البِلَادِ / الشَّرقية بالمَوْصِلِ وسِنْجَار والجزِيرَةِ وإِرْبِلَ لإنجادِهِ بالعَسَاكِرِ، وعَلِمَ نَاصِرُ الدّين أنه لا قِبَلَ لهُ بذلك، فبعَثَ إلى المَلِكِ العَادِلِ يَسْتَشْفِعُ بهِ عِنْدَ صَلَاحِ الدّين عَلَى أَنْ يُبْقِيَ بِيَدِه مَا كَانَ لأَبِيه بالشّام فَقَط، ويَنْزِلَ عَن بِلادِ الجزِيرَة، فَأَقْطَعَها صَلاحُ الدّين أخَاهُ المَلِكَ العَادِل، وبَعَثَهُ لِيَتَسَلَّمَها ويَرُدَّ ابنَهُ الأَفضَل، فلَحِقَ بالأَفضَل بِحَلَبَ وأَعَادَه، وعَبَرَ الفُرَاتَ وتَسَلَّمَ البِلَادَ مِن نَاصِرِ الدّين بنِ تَقِيِّ الدّين، وَأَنْزَلَ بِها عُمَّالَه، واسْتَصْحَبَهُ وسَائِرَ العَسَاكِرِ الجَزَرِيّةِ إلى صَلَاحِ الدّينِ بالقُدْسِ[2].

ولَمَّا بَلَغَ الفِرنْجَ أَنَّ صَلَاحَ الدّين بَعَثَ ابنَهُ الأَفضَلَ وأَخَاهُ العَادِلَ وفَرَّقَ العَسَاكِرَ عَلَيهِمَا، ولَم يَبْقَ مَعَهُ بالقُدْسِ إلا بَعْضُ الخاصّة، فَطَمِعُوا فِيه وأَغَارُوا عَلَى عَسْكَرِ مِصْرَ، وهُوَ قَاصِدٌ إليه، ومُقَدَّمُهم سُلَيْمَانُ أَخُو العَادِلِ لأُمّه، فأَخَذُوهُ بنَوَاحِي الخَلِيل، وَقَتَلُوا وغَنِمُوا، ونَجَا فَلُّهم إلى جَبَلِ الخَلِيل[3]، وَسَارُوا إلى

(1) الكامل 12: 82 – 83.

(2) وكان عوده في جمادى الآخرة. الكامل 12: 83.

(3) الكامل 12: 82.

[النَّارُوم][1] فخرَّبُوهُ، ثُم سَارُوا إلى القُدْسِ، وَانتَهوْا إلى بَيْتِ نُوبَة، عَلى فَرْسَخَيْنِ من القُدْسِ، تَاسِعَ جُمَادى الأولى مِن سنَةِ ثمانٍ وثمانِين[2].

وَاسْتَعَدَّ صَلَاحُ الدِّين للحِصَارِ، وفَرَّقَ أبراجَ السُّورِ عَلَى أُمَرَائِه، وسَلَّطَ السَّرَايَا والبُعُوثَ عَلَيْهِم، فرَأَوا مَا لَا قِبَلَ لَهُم به، فتَأخَّروا عَن مَنَازِلِهم بيَافَا، وأصْبَحَتْ قُفُولُهُم ومِيرَتُهم غَنَائِمَ للمُسْلمين[3].

وبَلَغَهم أنَّ العَسَاكِرَ الشَّرقِيَّة، الَّتِي مَعَ العَادِلِ والأفضَل، عَادَت إلى دِمَشق، فعَادُوا إلى عَكَّا، وَعَزَمُوا عَلَى مُحَاصَرةِ بَيْرُوت، فأمَرَ صَلَاحُ الدِّين ابنَهُ الأفضَلَ أنْ يَسِيرَ في العَسَاكِرِ الشَّرقِيَة إليهَا، فسَارَ وَانتَهى إلى مَرْجِ العُيُون، فلَم يَبْرَحِ الفِرِنْجُ مِن عَكَّا[4].

وَاجْتَمَعَ عِنْدَ صَلَاحِ الدِّين خِلَالَ ذَلكَ العَسَاكِرُ مِن حَلَبَ وغَيْرِها، فسَارَ إلى يَافَا فحَاصَرَها، ومَلَكَها عَنْوَةً في عِشْرِينَ رَجَبٍ مِن السَّنَة، ثُم حَاصَرَ القَلْعَةَ بَقِيَّةَ يَوْمِهم، وَأشْرَفوا عَلَى فَتْحِها، وكَانُوا يَنْتَظِرُونَ المَدَدَ مِن عَكَّا، فشَغَلُوا المسْلِمِينَ عَنْهم بِطَلَبِ / الأمَانِ إلى الغَدِ، فأجَابَهم إليه[5]. [274 ب]

وَجَاءَهم مَلِكُ إنكِلْطَار لَيْلًا، وأتْبَعَه مَدَدُ عَكَّا، وبرَزَ مِن الغَدِ فلَم يَتَقَدَّمْ إليهِ أحَدٌ مِنَ المسْلِمِين، ثُمَّ نَزَلَ بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ وجَلَسَ للأكْل، وأمَرَ صَلَاحُ الدِّين

---

(1) في ظ: الدوارم، الكامل 12: 81، وهي قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، معجم البلدان 2: 424.

(2) الكامل 12: 81.

(3) المصدر نفسه 12: 81.

(4) الكامل 12: 84.

(5) المصدر نفسه 12: 84.

بالحمَلَةِ عليهم، فتقدَّمَ أخو المشطوب، وكان يُلقَّبُ بالجناح، وقالَ لصلاحِ الدّين: نحنُ نتقدَّمُ للقِتال، ومماليكك للغنيمة! فغضِبَ صلاحُ الدّين وعادَ عنِ الفرنج إلى خيامِه حتّى جاءَ ابنُهُ الأفضلُ وأخوهُ العادِل، فرحَلَ إلى الرَّملَة ينتظِرُ مآلَ أمرِه معَ الفرنج، وأقاموا بيافا[1].

الصُّلحُ بينَ صَلاحِ الدّينِ والفِرنجِ، ومَسيرُ مَلكِ إنكلطارَ إلى بلدِه

كان مَلِكُ إنكلطارَ إلى هذِه المدّةِ قد طالَ مَغيبُه عَن بلادِه، ويئِسَ مِن بلدٍ بالسّاحلِ للمسلمينَ يستولي علَيه، فأرسَلَ إلى صَلاحِ الدّينِ يسألُهُ في الصُّلح، وظَنَّ صَلاحُ الدّين أنّ ذلكَ مَكراً مِنهُ فلَم يُجِبه، وطَلَبَ الحرْبَ. فألَحَّ مَلِكُ إنكلطارَ في السُّؤالِ، وظَهَرَ صِدقُ ذلكَ مِنهُ بترْكِ ما كانَ فيه مِن عِمارةِ عَسقَلانَ وغزَّةَ والدّارُوم والرَّملَة، وبَعَثَ إلى الملِكِ العادِلِ بأن يَتوسَّطَ في ذلك، فأشارَ علَى صَلاحِ الدّين بالإجابَة إلَى ذلك، هُوَ وسائِرِ الأُمَرَاء، لِمَا حَدَثَ عِندَ العَسكَرِ مِنَ الضَّجَرِ ونَفادِ النَّفقَاتِ وهَلاكِ الدّوابِّ والأسلِحةِ، ومَا بلَغَهم أنَّ مَلِكَ إنكلطارَ عائدٌ إلى بِلادِه، وإنْ لم تَقَعِ الإجَابةُ أظَلَّ فصلُ الشّتاءِ وامتَنَعَ رُكُوبُ البحرِ، فيُقيمُ إلى قابِل. فلمّا وَعَى ذلكَ صَلاحُ الدّين، وعَلِمَ صِحَّتَه، أجابَ إلى الصُّلح، وعقَدَ الهُدنَةَ

(1) الكامل 12: 85.

مَعَ رُسُلِ الفِرَنْجِ فِي عِشْرِينَ مِن شَعْبَانٍ ثَمَانٍ وثَمَانِينَ لِمُدَّةِ أَرْبَعَةٍ وأَرْبَعِينَ شَهْراً[1]، فتحالَفُوا عَلَى ذَلِكَ، وأَذِنَ صَلَاحُ الدِّينِ لِلفِرَنْجِ فِي زِيَارَةِ القُدْسِ[2].

ورَحَلَ مَلِكُ إِنْكِلْطَارَ فِي البَحْرِ عَائِدًا إِلَى بِلَادِهِ، وأَقَامَ الكُنْدُ هِرِي، صَاحِبُ صُورَ بَعْدَ المَرْكِيسِ، مَلِكاً عَلَى الفِرَنْجِ بِسَوَاحِلِ الشَّامِ، وتَزَوَّجَ المَلِكَةَ الَّتِي كَانَتْ تَمْلِكُهُم قَبْلَهُ، وقَبْلَ صَلَاحِ الدِّينِ كَمَا مَرَّ[3].

وَسَارَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى القُدْسِ / فَأَصْلَحَ أَسْوَارَهُ، وأَدْخَلَ كَنِيسَةَ صِهْيُونَ [275 ا] فِي البَلَدِ، وكَانَتْ خَارِجَ السُّورِ، وَاخْتَطَّ المَدَارِسَ والرُّبُطَ والبِيمَارِسْتَانَ، ووَقَفَ عَلَيْهَا الأَوْقَافَ المُغِلَّةَ[4]، وَاعْتَزَمَ عَلَى الإِحْرَامِ مِنْهُ لِلحَجِّ، فَاعْتَرَضَتْهُ القَوَاطِعُ دُونَ ذَلِكَ، فَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ خَامِسَ شَوَّالٍ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ الأَمِيرَ جُورْدِيكَ مِن مَوَالِي نُورِ الدِّينِ، وَمَرَّ بِثُغُورِ المُسْلِمِينَ: نَابُلُسَ، وطَبَرِيَّةَ، وصَفَدَ، وتِبْنِينَ، وبَيْرُوتَ[5].

ولَمَّا انْتَهَى إِلَى بَيْرُوتَ أَتَاهُ فِيهَا بَيْمُنْدُ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَةَ وطَرَابُلُسَ وأَعْمَالِهَا، فَالْتَزَمَ طَاعَةَ صَلَاحِ الدِّينِ وَعَادَ، ودَخَلَ صَلَاحُ الدِّينِ دِمَشْقَ فِي الخَامِسِ والعِشْرِينَ مِن شَوَّالٍ، وسُرَّ النَّاسُ بِقُدُومِهِ ووَهَنَ العَدُوُّ[6].

---

(1) لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر، أولها هذا التاريخ، وافق أول أيلول (سبتمبر 1292م): الكامل 12: 85.

(2) المصدر نفسه 12: 85 – 86.

(3) المصدر نفسه 12: 87.

(4) تنظر وثيقة وقف صلاح الدين على الخانقاه الصلاحية بالقدس في وثائق مقدسية تاريخية 81 – 104.

(5) المصدر نفسه 12: 86.

(6) المصدر نفسه 12: 87.

وَفَاةُ السلطانِ صَلاحِ الدِّينِ، وحَالُ وَلَدِهِ وأخِيهِ في المُلْكِ مِن بَعْدِهِ

وَلَمَّا وَصَلَ صَلَاحُ الدِّين إلى دِمَشق، وقد خَفَّ مِن شَوَاغِلِ الفِرَنْج بِوَهْنِهِم، وما عَقَدَ منَ الهُدْنَةِ مَعَهم، فأَرَاحَ قَلِيلاً، ثُمَّ اعْتَزَمَ عَلَى إحْدَاثِ الغَزْوِ، فَاسْتَشَارَ ابنَهُ الأَفْضَلَ وَأَخَاه العَادِلَ في مَذْهَبِه، فأشَارَ العَادِلُ بِخِلَاط، لأنَّه كَانَ وَعَدَه أنْ يُقْطِعَهُ إيَّاهَا إذَا مَلَكَهَا، وأشَارَ الأَفْضَلُ ببِلادِ الرُّومِ، إيَالةِ بَنِي قِلِيجْ أرسَلان لسُهُولَةِ أَمْرِها، واعْتِرَاضِ الفِرَنْج فِيها إذَا قَصَدُوا الشَّامَ فإنَّها طَرِيقُهم[1].

فقَالَ لأخِيه: تَذْهَبُ أنتَ إلى خِلَاط ببَعْضِ وَلَدِي وبِبَعْضِ العَسْكرِ، وأذْهَبُ أنَا إلى بِلَادِ الرُّومِ، فإذَا فَرَغْتُ مِنها لَحِقْتُ بِكُم فَسِرْنَا إلى أذْرَبِيجَان ثُمَّ إلى بِلادِ العَجَم، وأمَرَهُ بالمَسِيرِ إلى الكَرَك، وهي إقْطَاعُهُ، ليَتَجَهَّزَ مِنها ويَعُودَ لشَأنِه. فَسَارَ إلى الكَرَكِ[2].

ومَرِضَ صَلَاحُ الدِّين بَعْدَه، ومَاتَ[3] في صَفَرِ تِسْعٍ وثَمَانِينَ وخَمْسِ مِائة لِخَمْسٍ وعِشْرِينَ سَنَةً مِن مُلْكِهِ مِصْر.

وكَانَ مَعَهُ بدِمَشْق ابنُه الأَفْضَلُ نُورُ الدِّين عَلِيٌّ والعَسَاكِرُ عِنْدَه، فمَلَكَ: دِمَشْقَ، والقُدْسَ، والسَّاحِلَ، وبَعْلَبَكَّ، وصَرْخَدَ، وبُصْرَى، وبَانيَاس، وهُونِينَ، [وتِبْنِين][4] وجَمِيعَ الأعْمَالِ إلى [الدَّاروم][5].

(1) الكامل 12: 95.
(2) المصدر نفسه 12: 95 – 96.
(3) بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء سابع عشرين من صفر: في النوادر السلطانية 246، وينظر مفرج الكروب 2: 416 – 420.
(4) من الكامل 12: 97.
(5) في ظ: الدوارم، الكامل 12: 97.

وكَانَ بِمِصْرَ ابنُهُ العَزِيزُ عُثْمَانُ فاسْتَوْلى عَلَيها. وكَان بحَلَبَ ابنُهُ الظَّاهِرُ غَازِي، فَاسْتَوْلَى عَلَيها وعَلى أعْمَالِها مِثلَ: حَارِم، وتَلّ بَاشِر، واعْزاز، / وبَرْزُويَه، [275 ب] ودَرْبَسَاك، [وغَيْرَها][1]، وأطَاعَهُ صَاحِبُ حَمَاةَ نَاصِرُ الدِّين مَحْمُودُ بنُ تَقِيّ الدِّين عُمَرَ بنِ شِيرِكُوه، ولَهُ ـ مَعَ حَمَاةَ ـ سَلَمِيَّةُ والمَعَرَّةُ ومَنْبِج[2].

وأطَاعَ، الأفْضَلَ بدِمَشْق، صَاحِبُ حِمْص شِيرِكُوه بنُ مُحَمَّدِ بن شِيرِكُوه، وله مَعَها الرَّحْبَة، وببَعْلَبَكَّ بَهْرَامُ شَاهِ بنُ فَرُخْشَاهِ بن شَاهِنْشَاه، ولَقَبُهُ الأمْجَد، وببُصْرَى خِضِرُ بنُ صَلَاحِ الدِّين في طَاعَةِ أخِيه الأفْضَل، وبشَيْزَر سَابِقُ الدِّين عُثْمَانُ بنُ الدَّايَة، وبالكَرَكِ والشَّوْبَكِ المَلِكُ العَادِل.

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى العَادِلِ، فَأقَام بالكَرَك، وَاسْتَدْعَاهُ الأفْضَلُ مِن دِمَشْقَ فَلَم يُجِبْه، فَخَوَّفَه مِن أخِيهِ العَزِيزِ صَاحِبِ مِصْر، ومِن عِزّ الدِّين صَاحِبِ المَوْصِل، وكَان قَدْ سَارَ إلى بِلَادِ العَادِلِ بالجَزِيرَة، فوَعَدَهُ بالنَّصْرِ مِنه، وأوْهَمَهُ الرَّسُولُ إن لَم يَسِرْ إلى الأفْضَلِ بدِمَشْقَ أنّه مُتَوَجِّهٌ إلَى العَزِيزِ بِمِصْرَ لِيُحَالِفَه عَلَيْه، فَحِينَئِذٍ ارْتَابَ العَادِلُ وَسَارَ إلى الأفْضَلِ بدِمَشْق، فَتَلَقَّاهُ بالمِيرَة، وجَهَّزَ لَه العَسَاكِرَ لمُدَافَعَةِ عِزّ الدِّين صَاحِبِ المَوْصِل عَن بِلَادِه بالجَزِيرَة.

وَأرسَلَ إلَى صَاحِبِ حِمْص وصَاحِبِ حَمَاةَ يُحَرِّضُهم عَلَى إنْفَاذِ العَسَاكِر مَعَه[3].

---

(1) في ظ: ومنبج وغيرها، وانظر ما يلي.

(2) الكامل 12: 97.

(3) المصدر نفسه 12: 98.

وكتَبَ إلى أخيهِ الظَّاهِرِ بحَلَبَ يُخوِّفُه استِيلاءَ عزِّ الدِّين علَى حَرَّان، فاتَّفقُوا كُلُّهم علَى إنفَاذِ العَسَاكِرِ مَعَه، وعبَرَ بِها الفُرات، وأقامَ بنَواحِي الرُّهَا[1].

وَكَان عِزُّ الدِّين مَسْعودُ بنُ مَودُود، صَاحِبُ المَوْصِل، لَمَّا بلَغَهُ وَفاةُ صَلَاح الدِّين اعْتَزَمَ علَى المسِيرِ إلى بِلَادِ العَادِلِ بالجزِيرَة: حَرَّانَ والرُّهَا وسَائِرِها ليَرتَجِعَها مِن يَدِه، ومُجَاهِدُ الدِّين قَايمَاز، أتابِكُ دَوْلتِه، يَثْنِيه عَن ذَلك، ويُعَادِلُه فيه، يَتَبيَّنُ حَالَ العَادِلِ معَ بَني أخِيه[2].

وبيْنَمَا هُو في ذَلك، إذْ جَاءَت أخْبارٌ بأنَّ العَادِلَ بِحَرَّان، ثُم وافَتْهم كُتُبُه بأَن الأفْضَلَ مَلَكَ بَعْدَ أبِيه صَلَاح الدِّين، وأطَاعَه النَّاس، فكَاتَبَ عِزُّ الدِّين جِيرَانَه مِن المُلُوكِ مِثْلَ أخِيه صَاحِبِ سِنجَار، وصَاحِبِ مَارْدِينَ يَسْتَنْجِدُهم، وجَاءَ إلَيه أخُوه علَى نَصِيبِين وسَارَ مَعَه إلى الرُّهَا، فأَصَابَه المَرَضُ في طَرِيقِه ورَجَعَ إلى المَوْصِل، فَمَاتَ أوَّلَ رَجَب[3] مِن السَّنَة، واستَقَرَّت إيالَةُ العَادِلِ مِنَ الجـزِيرَة في مُلْكِه، فلَم يَهجْه فيها أحَدٌ[4].

(1) الكامل 12: 98.

(2) المصدر نفسه 12: 98.

(3) الكامل 12: 101: التاسع والعشرين من شعبان، وورد في وفيات الأعيان 5: 207: في السابع والعشرين من شعبان 589 هـ.

(4) الكامل 12: 101.

[276 أ] / مَسِيرُ العَزِيزِ مِن مِصْرَ إلى حِصَارِ الأَفْضَلِ بدِمَشْق وَمَا استَقَرَّ بينَهم مِنَ الوِلايات

كانَ العَزِيزُ عُثْمَانُ بنُ صَلَاحِ الدِّينِ قَدِ اسْتَقَرَّ بِمِصْرَ، كَمَا ذَكَرْنَاه، وكَانَ مَوَالِي أَبِيه مُنحَرِفِينَ عَنِ الأفضَل، ورُؤسَاؤهم يَومَئِذٍ: فَخرُ الدِّينِ [جِهَارْكَس][1]، وقَرَاجَا، و[سَرَا سُنقُر][2]، فهُم عَدُوٌّ للأفضَلِ والأكْرَاد، ومَوَالِي شِيرْكُوه شِيعَةٌ له[3]، فكَانَ العَدُوُّ يُغرُونَ العَزِيزَ بهؤُلَاءِ الشِّيَع، ويُخَوِّفُونَه مِن أَخِيهِ الأفضَلِ ويُحَرِّضُونَه عَلَى انتِزَاعِ دِمَشْقَ مِن يَدِه، فَسَارَ لِذَلك سَنَةَ تِسْعِينَ وخَمْسِ مِائَةٍ، ونَزَلَ عَلَى دِمَشْقَ، واسْتَنْجَدَ الأَفْضَلُ بِعَمِّهِ العَادِلِ وهُو بأَعْمَالِهِ بالجَزِيرَة، فأَنْجَدَه وَسَارَ إليه بنَفْسِه، وسَارَ معَه: الظَّاهِرُ غَازِي بنُ صَلَاحِ الدِّينِ صَاحِبُ حَلَب، ونَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ تَقِيِّ الدِّينِ عُمَرَ بنِ شَاهِنشَاهِ صَاحِبُ حَمَاة، وشِيرْكُوه بنُ مُحَمدِ بنِ شِيرْكُوه صَاحِبُ حِمْص، وعَسَاكِرُ المَوْصِلِ مِن قِبَلِ عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودِ بنِ مَوْدُود، وسَارُوا كُلُّهم إلى الأَفْضَلِ بدِمَشْقَ لإنْجَادِه، فَامْتَنَعَ عَلَى العَزِيزِ مَرَامُه.

وتَرَاسَلُوا في الصُّلحِ عَلَى أَنْ يَكُونَ القُدْسُ وأَعْمَالُ فِلَسْطِينَ للعَزِيزِ، وجَبَلَةُ واللاذِقِيَّةُ للظَّاهِرِ صَاحِبِ حَلَب، وتَبْقَى دِمَشْقُ وطَبَرِيَّةُ والغَوْرُ للأَفْضَل، وأَنْ

---

(1) في ظ: جركش، في الكامل 12: 118: جركس، والضبط من وفيات الأعيان 1: 381.

(2) في الأصول: قرا سنقر، والتصويب من الكامل 12: 118، 129، 142، مفرج الكروب 3: 92، 131، وسيجرى تصويبها في المواضع التالية.

(3) أي: شيعة للأفضل، ينظر الكامل 12: 109.

يَسْتَقِرُّ العَادِلُ بِمِصْرَ مُدَبِّراً دَوْلَةَ العَزِيزِ عَلَى إِقْطَاعِهِ الأَوَّلِ، وانْعَقَدَ الصُّلْحُ عَلَى ذَلِكَ[1]، ورَجَعَ [العَزِيزُ][2] إِلَى مِصْرَ، وعَادَ كُلٌّ إِلَى بَلَدِهِ[3].

حِصَارُ العَزِيزِ ثَانِيَةً دِمَشْقَ وهَزِيمَتُه

ولَمَّا عَادَ العَزِيزُ إِلَى مِصْرَ، عَادَ مَوَالِي صَلَاحِ الدِّينِ إِلَى إِغْرَائِهِ بِأَخِيهِ الأَفْضَلِ، فتَجَهَّزَ لِحِصَارِهِ بِدِمَشْقَ سَنَةَ إِحْدَى وتِسْعِينَ، وسَارَ الأَفْضَلُ مِن دِمَشْقَ[4] إِلَى عَمِّهِ العَادِلِ بِقَلْعَةِ جَعْبَرَ، ثُمَّ إِلَى أَخِيهِ الظَّاهِرِ غَازِي بِحَلَبَ مُسْتَنْجِداً بِهِمَا، وعَادَ إِلَى دِمَشْقَ، فوَجَدَ العَادِلَ قد سَبَقَهُ إِلَيْهَا، واتَّفَقَا عَلَى أَن تَكُونَ مِصْرُ لِلأَفْضَلِ ودِمَشْقُ لِلعَادِلِ[5].

ووَصَلَ العَزِيزُ إِلَى قَرِيبِ دِمَشْقَ، وكَانَ الأَكْرَادُ ومَوَالِي شِيرِكُوه مُنْحَرِفِينَ عَنْه، كَمَا قَدَّمْنَاه، وشِيعَةً لِلأَفْضَلِ، ومُقَدَّمُهُم سَيْفُ الدِّينِ أَيَازْكُوش مِن المَوَالِي، وأَبُو [276 ب] الهَيْجَاءِ السَّمِينُ مِن الأَكْرَادِ، فَدَسَّا لِلأَفْضَلِ ولِلعَادِلِ / بِالخُرُوجِ إِلَى العَزِيزِ، ووَاعَدَاهُمَا الهَزِيمَةَ عَنْه، فخَرَجَا فِي العَسَاكِرِ، وانْحَازَ إِلَيْهِمَا المَوَالِي والأَكْرَادُ، وانْهَزَمَ العَزِيزُ إِلَى مِصْرَ[6].

وبَعَثَ الأَفْضَلُ والعَادِلُ إِلَى القُدْسِ فتَسَلَّمَهُ مِن نَائِبِ العَزِيزِ، وسَارُوا فِي

---

(1) وذلك يوم السبت ثاني عشر شهر رجب 590 هـ. مفرج الكروب 3: 32.

(2) إضافة يقتضيها السياق.

(3) الكامل 12: 110.

(4) في رابع عشر جمادى الأولى. مفرج الكروب 3: 42.

(5) الكامل 12: 119.

(6) في الخامس من شوال. مفرج الكروب 3: 48، 50، الكامل 12: 119.

اتّباعِهِ إلى مِصْر، والعَساكِرُ مُلتَفّةٌ عَلى الأفضلِ، فارْتابَ العَادِلُ وخَشِيَ أنْ لا يُوفّيَ لهُ الأفضَلُ بما اتّفَقا عَليه، ولَا يُمَكّنَه مِنْ دِمَشْق، فَدَسَّ إلى العَزيز بالثّبَاتِ، وأنْ يَنْزِلَ حَامِيةً، وَوَعَدَهُ مِن نَفْسِه المظَاهَرَةَ عَلَى أخِيه، وتَكَفَّلَ له مَنْعَه مِن مُقَاتَلَة بِلْبِيس، فتَرَكَ العَزيزُ بها فَخْرَ الدّينِ جَهَارَكَس في عَسْكَرٍ مِن مَوَالي أبيه، وأرَادَ الأفضَلُ مُنَاجَزَتَهم، فمَنَعَه العَادِل، فأرَادَ الرّحِيلَ إلى مِصْرَ فمَنَعَه ايضاً، وقالَ له: إن أخَذْتَ مِصرَ عَنْوَةً انْخَرَقَتِ الهَيْبَة وطَمِعَ فِيها الأعْداءُ، والمطَاوَلَةُ أوْلى[1].

وَدَسَّ إلى العَزيزِ بإرْسَالِ القَاضِي الفَاضِل، وكَان مُطَاعًا فيهم لِمَنْزِلتِه عند صَلَاح الدّين، فجَاءَ إليهمَا، وَعَقَدَ الصُّلحَ بينَهم عَلَى أنْ تَكُونَ للأفضَلِ: القُدْس، وفِلَسْطِينُ، وطَبَرِيّةُ، والأُرْدُنُّ، مُضَافَةً إلى دِمَشْقَ كَما كان، ويَكُونُ للعَادِلِ إقْطَاعُه القَدِيم، ويُقِيمُ بِمِصْرَ عِنْدَ العَزيزِ يُدَبّرُ أمْرَه، وتَحَالَفوا عَلَى ذَلك، وعَادَ الأفْضَلُ إلى دِمَشْق، وأقَامَ العَادِلُ عِنْدَ العَزِيزِ بِمِصْر[2].

اسْتيلاءُ العَادِلِ عَلَى دِمَشْقَ

ثُم إنّ العَزيزَ اسْتَمَالَ العَادِلَ وأطْمَعَهُ في دِمَشْقَ أنْ يَأخُذَها مِن أخِيه ويُسَلّمَهَا إليه، وكَان الظّاهِرُ صَاحِبُ حَلَبَ يَعْذِلُ الأفْضَلَ في مُوَالاة عَمّهِ العَادِل، ويُحَرّضُه عَلَى إبعَادِه، فيَلِجُّ في ذَلك[3].

(1) الكامل 12: 119 – 120.

(2) المصدر نفسه 12: 120، وينظر مفرج الكروب 3: 54.

(3) المصدر نفسه 12: 122.

ثُمّ إنَّ العَادِلَ والعَزيزَ سَارُوا مِن مِصْرَ وحَاصَرُوا دِمَشْق، واستَمالُوا مِن أُمَرَاءِ الأفضَل أبا غَالِبِ الحِمْصيَّ[1]، عَلَى وُثُوقِ الأفضَل بهِ وإحْسَانهِ إليه، ففَتَحَ لهُم البَابَ الشَّرْقيَّ عَشِيَّ السَّابِعِ والعِشرِينَ مِن رَجَبٍ سنَةَ اثنَتَيْنِ وتِسْعِين، فدَخَلَ العَادِلُ منهُ إلى دِمَشْق، ووَقَفَ العَزيزُ بالمَيْدَانِ الأخْضَر، وخَرَجَ إلَيهِ أخُوه الأفضَل[2].

ثُم دَخَلَا إلى العَادِلِ بدَارِ شِيرَكُوه، وأظْهَرُوا مُصَالَحَةَ الأفضَل خَشيَةً مِن جُمُوعِه، وأعَادُوه إلى القَلْعَة، وأقَامُوا بظَاهِرِ البَلَدِ، والأفضَلُ يُغَادِيهم كُلَّ يَوم [277أ] ويُرَاوِحُهم حَتّى استَفْحَلَ أمْرُهم، فأمَرُوهُ بالخُرُوجِ مِن دِمَشْق / وتَسْلِيمِ أعْمَالِها، وأعْطَوْهُ قَلْعَةَ صَرْخَد، ومَلَكَ العَزيزُ القَلْعَة[3].

ونُقِلَ للعَادِلِ أنَّ العَزيزَ يُرِيدُ أن يَرُدَّ الأفضَلَ إلى دِمَشْق، فجَاءَ إليهِ وحَمَلَهُ عَلَى تَسْلِيمِ القَلْعَة، فسَلَّمَها، وخَرَجَ الأفضَلُ إلى جَوْسَقٍ[4] لهُ خَارِجَ البَلَد، فأقَامَ بِه، وسَارَ مِنْهُ إلى صَرْخَد، وعَادَ العَزيزُ إلى مِصْر[5]، وأقَامَ العَادِلُ بدِمَشْق[6].

---

(1) في الكامل 12: 122: العز بن أبي غالب الحمصي.

(2) الكامل 12: 122.

(3) المصدر نفسه 12: 123.

(4) القصر الصغير.

(5) تاسع شعبان. مفرج الكروب 3: 68.

(6) الكامل 12: 123.

فتح العادل يافا من الفرنج، واستيلاء الفرنج على بيروت وحصارهم تبنين

ولمّا توفّي صلاحُ الدّين، وملَكَ بنوهُ بعْدَه، جدَّدَ العَزيزُ الهُدْنَةَ [معَ][1] الكِنْد هِري مَلِك الفِرنج، كما عَقَدَ أبوهُ مَعه، وكَانَ الأميرُ أُسامةُ مُقطَعَ بيْرُوت، فكَان يبْعَثُ الشَّوانيَ للإغَارَةِ عَلَى الفِرنج، وشَكَوْا ذَلكَ إلى العَادِلِ بدِمَشْق، والعَزيزِ بِمِصْر، فلَم يَشْكِيَاهُم، فَأرْسَلُوا إلى مُلُوكِهم ورَاءَ البَحْرِ يَسْتَنْجِدُونهم، فأمَدُّوهم بالعَسَاكِر، وأكْثَرهُم مِنَ الألْمان، ونَزَلوا بعَكّا[2].

وَاسْتَنْجَدَ العَادِلُ بالعَزيز، فَبعَثَ إليهِ العَسَاكِر، وَجَاءَتْه عَسَاكرُ الجزيرَةِ وَالمَوْصِل، وَاجتَمَعُوا بعَيْن جَالُوت، فأقَامُوا رمَضَان وبَعْض شَوَّال مِن سَنَةِ اثنَتَيْنِ وتِسْعين، ثُمّ سَارُوا إلى يَافَا فمَلَكُوا المدِينةَ أولاً وخرَّبُوها، وَامتَنَعَ الحَامِيةُ بالقَلْعَة، فحَاصَرُوها وفتَحُوها عَنْوَةً وَاسْتَبَاحُوها[3].

وجَاءَ الفِرنْجُ مِن عَكّا لصَرِيخ إخْوانِهم، وَانْتَهَوْا إلَى قَيْسَارِيَّة، فبَلَغَهم خَبَرُ فَتْحِها، وخَبَرُ وفَاةِ الكِنْد هِري مَلِكِهم بعَكّا، فرَجَعُوا، ثُمّ اعْتَزَموا عَلَى قَصْدِ بَيْرُوت، فَسَارَ العَادِلُ لتَخْريبِها حَذَراً عَلَيها مِن الفِرنْج، فتَكَفَّلَ له أُسَامةُ عَامِلُها بحِمَايَتِها، وعَادَ، ووَصَلَ إليها الفِرنْجُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ مِنَ السَّنَة[4]، وهَرَبَ مِنْها أُسَامةُ ومَلَكُوها[5].

---

(1) من الكامل 12: 126.

(2) المصدر نفسه 12: 126.

(3) المصدر نفسه 12: 127.

(4) سنة 593 هـ. الكامل 12: 127.

(5) الكامل 12: 127.

وفرّق العَادِلُ العَسَاكِرَ فخرّبُوا مَا كَان بَقِيَ مِنْ صَيْدَا، بَعْدَ تَخْرِيبِ صَلَاح الدِّين، وعَاثُوا فِي نَوَاحِي صُور، فَعَادَ الفِرنْجُ إلى صُور[1].

وَنَزَلَ المسْلِمُونَ عَلَى قَلْعَة هُونِين، ثُم نَازَلَ الفِرنْجُ حِصْن تِبْنِين فِي صَفَرٍ أَرْبَع وتِسْعِين، وبعَثَ العَادِلُ عَسْكَرًا لِحِمَايَته فلَم يُغْنُوا عنه، ونَقَبَ الفِرنْجُ أَسْوارَه، فبَعَثَ العَادِلُ بالصَّرِيخِ إلى العَزِيز صاحِبِ مِصْر، فأغَذَّ السَّيْرَ إليهِ بعَسَاكِرِه، وَانتَهَى إلى عَسْقَلانَ في رَبِيعٍ [الأوَّلِ][2] مِنَ السَّنَة.

[277 ب] وكانَ المسْلِمونَ في / تِبْنِينَ قَد بَعَثُوا إلى الفِرنْجِ مَن يَسْتَأْمِنُ لهم ويُسَلِّمُونَ الحِصْن، فأَنْذَرَهم بَعْضُ الفِرنْجِ بأنَّهم يَغْدُرُونَ بهم، فَعَادُوا إلى حِصْنِهم، وَأَصَرُّوا عَلَى الامْتِنَاع حَتَّى وَصَلَ العَزِيزُ إلَى عَسْقَلان، فاضْطَربَ الفِرنْجُ لوصُوله، ولم يَكُنْ لهُم مَلِكٌ يَجْمَعُهم، وَإِنَّمَا كَان مَعَهم الجَنْصَكِير[3] القِسِّيس، مِن أَصْحَابِ مَلِكِ الأَلْمَان، والمَلِكَةُ[4] زَوْجَةُ الكِنْد هِرِي، فاسْتَدْعَوْا مَلِكَ قُبْرص، وَاسْمُهُ هِيمْرِي[5]، وهُوَ أخو المَلِكِ الّذي أُسِرَ بِحِطِّين، فجاءَهم وزَوَّجُوه بمَلِكَتِهم[6].

ثُم جَاءَ العَزِيزُ وسَارَ مِنْ عَسْقَلانَ إلى جَبَلِ الخَلِيل، وَأَطَلَّ عَلَى الفِرنْجِ ونَاوَشَهمُ القِتَالَ، ورَجَعُوا الفِرنْجُ إلى صُور، ثُم إلَى عَكَّا[7].

---

(1) الكامل 12: 127.

(2) من الكامل 12: 128.

(3) في الكامل 12: 128: الخنصلير.

(4) هى الملكة إيزابيل.

(5) وهو عمورى الثانى لوزجنان، ملك قبرص، وينظر الكامل 12: 128.

(6) الكامل 12: 128.

(7) المصدر نفسه 12: 129.

وتَزَلَتْ عَسَاكِرُ المسلمِينَ باللُّجون، واضطَرَبَ أُمَرَاءُ العَزيزِ، واجْتَمَعَ جَمَاعةٌ مِنهم، وهُم: مَيْمُونٌ القَصْريّ، وسَرَا سُنقُر[1]، والحجّاف، وابنُ المشْطُوب، عَلَى الغَدْرِ بالعزيزِ وبمُدَبّرِ دَولتِهِ فَخْرِ الدّين جَهَارْكَس، فأَغَذَّ السَّيْرَ إلى مِصْر[2].

وتَرَاسَلَ العَادِلُ والفِرنْجُ في الصُّلح، فانعقَدَ بينَهم في شَعْبان مِن السَّنَة[3]، ورَجَعَ العَادِلُ إلى دِمَشق، وسَارَ منها إلى مَارِدِين كما يأتي خَبَرُه[4].

وَفَاةُ طُغْتكِينَ بن أيّوبَ باليَمَن، ومُلكُ ابنه إسْمَاعيل ثُمّ سُلَيمانَ بنِ تَقِيّ الدّينِ بنِ شَاهنشَاه

قَد كَان تَقَدَّم لَنَا أَنَّ سَيْفَ الإسْلام طُغْتِكِينَ بنَ أيُّوبَ سَارَ إلى اليَمَنِ [سنةَ] ثَمانٍ وسَبْعِينَ بَعْدَ وَفَاةِ أخِيه صَاحِبِها شَمسِ الدّولة تُورانْشَاه، واختِلافِ نُوّابِه باليَمَنِ فَاسْتَوْلَى عَلَيها، ونَزَلَ زَبِيدَ وأقَامَ بِها إلى أن تُوفّيَ في شَوّالِ سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعِين[5].

وكَان سيّئَ السِّيرَة، كَثِيرَ الظُّلْم لرَعِيَّتِه، جَمّاعَةً للأموال. ولمّا اسْتَفْحَلَ مُلكُه بِها أَرَادَ الاستِيلَاءَ عَلَى مَكّة، فبَعَثَ الخَليفَةُ النّاصِرُ إلَى أخِيهِ صَلَاحِ الدّين يَمْنَعُه مِن ذَلكَ فمَنَعَه[6].

---

(1) في الأصول: قرا سنقر، والتصويب من الكامل 12: 129.

(2) الكامل 12: 129.

(3) سنة 594 هـ: الكامل 12: 129، وينظر مفرج الكروب 3: 78.

(4) الكامل 12: 129.

(5) المصدر نفسه 12: 129، مفرج الكروب 3: 72.

(6) المصدر نفسه 12: 130.

وَلَمَّا تُوفِّي، مَلَكَ مَكَانَه ابنُه إسْمَاعِيل، وتَلَقَّبَ المعز، وكَان أهوَجًا فانْتَسبَ في بَني أُمَيَّة وَادَّعَى الخِلافَة وتَلَقَّب بالهَادِي[1] ولَبِسَ الخُضْرَة.

وبعثَ إليهِ عَمُّهُ العَادِلُ بالمَلامَةِ والتَّوْبِيخ، فلَم يَقْبَل، وَأسَاءَ السِّيرةَ في رَعِيَّتِهِ وأهْلِ دَوْلَتِه، فوَثَبُوا إليهِ وقَتَلُوه[2]، وتَوَلَّى ذَلك سَيْفُ الدِّين سُنْقُر مَوْلَى أبيه، ونَصَبَ / [278أ] أخَاه النَّاصِرَ سنةَ ثَمانٍ وتِسْعِين، وَقَامَ بأمْرِه. ثُمَّ هَلَكَ سُنْقُرُ لأرْبَعِ سِنِينَ مِن دَوْلَتِه، وأقَامَ مَكَانَه غَازِيَ بنَ جِبْرِيل، مِن أُمَرَائِهم، وتَزَوَّجَ أُمَّ النَّاصِر، ثُمَّ قُتِلَ النَّاصِرُ مَسْمُومًا، وثَأرَ العَرَبُ منه بغَازِي المَذْكُور.

وَبَقِيَ أَهْلُ اليَمَن فَوْضَى، وَاسْتَوْلَى عَلَى ظَفَارَ وبِلادِ حَضْرَمَوْتَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ الحِمْيَرِيُّ، وَاسْتَبَدَّتْ أُمُّ النَّاصِرِ ومَلَكَتْ زَبِيدَ، وبَعَثَتْ في طَلَبِ أَحَدٍ مِن بَني أيُّوبَ تُمَلِّكُهُ عَلَى اليَمَن. وكان للمُظَفَّرِ تَقِيِّ الدِّين عُمرَ بنِ شَاهِنشَاه، وقِيلَ لابنِه: سَعْد الدِّين شَاهِنشَاه، ابنٌ اسْمُهُ سُلَيْمَانُ، تَرَهَّبَ ولَبِسَ المُسُوحَ، ولَقِيَهُ بالموسِم بَعْضُ غِلْمَانِها، وجَاءَ بِه، فتَزَوَّجَته ومَلَّكَته اليَمَن[3].

مَسِيرُ العَادِلِ إِلَى الجَزِيرَةِ وحِصَارُهُ مَارِدِين

كَان نُورُ الدِّين أرْسَلان شَاه بنُ مَسْعُود، صَاحِبُ المَوْصِل، قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قُطْبِ الدِّين ابنِ عَمِّهِ عِمَادِ الدِّين زَنْكِي، صَاحِبِ نَصِيبِينَ والخَابُورِ والرَّقَّة، وبَيْنَ أبِيه

(1) الكامل 12: 130، مفرج الكروب 3: 136 – 137.

(2) الكامل 12: 130، مفرج الكروب 3: 137.

(3) مفرج الكروب 3: 138 - 139.

عمادِ الدّينِ قبلَه، فِتنةٌ بسببِ الحدودِ في تُخومِ أعمالِهم، فسارَ نورُ الدّينِ إليهِ في عساكرِه[1]، وملَكَ مِنهُ نصيبين، ولَحِقَ قُطْبُ الدّينِ بحرّانَ والرُّها إيالةِ العادلِ بنِ أيّوب، وهَوى إليهِ بالصَّريخِ وهُوَ بدِمَشق، وبَذَلَ لهُ الأموالَ في إنجادِه، فسارَ العادلُ إلى حَرّان، وارتَحَلَ نورُ الدّينِ مِن نَصيبين إلى المَوْصِل، وسارَ قُطْبُ الدّينِ إليها فملَكَها[2].

وسارَ العادلُ إلى ماردينَ في شهرِ رَمَضانَ منَ السَّنةِ فحاصَرَها، وكانَ صاحِبَها حُسامُ الدّينِ يُولَقُ أرسلانُ بنُ إيلغازي بنِ ألْبي بن تِمِرتاش بن إيلغازي بن أُرتُق، وهُوَ صَبيٌّ، وكافِلُهُ مَولى النّظام يَرَنْقُش مَولى أبيه، والحُكْمُ لهُ، ودامَ حِصارُهُ عليها، وملَكَ الرَّبَض، وقَطَعَ المِيرةَ عنها، ثُمّ رَحَلَ عنها في العامِ القابِل، كما تقدَّمَ في أخبارِ دولةِ بني زَنْكي[3].

وفاةُ العزيز صاحبِ مصرَ، وولايةُ أخيه الأفضل

ثُمّ تُوفّيَ العزيزُ عُثمانُ بنُ صَلاحِ الدّينِ آخِرَ[4] مُحرَّمِ خمسٍ وتسعين، وكانَ فخرُ الدّينِ إياسُ جِهاركس مَولى أبيه مُستبِدّاً عليه، فأرسَلَ إلى العادلِ بمكانِه مِن حِصارِ/ ماردينَ يَستَدعِيهِ للمُلْك، وكانَ جِهاركس هذا مُقدَّمَ مَوالي صَلاح [278 ب]

(1) في جمادى الأولى 594 هـ. الكامل 12: 132.

(2) الكامل 12: 133 – 134، التاريخ الباهر 347 – 350، مفرج الكروب 3: 79.

(3) الكامل 12: 138.

(4) في الكامل 12: 140: في العشرين. وفي مفرج الكروب 3: 83: منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم.

الدّين، وكَانُوا مُنحرِفِينَ عنِ الأفضَل، وكَان مَوَالِي شِيرَكُوه والأكْرادُ شِيعَةً له، وجَمَعَهم جِهَارِكَس للنَّظَرِ في الوِلَايَة، وأشَارَ بِتَوْلِيَةِ ابن العَزِيز، فقالَ لَه سَيْفُ الدّين إيازكُوش[1]، مُقَدَّمُ مَوَالِي شِيرَكُوه: لَا يَصْلُحُ لِذَلك، لِصِغَرِه، إلّا أَنْ يَكْفُلَه أَحدٌ مِن وَلَدِ صَلَاحِ الدِّين، لأنَّ رِيَاسَةَ العَسَاكِرِ صَعْبَة، واتَّفَقُوا عَلَى الأفضَل، ثُمّ مَضَوْا إلى القَاضِي الفَاضِل، فَأشَارَ بذَلكَ أيضاً، وَأرسَلَ أيَازكُوش يَسْتَدْعِيه مِن صَرْخَد، فسَارَ آخِرَ صَفَرٍ مِن السَّنة[2].

ولَقِيَهُ الخبَرُ في طَرِيقِه بطَاعَةِ القُدْس لهُ، وَخَرَجَ أُمَرَاءُ مِصْرَ فلَقُوهُ بِبِلْبِيس، وَأضَافَه أَخُوهُ المؤيَّدُ مَسْعُود، وفَخْرُ الدّين جِهَارِكَس صَاحِبُ دَوْلَةِ العَزِيز، فقَدَّمَ أخَاه، وَارْتَابَ جِهَارِكَس، فَاسْتَأْذَنَه في المسِيرِ لِيُصْلِحَ بيْنَ طَائِفَتَين مِن العَرَبِ اقْتَتَلَتَا(أ)، فأذِنَ له، فسَارَ مُجِدّاً إلى القُدْسِ، وتَمَلَّكَه، ولَحِقَه جَمَاعَةٌ مِن مَوَالي صَلَاحِ الدِّين، مِنهم: قَرَاجا الدَّكِزِمس[3]، وسَرا سُنْقُر[4]، وجَاءَهم مَيْمُونٌ القَصْرِيُّ، صَاحِبُ نَابُلُس، فقَوِيَت شَوْكَتُهم بِه، وَاتَّفَقُوا عَلَى عِصْيانِ الأفضَل، وأرسَلُوا إلَى الملِكِ العَادِلِ يَسْتَدْعُونَه، فلَم يَعْجَلْ لإجَابَتِهم لطَمَعِه في أخْذِ مَارِدِين[5].

وَارْتَابَ الأَفضَلُ بِمَوالِي صَلَاحِ الدِّين، فقَبَضَ عَلَيهم، وهُم: شُقَيْرَة، وأَيْبَكُ فطِيس، وأَلْبَكِي، ولَحِقَ جَمَاعَةٌ منهم بأَصْحَابِهم بالقُدْسِ، وأرسَلَ الأَفضَلُ إليهم في

(أ) في الأصول: اقتتلا.

---

(1) في الكامل 12: 140: يازكوش، أيازكوش 69/12.
(2) الكامل 12: 141، الروضتين 4: 446، مفرج الكروب 3: 87 – 91.
(3) هكذا في ظ، في الكامل 12: 142. الزره كش.
(4) في الأصول: قرا سنقر، والتصويب من الكامل 12: 142، مفرج الكروب 3: 92.
(5) الكامل 12: 141، مفرج الكروب 3: 92.

العَوْدِ عَلَى مَا يَختارُونَه، فامْتَنَعُوا، وأَقَامَ هُوَ بالقَاهِرَةِ وقَرَّ دَوْلَتَه، وقَدَّمَ فيها سَيْفَ الدِّينِ إيَازْكُوش[1]، والمُلْكُ لابنِ أخِيهِ العَزيزِ عُثْمَان، وهُوَ كَافِلٌ لهُ لصِغَرِه، وانتَظَمَتْ أمُورُهم عَلَى ذَلِكَ[2].

حِصَارُ الأَفضَلِ دِمَشْقَ وعَوْدُهُ عنها

ولَمَّا انتَظَمَتِ الأُمورُ للأَفضَلِ، بَعَثَ إليهِ الظَّاهِرُ غَازِي صَاحِبُ حَلَب، وابنُ عَمِّه شِيرِكُوهُ بن مُحَمَّد بن شِيرِكُوه صَاحِبُ حِمْص يُغْرِيَانِه بِمُلْكِ دِمَشْقَ لغَيْبَةِ العَادِلِ عَنْها في حِصَارِ مَارِدِين، ويَعِدَانِهِ المُظَاهَرَة، فسَارَ مِن مِصْرَ مُنْتَصَفَ السَّنَة[3]، ووَصَلَ إلى دِمَشْقَ مُنْتَصَفَ[4] شَعْبَان، وسَبَقَهُ العَادِلُ إليها، وتَرَكَ العَسَاكِرَ / معَ ابنِهِ الكَامِلِ عَلَى مَارِدِين[5]. [279 أ]

ولَمَّا نَزَلَ الأَفضَلُ عَلَى دِمَشْق، وكَان مَعَهُ الأَمِيرُ مَجْدُ الدِّين أخُو عِيسَى الهَكَّارِيّ، فدَاخَلَ قَوْمًا منَ الأَجْنادِ في دِمَشْقَ عَلَى أنْ يَفْتَحُوا له بَابَ السَّلَامَة، ودَخَلَ مِنْهُ هُو والأَفضَلُ سِرًّا، وَانتَهَوْا إلى بَابِ البَرِيد، وفَطِنَ عَسْكَرُ العَادِلِ لقِلَّتِهِم وانقِطَاعِ مَدَدِهِم، فتَرَاجَعُوا[6] وأَخرَجُوهم، ونَزَلَ الأَفضَلُ بمَيْدَانِ الحَصَى،

---

(1) يازكج: في الكامل 12: 142.

(2) الكامل 12: 142.

(3) في الكامل 12: 143: منتصف جمادى الأولى 595 هـ، وأقام بظاهر القاهرة إلى ثالث رجب.

(4) في الكامل 12: 143، مفرج الكروب 3: 95: ثالث عشر شعبان.

(5) الكامل 12: 143.

(6) في الكامل 12: 144: استسلم بعض جند العادل، وكاد العادل أن يستسلم، وتماسك.

وضعُفَ أمْرُهُ، واعْصَوْصَبَ الأكْرَادُ مِن عَسْكَرِهِ فارْتَابَ بِهِمُ الآخَرُون، وانْحَازُوا عَنْهُم في المُعَسْكَر[1].

وَوَصَلَ شِيرْكُوه صَاحِبُ حِمْص، ثُمّ الظّاهِرُ صَاحِبُ حَلَبَ، آخِرَ[2] شَعْبَان وأوّلَ[3] رَمَضَانَ لمظَاهَرَةِ الأفضَلِ، وَاعْتَزَمُوا عَلَى قِتَالِ دِمَشْق، وتَكَاسَلَ الظّاهِرُ حَسَدًا لأخِيه الأفضَل[4].

وأرْسَلَ العَادِلُ إلى مَوَالي صَلَاحِ الدِّين بالقُدْس، فسَارُوا إليه، وقَوِيَ بِهِم، ويَئِسَ الأفضَلُ وأصْحَابُه، وخَرَجَتْ عَسَاكِرُ دِمَشْق لِيُبَيِّتُوهم، فوَجَدُوهم حَذِرِينَ فرَجَعُوا، وجَاءَ الخَبَرُ إلى العَادِل بوصُولِ ابنِه مُحَمَّدِ الكَامِل مِن مَارِدِينَ إلى حَرّانَ فاسْتَدْعَاه، ووَصَلَ مُنْتَصَفَ[5] صَفَرِ سِتٍّ وتِسْعِين، فعِنْدَ ذَلِكَ رَحَلَتِ العَسَاكِرُ عَن دِمَشْق، وعَادَ كُلٌّ مِنهم إلى بَلَدِه[6].

إفراجُ الكامِلِ عَن مَارِدين

قَدْ كانَ تَقَدّم لَنَا مَسِيرُ العَادِلِ إلى حِصَارِ مَارِدِين، وسَارَ مَعَهُ صَاحِبُ المَوْصِلِ وغَيْرُه مِن مُلُوكِ الجَزِيرَة ودِيَارِ بَكْر، وفي نُفُوسِهِم مَضَضٌ لتَغَلُّبِ العَادِلِ عَلَى

(1) الكامل 12: 144، الروضتين 4: 448 – 451.
(2) في الكامل 12: 144: الخامس والعشرين.
(3) المصدر نفسه 12: 144: ثاني عشر شهر.
(4) المصدر نفسه 12: 144.
(5) في المصدر نفسه 12: 145: ثاني عشر، وفي الروضتين 4: 453: تاسع عشر صفر.
(6) الكامل 12: 145.

مَارِدِينَ وَعَلَيْهِم، فلَمَّا عَادَ العَادِلُ إلى دِمَشْقَ لمدَافعَةِ الأَفضَل وتَرَكَ ابنهُ الكَامِلَ عَلَى حِصَارِ مَارِدِين، اجْتَمَعَ مُلُوكُ الجَزِيرَة ودِيَارِ بَكْرٍ عَلَى مُدَافعَتِه عَنهَا، وسَارَ نُورُ الدِين أرْسَلاَن شَاه صَاحِبُ المَوْصِل، وابنُ عمِّهِ قُطْبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ زَنْكِي صَاحِبُ سِنجَار، وابنُ عَمِّهِ سَنْجَر شَاه بنُ غَازِي صَاحِبُ جَزِيرَةِ ابنِ عُمَر، وَاجْتَمَعُوا كُلُّهم بدُنَيْسَرَ حَتّى قَضَوْا عِيدَ الفِطْر، وَارْتَحَلُوا سَادِسَ شَوَّالٍ وقَارَبُوا جَبَلَ مَارِدِين. وكَان أهْلُ مَارِدِينَ قدِ اشْتَدَّ عَلَيهِمُ الحِصَار، وبَعَثَ النِّظَامُ يُرُنْقُش، كَافِلُ صَاحِبِها، إلى الكَامِلِ في تَسْلِيمِ القَلْعَةِ عَلَى شُرُوطٍ اشْتَرَطَها وإلى أَجَلٍ ضَرَبَه، وأَذِنَ لهُمُ الكَامِلُ في إدْخَالِ الأَقْواتِ / في تِلكَ المدَّة[1]. [279 ب]

ثُمَّ جَاءَ الخَبَرُ بوصُولِ صَاحِبِ المَوْصِلِ ومَن مَعَهُ، فنَزَلَ الكَامِلُ لِلِقَائِهم، وتَرَكَ عَسكَراً بالرَّبَضِ، وبَعَثَ قُطْبُ الدِّينِ صَاحِبُ سِنجَارَ إلى الكَامِل، وَوَاعَدَه بالانْهِزَام لَهُم، فلَمْ يُغْنِ[2].

ولَمَّا التَقَى الفَرِيقَانِ حَمَلَ صَاحِبُ المَوْصِل عَلَيهِم مُسْتَمِيتاً، فانْهَزَمَ الكَامِلُ وصَعِدَ إلى الرَّبَض، فوَجَدَ أَهْلَ مَارِدِينَ قد فَضُّوا عَسكَرَه الَّذِي هُنَاك، ونَهَبُوا مَخلَفَهم، فَارْتَحَلَ الكَامِلُ مُنْتَصَف[3] شَوَّالٍ مُجْفِلاً، ولَحِقَ بمَيَّافارِقِين، وَانْتَهَبَ أَهْلُ مَارِدِينَ مَخلَفَه، ونَزَلَ صَاحِبُها فلَقِيَ صَاحِبَ المَوْصِل، وَعَادَ إلى قَلْعَتِه[4].

---

(1) الكامل 12: 148.

(2) المصدر نفسه 12: 149.

(3) في الكامل 12: 149: سابع شوال.

(4) الكامل 12: 150.

وارتَحَلَ صَاحِبُ المَوْصِل إلى رَأسِ عَيْنٍ لقَصْدِ حرّان والرُّها وغيرِهما مِن بلادِ العَادِل، فلَقِيَهُ هُنالِك رَسُولُ الظَّاهِر صَاحِبِ حَلَب يَطْلُبُه في الخُطْبَةِ والسِّكَّة، فارْتَابَ لذَلك، وكَان عَازِماً عَلَى نَصْرِهِم، فقَعَدَ عَنهم، وعَادَ إلى المَوْصِل، وأَرسَلَ إلى الأَفضَلِ والظَّاهِرِ يَعْتَذِرُ بِمَرضٍ طَرَقَه، وهُم يَومَئذٍ عَلَى دِمَشق[1].

وَوَصَلَ الكَامِلُ مِن ميَّافارِقِينَ إلَى حَرَّان، فَاسْتَدْعَاهُ أَبُوهُ مِن دِمَشق، وَسَارَ إليهِ في العَسَاكِر، فأَفْرَجَ عنهُ الأَفضَلُ والظَّاهِرُ[2] كَما مَرَّ.

استيلاءُ العَادلِ عَلَى مِصْر

ولَمَّا رَحَلَ الأَفضَلُ والظَّاهِرُ إلى بلادِهِم، تَجَهَّزَ العَادِلُ لاتِّباعِ الأَفضَلِ إلى مِصْر، وأَغرَاهُ مَوَالي صَلَاحِ الدِّينِ بذَلك، وَاستَحْلَفوهُ عَلَى أن يكُونَ ابنُ العَزِيزِ مَلِكاً وهُوَ كَافِلُه[3].

وبَعَثَ الأَخْبَارَ بذَلك إلى الأَفضَلِ وهُوَ في بِلْبِيس، فسَارَ عَنها، ولَقِيَهم، فانْهَزَمَ لسَبْعٍ خَلَوْنَ مِن رَبيعٍ الآخِرِ مِن سَنَةِ سِتٍّ وتِسْعين، ودَخَلَ القَاهِرَةَ لَيلاً، وحَضَرَ الصَّلَاةَ عَلَى القَاضِي الفاضِلِ عبدِ الرَّحيم البَيْسَانِيّ، تُوفِّي تِلكَ اللَيْلَة[4].

---

(1) الكامل 12: 150.

(2) المصدر نفسه 12: 150.

(3) المصدر نفسه 12: 155.

(4) وفيات الأعيان 3: 162، وينظر الروضتين 4: 472 – 483، مفرج الكروب 3: 109: وعند دخول العادل القاهرة توفي القاضي الفاضل، وذلك في ليلة الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر.

وَسَارَ العَادِلُ فحاصَرَ القَاهِرَة، وتَخَاذَلَ أصْحَابُ الأفضَلِ عَنه، فأرسَلَ إلى عَمِّه في الصُّلحِ وتَسْلِيمِ الدِّيَارِ المِصْرِيّة لهُ، [عَلَى][1] أنْ يُعَوِّضَه بدِمَشْق أو بِبِلَادِهِ بالجزيرَة، وهيَ: حَرَّانُ، والرُّهَا، وسَرُوجُ، فلَم يُجِبْه، وعَوَّضَه بمَيَّافَارِقِين وَحَانِي وجِبَالِ جُور، [وتَحَالَفُوا][2] عَلَى ذَلِكَ[3].

وخَرَجَ الأفضَلُ منَ القَاهِرة ثَامِنَ عشَرَ رَبِيع [الآخِرِ][4]، وَاجتَمَعَ بالعَادِلِ، وسَارَ إلى بِلادِهِ صَرْخَد، ودَخَلَ العَادِلُ القَاهرةَ مِن يَوْمِه.

ولَمَّا وَصَلَ الأفْضَلُ / إلى صَرْخَدَ بعَثَ مَن يَتَسَلَّمُ البِلَادَ الَّتي عَوَّضَهُ العَادِلُ، وكَانَ بها ابنُهُ نَجْمُ الدِّينِ أيُّوب، فَامْتَنَعَ مِن تَسْلِيمِ مَيَّافَارِقِين، وسَلَّمَ مَا عَدَاها، وَرَدَّدَ الأَفْضَلُ رُسُلَه في ذَلكَ إلى العَادِلِ، فزَعَمَ أنَّ ابنَهُ عَصَاه، فعَلِمَ الأفْضَلُ أنهُ بأمْرِه[5]. [280أ]

وَاسْتَفْحَلَ العَادِلُ بمِصْر، وقَطَعَ خُطْبَةَ المَنْصُورِ بنِ العَزِيزِ وخَطَبَ لنَفْسِه، واعْتَرَضَ الجندَ، ومَحَّصَهم بالمَحْوِ والإثْبَات، فَاسْتَوْحَشُوا لِذَلِكَ[6].

وبَعَثَ العَادِلُ فَخْرَ الدِّين جَهَارْكَس، مُقَدَّمَ مَوَالي صَلَاحِ الدِّين، في عَسْكَرٍ إلى بَانِيَاس ليُحَاصِرَها ويَمْلِكَها لنَفسِه، ففَصَلَ عَن مِصْرَ إلى الشَّامِ في جَمَاعَةِ المَوَالي

---

(1) إضافة يقتضيها السياق، حيث توجد علامة إضافة بين الأسطر في ظ، ولا يوجد شيء في الهامش.

(2) في الأصول: واختلفوا، الكامل 12: 156.

(3) المصدر نفسه 12: 156.

(4) المصدر نفسه 12: 156.

(5) المصدر نفسه 12: 156، الروضتين 4: 460.

(6) المصدر نفسه 12: 156.

الصَّلاحِية، وكَان بِها الأميرُ بِشارَةُ مِن أُمَرَاءِ التُّرْكِ، ارْتَابَ العَادِلُ بطَاعَتِهِ، فبعَثَ العَسَاكِرَ إليهِ معَ جِهارْكَس[1].

مَسِيرُ الظَّاهِرِ والأَفضَلِ لحِصَارِ دِمَشق

ولَمَّا قَطَعَ العَادِلُ خُطْبَةَ المنْصُورِ بن العَزِيزِ بِمِصْرَ اسْتَوْحَشَ الأُمَرَاءُ لِذلك، ولِمَا كَان مِنْهُ في اعْتِرَاضِ الجنْدِ، فرَاسَلُوا الظَّاهِرَ بحَلَبَ والأَفْضَلَ بصَرْخَدَ أنْ يُحَاصِرَا دِمَشْق، ليَسِيرَ إليهِمَا الملِكُ العَادِلُ فيتأَخَّرُوا عَنْهُ بِمِصْرَ، ويقُومُوا بدَعْوَتِهِمَا[2].

ونُمِيَ الخَبَرُ إلى العَادِل، وكَتَبَ بهِ إليهِ الأَميرُ عِزُّ الدينِ أسَامَةُ، جَاءَ منَ الحجِّ ومَرَّ بصَرْخَدَ فَلَقِيَهُ الأَفْضَلُ ودَعَاهُ إلى أمْرِهِم وأَطْلَعَه عَلَى مَا عِنْدَه، فكَتَبَ بهِ إلى العَادِل[3].

وأَرْسَلَ العَادِلُ إلى ابنِهِ المعَظَّم عِيسَى بدِمَشْقَ يأمُرُه بِحِصَارِ الأَفْضَلِ بصَرْخَد، وكَتَبَ إلى جِهارْكَس بمَكَانِه مِن حِصَار بَانْيَاس، وإلَى مَيْمُونِ القَصْريِّ صَاحِبِ [نَابُلُس][4] بالمسِيرِ مَعَهُ إلى صَرْخَد، ففَارَقَها الأَفْضَلُ إلى أخِيهِ الظَّاهِرِ بحَلَب، فوَجَدَهُ يتجَهَّزُ، لأنَّه بَعَثَ أمِيراً مِن أمَرَائِه إلى العَادِلِ فرَدَّه مِن طَرِيقِه،

(1) الكامل 12: 160، مفرج الكروب 3: 117.

(2) المصدر نفسه 12: 160.

(3) المصدر نفسه 12: 160 – 161، وينظر مفرج الكروب 3: 119.

(4) في ظ: بلبيس، والتصويب مما سبق، ومن الكامل 12: 161.

فسارَ إلى مَنبِجَ فمَلكَها، ثمّ إلى قَلْعَةِ نَجمٍ[1] كذلك، وذلك سَلْخَ رَجَبٍ مِن سَنَةِ سَبْعٍ وتِسْعِينَ[2].

وسارَ المُعَظَّمُ عِيسَى يَقْصِدُ صَرْخَد، وانْتَهى إلى بُصْرَى، وبَعَثَ عن جَهارْكَس والذين مَعَهُ عَلَى بانِيَاس، فغالَطُوهُ ولم يُجِيبُوه، فَعادَ إلى دِمَشْق، وبَعَثَ إليهمُ الأميرَ أُسامَةَ يَستَجِثُّهم فأغْلَظُوا لهُ في القَوْلِ، وتَناوَلَه ألْبَكِي منهم، وثارُوا / به جَميعاً، [280ب] فاسْتَذَمَّ[3] بِمَيْمُونٍ القَصْرِيِّ مِنهم فأمَّنَه، وأعادَهُ إلى دِمَشْق[4].

ثُمّ سارُوا إلى الظّافِرِ خَضِرِ بنِ صَلاحِ الدِّين وأنزَلُوه مِن صَرْخَد، واسْتَحَثُّوا الظّاهِرَ والأفْضَلَ للوصُولِ فتَباطَأَ الظّاهِرُ عَنهم، وسارَ مِن مَنبِجَ إلى حَماة، فحاصَرَها حَتّى صالَحَهُ صاحِبُها ناصِرُ الدِّين مُحَمَّدٌ عَلَى ثَلاثِينَ ألْفَ دِينارٍ صُورِيَّة[5]، فارْتَحَلَ عَنْها تاسِعَ عَشَرَ رَمَضان إلى حِمْص، ومَعَه أخُوه الأفْضَل، ومِنها عَلَى بَعْلَبَكَّ إلى دِمَشْق، ووَافاه هُناكَ المَوالي الصَّلاحِيَة مَعَ [الظّافِر][6] خَضِرِ بنِ مَوْلاهم، وكانَ الوِفاقُ بيْنَهم إذا فَتَحُوا دِمَشْق أنْ تَكُونَ بِيَدِ الأفْضَلِ، فإذا مَلَكُوا مِصْرَ سارَ إليها وبَقِيَتْ دِمَشْقُ للظّاهِرِ[7].

(1) سماها ياقوت: قلعة النجم، مطلة على الفرات على جبل، وهناك جسر يُعبر عليه إلى مَنبِج. معجم البلدان 4: 391.

(2) الكامل 12: 161.

(3) اسْتجار به وطلب أن يكون في ذمته.

(4) الكامل 12: 161.

(5) في مفرج الكروب 3: 123: وعلى أنه إن ملك الأفضل والظاهر دمشق دخل في طاعتهما.

(6) في ظ: الظاهر، والتصويب من الكامل 12: 161.

(7) الكامل 12: 162.

وأقطَعَ الأفضَلُ صَرْخَدَ لِمَوْلى أبيه زَيْنِ الدّينِ قَرَاجَا، وأخرَجَ أهْلَه مِنْها إلَى حِمْص عِنْدَ شِيرْكُوه بنِ مُحَمَّدِ بن شِيرْكُوه[1].

وكَانَ العَادِلُ قد سَارَ مِن مِصْرَ إلى الشّام، فانْتَهى إلى نابُلُس، وبَعَثَ عَسْكَرًا إلى دِمَشْق، ووَصَلُوا قبْلَ وصُولِ هَذه العَسَاكِر. فلَمّا وَصَلُوا قاتَلُوهَا يَوْمًا وثانِيًا مُنْتَصَفَ ذِي القَعْدة، وأشْرَفُوا عَلَى أخْذِها، فبَعَثَ الظّاهِرُ إلى الأفضَلِ بأنّ دِمَشْقَ تَكُونُ لهُ، فاعْتَذَرَ بأنّ أهْلَه في غَيْرِ مُسْتَقَرّ، ولَعَلّهُم يَأْوُونَ إلى دِمَشْق بجَلالِ مَا يَمْلِكُ مِصْر، فلَجّ الظّاهِرُ في ذَلكَ[2].

وكان المَوالي الصّلاحيّةُ مُشْتَمِلِينَ عَلَى الأفضَلِ وشِيعَةٍ له، فخَيّرَهُم بيْنَ المُقَام والانْصِراف[3].

ولَحِقَ فَخْرُ الدّين جَهَارْكَس وزَيْنُ الدّين قَرَاجا بدِمَشْق، فامْتَنَعَت عَلَيهم، وعَادُوا إلى تَجْدِيدِ الصُّلح مَعَ العَادِلِ عَلَى أن يَكُونَ للظّاهِر: مَنْبِج، وأفَامِيَة، وكَفْر طاب، وبعضُ قُرى المعَرّة، وللأفضل: سُمَيْسَاط، وسَرُوج، ورَأْسُ عَيْن، وحَمْلين، فتَمّ ذلكَ بيْنَهم، ورَحَلوا عَن دِمَشْقَ في مُحَرّمِ ثَمانٍ وتِسْعِين[4].

وَسَارَ الظّاهِرُ إلى حَلَب، وَالأفضَلُ إلى حِمْص فأقَامَ بِهَا عِنْدَ أهْلِه، وَوَصَلَ

(1) الكامل 12: 162، وينظر مفرج الكروب 3: 124.

(2) الكامل 12: 163.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، وينظر مفرج الكروب 3: 132 - 133.

العَادِلُ إلى دِمَشْقَ في تَاسُوعَاء، وَجَاءَهُ الأَفْضَلُ فلَقِيَهُ بظَاهِرِ دِمَشْق، وَعَادَ إلى بِلادِهِ فتَسَلَّمَها[1].

وَكَانَ الظَّاهِرُ والأَفْضَلُ لَمَّا فَصَلا مِن مَنْبِجَ إلى دِمَشْقَ بعَثَا إلى نُورِ الدِّين صَاحِب المَوْصِل أنْ يَقْصِدِ بِلادَ العَادِلِ بالجزيرَة، وكَانَتْ بَيْنَهمَا وبَيْنَه وبَيْنَ صَاحِبِ مارِدِينَ يَمِينٌ وَاتِّفَاقٌ عَلَى العَادِل،/ مُنذُ مَلَكَ مِصْرَ مَخَافَةَ أن يَطْرُقَ أعْمَالَهم، فَسَارَ [281 أ] نُورُ الدِّينِ عنِ المَوْصِل في شَعْبَان، ومَعَهُ ابنُ عمِّه قُطْبُ الدِّينِ صَاحِبُ سِنْجار وعَسْكَرُ مَارِدِين، ونَزَلُوا رَأسَ العَيْن، وكَان بَحرَّانَ الفَائِزُ بنُ العَادِلِ في عَسْكَرٍ لِحِفْظِ أعْمَالِهِم بالجزيرَة، فبَعَثَ إلى نُورِ الدِّين في الصُلْح، ووَصَلَ الخبَرُ بصُلْحِ العَادِل مَعَ الظَّاهِرِ والأَفْضَل، فأجَابَهم نُورُ الدِّينِ إلى الصُلْح، وَاسْتَحْلَفوا، وَبعَثَ رُسُلاً مِن عِنْدِه إلى العَادِل، فَاسْتَحْلَفُوه أيضاً، وصَلَحَتِ الحَالُ[2].

حِصَارُ مَارِدِينَ ثُمَّ الصُّلْحُ

ثُمَّ بعَثَ المَلِكُ العَادِلُ ابنَهُ الأَشْرَفَ مُوسَى في العَسَاكِرِ لِحِصَارِ مَارِدِين[3]، فَسَارَ إليها ومعَهُ عَسَاكِرُ المَوْصِلِ وسِنْجَار، ونَزَلُوا [بالحَرْزَم][4] تَحتَ [جَبَلِ][5]

(1) الكامل 12: 163.

(2) المصدر نفسه 12: 168.

(3) في الكامل 12: 179، مفرج الكروب 3: 139: في هذه السنة 599 هـ في الحرم.

(4) في ظ: بالحريم، في الكامل 12: 179: وخرزم، وينظر معجم البلدان 2: 240.

(5) إضافة للتوضيح من مفرج الكروب 3: 139.

مَارِدِين، وَسَارَ عَسْكَرٌ مِن قَلْعَةِ البَارِغِيَّة[1]، مِن أَعْمَالِ مَارِدِين، لِقَطْعِ المِيرَةِ عن عَسْكَرِ الأَشْرَف، فلَقِيَهم جَمَاعَةٌ مِن عَسْكَرِ الأَشْرَفِ وهَزَمُوهم[2].

وأفْسَدَ التُّرْكُمَانُ السَّابِلَةَ في تِلْكَ النَّوَاحِي، وَامْتَنَعَ عَلَى الأَشْرَفِ قَصْدُه، فتَوسَّطَ [الظَّاهِرُ][3] غَازِي في الإِصْلَاحِ بيْنَهم، عَلَى أَنْ يَحْمِلَ صَاحِبُ مَارِدِينَ[4] للعَادِلِ مِائَةَ وخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَار ـ والدِّينَارُ أَحَدَ عشَرَ قِيرَاطاً مِنَ الأَمِيرِيِّ ـ ويَخْطُبَ لَهُ بِبِلَادِه، ويَضْرِبَ السِّكَّةَ بِاسْمِهِ، وتُعَسْكِرَ طَائِفَةٌ مِن جُنْدِه معه متَى دَعَاهم لِذَلِك، فأَجَابَ العَادِلُ، وتَمَّ الصُّلْحُ بيْنَهمَا، ورَحَلَ الأَشْرَفُ عن مَارِدِين[5].

أخذُ البلادِ من يَدِ الأفضل

قَد كَانَ تَقَدَّم أَنَّ الظَّاهِرَ والأَفْضَلَ لَمَّا صَالَحَا العَادِلَ سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعِين، أَخَذَ الأَفْضَلُ: سُمَيْسَاط، وسَرُوج، ورَأْسَ عَين، وحَمْلِين، وكَانت بيَدِه مَعَها قَلْعَة [نَجْم][6] الَّتِي مَلَكَها الظَّاهِرُ بيْنَ يَدَي الحِصَارِ قَبْلَ الصُّلْح، ثُمّ اسْتَرَدَّ العَادِلُ البِلَادَ مِن يَدِ الأَفْضَلِ سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعِين، وأَبْقَى لَهُ سُمَيْسَاطَ وقَلْعَةَ نَجْم، فطَلَبَ الظَّاهِرُ

---

(1) في الكامل 12: 179: البارعية.

(2) الكامل 12: 179.

(3) في ظ: الظاهري، والتصويب مما سبق.

(4) هو: حسام الدّين بولق أرسلان بن إيلغازي بن ألبي الأرتقي، ينظر الكامل 12: 138، مفرج الكروب 3: 80، وكناه في السلوك 1: 161 ناصر الدين.

(5) الكامل 12: 179 – 180.

(6) في ظ: نجم الدّين، والتصويب مما سبق، ومن الكامل 12: 182.

قَلْعةَ نَجْم عَلَى أَنْ يَشْفَعَ لَه عِنْدَ العَادِلِ فِي رَدِّ مَا أَخَذَ مِنه، فلَم يُجِبْ فتَهدَّدَه. ولَمْ تَزلِ الرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنهَمَا حَتّى سَلَّمها إليه فِي شَعْبانَ / مِن السَّنَة[1]. [281 ب]

وبَعثَ الأَفْضَلُ أُمَّه إلى العَادِلِ فِي رَدِّ سَرُوجَ ورَأْسِ عَيْنٍ عَلَيه، فلَم يُشَفِّعْها، فَبَعَثَ الأَفْضَلُ إلى رُكْنِ الدِّين سُلَيْمَانَ بن قِلِيج أَرْسَلان، صَاحِبِ بِلَادِ الرُّوم، بِطَاعَتِه، وأَنْ يَخْطُبَ لَه، فبَعثَ إليه بالخِلْعَة، وخَطَبَ لَه الأَفْضَلُ بسُمَيْسَاطَ سَنَةَ سِتِّ مِائة، وسَارَ مِنْ جُمْلَةِ نُوَّابِه في أَعْمالِه[2].

وفي سَنَةِ تِسْعٍ وتِسْعِينَ هَذِه بَعَثَ [مُحَمَّدُ][3] بنُ العَزِيز، صَاحِبُ مِصْرَ، إلى الرُّهَا، لأَنَّه لَمَّا قَطَعَ خُطْبَتَه مِنْ مِصْرَ سَنَةَ سِتٍّ وتِسْعِينَ خَافَ عَلَى مِصْرَ مِن شِيعَةِ أَبِيه، فأَخْرَجَه سَنَةَ ثَمانٍ وتِسْعِينَ إلى دِمَشْق، ثُمَّ نَقَلَه هَذه السَّنَةَ إلى الرُّهَا، ومَعَه [جَمِيعُ إِخْوَتِه و][4] أَخَوَاتِه وأُمُّه وأَهْلُه، فَأَقَامُوا بِها[5].

وَاقِعَةُ الأَشْرَفِ مَعَ صَاحِبِ المَوْصِلِ

كَانَت الفِتْنَةُ مُتَّصِلةً بَيْنَ نُورِ الدِّين أَرْسَلَان شَاه [بنِ مسعود][6]، صَاحِبِ المَوْصِل، وبَيْنَ ابن عَمِّه قُطْبِ الدِّين [مُحَمَّدِ بن زَنْكي][7] صَاحِبِ سِنْجَار، وَاسْتَمَالَ

---

(1) الكامل 12: 182: سنة 599 هـ.

(2) الكامل 12: 183، وينظر مفرج الكروب 3: 151 - 152.

(3) في ظ: محمود، والتصويب مما سبق، ومن الكامل 12: 184.

(4) من الكامل 12: 184.

(5) الكامل 12: 184.

(6) من مفرج الكروب 3: 155.

(7) من الكامل 12: 192.

العَادِلُ بنُ أَيُّوبَ قُطْبَ الدِّينِ، فَخَطَبَ لَهُ بأَعْمَالِهِ، وَسَارَ إِلَيْهِ نُورُ الدِّينِ غِيرَةً مِن ذَلِكَ، فَحَاصَرَ نَصِيبِينَ في شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ سِتِّ مِائَةٍ، وبَعَثَ قُطْبُ الدِّينِ الأَشْرَفَ مُوسَى بنَ العَادِلِ، وهُوَ بِحَرَّانَ، فَسَارَ إِلى رَأْسِ عَيْنٍ لإِمْدَادِهِ ومُدَافَعَةِ نُورِ الدِّينِ عَنْهُ، بَعْدَ أَنِ اتَّفَقَ عَلَى ذَلِكَ مَعَ مُظَفَّرِ الدِّينِ صَاحِبِ إِرْبِل، وصَاحِبِ جَزِيرَةِ ابنِ عُمَر، وصَاحِبِ كَيْفَا وآمِد، فَفَارَقَ نُورُ الدِّينِ نَصِيبِينَ وسَارَ إِلَيْهَا الأَشْرَف، وجَاءَه أَخُوه نَجْمُ الدِّينِ صَاحِبُ مَيَّافَارِقِين، وصَاحِبُ كَيْفَا، وصَاحِبُ الجَزِيرَة، وسَارُوا جَمِيعًا إِلَى بَلَدِ البَقْعَاء، ونُورُ الدِّينِ صَاحِبِ المَوْصِلِ قَد انْصَرَفَ مِن تَلِّ أَعْفَر[1] بَعْدَ أَنْ مَلَكَهَا إِلى كَفَرزَمَّار مُعْتَزِماً عَلَى مُطَاوَلَتِهِم إِلى أَنْ يَفْتَرِقُوا، ثُمَّ أَغْرَاهُ بَعْضُ مَوَالِيه، كَانَ بَعَثَه عَيْناً عَلَيْهِم فَقَلَّلَهُم في عَيْنِيه، وحَرَّضَه عَلَى مُعَاجَلَتِهِم باللِّقَاءِ، فَسَارَ إِلى بُوشَرى، ونَزَلَ قَرِيباً مِنْهُم، ثُمَّ رَكِبَ لِلِقَائِهِم، وَاقْتَتَلُوا، فَانْهَزَمَ نُورُ الدِّينِ ولَحِقَ بالمَوْصِلِ، ونَزَلَ الأَشْرَفُ وأَصْحَابُه في زَمَّار، وعَاثُوا في البِلَادِ واكْتَسَحُوهَا، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُم في الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يُعِيدَ نُورُ الدِّينِ / عَلَى قُطْبِ الدِّينِ قَلْعَةَ تَلِّ أَعْفَر الَّتِي أَخَذَهَا لَه، [282 ا] فَتَمَّ ذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وسِتِّ مِائَةٍ، وعَادَ كُلٌّ إِلى بَلَدِهِ[2].

وصُولُ الفِرِنْجِ إِلى الشَّامِ والصُّلْحُ مَعَهُم

ولَمَّا مَلَكَ الفِرِنْجُ القُسْطَنْطِينَةَ مِن يَدِ الرُّومِ سَنَةَ [سِتِّ مِائَةٍ][3] كَمَا مَرَّ،

(1) الكامل 12: 193 وفي ظ: تلعفر، وتقول العامة: تل أعفر، أما الخاصة فيقولون: تل يعفر، معجم البلدان 2: 39 وفيه أنها قلعة حصينة على جبل بين سنجار والموصل.

(2) الكامل 12: 192 – 193، مفرج الكروب 3: 155 – 159، كنز الدرر 7: 157.

(3) في الأصول: إحدى وست مائة، والتصويب مما سبق بالجزء التاسع، ومن الكامل12: 190، وينظر مفرج الكروب 3: 160.

تكالبوا على البلادِ، ووصلَ جمعٌ منهم إلى الشامِ، وأرسوا بعكّا عازمين على ارتجاعِ القُدس من المسلمين، ثم ساروا بنواحي الأردنّ فاكتسحوها[1].

وكانَ العادلُ بدمشق، فاستنفرَ العساكرَ من الشام ومصر، وسارَ فنزلَ بالطُّور[2] قريبًا من عكّا لمدافعتهم، وهم قُبالته بمرج عكّا، وأغاروا على كفر كنّا[3] فاستباحوه، ثم انقضت سنةُ [ستّ مائة][4]، وتراسلوا في المهادنةِ على أن ينزلَ لهم العادلُ عن كثيرٍ من مُناصفاتِ الرَّملةِ وغيرِها، ويُعطيهم [ناصرةَ][5] وغيرَها، وتمّ ذلك بينهم، وسارَ العادلُ إلى مصر، فقصدَ الفرنجُ حماة، وقاتلَهم صاحبُها ناصرُ الدّين محمّدٌ فهزموه، وأقاموا أيّاماً عليها، ثم عادوا.

إغارةُ ابنِ ليونَ على أعمالِ حلب

قدْ تقدّمَ لنا ذِكرُ ابن لِيون مَلِكِ الأرمَن وصاحِبِ الدُّروب، فأغارَ سنةَ اثنتين وستّ مائةٍ على أعمالِ حلَبَ واكتسحَها، واتّصلَ ذلك منه، فجمَعَ الظّاهِرُ غازي صاحِبُ حلَبَ [عساكرَهُ واستنجدَ غيرَه من الملوك][6]، ونزلَ على خمسةِ

(1) الكامل 12: 190 – 192. من حوادث سنة 600 هـ.

(2) جبل مشرف على نابلس، معجم البلدان 4: 47.

(3) بلد بفلسطين بها مقام النبي يونس، معجم البلدان 4: 470.

(4) في الأصول: إحدى وست مائة، والتصويب يتفق مع ما سبق، وسياق الأحداث، وينظر الكامل 12: 195، مفرج الكروب 3: 162.

(5) من الكامل 12: 195.

(6) الكامل 12: 238 - .

فَرَاسِخَ مِن حلَب، وفي مُقَدِّمَتِه مَيْمُونٌ القَصْرِيُّ، مِن مَوَالى أبيه، مَنْسُوباً إلى قَصْرِ الخلفاء بِمِصْر، ومِنْهم كَانَ أبُوهُ أخَذَه[1].

وَكَانَ الطَّرِيقُ إلى بِلَادِ الأرْمَن مُتَعَذِّراً مِن حَلَبَ لوَعْرِ الجِبَالِ وصُعُوبَةِ المضَائق، وكَانَ ابنُ لِيُونَ قَدْ نَزَلَ في طَرَفِ بِلَادِه مِمَّا يَلِي حَلَب، ومِن ثُغُورِهَا قَلْعَةُ دَرْبسَاك، فَخَشِيَ الظَّاهِرُ عَلَيها مِنه، وبَعَثَ إليها مَدَدًا، وأَمَرَ مَيْمُوناً القَصْرِيَّ أنْ يُشَيِّعَه بطَائِفَةٍ مِن عَسْكَرِه، فَفَعَلَ، وبَقِيَ في خِفٍّ مِنَ الجُنُودِ، ووَصَلَ خَبَرُه إلى ابنِ لِيُون، فكَبَسَ القَصْرِيَّ وقَتَلَه، فنَالَ مِنْهُ ومِنَ المسْلِمِين، وانْهَزَمُوا أمَامَه، فظَفِرَ بمخلَفِهم، ورَجَعَ فَلَقِيَ في طَرِيقِه المدَدَ الذي بُعِثَ إلى دَرْبسَاكَ فَهَزَمَهم وظَفِرَ بِمَا [282 ب] كَانَ/ مَعَهم، وعَادَ الأرْمَنُ إلى بِلَادِهم، فَاعْتَصَمُوا بحُصُونِهم[2].

اسْتِيلاءُ نَجْمِ الدِّينِ بنِ العَادِلِ عَلَى خِلَاط

كَانَ العَادِلُ قَد اسْتَوْلَى عَلَى مَيَّافارِقِين، وأنْزَلَ بِها ابنَهُ الأوْحَدَ نَجْمَ الدِّين، فَاسْتَوْلَى نَجْمُ الدِّين عَلَى حُصُونٍ مِن أعْمَالِ خِلَاط، وزَحَفَ إليها سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّ مائة، وقَدِ اسْتَوْلَى عَلَيها بَلْبَان مَوْلَى شَاه أرْمَن فَقَاتَلَهُ وهَزَمَه[3]، وعَادَ إلى مَيَّافارِقِين فهَزَمَهم، ثُمَّ عَادَت[4] سَنَةَ أرْبَعٍ وسِتِّ مِائة، ومَلَكَ مَدِينَةَ [مُوش][5] وغَيْرَها، وأَمَدَّه

---

(1) الكامل 12: 239.

(2) الكامل 12: 239، وينظر مفرج الكروب 3: 170 – 171.

(3) قاتل نجم الدين أيوب وهزمه (الكامل 12: 255).

(4) يعني استعاد نجم الدين أيوب مدينة خلاط. الكامل 12: 272.

(5) في الأصول: سوس، انظر الكامل 12: 272، مفرج الكروب 3: 160، معجم البلدان 5: 223.

أبُوه العَادِلُ بالعَسَاكِرِ، فَقَصَدَ خِلَاط، وسَارَ إليه بَلَبَان، فَهَزَمَهُ نَجْمُ الدِّين وحَاصَرَهُ بخِلَاط، وبَعَثَ بَلَبَانُ إلى مُغِيثِ الدِّين طُغرُل شَاه بنِ قِلِيج أَرْسَلَان، صَاحِبِ أرزن[1] الرُّوم، يَسْتَنْجِدُه، فَجَاءَ في عَسَاكِرِه، واجْتَمَعَ مع بَلَبَان، وَانْهَزَمَ نَجْمُ الدِّين، وَنَزَلَا عَلَى مَدِينَةِ مُوش مُحَاصِراً له، ثُمَّ غَدَرَ طُغرُل شَاه بِبَلَبَانَ وقَتَلَه، وَسَارَ إلى خِلَاطَ لِيَملِكَهَا، فَطَرَدَه أَهْلُها، فسَارَ إلى مَلَاذْكِرد، فَامْتَنَعَتْ عَلَيه، فَعَادَ إلى بَلَدِه[2].

وأرْسَلَ أَهْلُ خِلَاطَ إلى نَجْمِ الدِّين فَمَلَّكُوه خِلَاطَ وأَعْمَالَها، وخَافَهُ المُلُوكُ المجاوِرُونَ له، والكُرْجُ، وتَابَعُوا الغَارَاتِ عَلَى بِلَادِه، فَلَم يَخْرُجْ إليهم خَشْيَةً عَلَى خِلَاط[3].

وَاعتَزَلَ جَمَاعَةٌ مِن عَسْكَرِ خِلَاط فَاسْتَوْلَوْا عَلَى حِصْن وَان[4]، مِن أَعْظَمِ الحصُونِ وأَمْنَعِها، فَعَصَوْا عَلَى نَجْمِ الدِّين، وَاجْتَمَعَ إليهم جَمْعٌ كَبِيرٌ، ومَلَكُوا مَدِينَةَ أرْجِيش، وَاسْتَمَدَّ نَجْمُ الدِّين أَبَاه العَادِلَ، فأَمَدَّه بأخِيه الأَشْرَفِ في العَسَاكِرِ، وَحَاصَرُوا قَلْعَةَ وَان ومَلَكُوها صُلحاً، وَاسْتَوْلَى نَجْمُ الدِّينِ عَلَى خِلَاطَ وأَعْمَالِها، وعَادَ أَخُوه الأَشْرَفُ إلى أَعْمَالِه بِحَرَّانَ والرُّها[5].

ثُمَّ سَارَ الأَوْحَدُ نَجمُ الدِّين إلى مَلَاذكِرد لِيُمَهِّدَ أَحْوالَها، فَوَثَبَ أَهْلُ خِلَاط

---

(1) مدينة قرب خلاط، معجم البلدان 1: 150.

(2) الكامل 12: 272.

(3) المصدر نفسه 12: 272.

(4) قلعة بين خلاط ونواحي تفليس من عمل قاليقلا. معجم البلدان 5: 355، نزهة المشتاق 2: 679، تقويم البلدان 389.

(5) الكامل 12: 273، مفرج الكروب 3: 177، كنز الدرر 7: 161.

عَلَى عَسْكَرِهِ فأَخْرَجُوهم، وحَصَرُوا أَصْحَابَه بالقَلْعَةِ، ونَادَوْا بِشِعَارِ بَنِي شَاه أَرْمَن، وعَادَ نَجْمُ الدِّين إليهم وقد وَافَاهُ عَسْكَرٌ مِن الجَزِيرَة، فقَوِيَ بِهم وحَاصَرَ خِلَاط، وَاخْتَلَفَ أَهْلُها فمَلَكَها، وَاسْتَلْحَمَ كَثِيراً مِن أَهْلِها، وَحَبَسَ جَمَاعَةً مِن أَعْيَانِها بمَيَّافَارِقِين، / وذَلَّ أَهْلُ خِلَاط لبَنِي أَيُّوب بَعْدَ هَذِه الوَاقِعَة إلى آخِرِ الدَّوْلَة[1]. [283 أ]

إغَارَةُ الفِرِنْج بالشَّامِ

كَانَ الفِرِنْجُ بالشَّام قَدْ أَكْثَرُوا الغَارَاتِ سَنَةَ أَرْبَع وسِتِّ مِائَةٍ[2] بحَدَثَان، مَا مَلَكُوا القُسْطَنْطِينَةَ وَاسْتَفْحَلَ مُلْكُهم فِيها، فأَغَارَ أَهْلُ طَرَابُلُس وحِصْنِ الأَكْرَادِ مِنهم[3]، عَلَى حِمْص وأَعْمَالِها، وعَجَزَ صَاحِبُها شِيرِكُوه بنُ مُحَمَّد عن دِفَاعِهم وَاسْتَنْجَدَ عَلَيْهِم فأَنْجَدَه الظَّاهِرُ صَاحِبُ حَلَبَ بعَسْكَرٍ أَقَامُوا عِنْدَه للمُدَافَعَةِ عَنه.

وأَغَارَ أَهْلُ قُبْرُص في البَحْرِ عَلَى أُسْطُولِ مِصْر فَظَفِرُوا مِنْهُ بعِدَّةِ قِطَع، وأَسَرُوا مَنْ وجَدُوهُ فِيها، وبَعَثَ العَادِلُ إلى صَاحِبِ عَكَّا يَحْتَجُّ عَلَيه بالصُّلْح، فَاعْتَذَرَ بأَنَّ أَهْلَ قُبْرُص في طَاعَةِ الفِرِنْج الذينَ بالقُسْطَنْطِينَة، وأَنَّه لَا حُكْمَ له عَلَيهم[4].

---

(1) الكامل 12: 274 – 275، مفرج الكروب 3: 177 – 178.

(2) وردت هذه الأحداث في أخبار سنة 603 هـ، في مفرج الكروب 3: 172.

(3) الكامل 12: 273 ونصّه: كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الأكراد وأكثروا الإغارة على بلد حمص وولاياتها.

(4) الكامل 12: 274.

فخرجَ العادِلُ في العَساكِرِ إلى عَكّا حتّى صَالَحَهُ صَاحِبُها عَلى إطْلَاقِ أسْرَى مِنَ المسْلِمِين، ثُم سَارَ إلى حِمْص، ونَازَلَ القُلَيْعاتِ عِنْدَ بُحَيْرةِ قَدَس[1]، فأطْلَقَ صَاحِبَه[2]، وغَنِمَ مَا فِيه وخَرَّبَه، وتَقَدَّمَ إلى طَرَابُلُس فَاكْتَسَحَ نَواحِيَها في اثنَيْ عَشَرَ يَوماً، وعَادَ إلى بُحَيْرةِ قَدَس، وَرَاسَلَه الفِرنْجُ في الصُلحِ، فَلَم يُجِبْهم وأظَلَّه الشّتَاء، فأذِنَ لِعَسَاكِرِ الجَزِيرَة في العَوْدِ إلى بِلَادِهِم، وتَرَكَ عِنْدَ صَاحِبِ حِمْص عَسْكَرًا أنْجَدَه بِه، وعَادَ إلى دِمَشْقَ فَشَتَّى بِها[3].

غَارَاتُ الكُرْجِ عَلَى خِلَاطَ وأعْمَالِها، ومَلَكُهُم أرْجِيش

ولَمّا مَلَكَ الأوْحَدُ نَجْمُ الدّين خِلاطَ كما مَرّ، رَدَّدَ الكُرْجُ الغَارَاتِ عَلَى أعْمَالِها وعَاثُوا فِيها[4]، ثُم سَارُوا سَنَةَ خَمْسٍ وسِتّ مِائة إلى مدِينَةِ أرْجِيش، فَحَاصَرُوها ومَلَكُوها عَنْوَةً وَاسْتَبَاحُوها وخَرَّبُوها، وخَامَ نَجْمُ الدّين عَن لِقَائِهِم ومُدَافَعَتِهِم أن يَنْتَقِضَ عَلَيه أهْلُ خِلاطَ إذَا فَارَقَها، لِمَا وَقَعَ بيْنَه وبيْنَهم فيما مرّ[5].

ثُمّ سَارَ الكُرْجُ سَنَة تِسْعٍ إلى خِلَاطَ وحَاصَرُوها، وحَارَبَهم الأوْحَدُ وهَزَمَهم وأَسَرَ مَلِكَهم، ثُم فَادَاه بِمائةِ ألْفِ دِينَارٍ وخَمْسَة آلافِ أسِير، وعَلَى الهُدْنَة مَعَ المسْلِمِين، وأنْ يُزَوّجَ بِنْتَه مِنَ الأوْحَد، فانْعَقَدَ ذَلك[6].

(1) بحيرة بين حمص وجبل لبنان يخرج منها نهر العاصي، معجم البلدان 1: 352، 4: 311.
(2) وحاصر موضعا يسمى القليعات، وأخذه صلحا، وأطلق صاحبه، وغنم ما فيه، الكامل 12: 273 – 274.
(3) المصدر نفسه 12: 274.
(4) المصدر نفسه 12: 273.
(5) المصدر نفسه 12: 279.
(6) الذيل على الروضتين 75 – 76.

[28 ب] / اسْتيلاءُ العَادلِ عَلَى الخَابُورِ ونَصيبينَ مِن عَمَلِ سنجَارَ وحِصَارُها

قَد تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ قُطْبَ الدِّين [مُحَمَّدَ][1] بنَ زَنْكِي بنِ مَوْدُود، صَاحِبَ سِنجَارَ والخَابُورِ ونَصِيبِينَ ومَا إليها، كَان بَيْنَه وبَيْنَ ابنِ عَمِّه نُورِ الدِّين أَرْسَلان شَاه بنِ مَسْعُودِ بن مَوْدُود، صَاحِبِ المَوْصِل، عَدَاوةٌ مُسْتَحْكِمَة وفِتْنَةٌ مُتَّصِلَة، وزَوَّجَ نُورُ الدِّين صَاحِبُ المَوْصِل بِنْتَه مِنَ ابنِ العَادِلِ بنِ أَيُّوبَ سنَةَ خَمْسٍ وسِتِّ مِائة، واتَّصَلَ بَيْنَهمَا لذلك، فَزَيَّنَ لَهُ وُزَرَاؤه وأَهْلُ دَوْلَتِه أَنْ يَسْتَنْجِدَ بالعَادِلِ عَلَى جَزِيرَة ابنِ عُمَر وأَعْمَالِها، الَّتي لابنِ عَمِّه سَنْجَر شَاه بن غَازِي بن مَوْدُود، فتَكُونَ الجَزِيرَةُ بكَمَالِها مُضَافةً إلى المَوْصِل، ويَتَمَلَّكَ العَادِلُ سِنجَارَ ومَا إليها، وهِيَ وِلَايَةُ قُطْبِ الدِّين، فتَكُونَ له، فأَجَابَ العَادِلُ إِلَى ذَلِكَ، ورَآه ذَرِيعَةً إلى مُلْكِ المَوْصِل، وأَطْمَعَ نُورَ الدِّين في إِيَالَةِ قُطْبِ الدِّين ـ إِذَا مَلَكَها ـ [أن] تَكُونَ لابنِه الذي هُوَ صِهْرُهُ عَلَى ابنَتِه، ويَكُونَ عِنْدَه بالمَوْصِل[2].

وسَارَ العَادِلُ في عَسَاكِرِهِ سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّ مِائة، وقَصَدَ الخَابُورَ فَمَلَكَه، فتَبَيَّنَ نُورُ الدِّين صَاحِبُ المَوْصِل حِينَئذٍ، أَنَّه لَا مَانِعَ مِنه، ونَدِمَ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي رَأْيِه مِن [وِفَادَتِه][3]، ورَجَعَ إلى الاسْتِعْدَادِ للحِصَارِ، وَخَوَّفَه الوُزَرَاءُ والحَاشِيَةُ أَنْ يَنْتَقِضَ عَلَى العَادِلِ فيَبْدَأَ بِه[4].

---

(1) في الأصول: محمود، والإكمال مما سبق، ومن الكامل 12: 192.

(2) الكامل 12: 284 ـ 285.

(3) في الأصول: وفاته، والتعديل يتفق مع السياق، والكامل 12: 285.

(4) الكامل 12: 285.

وسارَ العَادِلُ مِنَ الخَابُورِ إلى نَصِيبِينَ فَمَلَكَها، وقَامَ بِمدَافَعَتِه عَن قُطْبِ الدِّين وحِمَايةِ البَلَدِ الأميرُ أحْمَدُ بنُ يَرْنَقُش، مَوْلَى أبِيه، وشَرَعَ نُورُ الدِّين في تَجْهِيزِ العَسَاكِرِ مَعَ ابنِهِ القَاهِرِ مَدَداً للعَادِلِ، وبعَثَ قُطْبُ الدِّين صَاحِبُ سِنْجَارَ ابنَهُ مُظَفَّرَ الدِّين يَسْتَشْفِعُ بِه إلى العَادِلِ لمكَانِه مِنه، وآثارِهِ في مُوَالاتِه، فَشَفَع ولَم يُشَفِّعْهُ العَادِلُ، فَرَاسَلَ نُورَ الدِّين صَاحِبَ المَوْصِلِ في الاتِّفَاقِ عَلَى العَادِلِ، فَأجَابَهُ، وسَارَ بعَسَاكِرَ إلى المَوْصِلِ، وَاجْتَمَعَ مَعَ نُورِ الدِّين بظَاهِرِها، وَاسْتَنْجَدَ بصَاحِبِ حَلَبَ الظَّاهِرِ وصَاحِبِ بِلَادِ الرُّومِ كَيخِسْرُو، وتَدَاعَوْا إلى الحَرَكَةِ عَلَى بِلَادِ العَادِلِ إنِ امْتَنَعَ مِنَ الصُّلحِ، والإبْقَاءِ عَلَى صَاحِبِ سِنجَار، وبَعَثُوا إلى الخَلِيفَةِ النَّاصِرِ/ [284 أ] أنْ يَأمُرَ العَادِلَ بِذَلك، فبَعَثَ إلَيه أُسْتَاذَ دَارِه أبَا نَصْرٍ هِبَةَ الله بنَ المبَارَك بنِ الضَّحَّاك، والأمِيرَ آقْبَاش، مِن خَوَاصِّ مَوَالِيه، فأجَابَ إلى ذَلِك، ثُمَّ غَالَطَهُم، وذَهَبَ إلى المطَاوَلَة، ثُمَّ صَالَحَ عَلَى سِنجَارَ فَقَط ولهُ مَا أخذ، وتَحَالَفُوا عَلَى ذَلك، وعَادَ كُلٌّ إلى بلَدِه[1].

ثُمَّ قَبَضَ المعَظَّمُ عِيسَى[2] سَنَةَ عشرٍ[3] [وسِتِّ مِائةٍ][4] عَلَى الأَمِير أُسَامَةَ بأمْرِ أَبِيه العَادِلِ، وأخَذَ مِنْه حِصْنَ كَوْكَب وعَجْلُون[5]، وكَانَا مِن أعْمَالِه، فَخَرَّبَهما - وحِصْنُ كَوْكَب[6] بالأُرْدُنّ - وبَنَى مَكَانَه حِصْناً قَرِيبَ عَكَّا عَلَى جَبَلِ الطُّور، وشَحَنَهُ بالرِّجَالِ والأقْوات[7].

(1) الكامل 12: 286 - 287، وينظر مفرج الكروب 3: 193 - 197.
(2) في الكامل 12: 300: العادل أبو بكر.
(3) في الكامل 12: 300: تسع.
(4) في الأصول: وخمس مائة، والتصويب يتفق مع السياق، ويراجع الكامل 12: 300.
(5) عجلون: سقط من الكامل 12: 300.
(6) مكررة في الأصول.
(7) الكامل 12: 300.

وَفَاةُ الظَّاهِرِ صَاحِبِ حَلَبَ، وَوِلَايَةُ ابنِهِ العَزِيزِ

ثُمَّ تُوفِّيَ المَلِكُ الظَّاهِر غَازِي بنُ صَلَاح الدِّينِ بنِ أيُّوب، صَاحِبُ حَلَبَ ومَنْبِجَ وغَيْرِهِمَا مِن بِلَادِ الشَّامِ، في جُمَادَى الآخِرةِ سَنَةَ ثَلاث عَشْرَةَ[1].

وكَان مُرْهَفَ الحَدّ ضَابطاً، جَمَّاعَةً للأمْوَالِ، شَدِيدَ الانْتِقَامِ، مُخيِساً للقُصَّادِ، وعَهِدَ بالمُلْكِ بعْدَه لابْنِهِ الصَّغِيرِ مُحَمَّد، ابنَ ثَلَاثِ سِنِين، وعَدَلَ عَنِ الكَبِيرِ إليه، لأنَّ أُمَّه بنْتُ عمِّه العَادِل، ولَقَّبه العَزِيزَ غِيَاثَ الدِّين، وجَعَلَ أتَابِكَهُ وكَافِلَهُ وخَادِمَهُ طُغْرُل، ولَقَّبَهُ شِهابُ الدِّين، وَكَان خَيِّراً صَاحِبَ إحْسَانٍ ومَعْروف، فأَحْسَنَ كَفَالَةَ الوَلَدِ وعَدَّلَ في سِيرَتِهِ، وضَبَطَ الإيَالَةَ بجَمِيلِ نَظَرِه[2].

وِلَايَةُ مَسْعُودِ بنِ الكَامِلِ عَلَى اليَمَنِ

ولَمَّا مَلَكَ سُلَيْمَانُ بنُ المظَفَّرِ عَلَى اليَمَن سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعِينَ وخَمْسِ مِائَة أَسَاءَ لزَوْجِه أُمِّ النَّاصِرِ الّتِي مَلَّكَتْه، وضَارَّها وأَعْرَضَ عَنْهَا، وَاسْتَبَدَّ بمُلْكِه، ومَلأَ الدُّنْيا ظُلْماً، وَأَقَامَ عَلَى ذلك ثَلَاثَ عَشْرةَ سَنَةً، ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى العَادِلِ وأَسَاءَ مُعَامَلَتَه، وكَتَبَ إلَيه بَعْضَ الأحْيَان ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة النمل، الآية 30]، فكَتَبَ العَادِلُ إلَى ابنِه الكَامِلِ، وهُو عَلَى مِصْر، أنْ

(1) الكامل 12: 313.

(2) المصدر نفسه 12: 313 – 314، وينظر مفرج الكروب 3: 237 – 248.

يَبعثُ العَساكِرَ إلى اليَمَنِ مَعَ وَالٍ مِن قِبَلِه، فَبَعَثَ ابْنَه المسْعُودَ يُوسُفَ، واسْمُه بالتُّركي أطْسِزُ[1]، ويقال: أقْسِيس[2]، في العَسَاكِرِ سَنَةَ اثْنَتَي عَشْرَةَ وسِتِّ مِائة / فَمَلَكَ اليَمَنَ، وقَبَضَ عَلَى سُلَيْمَان شَاه، وبَعَثَ بِهِ مُعْتَقَلًا إلى مِصْر، فَلَم يَزَلْ بِها |ل26 ب| إلى أنِ اسْتُشْهِدَ في حُرُوبِ دِمْيَاط مَعَ الفِرَنْج أعْوَامَ سَبْعٍ وأرْبَعِين[3].

وطَالَت أيَّامُ المَسْعُودِ باليَمَن، وحَجَّ سَنَةَ تِسْعَ عَشرةَ، وقَدَّمَ أعْلَامَ أبِيه في الموسِمِ عَلَى أعْلَام الخَلِيفَةِ النَّاصِر، فكَتَبَ النَّاصِرُ يَشْكُوهُ إلى أبِيه، فكَتَبَ إلَيْهِ أبُوه الكَامِل: بَرِئْتُ مِنَ العَادِلِ يَا أطْسِزُ إنْ لم أقْطَعْ يَمِينَك، فقد نَبَذْتَ وراءَ ظَهْرِكَ دُنْيَاك ودِينَك، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بالله! فَاسْتَعْتَبَ إلى أبِيه، وأعْتَبَه.

ثُمَّ غَلَبَ سَنَةَ [عِشْرِينَ][4] عَلَى [مَكَّةَ][5] مِن يَدِ الحَسَنِ بنِ قَتَادَةَ سَيِّد بَنِي إدْرِيسَ بنِ مُطَاعِنٍ مِن بَنِي حَسَن، وَوَلَّى عَلَيها، وَعَادَ إلى اليَمَن، فَهَلَكَ بَقِيَّةَ السَّنة[6]، وغَلَبَ عَلَى أمْرِ اليَمَن بَعْدَه عَلِيُّ بنُ رَسُول أُسْتَاذُ دَارِه، ونَصَّبَ لِلمُلْكِ ابنَهُ الأشْرَفَ مُوسَى، وَكَفَلَه، ثُمَّ هَلَكَ مُوسَى واسْتَبَدَّ ابنُ رَسُولٍ باليَمَن، وأوْرَثَه

(1) أتسز: في الكامل 12: 413.

(2) أطسيس: كلمة تركية معناها بالعربية: ليس له اسم، والناس يقولون أقسيس بالقاف، في وفيات الأعيان 5: 78 - 79.

(3) مفرج الكروب 3: 227، وينظر الوافي بالوفيات 15: 392.

(4) في الأصول: ست وعشرين، والتعديل من الكامل 12: 413، نهاية الأرب 29: 126، ويراجع وفيات الأعيان 5: 82، وقبل سنة 619 هـ، ينظر العقد الثمين 4: 168 – 170، غاية المرام 1: 590.

(5) في الأصول: ملكه، والتصويب من الكامل 12: 413.

(6) توفي الملك المسعود بمكة في ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة: وفيات الأعيان 5: 83، المختصر 3: 142.

بَنِيهِ، فكَانَت لهُم دَوْلةٌ اتَّصلَتْ لِهذا العَهْدِ، كَما نَذكرُهُ في أخْبارِها.

وصُولُ الفِرِنْجِ مِن وراءِ البَحْرِ إلى سَواحِلِ الشّامِ ومَسِيرُهُم إلى دِمياطَ وحِصارُها واسْتِيلاؤهُم عَلَيها

كَانَ صَاحِبُ رُومَةَ أعْظَمَ مُلُوكِ الفِرنْج بالعُدْوَةِ الشَّمَالِيةِ مِنَ البَحْرِ الرُّومي، وكَانوا كُلُّهم يَدِينُونَ بطَاعَتِه، وبَلَغَهُ اخْتلالُ حَالِ الفِرنْج بسَاحِلِ الشَّامِ وظُهورُ المسْلِمِينَ عَلَيهم، فانْتَدَبَ إلَى إمْدَادِهِم، وَجَهَّزَ إليهِمُ العَسَاكِرَ مِن إيَالَتِه، وتَقَدَّمَ إلى مُلُوكِ الفِرنْج أنْ يَسِيرُوا بأنْفُسِهم أو يُرْسِلُوا العَسَاكِرَ فامْتَثَلُوا أمْرَه، وتَوافَت الأمْدَادُ إلى عَكَّا مِن سَاحِلِ الشَّام سَنَةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ[1].

وسَارَ العَادِلُ مِن مِصْرَ إلى الرَّمْلَةِ، وبَرَزَ الفِرنْجُ مِن عَكَّا ليَقْصُدُوه، فَسَارَ إلى نَابُلُس ليُسَابِقَهم إلى أطْرَافِ البَلَد، فيُدَافِعَهم عنها فَسَبَقُوه، ونَزَلَ هُوَ عَلَى [بَيْسَان][2] مِنَ الأُرْدُنّ، وزَحَفَ الفِرنْجُ لحَرْبِه في شَعْبَان مِن السَّنَة، وكَانَ في خِفٍّ مِنَ العَسَاكِرِ فخَامَ عَن لِقَائِهم، ورَجَعَ إلى دِمَشْقَ ونَزَلَ مَرْجَ الصُّفَّر، وَاسْتَدْعَى العَسَاكِرَ / ليَجْمَعَها، وَانتَهَبَ الفِرنْجُ مَخْلَفَه في بَيْسَان، واكْتَسَحُوا مَا بيْنَها وبيْنَ بَانْيَاس[3]. [285 أ]

---

(1) الكامل 12: 320 – 321.

(2) في الأصول: نيسابور، والتصويب مما يلي، ومن الكامل 12: 321.

(3) الكامل 12: 321.

ونَازَلُوا بَانِيَاس ثَلَاثًا، ثُمّ عَادُوا إلى مَرْجِ عَكّا بعْدَ أنْ أخْرَبُوا تِلك الأعْمَالَ وَامْتَلأتْ أيْدِيهم مِن نَهْبِها وسَبَايَاها[1].

ثُمّ سَارُوا إلى صُورَ [ونَهَبُوا][2] صَيْدَا والشَّقِيفَ، عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِن بَانِيَاس، [وعَادُوا][3] إلى عَكّا بَعْدَ عِيدِ الفِطْرِ.

ثُمّ حَاصَرُوا حِصْنَ الطُّورِ عَلَى رَأْسِ الجَبَلِ، قَرِيباً مِن عَكّا، كَان العَادِلُ اخْتَطَّها، فَحَاصَرُوهَا سَبْعَةَ عَشَرَ يَوماً، وقُتِلَ عَلَيها بَعْضُ مُلُوكِهِم، فرَجَعُوا عنْها، وبَعَثَ العَادِلُ ابنَه المعَظَّمَ عِيسَى إلى حِصْنِ الطُّورِ، فَخَرَّبَها لِئَلّا يَتَمَلَّكَه الفِرِنْجُ[4].

ثُمّ سَارَ الفِرِنْجُ مِن عَكّا في البَحْرِ إلى دِمْيَاط، وأَرْسَوْا بِسَاحِلِها في صَفَر[5]، والنِّيلُ بيْنَهم وبيْنَها، وكَان عَلَى النِّيلِ بُرْجٌ حَصِينٌ تُمَدُّ مِنه إلى سُورِ دِمْيَاط سَلَاسِلُ مِن حَدِيدٍ مُحْكَمَةٌ تَمْنَعُ السُّفُنَ مِنَ البَحْرِ المَالِحِ أَنْ تَصْعَدَ في النِّيلِ إلى مِصْر[6].

فلَمّا نَزَلَ الفِرِنْجُ بذَلك السَّاحِلِ خَنْدَقُوا عَلَيها وبَنَوْا سُورًا بيْنَهم وبَيْنَ الخَنْدَقِ، وشَرَعُوا في حِصَارِ دِمْيَاط، وَاسْتَكْثَرُوا مِن آلاتِ الحِصَارِ[7].

وَبَعَثَ العَادِلُ إِلَى ابنِه الكَامِلِ بِمِصْرَ أَنْ يَخْرُجَ في العَسَاكِرِ ويَقِفَ قُبَالَهم،

---

(1) الكامل 12: 321، وينظر مفرج الكروب 3: 255.

(2) في الأصول: ونهبوا منها، والتصويب يتفق مع السياق، وراجع الكامل 12: 322

(3) في الأصول: وعاد، والتصويب يتفق مع السياق، وينظر الكامل 12: 321 – 322.

(4) الكامل 12: 322 - ، مفرج الكروب 3: 257، نهاية الأرب 29: 81.

(5) في الكامل 12: 323: سنة خمس عشرة وستمائة.

(6) الكامل 12: 323.

(7) المصدر نفسه 12: 323.

فَفَعَلَ وخَرَجَ مِن مِصْرَ في عَسَاكِرِ المسْلِمِينَ فنَزَلَ قَرِيباً مِن دِمْيَاط بالعَادِلِيَّة، وأَلَحَّ الفِرِنْجُ في قِتَالِ ذَلِك البُرْج أَرْبعَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى مَلَكُوه، ووَجَدُوا السَّبِيلَ إلى دُخُولِ النِّيلِ لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ النُّزُولِ عَلَى دِمْيَاط، فبَنَى الكَامِلُ عِوَضَ السَّلَاسِلِ جِسْراً عَظِيماً يُمَانِعُ الدَّاخِلِينَ إلى النِّيلِ، فقَاتَلُوا عَلَيْه قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى قَطَعُوه، فأَمَرَ الكَامِلُ بِمَرَاكِبَ مَمْلُوءَةٍ بالحِجَارة وخَرَقَها وغَرَّقَها وراءَ الجِسْرِ تَمْنَعُ مِن دُخُولِ المَرَاكِبِ إلى النِّيلِ، فعَدَلَ الفِرِنْجُ إلى خَلِيجِ الأَزْرَق، وكَانَ النِّيلُ يَجْرِي فيه قَدِيماً، فحَفَرُوهُ وعَمَّقُوهُ فَوْقَ الجِسْرِ، وأَجْرَوا فِيه المَاءَ إلى البَحْرِ، وأَصْعَدُوا مَرَاكِبَهم إلى بُورَة[1]، قُبَالَةَ مُعَسْكَرِ المسْلِمِينَ، لِيَتَمَكَّنُوا مِن قِتَالِهم، لأَنَّ دِمْيَاط كَانَت حَاجِزَةً بَيْنَهم، فاقْتَتَلُوا مَعَهم وهُم في مَرَاكِبِهم فلَم يَظْفَرُوا، والمِيرَةُ والأَمْدَادُ مُتَّصِلَةٌ إلى دِمْيَاط، والنِّيلُ حَاجِز بَيْنَهم وبَيْنَ الفِرِنْج، فلا يَحْصُلُ لَهُم مِنَ الحِصَارِ ضِيق[2].

[285 ب] ثُمَّ بَلَغَ الخَبَرُ بوَفَاة العَادِل، فاخْتَلَفَ العَسَاكِرُ، / وسَعَى مُقَدَّمُ الأُمَرَاء عِمَادُ الدِّين أَحْمَدُ بنُ سَيْف الدِّين عَلِيّ بنِ المَشْطُوبِ الهَكَّارِيُّ في خَلْعِ الكَامِلِ ووِلَايَةِ أَخِيه الأَصْغَرِ الفَائِز[3].

ونُمِيَ الخَبَرُ إلى الكَامِل، فأَسْرَى مِن لَيْلَتِه إلى أَشْمُون طَنَاح، وتَفَقَّدَهُ المسْلِمُونَ مِنَ الغَدِ، فأَجْفَلُوا ولَحِقُوا بالكَامِل، وخَلَّفُوا سَوَادَهم بِمَا فِيه، فاسْتَوْلَى عَلَيهِ الفِرِنْجُ، وعَبَرُوا النِّيلَ[4] إلى البَرّ المتَّصلِ بدِمْيَاط، وحَالُوا بَيْنَها وبَيْنَ أَرْض

---

(1) في الكامل 12: 324.

(2) الكامل 12: 324.

(3) المصدر نفسه 12: 325.

(4) في العشرين من ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة. الكامل 12: 325.

بِمِصْرَ، وَفَسَدَتِ السَّابِلَةُ بالأعْرَاب، وَانْقَطَعَتِ المِيرَةُ عَن دِمْيَاط، واشْتَدَّ الفِرِنْجُ في قِتَالِها، وهي في قِلَّةٍ مِنَ الحَامِيَةِ لإجْفَالِ المسْلِمِينَ عَنها بَغْتَةً[1].

وَلَمَّا جَهَدَهُمُ الحِصَارُ، وتَعَذَّرَ عَلَيْهِمُ القُوتُ، اسْتَأْمَنُوا إلى الفِرِنْجِ، فَمَلَكُوها آخِرَ[2] شَعْبَانٍ سِتَّ عَشْرَةَ، وبَثُّوا سَرَايَاهُمْ فِيما جَاوَرَهَا، فأقْفَرُوه، ورَجَعُوا إلى عِمَارَةِ دِمْيَاط وتَحْصِينِها[3].

وَأقَامَ الكَامِلُ قَرِيباً مِنهم لِحِمَايَةِ البِلَادِ، وبَنَى المَنْصُورَةَ ثَغْراً لِمِصْرَ عِنْدَ مُفْتَرَقِ البَحْرِ مِن جِهَةِ دِمْيَاط.

وَفَاةُ العَادِلِ واقْتِسَامِ المُلْكِ بَيْنَ بَنِيه

قَدْ ذَكَرْنَا خَبَرَ العَادِلِ مَعَ الفِرِنْجِ الذين جَاءوا مِنْ وَرَاءِ البَحْرِ إلى سَوَاحِلِ الشَّامِ سَنَةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ، ومَا وَقَعَ بَيْنَه وبَيْنَهم بعَكَّا وَبِيْسَان، وأنَّه عَادَ إلى مَرْجِ الصُّفَّرِ قَرِيباً مِن دِمَشْقَ فَأقَامَ بِهِ، فَلَمَّا سَارَ الفِرِنْجُ إلى دِمْيَاطَ انْتَقَلَ هُوَ إلى [عَالِقِين][4] فأقَامَ بِها، ثُمَّ مَرِضَ وتُوُفِّيَ سَابِعَ جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وسِتِّ مِائَة، لِثَلَاثٍ وعِشْرِينَ سَنَةً مِن مُلْكِه دِمَشْق، وخَمْسٍ وسَبْعِينَ مِن عُمْرِه[5].

---

(1) الكامل 12: 326.

(2) في الكامل 12: 326: السابع والعشرين.

(3) الكامل 12: 326.

(4) في الأصول: خانقين، والتصويب من الكامل 12: 351، وعالقين: قرية بظاهر دمشق، يراجع مفرج الكروب 3: 270 – 275، الوافي بالوفيات 2: 235.

(5) الكامل 12: 351.

وَكَانَ ابنُهُ المعَظَّمُ عِيسَى بنابُلُس، فَجَاءَ ودَفَنَهُ بدِمَشق، وَقَامَ بمُلكِها وَاستَأثَرَ بمَخلَفِه منَ المالِ والسِّلاحِ، وكانَ لَا يُعَبَّرُ عَنه، يُقَال: كَانَ المالُ العَيْنُ في تَرِكَتِه سَبعَ مِائَةِ أَلفِ دِينَار.

وكَان مَلِكًا حَلِيمًا صَبُورًا، مُسَدَّداً، صَاحِبَ أناةٍ وخَدِيعَة، مَنجِيّاً في أَحْوَاله.

وكَانَ قَدْ قَسَّمَ البِلَادَ في حَيَاتِه بيْن بَنِيه: فمِصْرُ للكَامِل مُحَمَّد، ودِمَشقُ والقُدْسُ وطَبَرِيَّةُ والكَرَكُ ومَا إليها [للمعَظَّم عِيسَى][1]، وخِلَاطُ ومَا إليها وبِلَادُ الجَزِيرَة غيْرَ الرُّها ومَيَّافَارِقِين للأَشْرَفِ مُوسَى، والرُّها ومَيَّافَارِقِين[2] لِشِهَابِ الدِّين غَازِي، وقَلْعَةُ جَعْبَر [للحَافِظِ][3] أَرْسَلَان شَاه، فلمَّا تُوفِّيَ اسْتَقَلَّ / كُلٌّ مِنْهم [286 أ]
بعَمَلِه[4].

وبَلَغَ الخبَرُ إلى الكَامِلِ بمَكَانِه قُبَالَةَ الفِرِنْج بدِمْيَاط، فَاضْطَرَبَ عَسْكَرُه، وسَعَى ابنُ المشْطُوب، كَمَا تَقَدَّمَ، في وِلَايَةِ أَخِيه الفَائِز، ووَصَلَ الخبَرُ بذَلكَ إلى أَخِيه المعَظَّم عِيسَى، فأَغَذَّ السَّيْرَ مِن دِمَشْقَ إليه بمِصْر، وأَخْرَجَ ابنَ المشْطُوبِ إلى الشَّام، فلَحِقَ بأَخِيهِما الأَشْرَف، وصَارَ في جُمْلَتِه، واسْتَقَامَ للكَامِلِ مُلْكُهُ بمِصْر، ورَجَعَ المعَظَّمُ مِن مِصْرَ فقَصَدَ القُدْس في ذِي القَعْدة مِنَ السَّنَة وخَرَّبَ أَسْوَارَه، حَذَرًا عَلَيه منَ الفِرِنْج[5].

---

(1) من الكامل 12: 352.

(2) في الكامل 12: 352. أن ميافارقين: ضمن أملاك الأشرف موسى.

(3) في الأصول: للخضر، والتصويب من الكامل 12: 352.

(4) الكامل 12: 352.

(5) المصدر نفسه 12: 327 .

ومَلَكَ الفِرنجُ دِمْياط، كما ذكَرْناهُ، وأقامَ الكامِلُ قُبالَهم.

وفاةُ المنصُورِ صَاحِبِ حَمَاةَ وَوِلايةُ ابنِهِ النَّاصِرِ

قَد تَقَدَّمَ لَنا أنَّ صَلاحَ الدِّين كانَ أقطعَ تَقِيَّ الدِّين عُمَرَ ابنَ أخِيه شاهنْشاه مَدِينةَ حَماةَ وأعْمالَها سَنَةَ [اثنَتَيْنِ وثَمانِينَ وخَمْس مِائة][1]، ثم بُعِثَ إلى الجَزِيرَة سَنَةَ سَبْعٍ وثَمانِينَ فَملَكَ: حَرَّانَ، والرُّهَا، وسَرُوجَ، ومَيَّافارِقِين، ومَا إليها مِن البِلَادِ الجَزَرِيّة، فأقْطَعَهُ إيّاها صَلاحُ الدِّين، ثُمّ سَارَ إلى بِلَادِ أرْمِينِيَّة وهَزَمَ بَكْتَمُر صَاحِبَ خِلَاط، وحَاصَرَها، ثُمّ انْتَقَلَ إلى حِصَارِ مَلاذكِرد، وهَلَكَ عَلَيها تِلْكَ السَّنَة[2].

وَاسْتَوْلى ابنُهُ ناصِرُ الدِّين مُحَمَّدٌ، وتَلَقَّبَ المنصُورَ، عَلَى أعْمالِه، ثُمّ انْتَزَعَ مِنْهُ صَلاحُ الدِّين بِلَادَ الجَزِيرَة وأقْطَعَها أخَاهُ العَادِل، وأبْقَى حَمَاةَ وأعْمالَها بيَدِ نَاصِر الدِّين مُحَمَّدٍ المذكُور، فَلَمْ تَزَلْ بيدِه إلَى أن تُوفِّيَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وسِتِّ مِائة[3]، لثَمانٍ وعِشْرِينَ سَنَةً مِن وِلَايتِه عَلَيها، بَعْدَ مَهْلِك عَمَّيْهِ صَلَاح الدِّين، والعَادِل.

وَكَانَ ابنُهُ وَلِيُّ عَهْدِه المظَفَّرُ عِنْدَ الكَامِلِ بنِ العَادِل بِمِصْر، وَابنُهُ الآخَرُ قِلِيج أرْسَلان عِنْدَ خَالِه المعَظَّم عِيسَى بمكَانِه مِن حِصَارِ عَثْلِيث، فَاسْتَدْعَاهُ أهْلُ دَوْلَتِه بحَمَاة، وَاشْتَرَطَ المعَظَّمُ عَلَيهِ مَالاً يَحْمِلُه، وَأطْلَقَه إليهم، فَمَلَكَ حَمَاةَ، وتَلَقَّبَ

(1) بياض في الأصول، والمثبت من الكامل 11: 524، وفيات الأعيان 3: 457، وينظر ما سبق.

(2) تاسع عشر شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمس مائة. وفيات الأعيان 3: 457.

(3) يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة. المصدر نفسه والصفحة.

النَّاصِرَ، وجَاءَ أَخُوه وَلِيُّ العَهْد مِن مِصْر، فَدَافَعَه أَهْلُ حَمَاةَ، فَرَجَعَ إلى دِمَشْقَ عِنْدَ المعَظَّم، وكَاتَبَهم واسْتَمَالَهُم، فَلَم يُجِيبُوه، ورَجَع إلى مِصْر[1].

مَسِيرُ صَاحِب بلاد الرُّوم إلَى حَلَبَ وانهزامُهُ، ودُخُولها في طَاعَة الأَشْرَف

[286 ب] / قَد كُنَّا قَدَّمْنَا وفَاةَ الظَّاهِرِ غَازِي بنِ صَلَاحِ الدِّين، صَاحِب حَلَبَ ومَنْبِجَ، سنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَوِلَايةُ ابنِه الأَصْغرِ مُحَمَّدِ العَزِيز غِيَاثِ الدِّين في كَفَالَةِ شِهَابِ الدِّين طُغرُل الخَادِم مَوْلَى أَبِيه الظَّاهِر، وأَنَّ شِهَابَ الدِّين هَذَا الكَافِلَ أَحْسَنَ السِّيرَة، وأَفَاضَ العَدْلَ، وعَفَّ عَن أَمْوَالِ الرَّعِيَّة، ورَدَّ السِّعَايَةَ فِيهم [بَعْضِهم][2] عَلَى بَعْض.

وكَان بحَلَبَ رَجُلَانِ مِنَ الأَشْرار يُكْثِرانِ السِّعَايَةَ عِنْدَ الظَّاهِر ويُغْرِيَانِه بالنَّاس، ولَقِيَ النَّاسُ مِنهمَا شِدَّةً فأَبْعَدَهمَا شِهَابُ الدِّين فِيمَن أَبْعَدَ مِن أَهْلِ الشَّر، ورَدَّ عَلَيْهِمَا السِّعَايَةَ فكَسَدَت سُوقُها، وتَنَاولَهمَا النَّاسُ بالأَلْسِنَة والوَعِيد، فَلَحِقَا بِبِلَادِ الرُّومِ، وأَطْمَعَا صَاحِبَها كَيكَاوس في مُلْكِ حَلَبَ ومَا بَعْدَها، ثُمَّ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ إلَّا بأَن يَكُون مَعَه بَعْضُ بَني أَيُّوبَ يَنقَادُ أَهْلُ البِلَادِ إلَيه[3].

---

(1) الكامل 12: 486.

(2) في الأصول: بعضها، وعدّلناه بما يتفق والسياق.

(3) الكامل 12: 348.

وَكَان الأَفضَلُ بنُ صَلَاح الدِّين بسُمَيْسَاطَ، وقَدْ دَخل فِي طَاعَة كِيكَاوس غَضَباً مِن أَخِيه الظَّاهِر وَعَمِّه العَادِل، بِمَا انتزَعَا مِنْ أَعْمَالِه، فَاسْتَدْعَاه كِيكَاوس وَطَلَبَه فِي المسِيرِ، عَلَى أَن يَكُونَ مَا يَفْتَحُهُ مِن حَلَبَ وأَعْمَالِهَا للأَفضَل، والخُطْبَةُ والسِّكَّةُ لكِيكَاوس، ثُمَّ يَقْصِدُونَ بِلَادَ الأَشْرَف بالجَزِيرَة: حِرَّانَ، وَالرُّها، ومَا إِلَيها عَلَى هَذا الحُكْمِ. وتَحَالَفُوا عَلَى ذَلكَ، وجَمَعُوا العَسَاكِرَ، وسَارُوا [سَنَةَ][1] خَمْسَ عَشْرَةَ، فَملَكُوا قَلْعَةَ رَعْبَان[2]، فتَسَلَّمَها الأَفضَل، ثُمَّ قَلْعَةَ [تَلّ][3] باشِر مِن صَاحِبِها ابنِ بَدرِ الدِّين إِرزم[4] اليَارُوقِيّ، بَعْدَ أَنْ كانـ[ـوا] حَاصَرُو[هُ] وضَيَّقُوا عَلَيه، ومَلَكَهَا كِيكَاوس لِنَفْسِه، فَاسْتَوْحَشَ الأَفْضَلُ وأَهْلُ البِلَادِ أَن يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلكَ فِي حَلَب[5].

وكَانَ شِهَابُ الدِّين، كَافِلُ العَزِيز بنِ الظَّاهِر بحَلَب، مُقِيماً بقَلْعَة حَلَبَ لَا يُفَارِقُها خَشْيَةً عَلَيها، فَطَيَّرَ بالخَبَرِ إِلى المَلِكِ الأَشْرَف، صَاحِبِ الجَزِيرَة وخِلَاط، لتَكُونَ طَاعَتُهم وخُطْبَتُهم لَه والسِّكَّةُ باسمِه، ويَأْخُذَ مِن أَعْمَال حَلَبَ مَا اخْتَار، فَجَمَعَ العَسَاكِرَ وَسَارَ إِليَهم سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ، ومَعَه أَحْيَاءُ طَيّ وأَمِيرُهم مَانِعُ بنُ حَدِيثَة وغَيْرُهم مِنَ العَرَبِ، ونَزَلَ بظَاهِرِ حَلَب[6]، وتَوجَّه كِيكَاوس / والأَفضَلُ مِنْ تَلّ [287أ]

(1) إضافة تتفق مع السياق، ينظر الكامل 12: 348.

(2) مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معروفة منذ الفتوح. معجم البلدان 3: 51.

(3) من الكامل 12: 348.

(4) في الكامل 12: 348: دلدرم.

(5) الكامل 12: 348.

(6) ينظر زبدة الحلب 3: 181 – 182، مفرج الكروب 3: 264.

بَاشِر إِلَى مَنبج، وسَارَ الأشْرَف نَحْوَهم وفي مُقَدّمَتِه العَربُ، فلَقُوا مُقَدّمَةَ كِيكَاوس فهزَمُوها، فلَمّا عَادُوا إلى كِيكَاوس مُنهَزِمِين أجْفَلَ إلى بِلَادِه[1].

وسَارَ الأشْرَفُ فملَكَ رَعْبَانَ وتَلَّ بَاشِر، وأخَذَ مَنْ كَانَ بِها مِن عَسْكَرِ كَيْكَاوُس، وأطْلَقَهم ولَحِقُوا بكِيكَاوس، فجَمَعَهم في دَارٍ وأحْرَقَها عَلَيهم فهَلَكُوا[2].

وَسَلَّمَ الأشْرَفُ مَا مَلَكَه مِن قِلَاع حَلَبَ لشِهَابِ الدِّين الخَادِم كَافِل العَزِيزِ بحَلَب، وَاعْتَزَمَ عَلَى اتبَاعِ كِيكَاوس إلَى بِلَادِه، فَأدْرَكَه الخَبَرُ بوفَاةِ أبِيه العَادِل فرَجَعَ[3].

دُخُولُ المَوْصِلِ فِي طَاعَةِ الأَشْرَفِ، ومُلْكُهُ سِنْجَار

قَد ذَكَرنا في دَوْلة بَني زَنْكي أنَّ القَاهِرَ عِزَّ الدِّين مَسْعُوداً صَاحِبَ المَوْصِل تُوفِّي في رَبِيع [الأوَّلِ[4] سنَةَ] خَمْسَ عَشْرَةَ وسِتِّ مِائة، وَوَلِي ابنُه نُورُ الدِّين أرْسَلان شَاه في كَفَالَةِ [مَوْلَى][5] أبِيه [بَدْرِ][6] الدِّين لُؤلُؤ، مَوْلَاه ومُدَبِّرِ دَوْلَتِه، وكَان أخُوه عِمَادُ الدِّين زَنْكي في قَلْعَة العَقْرِ[7] وشُوش[8]، مِن أعْمَالِ المَوْصِل، بِوَصِيَّةِ أبِيهِمَا

(1) الكامل 12: 349 .

(2) المصدر نفسه 12: 349 – 350.

(3) المصدر نفسه 12: 350.

(4) من الكامل 12: 333.

(5) إضافة يقتضيها السياق، ينظر الكامل 12: 334.

(6) في الأصول: نور، والتعديل مما يأتي ومن الكامل 12: 334.

(7) قرية بين تكريت وأول حدود الموصل من العراق. معجم البلدان 4: 136.

(8) قلعة كبيرة قرب عقر. معجم البلدان 3: 372.

إلَيه بِذَلك، وَأنَّه بَعْدَ وفَاةِ أخِيه عِزِّ الدِّين طَلَب الأمْرَ لِنَفْسِه ومَلَكَ العِمَادِيَّة[1]، وَظَاهَرَهُ مُظَفَّر الدِّين كُوكُبُورِي صَاحِب إرْبِلَ عَلَى شَأْنِه، فَبَعَثَ بَدْرَ الدِّين لُؤلُؤاً إلَى الأَشْرَفِ مُوسَى بنِ العَادِل، والجَزِيرَةُ كُلُّهَا وخِلَاط وأعْمَالهَا في طَاعَتِه، فأرْسَلَ إلَيه بالطَّاعَة، وكَان عَلَى حَلَب مُدَافِعًا لكَيكَاوس صَاحِبِ بِلَادِ الرُّوم، كَمَا [ذكرناه][2]، فَأجَابَه الأَشْرَفُ بالقَبُولِ وَوَعَدَه النَّصْرَ مِن أعْدَائِه[3].

وَكَتَبَ إلَى مُظَفَّرِ الدِّين يُقَبِّحُ عَلَيْه مَا وَقَعَ مِن نَكْثِ العَهْدِ في اليَمِين الَّتي كَانَت بيْنَهم جميعاً، ويَأْمُرُهُ بإعَادَةِ عِمَاد الدِّين زَنْكي مَا أخَذَه مِن أعْمَالِ المَوْصِل، وإلَّا فيَسِيرُ بنَفْسِه ويَسْتَرْجِعُهَا مِمَّن أخَذَهَا، ويَدْعُوهُ إلَى تَرْكِ تِلْكَ الفِتْنَةِ والاشْتِغَالِ مَعَه بمَا هُوَ فِيه مِن جِهَادِ الفِرنْجِ، فضَمَّ مُظَفَّرَ الدِّين عَن بِدْيَّتِه، وَوَافَقَه صَاحِب مَارِدِين وصَاحِبُ كَيْفَا وآمِد، فَجَهَّزَ الأَشْرَفُ عَسْكَراً إلَى نَصِيبِينَ نَجْدَةً لِلُؤْلُؤٍ صَاحِبِ المَوْصِل[4].

[287 ب] ثُمَّ جَهَّزَ لُؤلُؤٌ عَسَاكِرَهُ / إلَى عِمَادِ الدِّين فهَزَمُوه، ولَحِقَ بإرْبِلَ عِنْدَ المُظَفَّر، وجَاءَتِ الرُّسُلُ مِنَ الخَلِيفَةِ النَّاصِر ومِنَ المَلِكِ الأَشْرَف، فَأَصْلَحُوا بيْنَهُمَا وتَحَالَفَا[5].

---

(1) في الكامل 12: 335: في ثامن عشر رمضان سنة خمس عشرة وست مائة، وهي قلعة شمالي الموصل عمرها عماد الدين زنكي، ينظر معجم البلدان 4: 149.

(2) في الأصول: نذكره بعد، وحرّرناه بما يتفق مع تسلسل الأحداث، ينظر العنوان السابق.

(3) الكامل 12: 337. ويلاحظ استعمال "من" بمعنى "على".

(4) المصدر نفسه 12: 338.

(5) الكامل 12: 338، وينظر مفرج الكروب 4: 24 – 25.

ثُمَّ وَثَبَ عِمَادُ الدِّين زَنْكِي عَلَى قَلْعَةِ كَوَاشِي[1] فَمَلَكَهَا، وبَعَثَ لُؤلُؤ إِلَى الأَشْرَف وهُوَ بحَلَب يَسْتَنْجِدُه، فعَبَرَ الفُرَاتَ إِلَى حَرَّان، وَاسْتَمَالَ مُظَفَّرُ الدِّين مُلُوكَ الأَطْرَافِ، وحَمَلَهم عَلَى طَاعَة كِيكَاوس والخُطْبَةِ لَه، وكَان عَدُوّاً للأَشْرَفِ ومُنَازِعاً لَه فِي مَنبج، كَمَا نَذكره، وبَعَثَ أيضًا إِلَى الأُمَرَاء الَّذين مَعَ الأَشْرَفِ وَاسْتَمَالَهم، فأجَابَه مِنهم: أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ المَشْطُوبُ صَاحِبُ الفِعْلَة مَعَ الكَامِل عَلَى دِمْيَاط، وعِزُّ الدِّين مُحَمَّدُ بنُ بَدرِ الحَمِيدِيُّ، وفَارَقُوا الأَشْرَفَ إِلَى دُنَيْسَر تَحْتَ مَارِدِين، لِيَجْتَمِعُوا عَلَى مَنعِ الأَشْرَفِ مِن العُبُورِ إِلَى المَوْصِل[2].

ثُمَّ اسْتَمَالَ الأَشْرَفُ صَاحِبَ كَيْفَا وآمِدَ، وَأَعْطَاهُ مَدِينَةَ خَانِي وجَبَلَ جُور، ووَعَدَه بدَارَا إِذَا مَلَكَهَا، فَلَحِقَ بِه صَاحِبُ كَيْفَا وفَارَقَ أَصْحَابَهُ المُلُوكَ، واقْتَدَى بِه بَعْضُهم فِي طَاعَةِ الأَشْرَفِ والنُّزُوعِ إِلَيْه، فَافْتَرَقَ ذَلِكَ الجَمْعُ، وسَارَ كُلُّ مَلِكٍ إِلَى عَمَلِه، وسَارَ ابنُ المَشْطُوبِ إِلَى إِرْبِل، ومَرَّ بنَصِيبِينَ فقَاتَلَهُ عَسْكَرُها وهَزَمُوه، وَافتَرَقَ جَمْعُه وَمَضَى مُنْهزِمًا، وَاجْتَازَ بِسِنجَار، وبِها فَرُوخ شَاه عُمَرُ بنُ زَنْكِي بن مَوْدُود، فبَعَثَ إِلَيه عَسْكَراً، فجَاءوا به أَسِيراً، وكَان فِي طَاعَةِ الأَشْرَف، فحَسَّنَ لَهُ ابنُ المَشْطُوب عِصْيَانَه، فَأَطْلَقَه، وسَارَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ المُفْسِدِينَ إِلَى البَقْعَاء مِن أَعْمَالِ المَوْصِل، فَاكْتَسَحَهَا، وعَادَ إِلَى سِنجَار[3].

ثُمَّ سَارَ ثَانِياً للإِغَارَة عَلَى أَعْمَالِ المَوْصِل، فأَرْصَدَ لَه لُؤْلُؤ عَسْكراً فِي تَلٍّ

(1) قلعة حصينة في الجبال التي في شرقي الموصل، تسمّى قديماً أرْدُمُشْت: معجم البلدان 4: 486.

(2) الكامل 12: 341.

(3) الكامل 12: 342 – 343.

أعْفر مِن أعْمَالِ سِنْجَار، فلمَّا مَرَّ بِهم قَاتلُوه، وصَعِدَ إلى تلّ أعْفر مُنْهزِماً، وجَاءَ لُؤلُؤ مِنَ المَوْصِل فَحَاصَرَه بِها شَهرًا أو بَعْضَه، ومَلَكها مُنْتَصَف[1] رَبِيع الآخِرِ مِن سَنةِ سَبْعَ عَشْرَة، وَحَبَسَ ابنَ المشطوب بالمَوْصِل، ثُمَّ بَعَثَ بِه إلى الأشْرَف فحَبَسَه بحَرّان إلَى أن تُوفِّي في رَبِيعِ الآخرِ سَنَة تِسْعَ عَشْرة[2].

وَلَمَّا افتَرَقَ جَمْعُ المُلوكِ، سَارَ الأشْرَفُ مِنْ حَرَّان فَحَاصَرَ [صَاحِبَ][3] مَارِدِين، ثُمَّ صَالَحَه عَلَى أنْ يَرُدَّ عَلَيْه رَأسَ عيْنٍ، / [288 ا] وكَانَ الأشْرَفُ أقْطَعَها لَه، وعَلَى أنْ يَأخذَ مِنه ثَلاثِينَ ألْفَ دِينَار، وعَلَى أنْ يُعْطِيَ صَاحِبَ كَيْفا وآمِدَ قَلْعَةَ المُوَزَّر مِن بَلَدِ [شَبَخْتَان][4]، وَرَجَعَ الأشْرَفُ مِن دُنَيْسَر إلى نَصِيبِينَ يُرِيدُ المَوْصِل[5].

وكَان عُمَرُ [بنُ زَنْكي بنِ مَوْدُود][6] صَاحِبُ سِنْجَارَ لَمَّا أخَذَ مِنه لُؤلُؤ تَلَّ أعْفَرَ تَخَاذَلَ عَنه أصْحَابُه، وسَاءَت ظُنُونُه بِهم وبنَفْسِه، لَمَّا سَاءَ فِعْلُه في أخِيه وفي غَيْرِه، فَاعْتَزَمَ عَلَى الإلْقَاء باليَدِ للأشْرَفِ، وتَسْلِيم سِنْجَارَ لَه، والاعْتِيَاضِ عَنْها بالرَّقَّة، وَبَعَثَ رُسُلَه إليه بذَلك، فلَحِقُوه في طَرِيقِه مِن دُنَيْسَرَ إلى نَصِيبِين، فأجَابَ إلى ذَلك، وسَلَّمَ إليه الرَّقَّة، وسَلَّم سِنْجَارَ في مُسْتَهَلّ جُمَادَى الأولَى سَنَةَ سَبْعَ عَشْرة[7]، وفَارَقَها فَرُوخ شَاه وإخْوتُه بأهْلِيهم وأمْوالِهم[8].

---

(1) في الكامل 12: 343. سابع عشر.

(2) الكامل 12: 343، وينظر وفيات الأعيان 1: 180.

(3) إضافة للتوضيح.

(4) بياض في الأصول، والإضافة من الكامل 12: 343.

(5) الكامل 12: 343.

(6) إضافة مما سبق للتوضيح.

(7) في الأصول: سبعة عشر.

(8) الكامل 12: 344.

وسَار الأشْرَف مِن سِنْجَار إلى المَوْصِل، فوَصَلها تاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الأُولى مِنَ السَّنَة، وجَاءَته رُسُلُ الخَلِيفَة ومُظَفَّرُ الدِّين في الصُّلح ورَدّ ما أخذه عِمَادُ الدِّين مِن قِلَاع المَوْصِل إلى لُؤلُؤ مَا عَدا العِمَادِيّة، وطَالَ الحدِيث في ذَلك، ورَحَلَ الأشْرَف يُرِيدُ إرْبِلَ، ثُمّ شَفَعَ عِنْدَه صَاحِبُ كَيْفَا وغَيْرُهُ مِن بِطَانتِه، وأنْهَوْا إليهِ ضَجَرَ العَسَاكِر، فأجَابَ إلى هَذا الصُّلحِ، وفَسَحَ لَهم في تَسْلِيمِ القِلَاع إلى مُدَّةٍ ضَرَبُوها[1].

وَسَارَ عِمَادُ الدِّين مع الأشْـرَف رَهِينَـةً في ذَلك، وسُلِّمَت[أ] قَلْعَـةُ العَقْـر وقَلْعةُ شُوش إلى نُوابِ الأشْرَف، حَتّى يَتِمّ تَسْلِيمُ البَاقي، ورَحَلَ الأشْـرَف عَن المَوْصِل ثَانِيَ رَمَضَان[2].

وَبَعَثَ لُؤلُؤٌ نُوَّابَهُ إلى القِلَاع، فَامْتَنَعَ جُنْدُها مِن تَسْلِيمِها إلَيْه، وانْقَضَى الأجَلُ[3].

وَاسْتَمَالَ عِمَادُ الدِّين زَنْكِي شِهَابَ الدِّين غَازِي أخَا الأشْرَف، فَاسْتَعْطَفَ لَه أخَاه، وأطْلَقَه، وَرَدَّ عَلَيْه قَلْعَةَ العَقْر وشُوش، وسَلَّمَ لُؤلُؤاً قَلْعَةَ تَـلّ أعْفَر بِمَا كَانَت مِن أعْمَالِ سِنْجَار[4].

(أ) نهاية الخرم الموجود بنسخة س.

---

(1) المصدر نفسه 12: 344 – 345.

(2) الكامل 12: 345، مفرج الكروب 4: 75.

(3) الكامل 12: 345.

(4) الكامل 12: 345، مفرج الكروب 4: 75 – 76.

ارتجاع دمياط من يد الفرنج

وَلَمَّا مَلَكَ الفِرنجُ دِمْيَاط أقبلُوا عَلَى تَحْصِينِها، وَرَجَعَ الكَامِلُ إلى مِصْر، وَعَسْكَرَ بأطْرافِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّة مَسْلَحةً عَلَيها مِنهم، وبَنَى المَنْصُورَةَ ثَغراً لِنُزُلِه، وأقامَ كَذَلِكَ / [288 ب] سَنَتَيْن.

وَبَلَغَ الفِرنجَ، ورَاءَ البَحْرِ، فَتْحها وَاسْتِيلَاء إخوانِهم عَلَيها، فَلَهِجُوا بِذَلِكَ، وتَوافَتْ أَمْدَادُهم في كُلِّ وَقْتٍ إليها، والكَامِل مُقِيمٌ بِمَكَانِه.

وَاتَّصَلَتِ الأَخْبَارُ بظُهورِ الطَّطَار، ووصُولِهم إلى أَذْرَبِيجَانَ وَأَرَّان، وأَصْبَحَ المُسْلِمُونَ بِمِصْرَ والشَّامِ عَلَى تَخَوُّفٍ مِن سَائِرِ جِهاتِهم.

وَاسْتَنْجَدَ الكَامِلُ بِأَخِيه المُعَظَّم صَاحِبِ دِمَشْقَ، وَأَخِيه الأَشْرَفِ صَاحِبِ الجَزِيرَة وَأَرْمِينِيَّة، وَسَارَ المُعَظَّمُ إِلَى الأَشْرَفِ يَسْتَحِثُّه للوصُولِ، فَوَجَدُوهُ في شُغْلٍ بالفِتْنَةِ الَّتي ذَكَرْنَاها، فَعَادَ عنه إِلَى أَنِ انقَضَت تِلكَ الفِتْنَةُ[1]، ثُمَّ تَقَدَّمَ الفِرنجُ مِن دِمْيَاط بعَسَاكِرِهم إلى جِهَةِ مِصْر، وأَعَادَ الكَامِلُ خِطَابَهُ إليهِمَا[أ] سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ يَسْتَنْجِدُهما.

وسَارَ المُعَظَّمُ إلى الأَشْرَفِ يَسْتَحِثُّه، فَجَاءَ مَعَه إلى دِمَشْق، وسَارَ مِنْها إلى مِصْر، ومَعَه عَسَاكِرُ حَلَب، والنَّاصِرُ صَاحِبُ حَمَاة، وشِيرِكُوه صَاحِب حِمْص،

(أ) في س: إليها في خطابه.

---

(1) الكامل 12: 327.

والأمجد صَاحِبُ بعلَبَكَّ، فوَجَدُوا الكَامِلَ عَلَى بَحْرِ أَشْمُون، وقد سَارَ الفِرنْجُ مِن دِمْيَاط بِجُمُوعِهِم، ونَزلُوا قُبَالَتَه بعُدْوَةِ النّيل، وهم يَرْمُونَ عَلَى مُعَسْكَرِه بالمَجَانِيق، والنَّاسُ قد أَشْفَقُوا مِن الفِرنْجِ عَلَى الدِّيَارِ المِصْرِيّة. فسَارَ الكَامِل ولَقِي أخاه الأشْرَف بِمِصْر[1].

وجَاءَ المُعَظَّم بَعْدَ[أ] الأشْرَف، وقَصَدَ دِمْيَاطَ يُسَابِقُ الفِرنْجَ، ونَزَلَ الكَامِلُ والأشْرَفُ عَلَى بَحْرِ المَحَلَّة، وَظَفِرتْ شَوَانِي المسْلِمِينَ بثَلاثِ قِطَعٍ مِن شَوَانِي الفِرنْجِ فغَنِمُوها بِمَا فيها[2].

ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهم فِي تَسْلِيمِ دِمْيَاطَ، عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا القُدْسَ وعَسْقَلانَ وطَبَرِيَّةَ وصَيْدَا وجَبَلَةَ واللَّاذِقِيَّةَ وجَمِيعَ مَا فَتَحَهُ صَلَاحُ الدِّين غيْرَ الكَرَك، فَاشْتَطُّوا وشَرَطُوا إعَادَةَ الكَرَكِ والشَّوْبَك وزِيَادَةَ ثَلاثِ مِائَة أَلْفِ دِينَارٍ لرَمِّ أَسْوَارِ القُدْس التي خَرَّبَهَا المُعَظَّمُ والكَامِل، فَرَجَعَ المسْلِمُونَ إلى قِتَالِهم. وَافْتَقَدَ الفِرنْجُ الأَقْوَاتَ، لأَنَّهم لَم يَحْمِلوها مِن دِمْيَاطَ ظَنّاً بأَنَّهم غَالِبُون عَلَى السَّوَادِ ومِيرَتُهُ بأَيْدِيهم، فبدَا لهُم مَا لم يَحْتَسِبوا[ب][3].

[289 أ] ثُمَّ فَجَّرَ المسْلِمُونَ النِّيلَ إلى العُدْوَة التي كَانُوا عَلَيها / فرَكِبَها المَاءُ، ولم يبْقَ لهم إلَّا مَسْلَكٌ ضَيِّق، ونَصَبَ الكَامِلُ الجُسُورَ عِنْدَ أَشْمُون، فعَبَرَتِ العَسَاكِرُ عَلَيْها،

(أ) قوله: وجاء المعظم بعد، مكرر في ظ. (ب) في س: لم يكونوا.

---

(1) الكامل 12: 328.

(2) المصدر نفسه 12: 328.

(3) المصدر نفسه 12: 329.

ومَلكُوا ذَلِكَ المسْلَكَ، وَحَالُوا بيْنَ الفِرنْجِ وبيْنَ دِمْيَاط، ووَصَلَ إلَيهم مَرْكَبٌ مَشْحُونٌ بالمدَدِ مِنَ المِيرَةِ والسِّلَاحِ ومَعَه حرّاقَاتٌ عَليهم[1]، فَخَرجَت عَلَيها شَوَانِي المسْلِمِينَ وهُم في تِلك الحَالِ، فَغَنِمُوها بِمَا فِيها، واشْتَدَّ الحَالُ عَلَيْهم في مُعَسْكَرِهم، وأحَاطَت بِهم عَسَاكِرُ المسْلِمِينَ يُقَاتِلونَهم ويَتَخَطَّفُونَهم مِن كُلِّ جَانِب، فأَحْرَقُوا خِيَامَهم ومَجَانِيقَهم وأَثْقَالَهم. وأرَادُوا الاسْتِمَاتَةَ في العَوْدِ إلى دِمْيَاط، فَرَأَوْا مَا حَالَ بَيْنَهم وبَيْنَها مِنَ الوَحَلِ، فاسْتَأْمَنُوا إلى الكَامِلِ والأَشْرَفِ عَلَى تَسْلِيمِ دِمْيَاطَ مِن غَيْرِ عِوَض[2].

وبَيْنَما هم في ذَلِك، وَصَلَ المُعَظَّمُ صَاحِبُ دِمَشْقَ مِن جِهَةِ دِمْيَاط، كَمَا مَرَّ، فازْدَادُوا وَهْناً وخِذْلَاناً، وسَلَّمُوا دِمْيَاطَ مُنْتَصَفَ ثَمَانِ عَشْرة، وأَعْطَوْا عِشْرِينَ مَلِكاً مِنهم رَهْناً عَلَيها، وَأَرْسَلُوا الأَقِسَّةَ والرُّهْبَانَ مِنهم إلى دِمْيَاط فسَلَّمُوها للمسْلِمِينَ، وكَانَ يَوْماً مَشْهُوداً[3]. ووَصَلَهم بَعْدَ تَسْلِيمِها مَدَدٌ مِن وَرَاءِ البَحْرِ، فلَمْ يُغْنِ عَنْهم، ودَخَلَها المسْلِمُونَ وقَد حَصَّنَها الفِرنْجُ فأَصْبَحَتْ مِن أَمْنَعِ حُصُونِ الإسْلَام[4].

وفَاةُ الأَوْحَد نجْمِ الدِّين بنِ العَادِل صَاحِب خلاط وَوِلَايةُ أَخِيه الظَّاهِرِ غَازِي عَلَيها

قَد تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ الأَوْحَدَ نَجْمَ الدِّين [أَيُّوبَ][5] بنَ العَادِلِ مَلَكَ مَيَّافَارِقِينَ،

(1) في الكامل 12: 329: مركب كبير للفرنج من أعظم المراكب يسمى مرمة، وحوله عدة حراقات تحميه.
(2) كان ذلك سابع رجب من سنة 618 هـ الكامل 12: 330، مفرج الكروب 4: 75 – 76.
(3) في الكامل 12: 330: تاسع رجب.
(4) من الكامل 12: 331.
(5) من الكامل 12: 272.

وبعدها خِلَاط وأرمِينِيةَ سَنَةَ ثَلاثٍ[1] وستِّ مِائة، ثُمَّ تُوفِّيَ سَنَةَ [تسع][2]، فأقطعَ العَادِلُ مَا كَان بيدِه مِنَ الأعْمَالِ لأخِيه الأشْرَف، ثُمَّ أقطَعَ العَادِل ابنَهُ الظَّاهِرَ غَازِي سَنَةَ عَشْرٍ سَرُوجَ والرُّها ومَا [إليهمَا][أ]، ولَمَّا تُوفِّيَ العَادِلُ، واسْتَقَلَّ ابنُهُ الأشْرَف بالبلادِ الشَّرْقية، عقَدَ لأخِيه غَازِي عَلَى خِلَاط ومَيَّافَارِقِينَ مُضَافاً إلى ولايتِه مِن أبِيهِما العَادِل، وهِيَ: سَرُوجُ والرُّها[3]، وجَعَله [وَلِيَّ][ب] عَهْدِه[4]، لأنَّه كَان عَاقِراً لا [289 ب] يُولَدُ لَه، وأقَامَ عَلَى ذَلكَ إلى أنِ انْتَقَضَ عَلَى الأشْرَف / عِنْدَما حَدَثَتِ الفِتْنَةُ بيْنَ بَنِي العَادِل[5]، فانتزَعَ أكْثَرَ هَذه الأعْمَالِ مِنه كَمَا نذكُرُه.

فِتنةُ المُعَظَّم مَعَ أَخَوَيْه الكَامِل والأَشْرَف وَمَا دَعَتْ إِلَيهِ مِنَ الأَحْوَال

كَانَ بَنُو العَادِل: الكَامِلُ والأشْرَفُ والمُعَظَّم، لَمَّا تُوفِّيَ أبُوهم قَدِ اسْتَقَلَّ كُلُّ واحِدٍ [منهم][ج] بعَمَلِه الَّذي عَهِد لَه بِهِ أبُوه، وكَانُوا جَمِيعًا يَرْجِعُونَ إلى الكَامِلِ وفي طَاعَتِه[6].

(أ) في ظ: وما إليهما، وما اثبتناه من س. (ب) من س، وفي ظ: في لي. (ج) من س، وفي ظ: منهما.

(1) بدأ الأوحد زحفه سنة 603 هـ، واستولى على خلاط سنة 604 هـ، ينظر ما سبق بهذا الجزء، وراجع الكامل 12: 272 – 273، نهاية الأرب 29: 43 – 44.

(2) في الأصول: سبع، والتصويب مما سبق، ومن وفيات الأعيان 5: 330، نهاية الأرب 29: 62.

(3) في الكامل 12: 398: وأخذ منه مدينة الرها ومدينة سروج.

(4) في الكامل 12: 421: ذكرها ضمن أحداث سنة 621 هـ.

(5) الكامل 12: 421.

(6) المصدر نفسه 12: 463.

ثُمّ بَغَى المُعَظَّمُ عِيسَى عَلَى صَاحِبِ حَمَاةَ النَّاصِرِ بنِ المَنْصُور بن المُظَفَّر، وزَحَفَ سَنَةَ تِسْعَ عَشرةَ إلى حَمَاة فحَاصَرَها، وَامْتَنَعَت علَيه، فسَارَ إلى سَلَمِيَّة والمعَرَّة مِن أعْمَالِها فمَلَكَها، وبَعَثَ إلَيه الكَامِلُ صَاحِبُ مِصْرَ بالنَّكِيرِ والإفْراجِ عَنِ البَلَدَيْنِ، فامْتَثَلَ، واضْطَغَنَ ذلك عَلَيه، وأقْطَعَ الكَامِـلُ سَلَمِيَّةَ لنَزِيلِه المُظَفَّرِ بن المَنْصُور أخِي صَاحِبِ حَمَاةَ[1].

وكَشَفَ المُعَظَّمُ قِنَاعَه عَن فِتْنَةِ أخَوَيْه: الأشْرَف والكَامِل، ورَاسَلَ مُلُوكَ الشَّرْقِ يَدْعُوهم للمظَاهَرَة عَلَيهِمَا، وكَانَ جَلَالُ الدِّين مُنْكبرْتي بنُ عَـلَاءِ الدِّين خُوَارِزْم شَاه قد رَجَعَ[ا] مِن الهِندِ بَعْدَمَا غَلَبَه الطَّطَرُ عَلَى خُوَارِزْمَ وخُرَاسَان وغَزْنَةَ وعِرَاقِ العَجَم وأَجَازَ إلى الهِنْد، ثُمّ رَجَعَ سَنَةَ إحْدى وعِشْرِين وسِتِّ مِائَةٍ[ب] فاسْتَوْلَى عَلَى فَارِس وغَزْنَةَ وعِرَاق العَجَم وأذْرَبِيجَان، ونَزَل تَورِيز، وجَاوَرَ بَنِي أيُّوبَ في أعْمَالِهم، فَرَاسَلَه المُعَظَّمُ صَاحِبُ دِمَشْقَ وصَالَحَهُ وَاسْتَنْجَدَه عَلَى أخَوَيهِ فأَجَابَه.

ودَعَـا المُعَظَّـمُ الظَّـاهِرَ أخَـا[ج] الأشْرَف، وعَامِلَه عَـلَى خِـلَاط، والمُظَفَّـرَ كُوكَبُورِي صَاحِبَ إرْبِلَ إلى ذَلِك[د]، فأَجَابُوه كُلُّهم.

وانتَقَضَ الظَّاهِرُ غَازِي عَلَى أخِيه الأشْرَف في خِلَاط وأرْمِينِيَة، وأظْهَرَ عِصْيَانَه في وِلَايَتِه الّتي بِيَدِه، فسَارَ إلَيه الأشْرَفُ سَنَةَ إحْدَى وعِشْرِين، وغَلَبَه عَلَى

(ا) قد رجع مكررة في ظ. (ب) سقط من س. (ج) في ظ: أخاه. (د) في س: في هذه إلى ذلك: ومشطوب على في هذه.

(1) وذلك سنة 620 هـ، ينظر مفرج الكروب 4: 128 – 129.

خِلَاط، فملكها ووَلَّى عليها حُسَامَ الدِّين أبا عَلِيّ المَوْصِلي[1]، كان أصْلُه مِنَ المَوْصِل، واسْتَخْدَمَ للأشْرَف وتَرَقَّى في خِدْمَتِه إلى أن وَلَّاه خِلَاط. وعَفَا الأشْرَف عن أخِيه الظَّاهِر غَازِي[أ]، وأقَرَّه عَلَى / [290 ا] مَيَّافارِقِين[2].

وَسَارَ المُظَفَّرُ صَاحِبُ إربِلَ في هَذه السَّنَة إلَى المَوصِل، ولَوْلَوْ صَاحِبُها في طَاعَةِ الأشْرَف، فَحَاصَرَها، وَامْتَنَعَت عَلَيه ورَجَع عَنها[3].

وَسَارَ المُعَظَّمُ بنَفْسِه مِن دِمَشْقَ إلى حِمْص، وصَاحِبُها شِيرْكُوه بنُ مُحَمَّد بن شِيرْكُوه في طَاعَةِ الكَامِل، فحَاصَرَها وامتَنَعَت عَلَيه، ورَجَعَ إلى دِمَشْق.

ثُمَّ سَارَ الأشْرَفُ إلى المُعَظَّم عِيسَى طَالباً للصُّلح فأمْسَكَه عِنْدَه، ثُمَّ صَالَحَهُ عَلَى أن [يَنْحَرِفَ][ب] عَن طاعَةِ الكَامِلِ وَوِفاقِه، فَقَبِلَ مُكْرَهاً، وَانطَلَقَ إلى بِلَادِه فَاسْتَقَرَّ[ج] عَلَى شَأنه[4].

ثُمَّ زَحَفَ جَلَالُ الدِّين صَاحِبُ أذْرَبِيجَان سَنَةَ أرْبَعٍ وعِشْرِينَ[5] إلى خِلَاط فَحَاصَرَها مَرَّةً بعْدَ مَرَّة، وَأفْرَجَ عَنْها، فَسَارَ حُسَامُ الدِّين نَائِبُها إلى بِلَادِ جَلَالِ الدِّين[6]، ومَلَكَ بَعْضَ حُصُونِها، وَاضْطَرَبَ الحَالُ بَيْنَهم[7].

(أ) في س: غاز. (ب) من س، وفي ظ: يحرف. (ج) في س: فاستمر.

(1) في الكامل 12: 485: حسام الدين علي بن حماد.
(2) الكامل 12: 422.
(3) في الكامل 12: 423: لتسع بقين من جمادى الآخرة 621 هـ. وفي مفرج الكروب 4: 139: لسبع بقين من جمادى الآخرة.
(4) الكامل 12: 463 – 464.
(5) نازل جلال الدين مدينة خلاط يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة 623 هـ. الكامل 12: 461.
(6) في هذه السنة (624 هـ) في شعبان، الكامل 12: 471.
(7) الكامل 12: 461، 471.

وَخَشِيَ الكَامِلُ مَغَبَّةَ الأَمْرِ مع المُعَظَّم بمَالأَتِه لِجَلَالِ الدِّين والخَوارِزْمِيَّة، فاسْتَنْجَدَ هُوَ بالفِرنْجِ، وكَاتَبَ الإنبرذُور مَلِكَهم[1] وراءَ البَحْرِ يَسْتَحِثُّه للقُدُوم عَلَى عَكَّا في صَرِيخِه، عَلَى أن يَنْزِلَ له عَن القُدْس، وبَلَغ ذَلِك إلى المُعَظَّم، فَخَشِيَ العَواقِبَ، وَأَقْصَرَ عَنْ فِتْنَتِه، وكَتَبَ إلَيْه يَسْتَعْطِفُه.

وَفَاةُ المُعَظَّم صَاحِب دِمَشْقَ وَوِلَايَة ابنه النَّاصِر، ثُمَّ اسْتِيلاءُ الأَشْرَفِ عَلَيْهَا واعتِيَاضُ النَّاصِر بالكَرَك

ثُمَّ تُوفِّيَ المُعَظَّمُ بنُ العَادِلِ صَاحِبُ دِمَشْقَ سَنَةَ أَرْبعٍ وعِشْرِينَ[2]، وَوَلِيَ مَكَانَه ابنُه دَاوُدُ ولُقِّبَ النَّاصِر[3]، وقَامَ بتَدْبِير مُلْكِه عِزُّ الدِّين أَيْبَك خَادِمُ أبيه، وجَرَى عَلَى سَنَنِ المُعَظَّم أَوَّلاً في طَاعَةِ الكَامِلِ والخُطْبَةِ لَه، ثُمَّ انتَقَضَ سَنَةَ خَمْسٍ وعِشْرِين عِنْدَمَا طَلَبَه الكَامِلُ في النُّزُولِ لَهُ [عَنِ](أ) حِصْنِ الشَّوْبَك، فامْتَنَعَ وَانْتَقَضَ، وسَارَ الكَامِلُ إلَيْه في العَسَاكِرِ فانْتَهى إلَى غَزَّة، وَانْتَزَعَ القُدْسَ ونَابُلُسَ مِن أَيْدِيهم، ووَلَّى عَلَيْهَا مِن قِبَلِه، وَاسْتَنْجَدَ النَّاصِرُ بعَمِّه الأَشْرَفِ فَجَاءَه إلَى دِمَشْقَ[4]،

(أ) من س، وفي ظ: على.

(1) في الكامل 12: 478: ولقبه أنبرور، والمقصود الإمبراطور فردريك باربروسا الثاني Frederick II.

(2) في وفيات الأعيان 3: 495: مستهل ذي الحجة، وفي الكامل 12: 471: سلخ ذي القعدة، وينظر مفرج الكروب 4: 208، نهاية الأرب 29: 143.

(3) الكامل 12: 472.

(4) الكامل 12: 480، 483.

|290ب| وخرجَ معَه إلى نابُلُس، ثُمّ تقدَّمَ مِنها إلى الكامِلِ ليُصلِحَ / أمرَ النّاصِرِ معَه، فدَعاه الكامِلُ إلى انتِزاعِ دِمَشْقَ مِنَ النّاصِرِ لَه، وأقْطعَه إيّاها، فلَم يُجِبِ النّاصِرُ إلى ذلك، وعَادَ إلى دِمَشق، فحَاصَرَه الأشْرَف.

ثُمّ صَالَحَ الكَامِلُ مَلِكَ الفِرنْج ليَفرَغَ لأمرِ دِمَشْقَ عَنِ الشَّواغِلِ، وأمْكَنَهم مِن القُدسِ [عَلَى][1] أنْ يُخرِّبَ سُورَها، فاسْتَوْلُوا عَليها كذَلك[2].

وزَحَفَ الكَامِلُ إلى دِمَشْقَ سَنَةَ سِتٍّ وعِشْرِينَ فحَاصَرَها معَ الأشْرَف، وضَاقَ الحِصَارُ بالنّاصِرِ فنَزَلَ لهمَا عَنها عَلَى أن يَستَقِلَّ بالكَرَكِ والشَّوبَكِ والبَلْقَاءِ والأغْوَار، فَسلَّمُوا لَه في ذَلك، فسَارَ[ا] إليها[3].

واسْتَوْلَى الأشْرَفُ عَلَى [دِمَشْق][ب]، ونَزَلَ للكَامِلِ عَن أعْمَالِه بالجَزِيرَة[4]، وهِي: حَرَّانُ، والرُّهَا، ومَا إليهِمَا، وبمكانِهمَا مِن حِصَارِ دِمَشْق[5].

ووَصَلَ الخَبَرُ إلى الكَامِلِ [وهو عَلَى حِصَارِ دِمَشْقَ][6] بوفَاةِ ابنِه المسْعُودِ صَاحِبِ اليَمَن، وقَد مَرَّ خَبَرُه.

(ا) في س: وسار. (ب) من س.

---

(1) الكامل 12: 483 – 484.
(2) إضافة للتوضيح يقتضيها السياق، وينظر الكامل 12: 483.
(3) الكامل 12: 484، وينظر مفرج الكروب 4: 256 – 257.
(4) تسلم الملك الأشرف دمشق في أواخر شعبان 626 هـ، وفيات الأعيان 5: 332.
(5) الكامل 12: 484.
(6) من المختصر 3: 142، وينظر مفرج الكروب 4: 259، وما سبق ص 182.

اسْتيلاءُ المظَفَّرِ بنِ المنْصُورِ علَى حَمَاةَ مِن يَدِ أخِيه النَّاصِرِ

ولَمّا مَلَكَ الكَامِلُ دِمَشقَ[1] شَرعَ في إنْجادِ نَزيلِه المظَفَّر مَحْمُودِ بن المنْصُورِ صَاحِبِ حَمَاة، وبِها أخُوه النَّاصِرُ، وَقَد كَاتَبَهُ بَعْضُ أهْلِ البَلَد يَسْتَدْعُونه لمُلْكِها، فَجَهَّزَه بالعَسَاكِرِ، وَسَارَ إليها فحَاصَرَها، ودَسَّ لمنْ كاتَبَه مِن أهْلِها فأجَابُوه وواعَدُوه لَيْلاً فطَرَقَها وتَسَوَّرَها ومَلَكَها[2].

وَكَتَبَ إلَيه الكَامِلُ أنْ يُقْطِعَ النَّاصِرَ قَلْعَةَ بَارِينَ فأَقْطَعَهَا إيَّاه، وَانْتَزَعَ الكَامِلُ مِنه سَلَمِيَّةَ وأَقْطَعَها لصَاحِبِ حِمْص شِيرْكُوه بنِ مُحَمَّدِ بن شِيرْكُوه، واسْتَقَلَّ المظَفَّرُ مَحْمودٌ بمُلْكِ حَمَاة[3].

وفَوَّضَ[4] أُمُورَ دَوْلتِه إلى حُسَام الدِّين عَلِيِّ بنِ أبِي عَلِيٍّ الهذبانيِّ فقَامَ بِها، ثُمّ اسْتَوْحَشَ مِنه فلَحِقَ بابنِه الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب.

ولَم تَزَلْ بَارِينُ بيَدِ النَّاصِر أخِي المظَفَّر إلَى سَنَةِ ثَلاثِين، فهَمَّ النَّاصِرُ بأن يُمَلِّكَها للفِرنْج، وَشَكَا المظَفَّرُ [بذلك][أ] للكَامِلِ، فأمَرَه بانْتِزَاعِها مِنه، فانْتَزَعَها[ب]، ثُمّ اعْتَقَلَه الكَامِلُ إلى أنْ [هَلَكَ][ج] سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِين.

(أ) من س، وفي ظ: لذلك. (ب) سقط من س. (ج) من س، وفي ظ: هلك منه.

(1) تسلم الملك الكامل دمشق لاستقبال شعبان من السنة (626 هـ) بنوابه، وفيات الأعيان 5: 332.

(2) الكامل 12: 487.

(3) المختصر 3: 144.

(4) المقصود الملك الكامل، ينظر ما يلي.

اسْتِيلاءُ الأَشْرَف عَلَى بَعلَبكّ من يد الأَمْجَد وإِقْطَاعُها لأَخِيه إسْمَاعِيلَ بنِ العَادل

[291 أ] كَان السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّين قد أَقْطَعَ الأَمْجَدَ بَهرام شَاه بن فَرُّخْشَاه / أَخِي تَقِي الدِّين عُمَر بن شَاهِنشَاه بن أَيُّوبَ قَلْعَةَ بَعْلَبَكّ، وكَانَت بُصْرى لابنه خَضِر، ثُمّ صَارَت بَعْدَ وَفَاةِ العَادِل لابنِه الأَشْرَف وعَلَيها أَخُوه الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بنُ العَادِل، فَجَهَّزَه سَنَةَ سِت وعِشْرِينَ إلى بَعْلَبَكّ وحَاصَر بِها الأَمْجَدَ حَتَّى تَسَلَّمَها مِنه عَلَى إِقْطَاعٍ أَقْطَعَه [إِيَّاه](أ)، وَسَارَ [الأَمْجَدُ](1) إلى دِمَشْق فنزلَها، إلى أن قَتَلَهُ مَوَالِيه(2).

فِتْنَةُ جَلَالِ الدِّين خُوَارِزْم شَاه مَعَ الأَشْرَف، واستِيلاؤُه عَلَى خِلاط

قَد كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ جَلَالَ الدِّين خُوَارِزْم شَاه مَلَكَ أَذْرَبِيجَان، وجَاوَرَ أَعْمَالَ بَنِي أَيُّوب، وكَان الأَشْرَفُ قَدْ وَلَّى عَلَى خِلَاط، لَمَّا انْتَزَعَها مِن يَدِ أَخِيه غَازِي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وعِشْرِين، حُسَامَ الدِّين أَبا عَلِيّ المَوْصِلِي(3)، ثُمّ صَالَحَ المُعَظَّمُ، صَاحِبُ دِمَشْق، جَلَالَ الدِّين خُوَارِزْم شَاه ودَعَاه إلى الفِتْنَة مَعَ أَخَوِيه، كَما قُلْنَاه.

(أ) من س، وفي ظ: إياها.

---

(1) في الأصول: إسماعيل، والتصويب يتفق والأحداث، ويراجع وفيات الأعيان 2: 453، نهاية الأرب 29: 162.

(2) في وفيات الأعيان 2: 453: ثاني عشر شوال سنة 628 هـ.

(3) في الكامل 12: 485: حسام الدين علي بن حماد.

وزَحَفَ(أ) جَلَالُ الدِّين إلى خِلَاط وحَاصَرَها مرَّتَين، ورَجَع عنْها، فسَارَ حُسَامُ الدِّين إلى بِلَادِه ومَلَكَ بَعْض حُصُونِه، ودَاخَلَ زَوْجَته التي كَانَت زَوْجَةَ أُزْبَك ابنِ البَهْلَوَان، وكَانَت مُقِيمَةً بِخُوَيّ(1)، وقَد هَجَرَها جَلَالُ الدِّين وقَطَعَ عنْها مَا كَانَت تعْتَادُه مِن التَّحَكُّم في الدَّوْلَة معَ زَوْجِها قَبْلَه، فدَسَّت إلَى حُسَام الدِّين، نائِب خِلَاط، وَاسْتَدْعَتْه هِيَ وأَهْلُ خُوَيّ ليُمَلِّكُوه البِلَادَ، فسَارَ ومَلَكَ خُوَيّ وما إلَيها مِن الحصُون، ومَدِينَةَ مَرَنْدَ(2).

وكَاتَبَه أَهْلُ نَقْجُوَانَ(3) وَمَلَّكُوه بِلَادَهم(ب)، وَعَادَ إلى خِلَاط، ونَقَلَ مَعَه زَوْجَةَ جَلَالِ الدِّين، وهِيَ بِنْتُ السُّلْطَان طُغْرُل، فَامْتَعَضَ جَلَالُ الدِّين لذَلِك.

ثُمّ ارْتَابَ الأَشْرَفُ بحُسَام الدِّين نَائِبِ خِلَاط، وأَرْسَلَ أَكْبَرَ أُمَرَائِه عِزَّ الدِّين أَيْبَك فقَبَضَ عَلَى حُسَام الدِّين، وكَانَ عَدُوّاً لَه، وقَتَلَه غِيلَةً، وَهَرَبَ مَوْلَاه فلَحِقَ بجَلَالِ الدِّين، ثُمّ زَحَفَ جَلَالُ الدِّين في شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وعِشْرِين إلى خِلَاطَ فحَاصَرَها ونَصَبَ علَيها المَجَانِيق، وَقَطَعَ عَنْها المِيرَةَ مُدَّةً مِن ثَمَانِيَةِ أَشْهُر، ثُمّ أَلَحَّ عَلَيها بالقِتَال، وَمَلَكَها عَنْوَةً آخِر(4) جُمَادَى الأُولَى مِن سَنَة سَبْعٍ وَعِشْرِين وَامْتَنَعَ أَيْبَكُ وحَامِيتُها بالقَلْعَة، وَاسْتَبَاحَ جَلَالُ الدِّين مَدِينَةَ خِلَاطَ وعَاثَ فيها بِمَا / [291 ب]

(أ) في س: فزحف. (ب) في س: بلدهم.

(1) خوي، تصغير خَوّ: من مدن أذربيجان، معجم البلدان 2: 402.

(2) الكامل 12: 471، بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة، من مدن أذربيجان، معجم البلدان 5: 110.

(3) نخجوان: بلد بأقصى أذربيجان من نواحي أرّان، معجم البلدان 5: 276، 298.

(4) في الكامل 12: 488: في الثامن والعشرين.

لمْ يُسْمَعْ بمثلِه، ثُمّ تغلّبَ على القَلْعَة، وأسَرَ أيبك نائِب خِلاط، فدَفَعه إلى [مَوْلى][1] حُسَام الدِّين نائِبِها قبْلَه، فقتَلَه بسَيِّدِه[2].

مَسِيرُ الكَامِل في إنْجَاد الأَشْرَف، وهَزِيمَةُ جَلال الدِّين أمامَ الأَشْرَف

وَلمَّا اسْتَوْلَى جَلَالُ الدِّين عَلَى خِلَاط سَارَ الأَشْرَفُ مِن دِمَشْقَ إِلى أخِيه الكَامِل بِمِصْرَ مُسْتَنجِداً، فَسَارَ مَعَه، وَوَلّى عَلَى مِصْرَ ابْنَه العَادِل، وَلَقِيَهُ في طَرِيقِه صَاحِبُ الكَرَكِ النَّاصِرُ بنُ المُعَظَّم، وصَاحِبُ حَمَاةَ المظَفَّرُ بنُ المنْصُور، وسَائِرُ مُلُوكِ بَنِي أيُّوب، وانْتَهى إلى سَلَمِيَّةَ وكُلُّهم في طَاعَتِه، ثُمّ سَارَ إلى آمِدَ فَملَكَها مِن يدِ مَسْعُودِ بنِ مَحْمُودِ الصَّالح بن مُحمَّدِ بن قَرَا أرْسَلانَ بن سُقْمَانَ بن أرْتُق، وكَان صَلَاحُ الدِّين أقْطَعَه إيّاهَا عِنْدَمَا مَلَكها منَ ابنِ نِيسَان، فلمّا نَزَلَ إليْه اعْتَقَلَه وَمَلَكَ آمِدَ[3]، ثُمّ انطَلَق بَعْدَ وَفاة الكَامِل منَ الاعْتِقَالِ ولَحِقَ بالطَّطَر[4].

ثُمّ اسْتَوْلَى الكَامِلُ عَلَى البِلادِ الشَّرْقِيَة الّتِي نَزَلَ لهُ الأَشْرَفُ عَنها عِوَضاً عن دِمَشْق، وهِيَ: حَرَّانُ، والرُّهَا، ومَا إليهِمَا، ولمّا تَسَلَّمَهَا وَلّى علَيها ابنَه الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّين أيُّوب[5].

---

(1) في الأصول: موالى، والتصويب من مفرج الكروب 4: 264.
(2) الكامل 12: 486، وينظر مفرج الكروب 4: 264.
(3) سنة 629 هـ، ينظر مفرج الكروب 5: 17 - 18.
(4) المختصر 3: 152، وينظر مفرج الكروب 5: 18.
(5) مفرج الكروب 5: 134.

وكَان جلَالُ الدِّين لمَّا مَلَكَ خِلَاطَ حضَر مَعه صَاحِبُ أرزَنِ الرُّوم[1]، فَارْتَغم[2] لذَلك عَلَاءُ الدِّين كيقُبَاذ مَلِكُ بلادِ الرُّوم، لِمَا بَيْنَه وبَين صَاحِب أرزَن مِن العَدَاوَة والقَرابَة، وخَشِيَهُمَا عَلَى مُلْكِه، فَبَعَثَ إلى الكَامِلِ والأَشْرَفِ، وهُمَا بحرَّان يَسْتَنْجِدُهما، ويَسْتَحِثُّ الأشْرَف للوصُولِ، فَجَمَعَ عَسَاكرَ الجَزيرَة[أ] والشَّام، وسَارَ إلى عَلَاءِ الدِّين، فَاجْتَمَعَا بسِيوَاس، وسَارَ نَحْوَ خِلَاط[ب]، وسَارَ جَلَالُ الدِّين للقَائِهمَا، وَالتَقَوْا بأَعْمَالِ أرزَنْكَان[3]، وتَقَدَّمَ عَسْكرُ [حَلَبَ][ج] للقتَالِ، ومُقَدَّمُهم عِزُّ الدِّين عُمَرُ بنُ عَلِيٍّ الهَكَّارِيُّ مِن أعْظَمِ الشُّجْعَان، فلَم يَثْبُتْ لَهم مَصَافُّ جَلَالِ الدِّين وَانْهَزَمَ إلى خِلَاط، فَأَخْرَجَ حَامِيَتَه مِنْها، ولَحِقَ بأذْرَبِيجَان، ووَقَفَ الأَشْرَفُ عَلَى خِلَاطَ وهِيَ خَالِيَةٌ[4].

وَكَانَ صَاحِبُ أرزَنِ الرُّوم معَ جَلَالِ الدِّين، / فَجِيءَ بِه أَسِيراً إلى ابنِ عَمِّه [292 أ]
عَلَاءِ الدِّين صَاحِبِ بلادِ الرُّوم، فَسَارَ بِه إلى أرزَن وَسَلَّمَها لَه ومَا يَتْبَعُها مِنَ القِلَاع[5].

ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرُّسلُ بَيْنَهم وبَينَ جَلَالِ الدِّين في الصُّلحِ، فَاصْطَلَحُوا كُلٌّ عَلَى مَا بِيَدِه، وتَحَالَفُوا[6].

(أ) في س: العساكر بالجزيرة. (ب) في س: نحو جلال الدين. (ج) من س، وفي ظ: الحلب.

(1) هو طغرل شاه بن قلج أرسلان، ابن عم كيقباذ: الكامل 12: 479، نهاية الأرب 27: 303.
(2) كذا في الأصول، من أفعال المطاوعة، بمعنى أذِلَّ عن كُرْه.
(3) وبالجيم بدل الكاف، من بلاد أرمينية قريبة من أرزن. معجم البلدان 1: 150.
(4) الكامل 12: 490، وينظر مفرج الكروب 4: 297 - 299.
(5) الكامل 12: 490.
(6) المصدر نفسه 12: 491.

وَعَادَ الأَشْرَفُ إِلى سِنْجَار، وسَارَ أَخُوه غَازِي صَاحِبُ مَيَّافَارِقِين، فَحَاصَرَ مَدِينَةَ أَرزَن مِن دِيارِ بَكْر، وكَان [صَاحِبُها][1] حَاضِراً معَ الأَشْرَفِ في هَذِه الحَرْب، وأَسَرَه جَلَالُ الدِّين ثُمَّ أَطْلَقَه بَعْدَ أَن أَخَذَ عَلَيه العُهُودَ في طَاعَتِه، فسَارَ إِليه شِهَابُ الدِّين غَازِي وحَاصَرَه، ومَلَكَ مِنه أَرزَن صُلحاً، وأَعْطَاه عَنْها مَدِينَةَ حَانِي مِن دِيارِ بَكْر، وكَان اسْمُه حُسَامَ الدِّين، وهُوَ مِن بَيْتٍ عَرِيقٍ فِي المُلْكِ يُعْرَفُونَ بِبَنِي الأَحْدَب، أَقْطَعَها لَهم السُّلْطَانُ مَلِكْشَاه[2].

اسْتِيلاءُ العَزِيزِ صَاحِب حَلَبَ عَلَى شَيْزَر، ثُمَّ وَفَاتُه، ووِلَايَةُ ابْنِه النَّاصِرِ بَعدَه

كَان سَابِقُ الدِّين عُثْمَانُ بنُ الدَّايَة مِن أُمَرَاءِ العَادِلِ نُورِ الدِّين بن زَنْكِي، وَاعْتَقَلَه ابْنُه الصَّالِحُ[أ] إِسْمَاعِيل، فَنَكِرَ عَلَيه صَلَاحُ الدِّين ذَلك، وسَارَ بِسَبَبِه إِلى دِمَشْقَ فَمَلَكَها، وأَقْطَعَ سَابِقَ الدِّين شَيْزَر، فَلَم تَزَلْ لَهُ ولِبَنِيه إِلى أَنِ اسْتَقَرَّت لِشِهَابِ الدِّين يُوسُفَ بنِ مَسْعُود بنِ سَابِقِ الدِّين، فَسَارَ إِلَيه صَاحِبُ حَلَبَ مُحَمَّدٌ العَزِيزُ بنُ غَازِي الظَّاهِر، بأَمْرِ الكَامِلِ سَنَةَ ثَلاثِينَ وسِتِّ مِائَة، وَمَلَكَها مِن يَدِه[3]، ثُمَّ هَلَكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثِين، ومَلَكَ في حَلَبَ مَكَانَه ابْنُه النَّاصِر يُوسُفُ[4] في

(أ) في س: الصالح نجم الدين.

---

(1) من الكامل 12: 491.

(2) الكامل 12: 491 – 492.

(3) المختصر 3: 153.

(4) وعمره إذ ذاك نحو سبع سنين. المختصر 3: 158.

كَفَالة جَدَّتِه لأبيه صَفِيةَ[1] خَاتُون بِنْتِ العَادِل، وَاسْتَوْلَى عَلَى الدَّوْلة شمسُ الدِّين لُؤلؤٌ الأرْمَنيّ، وعِزُّ الدِّين بنُ مُجَلِّي، وإقْبَال الخَاتُون، وكُلُّهم في تَصْرِيفِها[2].

فِتْنَةُ كَيْقُبَاذَ صَاحِب بِلادِ الرُّومِ، واسْتِيلاؤُه عَلَى خِلاط

كَانَ [كَيْقُبَاذُ][أ] بنُ كِيكَاوس، مَلِكُ[ب] بِلَادِ الرُّوم، قَدِ اسْتَفْحَلَ مُلْكُه بِبِلَادِ الرُّومِ، ومَدَّ يَدَه إلى مَا يُجَاوِرُه مِن البِلادِ، فَمَلَكَ خِلَاطَ بعْدَ أن دَافَعَ عَنْها مَعَ الأشْرَفِ جَلالِ الدِّين خُوارِزْم شَاه، كَمَا قَدَّمْنَاه، ونَازَعَه الأشْرَفُ في ذَلك، وَاسْتَنْجدَ [292 ب] / بأخِيه الكَامِل، وَسَارَ في العَسَاكِرِ[ج] مِن مِصْر سَنَةَ إحْدَى وثَلاثِين[د]، وَسَارَ مَعَه الملوكُ مِن أهْلِ بَيْتِه، وَانْتَهى إلى النَّهرِ الأزْرَق[3] مِن تُخُوم الرُّومِ، وبعَثَ في مُقَدِّمَتِه المظَفَّرَ صَاحِبَ حَمَاة، مِنْ أهْلِ بَيْتِه، فلَقِيه كَيْقُبَاذ وَهَزَمَه وَحَصَرَه في خَرْتَبِرْت، وتَخَاذَل البَاقُونَ عَنِ الحَرْبِ، ثُمّ اسْتَأْمَنَ المظَفَّرُ صَاحِبُ حَمَاةَ إلى كَيْقُبَاذ فَأمَّنَه، ومَلَكَ خَرْتَبِرْت، وكَانَت لبَنِي أرْتُق[4].

ورَجَعَ الكَامِلُ بالعَسَاكِرِ إلى مِصْرَ سَنَةَ اثنَتَينِ وثَلاثِين، وكَيْقُبَاذ في اتّباعِهم،

(أ) من س، وفي ظ: قيقباذ. (ب) في س: صاحب. (ج) في س: بالعساكر. (د) في الأصول: وثلاثين وانتهى.

---

(1) في المختصر 3: 158: ضيفة، وهي صفية خاتون بنت الملك العادل، وزوج الظاهر غازي، وأم العزيز، وجدة الناصر، وفيات الأعيان 4: 10.

(2) المختصر 3: 154 – 155.

(3) ذكر ياقوت هذا النّهر مضافاً إلى اسم الأزرق وليس نعتاً له: نهر الأزرق. معجم البلدان 5: 317.

(4) المختصر 3: 155، مفرج الكروب 5: 80 – 81: لسبع بقين من ذي القعدة 631 هـ.

ثُمّ سَارَ إلى حَرّان والرُّها فَمَلَكَها مِن يَدِ نُوّابِ الكَامِل، وَوَلّى عَلَيْهِمَا مِن قِبَلِه، وسَارَ الكَامِلُ سَنَةَ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ فارْتَجَعَهُمَا[1].

وَفَاةُ الأَشْرَفِ بنِ العَادِل، واسْتِيلاءُ الكَامِلِ عَلَى دِمَشق

كَانَ الأَشْرَفُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثِينَ قَدِ اسْتَوْحَشَ مِن أَخِيه الكَامِل، ونَقَضَ طَاعَتَه، ومَالأَه عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ حَلَبَ، وكَيخِسْرُو صَاحِبُ بِلَادِ الرُّوم، وجَمِيعُ مُلُوكِ الشَّامِ مِن قَرَابَتِهِمَا، غَيْرَ النَّاصِرِ بنِ المُعَظَّم، صَاحِب الكَرَك، فإنّه أَقَامَ عَلَى طَاعَةِ الكَامِل، وسَارَ إليه بِمِصْرَ فتَلَقَّاه بالمَبَرَّةِ والتَّكْرِمَة.

ثُمّ هَلَكَ الأَشْرَفُ خِلالَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ[2]، وَعَهِدَ بِمُلْكِ دِمَشْقَ لأَخِيه الصَّالِحِ إسْمَاعِيل، صَاحِبِ بُصْرَى، فَسَارَ إِلَيْهَا ومَلَكَهَا، وبَقِيَ المُلُوكُ فِي وِفَاقِه عَلَى [أَخِيه][3] الكَامِلِ كَمَا كَانُوا مَعَ [أَخِيه][4] الأَشْرَف، إلّا المُظَفَّرَ، صَاحِبَ حَمَاة، فإنه عَدَلَ عَنْهم إلى الكَامِل[5]. وسَارَ الكَامِلُ إلى دِمَشْقَ[6] فحَاصَرَها وضَيَّقَ عَلَيْها حَتّى تَسَلَّمَها صُلْحاً مِن الصَّالِح، وعَوَّضَه عنها بَعْلَبَكّ، واسْتَوْلَى عَلَى سائِرِ أَعْمَالِ الأَشْرَف، ودَخَلَ سَائِرُ بَني أَيُّوبَ في طَاعَتِه[7].

---

(1) المختصر 3: 157 - 158، وينظر مفرج الكروب 5: 109 – 110.

(2) في وفيات الأعيان 5: 333، نهاية الأرب 29: 218: رابع المحرم.

(3) في الأصول: عمه، والتصويب يقتضيه ترابط النسب.

(4) في الأصول: أبيه، وصوبناه.

(5) المختصر 3:160، وينظر مفرج الكروب 5: 148.

(6) في جمادى الأولى سنة 635 هـ: المختصر 3: 160.

(7) المختصر 3: 160-161، مفرج الكروب 5: 150 – 153.

وَفَاةُ الكَامِلِ، وولايةُ ابْنِه العَادلِ بِمِصْر واسْتِيلاءُ ابْنِهِ الآخَرِ نَجْمِ الدِّينِ أيوبَ عَلَى دِمَشْق

ثُمَّ تُوفِّي الكَامِلُ بنُ العَادِلِ صَاحِبُ مِصْرَ والشَّامِ والجزيرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ / وثَلاثِينَ[1] بدِمَشْق، لِستَّةِ أشْهرٍ مِن وفاةِ أخيه الأشْرَف، فانفَضَّ المُلُوكُ راجِعينَ [293 أ] إلى بلادِهِم: المظَفَّرُ إلى حَمَاة، والنَّاصِرُ دَاوُدُ إلى الكَرَك، وبُويعَ بمِصْرَ ابنُه العَادِلُ أبُو بَكْر، فنَصَّبَ العَسْكَرُ بدِمَشْقَ الجوادَ يُونُسَ ابنَ عَمِّه مَوْدُود بن العَادِلِ نَائباً عنه[2].

وسَارَ النَّاصِرُ دَاوُدُ إلى دِمَشْقَ ليَمْلِكَهَا، فبَرَزَ إليه الجوادُ يُونُسُ وهَزَمَه، وتَمكَّنَ في مُلْكِ دِمَشْق، وخَلَعَ طَاعَةَ العَادِلِ بن الكَامِل، ورَاسَلَ[أ] الصَّالحَ أيُّوبَ في أنْ يُمَلِّكَه دِمَشْقَ ويَنزِلَ لهُ الصَّالِحُ عَن البلادِ الشَّرقيةِ الَّتِي وَلَّاه أبُوه عَلَيها، فَسَارَ الصَّالِحُ لذَلكَ سَنَةَ سِتٍّ وثَلاثِينَ[3] ومَلَكَ دِمَشْقَ[4].

وَسَارَ يُونُسُ إلى البِلادِ الشَّرقيةِ فاسْتَوْلَى عَلَيها، فَلَم تَزَل بِيدِه إلى أن زَحَفَ عَلَيه[ب] لُؤلُؤٌ صَاحِبُ المَوْصِلِ وغَلَبَه عَلَيها، واسْتَقَرَّت دِمَشْقُ في يدِ الصَّالِح.

(أ) في س: وأرسل. (ب) في س: إليه.

---

(1) في وفيات الأعيان 5: 92، ومفرج الكروب 5: 155: لتسع بقين من شهر رجب سنة 635 هـ.

(2) المختصر 3: 161، مفرج الكروب 5: 172 - 173.

(3) في وفيات الأعيان، نهاية الأرب 29: 243: مستهل جمادى الآخرة.

(4) المختصر 3: 163، مفرج الكروب 5: 200، 202 - 203.

وَلَمَّا أَخذَ لُؤلُؤٌ البِلادَ مِن يُونُس الجوَادِ، سَارَ عَلَى القَفْرِ إلى غزَّة، فمنعَهُ الصَّالِحُ مِنَ الوصُولِ إليه، فدَخلَ إلى الفِرنج بعكَّا، وباعُوه مِنَ الصَّالِح إسْماعِيل، صَاحِبِ دِمَشْق، فاعْتَقَلَه وقتَله[1].

أَخبارُ الخُوارِزمِيَّة

ثُمَّ زَحَفَ الطَّطَرُ إلى أذْرَبِيجَانَ واسْتَولَوْا عَلَى جَلالِ الدِّين وقتَلُوه سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرِين، وَانفَضَّ أَصْحَابُه وذَهَبُوا في كُلِّ نَاحِيَة، وَسَارَ جُمهورُهم إلى بِلادِ الرُّوم، ونَزَلُوا عَلَى عَلاءِ الدِّين كَيقُبَاذ، مَلِكِها، حَتَّى إذَا مَاتَ ومَلَكَ ابنُه كَيخِسْرُو وَارتَابَ بهم وقَبَضَ عَلَى أُمَرَائهم، وانفضَّ البَاقُون عَنه وعَاثُوا في الجِهَاتِ، فَاسْتَأْذَن الصَّالِحُ أَيُّوب، صَاحِبُ سِنْجار وَمَا إليها، أَبَاه الكَامِلَ صَاحِبَ مِصْر، في اسْتِخْدَامِهم لِيَحْسِمَ عَنِ البِلادِ ضَرَرَهم، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَه، وأَفَاضَ فِيهم الأَرْزَاق[2].

ولَمَّا تُوفِّي المَلِكُ(ا) الكَامِلُ سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ انتَقَضُوا عَلَى الصَّالِح،
[293 ب] وخَرجُوا، فَاكْتَسَحُوا النَّوَاحِي، وسَارَ لُؤلُؤٌ إلى / سِنْجَارَ فحَاصَرَ الصَّالِحَ[3]، فَبَعَثَ الصَّالِحُ إلى الخُوَارِزمِيَّة فَاسْتَمَالَهم وأَقْطَعَهم حَرَّانَ والرُّهَا، ولَقِيَ بِهم لُؤلُؤاً فَهَزَمَه وغَنِمَ مُعَسْكَرَه[4].

(ا) سقط من س.

(1) في شوال سنة 641 هـ. نهاية الأرب 29: 233، مفرج الكروب 5: 296 - .
(2) المختصر 3: 159، مفرج الكروب 5: 186 - 189.
(3) في ذي القعدة 635 هـ. نهاية الأرب 29: 233.
(4) المختصر 3: 162.

مَسِيرُ الصالح إلى مِصْرَ، واعتِقَالُ الناصرِ له بالكَرَك

ولَمّا مَلَكَ العَادِلُ مِصْرَ(أ) بَعْدَ أبِيه اضْطَرَبَ عَلَيه أَهْلُ الدَّوْلَة، وبَلَغَهُم اسْتِيلاءُ أَخِيه الصَّالِح أَيُّوبَ عَلَى دِمَشْقَ فاسْتَدْعَوه لِيُمَلِّكُوه[1]، فبَعَثَ عَنْ عَمِّه الصَّالِح إسْمَاعِيلَ مِن بَعْلَبَكَّ لِيَسِيرَ مَعَه، فاعْتَذَرَ عنِ الوصُولِ، وسَارَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ إلى مِصْر، وَوَلَّى عَلَى دِمَشْقَ ابْنَه المغِيثَ فَتْحَ الدِّين[2] عُمَرَ. ولَمّا فَصَلَ عَن دِمَشْقَ خَالَفَه إليها عَمُّه الصَّالِحُ إسْمَاعِيل، فَمَلَكَها، ومَعَه شِيرْكُوه صَاحِبُ حِمْص، وقَبَضَ عَلَى المغِيثِ فَتْحِ الدِّين بن الصَّالِح أَيُّوب، وبَلَغَ الخَبَرُ إليه وهُوَ بنَابُلُس، فانْفَضَّتْ عَنه العَسَاكِرُ، ودَخَل نَابُلُسَ، وجَاءَه النَّاصِرُ دَاوُدُ مِنَ الكَرَكِ، فقَبَضَ عَلَيه[3] وَاعْتَقَلَه، وبَعَثَ فِيه أَخُوه العَادِل، فامْتَنَعَ مِن إسْلامِه[4] إلَيه، ثُمّ قَصَدَ دَاوُدُ القُدْسَ فَمَلَكَها مِن يَدِ الفِرِنْجِ وخَرَّبَ القَلْعَةَ[5].

وَفَاةُ شِيرْكُوه صَاحِب حِمْصَ، ووِلايةُ ابْنِه إبْراهِيمَ المنصُور

ثُمّ تُوفِّيَ المُجَاهِدُ شِيرْكُوه بنُ مُحمدِ بن شِيرْكُوه صَاحِبُ حِمْص سَنَةَ [سَبْعٍ][6]

(أ) في س: بمصر.

(1) المختصر 3: 163، مفرج الكروب 5: 206، نهاية الأرب 29: 256.
(2) في نهاية الأرب 29: 250: جمال الدين.
(3) أي: تسليم الصالح أيوب.
(4) المختصر 3: 164 - 165، وينظر تفصيل ذلك في مفرج الكروب 5: 211.
(5) المختصر 3: 165.
(6) في الأصول: ست، وما اعتمدناه من: وفيات الأعيان 2: 480، المختصر 3: 165، مفرج الكروب 5: 254.

وثلاثين[1]، وكانت ولايته أوّلَ المائةِ السّابعة[2]، وَوَلِيَ مِن بعدِه ابنُهُ إبْراهيم، وتلقّب بالمنْصُور[3].

خَلْعُ العَادِلِ واعتِقَالُه، واستيلاءُ أخيه الصَّالحِ أيّوب عَلى مِصْر

وَلمّا رَجَعَ النّاصِرُ دَاوُدُ مِن فتحِ القُدس، أطلقَ الصّالِحَ نجمَ الدّين أيّوبَ مِن الاعْتِقَال، فاجْتَمَعت إليه مَواليه. واتّصلَ اضطِرابُ أهْلِ الدَّوْلَة بمِصْرَ عَلى أخِيه العَادِل، فكَاتَبوا الصَّالِحَ وَاستَدْعَوه ليُملّكوه، فسَارَ ومَعَه / النّاصِرُ دَاوُد، وَانْتهى إلى [294 ا] غزّة، وبَرَزَ العَادِلُ إلى بِلْبيس، وكَتَبَ إلى عَمّهِمَا الصّالِحِ بدِمَشْقَ يَسْتَنْجِدُهُ عَلى أخِيه أيّوب، فسَارَ مِن دِمَشْقَ وانْتَهى إلى الغَوْرِ[4].

ثُمّ وَثَبَ بالعَادِلِ في مُعَسْكَرِه مَوَالِيه ومُقَدَّمُهم أيبَك الأسْمَر، فقَبَضُوا عَلَيه، وبَعَثُوا إلى المَلِكِ الصَّالِح، فجَاءَ ومَعَه النَّاصِرُ دَاوُد صَاحِبُ الكَرَك، فدَخَلَ القَلْعَةَ[5] سَنَةَ سَبْعٍ وثَلاثِين، واستَقَرّ في مُلكِه، وارْتَابَ منه النّاصِرُ دَاوُدُ فلَحِقَ بالكَرَك[6]، واسْتَوْحَشَ مِنه الأُمَرَاءُ الذين وَثَبُوا بأخِيه فاعْتَقَلَهم، وفيهم [أيبَكُ](ا) الأسْمَر،

(ا) من س، وفي ظ: الأيبك.

---

(1) في نهاية الأرب 29: 254: ثامن عشر شهر رجب.

(2) ملك حمص نحو ست وخمسين سنة، لأن صلاح الدين ملّكه حمص سنة 581 هـ: المختصر 3: 165.

(3) المختصر 3: 165 - ، واستمر في الملك حتى توفي عاشر صفر 644 هـ. وفيات الأعيان 2: 481.

(4) المختصر 3: 166، وينظر مفرج الكروب 5: 263.

(5) لست بقين من ذي القعدة. المختصر 3: 166، مفرج الكروب 5: 266.

(6) المختصر 3: 166، مفرج الكروب 5: 270.

وذلك سَنَةَ ثمَانٍ وثلاثِين[1]، وحَبَسَ أخَاه العَادِلَ إلى أنْ هَلَكَ في مَحْبِسِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وأرْبَعِين[2].

ثُمّ اخْتَطَّ قَلْعَةً بيْنَ شُعْبَتَي النّيل إزاءَ المِقْيَاس واتَّخَذَها سَكَناً وأنزلَ بها حَامِيَتَه[ا] مِنْ مَوَالِيه، فكَانُوا يُعْرَفُونَ بالبَحْرِيَّةِ آخِرَ أيَّامِهم[3].

فِتْنَةُ الخُوَارِزْمِيَّة

ثُمّ كَثُرَ عَيْثُ الخُوَارِزْمِيَّـة بالبـلادِ الشّرقية، وعَبَـرُوا الفُـراتَ وقَـصَدُوا حَلَبَ، فبرَزَت إليهم عَسَاكِرُها معَ المُعَظَّم تُورَانْشَاه بنِ صَلَاح الدِّين، فَهَـزَمُوه وَأسَرُوه، وَقَتَلُوا الصَّالِحَ بنَ الأفْضَل صَاحِبَ سُمَيْسَاط وكَانَ في جُمْلَتِه، ومَلَـكُوا مَنْبِجَ عَنْوَةً[4]، ورَجَعُوا[5].

ثُمّ سَارُوا ثَانِيةً مِن حَرَّانَ وعَبَرُوا مِن نَاحِيَة الرَّقَّة، وَعَاثُوا في البِلادِ، وجَمَعَ أَهْلُ حَلَبَ العَسَاكِر، وَأمَدَّهم الصَّالِحُ إسْمَاعِيلُ مِن دِمَشْق بعَسْكَرٍ مَعَ المَنْصُور إبْرَاهِيمَ صَاحِبِ حِمْص، وقَصَدُوا الخُوارِزْمِيَّة، وَانْقَلَبُوا إلى حَرَّان، ثُمّ تَواقَعُوا مَعَ

(ا) في س: حامية.

---

(1) في شهر ربيع الأول. المختصر 3: 167، وينظر مفرج الكروب 5: 274، نهاية الأرب 29: 276.
(2) المختصر 3: 176، مفرج الكروب 5: 379.
(3) ينظر المواعظ والاعتبار، المجلد الثالث 581 - ، 764.
(4) المختصر 3: 168: لتسع بقين من ربيع الأول من هذه السنة 638 هـ.
(5) المختصر 3: 167، وينظر مفرج الكروب 5: 281 - 284.

العَسَاكِرِ فَانْهَزَمُوا[1]، وَاسْتَوْلَى عَسْكَرُ حَلَب عَلَى: حرّان، والرُّها، وسَرُوج، والرَّقَّةِ، ورَأسِ عَيْن، ومَا إليها، وخَلَصَ المُعَظَّمُ تُورَانْشَـاه [بنُ صَلاحِ الدِّين][2] من أَسْرِهِم فَبَعَثَ بِهِ لُؤلُؤٌ صَاحِبُ المَوْصِلِ إلى عَسْكَرِ حَلَب[3].

* ثُمَّ سَارَ عَسْكَرُ حَلَب *(أ) إلى آمِدَ وحَاصَرُوا المُعَظَّمَ تُورَانْشَاه [بنَ المَلِكِ الصَّالِح أَيُّوبَ][4] / [294 ب] وغَلَبُوه عَلَى آمِد، وأَقَامَ بِحِصْن كَيْفَا إلى أن هَلَكَ أَبُوهُ بِمِصْرَ، واسْتُدْعِي هُوَ لِمُلْكِها، فسَارَ لِذَلِكَ، وَوَلَّى ابْنَه المُوَحِّدَ عَبْدَ الله بكَيْفَا إلى أن غَلَبَ الطَّطَرُ عَلَى بِلادِ الشَّام[5].

ثُمَّ سَارَ الخُوارِزْمِيَّةُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ مَعَ المُظَفَّرِ غَازِي صَاحِبِ مَيَّافَارِقِين لِقِتَالِ صَاحِبِ حَلَب، ومَعَهُمُ المَنْصُورُ إبْرَاهِيمُ صَاحِبُ حِمْص، فَانْهَزَمُوا، وغَنِمَتِ العَسَاكِرُ سَوَادَهم[6].

أَخبَارُ حَلَب

قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ لَنَا وِلايَةُ العَزِيزِ بنِ الظَّاهِرِ غَازِي عَلَى حَلَبَ بعْدَ وَفَاةِ أَبِيه، ثُمَّ تُوفِّي سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثِين، ونَصَّبَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ ابْنَـهُ النَّاصِـرَ يُوسُـفَ فِي كَفَالَةِ جَدَّتِه أُمِّ

(أ) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) لتسع بقين من رمضان من هذه السنة 638 هـ المختصر 3: 168، مفرج الكروب 5: 292.
(2) من المختصر 3: 168 للتوضيح.
(3) المختصر 3: 168، مفرج الكروب 5: 295.
(4) من المختصر 3: 168 للتوضيح.
(5) المختصر 3: 168 – 169، مفرج الكروب 5: 296.
(6) المختصر 3: 170 – : لثلاث بقين من صفر.

العَزيز صَفيّة[1] خاتون بِنْتِ العَادِل، ولُؤلُؤ الأرْمَنيّ[2] وإقْبالُ الخاتونيّ وعِزُّ الدّين [عُمَر][3] بنُ مُجَلّي قايْمُون بالدَّوْلَة في تَصْريفها، ومَا زَالَت تُجهِّزُ العَساكِرَ لدِفَاع الخُوارِزْميّة وتَمنَعُ البِلادَ إلى أن تُوفّيتْ سَنَةَ أربَعين، واستَقَلَّ النّاصِرُ بتدبيرِ مُلكِه، وصَرَفَ النَّظَرَ في أُمورِه [لجمالِ الدّين][ا] إقْبالِ الخاتونيّ[4].

فِتْنَةُ الصَّالِح أيُّوبَ صَاحِبِ مِصْرَ مَعَ الصَّالِح إسْمَاعِيلَ صَاحِبِ دِمَشْق، واسْتِيلاءُ أيُّوبَ آخِرًا عَلَيها

قَد كَانَ تَقَدَّمَ لَنا أنَّ الصَّالِحَ إسْمَاعِيلَ بنَ العَادِل خَالَفَ الصَّالِحَ أيُّوبَ إلى دِمَشْقَ عِنْدَ مَسيرِه إلى مِصر، فمَلَكَ دِمَشْقَ سَنَةَ سِتٍّ وثَلاثين، وكانَ بَعْدَ ذَلك اعتِقَالُ الصَّالِح بالكَرَك، ثُمّ استِيلاؤُهُ [عَلَى][ب] مِصْرَ سَنَةَ سَبْعٍ وثَلاثين، وبَقِيَتِ الفِتْنَةُ مُتّصِلَةً بَيْنَهما، وطَلَبَ الصّالِحُ [إسْمَاعِيلُ][ج] صَاحِبُ دِمَشْقَ مِن الفِرنْج المظَاهَرةَ عَلَى أيُّوبَ صَاحِبِ مِصْرَ عَلَى أن يُعْطِيَهم حِصْنَ الشُّقيف وصَفَد، فأمْضَى ذَلك، ونَكِرَهُ مَشْيَخَةُ العُلَماءِ لعَصْرِه، وخَرَجَ مِن دِمَشْقَ [عِزُّ الدّين][د] بنُ عَبْدِ السَّلَام الشّافِعيُّ، ولَحِقَ بمِصْرَ، فوَلّاه الصّالِحُ [خُطَّةَ][هـ] القَضاءِ بِها، ثُمّ خَرَجَ بَعْدَه جَمَالُ الدّين بنُ الحَاجِبِ المالِكيُّ إلى الكَرَك، ولَحِقَ بالإسْكَنْدَريّة فمَاتَ بِها[5].

(ا)، (ب)، (ج)، (د) من س. (هـ) من س، وفي ظ: خطبة.

(1) في الأصول: ضيفة، والمختصر 3: 171، وما أثبتناه مما سبق، ووفيات الأعيان 4: 10.
(2) في مفرج الكروب 5: 119: الأميني.
(3) من مفرج الكروب 5: 119، المختصر 3: 158.
(4) المختصر 3: 171.
(5) نهاية الأرب 29: 278 - ، 294 – 299.

ثُمّ تَداعَى مُلوكُ الشّام لِفِتْنةِ الصّالِحِ أيُّوب، واتَّفقَ عليها إسْماعيلُ الصَّالِحُ صاحِبُ دِمَشق، والنَّاصرُ يُوسُفُ صاحِبُ حَلَب، وجَدَّتُه [ضَيفيَّة][1] خاتون، وإبراهيمُ المَنْصُورُ بنُ شِيركُوه صاحِبُ حِمْص، وخَالَفهمُ المُظَفَّرُ صاحِبُ / حَماة، [295 أ] [وجنح][أ] إلى وِلَايةِ نَجْمِ الدِّين أيُّوب، وأقامَ خَالُهم في الفِتْنةِ عَلَى ذَلكَ[2].

ثُمّ جَنَحُوا إلى الصُّلحِ عَلَى أن يُطْلِقَ صَاحِب دِمَشق فتح الدِّين عُمر بن نَجْم الدِّين أيُّوب، الَّذِي اعتقَلَه بدِمَشْق، فلَمْ يُجِب إلَى ذَلكَ[3].

وَاستَجَدَّتِ الفِتْنَةُ، وسَارَ النَّاصِرُ دَاوُدُ، صَاحِبُ الكَرَكِ، معَ إسْمَاعيل الصَّالِح، صَاحبِ دِمَشْق، وَاستَظْهَروا بالفِرنْج، وَأَعْطَاهم إسْمَاعيلُ القُدْسَ عَلَى ذَلك، وَاسْتَنْجَدَ بالخُوارِزميَّة أيضاً فَأَجَابُوه، وَاجْتَمَعُوا بغَزَّة[4].

وَبَعَثَ نَجْمُ الدِّين أيُّوبُ العَسَاكِرَ معَ مَوْلاه بِيبَرس، وكَانَت لهُ ذِمَّةٌ باعتِقَالِه مَعَه، فتَأَلَّفُوا الخُوارِزمِيَّةَ، وجَاءَتْ عَسَاكِرُ دِمَشْقَ معَ المَنْصورِ إبرَاهِيمَ بنِ شِيرْكُوه، وتَأَلَّفُوا الفِرنْجَ مِن عَكَّا، فكَانَ [الظَّفَرُ][ب] لِعَساكِرِ مِصْرَ والخُوارِزمِيَّة، وَاتَّبعوهُم إلى دِمَشْق، وَحَاصَرُوا بِها الصَّالِحَ إسْمَاعِيلَ إلى أن جَهَدَه الحِصَار، وسَأَلَ في الصُّلح

(أ) من س. (ب) من س، وفي ظ: المظفر.

---

(1) في الأصول: ضيفة، وما اعتمدناه مما سبق.

(2) نهاية الأرب 29: 305.

(3) المصدر نفسه 29: 302 – 303.

(4) مفرج الكروب 5: 332، 336، نهاية الأرب 29: 305.

عَلى أن يُعَوّضَه[أ] عَن دِمَشْق بِبَعْلَبَكّ وبُصْرَى والسَّوَاد، فأجابَه أيُّوبُ إلى ذَلِك، وخرَجَ إسْمَاعِيلُ مِن دِمَشْقَ إلى بَعْلَبَكّ سَنَةَ ثَلاثٍ وأرْبَعِين[1].

وبَعَثَ نَجْمُ الدِّين أيُّوبُ إلى حُسَام الدِّين عَلِيّ بن أبي عَلِيّ الهَذْبَاني، وكَان مُعْتَقَلاً عِنْدَ إسْمَاعِيلَ بدِمَشْق، وَشَرَطَ نَجْمُ الدِّين أيُّوبُ إطْلاقَه في الصُّلح الأوّل فأطْلَقَه، وبَعَثَ إلَيه الآنَ بالنِّيَابَة عَنْه في دِمَشْق، فَقَامَ بأمْرِها، وانْصَرَفَ إبْرَاهِيمُ المَنْصُورُ إلى حِمْص، وَانتَزَعَ صَاحِبُ حَمَاةَ مِنْه سَلَمِيَّةَ فَمَلَكَها[2].

وَاشْتَطَّ الخُوارِزْمِيّةُ عَلَى الهَذْبَانيّ بدِمَشْقَ في الوِلايَاتِ والإقْطَاعَات، وانتَقَضُوا لِذَلك، فسَارَ بِهِمُ الصَّالِحُ إسْمَاعِيلُ إلَى دِمَشْقَ مُؤمِّلاً الكَرَّةَ، ومَعَه النَّاصِرُ صَاحِبُ الكَرَك، فَقَامَ الهَذْبانيُّ في دِفَاعِهِم أحْسَنَ القِيَام[3].

وبَعَثَ نَجْمُ الدِّين أيُّوبُ مِن مِصْر إلى يُوسُفَ النَّاصِر، صَاحِبِ حَلَب، يَسْتَنْجِدُه في[ب] دِفَاعِ الخُوارِزْمِيّة عَن دِمَشْق، فَسَارَ في عَسَاكِرِه، ومَعَه إبْرَاهِيمُ بنُ شِيرِكُوه صَاحِبُ حِمْص، فَهَزَمُوا الخُوارِزْمِيّةَ عَلَى دِمَشْقَ سَنَةَ أرْبَعٍ وأرْبَعِين[4]، وقُتِلَ مُقَدَّمُهم حُسَامُ الدِّين بَرَكَةُ خَان، وذَهَبَ بَقِيَّتُهم مَعَ مُقَدَّمِهِمُ الآخَرِ كَشْلُوخَان[ج]، فلَحِقُوا بالطَّطَرِ وَاندَرَجُوا في جُمْلَتِهِم، وذَهَبَ أثَرُهم مِن الشَّام[5].

(أ) في س: يعوض. (ب) في س: على. (ج) في س: كشتوخان.

---

(1) المختصر 3: 172، مفرج الكروب 5: 348.
(2) المختصر 3: 174.
(3) المصدر نفسه 3: 174.
(4) في سابع عشر شهر ربيع الآخر. نهاية الأرب 29: 321.
(5) المختصر 3: 175، مفرج الكروب 5: 358 – .

[295 ب] واسْتَجارَ إسْماعِيلُ / الصَّالِحُ ـ وكَانَ مَعَهم ـ بالنَّاصِرِ صَاحِبِ حَلَب، فأجَارَه مِن نَجْمِ الدِّين أيُّوب(1).

وَسَارَ حُسَامُ الدِّين الهَذَبانِيُّ بعَسَاكِرِ دِمَشْق إلى بَعْلَبَكّ، وتَسَلَّمَها بالأَمَان، وبَعَثَ بأَوْلادِ إسْماعِيلَ الصَّالِح(ا) ووَزِيرِهِ [أمِينِ الدَّوْلَة، وأُسْتَاذ دَارِه](2) نَاصِرِ الدِّين [إسْمَاعِيلَ بنِ](3) يَغْمُورَ إلى نَجْمِ الدِّينَ أيُّوب، فاعتَقَلَهم بِمِصْر(4).

وسَارَت عَسَاكِرُ النَّاصِر يوسُفَ صَاحِب حَلَبَ إلى الجَزِيرَة، فتَوَاقَعُوا مَعَ لُؤلُؤ صَاحِبِ المَوْصِل، وانْهَزَمَ لُؤلُؤ، ومَلَكَ النَّاصِرُ نَصِيبِينَ ودَارَا وقَرْقِيسِيَاء، وعَادَ عَسْكَرُهُ إلى حَلَب.

مَسِيرُ الصَّالِحِ أيُّوبَ إلَى دِمَشْقَ أوّلاً وثانِيًا، وحِصَارُ حِمْص، ومَا كَانَ مَعَ ذلك مِنَ الأحْدَاثِ

ثُمّ بَعَثَ الصَّالِحُ عَن حُسَامِ الدِّين الهَذَبانِيِّ مِن دِمَشْق، وَوَلَّى مَكَانَه(ب) عَلَيها جَمَالَ الدِّين بنَ مَطْرُوح، ثُمّ سَارَ إلى دِمَشْقَ سَنَةَ [أرْبَعٍ](5) وَأرْبَعِينَ، وَاسْتَخْلَفَ الهَذَبانِيَّ عَلَى مِصْر(6).

(ا) في س: الصالح إسماعيل. (ب) سقط من س.

---

(1) المختصر 3: 175.
(2) من المختصر 3: 175.
(3) من نهاية الأرب 29: 422، مفرج الكروب 5: 362.
(4) المختصر 3: 175، مفرج الكروب 5: 362.
(5) في الأصول: خمس، واعتمدنا ما في المختصر 3: 176، وينظر مفرج الكروب 5: 362.
(6) المختصر 3: 176.

ولمّا وصلَ إلى دِمَشْق جَهّزَ فخرَ الدّين [يوسُف][1] بن الشّيخ في العَسَاكِر إلى عَسْقَلانَ وطَبَرِيّة، فحَاصَرَهما مُدّةً، وفتحَهما مِن يَدِ الفرنج[2].

ووَفَدَ عَلَى الصَّالِح أيُّوبَ بدِمَشْق[3] المنصُورُ صَاحِبُ حَمَاة، وكانَ أبُوهُ المظَفَّرُ تُوفّي سَنَةَ ثَلاثٍ وأربعين، وَوَلِيَ المنصُورُ ابنُه هَذا وَاسْمُه مُحمّد[أ]، ووَفَدَ أيضًا الأشْرَفُ مُوسَى صَاحِبُ حِمْص، وقَدْ كانَ أبُوه المنصُورُ إبْرَاهيمُ[ب] تُوفّي سَنَةَ أربعٍ وأربعينَ[4] قَبْلَها بدِمَشْقَ وهُوَ ذَاهِبٌ إلَى مِصْرَ وَافِداً عَلَى الصَّالح أيُّوب، وقَامَ مَكَانَه بحِمْص ابنُه مُظَفَّرُ الدّين[ج] مُوسَى، ولُقِّبَ الأشْرَفَ[5].

وجَاءَت عَسَاكِرُ حَلَبَ سَنَةَ سِتٍّ وأربعينَ مَعَ لُؤلُؤ الأرْمَنِيّ وحَاصَرُوا حِمْص شَهْرَينِ، ومَلَكُوها مِن يدِ مُوسَى الأشْرَف، وأعاضُوه عنها تَلَّ بَاشِر، مِن قِلاعِ حَلَب، مُضَافةً إلى الرَّحْبَة وتَدْمُرَ اللّتَيْنِ كانتا بيدِه مَعَ حِمْص. وغضِبَ لِذلك الصَّالِحُ، فَسَارَ مِن مِصْرَ إلى دِمَشْق، وجَهَّزَ العَسَاكِرَ لِحِصَارِ حِمْص مَعَ حُسَامِ الدّين الهذْبَانِيّ وفَخْرِ الدّين بنِ الشَّيْخ، فحَاصَرُوا حِمْص مُدَّةً، وَجَاءَ رَسُولُ الخَليفة المسْتَعْصِم إلى الصَّالِح أيُّوبَ شَافعاً في شَأنِها، فأفْرَجَ العَسَاكِرُ عنها[6].

(أ) في س: أيضاً. (ب) في س: إبراهيم المنصور. (ج) س: المظفر.

(1) من مفرج الكروب 6: 66.

(2) تم فتح عسقلان في 28 جمادى الآخرة 645 هـ. نهاية الأرب 29: 326، وينظر المختصر 3: 176.

(3) سنة أربع وأربعين. المختصر 3: 176.

(4) في حادي عشر صفر. الذيل على الروضتين 178.

(5) المختصر 3: 176.

(6) المختصر 3: 177، مفرج الكروب 6: 66، نهاية الأرب 29: 328.

ووَلّى عَلَى دِمَشْقَ جَمالَ الدِّين بنَ يَغْمُور، وعَزلَ ابنَ مَطْروح(1).

اسْتيلاءُ الفِرنْجِ عَلَى دِمْيَاط

[296 ا] كَانَ أهلُ إفرَنْسَةَ أُمّةً عظيمةً / مِن الفِرنْجِ، والظّاهِرُ أنّهم أَصْلُ الفِرنْجِ، وأنّ إفرَنْسَةَ هِيَ إفرَنْجَةُ: انقَلَبَتِ السّينُ بِها جيماً عِنْدما عَرَّبَتها العَرَبُ، وكَانَ مَلِكُها مِن أَعَاظِمِ مُلُوكِهِم لِذَلِكَ العَصْرِ ويُسَمُّونَه رِيد افرَنْس(2)، ومعنى رِيد في لغَتِهم: مَلِكٌ، فهُوَ مَلِكُ إفرَنْس(3).

وَاعتَزَمَ هَذا المَلِكُ عَلَى غَزْوِ سَواحِلِ الشّام، وسَارَ لِذَلك، كما سَارَ مَنْ قَبْلَه مِن مُلُوكِهِم، وكَانَ مُلكُه [قَدِ](4) استَفْحَلَ. فرَكِبَ البَحْرَ إلَى قُبْرُص في خَمسِين ألْفَ مُقَاتِلٍ وشَتّى بِها، ثُمّ عَبَرَ سَنَةَ سَبْعٍ وأَربعينَ إلى دِمْيَاط، وبِها بنُو كِنانَة، أنزَلَهم الصّالِحُ فيها حَامِيةً. فلَمّا رَأوْا مَا لا قِبَلَ لَهم به أجْفَلوا عنها، فمَلَكَها رِيد إفرَنس(5). وبَلَغَ الخَبَرُ إلَى الصّالِح وهُوَ بدِمَشْقَ وعَسَاكِرُهُ نَازِلَةٌ لِحِمص، فكَرَّ رَاجِعًا إلى مِصْرِ، وقَدّمَ فَخرَ الدِّين بنَ الشّيخِ أَتَابِكَ عَسَاكِرِه، ووَصَلَ بَعْدَهُ فنَزَلَ المَنْصُورَةَ(6)، قُبَالَةَ الفِرنْجِ، وقَد أَصَابَه بالطّرِيقِ وَعكٌ وَاشْتَدّ عَلَيه(7).

(1) المختصر 3: 177، نهاية الأرب 29: 328.
(2) Roi de France.
(3) المختصر 3: 178.
(4) في الأصول: كما، والتصويب يقتضيه السياق.
(5) لسبع بقين من صفر 647 هـ. نهاية الأرب 29: 335.
(6) لخمس بقين من صفر. المختصر 3: 179.
(7) المختصر 3: 179.

اسْتِيلاءُ الصَّالِحِ عَلَى الكَرَكِ

كَانَ بَيْنَ الصَّالِحِ أَيُّوب وَبَيْنَ النَّاصِرِ دَاوُدَ ابنِ عَـمّه المُعَظَّم مِن العَدَاوَة مَا تَقَدَّم، وَقَد ذَكَرنَا اعْتِقَالَ النَّاصِرِ لهُ بالكَرَك. فَلَمَّا مَلَكَ الصَّالِحُ دِمَشْقَ بَعَثَ العَسَاكِرَ مع أَتَابِكِه فَخْرِ الدِّين يُوسُف ابنِ الشَّيخ لِحِصَار الكَرَك، •وكَانَ أَخُوه العَادِلُ اعتَقَلَه[1] وأَلْزَمه بَيْته وأَطْلَقَه الصَّالِح عندما مَلَكَ•[2]. ثُمّ جَهَّزَه لِحِصَارِ الكَرَك، فسَارَ إِلَيها سَنَةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعِينَ وحَاصَرَها، ومَلَكَ سَائِرَ أَعْمَالِها، وخَرَّبَ نَوَاحِيَها، وسَارَ النَّاصِرُ منَ الكَرَكِ إِلَى النَّاصِرِ يُوسُف صَاحِبِ حَلَب مُسْتَجِيراً بِه، بعْدَ أن بَعَثَ بذَخِيرَتِه إِلَى المُسْتَعْصِم، وكَتَبَ لهُ خَطَّهُ بوصُولِها، وكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الكَرَك، عِنْدَمَا سَارَ إِلَى حَلَبَ، ابْنَه الأَصْغَرَ عِيسَى ولَقَّبَه المُعَظَّمَ، فغَضِبَ أَخَوَاه الأَكْبرانِ: الأَمْجَدُ حَسَنٌ والظَّاهِرُ شَاذِي، فقَبَضَا عَلَى أَخِيهِمَا عِيسَى، وَوَفَدَا عَلَى الصَّالِح سَنَةَ [سَبْعٍ][3] وأَرْبعِينَ، وهُو بالمنصُورَةِ قُبَالَةَ الفِرنْج، فمَلَكَ الكَرَكَ والشَّوْبَكَ مِنهمَا[4]، وَوَلَّى عَلَيهِمَا بَدْراً الصَّوَابِيَّ، وأَقْطَعَهمَا بالدِّيارِ المِصْرِية[5].

---

(1) المقصود فخر الدين يوسف.

(2) في الأصول: وكان أخوه العادل اعتقله وأطلقه الصالح عندما ملك وألزمه بيته، وفيها تقديم وتأخير، وعدّلناه بما يتفق مع السياق.

(3) في الأصول: ست، وما اعتمدناه من المختصر 3: 176، مفرج الكروب 6: 66.

(4) وأرسل إلى الكرك وتسلمها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة 647 هـ. المختصر 3: 176، وينظر نهاية الأرب 29: 335.

(5) المختصر 3: 176، مفرج الكروب 6: 79.

وفاةُ الصَّالح أيوبَ صاحب مصرَ والشام وسيِّد ملوك التُّرك بمصر، وولايةُ ابنه تورانشاه، وهزيمةُ الفرنج وأسرُ ملكهم

[296 ب] / ثمّ تُوفّي الصّالحُ نجمُ الدّين أيّوبُ بنُ الكامِل سَنةَ سَبْعٍ وأربعينَ[1] بمكانِه مِنَ المنصُورة قُبالَةَ الفِرنْج، •وخَشِيَ أهلُ الدّولة مِنَ الفِرنْج•[أ]، فكتمُوا مَوْتَه، وقامَتْ أمُّ وَلَدِهِ شجرُ الدُّرّ بالأمرِ، وجَمَعَتِ الأُمَرَاءَ، وطَيَّرُوا بالخبَرِ إلى حُسَام الدّين الهَذْباني بِمِصْرَ، فجَمَعَ الأُمَرَاءَ وطَمَّنَ[2] جأشَهم وَاسْتَحْلَفَهم، وأرسَلَ الأتابكُ فَخْرُ الدّين بنُ الشّيخ بالخبَرِ إلى المُعَظَّم تُورانْشاه بنِ الصّالح، وَاسْتَدْعاه مِن مَكانِ إمَارَته بِحِصْن كَيْفا، •ثُمّ انتَشَرَ خَبرُ الوَفاةِ، وبَلَغَ الفِرنْجَ وشَرِهوا إلى قِتالِ المُسلِمِين، ودَلَفُوا إلى المُعَسْكَرِ فانكَشَفَ المسْلِمُون، وقُتِلَ الأتابكُ فخرُ الدّين[3]، ثُمّ أتاحَ اللهُ الكَرَّةَ للمسْلِمِين، وَانهزَم الفِرنْجُ، ووَصَلَ المُعَظَّمُ تُورانْشاه مِن مَكانِه بحِصْنِ كَيْفَا•[ب] لثلاثةِ أشْهرٍ أو تَزيد[4]، فبَايَعَه المسْلِمُونَ واجتمَعُوا عَلَيه، واشتَدُّوا في قِتالِهم الفِرنْجَ، وَغَلَبَت أسَاطِيلُهم أسَاطِيلَ العَدُوّ، وسَأَلَ الفِرنْجُ في الإفْرَاج عَن دِمْياطَ عَلَى أنْ يُعَاضُوا بالقُدْس، فلَم يُجِبْهُمُ المُسْلِمُون إلى ذلك[5].

(أ)، (ب) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان 647 هـ. المختصر 3: 176، مفرج الكروب 6: 81، وفي وفيات الأعيان 5: 86، ونهاية الأرب 29: 336: أنّ وفاته كانت ليلة الاثنين النصف من شعبان.

(2) طمن: اطمأن، سكن واستأنس.

(3) رابع ذي القعدة أو خامسه 647 هـ. نهاية الأرب 29: 338 – 339.

(4) وصل إلى المنصورة يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة 647 هـ. مفرج الكروب 6: 118.

(5) المختصر 3: 179 – 180.

وسَارَت سَرَايَا المسْلِمِينَ مِن حَوْلِهِم، وفيما بينَ مُعَسْكَرِهِم وبينَ دِمْيَاط، فرحَلُوا رَاجِعِينَ إليها، واتَّبَعَهُمُ المسْلِمُونَ فأَدْرَكَهُمُ الدَّهَش وَانْهَزَمُوا، وأُسِرَ مَلِكُهُم رِيد إفرَنْس، وهُوَ المعْرُوفُ بالفِرَنْسِيس[1]، وقُتِلَ مِنهم أكثرُ مِن ثَلاثينَ ألفاً، واعتُقِلَ الفِرَنْسِيسُ [بالدَّارِ][أ] المعرُوفَة بفَخْرِ الدِّين بنِ لُقْمَان، ووُكِّلَ به الخَادمُ صَبيحٌ المُعَظَّمِيُّ، ثُمّ رَحَلَ المُعَظَّمُ بعَسَاكِرِ المسْلِمِينَ رَاجِعاً إلى مِصْر[2].

مَقْتَلُ المُعَظَّم تُورَانْشَاه، وولايةُ شَجَرِ الدُّرّ، وفِداءُ الفِرَنْسِيس بدِمْيَاط

وَلَمَّا بُويِعَ المُعَظَّمُ تُورَانْشَاه، وكَانَت لَهُ بِطَانَةٌ مِنَ المَمَالِيكِ جَاءَ بِهِم مِن كَيْفَا، فتَسَلَّطُوا عَلَى [مَوَالِي أَبِيه][3]، وَاقتَسَمُوهم[ب] بينَ النَّكْبَةِ والإِهْمَال، وكَانَ للصَّالِح جماعةٌ منَ المَوَالِي، وهمُ البَحْرِيَّةُ الَّذين كَانَ يُنْزِلُهم بالقَلْعَة التي بَنَاهَا إزَاءَ المِقْيَاس، وكَانُوا بِطَانَته وخَالِصَته، وكانَ كَبِيرَهم بَيْبَرْس، وهُوَ الذي كَانَ الصَّالِحُ بَعَثَه بالعسَاكِرِ لِقِتَالِ الخُوارِزْمِيَّة، عِنْدَمَا زَحَفُوا معَ عَمِّه الصَّالِح إسْمَاعِيلَ، صَاحِبِ دِمَشْق، وقَد مَرَّ ذِكْرُ ذَلك، فَصَارَت صَاغِيَتُه مَعَهم، ثُمّ اسْتَمَالَهُمُ الصَّالِحُ فصَارُوا مَعَه، وَزَحَفُوا / مَعَ [297أ] عَسَاكِرِه إلى عَسَاكِرِ دِمَشْقَ والفِرِنْج فهزَمُوهم، وَحَاصَرُوا دِمَشْقَ ومَلَكُوها بدَعْوَةِ

(أ) من س، وفي ظ: بالنار. (ب) في س: وتقسموهم.

---

(1) هو لويس التاسع الذي قاد الحملة الصليبيّة التاسعة، ويعرف بلقب Saint Louis.

(2) المختصر 3: 181 ، مفرج الكروب 6: 124.

(3) في الأصول: مواليه، وينظر المختصر 3: 181.

الصَّالح كَما مَرَّ. وَاسْتَوْحَشَ بَيْبَرْسُ حَتَّى بَعَثَ إليه الصَّالِحُ بأمانِه سَنَةَ أربَعٍ وأربعين، ولَحِقَهُ بِمِصْرَ فَحَبَسَهُ عَلَى ما كَانَ مِنه، ثُمَّ أطْلَقَه.

وكانَ مِن خَواصِّ الصَّالِح أيضاً قَلاوُونُ الصَّالِحِيُّ، كَانَ مَوْلًى لعلاءِ الدِّين قَرا سُنْقُر مَمْلوكِ العَادِل، وتُوفِّي سنةَ خَمسٍ وأربعين، وورِثَه الصَّالِحُ بحُكمِ الوَلاءِ، ومِنهم: أقْطاي الجمْدار، وأيبكُ التُّركُماني، وغَيْرُهم، فأنِفُوا مِنَ اسْتِغلاءِ بِطَانةِ المُعَظَّم تُورَانْشاه عَلَيهم، وتَحَكُّمِهم فيهم، فاعْصَوْصَبُوا واعْتَزَموا عَلَى الفَتْكِ بالمُعَظَّم. وارْتَحَلَ مِنَ [المَنْصُورَة][أ] بَعْدَ هَزِيمَةِ الفِرَنْج رَاجِعاً إلى مِصْر، ونَزَلَ بفَارَسْكُور، ونُصِبَ لَه عَلَى البَحْرِ بُرْجٌ مِن خَشَبٍ[ب]، وَاعْتَزَمَ عَلَى رُكُوبِ البَحْر مِن هُنالِكَ إلى مِصْر، فلَمَّا قُرِّبَت لَه الحَرَّاقَةُ عِنْدَ البُرْج لِيَرْكَبَ البَحْرَ كَبَسُوه بِمَجْلِسِه، وتَنَاوَلَه بَيْبَرْسُ بالسَّيفِ، فَهَرَبَ إلى البُرْج فأضْرَمُوه نَاراً، فَهَرَبَ إلى البَحْرِ، فَرَمَوْه بالسِّهَام، فألْقَى نَفْسَهُ في الماءِ، وهَلَكَ بيْنَ السَّيفِ والماءِ لشَهْرَيْنِ مِن وُصولِه ومُلْكِه[1].

ثُمَّ اجْتَمَعَ هؤلاءِ [الأُمَرَاءُ][ج]، المُتَوَلُّونَ [قَتْلَ][د] تُورَانْشاه، ونَصَّبُوا للمُلْك شَجَرَ الدُّرِّ زَوْجَةَ الصَّالِح، وأُمَّ ابْنِه خَلِيلِ المتوفَّى في حَيَاتِه، وبه كَانَت تُلَقَّب، وخُطِبَ لَها [عَلَى][هـ] المَنَابِر وضُرِبَت السِّكَّةُ باسْمِها[2]، ووُضِعَت عَلامَتُها عَلَى المَرَاسِم، وكَانَ

(أ) في ظ: المنصورية، وما اعتمدناه من س. (ب) في س: الخشب. (ج) من س. (د) من س، وفي ظ: قبل.
(هـ) من س.

(1) يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم 648 هـ. مرآة الزمان 8: 782، وينظر المختصر 3: 181، نهاية الأرب 29: 359، الذيل على الروضتين 185. قال المقريزي في السلوك: مات جريحاً حريقاً غريقاً.
(2) ومثاله: المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين. المواعظ والاعتبار، المجلد الثالث 765، وينظر عقد الجمان (عصر سلاطين المماليك) 1: 29.

نصُ علامَتِها: أمّ خلِيل[1]، وقدّم أتابِكاً عَلى العَساكِر عزُّ الدّين الجاشَنكِير أيبكَ التُّركمانيّ[2].

فلمّا استقرّتِ الدّولةُ طَلَبَهمُ الفِرنسِيسُ في الفِداءِ عَلى تَسْلِيم دِمْيَاط للمُسْلِمين، فاستَوْلَوا عَلَيها سَنَةَ ثمانٍ وأربعين[3]، ورَكِبَ الفِرنسِيسُ البَحرَ إلى عَكّا، وعَظُمَ الفتحُ، وأنشَدَ الشُّعراءُ في ذَلك وتَساجَلُوا.

ولجمال الدّين بن مَطْرُوح، نائِبِ دِمَشْق، أبياتٌ في الواقِعةِ يتداولُها النّاسُ لهذا العَصرِ، وهي: [من السّريع]

قُلْ للفِرنْسِيسِ إذا جِئْتَهُ ... مَقالَ صِدْقٍ عَن قَؤُولٍ فَصِيحْ[4]

آجَرَكَ اللهُ عَلى مَا جَرَى[5] ... مِنْ قَتْلِ عُبّادِ يَسُوعَ المسِيحْ[6]

أتَيتَ مِصْراً تَبْتَغي مُلكَها ... تَحْسَبُ أنَّ الزَّمْرَ يا طَبْلُ[7] رِيحْ

/ فَساقَكَ الحَيْنُ إلى أدْهَمٍ ... ضَاقَ بِهِ في نَاظِرَيْكَ الفَسِيحْ [297 ب]

وكُلُّ أصْحَابِكَ أَوْدَعْتَهُم[8] ... بِسُوءِ[9] تَدْبِيرِكَ بَطْنَ الضَّرِيحْ

---

(1) والدة خليل. المختصر 3: 182، مفرج الكروب 6: 132-133، نهاية الأرب 29: 363، وينظر المواعظ والاعتبار، المجلّد والصفحة قبله.

(2) المختصر 3: 182.

(3) يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر. المختصر 3: 182.

(4) في المختصر 3: 182، مفرج الكروب 6: 125: نصيح.

(5) ما مضى. مفرج الكروب 6: 125.

(6) سقط هذا البيت من المختصر.

(7) في مفرج الكروب: بالطبل.

(8) في المختصر، مفرج الكروب: أوردتهم.

(9) في المختصر، مفرج الكروب: بحسن.

خمسونَ ألفاً لا يُرى منهمُ ... إلّا قتيلٌ[1] أو أسيرٌ جريحْ

وفّقكَ اللهُ لأمثالِها[2] ... لعلَّ عيسى منكُمُ يستريحْ

إن كانَ بابا كُمْ بذا راضياً ... فربَّ غِشٍّ قد أتى من نصيحْ

أوصيكُمُ خيراً بهِ، إنّهُ[3] ... لُطفٌ منَ اللهِ إليكُمْ أُتيحْ

لو كانَ ذا رُشدٍ على زعمِكُمْ ... ما كانَ يَستحسنُ هذا القبيحْ

دارُ ابنِ لُقمانَ على حالِها ... والقيدُ باقٍ والطُّواشي صَبيحْ[4]

والطُّواشي في لُغةِ أهلِ المشرِق هُوَ الخَصِيّ، ويُسمُّونه الخادِمَ أيضاً.

استيلاءُ النّاصرِ صاحبِ حلبَ على دمشق، وبيعةُ التُركِ بمصرَ لموسى الأشرفِ [حفيد][5] المسعودِ صاحبِ اليمَن، وتزاحُفُهما ثمَّ صلحُهما

ولمّا قُتِلَ المُعظَّمُ تورانشاه، ونصَبَ الأُمَراءُ بعدَه شجَرَ الدُّرِّ زوجَةَ الصّالِح، امتَعَضَ لذلك أُمَراءُ بني أيُّوبَ بالشّام، وكانَ بدرٌ الصَّوابيُّ بالكَرَك والشَّوبَك، ولّاه

---

(1) في المختصر: غير قتيل.

(2) الأبيات الأربعة التالية سقطت من المختصر.

(3) هذا البيت والذي يليه سقط من مفرج الكروب.

(4) المختصر 3: 182، وينظر عقد الجمان 1: 30 – .

(5) في الأصول: بن أطسز بن، وما أثبتناه يتفق مع سير الأحداث، وتراجع الهوامش التالية.

الصَّالِحُ عَلَيهِمَا، وحَبَسَ عِنْدَه فَتْحَ الدِّين عُمَرَ ابنَ [أخِيه][أ] العَادِل، فأطْلَقَه مِن مَحْبِسِه وبَايَعَ لَه، وقَامَ بتَدْبِيرِ دَوْلَتِه[1].

وَانْتَقَضَ جَمَالُ الدِّين بنُ يَغْمُورَ بدِمَشْق، وَاجْتَمَعَ مَعَ الأُمَرَاءِ القَيْمَرِيَّةِ بِهَا عَلَى اسْتِدْعَاءِ النَّاصِرِ يُوسُف، صَاحِبِ حَلَب، وتَمْلِيكِه. فَسَارَ ومَلَكَ دِمَشْقَ، وَاعْتَقَلَ جَمَاعَةً مِن مَوَالِي الصَّالِح[2].

وبَلَغَ الخبَرُ إلَى مِصْرَ، فَخَلَعُوا شَجَرَ الدُّرِّ ونَصَّبُوا مُوسَى [بنَ يُوسُفَ ابنِ يُوسُف بن الملِكِ الكَامِل][3]، وبَايَعُوا لَه [ولَقَّبُوه الأَشْرَف[4]، وأَجْلَسُوه][ب] عَلَى التَّخْتِ[5]، وجَعَلُوا أَيْبَكَ أَتَابِكَه[6].

ثُمَّ انْتَقَضَ التُّرْكُ بغَزَّة، ونَادَوْا بطَاعَةِ المغِيثِ، صَاحِبِ الكَرَك، فنَادَى التُّرْكُ بمِصْرَ بطَاعَةِ المسْتَعْصِم، وجَدَّدُوا / البَيعَةَ للأَشْرَفِ وأَتَابِكِه[7]. [298أ]

(أ) من س، وفي ظ: أخي. (ب) من س، وفي ظ: وأجلسه.

---

(1) المختصر 3: 182، وينظر مفرج الكروب 6: 126، نهاية الأرب 29: 392.

(2) المختصر 3: 183، وورد في مفرج الكروب 6: 137: في شهر ربيع الآخر 648 هـ. وينظر نهاية الأرب 29: 367، عقد الجمان 1: 33.

(3) في الأصول: الأشرف بن المسعود، أخي الصالح، ابن الكامل، وهو الذي ملك أخوه أطسز واسمه يوسف باليمن، بعد أبيهما المسعود، وهو نص مضطرب، وقومناه عن المختصر 3: 142، 183 .

(4) مما يلي، ومن المختصر 3: 142، 183.

(5) لخمس مضين من جمادى الأولى 648 هـ. المختصر 3: 183، مفرج الكروب 6: 142، عقد الجمان 1: 35.

(6) عقد الجمان 1: 34 - ، وينظر ما يلي.

(7) في يوم الأحد لخمس مضين من رجب. المختصر 3: 183.

ثُمّ سَارَ النّاصِرُ يُوسُفُ بِعَسَاكِرِه مِن دِمَشْقَ إلى مِصْر، فجَهَّزَ الأُمَرَاءَ العسَاكِرَ إلى الشّام، مَعَ أقْطَايِ الجمْدَار، كَبِيرِ البَحْرِيّة، ويُلَقَّبُ فارِسَ الدّين، فأجْفَلَتْ عَسَاكِرُ الشّام بَيْنَ يَدَيْه[1].

ثُمّ قَبَضَ النّاصِرُ يُوسُفُ، صَاحِبُ دِمَشْق، عَلَى النّاصِرِ دَاوُدَ لِشَيْءٍ بَلَغَه عَنْه وحَبَسَهُ بِحِمْص[2].

وبَعَثَ عَن مُلُوكِ بَني أيُّوب، فَجَاءَه مُوسَى الأشْرَفُ صَاحِبُ حِمْص [والرَّحْبَةِ][3] وتَدْمُر، والصَّالِحُ إسْمَاعِيلُ بنُ العَادِلِ مِن بَعْلَبَكّ، والمُعَظَّمُ تُورَانْشَاه وأخُوه نُصْرَةُ الدّين ابْنَا صَلَاحِ الدِّين، والأمْجَدُ [حَسَنٌ][4] والظَّاهِرُ شَاذِي ابْنَا النّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبِ الكَرَك، وتَقِيُّ الدِّين عَبَّاسُ بنُ العَادِل، واجْتَمَعُوا بدِمَشْق، وبَعَثَ في مُقَدِّمَتِه مَوْلَاه لُؤْلُؤاً الأرْمَنِيّ[5].

[وبَرَزَ][ا] أيْبَكُ التُّرْكُمَانِيُّ في العَسَاكِرِ مِن مِصْرَ لِلِقَائِهم، وأفْرَجَ عَنْ وُلْدِ[6] الصَّالِح إسْمَاعِيلَ المُعْتَقَلِينَ مُنْذُ أخَذَهُم الهَذَبَانيُّ مِن بَعْلَبَكّ، لِيَتَّهِمَ النّاصِرُ أبَاهُم ويَسْتَرِيبَ بِه.

(ا) من س. وفي ط: وزعر.

---

(1) المختصر 3: 183 - ، وينظر مفرج الكروب 6: 143، نهاية الأرب 29: 377 – 378.

(2) المختصر 3: 184.

(3) في الأصول: من الرحبة، والتصويب من المختصر 3: 184.

(4) في الأصول: حسين الدين، وما اعتمدناه مما سبق، ومن المختصر 3: 184.

(5) المختصر 3: 184، وينظر ما يلي.

(6) في المختصر 3: 184: ولدي.

وَالْتَقَى الجَمْعَانِ[1] [بالعَبَّاسَة][2]، فانكَشَفَت عَسَاكِرُ مِصر، وسَارَت عَسَاكِرُ الشَّام في اتِّبَاعِهِم، وثَبتَ أَيْبَكُ، وهَرَبَ إليه جَمَاعَةٌ مِن عَسْكَرِ النَّاصِر، ثُمَّ صَدَقَ الحَمْلَةَ عَلَى النَّاصِرِ فَفَضَّه، وَسَارَ مُنْهزِماً، وجِيءَ إِلَى أَيْبَكَ بِلُؤْلُؤِ الأَزْمَنِيِّ أَسِيراً فَقَتَلَه، وأُسِرَ إِسْمَاعِيلُ الصَّالِحُ ومُوسَى الأَشْرَفُ وتُورَانْشَاه المُعَظَّمُ وأَخُوه، ولَحِقَ المُنْهَزِمُونَ مِن عَسْكَرِ مِصْرَ بالبَلَد، وشَعَرَ المُتَّبِعُونَ لَهم مِن عَسَاكِرِ الشَّام بهَزِيمَةِ النَّاصِرِ ورَاءَهم فرَجَعُوا[3].

ودَخَلَ أَيْبَكُ إلى القَاهِرَة[4]، وحَبَسَ بَنِي أَيُّوبَ بالقَلْعَة، ثُمَّ قَتَلَ [ابنَ][5] يَغْمُورَ وَزِيرَ الصَّالِح إِسْمَاعِيل، المُعْتَقَلَ بِبَعْلَبَكَّ[6] مَعَ بَنِيه، وقُتِلَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ في مَحْبِسِه[7].

ثُمَّ جَهَّزَ النَّاصِرُ العَسَاكِرَ مِن دِمَشْق إلى غَزَّة، فتَوَاقَعُوا مَعَ فَارِس الدِّين أَقْطَاي، مُقَدَّم عَسَاكِر مِصْر، فهَزَمَهم وَاسْتَوْلَى عَلَيها[8].

---

(1) يوم الخميس عاشر ذي القعدة 648 هـ. المختصر 3: 184، مفرج الكروب 6: 159، نهاية الأرب 420، عقد الجمان 1: 40.

(2) في الأصول، والمختصر 3: 184: العباسية، واعتمدنا هنا وفي المواضع التالية ما في مفرج الكروب 6: 158، والعباسة: قرية بالديار المصرية، أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام، وتنسب إلى عباسة بنت أحمد بن طولون.

(3) ينظر عقد الجمان 1: 40، ومايلي.

(4) يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة. المختصر 3: 185.

(5) إضافة للتوضيح، ينظر ما سبق ص 224.

(6) من حين استيلاء الصالح أيوب على بعلبك. المختصر 3: 185، وينظر ما سبق.

(7) المختصر 3: 185، مفرج الكروب 6: 164.

(8) المختصر 3: 185، مفرج الكروب 6: 167.

وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بيْنَ النَّاصِر وبيْنَ الأُمَرَاءِ بِمِصْرَ، فاصْطَلَحُوا سَنَةَ [إِحْدَى وَ](1) خَمْسِينَ، وجَعَلُوا التُّخُمَ بَيْنَهُمَا نَهْرَ الأُرْدُن.

ثُمَّ أَطْلَقَ أَيْبَكُ حُسَامَ الدِّين الهَذْبَانِيَّ، فَسَارَ إِلَى دِمَشْق، وَسَارَ في خِدْمَةِ النَّاصِر(2).

[298 ب] / وجَاءَت إلى النَّاصِرِ شَفَاعَةُ المُسْتَعْصِم في النَّاصِر دَاوُدَ صَاحِبِ الكَرَك الَّذِي حَبَسَهُ بِحِمص، فَأَفْرَجَ عَنْه، ولَحِقَ بِبَغْدَادَ ومَعَه ابْنَاه: الأَمْجَدُ والظَّاهِر، فمَنَعَهُمُ الخَلِيفَةُ مِنْ دُخُولِها، فَطَلَبَ وَدِيعَتَه، فَلَمْ يُسْعَفْ بِها، وأَقَامَ في أَحْيَاء غُزَيَّة، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ بِشَفَاعَةٍ مِن المُسْتَعْصِم للنَّاصِر، وَسَكَنَ عِنْدَه بِدِمَشْق(3).

خَلْعُ الأَشْرَف [حَفِيد](4) أَطْسِز، واسْتِبْدَادُ أَيْبَك وأُمَرَاءِ التُّرْك بِمُلْكِ مِصْر

قَدْ تَقَدَّم آنفاً بَيْعَةُ أُمرَاءِ التُّرْكِ بِمِصْرَ للأَشْرَفِ مُوسَى بن يُوسُف [بن](5) أَطْسِز بن الكَامِل، وأَنَّهم خَطَبُوا لَه وأَجْلَسُوه عَلَى التَّخْتِ بَعْدَ أَن نَصَّبُوا للمُلْكِ(أ) المُعِزَّ أَيْبك، وخَلَعُوا شَجَرَ الدُّرّ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بَنِي أَيُّوب فوَلَّوا الأَشْرَفَ هَذا،

(أ) في س: الملك.

---

(1) من: المختصر 3: 186، مفرج الكروب 6: 175، وينظر نهاية الأرب 29: 426، السلوك 1 :385.

(2) في مفرج الكروب 6: 175: فأقطعه الملك الناصر خبزاً جليلاً، وينظر المختصر 3: 186.

(3) المختصر 3: 186.

(4) في الأصول: بن، وأثبتنا ما يتفق مع ما سبق ذكره بهذا الخصوص.

(5) مما سبق، وينظر المختصر 3: 183.

وجعلُوا أيْبَكَ أتابِكَه، وكَانَ طَمُوحاً إلى الاسْتِبْدادِ، وكَانَ أقْطاي الجمْدار، مِن أُمَرَاءِ البَحْرِيّة، يُدافِعُه عَن ذَلِكَ ويَغُضُّ مِن عِنانِه فِيه، مُنافَسَةً وغَيْرَةً. فأرْصَدَ لَه أيْبَكُ ثَلاثةً مِن المَمَالِيكِ اغْتالُوه في بَعضِ سِكَكِ القَصْرِ، وقَتَلُوه سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسِين، وكَانَت جَمَاعَةُ البَحْرِيةِ مُلْتَفَّةً عَلَيْه فانْفَضُّوا ولَحِقُوا بالنّاصِرِ في دِمَشْقَ[1]، واستَبَدَّ أيْبَكُ بِمِصْر، وخَلَعَ الأَشْرَفَ وقَطَعَ الخُطْبَةَ لَه، فكَانَ آخِرَ مَن خُطِبَ لَه مِن بَني أيُّوبَ بِمِصْر، وخَطَبَ أيْبَكُ لنَفْسِه، ثُمّ تَزَوّجَ شَجَرَ الدُّرِّ أمَّ خَلِيل، المَلِكَةَ قَبْلَه[2].

وَلَمّا وَصَلَ البَحْرِيةُ إلى النّاصِرِ بدِمَشْقَ أطْمَعُوه في مُلْكِ مِصْر، واسْتَحَثُّوه، فتَجَهَّزَ وسَارَ إلى غَزّةَ، وبَرَزَ أيْبَكُ بعَسَاكِرَ إلى العَبّاسَةِ فنَزَلَ بها، وانْتَقَضَ عَلَيْه العَزِيزِيّةُ وهَمُّوا بالثَّوْرَةِ به، فَارْتَابَ بِهِم ولَحِقُوا بالنّاصِر، ثُمّ تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بيْنَ النّاصِرِ وأيْبَكَ فاصْطَلَحُوا عَلَى أن يَكُونَ التُّخْمُ بَيْنَهُمَا العَرِيشَ[3].

وبَعَثَ النّاصِرُ إلى المُسْتَعْصِمِ مَعَ وزِيرِه كَمَالِ الدِّينِ [عُمَرَ بن أبي جَرَادَةَ][4] ابنِ العَدِيمِ في طَلَبِ الخِلْعة، وكَانَ أيْبَكُ قَد بَعَثَ بالهَدِيةِ والطّاعَةِ إلى المُسْتَعْصِم، فمَطَلَ المُسْتَعْصِمُ النّاصِرَ بالخِلْعَةِ حَتّى بَعَثَها إلَيه بَعْدَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ[5].

ثُمّ قُتِلَ المعِزُّ أيْبَك، قَتَلَتْه شَجَرُ الدُّرِّ غِيلَةً / بالحَمّامِ سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ[6]، [299 ا]

(1) مفرج الكروب 6: 178، وينظر ما يلي.
(2) المختصر 3: 190، مفرج الكروب 6: 182، زبدة الفكرة 12 – .
(3) المختصر 3: 190 – .
(4) من نهاية الأرب 29: 370.
(5) المختصر 3: 191- 193، وينظر مفرج الكروب 6: 189 .
(6) في الثالث والعشرين من ربيع الأول. المختصر 3: 192، مفرج الكروب 6: 194 – .

غَيْرَةً مِن خِطْبَتِه بِنْتَ لُؤْلُؤ صَاحِبِ المَوْصِل، فنَصَّبُوا مَكَانَه ابْنَه عَلِيّاً ولَقَّبُوه المَنْصُورَ[1]، وثَأَرُوا بِه مِن شَجَرِ الدُّرِّ، كَمَا نَذْكُرُ فِي أَخْبَارِهِم.

مَسيرُ المُغيثِ بنِ العَادلِ صَاحِبِ الكَرَكِ مَعَ البَحْرِيَّةِ إلى مِصْرَ وانهزامُهُم

كَانَ البَحْرِيَّةُ مُنْذُ لَحِقُوا بالنَّاصِر، بَعْدَ مَقْتَلِ أَقْطَاي الجَمْدَار، مُقِيمِينَ عِنْدَه، ثُمَّ ارْتَابَ بِهِم وطَرَدَهُم آخِرَ خَمْسٍ وخَمْسِين، فلَحِقُوا بِغَزَّةَ، وكَاتَبُوا المُغِيثَ فَتْحَ الدِّين عُمَرَ بنَ العَادِلِ بالكَرَك، وقَد كُنَّا ذَكَرْنَا أَنَّ بَدْراً الصَّوَابِيَّ أَخْرَجَه مِن مَحْبِسِه بالكَرَك، بَعْدَ مَقْتَلِ تُورَانْشَاه بِمِصْر، وَوَلَّاه المُلْكَ وقَامَ بتَدْبِيرِ دَوْلَتِه، فبَعَثَ إِلَيْه الآن بَيْبَرْس البُنْدُقْدَارِيُّ مُقَدَّمَ البَحْرِيَة مِن غَزَّةَ يَدْعُوه إلى المُلْك، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى النَّاصِرِ بدِمَشْق، فجَهَّزَ العَسَاكِرَ إلى غَزَّةَ، فقَاتَلُوهم وانْهَزَمُوا إلى الكَرَك، فتَلَقَّاهم المُغِيثُ وقَسَّمَ فِيهِم الأَمْوَال، وَاسْتَحَثُّوه لِمُلْكِ مِصْر، فَسَارَ مَعَهم، وبَرَزَت عَسَاكِرُ مِصْرَ لِقِتَالِهم مَعَ قُطُز مَوْلَى أَيْبَك المعِزِّ ومَوَالِيه، فَالْتَقَى الفَرِيقَانِ[2] بالعَبَّاسَة فَانْهَزَمَ المُغِيثُ والبَحْرِيَة إلى الكَرَك، ورَجَعَتِ العَسَاكِرُ إلى مِصْرَ[3].

وفِي خِلَالِ ذَلكَ خَرَجَ النَّاصِرُ دَاوُدُ بنُ المُعَظَّم مِن دِمَشْقَ حَاجّاً، ونَادَى فِي الموسِمِ بتَوَسُّلِه إلى المسْتَعْصِم فِي وَدِيعَتِه، وَانْصَرَفَ مَعَ الحَاجِّ إلَى العِرَاق،

(1) المختصر 3: 192.

(2) بكرة السبت منتصف القعدة 652 هـ. المختصر 3: 193، ينظر مفرج الكروب 6: 205.

(3) المختصر 3: 192 - 193.

فأكْرَهَهُ المستَعْصِمُ علَى بَرَاءَتِه مِن وَدِيعَتِه، فكَتَبَ وأشْهَدَ، ولَحِقَ بالبَرِيّة، وبَعَثَ إلى النّاصِرِ يُوسُفَ يَسْتَعْطِفُه، فَأذِنَ لهُ وَسَكَنَ دِمَشْقَ[1]، ثُمّ رَجَعَ معَ رَسُولِ المستَعْصِم، الّذِي جاءَ إلى النّاصِر بالخِلْعَة والتَّقْلِيد، وأقَامَ بقَرْقِيسِيَا حَتّى يَسْتَأذِنَ لَه الرّسُولُ، فلَمْ [يُؤْذَنْ][أ] لهُ، فأقَامَ عِنْدَ أحْيَاءِ العَرَبِ بالتّيه[2]، وقَرُبُوا في تَقَلُّبِهم مِن الكَرَك، فقَبَضَ عَلَيه المغِيثُ صَاحِبُ الكَرَكِ وحَبَسَه، حَتّى إذَا زَحَفَ الطَّطَرُ إلى[ب] بَغْدَاد بَعَثَ عَنه المستَعْصِمُ لِيَبْعَثَه عَلَى العَسَاكِرِ لِمُدَافَعَتِهم، فأطْلَقَه المغِيثُ، وقَدِ اسْتَوْلَى الطُّطَرُ عَلَى بَغْدَاد / فرَجَعَ، ومَاتَ بِبَعْضِ قُرَى دِمَشْق بالطّاعُونِ سَنَةَ [299 ب] سِتٍّ وخَمْسِين[3].

زَحْفُ النّاصِرِ صَاحِب دِمَشْقَ إلَى الكَرَك، وحِصَارُهَا، والقَبْضُ عَلَى البَحْرِيّة

ولَمّا كَانَ مِن المغِيث والبَحْرِيةِ مَا قدَّمْنَاه، ورَجَعُوا مُنْهزِمِينَ إلَى الكَرَك، بَعَثَ النّاصِرُ عَسَاكِرَهُ مِن دِمَشْقَ إلى البَحْرِيّة، فالتَقَوْا بغَزّة، وانْهَزَمَت عَسَاكِرُ النّاصِر وظَفِرَ البَحْرِيةُ بِهِم[ج]، وَاسْتَفْحَلَ أمْرُهم بالكَرَك[4]، فَسَارَ النّاصِرُ بِنَفْسِهِ

(أ) من س، وفي ظ: بإذن. (ب) سقط من س. (ج) سقط من س.

(1) المختصر 3: 191، عقد الجمان 1: 110 - 121.
(2) المختصر 3: 193، ينظر مفرج الكروب 6: 206 - 207.
(3) في المختصر 3: 195: ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الأولى. وينظر مفرج الكروب 6: 221 – 238.
(4) المختصر 3: 197.

إليهم بالعَساكِرِ مِن دِمَشْقَ سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِين، وَسارَ مَعَه صَاحِبُ حَماةَ المنصُورُ مُحَمَّدُ بنُ المظَفَّرِ مَحْمُود، فنزَلُوا عَلَى الكَرَكِ وحَاصَرُوها. وأرسَلَ المغِيثُ إلى النَّاصِرِ في الصُّلحِ، فَشَرَطَ عَلَيه أن يَحْبِسَ البَحْرِيَّة، فأجَابَ، ونُمِيَ الخبَرُ إلى أمِيرِهِم بَيْبَرْسَ البُنْدُقْدارِيِّ فَهَربَ في جَماعَةٍ مِنهم، ولَحِقَ بالنَّاصِرِ، وقَبَضَ المغِيثُ عَلَى البَاقِينَ، وبَعَثَ بِهِم إلى النَّاصِرِ في القُيُودِ، ورَجَعَ إلى الكَرَكِ[1].

ثُمَّ بَعَثَ [النَّاصِرُ مِن دِمَشْقَ][أ] إلَى الأُمَرَاءِ بِمِصْرَ وَزِيرَهُ كَمالَ الدِّينِ [عُمَرَ ابنَ أبي جَرادَةَ][2] بنِ العَدِيمِ يَدْعُوهُم إلى الاتِّفَاقِ عَلَى مُدَافَعَةِ الطَّطَر. وَفي أيَّامِ مُقَامِ ابنِ العَدِيمِ بِمِصْرَ خَلَعَ الأُمَرَاءُ عَلِيَّ بنَ المعِزِّ أيْبَك، وقَبَضَ عَلَيه قُطُز أتَابِكُ عَسَاكِرِه وَمَوْلَى أبِيه، وجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ[3]، وخَطَبَ لنَفْسِه، وقَبَضَ عَلَى أكَابِرِ الأُمَرَاءِ الَّذِين يَرْتَابُ بِمُنَازَعَتِهِم، كما نَذْكُرُهُ في أخْبَارِهِم، وَأعَادَ ابنُ العَدِيمِ إلى مُرْسِلِه صَاحِبِ دِمَشْقَ بالإجَابَةِ والوَعْدِ بالمظَاهَرَةِ[4].

اسْتِيلاءُ الطَّطَرِ عَلَى الشَّامِ، وانقِراضُ مُلُوكِ[ب] بَني أيُّوبَ وهَلاكُ مَن هَلَكَ مِنهُم

ثُمَّ زَحَفَ الطَّطَرُ وسُلْطَانُهم هُولاكُو إلى بَغْدَاد، وَاسْتَوْلَى عَلَى كُرْسِيِّ الخِلَافَة، وقَتَلُوا المسْتَعْصِمَ، وطَمَسُوا مَعَالِمَ المِلَّة، وكَادَت تَكُونُ مِنْ أشْرَاطِ

(أ) من س. (ب) في س: ملك.

---

(1) المختصر 3: 198، نهاية الأرب 29: 438.

(2) من مفرج الكروب 6: 262.

(3) في أوائل ذى الحجة 657 هـ. المختصر 3: 199.

(4) المختصر 3: 199.

السَّاعة، وقَدْ شَرَحْنَاهَا في أخْبَارِ الخُلَفاء، ونَذْكُرُها في أخْبارِ الطَّطَرِ[1]، فبَادَرَ النَّاصِرُ، صَاحِبُ دِمَشْق، بِمُصَانَعَتِه، وبَعَثَ ابْنَه العَزِيزَ مُحَمَّداً إلى السُّلْطَان هُولاَكُو بالهَدَايا والألْطَاف[2]، فلَمْ يُغْنِ، ورَدَّه بالوَعْد.

ثُمَّ بَعَثَ هُولاَكُو عَسَاكِرَه إلى مَيَّافَارِقِين، وبِها الكَامِلُ مُحَمَّدُ بنُ المظَفَّرِ شِهَابِ الدِّين غَازِي بنِ العَادِلِ الكَبِير، فحَاصَرُوها سَنَتَيْنِ، ثُمَّ مَلَكُوها عَنْوَةً سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسِينَ وقَتَلُوه[3].

وبَعَثَ العَسَاكِرَ إلى إرْبِلَ / فحَاصَرُوها سِتَّةَ أشْهُرٍ وافْتَتَحُوهَا. [300 أ]

وَسَارَ[4] مُلُوك بِلادِ الرُّومِ: كيكَاوس وقِلِيج أرْسَلان ابْنَا كِيخُسْرُو إلى هُولاَكُو إثْرَ مَا مَلَكَ بَغْدَاد، فدَخَلُوا في طَاعَتِه، ورَجَعُوا إلى بِلادِهِم[5].

وَسَارَ هُولاَكُو إلى بِلادِ أذْرَبِيجَان، وَوَفَد عَلَيه هُنَالِك لُؤلُؤ، صَاحِبُ المَوْصِل، سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِين، ودَخَلَ في طَاعَتِه، [ورَدَّه][أ] إلى بلَدِه، وهَلَكَ إثْرَ ذَلك، وَمَلَكَ: المَوْصِلَ مَكَانَه ابْنُه الصَّالِحُ، وسِنْجَارَ ابْنُه عَلاءُ الدِّين[6].

ثُمَّ أوْفَدَ النَّاصِرُ، صَاحِبُ دِمَشْق، ابْنَه [العَزِيزَ مُحَمَّداً][7] إلى هُولاَكُو

(أ) من س، وفي ظ: ورد.

---

(1) ينظر ما يلي بهذا الجزء.

(2) المختصر 3: 197، نهاية الأرب 29: 382.

(3) المختصر 3: 196، 203، نهاية الأرب 29: 407.

(4) سنة 657 هـ. المختصر 3: 197.

(5) المختصر 3: 197.

(6) المصدر نفسه 3: 198.

(7) في س: فلاناً، وسقط من ظ، وأكملناه من المختصر 3: 197.

بالهَدَايا والتُّحَفِ في سَبِيلِ المُصَانَعَة[1]، وَاعْتَذَرَ عَن لِقَائِه بالمَخَافةِ عَلَى سَواحِلِ الشَّام مِن الفِرنْجِ، فَتَلَقَّى وَافِدَه وعُذْرَه بالقَبُولِ، ورَجَّعَه إلى أبيه بالمُهَادَنة والمُوَاعَدَةِ الجَمِيلة[2].

ثُمَّ سَارَ هُولاكُو إلى حَرَّانَ فَمَلَكَها، وبَعَثَ ابْنَه [سَموط بن هُولاكُو][3] في العَسَاكِرِ إلى حَلَب[4]، وبِها المُعَظَّمُ تُورَانْشَاه بنُ صَلَاح الدِّين نَائباً عَن النَّاصِر يُوسُف، فَخَرَجَ لقِتَالِهم في العَسَاكِر، وأكْمَنَ لَه الطَّطَرُ، واسْتَجَرُّوهم، ثُمَّ كَرُّوا عَلَيهم فأثْخَنُوا فِيهم، ورَحَلُوا إلى عَزَازَ فَمَلَكُوها [صُلحاً][(أ)][5].

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى النَّاصِرِ بدِمَشق، فَعَسْكَرَ عَلى بَرْزَةَ[6] سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسِين، وجاءَه المَنْصُورُ بن المَظَفَّر صَاحِبُ حَمَاة، فَأَقَامَ مَعَه يَنْتَظِرُون مَآلَ[(ب)] أَمْرِهم، ثُمَّ بَلَغَه أَن جَمَاعَةً مِن مَوَالِيه اعْتَزَمُوا عَلَى الثَّوْرَة بِه، فَكَرَّ رَاجِعاً إلى دِمَشْق، ولَحِقَ أُولَئكَ المَوَالي بغَزَّة، ثُمَّ اطَّلَعَ عَلَى خَبِيئِهم وأَنَّ قَصْدَهم تَمليكُ أَخِيه الظَّاهِر، فَاسْتَوْحَشَ مِنه، ولَحِقَ الظَّاهِرُ بِهم فَنَصَّبُوه للأمرِ، وَاعْصَوْصَبُوا عَلَيه، وكَانَ مَعَهم بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدَارِيّ، وَشَعَرَ بِتَلاشِي أَحْوَالِهم، فَكَاتَبَ المَظَفَّرَ قُطُز صَاحِبَ مِصْر،

(أ) من س. (ب) في الأصول: ما آل.

---

(1) المختصر 3: 197.

(2) نهاية الأرب 29: 382.

(3) من المختصر 3: 199.

(4) في المختصر 3: 199: في العشر الأخير من ذي الحجة 657 هـ. وفي نهاية الأرب 29: 407: في المحرم (658 هـ).

(5) المختصر 3: 199 – 200.

(6) قرية في غوطة دمشق، معجم البلدان 1: 382.

وَاسْتَأْمَنَ إليه، فأمَّنه، وسَارَ إلى مِصْرَ فتُلُقِّيَ بالكَرَامَة، وأُنزِلَ بدَارِ الوِزَارَة، وأقْطَعَه السُّلْطَانُ قُطز قَلْيُوب بأعْمَالِها(1).

ثُمّ عَبَرَ هُولاكُو الفُرَاتَ فمَلَكَ إلبِيرَة، وكَانَ بِها السَّعِيدُ أخُو النَّاصِر مُعْتَقَلاً، فأطْلَقَه وسَرَّحَه إلَى عَمَلِه [بالصُّبَيْبَة](أ) وبَانيَاس وَوَلاه عَلَيهِمَا(2).

وقَدِمَ صَاحِبُ أرْزَن إلى تُورَانْشَاه، نَائِبِ حَلَب، يَدْعُوه إلى الطَّاعَة، فامْتَنَعَ، فسَارَ إلَيها وَمَلَكَها عَنْوَةً وأمَّنَها، وَاعْتَصَمَ تُورَانْشَاه والحَامِيةُ بالقَلْعَة، وبَعَثَ / أهْلُ حَمَاةَ [300 ب] بطَاعَتِهِم إلى هُولاكُو، وأنْ يَبْعَثَ عَلَيهِم نَائباً مِن قِبَلِه، ويُسَمَّى - بِلِسَانِهِم - الشِّحْنَة، فأرْسَلَ إليهِم قَائداً يُسَمَّى خُسْرُوشَاه، ويَنْتَسِبُ في العَرَبِ إلى خَالِدِ بنِ الوَلِيد(3).

وبَلَغَ النَّاصِرَ أخْذُ حَلَب، فأجْفَلَ عَن دِمَشْق، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيها، وَسَارَ إلى غَزَّة، وأجْمَعَ(ب) إليهِ مَوَالِيهِ وأخَاهُ(4)(ج).

وسَارَ الطَّطَرُ إلى نَابُلُس فَمَلَكُوهَا، وقَتَلُوا مَنْ كَانَ(د) بِها مِن العَسْكَرِ(5).

وَسَارَ النَّاصِرُ مِن غَزَّةَ إلى العَرِيش، وقَدِمَ رُسُلُه إلى المظَفَّر قُطز يَسْأله في النَّصْرِ مِن عَدُوّهـم واجْتمَاعِ الأيْدي عَلَى المدَافعَة، ثُمّ تَقَدَّمُوا إلى قَطْيَة(6)، وَاسْتَرَابَ

(أ) من س. وفي ظ: النبيبة. (ب) في س: واجتمع. (ج) في الأصول: واخيه. (د) سقط من س.

(1) المختصر 3: 200.

(2) زبدة الفكرة 48.

(3) المختصر 3: 201.

(4) المختصر 3: 201، وينظر نهاية الأرب 29: 385 - .

(5) المختصر 3: 202.

(6) في الأصول: قطياً، ونهاية الأرب 29: 388، وهي قرية قرب الفرما. المختصر 3: 202، معجم البلدان 4: 378.

النّاصِرُ مِن أهْلِ مِصْر، فَسَارَ هُوَ وأخُوه الظَّاهِرُ ومَعهما الصَّالِحُ بنُ الأَشْرَف مُوسَى بنِ شِيرَكُوه فدَخَلُوا التّيه، وفارَقَهم المَنْصُورُ صَاحِب حَمَاة، والعَسَاكِرُ إلى مِصْر، فَتَلَقَّاهم السُّلْطَان قُطُز بالصَّالِحِيَة وآنَسَهم، ورَجَعَ بِهِم إلى مِصْر[1].

وَاسْتَوْلَى الطَّطَرُ عَلَى دِمَشْق، وسَائِرِ بِلادِ الشَّام إلى غَزَّة، وَوَلَّوا عَلَى جَمِيعِها أُمَرَاءَهم[2].

ثُمّ افْتُتِحَت قَلْعَةُ حَلَب[3]، وكَانَ بِها جَمَاعَةٌ مِن البَحْرِيَّة [مُعْتَقَلِينَ](أ) مِنْهم: سُنْقُر الأَشْقَر، فَدَفَعَهم هُولاكُو إلى سُلْطَان جُق مِنْ أَكَابِرِ أُمَرَائِه[4]، وَوَلَّى عَلَى حَلَبَ عِمَادَ الدِّين القَزْوِينِيّ. وَوَفَدَ عَلَيه بِحَلَبَ الأَشْرَفُ مُوسَى بنُ المَنْصُورِ إبْرَاهِيمَ ابن شِيرَكُوه، صَاحِبُ حِمْص، وكَانَ النَّاصِرُ قَدْ أَخَذَها مِنه عَنْوَةً[5]، كَمَا قَدَّمْنَاه، فأَعَادَها عَلَيه هُولاكُو[6]، ورَدَّ جَمِيعَ وُلاتِه بالشَّام إلى رَأْيِه[7].

وسَارَ إلَى قَلْعَةِ حَارِم فَمَلَكَها وَاسْتَبَاحَها، وأَمَرَ بتَخْرِيب أَسْوَارِ حَلَب وقَلْعَتِها، وكَذَلك حَمَاة وحِمْص، وَحَاصَرُوا قَلْعَةَ دِمَشْق طَوِيلاً، ثُمّ تَسَلَّمُوها بالأَمَان[8]، ثُمّ

(أ) في ظ: معتطين، وأثبتنا ما في س.

---

(1) المختصر 3: 202، ينظر مفرج الكروب 6: 272.

(2) المختصر 3: 202

(3) يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأول 658 هـ. المختصر 3: 202، مفرج الكروب 6: 273.

(4) زبدة الفكرة 49.

(5) سنة 646 هـ. المختصر 3: 202، مفرج الكروب 6: 273، وينظر ما يلي ص 264.

(6) المختصر 3: 202.

(7) مفرج الكروب 6: 273.

(8) في منتصف جمادى الأولى 658 هـ. المختصر 3: 203، مفرج الكروب 6: 275.

ملكُوا بَعْلَبَك وهَدَمُوا قَلْعَتَها، وَسَارُوا إلى الصُّبَيْبَة وبِها السَّعِيد بن العَزِيز بن العَادِل، فَمَلكُوها مِنه عَلَى الأمَان، وَسَارَ مَعَهم، وَوَفَد عَلَى هُولاكُو فَخْرُ الدِّين بن الزَّكِي مِن أهْلِ دِمَشق فَوَلاَّه القَضَاءَ بِها[1].

ثُمَّ اعْتَزَمَ هُولاكُو عَلَى الرُّجُوع إلى العِراق، فعَبَرَ الفُرَاتَ، وَوَلَّى عَلَى الشَّام أجْمَعَ الأمِيرَ كُتْبُغَا مِن أكَابرِ أمَرائه، وَاحْتَمَلَ عِمَاد الدِّين القَزْوِينِيّ مِن حَلَب، وَوَلَّى مَكَانَه آخَر[2].

وأما النَّاصِرُ فَلَمَّا / دَخَل فِي التِّيه هَالَه أمْرُه، وحَسَّنَ لَه أصْحَابُه قَصْدَ [301]
هُولاكُو، فأرْسَلَ إلى كُتْبُغَا، نَائِبِ الشَّام، يَسْتَأْذِنُه، ثُمّ وَصَلَ فقَبَضَ عَلَيه، وَسَارَ به إلى عَجْلُونَ حَتَّى سَلَّمَها إليه أهْلُها، وبَعَثَ به إلى هُولاكُو، فَمَرَّ بدِمَشْق، ثُمّ بحَمَاة، وبِها الأشْرَفُ صَاحِبُ حِمْص وخُسْرُو شاه نَائِبُها، فَخَرجَا لتَلَقِّيه، ثُمّ مَرَّ بحَلَبَ ووَصَلَ إلى هُولاكُو، فأقْبلَ عَلَيه وَوَعَدَه بِرَدِّه إلى مُلْكِه[3].

ثُمّ ثَارَ المسْلِمُونَ بدِمَشْقَ عَلَى النَّصَارَى أهْلِ الذِّمَّة، وخَرَّبُوا كَنِيسَةَ مَرْيَمَ مِن كَنَائِسِهم، وكَانَت مِن أعْظَم الكَنَائس في الجَانِب الّذِي فَتَحَه •خَالِدُ بنُ الوَلِيد، وكَانَت لَهم أُخْرَى في الجَانِبِ الّذِي فَتَحَه•[أ] أبُو عُبَيْدَةَ بالأمَان، ولَمَّا وَلِيَ الوَلِيدُ [بنُ عَبْدِ الملك][4] طَالَبَهم في هَذِه[ب] الكَنِيسة ليُدْخِلَها في جَامِع البَلاط، وأغْلَى لَهم في

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) في س: بهذه.

---

(1) المختصر 3: 202 – 204، مفرج الكروب 6: 278 - 279.
(2) ورتب مكانه رجلاً أعجمياً. مفرج الكروب 6: 274.
(3) المختصر 3: 204، وينظر نهاية الأرب 29: 390.
(4) من المختصر 3: 205.

السُّوم فامْتَنَعُوا، فهَدَمَها وزادَها في الجامع لأنَّها كَانَت لِصقَه. فلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ استعْدَوْه، فعوضَهم بالكَنِيسةِ التي مَلَكها المسلِمُون بالعَنْوة مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيد، وقَد تَقَدَّم ذِكرُ هَذه القِصَّة. فلَمَّا ثَارَ المسلِمُونَ الآنَ بالنَّصَارَى أهْلِ الذِّمَّة خَرَّبُوا كَنِيسَةَ مَرْيَمَ هَذِه، ولَم يُبقُوا لَها أثراً[1].

ثُمَّ إنَّ العَسَاكِرَ الإسْلَامِيَّةَ اجْتَمَعَتْ بِمِصْرَ، وسَارُوا إلى الشَّام لِقِتالِ الطَّطَر، صُحْبَةَ السُّلطَان قُطُز صَاحِبِ مِصر، ومَعَه المَنْصُورُ [مُحَمَّدٌ][2] صَاحِبُ حَمَاة، وأخُوه الأفْضَلُ [عَلِيٌّ][3]، فَسَارَ إليه كُتْبُغَا نَائِبُ الشَّام ومَعَه الأشْرَفُ [مُوسَى][4] صَاحِبُ حِمْص، والسَّعِيدُ صَاحِبُ الصُّبَيْبَة ابنُ العَزِيز بنِ العَادِل، والتَقَوْا عَلَى عَيْنِ جَالُوتَ بالغَوْرِ[5]، فانْهَزَمَ الطَّطَرُ، وقُتِلَ أمِيرُهم كُتْبُغَا النَّائِب، وأُسِرَ السَّعِيدُ صَاحِبُ الصُّبَيْبَة فقَتَلَه قُطُز، وَاسْتَوْلَى عَلَى الشَّام أجْمَعَ وَوَلَّى عَلَيه، وأقَرَّ المَنْصُورَ صَاحِبَ حَمَاةَ عَلَى بلَدِه، ورَجَعَ إلى مِصْر، فهَلَكَ في طَرِيقِه، قَتَلَهُ بَيْبَرْس البُنْدُقْدَارِيّ، وجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ مَكَانَه، وتَلَقَّبَ بالظَّاهِر، حَسْبَمَا نَذكر ذَلِكَ كُلَّه في دَوْلَةِ التُّرك[6].

ثُمَّ جَاءَت عَسَاكِرُ الطَّطَرِ إلى الشَّام، ولَقِيَتْهم عَسَاكِرُ المسلِمِينَ فهَزَمُوهم عَلَى حِمْص، وتَوَالَتِ الهَزَائِم عَلَى الطَّطَرِ بالشَّام، وشُغِلَ هُولاكُو عَنهم بالفِتْنَة مَعَ

---

(1) المختصر 3: 204، وينظر نهاية الأرب 29: 476.
(2)، (3) من المختصر 3: 205.
(4) من المختصر 3: 205.
(5) يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان 658 هـ. المختصر 3: 205، وينظر ما يلي ص 265 - .
(6) ينظر ما يلي ص 266.

قومِه، وأسِفَ عَلَى قَتْلِ كُتُبُغَا نَائِبِه وهزيمة عَسَاكِرِه، فأَحْضَرَ النَّاصِرَ ولاَمه عَلَى مَا كَانَ مِنْه مِن تَسْهِيلِه عَلَيه أَمْرَ الشَّام وتَجَنَّى عَلَيه بأنه قد غرَّه بذلك، فاعْتَذَرَ لهُ النَّاصِرُ/ فلَمْ يَقْبَلْ، فرَمَاه بسَهْمٍ فأنفَذَه، ثُمَّ أَتْبَعُوه[أ] بأخِيه الظَّاهِر وبالصَّالِح بنِ [301ب] الأشْرَف مُوسَى صَاحِبِ حِمْص، وشَفَعَت زَوْجَةُ هُولاكُو في العَزِيزِ بنِ النَّاصِر، وكَانَ مَعَ ذَلك نَفْعُه، فاسْتَبْقَاه[1].

وَانقَرَضَ مُلْكُ[ب] بَنِي أَيُّوبَ مِن الشَّام، كَمَا انقَرَضَ قَبْلَهَا مِن مِصْر.

وَاجْتَمَعَت مِصْرُ والشَّامُ في مِلْكَةِ التُّرْك، ولَمْ يَبْقَ لبَنِيَ أَيُّوب بِها مَلِكٌ إلَّا المَنْصُورُ بنُ المظَفَّر صَاحِبُ حَمَاة، فَإِنَّ قُطُز أَقَرَّه عَلَيها، والظَّاهِر بَيْبَرْس مِن بَعْدِه، وبَقِيَ في إمَارَتِها هُوَ وبَنُوه مُدَّةً مِن دَوْلَةِ التُّرْكِ وفى طَاعَتِهم، حَتَّى تَأَذَّنَ اللهُ بانقِرَاضِهم، وَوَلَّوْا عَلَيها غَيْرَهم مِن أُمَرائهم، كَمَا نَذْكُرُ في أَخبارِ دَوْلتهم.

واللهُ وَارِثُ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية 128].

(أ) في س: أتبعه. (ب) في س: أمر.

(1) المختصر 3: 211 – 212، مفرج الكروب 6: 280 – ، وينظر زبدة الفكرة 52 – ، نهاية الأرب 29: 390.

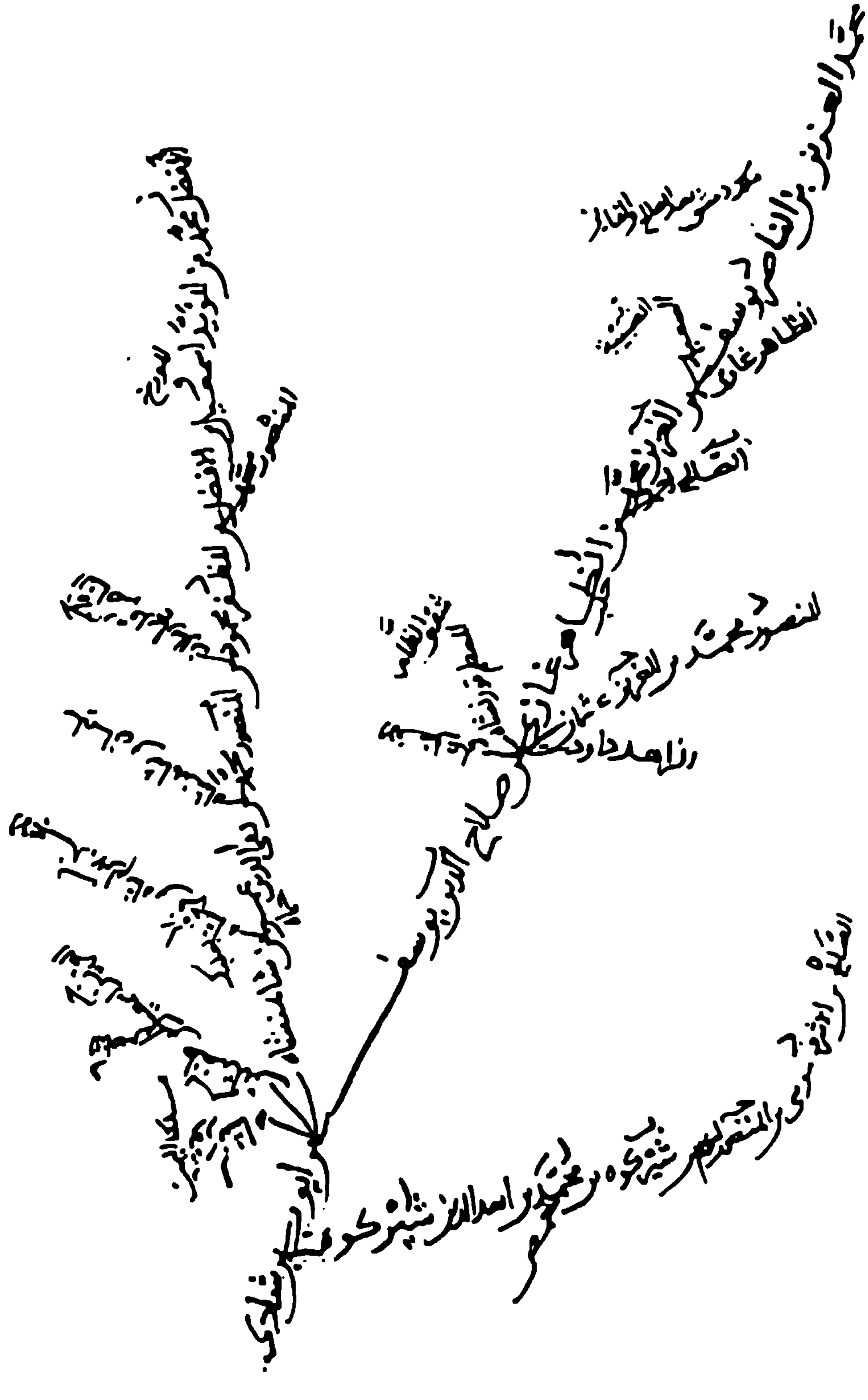

[مشجّر أسرة صلاح الدين يوسف بن أيوب وإخوته: ترنشاه، وطغتكين، وشاهنشاه، وعمه أسد الدين شيركوه بن أيوب. من نسخة س بخطّه]

[302أ]

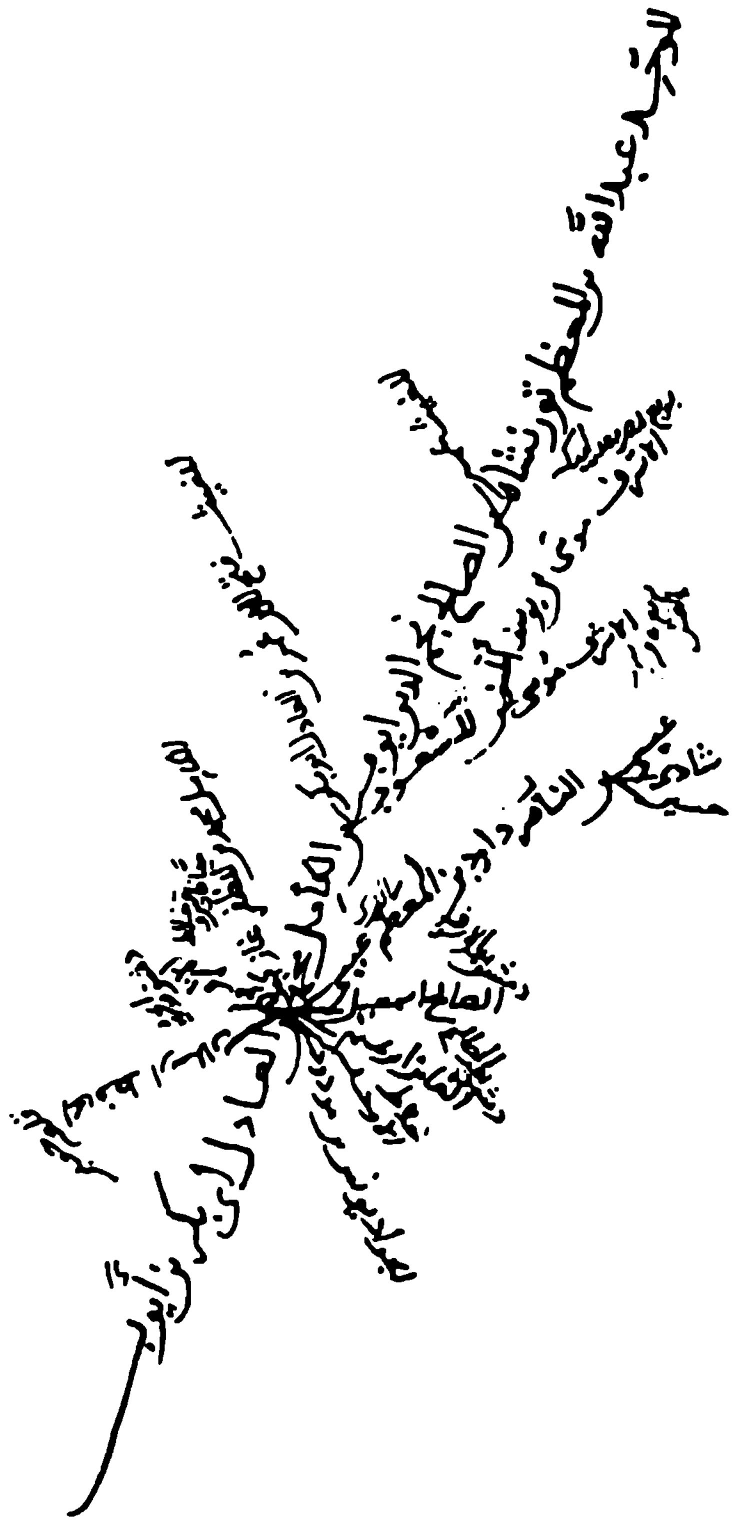

[مشجّر أسرة العادل أبي بكر بن أيّوب. من نسخة س بخطّه]

[302 ب]

۞ / الخبرُ عَن دَولة التركِ القَائمينَ بالدَّعوةِ العبَاسيَّة بمصرَ والشَام مِن بَعد بَني أيُوبَ بمصرَ[(أ)] ولهذا العَهد، ومَبَادئ أمُورهِم وتصَاريف أحْوالهم

قَد تقدَّم لَنا ذِكرُ التُّرك وأنسَابهم أوّلَ الكِتَاب عِندَ ذِكرِ أمَمِ العَالم، ثُمّ في أخبَارِ السَّلجُوقيَّة[(1)]، وأنهم مِن وَلَد [كُومَرَ بن][(2)] يَافِث بن نُوحٍ، باتّفَاقٍ مِن أهْلِ الخَلِيقَة، فعِندَ نَسَّابَةِ العَرَبِ[(3)] أنّهم مِن عَامُورَ بنِ سُوبِيلَ بن يَافِث، وعِندَ نَسَّابَةِ الرُّوم أنَّهم مِن طِيرَاش بنِ يَافِث، هَكذا، قال أهْرُوشِيُوش[(4)]، وعندَ نَسَّابَةِ بني إسْرائيلَ أنَّهم مِن كُومَرَ بنِ يَافِث، وهُوَ الأصَح، وهَكذا وقَعَ في [التَّوْرَاة][(ب)(5)].

وَالظَّاهِرُ أنَّ مَا وقَعَ لنَسَّابَةِ العَربِ غَلَطٌ، وأنَّ عَامُورَ هُوَ مُصَحَّفُ كُومَر، لأنَّ كَافَهُ تَنقَلِبُ عند التَّعْرِيب غَينًا مُعْجَمَة، فربما صُحِّفَت عَيْناً مُهْمَلةً أو بَقِيت بحَالِها، وأمّا سُوبِيلُ فغَلَطٌ بالزّيَادَة، وأمّا مَا وَقَعَ لِلرُّوم مِن نِسْبَتِهم إلى طِيرَاش فهُوَ مَنقُولٌ مِن[(ج)] الإسْرائيلِيَّات، وهو رَأيٌ مَرجُوحٌ عِندَهم لمخَالَفتِه لِمَا في التَّوْرَاة.

(أ) سقط من س. (ب) في ط: التوريه. (ج) في س: في.

---

(1) ينظر ما سبق في بداية الجزء 9، والتعليقات الخاصة في الموضوع نفسه.

(2) إضافة للتوضيح مما سبق بأخبار الدولة السلجوقية، ينظر ما سبق في بداية الجزء التاسع .

(3) نسبهم أبو سعيد إلى ترك بن عامور بن سوبيل بن سويد بن يافث، ينظر قلائد الجمان 28.

(4) تنظر الترجمة العربية القديمة لتاريخ العالم 89، وورد اسم أهروشيوش في بعض المصادر العربية: هرشيوش: وهو Paulus Orosius مؤلف كتاب تاريخ العالم في أوائل القرن الخامس الميلادي، تنظر الترجمة العربية القديمة التي حققها د. عبدالرحمن بدوي.

(5) ينظر التوراة، سفر التكوين، الإصحاح العاشر.

وأمّا شُعُوبُهم وأجْنَاسُهم فكَثِيرَةٌ، وقَدْ عَدَدْنَا مِنهم أوّلَ الكِتَاب الطُّغزغَر، وهُم الطَّطَرُ والخِطَا، وكانوا بأرْضِ طُمْغَاج، وهِيَ بِلَادُ مُلُوكِهم في الإسْلام، تُرْكِسْتَان وكَاشْغَر. وعَدَدْنا مِنهم أيضاً الْخَزَلَخِيَّة والغُزُّ الّذِين كَانَ مِنهم السَّلْجُوقِيَّة، والْهَيَاطِلَة الذِين مِنهم القُلُجُ وبِلادُهُم الصُّغْدُ: قريباً مِن سَمَرْقَنْد، ويُسَمُّون بِها أيضاً، وعَدَدْنا مِنهم أيضاً: الغُورَ والْخَزَرَ والقَفْجَاق، ويُقَالُ: الْخَفْشَاخ، ويَـمَك، والعَلان، ويُقَالُ: آلان، وشَرْكَس وأذْكَش[ا].

وقَالَ صَاحِبُ كِتَاب رُجَّار[1] في الكَلام عَلَى الجغْرَافيا: أجْنَاسُ التُّرْك كُلُّهم وَرَاءَ النَّهرِ إلى البَحْرِ المظْلِم، وهم: التُّبَّتِيَّة، والبَغْزغَزِيَّة[2]، والخَزْخِيزِيَّة[3]، والكِيمَاكِيَّة، والخَزْلَخِيَّة[4]، والخُوزِ، *والجَامَات، وتَرْكِش، وأُذْكِش، وخَفْشَاخ*[ب]، والخُلُخ[5]،

(ا) من هامش ظ، وفي الأصول: أزكش. (ب) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق 2: 850 ونورد نصّه لتصحيح ما ورد في العبر، فقال عن التّرك: إنهم "الذين تركهم الإسكندر خارج السدّ وأقطعهم تلك الأرض فسمّتهم العربُ تركاً لأنّهم ممن ترك الإسكندر من آل ياجوج وماجوج وأسكنهم خارج السدّ فقروا في تلك الأرضين... فجميع الترك أعني الخزلخية والتبتّية والخرخيزية والكيماكية والخامانيّة والأذكس والتركش والخفشاخ والخلج والغزّ والبلغاريّة هؤلاء كلهم أمّ تركهم الإسكندر خلف الرّدم فانتشروا في الأرض وعمروها وكثرت أنسالهم".

(2) تصحيف التعزغزية، نزهة المشتاق 1: 511، 515، 518.

(3) في النزهة 1: 517-518 الخرخيز، والخرخيزّية، وفي س: الخرجيرية.

(4) في النزهة 1: 213: الخزلجية، وفي 2: 227: أن مدينة غوران يسكنها ملك الأتراك الخرلخ.

(5) في النزهة 1: 455، 467، الخلج، وهم صنف من الأتراك وقعوا إلى شرق سجستان من القديم واتصلت عمارتهم إلى شمال الهند. وجاءت في س بفتح الخاء.

والغُزِّيَّة[أ]، وبُلْغار، وخنبغاكِث[1]، وبَجْناك[2]، وبُرْطاس[3]، وبَسَجِرْت[4]، وغُوجان، وأنْكُر. وذكر[5] في مَوضِعٍ آخر أنْكُر[ب] مِن شُعوبِ التُرْك، وأنَّهم في[ج] بِلادِ البَنادِقَة مِن أرضِ الرُّوم.

[303 أ] وأمّا مَواطِنُهم فإنَّهم مَلأوا الجانِبَ الشَّماليَّ / مِن المَعْمورِ في النِّصْفِ الشَّرْقيِّ مِنه، قُبالةَ الهِنْدِ والعِراقِ في ثَلاثَةِ أقاليمَ هيَ: السّابِعُ والسّادِسُ والخامِس، كَما مَلأَ العَرَبُ الجانِبَ الجَنوبيَّ مِن المَعْمورِ أيضاً في جَزيرةِ العَرَبِ وما إليها مِن أطْرافِ الشّامِ والعِراقِ، وهم رَحّالَةٌ مِثْلُهم، وأهْلُ حَرْبٍ وافْتِراسٍ ومَعاشٍ مِنَ التَّقَلُّبِ والنَّهْبِ إلّا في الأقَلّ.

وقد ذَكَرنا أنَّهم ـ عِنْدَ الفَتْحِ ـ لم يُذْعِنوا إلّا بَعْدَ طُولِ حَرْبٍ ومُمارَسَةِ أيّامِ سائِرِ دَوْلَةِ بَني أُمَيَّة، وصَدْراً مِن دَوْلَةِ بَني العَبّاس، وامْتَلأَتْ أيْدي العَرَبِ يَوْمَئذٍ مِن سَبْيِهم فاتَّخَذُوهم خَوَلاً في المِهَنِ والصَّنائِع، ونِساءَهم فُرُشاً للوِلادِ، كَما فَعَلوه في سَبْيِ الفُرْسِ والرُّومِ والبَرْبَرِ وسائِرِ الأُمَمِ الذين قاتَلوهم عَلَى الدِّين. وكان

(أ) سقط من س. (ب) في س بنقطة تحت الكاف للنطق بالحرف. (ج) في س: من.

---

(1) سهام الأدريسي 2: 932: خنغاكث بالغين بدل الفاء وهو تصحيف لا ترجيح له عندنا، وهم قبيل من الترك الغزية ظواعن.

(2) النزهة 2: 919: بجناك، بالجيم بعد الباء.

(3) أمم متاخمون للخزر ولهم لسان يتكلمون به غير لسان الخزر. النزهة 2: 920، وانظر الاتصال بين أراضي هذه القبائل في المرجع نفسه 2: 834.

(4) قبيلتان تسكنان في آخر بلاد الغز على ظهر بلغار. نزهة المشتاق 2: 922 – .

(5) لم يرد في النزهة هذا الخبر، وإنّما ذكر أن واد مدينة أذرنتو يمرّ مع جون البنادقة إلى مدينة ابرندس، وأهلها أنكبرذيون وكانت من عمالة صاحب القسطنطينية. ولم يرد فيها ذكر للترك 2: 632 - ، وفي الاسم زيادة باء بعد الكاف. وفي الأصل س نقطة تحت الكاف للنطق بها قافاً معقودة.

شأنهم ألّا[أ] يَستَعِينُوا بِرَقِيقِهِم في شيءٍ مِمّا كانُوا يُعَانُونَه مِنَ الغَزْوِ والفُتُوحِ ومُحَارَبَةِ الأُمَمِ، ومَنْ أسْلَمَ مِنهم تَرَكُوه لِسَبِيلِه الَّتي هُوَ عَلَيها مِنْ أمْرِ مَعَاشِه عَلَى صَاغِيَةِ هَوَاه، لأنّ عَصَبِيَّةَ العَرَبِ كانَت مُستَفْحِلَةً يَوْمَئِذٍ وشَوْكَتَهم مُرْهَفَةً، ويَدَهُم ويَدَ سُلْطَانِهم في الأَمْرِ جَمِيعاً، ومَرْمَاهُم إلى العِزِّ والمَجْدِ واحِداً، فكَانُوا[ب] كأسْنَانِ المُشْطِ، لِتَرَاحُمِ الأنسَابِ وغَضَاضَةِ الدِّينِ. حَتَّى إذا أرْهَفَ المُلْكُ حَدَّه، ونَهَجَ إلى الاسْتِبْدَادِ طَرِيقَه، وَاحْتَاجَ السُّلْطَانُ في القِيَامِ بأمْرِه إلى الاسْتِظْهَارِ عَلَى المُتَنَازِعِينَ فيه مِن قَوْمِه بالعَصَبِيَّةِ المُدَافِعَةِ دُونَه، والشَّوْكَةِ المُعْتَرِضِ شَبَاهَا في أذْيَالِه، حَتَّى يَجْدَعَ أُنُوفَهم عَنِ التَّطَاوُلِ إلى رُتْبَتِه، ويَغُضَّ أعِنَّتَهم عَنِ السَّيْرِ في مِضْمَارِه، فاتَّخَذَ بَنُو العَبَّاسِ مِن لَدُنِ المَهْدِيِّ والرَّشِيد بِطَانَةً اصْطَنَعُوهم مِن مَوَالِي التُّرْكِ والرُّوم والبَرْبَر، مَلأُوا مِنهمُ المَوَاكِبَ في الأعْيَادِ والمَشَاهِدِ والحُرُوبِ والصَّوَائِفِ لِفَاً عَلَى السُّلْطَان، وزِينَةً في أيَّامِ السِّلْمِ، واكْتَافًا لِعِصَابَةِ المُلْكِ، حَتَّى لَقَدِ اتَّخَذَ المُعْتَصِمُ[ج] مَدِينَةَ سَامَرَّاءَ لِنُزُلِهم تَحَرُّجاً مِن إضْرَارِ الرَّعِيَّة باصْطِدَامِ مَوَاكِبِهم، وتَرَاكُمِ القَتَامِ نَحْوَهم، وضِيقِ السِّكَكِ عَلَى المارِّينَ بِزِحَامِهم.

وكَانَ اسْمُ التُّرْكِ غَالِباً عَلَى جَمِيعِهم، فكَانُوا تَبَعًا لَهم ومُنْدَرِجِينَ / فيهم. [303 ب]

وكَانَت حُرُوبُ المسْلِمِينَ لِذَلكَ العَهْدِ في القَاصِيَة، وخُصُوصاً مَعَ التُّرْكِ، مُتَّصِلَةً، والفُتُوحُ فيهم مُتَعَاقِبَةً، وأفْوَاجُ السَّبْيِ مِن كُلِّ وجْهٍ مُتَدَارِكَة، ورُبَّمَا[د] رَامَ الخُلَفَاءُ ـ عِنْدَ اسْتِكْمَالِ تَعْبِئَتِهِم واسْتِجْمَاعِ عَصَائِبِهم ـ اصْطِفَاءَ عِلْيَةٍ مِنهم لِلْمُخَالَصَة،

(أ) س: أن لا. (ب) في س: وكانوا. (ج) في الأصول: المأمون، والتصويب من هامش ظ. (د) في س: ولما.

وقُوَّاداً للعَسَاكِرِ، ورُؤَسَاءَ للمَرَاتِبِ، فكَانوا يَأخُذُونَ في تَدرِيجِهم لذلك بِمَذَاهِبِ التَّرشِيحِ، فيَنتَقُونَ مِن وُفُودِ السَّبْيِ الغِلْمَانَ كالدَّنانير، والجَوَارِيَ كاللآلِىءِ، ويُسَلِّمُونَهم إلى قَهَارِمَةِ القُصُورِ وقَوَمَةِ الأَوَاوِينِ، يَأخُذُونَهم بحُدُودِ الإسْلَامِ والشَّرِيعَةِ، وآدَابِ المُلْكِ والرِّيَاسَةِ(أ) ومِرَاسِ الثَّقَافَةِ، في المِرَانِ *عَلَى المُنَاضَلَةِ بالسِّهَامِ، والمُشَايَحَة بالسُّيُوفِ، والمُطَاعَنَةِ بالرِّمَاحِ، والبَصَرِ*(ب) بأُمُورِ الحَرْبِ والفُرُوسِيَّةِ، ومُعَانَاةِ الخُيُولِ والسِّلَاحِ، والوُقُوفِ عَلَى مَعَانِي الرِّيَاسَةِ.

حَتَّى إذَا تَنَاغَوْا في التَّرشِيحِ، وانسَلَخُوا مِن جِلْدَةِ الخُشُونَةِ إلى رِقَّةِ الحَاشِيَةِ ومَلَكَاتِ التَّهْذِيبِ، اصْطَفَوْا مِنهم للمُخَالَصَةِ، ورَقَّوْهم في المَرَاتِبِ، ثُمَّ اختَارُوا مِنهم لِقِيَادَةِ العَسَاكِرِ في الحُرُوبِ، ورِيَاسَةِ المَوَاكِبِ أيَّامَ الزِّينَةِ، ورَتْقِ الفُتُوقِ الحَادِثَةِ وسَدِّ الثُّغُورِ القَاصِيَةِ، كُلٌّ عَلَى شَاكِلَةِ غَنَائِه وسَابِقِ اصْطِنَاعِه.

فلَم يَزَلْ هَذا دَأْبَ الخُلَفَاءِ في اصْطِنَاعِهم، ودِعَامَةَ سَرِيرِ المُلْكِ بعَمَدِهم وتَمْهِيدِ الخِلافَةِ بمَقَامَاتِهم حَتَّى تَوَقَّلُوا(1) في دَرَجِ المُلْكِ، وامْتَلأَت جَوانِحُهم مِن العِزِّ، وطَمَحَتْ أبْصَارُهم إلى الاسْتِبْدَادِ، فتَغَلَّبُوا عَلَى الدَّولَةِ، وحَجَرُوا الخُلَفَاءَ، وقَعَدُوا بدَسْتِ المُلْكِ، ومُدْرَجَةِ الأمْرِ والنَّهْيِ، وقَادُوا الدَّولَةَ بِزِمَامِهم، وأضَافُوا اسْمَ السُّلْطَان

(أ) في س: والسياسة. (ب) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) وَقَلَ في الجبل: صَعَّدَ منه، ورفع رجلاً وأثبت أُخرى، والمعنى صَعَدُوا في مراتب الشرف والآداب السلطانية.

إلى مَرَاتِبِهِم. وكَان مَبْدأ ذلك واقِعَةَ المتَوَكّل[1]، ومَا حَصَلَ بَعْدَها مِن تَغَلُّبِ المَوَالِي وَاسْتِبْدَادِهِم بالدَّوْلَةِ والسُّلْطَان.

ونَهَجَ السَّلَفُ مِنهم في ذَلكَ السَّبِيلِ للخَلَفِ، وَاقْتَدَى الآخِرُ بالأوَّلِ، فكَانَت لَهم دُوَلٌ في الإِسْلَام مُتَعَدِّدَةٌ تَعْقُبُ غَالباً دُوَلَ أهْلِ العَصَبِيَّةِ وشَوْكَةَ النَّسَبِ، مِثْلَ: دَوْلَةِ بَنِي سَامَانَ وَرَاءَ النَّهرِ وخُرَاسَان، وبَنِي سُبُكْتِكِينَ بَعْدَهم، وبَنِي / طُولُونَ بِمِصْر، وبَنِي طُغْج بَعْدَهم، ومَا كَانَ بَعْدَ الدَّوْلة السَّلْجُوقِيَّةِ مِن دُوَلِهِم، مِثْلَ: [بَنِي][أ] خُوَارِزْم شَاه بِمَا وَرَاءَ النَّهرِ وخُرَاسَان، وبَنِي طُغْتِكِينَ بدِمَشْقَ، وبَنِي أُرْتُق بمَارِدِين، وبَنِي [زَنْكِي][ب] بالمَوْصِلِ والشَّام، وغَيْرِ ذَلكَ مِن دُوَلِهِمُ الّتِي قَصَصْنَاها عَلَيْكَ في تَضَاعِيفِ الكِتَاب.

حَتَّى إذَا اسْتَغْرَقَتِ الدَّوْلَةُ في الحضَارَة والتَّرَفِ، ولَبِسَت أثْوابَ البِلَى والعَجْزِ، ورُمِيَتِ الدَّوْلَةُ بكَفَرَةِ الطَّطَر[ج] الّذِين أزَاحُوا كُرْسِيَّ الخِلَافَة، وطَمَسُوا رَوْنَقَ البِلَاد، وأدَالُوا بالكُفْرِ مِن الإِيمَانِ بِمَا أخَذَ أهْلَها عِنْدَ الاسْتِغْرَاقِ في النِّعَم، والتَّشَاغُلِ باللّذَّاتِ، والاسْتِرْسَالِ في التَّرَفِ مِن تَكَاسُلِ الهِمَم، والقُعُودِ عَن المُنَاصَرَة، والانْسِلَاخِ مِن جِلْدَةِ البَأْس وشِعَارِ الرُّجُولَة، فكَان مِن لُطفِ اللهِ تَعَالَى[د] أن

(أ) من س. (ب) في الأصول: صنكى، وهو نطق صحيح يرسمه ابن خلدون بصاد مُشمّة بزاي ترسم تحتها، أو يضع تحت الصاد نقطة. (ج) في س: بأم الططار. (د) في س: سبحانه.

---

(1) المتوكل على الله، العاشر من الخلفاء العباسيين، وهو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، وأمه تركية اسمها شجاع، بويع له لست بقين من ذي الحجة 232 هـ، وقد ولاه الأتراك الخلافة، وعندما اعتزم التخلص من قوادهم، عاجلوه بالقتل في شوال 247 هـ، يراجع تاريخ الرسل والملوك 9: 154، 222 – ، الكامل 7: 33، 95.

تَدارَكَ الإيمانَ بإحياءِ رَمَقِه، وتلافى شَمْلَ المسلمين بالدِّيارِ المِصْرية بحفظِ نظامِه، وحِمَايَةِ سِيَاجِه، بأن بعَثَ لَهم مِن هَذه الطَّائِفَةِ التُّرْكِيَّةِ وقبائِلها الغَزِيرَة المُتَوافِرة أمدادًا حامِيَة، وأنصارًا مُتوافِيَة، يُجْلَبُونَ مِن دارِ الحَرْبِ إلى دارِ الإسلامِ في مَقَادَةِ الرِّقِّ الَّذي كَمَنَ اللُّطْفُ في طَيِّه، وتَعَرَّفُوا الخَيْرَ والعِزَّ في مَغَبَّتِه، وتَعَرَّضُوا للعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَةِ بابْتِلائِه، فيَدْخُلُونَ في الدِّينِ بعَزائِمَ إيمَانِيَّةٍ وخُلُقٍ بَدَوِيَّةٍ لم يُدَنِّسْها لُؤْمُ الطِّباعِ، ولا خَالَطَتْها أَلْوَانُ اللَّذَّاتِ، ولا دَنَّسَتْها عَوارِضُ[أ] الحَضَارَة، ولا كَسَرَ مِن سَوْرَتِها غَضَارةُ التَّرَفِ.

ثُمَّ يَخْرجُ بِهِمُ التُّجَّارُ إلى مِصْرَ أَرْسَالاً كالقَطَا نَحْوَ المَوَارِد، فيَسْتَعْرِضُهم أَهْلُ المُلْكِ مِنهم، و[يتنافسون][ب] في أثمانِهم بما يَخْرجُ عنِ القِيمة، لا لِقَصْدِ الاسْتِعْباد، إنَّما هُوَ إِكْثافٌ للعِصَابة وتَغْلِيظٌ للشَّوْكَة، ونُزُوعٌ إلى العَصَبِيَّةِ الحَامِيَة، يَصْطَفُونَ مِن كُلٍّ مِنهم بِمَا يُؤْنِسُونَه مِنْ شِيَمِ قَوْمِهِم وخُلُقِ عَشَائِرِهِم، ثُمَّ يُنْزِلُونَهم في غُرَفِ المُلْك، ويَأْخُذُونَهم في الصِّبَا ومُعَاهَدَةِ التَّرْبِيَة بحُدُودِ الدِّينِ ومُدَارَسَةِ القُرْآن، ومُمَارَسَةِ التَّعْلِيمِ والكِتَاب، حَتَّى يَشْتَدُّوا في ذَلك، ثُمَّ يَعْرِضُونَهم عَلَى الرَّمْيِ والثِّقَافة ورَكْضِ [304 ب] الخُيُول / في المَيَادِين، والمُطَاعَنَةِ بالرِّمَاحِ والمُمَاصَعَةِ[1] بالسُّيُوف، حَتَّى تَشْتَدَّ مِنهُمُ السَّوَاعِدُ، وتَسْتَحْكِمَ المَلَكَاتُ، ويَسْتَيْقِنُوا مِنهم المُدَافَعَةَ عَنْهم والاسْتِمَاتَةَ دُونَهم.

فإذَا بَلَغُوا إلى هَذا الحَدِّ ضَاعَفُوا أَرْزَاقَهم، ووَفَّرُوا مِن اقْطَاعِهم، وفَرَضُوا

(أ) في س: عوائد. (ب) من س، وفي ظ: يتافسون.

(1) المماصعة: المضاربة والمجالدة بالسيوف ونحوها.

عَلَيهِم اسْتِجادَةَ السِّلَاحِ وارْتِبَاطَ الخُيُولِ، والاسْتِكْثَارَ مِنْ أَجْنَاسِهِم لِمِثْلِ هَذَا القَصْدِ، ورُبَّمَا عَمَّرُوا بِهِم خُطَطَ المُلْكِ، ودَرَّجُوهُم فِي مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ، فَيَتَرَشَّحُ مَنْ يَتَرَشَّحُ مِنهم لاقْتِعَادِ كُرْسِيِّ السُّلْطَانِ، والقِيَامِ بِأُمُورِ المُسْلِمِينَ، عِنَايَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى سَابِقَةً، ولَطَائِفَ فِي خَلْقِهِ سَارِيَةً، فَلَا يَزَالُ نَشْءٌ مِنهم يُرَادِفُ نَشْأً، وجِيلٌ [يَعْقُبُ](أ) جِيلاً، والإِسْلَامُ يَبْتَهِجُ بِمَا يَحْصُلُ لَهُ بِهِم مِنَ الغَنَاءِ، والدَّوْلَةُ تَرِفُّ أَغْصَانُهَا مِنْ نَضْرَةِ الشَّبَابِ.

وكَانَ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ سُلْطَانُ مِصْرَ والشَّامِ، وأَخُوهُ العَادِلُ أَبُو بَكْرٍ مِن بَعْدِهِ، ثُمَّ بَنُوهُم بَعْدَهُم، قَد تَنَاغَوْا فِي ذَلِكَ بِمَا فَوْقَ الغَايَةِ، واخْتَصَّ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ، آخِرُ مُلُوكِهِم، بِالمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ والإِمْعَانِ فِيهِ، فَكَانُوا عَامَّةَ عَسْكَرِهِ بِمَا انْقَرَضَ عَشِيرُهُ، وخَذَلَهُ أَنْصَارُهُ، وقَعَدَ عَنهُ أَوْلِيَاؤُهُ وجُنُودُهُ، فَلَم يَدَعْ سَبَبًا فِي اسْتِجْلَابِهِم إِلَّا أَتَاهُ، مِنَ اسْتِمَالَةِ المُتَرَدِّدِينَ إِلَى نَاحِيَتِهِم، ومُرَاضَاةِ التُّجَّارِ فِي أَثْمَانِهِم بِأَضْعَافِ قِيَمِهِم، وكَانَ رَقِيقُهُم لِذَلِكَ(ب) العَهْدِ قَد بَلَغَ الغَايَةَ مِنَ الكَثْرَةِ لَمَّا كَانَ الطَّطَرُ(ج) قَد دَوَّخُوا الجَانِبَ الغَرْبِيَّ مِن نَاحِيَةِ الشَّمَالِ، وأَوْقَعُوا بِسُكَّانِهِ مِنَ التُّرْكِ وهُم شُعُوبُ القَفْجَاقِ والرُّوسِ والعِلَّانِ ومَنْ جَاوَرَهُم مِن قَبَائِلِ جَرْكَس، وكَانَ مَلِكُ [الطَّطَارِ](1) بِالشَّمَالِ يَوْمَئِذٍ، دُوشِي خَانَ بْنُ جِنْكِزْ خَانَ، قَد أَصَابَ مِنهُم بِالقَتْلِ والسَّبْيِ، فَامْتَلَأَتْ أَيْدِي أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ مِن رَقِيقِهِم، وصَارَ عِنْدَ التُّجَّارِ مِن أَنْفَسِ بَضَائِعِهِم.

(أ) في الأصول: يعاقب. (ب) في س: في ذلك. (ج) في س: الططار.

---

(1) في ظ: التتار، وهي المرة الوحيدة التي ورد فيها الاسم بهذا الرسم، ولذا جرى توحيد الرسم.

ذَكَر بَيْبَرْس الدَّوَادَار في "تَارِيخِه"[أ][1] حِكَايةً غَرِيبةً عَن سَبَبِ دُخُولِ الطَّطَار إلى بِلَادِهِم بَعْدَ أَنْ عَدَّدَ شُعوبَهم، فقَالَ: ومِنْ قَبَائِلِهم، يَعْنِي قَفْجَاق: قَبِيلةُ / [305 أ] طُقْصُبَا، بَيْتَا، وبُرْج أَغْلى، والبُرْلى، وقُنْقُر أَغْلى، وأَنْجُغْلِي، ودُورِتْ[2]، وقَلَابَا أَغْلى، وجُرْتَان، وقَرَابَنْ قِلى[ب][3]، وكُنِّن، هَذه إحْدى عَشْرةَ قَبِيلَةً ولَيْس فيها ذِكْرُ الشُّعوبِ العَشَرةِ القَدِيمة الذِّكْرِ للتُّرْكِ التي عَدَّدَها النَّسَّابَةُ كَما قُلْنَاه أَوَّلَ التَّرْجَمَة.

وهَذه، واللهُ أعلم، بُطُونٌ مُتَفَرِّعَةٌ عَنِ القَفْجَاقِ فَقَطْ، وهِيَ الَّتي في نَاحِيَةِ الغَرْبِ مِن بِلادِهِمُ الشَّمَالية، فَإنَّ مَسَاقَ كَلامِه إنَّمَا هُوَ في التُّرْكِ المَجْلُوبِينَ مِن تِلْكَ النَّاحِيَة، لَا مِن نَاحِيَةِ خُوَارِزْم، ولَا مَا وَرَاءَ النَّهرِ.

قَالَ بَيْبَرْس: ولَمَّا اسْتَوْلى الطَّطَارُ عَلَى بِلادِهِم سنَةَ سِتٍّ وعِشْرِينَ [وستِّ مِائة][4]، والمُلْكُ يَوْمئذٍ بِكُرْسِيِّ جِنكِزْخان [بَعْدَ وَفَاتِه][5] لِوَلَدِه دُوشِي خَان، واتَّفَقَ أنَّ شَخصاً مِن قَبِيلةِ دُورَت يُسَمَّى مَنْغُوش بنَ كُتَن خرجَ مُتَصَيِّداً، فَلَقِيَه آخَرُ مِن قَبِيلةِ طُقْصُبَا اسْمُهُ آق كُبك، وبَيْنَ القَبِيلَتَيْنِ عَدَاوةٌ مُسْتَحْكَمَة، فقَتَلَه، وأبطأ خَبَرُه عَن أَهلِه، [فبَعَثُوا][ج] طَلِيعةً لاستِكْشَافِ أَمْرِهِ اسْمُهُ جَلَنْغر[6]، فرَجَعَ إلَيهِم بالجَلِيَّة

(أ) سقط من س. (ب) في س: قرا بن كلي. (ج) من س، وفي ط: فبعث.

(1) هو كتاب "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة"، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، النشرات الإسلامية رقم 42، بيروت 1998.

(2) في زبدة الفكرة 4، نهاية الأرب 29: 416: دُرُوت.

(3) في زبدة الفكرة: قرانر كلي. نهاية الأرب 29: 426: وقرانز كلي.

(4)، (5) من زبدة الفكرة 4.

(6) في زبدة الفكرة 4: جلنفر.

وأنَّه قُتِلَ، وسَمَّى لَهم قَاتِلَه، فَجَمَعُوا للحَرْبِ، وتَزَاحَفَتِ القَبِيلَتَانِ، فَانْهَزَمَت قَبِيلَةُ طُقْصُبا، وجُرِحَ [آق][ا] كُبَكُ القَاتِل، [وتَفَرَّق][ب] جَمْعُهم، فَأَرسَلَ أخَاه أُنص إلى مَلِكِهم دُوشِي خَان مُسْتَعْدِيًا عَلَى قَبِيلَة دُرُوت القَفْجَاقِيَة، وذَكَرَ لَه ما فَعَلَ كُتَن وقَوْمُه بأخِيه وقَوْمِه، وأغْرَاه بِهم، وسَهَّلَ لَه الشَّأنَ فِيهِم.

وبَعَثَ دُوشِي خَان جَاسُوسَه لاسْتِكْشَافِ حَالِهم وَاخْتِبَارِ مِرَاسِهِم وشَكِيمَتِهِم، [فعَادَ][ج] إليه بتَسْهِيلِ المَرَام فِيهِم، وقَالَ: رَأيتُ كِلَابًا مُنْكَبِّينَ[د] عَلَى فَرِيسَتِهِم، مَتَى طَرَدْتَهم عنها تَمَكَّنْتَ مِنْها، فأطْمَعَه ذَلِك في بِلادِ القَفْجَاق، وَاسْتَحَثَّه أُنص الذي جَاءَ صَرِيخًا، وقَالَ له مَا مَعْنَاه: نَحْنُ ألفُ [رَأسٍ][هـ] تَجُرُّ ذَنَبًا وَاحِدًا، وأنْتُم رَأسٌ واحِدٌ تَجُرُّ ألفَ ذَنَب، فَزَادَه ذَلِك إغْرَاءً، ونَهَضَ بِجُمُوعِ الطُّطَارِ فأوْقَعَ بالقَفْجَاق، وأثْخَنَ فِيهِم قَتْلًا وسَبْيًا وأسْرًا، وفَرَّقَهم في البِقَاعِ، وَامْتَلأت أيْدِي التُّجَّارِ، [وجَلَبُوهم][و] إلَى الأمْصَارِ، فَعَوَّضَهمُ اللهُ بالدُّخُولِ في الإيمَان، وَالاسْتِيلَاءِ عَلَى المُلْكِ والسُّلْطَان. انْتَهَى كَلَامُ بَيْبَرْس[1].

ومَسَاقُ القِصَّة يَدُلُّ عَلَى أن قَبِيلَةَ دَورَت مِن القَفْجَاق، وأن قَبِيلَةَ طُقْصُبَا مِن الطُّطَرِ، فيَقْتَضِي ذَلِك / أنّ هَذه البُطُونَ التِي عَدَّدَ[ز] لَيسَت مِن بَطْنٍ واحِد، [305ب] وكَذَلك يَدُلُّ مَسَاقُها عَلَى أن أكْثَرَ هَؤلاءِ[ح] التُّرْكِ الذين بدِيَارِ مِصْرَ مِن القَفْجَاق[ط]، واللهُ أعْلَم.

(ا) من س. (ب) من س، ظ: ونفرت. (ج) في ظ: وعاد. (د) في س: مكبين. (هـ) من س، وفي ظ: فارس. (و) من س، وفي ظ: وجلوهم. (ز) في س: عددت. (ح) س: سقط من س (ط) س: القفجق.

(1) زبدة الفكرة 4 – 5 مع اختلاف في بعض الألفاظ، وينظر أيضا نهاية الأرب 29: 416 – .

الخبرُ عن استبداد التُّرك بمصرَ وانفرادهم بها عن بَني أيوب، ودولةِ المعزّ أيبك أوّلِ ملوكهم

قَد تقدَّم لَنا أنَّ الملِكَ الصَّالِح نجمَ الدِّين أيُّوبَ بنَ الكَامِل بن العَادِل كَان قَدِ استَكثَرَ مِن المَمَالِيكِ التُّرك، ومَنْ في مَعناهم مِن التُّركُمانِ والأرمَنِ والرُّوم والـ[شُركَس] وغيرِهم، إلَّا أنَّ اسمَ التُّرك غالِبٌ علَى جَميعهم لِكثرتِهم مِن بَينِهم، وكانُوا طَوائِفَ مُتميِّزين بِسِمَات مَا يَنتَسِبونَ إليَه مِن لَقَبٍ أو سُلطان، فمِنهم: العَزيزيَّةُ نِسبَةً إلى العَزيزِ عُثمَانَ بنِ صَلَاح الدِّين، [وقِيلَ: العَزيزُ مُحمَّدُ بنُ الظَّاهِر غَازي بن صَلَاح الدِّين][أ]، ومِنهم: الصَّالِحية نِسبَةً إلى هذا الصَّالِح أيُّوب، ومِنهم: البَحريَّةُ نِسبَةً إلى القَلعَةِ الَّتي بَناهَا الصَّالِحُ بَيْنَ شُعبَتَي النِّيل حِذاءَ المِقيَاس بِمَا كَانُوا حَامِيتَها، وكَان هَؤلاءِ البَحريَّةُ شَوكَةَ دَولَتِه وعِصَابَةَ سُلطَانِه وخَوَاصَّ دَارِه، وكَان مِن كُبَرَائهم عِزُّ الدِّين أيبَك الجَاشنكير التُّركُمَانيُّ، ورَدِيفُه فَارِسُ الدِّين أقطَاي الجَمدَار، ورُكنُ الدِّين بَيبَرس البُندُقدَاريّ.

ولَمَّا كَان ما قدَّمنَاه مِن وَفاةِ الصَّالِح بالمَنصُورَة في مُحاصَرَة الفِرنج بدِمياط سَنَةَ سَبعٍ[ب] وأربعين، وكِتمَانِهم مَوتَه ورُجُوعِهم في تَدبيرِ أُمورِهم إلى شَجرِ الدُّرّ زَوجَةِ الصَّالِح وأُمِّ وَلَدِه خَلِيل، وبَعثِهم إلى ابنِه المعظَّم تُورانشَاه وانتِظَارِه، وأنَّ الفِرنجَ شَعَرُوا بمَوتِ الصَّالِح فدَلَفوا إلى مُعسكَرِ المسلِمِينَ عَلَى حِينِ غَفلَةٍ فانكَشَفَ إلى[ج] أوائِلِ العَسكَرِ وقُتِل فَخرُ الدِّين الأتَابِك، ثُمَّ أفرغَ اللهُ الصَّبرَ وثَبَّتَ الأقدَامَ، وأبلَى

(أ) من س. (ب) في س: أربع. (ج) سقط من س.

أُمَرَاءُ التُّرْكِ في ذَلِكَ اليَوْمِ بَلاءً حَسَناً، وَوَقَفُوا مَعَ شَجَرِ الدُّرّ زَوْجِ السُّلْطَانِ تَحْتَ الرَّايَاتِ يُمَوِّهُونَ بِمَكَانِهَا، فَكَانَتِ الكَرَّةُ وهَزَمَ اللهُ العَدُوَّ.

ثُمّ وَصَلَ المُعَظَّمُ تُورَانْشَاه مِن كَيْفَا فَبَايَعُوا لَهُ وأَعْطَوْه الصَّفْقَةَ وَانْتَظَم الحَالُ، وَسَطَا المُسْلِمُونَ بالفِرَنْجِ بَرّاً وبَحْراً، فَكَانَ مَا قَدَّمْنَاه مِن هَزِيمَتِهِم والفَتْكِ بِهِم وأَسْرِ مَلِكِهِم الفِرَنْسِيس. / ثُمّ زَحَفَ(ا) المُعَظَّمُ إِثْرَ هَذَا الفَتْحِ إلى مِصْرَ لِشَهْرَيْنِ مِن [306 ا] وُصُولِه، ونَزَلَ بِفَارَسْكُور يُرِيدُ مِصْر، وكَانَت بِطَانَتُه قَدِ اسْتَطَالُوا عَلَى مَوَالِي أَبِيه، ورَمَوْهُم بالإِهْمَال، واتَّفَقَ كُبَرَاءُ البَحْرِيَة عَلَى قَتْلِه، [وهُم](ب): أَيْبَك، وأَقْطَاي، وبَيْبَرْس فقَتَلُوه، كَمَا مَرّ، [ونَصبوا](ج) لِلمُلْكِ شَجَرَ الدُّر أُمّ خَلِيل، وخُطِبَ لَهَا عَلَى المَنَابِرِ، ونُقِشَ اسْمُهَا في السِّكَّة، وَوُضِعَت عَلَامَتُهَا عَلَى المَرَاسِم، ونَصُّهَا: أُمُّ خَلِيل. وقَامَ أَيْبَكُ التُّرْكُمَانِيُّ بِأَتَابِكِيَّةِ العَسَاكِر، ثُمّ فُودِيَ الفِرَنْسِيسُ بالنُّزُولِ عَن دِمْيَاط، ومَلَكَهَا المُسْلِمُونَ سَنَةَ ثَمَانٍ وأَرْبَعِين، وسَرَّحُوهُ في البَحْرِ إلى بِلَادِه بَعْدَ أَن تَوَثَّقُوا مِنْه بالیَمِينِ أَن لا يَعْرِضَ لِبِلَادِ المُسْلِمِينَ مَا بَقِي(1).

وَاسْتَقَلَّتِ الدَّوْلَةُ بِمِصْرَ لِلتُّرْك، وَانْقَرَضَت مِنْهَا دَوْلَةُ بَنِي أَيُّوب، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى بَنِي أَيُّوب [بالشَّام](2) بِقَتْلِ المُعَظَّم ووِلَايَةِ المَرْأَة ومَا اكْتَنَفَ بِذَلِك، فامْتَعَضُوا لَه.

وكَان فَتْحُ الدِّين عُمَرُ بنُ العَادِلِ قَد حَبَسَهُ عَمُّه الصَّالِحُ أَيُّوبُ بالكَرَكِ لِنَظَرِ

(ا) في س: رحل. (ب) في ظ: وهو، وما أثبتناه من س. (ج) في ظ: ونصبوه، وما أثبتناه من س.

---

(1) ينظر ما سبق ص 220 - 221.

(2) إضافة للتوضيح، ينظر ما سبق.

بذرٍ الصَّوابيّ خادِمهِ الّذي وَلّاه عَلَى الكَرَكِ والشَّوبَك عِنْدَمَا مَلَكَهَا، كَمَا مَرَّ، فأطْلَقَ فتْحَ الدِّين مِن مَحْبِسِه، وبَايَعَ لهُ وقَامَ بأمْرِه، ولَقَّبَه المغِيثَ[1].

وَاتَّصَلَ الخبَرُ بِمِصْرَ، وعَلِموا أنّ النّاسَ نَعَوْا عَلَيهم وِلايَةَ المرْأة، فاتَّفَقُوا عَلَى وِلايَةِ زَعِيمِهم أيْبَكَ لتَقَدُّمِه عِنْدَ الصَّالِح وأخِيه العَادِلِ قَبْلَه، فبَايَعُوا لَه، وخَلَعُوا أُمَّ خَلِيل، ولُقِّبَ[أ] المعِزَّ، فقَامَ بالأمْرِ، وانْفَرَدَ بِمُلْكِ مِصْرَ، وَوَلَّى مَوْلاه سَيْفَ الدِّين قُطُز نائبًا، وعَمَّرَ المرَاتِبَ والوَظَائِفَ بأُمَرَاءِ التُّرْك[2].

نُهوضُ النَّاصِرِ صَاحِب دِمَشقَ مِن بَني أيّوبَ إلَى مِصْرَ، وَوِلَايَةُ الأشْرَفِ مُوسَى مَكَانَ أيْبَك

كَان الملِكُ الصَّالِحُ أيّوبُ قَبْلَ مَوْتِهِ قدِ اسْتَخْلَفَ جَمَالَ الدِّين بْنَ يَغْمُورَ عَلَى دِمَشْقَ مَكَانَ [ابنِ مَطْرُوح][ب]، وأمَرَاءُ الدَّولةِ الأيُّوبية بِها مُتَوَافِرُونَ، فلَمَّا [بَلَغَهم][ج] اسْتِبْدَادُ التُّرْكِ بِمِصْرَ، وَوِلَايَةُ أيْبَك، وبَيْعَةُ المغِيثِ بالكَرَك، أنْعَموا[3] النَّظَرَ في تَلَافي أُمورِهم، وكَبِيرُ بَني أيُّوبَ يَوْمَئِذٍ بالشَّام: النَّاصِرُ يُوسُفُ بْنُ العَزِيز مُحَمَّدِ بنِ الظَّاهِر غَازِي بن السُّلْطَان صَلَاح الدِّين، صَاحِبُ حَلَبَ وحِمْصَ ومَا إليهِمَا، فَاسْتَدْعَوْه، وبَايَعُوا / لَهُ بدِمَشْقَ، وأغْرَوْه بطَلَبِ مِصْر. [306ب]

(أ) في س: ولقبوه. (ب) ظ: ابنه المطروح. (ج) من س، وفي ظ: بلغ الخبر لهم استبداد.

---

(1) المختصر 3: 182 – 183.

(2) زبدة الفكرة 6 – 7.

(3) أنعموا النظر في الأمر، أطالوا الفكرة فيه.

وَاتَّصَلَ الخبَرُ بالتُّرْكِ في مِصْرَ، فاعْتَزَمُوا عَلَى أن يُنَصِّبُوا بَعْضَ بَني أيُّوب لِيَكُفُّوا به ألْسِنَةَ النَّكِيرِ عَنْهم، فبَايَعُوا لموسَى[1] الَّذِي كَان [جَدُّه][2] يُوسُفُ صَاحِبَ اليَمَن، وهو يُوسُفُ أطْسِز[أ] مَسْعُودِ بن الكَامِل، وهو يَوْمَئِذٍ ابنُ سِتِّ سِنِين، ولَقَّبُوهُ الأشْرَف، وتَزَحْزَحَ له أيْبَكُ عَن كُرْسِيِّ السُّلْطَانِ إلى رُتْبَةِ الأتَابِكِيَّةِ[3].

وَاسْتَمَرَّ النَّاصِرُ عَلَى غُلَوَائِه في النُّهوضِ إلى مِصْرَ، وَاسْتَدْعَى مُلُوكَ الشَّام مِن بَني أيُّوب، فأقْبَلَ إليه مُوسَى الأشْرَف، الَّذِي كَان صَاحِبَ حِمْص، وإسْمَاعِيلُ الصَّالِحُ بنُ العَادِلِ صَاحِبُ بَعْلَبَكَّ، والمُعَظَّمُ تُورَانْشَاه بنُ صَلَاحِ الدِّين وأخُوه نُصْرَةُ الدِّين، وابْنَا دَاوودَ النَّاصِرِ صَاحِبِ الكَرَك وهُمَا: الأمْجَدُ حَسَنٌ والظَّاهِرُ شَاذِي، وَارْتَحَلَ مِن دِمَشْقَ سَنَةَ ثَمَانٍ وأرْبَعِين[4]، وفي مُقَدِّمَتِه أتَابِكُهُ لُؤْلُؤٌ الأرْمَنِيّ[5].

وَبَلَغَ الخَبَرُ إلى مِصْرَ، فَاضْطَرَبَ الأُمَرَاءُ ونَادَوْا بِشِعَارِ الخِلَافَةِ والدُّعَاءِ لِلْمُسْتَعْصِم، وجَدَّدُوا البَيْعَةَ عَلَى ذَلِكَ للأشْرَف، وجَهَّزُوا العَسَاكِرَ، وخَرَجُوا لِلقَائِهِم، وسَارَ في المُقَدِّمَةِ أقْطَاي الجَمَدَار وجُمْهُورُ البَحْرِية، وتَبِعَهم أيْبَكُ سَاقَةً في العَسَاكِر[6].

(أ) في الأصول: أطسز بن مسعود، خطأ، فأطسز هو يوسف ولقبه مسعود، وانظر المقريزي: الذهب المسبوك 76 الحاشية 2.

---

(1) لخمس مضين من جمادى الأولى 648 هـ. المختصر 3: 183، وينظر ما سبق ص 221.

(2) في الأصول: أبوه، ينظر ما سبق ص 220 – 221.

(3) المختصر 3: 183.

(4) في المختصر 3: 184: منتصف رمضان.

(5) المختصر 3: 184، وينظر ما سبق ص 223.

(6) المختصر 3: 183 – 184.

وَالتقى الجمْعانِ[1] [بالعَبَّاسَة][أ] فانْكَشَفَ عَسْكَرُ مِصْرَ أوّلاً، واتّبَعَهم أهْلُ الشّام إلى العبّاسَة، وثبَتَ المعِزُّ في القَلْبِ، ودارَت عليه[ب] رَحَى الحَرْب، وهَرَبَ إليه جَماعَةٌ مِن عَسْكرِ النّاصِر، فِيهِمُ الأُمَرَاءُ العَزِيزيّة، مِثْل: جَمَال الدّين أيْدُغْدِي، وشَمسِ الدّين أقْش البُرلي، وشَمسِ الدّين أقْش الحُسَامِيّ، غَضِبوا مِن رِياسَةِ لُؤلُؤ عَلَيهم فهَرَبُوا، وبَقِي لُؤلُؤ في القَيْمَرِيّة، ثُمّ حَمَل المُعِزُّ عَلَى النّاصِر وأصْحابِه فانْهَزَمُوا، وَانفَضَّ عَسْكَرُهم، وجِيءَ بلُؤلُؤ الأتابِكِيّ أسِيراً فقَتَلَه صَبراً، وبأمَرَاءِ بَني أيّوب فحَبَسهم[2].

ورَجَعَ أيْبَكُ مِن الواقِعَة، فوجَدَ عَساكِرَ النّاصِر مُجْتَمعِينَ[ج] بالعَبَّاسَةِ يَظُنّونَ الغَلَبَ لهم، فعَدَلَ إلى بِلْبِيس، ثُمّ إلى القَلْعَة، ورَجَعَت عَساكِرُ الشّام، مِن اتّباعِ المُنهزِمينَ لمّا شَعَروا بهزِيمَة أصْحابِهم، فَلَحِقُوا بالنّاصِر بدِمَشْق[3].

ودَخَلَ أيْبَكُ إلى[د] القَاهِرة، وحَبَسَ بَني أيُّوبَ بالقَلْعَة، ثُمّ قَتَلَ مِنهم إسْماعِيلَ الصّالِحَ ووَزِيرَهُ [أمِينَ الدّوْلة، وأسْتاذَ دارِه][4] ابنَ يَغْمُور [اللّذَيْنِ كَانا مُعْتَقَلَيْنِ][5] / مِن قَبْل[6]. [307أ]

(أ) في ظ: العباسية، وقومناه من س، في هذا الموضع والمواضع التالية. (ب) سقط من س. (ج) في س: مجمعين.
(د) سقط من س.

---

(1) يوم الخميس عاشر ذي القعدة 648 هـ. المختصر 3: 184.
(2) المختصر 3: 184 – 185، وينظر ما سبق ص 223.
(3) المختصر 3: 185.
(4) من المختصر 3: 185.
(5) في الأصول: الذي كان معتقلاً، وطابقناه والسياق.
(6) ينظر ما سبق ص 213، 225.

وَلَمَّا وصَلَ النَّاصِرُ إلى دِمَشْقَ أزاحَ عِلَلَ عَساكِرِه، وعَجَّلَ الكَرَّةَ إلى مِصْر، ونَزَلَ غزَّةَ سَنَةَ خَمْسِين، وبَرَزَتْ عَساكِرُ مِصْرَ لِلِقَائِه، فتَوَاقَفُوا مَلِياً، ثُمَّ وَصَلَ نَجْمُ الدِّينِ البَاذَرائِيُّ، رَسُولُ المستَعْصِم(أ)، فأصْلَحَ بينَ الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى أن تَكُون القُدْسُ والسَّاحِلُ إلى نَابُلُس للمُعِزِّ، والتَّخْمُ بيْنَ المَمْلَكَتَيْنِ نَهرَ الأُرْدُنّ. وانْعَقَدَ الأمرُ عَلَى ذَلِك، ورَجَعَ كُلٌّ إلى بَلَدِه، وأفْرَجَ المعِزُّ عَن أُمَرَاءِ بَني أيُّوبَ الذين حَبَسَهم يَوْمَ الوَاقِعَة، وقَد مَرَّ ذِكْرُهم[1].

واقِعَةُ العَرَبِ بالصَّعِيد معَ أقْطَاي

لمَّا شُغِلَ الصَّالِحُ بالفِرِنْج ومَا بَعْدَهم، عَظُمَ فَسَادُ العَرَبِ بالصَّعِيد، واجْتَمَعُوا عَلَى الشَّرِيفِ حِصْنِ الدِّين ثَعْلَبِ بنِ نَجْم الدِّين عَليِّ بن فَخْرِ الدِّين إسْمَاعِيلَ(ب) بنِ حِصْنِ الدِّين ثَعْلَبِ الجَعْفَرِيِّ، مِن وَلَدِ جَعْفَرِ بن أبي طَالِب، الذين أجَازُوا مِن الحِجَاز لمَّا غَلَبَهم بَنُو حُسَيْنٍ بالمدِينَة، في الحُرُوبِ الَّتي كَانت بيْنَهم، وأطَاعَه أعْرَابُ الصَّعِيدِ كَافَّةً، وَلم يَقْدِرْ عَلَى كَفِّهم عَنِ الأذَايَة، واتَّصَلَ ذَلك، وهَلَكَ الصَّالِحُ، وَاسْتَبَدَّ(ج) التُّرْكُ بِمِصْر، وشُغِلوا عَنْهم بما كَانَ مِن مُطَالبةِ بَني أيُّوبَ لهم.

فلمَّا فَرَغَ المعِزُّ أيْبَكُ مِن أمْرِ النَّاصِر، وعَقَدَ الصُّلْحَ مَعَه، بعَثَ لِحَرْبِهم فَارِسَ الدِّين أقْطَاي وعِزَّ الدِّين أيْبَكَ الأفْرَمَ أمِيرَي البَحْرِيَة، فَسَارُوا إليهم، ولَقُوهم بنَوَاحِي

(أ) في الأصول: المعتصم، واعتمدنا ما سبق. (ب) إسماعيل: مكررة في س. (ج) في س: اشتد.

(1) نهاية الأرب 29: 426 - ، وينظر ما سبق ص 223.

إِخْمِيم[1] وهَزَمُوهم[أ]، وفَرّ الشَّرِيفُ نَاجياً بِنَفْسِه، ثُمّ قُبِضَ عَلَيه بَعْدَ ذَلِكَ وقُتِل، ورَجَعَتِ العَسَاكِرُ إلى القَاهِرة[2].

مَقْتَلُ أَقْطَاي الجَمْدَار، وفِرَارُ البَحْرِيَّة إِلى النَّاصِر، ورُجُوعُ أَيْبَكَ إِلى كُرْسِيِّه

كَانَ أَقْطَايُ الجَمْدَار مِنْ أُمَرَاءِ البَحْرِيَّة وعُظَمَائِهِم، وتَلَقَّبَ فَارِسَ الدِّين، وكَان رَدِيفًا للمُعِزِّ أَيْبَك فِي سُلْطَانِهِ وأَتَابِكِيَّتِه، وكَان يَغُضُّ مِن عِنَانِه عَن الطُّمُوح إلى الكُرْسِيّ، وكَان [يُخْفِضُ][ب] مِن جَنَاحِهِ للبَحْرِيَّة، يَسْتَأْلِفُهم بذَلِك، فيَمِيلُونَ إِلَيْه عَن أَيْبَك، فَاعْتَزَّ فِي الدَّوْلَة واسْتَفْحَلَ أَمْرُه، وأَخَذَ ثَغْرَ الإِسْكَنْدَرِيَّة إِقْطَاعاً، وتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ المَالِ، وبَعَثَ فَخْرَ الدِّين مُحَمَّدَ بنَ الصَّاحِب بَهَاءِ الدِّين [عَلِيّ][3] بن حنّا إلى
[307ب] المُظَفَّر / صَاحِبِ حَمَاةَ فِي خِطْبَةِ ابْنَتِه فَتَزَوَّجَها، وأَطْلَقَ يَدَه بالعَطَاءِ والإِقْطَاع، فعَمَّ النَّاسَ وكَثُرَ تَابِعُه. وغَصَّ به المعِزُّ أَيْبَك، وأَجْمَعَ قَتْلَه، فَاسْتَدْعَاه بَعْضَ الأَيَّام[4] بالقَصْرِ للشُّورَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسِين، وقَد أَكْمَنَ لَهُ ثَلاثَةً مِن مَوَالِيه فِي مَمَرِّه بقَاعَةِ الأَعْمِدَة، وهم: قُطُز، وبَهَادِر، وسَنْجَر، فوَثَبُوا عَلَيْه عِنْدَ مُرُورِه بِهِم، وابْتَدَرُوهُ

(أ) في س: فهزموهم. (ب) من س، وفي ظ: يخفظ.

---

(1) بلد على شاطىء النيل بصعيد مصر: معجم البلدان 1: 123.

(2) وذلك سنة 651 هـ، ينظر نهاية الأرب 29: 427 – 429.

(3) من نهاية الأرب 29: 430.

(4) في نهاية الأرب 29: 430: حادي عشر شعبان، وورد في السلوك 1: 390: ثالث شعبان.

بالسُّيُوفِ، وقَتَلُوهُ لِحِينِهِ، وَاتَّصَلَتِ الْهَيْعَةُ بالبَحْرِيةِ، فَرَكِبُوا وطَافُوا بالقَلْعَة، فَرُمِيَ إلَيهم بِرَأسِهِ وانفَضُّوا[1].

وَاسْتَرَابَ أُمَرَاؤُهم، فَاجْتَمَعَ رُكْنُ الدِّين بَيبَرْس البُنْدُقْدَارِيُّ وسَيْفُ الدِّين قَلاوُون الصَّالِحِيُّ، وشَمسُ الدِّين سُنْقُر الأشْقَر، وبَدْرُ الدِّين بَيْسَرَى الشَّمْسِي، وسَيْفُ الدِّين بَلَبَان الرَّشِيدِيُّ، وسَيْفُ الدِّين تُكُز وأخُوه سَيْفُ الدِّين بَرَامِق، ولَحِقُوا بالشَّام فِيمَن انضَمَّ إليهم مِنَ البَحْرِيةِ[أ]، وَاخْتَفَى مَن تَخَلَّفَ مِنهم، وَاسْتُصْفِيَت أَمْوَالُهم وذَخَائِرُهم، وارتُجِعَ مَا أخَذَه أقْطَايُ مِن بَيْتِ المالِ، ورُدَّ ثَغْرُ الإسْكَنْدَرِيَّة إلى أعْمَالِ السُّلْطَان.

وَانفَرَدَ المعِزُّ أَيْبَكُ بِتَدْبِيرِ الدَّوْلة، وخَلَعَ مُوسَى الأشْرَف، وقَطَعَ خُطْبَتَه، وخَطَبَ لنفسِه، وتَزَوَّجَ شَجَرَ الدُّرّ زَوْجَةَ الصَّالح الَّتِي كَانُوا مَلَّكُوها مِن قَبْل، وَاسْتَخْلَصَ عَلَاءَ الدِّين أيْدُغْدِي العَزِيزِيَّ وجَمَاعَةَ العَزِيزِيَّة، وأقْطَعَه دِمْيَاط[2].

ولَمَّا وَصَلَ البَحْرِيَّةُ وأُمَرَاؤُهم إلى غَزَّةَ وكَاتَبُوا النَّاصِرَ وَاسْتَأْذَنُوهُ في القُدُومِ، وسَارُوا إليه، فَاحْتَفَلَ في مِيرَتِهم، وأغْرَوه [بِمُلْكِ][ب] مِصْرَ، فأجَابَهم وجَهَّزَ العَسَاكِر.

وكَتَبَ المعِزُّ فِيهم إلى النَّاصِر، فطَلَبَ مِنهُ القُدْسَ والبِلادَ السَّاحِلِيةَ[3]، فأقْطَعَها لَهمُ المعِزُّ، ثُمَّ سَارَ النَّاصِرُ إلى الغَوْرِ، وبَرَزَ المعِزُّ مِن القَاهِرة في العَزِيزِيَّة ومَن

(أ) في س: وأمراؤهم إلى غزة، وعليها شطب. (ب) من س، وفي ظ: في ملك.

(1) المختصر 3: 190، نهاية الأرب 29: 430 – 431، الوافي بالوفيات 9: 317، وينظر عقد الجمان 1: 95.
(2) نهاية الأرب 29: 432، 434.
(3) في نهاية الأرب 29: 434: بحكم أنها كانت جارية في إقطاع البحرية، وأنهم انتقلوا إلى مملكته.

إليهم، ونزَلَ العَبَّاسَة، وتَوَاقَفَ الفَرِيقانِ مُدَّةً، ثُمّ اصْطَلَحُوا[1]، وزجَعَ كُلٌّ إلى بَلَدِه سَنَةَ أربَعٍ وخَمْسِين[2].

وبعَثَ أَيْبَك [المعِزُّ][أ] رَسُولَه إلى المستَعْصِم بطَاعَتِه، وطَلَبَ الألْوِيَةَ والتَّقْلِيدَ، ولَمَّا رَجَعَ إلى مِصْرَ تَقَبَّضَ عَلَى عَلاءِ الدِّين أَيْدُغْدِي لاسْتِرَابَتِه به، وأعَادَ دِمْيَاطَ إلى أَعْمَالِ السُّلْطَان، واتَّصَلَتْ أحْوالُه في / الدَّوْلة إلى أن هَلَكَ. [308 أ]

فِرَارُ الأَفْرَم إلى النَّاصِر بدمشق

كَانَ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الأَفْرَم الصَّالِحِيُّ وَالِيًا عَلَى قُوص وإخْمِيمَ وأعْمالِها، فقَوِيَ أَمْرُه، وهَمَّ بالاسْتِبْدَاد، وأَرَادَ المعِزُّ عَزْلَه فَامْتَنَعَ عَلَيه، فبَعَثَ بَعْضَ الخُوَارِزْمِيَّة مَدَدًا لهُ، ودَسَّ إليهمُ الفَتْكَ بِه، فلَمَّا وَصَلُوا إلَيه اسْتَخْدَمَهم وخَلَطَهم بِنَفْسِه، فاغْتَالُوهُ[3]، وقَبَضُوا عَلَيه، وثَارَ مَوَاليه للحِينِ، فبَطَشُوا بِهم وقَتَلُوهم، وخَلَّصُوه.

ثُمّ عَزَلَه المعزُّ بَعْدَ ذَلِك برُكْنِ الدِّين الصَّيْرَمِيّ، وَاسْتَدْعَاه إلى مِصْر، فأَقَامَ عِنْدَه، ثُم بَعَثَه مع أَقْطَاي إلى الصَّعِيد، وحَضَرَ وَاقِعَةَ الشَّرِيف ابنِ ثَعْلَبٍ والعَرَب، كَما مَرَّ، وعَادَ أَقْطَاي إِلَى مَكَانِه مِن الدَّوْلة، وأَوْعَزَ المعِزُّ أَيْبَك إلى أَيْبَكَ الأَفْرَم بِالْمُقَامِ لتَمْهِيدِ بِلادِ الصَّعِيد، وأَن يَكُونَ الصَّيْرَمِيُّ في خِدْمَتِه، وبَلَغَه وهو هُنَاك أَنَّ

(أ) من س.

---

(1) السلوك 1: 397: وصل رسول الخليفة "ليجدد الصلح الأول".

(2) ينظر صلح سنة 651 هـ فيما سبق ص 224، 253، وينظر السلوك 1: 397 – 398.

(3) اغتاله: أخذه من حيث لا يدري فأهلكه.

المعِزّ غدَا عَلَى أقْطَايْ وقتَله وأنَّ أصْحَابه البَحْرِيَّة فرُّوا إلى الشَّام، فاسْتَوْحَش وأظْهَرَ العِصْيَان، وَاسْتَدْعَى الشَّرِيف ابنَ ثَعْلَب وَاظَّاهَرَ مَعَهُ عَلَى الفَسَادِ، وجَمَعُوا الأعْرَابَ مِن كُلّ نَاحِيَة. ثُمّ بعَثَ المعِزُّ سَنَةَ ثَلاثٍ وخَمْسِينَ شَمْسَ الدّين البُرلُي في العَسَاكِرِ إلى الصَّعِيدِ فهَزَمَهم، وَاعْتَقَلَ الشَّرِيف، فلَمْ يَزَلْ في مَحْبِسِه إلى أن قَتَلَه الظَّاهِر، ونَجَا الأفْرمُ في فَلّ مِن مَوَالِيه إلى الوَاحَات. ثُمّ اعْتَزَمَ عَلَى قَصْدِ الشَّام، فرَجَعَ إلى الصَّعِيدِ، وبَذْرَقَ[1] مَعَ جَمَاعَة مِنْ أعْرَابِ جُذَام، مَرُّوا به عَلَى السّوَيْس والطُّورِ، ورَجَعَ عَنه مَوَالِيه إلى مِصْرَ[2].

وَلَمَّا انْتَهى إلى غَزَّةَ طُولِعَ بهِ النَّاصِر، فأذِنَ لَه في القُدُوم عَلَيه بدِمَشْق، ورَكِبَ يَوْمَ وصُولِه فتَلَقَّاه بالكِسْوَة ودَخَلَ مَعَه، وأعْطَاه خَمْسَةَ آلافِ دِينَار.

ولَم يَزَلْ عِنْدَه بدِمَشْقَ إلَى أن هَرَبَ البَحْرِيَّةُ مِنَ الكَرَكِ إلى مِصْر، كَمَا نَذْكُر، فخَشِيَ أنْ يَأخُذَه النَّاصِرُ، وكَاتَبَ الأتَابِكَ قُطُز بمِصْرَ، وَسَارَ إلَيه فقَبِلَه أوَّلاً، ثُمّ قَبَضَ عَلَيه بَعْدَ ذَلكَ وَاعْتَقَلَه بالإسْكَنْدَرِيّة.

وكَان الصَّيْرَمِيُّ قَد بَقِيَ بَعْدَ الأفْرَم في وِلَايَةِ الصَّعِيدِ وَاسْتَفْحَلَ فيه، فَسَوَّلَت لهُ نَفْسُه / الاسْتِبْدادَ ولَم يَتِمَّ له، فهَرَبَ إلَى النَّاصِرِ سَنَةَ أرْبَع وخَمْسِين[3]. [308 ب]

---

(1) فارسي معرب: الخفارة، والبَذْرقة يُقال لها: عصمة، وهي أجر الحراسة، والأمان يُعطاه المسافر.

(2) نهاية الأرب 29: 439.

(3) المصدر والصفحة.

مَقْتَلُ المُعِزِّ أَيْبَكَ، وولايةُ ابنِه عَلِيٍّ المَنصُور

كَان المُعِزُّ أَيْبَك عِنْدَما اسْتَفْحَلَ أمْرُه، ومَهَّدَ سُلْطَانَه، ودَفَعَ الأَعْدَاءَ عَنْ حَوْزَتِه، طَمَحَتْ نَفْسُه إلى [مُصَاهَرَة][أ] المَنْصُورِ صَاحِبِ حَمَاة، ولُؤْلُؤ صَاحِبِ المَوْصِل [لتَصِلَ يَدهُ بيدِهما][ب]، وأرْسَلَ إليهمَا في الخِطْبَة، وأثَارَ ذَلِكَ غَيْرَةَ مِنْ زَوْجِه شَجَرِ الدُّرِّ، وأغْرَتْ به جَمَاعَةً مِن الخِصْيان، مِنهم: مُحسنٌ الجوجَرِيُّ[1]، ونَصْرٌ العزيزيُّ، ويُقَال: سَنْجَر، الخَادِمَانِ، فَبَيَّتُوهُ في الحَمَّامِ بقَصْرِه وقَتَلُوه سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ[2] لِثَلَاثِ سِنِينَ مِن وِلَايَتِه.

وسَمِعَ مَوَالِيه النَّاعِيَةَ مِن جَوْفِ الليْل، فَجَاءَ كُبَرَاؤُهم: سَيْفُ الدِّين قُطُز، وسَنْجَرُ الغَتْمِيُّ، وبَهَادِر، فَدَخَلُوا إلى القَصْرِ وتَقَبَّضُوا عَلَى الجوجَرِيِّ[3] فَقَتَلُوه، وفَرَّ سَنْجَر[4] العَزِيزِيُّ إلى الشَّام، وهَمُّوا بِقَتْلِ شَجَرِ الدُّر، وقَامَ المَوَالي الصَّالِحيةُ دُونَها، فَاعْتَقَلُوها، ونَصَّبُوا للمُلْكِ عَلِيَّ بنَ المعِزِّ أَيْبَك، ولَقَّبُوه المَنصُورَ[5]، وكَانَ[ج] أتَابِكَهُ عَلَمُ الدِّين سَنْجَرُ الحلَبيُّ، وَاسْتَوْلَى مَوَالِي المعِز عَلَى ابنِه المَنْصُور، فَنَكَبُوا عَلَم الدِّين

(أ) من س، وفي ظ: مظاهرة. (ب) س، وفي ظ: ليصل يده بها. (ج) وكان: مكررة في ظ.

---

(1) في المختصر 3: 192: سنجر الجوجري مملوك الطواشي محسن، وينظر عقد الجمان 1: 141، المنهل الصافي 1: 26.

(2) في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول. نهاية الأرب 29: 456.

(3) في نهاية الأرب 29: 457: محسن الجوجري الخادم.

(4) في نهاية الأرب 29: 457: نصر.

(5) كان جلوسه في السادس والعشرين من ربيع الأول 655 هـ. زبدة الفكرة 24 – 25، وينظر عقد الجمان 1: 143.

سنجر واعتقلوه، [وولّوا][أ] مكانه أقطاي المستعرب[1]، وقتلوا شجر [الدّرّ][ب] بثأر المعزّ، ضربوها بالسّياط، وألقوها من أعلى السّور فهلكت[2]، ثم استولى قطز، مولى [المعزّ][ج]، على الدّولة في نقضها وإبرامها سنة ستّ وخمسين، وأغرته أمّ المنصور بالصاحب شرف الدّين الفائزيّ، لأنّ المعزّ كان يستودع سرائره[د] عنده، فاستصفاه وقتله[3].

وفي هذه السّنة[4] تُوفّي البهاءُ زهيرُ بنُ محمدِ بن عليّ المهلّبيّ، وكان يكتُبُ عن الصّالح، ولازمهُ في سجنِه بالكرك، ثمّ صحبه إلى مصر[5].

نهوضُ البحريّة بالمغيث صاحب الكرك إلى مصر وانهزامهم

قد ذكرنا فِرارَ البحريّة إلى النّاصرِ، ونهوضه بهم إلى الغَوْر، وبروز أيبك إلى العبّاسة، وما كان بينهما من الصّلح، فلمّا انعقد الصُّلحُ ورجع النّاصرُ إلى دمشق، رجعوا معه على قلعةٍ واستيحاشٍ، ولم يرضوا الصُّلح، فاسترابَ / بهمُ النّاصرُ، [309ا] وصرفهم عنه، فلحقوا بغزّة ونابلس، وبعثوا إلى المغيثِ صاحبِ الكركِ بطاعتهم.

(أ) من س، وفي ظ: وولّي. (ب) من س. (ج) من س، وفي ظ: العزيز. (د) في س: سراريه.

---

(1) في نهاية الأرب 29: 460: خوشداش والده.

(2) في السادس عشر من ربيع الآخر من السنة 655 هـ. المختصر 3: 192.

(3) نهاية الأرب 29: 460.

(4) سنة 656 هـ. نهاية الأرب 29: 466.

(5) نهاية الأرب 29: 466.

فأرسَلَ النَّاصِرُ عَسَاكِرَه للإيقَاعِ بِهم، فهَزَمُوها، فسَارَ إليهم بِنَفْسِه [فَهَزَمُوا][أ] إلَى البَلْقَاء، ولَحِقُوا بالكَرَك، وأطْمَعُوا المغِيثَ في مِصْرَ، واسْتَمَدُّوه لَها فأمَدَّهم بعَسْكَرِه، وقَصَدُوا مِصْرَ، وكُبَرَاؤُهم: بَيْبَرْس البُنْدُقْدَارِيُّ، وقَلاوُون الصَّالِحِيُّ، وبَلَبَان الرَّشِيدِيُّ.

وبَرَزَ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّين قُطُز بعَسَاكِرِ مِصْرَ إلَى الصَّالِحِية، فلَقِيَهم وهَزَمَهم[1]، وقُتِلَ بَلْغَانُ الأَشْرَفِيُّ، وأُسِرَ قَلاوُون الصَّالِحِيُّ وبَلَبَانُ الرَّشِيدِي، وأُطْلِقَ قَلاوُونُ بَعْدَ أيَّامٍ فِي كَفَالَة قَيْزَان[2] أسْتاذِ الدَّار، فاخْتَفَى، ثُمَّ لَحِقَ بأصْحَابِه، وَاسْتَحَثُّوا المغِيثَ إلَى مِصْرَ، وكَاتَبَهم بعْضُ أُمَرَائِها يَعِدُهُمُ الانْحِيازَ إلَيهم يَوْمَ اللقَاءِ، فَنَهَضَ المغِيثُ في عَسَاكِرِه سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِين، ونَزَلَ الصَّالِحِيَّةَ، وقَدِمَ [عَلَيْه][ب] عِزُّ الدِّين الرُّومِيُّ، والكافِرِيُّ، والهَوَّاش، وغَيْرُهم مِمَّن كَان يُكَاتِبُهُ مِن أُمَرَاءِ مِصْرَ[3].

وبَرَزَ سَيْفُ الدِّين قُطُز في عَسَاكِرِ مِصْرَ، وَالتَقَى الجَمْعَانِ، فَانْهزَم المغِيثُ ولَحِقَ فِي الفَلِّ بالكَرَكِ، وفَارَقَه البَحْرِيةُ إلى الغُورِ، فوَجَدُوا هُنَالك أحْيَاءً مِنَ الأكْرَادِ فَـرُّوا مِنْ جِبَالِ شَهْرَزُورَ أمَامَ الطَّطَرِ، فاجْتَمَعُوا بِهم، والتَحَمُوا بالصِّهْرِ

(أ) من س، وفي ظ: فهربوها. (ب) من س، وفي ظ: عليهم.

(1) في يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 655 هـ. في نهاية الأرب 29: 435، وينظر المختصر 3: 195.

(2) في نهاية الأرب 29: 435: قيزان.

(3) يبدو مما ذكره ابن خلدون أنه حدث لقاءان سنة 655 هـ، وسنة 656 هـ، بينما يذكر النويري أنه "كان لقاء واحدا" في هذه السنة 655 هـ، وقيل في السنة الآتية 656 هـ. نهاية الأرب 29: 435، وينظر المختصر 3: 193، 195، عقد الجمان 1: 181.

معهم(1)، وخَشِيَ النَّاصِرُ غائِلَةَ اجْتِماعِهم، فجَهَّزَ العَساكِرَ مِنْ دِمَشْقَ إليهم، والتَقَوا بالغَوْرِ(أ) فانهزَمَت عَساكِرُه، فتجَهَّزَ ثانياً بنَفْسِه، وسارَ إليهم، فخامُوا عَن لِقائِه، وافتَرقُوا، فلَحِقَ الأكْرادُ بمِصْرَ، واعتَرَضَهم التُّرْكُمانُ في طَرِيقِهم بالعَرِيش فأوقَعُوا بهم، وخلَصُوا إلى مِصْرَ، ولَحِقَ البَحْرِيَّةُ بالكَرَكِ فآواهُمُ المُغِيثُ، ووَعَدَهم النَّصْرَ، وأرسَلَ إليه النَّاصِرُ من دِمَشقَ في إسْلامِهم إليه، وتوَعَّدَه، وارْتابُوا بأنْفُسِهم واضْطَرَبُوا، ففَرَّ بَيْبَرْس وقَلاوُون إلى الصَّحْراءِ وأقامُوا بها، ثُمَّ لَحِقُوا بمِصْرَ، وأكْرَمَهم الأتابِكُ قُطُز وأقْطَعَهم وأقامُوا عِنْدَه(2).

ولَمَّا فَرَّ بَيْبَرْس وقَلاوُون مِنَ المُغِيثِ تَقَبَّضَ عَلَى بَقِيَّةِ أُمَراءِ البَحْرِيَّةِ: سُنْقُر الأشْقَر / وشُكُز(3)، وبَرامِق، وبَعَثَ إليهم النَّاصِرُ، فحَبَسَهم بقَلْعَةِ حَلَبَ إلى أنِ [309ب] اسْتَوْلَى الطَّطَرُ عَلَيها، ونَقَلَهم [هُولاكُو](ب) إلى بِلادِه(4).

خَلْعُ المَنصُورِ عَلِيِّ بن أيبَك، واسْتِبْدادُ قُطُز بالمُلْك

ثُمَّ كانَ مَا ذَكَرْناه ونَذْكُرُه مِن زَحْفِ هُولاكُو إلى بَغْدادَ واسْتِيلائِه عَلَيها، وعَلَى مَا بَعْدَها مِنَ(ج) الفُراتِ، وفَتْحِه مَيّافارِقِين وإرْبِل، ومَسِيرِ لُؤْلُؤ صاحِبِ المَوْصِل

(أ) في س: بالأغوار. (ب) من س، وفي ظ: هولا. (ج) في س: إلى.

---

(1) وتروج الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري – وهو الملك الظاهر – منهم: في نهاية الأرب 29: 435.

(2) نهاية الأرب 29: 437 - 438، 471.

(3) في نهاية الأرب 29: 438: مسكز.

(4) نهاية الأرب 29: 438.

إليه ودُخُولِه في طَاعَتِه، وَوِفَادَةِ ابن النَّاصِرِ، صَاحِبِ دِمَشْقَ، عَلَيْه رَسُولاً عَنْ أَبِيه بالهَدَايَا والتُّحَفِ في سَبِيل المُصَانَعَة، والعُذْرِ عَنِ الوصُولِ بنَفْسِه، خوفاً عَلَى سَواحِلِ الإسْلَامِ مِنَ الفِرِنْج.

فَارْتَابَ الأُمَرَاءُ بِمِصْرَ بشَأْنِهِم، وَاسْتَصْغَرُوا سُلْطَانَهم المَنْصُورَ عَلِيَّ بنَ المعِزِّ أَيْبَكَ عَنْ مُدَافَعَةِ هَذا العَدُوِّ لِعَدم مُمَارسَتِه بالحزبِ[أ]، وقِلَّةِ دُرْبَتِه بالوَقَائِعِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى البَيْعة لسَيْفِ الدِّين قُطُز المُعِزِّي، وَكَانَ مَعْرُوفاً بالصَّرَامَة والإقْدَام، فَبَايَعُوا لَهُ، وأجْلَسُوه عَلَى الكُرْسِيِّ سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِين[1]، ولَقَّبُوه المظَفَّر، وخَلَعُوا المَنْصُورَ لسَنَتَيْنِ[2] مِنْ وِلايتِه، وحَبَسُوه وإخْوتَه بدِمْيَاط، ثُمَّ غَرَّبَهُمَا الظَّاهِـرُ بعْدَ ذَلك إلى القُسْطَنْطِينَة، وكَانَ المتَـوَلُّونَ ذَلك العَزِيزِيَّةَ والصَّالِحِيَّة، ومَن يَرْجِعُ إلى قُطُز مِن المُعِزِّيَة[3].

وكَانَ بهَادِر وسَنْجَر [الغَتْمِيُّ][4] غَائِبَيْنِ، فلَمَّا قَدِما اسْتَرَابَ بِهِمَا قُطُز، وخَشِيَ مِن نَكِيرِهما ومُزَاحَمَتِهما، فقَبَضَ عَلَيهمَا وحَبَسَهمَا، وأَخَذَ في تَمْهِيدِ الدَّوْلة فَاسْتَوْسَقَت لَهُ[5].

(أ) س: الحرب.

---

(1) في الرابع من ذى الحجة 657 هـ. زبدة الفكرة 46، المختصر 3: 199، عقد الجمان 1: 221، وورد في ذي القعدة: في نهاية الأرب 29: 469، السلوك 1: 417.

(2) وكانت مدة ملكه سنتين وستة أشهر. زبدة الفكرة 46، عقد الجمان 1: 221.

(3) نهاية الأرب 29: 468.

(4) في الأصول: العلمي، والتصويب من المختصر 3: 199، نهاية الأرب 29: 469.

(5) المختصر 3: 199، نهاية الأرب 29: 469، وينظر عقد الجمان 1: 220.

وكَان قُطُز مِن أوْلادِ المُلوكِ الخَوَارِزمِيَّة، يُقَالُ: ابنُ أُخْتِ خُوَارَزْم شاه، واسْمُهُ مَحْمودُ بنُ مَوْدُود، أسَرَهُ الطَّطَرُ عِنْدَ الحَادِثةِ عَلَيهم، وبِيعَ واشْتَراه ابنُ الزَّعِيم، حَكاه النُّوَيْرِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِن المؤَرِّخين[1].

اسْتيلاءُ الطَّطَر عَلَى الشَّام، وانقِراضُ أمر بَني أيّوب ثُمَّ مَسيرُ قُطُز بالعَسَاكر، وارتجَاعُهُ الشَّامَ من أيدي الطَّطَر بَعدَ هَزيمتِهِم، وحُصُول [الشَّام في مُلك][ا] التُرك

ثُمَّ عَبَرَ هُولاكُو الفُرَاتَ سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسِين، وفَرَّ النَّاصِرُ وأخُوه الظَّاهِرُ إلى مِصْرَ، ورَجَعُوا إلى الطَّطَر، / ولَحِق بِمِصْرَ المَنْصورُ صَاحِبُ حَمَاة وجَمَاعَةُ البَحْرِيةِ [310ا] الَّذين كَانُوا بأحْياءِ العَرَبِ في القَفْرِ.

ومَلَكَ هُولاكُو بِلادَ الشَّامِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وخَرَّبَ أسْوَارَها، وَوَلَّى عَلَيها، وأطْلقَ المُعْتقَلِينَ مِن البَحْرِيةِ بحَلَب، مِثل: سُنقُر الأشْقَر، وشُكُز، وبَرَامِق، واستَخْدَمَهم، ثُمَّ قَفَلَ إلى العِرَاقِ لاخْتِلافٍ وَقَعَ بيْنَ إخْوَتِه، واسْتَخْلَفَ عَلَى الشَّامِ كُتْبُغَا، مِنْ أكْبَرِ أُمَرَائه، في اثني عشَرَ ألفاً مِن العَسَاكِر، وتَقَدَّمَ إليه بمُطَالَعةِ الأشْرَف [مُوسَى][2] بنِ إبرَاهيمَ بن شِيرْكُوه، صَاحِبِ حِمْص، بَعْدَ أنْ وَلَّاه عَلَى مَدِينَة دِمَشْقَ وسَائِرِ مُدُنِ الشَّام، واحْتَمَلَ مَعَه النَّاصِرَ وابْنَه العَزِيزَ، بَعْدَ أنِ اسْتَشَارَهُ في

(ا) من س.

(1) نهاية الأرب 29: 479، 481.

(2) من نهاية الأرب 29: 473 للتوضيح.

تجْبيرِ العَساكِر بالشَّام لمدَافعة أهْل مِصْرَ عَنْها، فَهوَّن عَلَيه الأمْرَ وقلَّلهم في عَيْنيه، فجمَّر كُتْبُغا ومَنْ مَعه[1].

ولَّما فَصَلَ إلى العِراق، سَارَ كُتْبُغا إلى قَلْعَةِ دِمَشْق، وهِيَ مُمْتَنِعَةٌ بعْدُ، فَحاصَرَها وافْتتَحَها عَنْوَة[2]، وقتَلَ نَائِبَها بَدْرَ الدِّين بنَ قُزْل، وخيَّم بِمَرْج دِمَشْق، وجَاءَته الهَدَايَا مِن مُلُوكِ الفِرنْج بالسَّاحِلِ، وَوَفَدَ عَلَيْه الظَّاهِرُ أخُو النَّاصِر، صَاحِبُ صَرْخَد، فَرَدَّه إلى عَمَلِه، وأوْفَدَ عَلَيْه المغيثُ، صَاحِبُ الكَرَك، ابْنه العَزيزَ بطَاعَتِه، فقبِلَه ورَدَّهُ إلى أبِيه.

وَاجْتَمَعَتْ عَسَاكِرُ الإسْلَام بِمِصْرَ، وَاحْتَشَدَ المظَفَّرُ العَرَبَ والتُّرْكمَان، وبثَّ العَطَاءَ وأزَاحَ العِلَلَ، وأرْسَلَ كُتْبُغا إلى المظَفَّر قُطُز بأنْ يُقِيمَ طَاعَةَ هُولاكُو بِمِصْرَ، فضَرَبَ أعْنَاقَ الرُّسُلِ، ونَهَضَ إلى الشَّامِ مُصَمِّماً للقَاءِ العَدُو، ومَعَه المَنْصُورُ [محمدٌ][3]، صَاحِبُ حَمَاة، وأخُوه الأفْضَل [عليٌّ][4]، وزَحَفَ كُتْبُغا وعَسَاكِرُ الطَّطَر، ومَعَه الأشْرَفُ [موسى][5] صَاحِبُ حِمْص، والسَّعِيدُ، صَاحِبُ الصُّبَيْبَة، ابنُ العَزِيز بنِ العَادِل، وبعَثَ إليهِمَا قُطُز يَسْتَمِيلُهمَا، فوَعَدَهُ الأشْرَفُ بالانْهزَام يَوْمَ اللِّقَاءِ، وأسَاءَ [السَّعِيدُ][6] الرَّدَّ عَلَى رَسُولِه وأوْقَعَ بِه، وَالتَقَى الفَرِيقَانِ بالغَوْرِ عَلَى عَيْنِ جَالُوت[7]، وتَحَيَّزَ الأشْرَفُ عِنْدَمَا تَنَاشَبُوا، فَانْهَزَمَ الطَّطَرُ، وقُتِلَ أمِيرُهم كُتْبُغا في المعْرَكَة.

---

(1) زبدة الفكرة 49.

(2) ثم تسلموها بالأمان في منتصف جمادى الأولى 658 هـ. في المختصر 3: 203، مفرج الكروب 6: 275.

(3)، (4)، (5) إضافة للتوضيح من المختصر 3: 205.

(6) في الأصول: العزيز، وقومناه حسب النص، وينظر المختصر 3: 205.

(7) في يوم الجمعة 25 من شهر رمضان 658 هـ. مفرج الكروب 6: 292، المختصر 3: 205، وينظر عقد الجمان 1: 243.

وَجِيءَ بالسَّعيدِ صَاحِبِ الصُّبَيْبَةِ أسيراً، فوَبَّخَه ثُمَّ قَتَلَه، وجِيءَ بالعَزيزِ بنِ المُغِيثِ فاعتَقَلَه، وأُسِرَ يَومئذٍ كُتْبُغَا الذي مَلَكَ مِصْرَ بَعْدَ ذَلِكَ ولُقِّبَ / العَادِلَ. [310ب]

واتَّبَعَ بَيْبَرْسُ المُنهَزِمِينَ في عَسْكَرٍ مِن التُّرْكِ، فأَثْخَنَ فِيهِم، وَانتَهَى إلَى حِمْص، فلَقِيَ مَدَدًا مِن الطَّطَرِ جاءُوا إلى كُتْبُغَا، فاسْتَأْصَلَهم.

ورَجَعَ إليه الأَشْرَف، صَاحِبُ حِمْص، مِن عَسْكَرِ الطَّطَر، فأَقَرَّه عَلَى بلَدِه، وبَعَثَ المَنصُورَ عَلَى بَلَدِه حَمَاة وأَقَرَّه عَلَيها، ورَدَّ إليه المَعَرَّة، وانْتَزَعَ مِنه سَلَمِيَّةَ فأَقْطَعَها لأَمِيرِ(أ) العَرَبِ مُهَنَّا بن مَانِع بن حَدِيثَة[1].

وسَارَ إلى دِمَشْقَ فهَرَبَ مَنْ كَانَ بِها مِنَ الطَّطَرِ، وقَتَلَ مَنْ وَجَدَ بِها مِن بَقَايَاهم، ورَتَّبَ العَسَاكِرَ في البِلادِ، وَوَلَّى عَلَى دِمَشْقَ عَلَمَ الدِّين سَنْجَر الحَلَبِيَّ الصَّالِحِيَّ، وهُوَ الَّذِي كَانَ أَتَابِكَ عَلِيِّ بنِ أَيْبَك[2]، ونَجْمَ الدِّين أَبَا الهَيْجَاء ابنَ خُشْتَرِين الكُرْدِيَّ.

ووَلَّى عَلَى حَلَبَ السَّعِيد، ويُقَال: المُظَفَّر[3] عَلَاءَ الدِّين بن لُؤْلُؤ صَاحِبِ المَوْصِل، وكَان وصَلَ إلى النَّاصِرِ بدِمَشْقَ هَارِباً أَمَامَ الطَّطَرِ. وَسَارَ مَعَه، فلمَّا دَخَلَ النَّاصِرُ التِّيهَ لَحِقَ هُوَ بِمِصْرَ وَأَحْسَنَ إليه قُطُز، ثُمَّ وَلَّاه الآنَ عَلَى حَلَب، لِيَتَوَصَّلَ إلى أَخْبَارِ الطَّطَر مِن أَخِيه الصَّالِح بالمَوْصِل[4].

(أ) في س: لأمر.

---

(1) المختصر 3: 205، مفرج الكروب 6: 293.

(2) المختصر 3: 207.

(3) سماه (قطز) بالملك السعيد، لاشتراكه معه في الاسم. الروض الزاهر 96.

(4) المختصر 3: 207، زبدة الفكرة 52، وينظر مفرج الكروب 6: 296 – 297.

ووَلّى عَلَى نابُلُس وغَزّةَ والسَّوَاحِل شَمْسَ الدِّين أقُوش[1] البُرلَي، مِن أُمَرَاء العَزِيزيَّةِ مَوَالي العَزِيز مُحَمَّد [بن غَازِي][أ]، وهو أبُو النَّاصِر [يُوسُف][ب]، وكَان هَرَبَ عَنْه عِنْدَ نُهُوضِه إلى مِصْرَ فِي جَمَاعَةٍ مِن العَزِيزيَّة، ولَحِقوا بأيْبَك، ثُمَّ ارْتَابَ بِهِم وقَبَضَ عَلَى بَعْضِهِم، ورَجَعَ البُرلَي فِي البَاقِينَ إلى النَّاصِر فَاعْتَقَلَه بِقَلْعَةِ عَجْلُون، حَتّى إذَا سَارَ إلى مِصْرَ [أمَامَ][ج] الطُّطَرِ. فلمَّا دَخل التِّيه سَارَ البُرلَي مع العَسَاكِرِ إلى مِصْرَ فأكْرَمَه المظفَر، وَوَلاه الآنَ السَّوَاحِلَ وغَزّة[2]. وأقَامَ المظَفَّرُ بدِمَشْقَ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وقَفَلَ إلى مِصْرَ.

ولَمَّا بَلَغَ إلى هُولاكُو مَا وَقَعَ بِقَوْمِه فِي الشَّام، وَاسْتِيلَاءُ التُّرْكِ عَلَيه، اتَّهَمَ النَّاصِرَ صَاحِبَ دِمَشْقَ بأنَّه خَدَعَه فِي إشَارَتِه، وقَتَلَه، كَمَا مَرَّ، وانْقَرَضَ مُلْكُ بَنِي أيُّوبَ مِن الشَّام أجْمَع، وصَارَ لِمُلُوكِ مِصْرَ مِن التُّرْك. والله ﴿خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية 89].

مَقْتَلُ المظَفَّرِ قُطُز، ووِلايَةُ الظَّاهِرِ بَيْبَرْس

كَان البَحْرِيَّةُ مِن حِين مَقْتَلِ أمِيرِهم أقْطَاي الجَمْدَار يَتحَيَّنُونَ لأخْذِ ثَأْرِه، وكَان قُطُز هُوَ الَّذِي تَوَلّى قَتْلَه، فكَان مُسْتَرِيباً بِهِم، ولَمَّا سَالَ عُبَابُ الطُّطَرِ ذَهِلَ

(أ) من س. (ب) من س. (ج) من س، ظ: أما.

(1) في الأصول: أقش، والتصويب مما يلي، ومن المختصر 3: 207.

(2) المختصر 3: 207، وينظر مفرج الكروب 6: 295 – 296.

[311] / كُلٌّ مِنهم عَن شَأنِه، وجَاءَ البَحرِيَّةُ مِنَ القَفرِ هَارِبِينَ مِن المُغيثِ صَاحِبِ الكَرَك، فَتَرَمَّوا لأنفُسِهم مِنَ السُلطَان قُطُز، أحوَجَ مَا كَان إلى أمثَالِهِم للمُدَافَعَة عَن الإسلَام وأهلِه، فَأَمَّنَهم واشتَمَلَ عَلَيهم، وشَهِدُوا معه وَاقِعَةَ الطَّطَرِ عَلَى عينِ جَالُوت، وأبلَوا فيها، والمُقَدَّمُونَ فيهم يَومئِذٍ: بَيبَرس البُندُقدَارِي، وأُنَص[1] الأَصفَهانِي، وبَلَبَانُ الرَّشِيدِي، وبَكتُوتُ الجُوكَندَار، وبِيدُغَان الرُّكنِي، فَلَمَّا انهَزَمَ الطَّطَرُ مِن الشَّامِ وَاستَولَى التُّركُ عَلَيه، وحَسَرَ ذَلكَ المَدُّ، وأَفرَخَ[2] مِنَ الخَائِفِينَ الرَّوعُ، عَادَ هَؤلاءِ البَحرِيَّةُ إلى دِينِهم مِنَ التَّرَصُّدِ لِثَأرِ أقطَاي[3].

فلَمَّا قَفَلَ قُطُز مِن دِمَشقَ سَنَةَ ثَمَانٍ وخَمسِينَ أجمَعُوا أَن يَثأَرُوا بِه في طَرِيقِه، فلَمَّا قَارَبَ مِصرَ ذَهَبَ في بَعضِ أيَّامِه يَتَصَيَّدُ، وسَارَتِ الرَّوَاحِلُ عَلَى الطَّرِيقِ فَاتَّبَعُوه في صَيدِه، وتَقَدَّم إليه أُنَص شَفِيعاً في بَعضِ أَصحَابِه، وشَفَّعَه، فَأهوى يُقَبِّلُ يَدَه فَأَمسَكَهَا، وَعَلَاه بَيبَرس بالسَّيفِ، فَخَرَّ صَرِيعًا لليَدَينِ وللفَمِ[4]، ورَشَقَه الآخَرُونَ بالسِّهَامِ فقَتَلُوه[5]، وتَبَادَرُوا إلى المُخَيَّمِ، وقَامَ دُونَه فَارِسُ الدِّين أقطَاي المُستَعرِبُ، أتَابِكُ عَلِيّ بن المعزّ أَيبَك، وسَأَلَ: مَن تَوَلَّى قَتلَهُ مِنكُم؟ فقَالُوا:

(1) في الأصول: أنز، والتصويب من زبدة الفكرة 53، نهاية الأرب 29: 477.

(2) أفرخ روعك، أي: خلا قلبك من الهم، خلو البيضة من الفرخ، تشبيه على المجاز.

(3) زبدة الفكرة 53 – 54.

(4) عجز بيت لجابر بن حُني التغلبي، من الطويل، ورد في المفضليات 212، والبيت:

تناوله بالرُّمح ثم انثنى له ... فخرَّ صريعاً لليدين وللفم

وما استشهد به مثلٌ يُقال عند الشماتة. انظر الثعالبي: التمثيل والمحاضرة 315، الميداني: مجمع الأمثال 2: 207.

(5) في سابع عشر ذي القعدة 658 هـ. المختصر 3: 207، زبدة الفكرة 54، الروض الزاهر 68.

بَيْبَرْس، فَبَايَعَ لَه، واتّبَعه أَهْلُ المعَسْكرِ، ولَقّبُوه الظَّاهِر، وبَعَثُوا أَيدُمُرَ الحَلَبيَّ بالخبَرِ إلى القَلْعَةِ بِمِصْر، فأَخَذَ لَه البَيْعَةَ عَلَى مَنْ هُنالِكَ[1].

ووَصَلَ الظَّاهِرُ مُنْتَصَفَ ذِي القَعْدَةِ[2] مِنَ السَّنَة فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّه، وَاسْتَحْلَفَ النَّاسَ عَلَى طَبَقَاتِهِم، وكَتَبَ إلى الأَقْطَارِ بذَلك، ورَتَّبَ الوَظَائف، وقَلَّدَ الأُمَرَاءَ، ووَلَّى تَاجَ الدِّين عَبْدَ الوَهَّاب ابنَ بِنْتِ الأَعَزّ الوِزَارَةَ[3] مَعَ القَضَاءِ[5]، وَاقْتَدَى بآثَارِ أُسْتَاذِه الصَّالِح نَجْم الدِّين.

ومَبْدَأُ أَمْرِ هَذا الظَّاهِر بَيْبَرْس أَنّه كَانَ مِنْ مَوَالِي عَلَاء الدِّين أَيْدَكِين البُنْدُقْدَارِيّ مَوْلَى الصَّالِح، فسَخِطَ عَلَيه وَاعْتَقَلَه وَانْتَزَعَ مَالَه ومَوَاليَه، وكَان مِنهم بَيْبَرْس فصَيَّرَه مَعَ الجَمَدَارِيَّة، ومَا زَالَ يَتَرَقَّى في المَرَاتِبِ إلى أَنْ تَقَدَّمَ في الحُرُوبِ ورِيَاسَةِ[أ] المَوَاكِب، ثُمّ كَان مِن خَبَرِه بعْدَ الصَّالِح مَا قَصَصْنَاه.

[311ب] /انتِقَاضُ سَنجَرَ الحَلَبِيِّ بِدِمَشْقَ ثُمَّ آقُوش البُرلِي بِحَلَب

ولَمَّا بَلَغَ عَلَمَ الدِّين سَنْجَر الحَلَبيَّ بدِمَشْق مَقْتَلُ قُطز، ووِلَايَةُ الظَّاهِرِ بَيْبَرْس، انْتَقَضَ ودَعَا لنَفْسِه، وجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ بدِمَشْق[4]، وتَلَقَّبَ المجَاهِدَ،

(أ) في س: وسائر.

---

(1) المختصر 3: 207، زبدة الفكرة 54.

(2) كان مقتل قطز وسلطنة بيبرس في سابع عشر ذي القعدة. المختصر 3: 208، زبدة الفكرة 55، عقد الجمان 1: 262.

(3) كان الوزير بمصر زين الدين بن الزبير... من حين ملك الملك المظفر... فلما ولى الظاهر أقره على ذلك. فرج الكروب 6: 301.

(4) في العشر الأول من ذي الحجة 658 هـ. المختصر 3: 208، مفرج الكروب 6: 300 – 301.

وخطَبَ لِنَفْسِه وضَرَبَ السِّكَّةَ باسْمِه، وتَمَسَّكَ المَنصُورُ صَاحِبُ حَمَاةَ بِدَعْوَةِ الظَّاهِرِ.

وجَاءَت عَسَاكِرُ الطَّطَرِ إلى الشَّامِ، فلَمَّا شَارَفُوا البِيرَةَ جَرَّدَ إليهِمُ السَّعِيدُ ابنُ لُؤلُؤٍ مِن حَلَبَ عَسْكراً، فهَزَمَهُمُ الطَّطَرُ وقَتَلُوهم، واتَّهَم الأُمَرَاءُ: العَزِيزِيَّةُ والنَّاصِرِيةُ ابنَ لُؤلُؤٍ في ذَلكَ فَاعْتَقَلُوه، وقَدَّمُوا عَلَيهم حُسَامَ الدِّين الجوكَنْدَار [العزيزيّ][1]، وأقرَّه الظَّاهِر[2].

وَزَحَفَ الطَّطَرُ إِلَى حَلَبَ فَمَلَكُوهَا[3]، وَهَـرَبَ حُسَـامُ الدِّين إِلَى حَمَاة، ثُمَّ زَحَفَ إلَيْها الطَّطَرُ فلَحِقَ صَاحِبُها المَنصُورُ وأَخُوه عَلِيٌّ الأَفْضَلُ بِحِمْص، وبِها الأشْرَف [موسى][4] بن شِيرَكُوه، فَاجْتَمعت إليه العَزِيزِيَّة والنَّاصِرِية، وقَصَدوا الطَّطَر سنَةَ تِسْعٍ وخَمْسين[5]، [فهَزَموهم][أ]، وبَعْدَ هَزِيمَتِهِم نَازَلُوا حَمَاة.

وسَارَ المَنصُور صَاحِبها، والأَشْرَف صَاحِب حِمْص، إلى سَنْجَر الحَلَبِيّ بِدِمَشْق، ولَمْ يَدْخُلا في طَاعَته لضَعْفه، وسَارَ الطَّطَرُ مِن حَمَاة إلى [أَفَامِيَة][6] فَحَاصَرُوها يَوماً، وعَبَرُوا الفُرَاتَ إلى بِلادِهِم.

(أ) من س، وفي ط: فهزمهم.

---

(1) من المختصر 3: 208، وينظر مفرج الكروب 6: 303 - 304، عقد الجمان 1: 268.

(2) نهاية الأرب 30: 39.

(3) في أواخر سنة ثمان وخمسين وستمائة. نهاية الأرب 30: 40.

(4) من نهاية الأرب 30: 40.

(5) واقتتلوا في يوم الجمعة خامس المحرم من السنة، فانهزم التتار أقبح هزيمة. نهاية الأرب 30: 40، وينظر المختصر 3: 209، عقد الجمان 1: 268 – 269.

(6) في الأصول: فامية، معجم البلدان.

وبعث[أ] بيبرس الظاهر[ب] صاحب مصر أستاذه علاء الدين [أيدكين][1] البندقداري في العساكر لقتال سنجر الحلبي بدمشق، وقاتلهم فهزموه[2] ولجأ إلى القلعة، ثم خرج منها ليلاً إلى بعلبك، واتبعوه فقبضوا عليه وبعثوا به إلى الظاهر فاعتقله، واستقر أيدكين بدمشق، ورجع صاحب حمص وحماة إلى بلديهما[3].

[وبعث][ج] الظاهر إلى أيدكين بالقبض على بهاء الدين بغدي، وشمس الدين أقوش البرلي، وغيرهما من العزيزية والناصرية، فقبض على بغدي، وفر العزيزية والناصرية مع أقوش البرلي، وطلبوا صاحب حمص وصاحب حماة في الانتقاض، فلم يجيباهم إلى ذلك، فقال لفخر الدين، عامل حمص: اطلب لي من الظاهر المقام معك في خدمتك، وبينما سار في طلب ذلك من الظاهر خالفه البرلي إلى حلب، [312 ا] / وثار بها وجمع العرب والتركمان ونصب للحرب، فجاءت العساكر من مصر فقاتلوه وغلبوه عليها[4]، ولحق بالبيرة فملكها واستقر بها، حتى إذا جهز الظاهر عساكره سنة ستين إلى حلب مع سنقر الرومي، وسار معه صاحب حماة وصاحب حمص للإغارة على أنطاكية، لقيهم البرلي وأعطاهم طاعته، وأقره الظاهر على البيرة، ثم ارتاب به بعد ذلك واعتقله[5].

(أ) وبعث: مكررة في ظ. (ب) سقط من س. (ج) من س، وفي ظ: وفرو وبعث.

---

(1) من الروض الزاهر 94.

(2) في ثالث عشر صفر 659 هـ. المختصر 3: 210، وينظر عقد الجمان 1: 291.

(3) المختصر 3: 210.

(4) المختصر 3: 211، وينظر عقد الجمان 1: 293.

(5) في رجب 661 هـ، فكان آخر العهد به. المختصر 3: 214، وينظر عقد الجمان 1: 359 - 360.

ثُمّ قرّر أَيدكِين البُنْدُقْدَارُ أُمورَ السُّلطانِ بدِمَشق، ووَلّى عليها علاءَ الدين طَيْبَرْس الوزيري، ورَجع[1].

البَيعةُ للخَليفَةِ بمِصْرَ، ثُمّ مَقتَلُه بالحَدِيثَةِ وعانَةَ عَلَى يَدِ الطَّطَرِ، والبَيعَةُ للآخَرِ الذي اسْتَقرَّتِ الخِلافَةُ في عَقِبِه بمِصْرَ

لَمّا قُتِلَ الخَلِيفَةُ عبدُ الله المُستَعْصِمُ ببَغْدَادَ بَقِيَ رَسْمُ الخِلافَةِ الإسْلَامية عُطْلاً في أقْطارِ الأرضِ، والظّاهِرُ مُتَشوِّفٌ إلى تَجْدِيدِه وعِمَارَةِ دَسْتِه.

ووَصَلَ إلى مِصْرَ في مُنتَصفِ [رجب][2] تِسْعٍ وخَمْسِينَ عَمُّ المُستَعْصِم، وهو أبو العَبّاس أحمدُ بنُ الظّاهِر، كان بقُصُورِهم ببغداد، وخَلَصَ يَوْمَ الهَيْعة، وأقامَ يَتَرَدَّدُ في الأَحْياءِ إلى أن لَحِقَ بمِصْر، فسُرَّ الظّاهِرُ بقُدُومِه ورَكِبَ لِلِقائه[3]، ودَعَا النّاسَ عَلَى طَبَقاتِهم إلى إيوانِ السُّلطانِ بالقَلْعَة، وأفْرَدَهُ بالمَجْلِس أدبًا معه، وحَضَرَ القاضي تاجُ الدّين ابنُ بنْتِ الأعَزّ، فحَكَمَ باتّصالِ نَسَبِه بالشَّجَرَةِ الكَرِيمة بشَهادَةِ العَرَبِ الوَاصِلِينَ به والخُدّامِ النّاجِينَ مِن قُصُورِهم، ثُمّ بايَعَ لهُ الظّاهِرُ والنّاسُ عَلَى طَبَقاتِهم، وكَتَبَ إلى النّواحي بأَخْذِ البَيْعة له والخُطْبةِ عَلَى المَنابِر، ونَقْشِ اسمِهِ في السِّكّة، ولُقِّبَ المُستَنْصِرَ، وأشْهَدَ هُوَ حِينَئذٍ المَلأَ بتَفْوِيض الأمْرِ للظّاهِر والخُرُوجِ لهُ عنِ

---

(1) المختصر 3: 214.

(2) في س: شعبان، وسقط من ظ، والتصويب من زبدة الفكرة 60.

(3) في يوم الخميس التاسع من شهر رجب. زبدة الفكرة 60، نهاية الأرب 30: 29، الروض الزاهر 99، وينظر عقد الجمان 1: 294.

العُهْدة، وكُتِبَ بذلك تَقْلِيدٌ أنشأه فَخْر الدِّين [إبْراهِيمُ][1] بنُ لُقْمان كَاتِبُ التَّرسِيل[2].

ثُمّ رَكِبَ السُّلطانُ والنَّاس كَافّةً إلى خَيْمَةٍ بُنِيَت خَارِجَ المدِينة، فقُرِيءَ التَّقْلِيدُ عَلَى النَّاس، وخُلِعَ عَلَى أَهْلِ المرَاتِبِ والخَوَاصّ، ونَادَى السُّلطانُ بمُظَاهَرَتِه وإعَادَتِه إلى دَارِ خِلافَتِه.

[312ب] / ثُمّ خطَبَ هَذا الخَلِيفَةُ يَوْمَ الجمُعَةِ[3]، وخَشَعَ [عَلَى][أ] مِنْبَرِه فَأَبْكَى النَّاسَ، وصَلَّى وَانْصَرَفَ إلى مَنْزِله.

ثُمّ وَصَلَ[4] عَلَى أَثَرِه الصَّالِحُ إسْمَاعِيلُ بنُ لُؤلُؤ، صَاحِبُ المَوْصل، وأخوهُ إسْحاقُ، صَاحِبُ الجزِيرَة، [إلَى الأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ][5]، وقَد كَان أبوهُمَا لُؤلُؤ اسْتَخْدَمَ لهُولاكُو، كَمَا مَرّ، وأَقَرَّهُ عَلَى المَوْصِلِ ومَا إليها، وتُوفِّي سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِين، وقد وَلَّى ابنَه إسْماعِيلَ عَلَى المَوْصِل، وابنَه إسْحاقَ المجاهِدَ عَلَى جَزِيرَة ابنِ عُمَر، وابنَهُ السَّعيدَ عَلَى سِنْجَار، وأَقَرّهم هُولاكُو عَلَى أعْمَالِهم، ولَحِقَ السَّعيدُ بالنَّاصِرِ صَاحِبِ دِمَشْق، وسَارَ معَهُ إلى مِصْرَ وَاسْتَقَرَّ معَ قُطُز، ووَلّاهُ حَلَب، ثُمّ اعْتُقِلَ كَمَا مَرّ، ثُمّ ارْتَابَ هُولاكُو بالآخَرِينَ[ب] فأجْفَلوا ولَحِقُوا بمِصْر، وَاسْتَبْلَغَ الظَّاهِرُ في

(أ) من س، وفي ظ: في. (ب) في س: الأخوين.

(1) إضافة للتوضيح من عقد الجمان 1: 298.

(2) ينظر نص التقليد في الروض الزاهر 102، زبدة الفكرة 61، نهاية الأرب 30: 35.

(3) سابع عشر شهر رجب. الروض الزاهر 101، نهاية الأرب 30: 29، عقد الجمان 1: 294.

(4) في شعبان 659 هـ. زبدة الفكرة 65.

(5) إضافة للتوضيح من زبدة الفكرة 65.

إكْرَامِهِم، وسَأَلُوه في إطْلاقِ أخِيهِم المُعْتَقَلِ فأَطْلَقَه، وكَتَبَ لَهُم بالوِلايَةِ عَلَى أعْمَالِهِم وأعْطَاهُم الألْوِيَةَ[1].

وشَرَعَ[أ] في تَجْهِيزِ الخَلِيفَةِ إلى كُرْسِيِّه بِبَغْدَاد، فاسْتَخْدَمَ لَهُ العَسَاكِرَ، وأقَامَ لَه الفَسَاطِيطَ والخِيَامَ، ورَتَّبَ لَه أهْلَ [الوَظَائِفِ][ب]، وأزَاحَ عِلَلَ الجَمِيعِ، يُقَالُ: أنْفَقَ في تِلْكَ النَّوْبَةِ نَحْواً مِن ألْفِ ألْفِ دِينار[2].

ثُمَّ سَارَ مِن مِصْرَ في شَوَّالٍ[3] مِن السَّنَةِ إلى دِمَشْقَ لِيَبْعَثَ مِن هُنَالِكَ الخَلِيفَةَ، وبَنِي لُوْلُوٍ إلى مَمَالِكِهِم، ووَصَلَ إلى دِمَشْقَ ونَزَلَ بالقَلْعَةِ، وبَعَثَ بَلَبَانَ الرَّشِيدِيَّ وشَمْسَ الدِّينِ سُنْقُرَ الرُّومِيَّ بالعَسَاكِرِ لِتَشْيِيعِ القَوْمِ، وأنْ يُقِيمَا في عَسَاكِرِهِمَا بالفُرَاتِ رِدْءاً لَهُم، ولَمَّا انْتَهَوْا إلى الفُرَاتِ صَمَّمَ الخَلِيفَةُ لِقَصْدِه وفَارَقَهُم، وسَارَ الصَّالِحُ إسْمَاعِيلُ وأخَوَاه إلى المَوْصِلِ.

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى هُولاكُو، فَجَرَّدَ العَسَاكِرَ إلى الخَلِيفَةِ، وكَبَسُوهُ بِعَانَةَ والحَدِيثَة، فصَابَرَهُم قَلِيلاً ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وبَعَثَ العَسَاكِرَ إلى المَوْصِلِ فحَاصَرُوها تِسْعَةَ أشْهُرٍ حَتَّى جَهَدَهُم الحِصَارُ واسْتَسْلَمُوا، فَمَلَكَهَا الطَّطَرُ، وقَتَلُوا الصَّالِحَ إسْمَاعِيل[4].

(أ) في س: واشترع. (ب) من س، وفي ط: الوضائف. (ج) في س: ناحى.

---

(1) زبدة الفكرة 65 - 66، عقد الجمان 1: 314.

(2) نهاية الأرب 30: 36، 37.

(3) يوم السبت سادس شوال. زبدة الفكرة 66، مفرج الكروب 6: 316، نهاية الأرب 30: 37، الروض الزاهر 111.

(4) زبدة الفكرة 68 – .

والظَّاهِرُ في خِلَال ذَلك مُقِيمٌ بدِمَشْق، وقَدْ وَفَدَ عَلَيه بَنُو أيُّوب مِن نَواحِي[أ] الشَّام، وأَعْطَوْه طَاعَتَهم، مِثْلَ: المَنصُورِ صَاحِبِ حَمَاة، والأشْرَفِ صَاحِبِ حِمْص، [فأكْبَرَ][ب] مَوْصِلَهمَا، ووَلَّاهمَا عَلَى أعْمَالهِمَا، / [313أ] وأذِنَ لهُما في اتِّخَاذِ الآلَة، وأضَافَ إلى المَنصُورِ بِلادَ الإسْمَاعِيلِيَّة، وإلَى الأشْـرَفِ تَلَّ بَاشِرِ الَّذي كَان اعْتَاضَه عَن حِمْص، لَمَّا أخَذَهَا مِنْه النَّاصِرُ صَاحِبُ حَلَب[1].

ووَفَدَ عَلَى الظَّاهِرِ أيضاً بدِمَشْـقَ الزَّاهِرُ[2] أسَـدُ الدِّين شِـيرَكُوه [والملكُ الأشرفُ صاحبُ حِمْص][3]، والأمْجَدُ صَاحِبُ بَعْلَبَكّ، والمَنْصُورُ والسَّعِيدُ ابنا الصَّالِحِ إسْمَاعِيلَ بنِ العَادِل، والأمْجَدُ بنُ النَّاصِرِ دَاوُد، والأشْرَفُ بنُ المَسْعُود، والقَاهِرُ بنُ المعَظَّم، فأكْرَمَ وِفَادَتَهم، وقَابَلَ بالإحْسَانِ والقَبُولِ طَاعَتَهم، وفَرَضَ لَهمُ الأرْزَاقَ وقَدَّرَ الجِرَايَات[4].

ثُمَّ قَفَلَ إلى مِصْرَ[5]، وأفْرَجَ عَنِ العَزِيزِ بنِ المغِيث، الَّذِي كَانَ اعْتَقَلَه قُطُز، وأطْلَقَه إلى أبِيه بالكَرَكِ[6]، وَوَلَّى عَلَى أحْيَاءِ العَرَبِ بالشَّامِ عِيسَى بنَ مُهَنَّا بن مَانِع ابنِ حَدِيثَة، مِن رِجَالاتِهم، وَوَفَّرَ لَهمُ الإقْطَاعَاتِ عَلَى حِفْظِ السَّابِلَةِ إلى حُدُودِ العِرَاق[7].

(أ) من س، ظ: فاكثر.

---

(1) نهاية الأرب 30: 46.

(2) في الروض الزاهر 119، نهاية الأرب 30: 47: الزاهر، وفي زبدة الفكر 69: الزاهد.

(3) بياض في الأصول، والتكملة من الروض الزاهر 119، نهاية الأرب 30: 47.

(4) ينظر الروض الزاهر 119 – 120.

(5) يوم السبت سابع عشر ذي الحجة 659 هـ. الروض الزاهر 121.

(6) زبدة الفكرة 69، نهاية الأرب 30: 53.

(7) نهاية الأرب 30: 37.

ورَجَعَ إلى مِصْرَ، فقَدِمَ عَلَيه رَجُلٌ مِن عَقِبِ المسْتَرْشِد مِنْ خُلَفاءِ بَني العَبَّاس ببَغْدَادَ اسْمُهُ أحْمَد، فأثبَتَ نَسَبَهُ ابنُ بنْتِ الأعَـزّ كالأوَّل، وجَمَعَ الظَّاهِرُ النَّاسَ عَلَى مَرَاتِبِهِم، وبَايَعَ لهُ، وفَوَّضَ هُوَ إلَيه الأمُورَ، وخَرَجَ إلَيه عَنِ التَّدْبِير، وكَانَت هَذِه البَيْعَةُ سَنَةَ سِتِّين[1].

ونَسَبُه عَلَى مَا عِنْدَ العَبَّاسِيِّينَ السُّلَيْمانيِّينَ في دَرْجِ نَسَبِهِم الثَّابِت: أحمدُ بنُ أبِي بَكْرِ [بن][أ] عَلِيّ بن أبِي بَكْرِ بن[ب] أحمدَ ابنِ الإمَام المسْتَرْشِد، وعنْد نَسَّابَةِ مِصْرَ: أحمدُ بنُ حَسَنِ بن أبِي بَكْرِ ابنِ الأمِير أبِي عَلِيّ القُبِّيّ ابنِ الأمِيرِ حَسَنِ ابنِ الإمام الرَّاشِدِ ابنِ الإمام[2] المسْتَرْشِد. هكذا قَالَ صَاحِبُ حَمَاةَ في تَارِيخه[3].

وهُوَ الَّذِي اسْتَقَرَّتِ الخِلَافَةُ في عَقِبِه بِمِصْرَ لِهَذَا العَهْد.

فِرارُ التُّرْكُمَانِ مِنَ الشَّامِ إلى بِلادِ الرُّوم

كَانَ التُّرْكُمَانُ عِنْدَ دُخُولِ الطَّطَرِ إلى بِلادِ الشَّام قَد أجْفَلُوا كُلُّهم إلى السَّاحِلِ، وَاجْتَمَعَتْ أحْيَاؤهم بالجُولانِ قَرِيباً مِن صَفَد، وكَانَ الظَّاهِرُ لَمَّا نَهَضَ إلى الشَّام[4] اعْتَرَضَه رُسُلُ الفِرنْج مِن يَافَا وبَيْرُوتَ وصَفَدَ يَسْأَلُونَه في الصُّلحِ عَلَى مَا كَان

(أ) من س.   (ب) سقط من س.

---

(1) يوم الخميس الثاني من المحرم سنة 661 هـ. نهاية الأرب 30: 79، الروض الزاهر 141.

(2) الإمام: سقط من المختصر المطبوع.

(3) المختصر 3: 215، وينظر مورد اللطافة 1: 240. وقال عنه السيوطي: الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ابن أبي عليّ الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي القُبّي ـ بضم وتشديد الباء الموحدة ـ ابن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله. (تاريخ الخلفاء: 478).

(4) سنة 659 هـ. نهاية الأرب 30: 47.

[313ب] لِعَهْدِ صَلَاحِ الدِّين، فَأَجَابَهم وعَقَدَ لَهُم[1]، وكَتَبَ / به إلى الأنبرذور مَلِكِهم ببلادِ إفْرَنْسَةَ وراءَ البَحْرِ، فكَانُوا في ذِمَّةٍ مِنَ الظَّاهِرِ وعَهْدٍ[2].

ووَقَعَتْ بيْنَ الفِرنْج بصَفَد وبيْن أحْيَاءِ التُّرْكُمَان بالجولان واقعةٌ، يُقَالُ أغَارَ فِيها أهْلُ صَفَدَ عَلَيهم، فَأَوْقَعَ بِهِمُ التُّرْكُمَان، وأَسَرُوا عِدَّةً مِن رُؤسَائِهم وفَادُوهم بالمَالِ، ثُمَّ خَشُوا عَاقِبَةَ ذَلك مِن الظَّاهِر، فارْتَحَلُوا إلى بِلادِ الرُّوم، وأَقْفَرَ الشَّامُ مِنْهم.

انتِقَاضُ الأَشْرَفِيَّة والعَزِيزِيَّة، واسْتِيلاءُ البُرلِي عَلَى إلبِيرَة

كَانَ هَؤُلاءِ العَزِيزِيَّةُ والأَشْرَفِيَّة مِن أَعْظَمِ جُمُوعِ هَؤُلاءِ المَوَالِي، وكَانَ مُقَدَّمَ الأَشْرَفِية بَهاءُ الدِّين بَغْدِي، ومُقَدَّمَ العَزِيزِيَّة شَمْسُ الدِّين أقُوش، وكَان المُظَفَّرُ قُطُز [قَدْ][أ] أقْطَعَه نَابُلُس وغَزَّةَ وسَوَاحِلَ الشَّام.

ولَمَّا وَلِيَ الظَّاهِرُ وانْتَقَضَ عليه سَنْجَرُ الحَلَبيُّ بدِمَشْق، جَهَّزَ أُسْتاذَهُ عَلاءَ الدِّين البُنْدُقْدَارَ في العَسَاكِرِ لِقِتَالِه، وكَان الأَشْرَفِيَّةُ والعَزِيزِيَّةُ بحَلَب وقد قَبَضُوا عَلَى نَائِبِها السَّعِيدِ بنِ لُؤْلُؤ، كما مَرَّ، فتَقَدَّم إلى البُنْدُقْدَارِ باسْتِئْلافِهم *مَعَه إلى دِمَشْق*[ب]، وأَضَافَ الظَّاهِرُ بَيْسَانَ إلى البُرلِي زِيَادَةً عَلَى مَا بِيَدِه، فَسَارُوا ومَلَكَ دِمَشْق.

ثُمَّ أَوْعَزَ الظَّاهِرُ إلى البُنْدُقْدَار بالقَبْضِ عَلَى العَزِيزِيَّةِ والأَشْرَفِيَّة، فلَم يَتَمَكَّنْ إلَّا مِنْ بَغْدِي مُقَدَّم الأَشْرَفِيَّة، وفَارَقَه البَاقُونَ وانْتَقَضُوا، واسْتَوْلَى شَمْسُ الدِّين البُرلِي

(أ) من س. (ب) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) زبدة الفكرة 67، وينظر نهاية الأرب 30: 47 – 48.

(2) ينظر نهاية الأرب 30: 56، الروض الزاهر 124 – 125.

عَلَى إلبيرَة، وأقام يَشُنُّ الغارَاتِ عَلَى الطَّطر شَرْقِيَّ الفُرات، فيَنَالُ مِنهم وينالُون مِنه.

ثُمّ جهَّزَ الظَّاهِرُ عَسَاكِرَه إليه، معَ جَمالِ الدِّين أقُوش المُحمَّدي، فهزَمَهم وأسَرَ أُمرَاءهم، وأطْلقَهم، وأقَامَ الظَّاهِرُ عَلَى اسْتِمَالَتِه بالتَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ حَتَّى جَنَحَ إلى الطَّاعَة، وَاسْتَأْذَنَ في القُدُومِ، وسَارَ بكتَاش الفَخْرِيُّ لِلِقَائِه فلَقِيَهُ بدِمَشقَ سَنَةَ إحْدَى وسِتِّين، ثُمّ وَصَلَ فأوْسَعَه السُّلْطَانُ بِرّاً وعَطَاءً، والوَاصِلِينَ مَعَه عَلَى مَرَاتِبِهم، وَاخْتَصَّه لِمُواكَبَتِه ومَشُورَتِه، وسَأَلَ النُّزُولَ عَن إلبِيرَة، فقَبِلَها الظَّاهِرُ وأعَاضَه عَنها[1].

اسْتِيلاءُ الظَّاهِرِ عَلَى الكَرَكِ مِن يَدِ المُغيث وعَلَى / حِمْصَ بَعْدَ وَفَاةِ صَاحِبِها [314أ]

لَمَّا قَفَلَ السُّلْطَانُ مِن الشَّامِ سَنَةَ سِتِّين، كَمَا قُلْنَاه، جَرَّدَ عَسْكَراً إلى الشَّوْبَكِ مَعَ بَدْرِ الدِّينِ الأَيْدَمُرِيِّ فَمَلَكُوها[2]، ووَلَّى عَلَيْها بَدْرَ الدِّين بَلَبَانَ المُخْتَصِّيَّ ورَجَعَ إلى مِصْرَ[3].

وكَانَ عِنْدَ المغِيث بالكَرَكِ جَمَاعَةٌ مِنَ الأكْرَادِ الّذِين أجْفَلُوا مِن شَهْرَزُورَ أَمَامَ

---

(1) المختصر 3: 214، زبدة الفكرة 77 – 78، وينظر نهاية الأرب 30: 59 – 60.

(2) زبدة الفكرة 74، وقد ورد هذا الخبر في المصادر في أحداث سنة 659 هـ، فقد جاء في الروض الزاهر 121، نهاية الأرب 30: 49، وينظر المختصر 3: 214: وصل الخبر بتسليمها في سادس عشرين ذي الحجة 659هـ.

(3) الروض الزاهر 121، نهاية الأرب 30: 49 – 50.

الطُّطَرِ إلى الشَّام، وكَانَ قدِ اتَّخذَهم جُنْدًا لعَسْكَرِته فسَرَّحَهم للإغَارَةِ عَلَى الشَّوْبَكِ ونَوَاحِيها، فاعْتَزَمَ السُّلْطَانُ عَلَى الحَرَكَةِ إلى الكَرَكِ فخَافَهُ المُغِيثُ، وبَعَثَ بالطَّاعَةِ، وَاسْتَأمَنَ الأكْرَادُ فقَبِلَهم الظَّاهِرُ وأمَّنَ الأكْرَادَ فوَصَلُوا إليْه.

ثُمَّ سَارَ سَنَةَ إحْدَى وسِتِّينَ[1] إلى الكَرَك، وَاسْتَخْلَفَ بقَلْعَةِ مِصْرَ أيْدُمُرَ الحلَبِيّ، وَانْتَهى إلى غَزَّةَ فلَقِيَتْه هُنَالك أمُّ المُغِيثِ تَسْتَعْطِفُه وتَسْتَأمِنُه لِحُضُورِ ابْنِها، فأجَابَها، وسَارَ إلى بَيْسَانَ فخَرَجَ المُغِيثُ لِلِقَائِه، فلَمَّا وَصَلَ قَبَضَ عَلَيْه، وبعَثَ به إلى القَاهِرَة مِن حِينِه مَعَ آقسُنْقُر الفَارقَانيّ، وقُتِلَ بَعْدَ ذَلك بِمِصْرَ[2].

وَوَلَّى عَلَى الكَرَكِ عِزَّ الدِّين أيْدُمُر، وأرْسَلَ بَدْرَ الدِّين بَيْسَرَى الشَّمْسيَّ لِيُؤَمِّنَ أهْلَ الكَرَك ويُرَتِّبَ الأمُورَ بِها، وأقَامَ بالطُّورِ في انْتِظَارِه، فأبْلَغَ بَيْسَرَى القَصْدَ مِن ذَلك، ورَجَعَ إليْه، فارْتَحَلَ إلى القُدْسِ وأمَرَ بعِمَارَةِ مَسْجِدِه، ورَجَعَ إلى مِصْرَ[3].

وبلَغَه وفَاةُ صَاحِبِ حِمْص مُوسَى الأشْرَفِ بنِ إبْرَاهِيمَ المَنْصُور بن شِيرْكُوه المجَاهِد بن نَاصِرِ الدِّين مُحَمَّدِ بن أسَدِ الدِّين شِيرْكُوه، وكَانَت وِرَاثَةً لهُ مِن آبَائِه، أقْطَعَها نُورُ الدِّين العَادِلُ لِجَدِّه أسَدِ الدِّين، ولَمْ تَزَلْ في أيْدِيهم، وأخَذَهَا النَّاصِرُ يُوسُفُ صَاحِبُ حَلَبَ مِنه سَنَةَ [سِتٍّ وأرْبَعِين][4]، وعَوَّضَه عَنْها تَلَّ بَاشِر، وأعَادَها

(1) في حادي عشر ربيع الآخر. المختصر 3: 216، وينظر زبدة الفكرة 80، عقد الجمان 1: 354.

(2) المختصر 3: 217، نهاية الأرب 30: 80 – 81، وينظر الروض الزاهر 148 - 149.

(3) زبدة الفكرة 80، نهاية الأرب 30: 81، عقد الجمان 1: 355.

(4) بياض في الأصول، والإضافة من نهاية الأرب 29: 412.

عَلَيْه هُولاكُو، وأَقَرَّه الظَّاهِرُ، ثُمّ تُوفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وسِتِّين[1]، وصارَت للظَّاهِر، وانْقَرض مِنها مُلْكُ بَنِي أيُّوب.

هَزِيمَةُ الطَّطَرِ عَلَى إلبِيرَة، وفَتحُ قَيْسَارِيَّةَ وأَرْسُوفَ بَعْدَهَا

[314ب] ثُمّ زَحَفَ عَسَاكِرُ الطَّطَرِ إلى إلبِيرَةَ مَعَ / [دَرْبَاي][2]، مِن أُمَرَاءِ المُغْلِ سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّين، فَحَاصَرُوها ونَصَبُوا عَلَيها المَجَانِيق، فَجَهَّزَ السُّلْطَانُ العَسَاكِرَ مَعَ إيغَان[3]، مِن أُمَرَاءِ التُّرْكِ، فَسَارُوا في رَبِيعٍ [الأَوَّلِ][4] مِنَ السَّنَة، وسَارَ السُّلْطَانُ في أَثَرِهِم[5] وانْتَهَى إلى غَزَّةَ، ولَمَّا وَصَلَتِ العَسَاكِرُ إلى إلبِيرَةَ وأَشْرَفُوا عَلَيها والعَدُوُّ يُحَاصِرُها، أَجْفَلَتْ عَسَاكِرُ الطَّطَرِ وسَارُوا مُنْهَزِمِين، وخَلَّفُوا سَوَادَهم وأَثْقَالَهم فَنَهَبَتْها العَسَاكِرُ[6].

وَارْتَحَلَ السُّلْطَانُ مِن غَزَّةَ وقَصَدَ قَيْسَارِيَّةَ، وهِيَ لِلفِرَنْج، فَنَزَلَ عَلَيْها عَاشِرَ[7]

(1) هكذا في الأصول، والمختصر 3: 218، وفي وفيات الأعيان 2: 481، نهاية الأرب 29: 412، 30: 94، ذيل مرآة الزمان 2: 310، عقد الجمان 1: 373: أن الأشرف موسى توفي عاشر صفر أو حادي عشر صفر سنة 662 هـ.

(2) زبدة الفكرة 95؛ وفي الأصول هنا: دربايه.

(3) في الأصول: بوغان. الروض الزاهر 222: أوغان، ينظر نهاية الأرب 30: 262، عقد الجمان 1: 396.

(4) من نهاية الأرب 30: 262.

(5) خرج في خامس شهر ربيع الآخر. الروض الزاهر 222، زبدة الفكرة 95.

(6) الروض الزاهر 224 – 225، نهاية الأرب 30: 263.

(7) في المختصر 4: 2، زبدة الفكرة 95، التحفة الملوكية 53، الروض الزاهر 230: تاسع.

جُمَادَى [الأولى][1] مِن السَّنَة. فنَصَبَ عَلَيها المجانيق، وذُعِرَ أهْلُها بالحَرْب، واقْتَحَمَها عَلَيهم، فهَرَبُوا إلى القَلْعَةِ، فحَاصَرَها خَمساً ومَلَكَها عَنْوَةً، وفَرَّ الفِرنْجُ مِنها[2].

ثُمّ رَحَلَ في خِفٍّ مِن العَسَاكِرِ إلى عَثْلِيث، فشَنَّ عَلَيها الغَارَاتِ، وسَرَّحَ عَسْكَراً إلى حَيْفَا فمَلَكُوها عَنْوَةً، وخَرَّبُوهَا هي[ا] وقَلْعَتَها في يَوْمٍ أو بعْضِ يَوْمٍ[3].

ثُمّ ارْتَحَل إلى أرْسُوف فنَازَلَها مُسْتَهَلَّ جُمَادَى الآخِرة، فحَاصَرها واقْتَحَمَها عَنْوَةً، وأَسَرَ الفِرنْجَ الذِين بها، وبَعَثَ بِهِم أَسْرَى إلى الكَرَك، وقَسَّمَ أَسْوَارَها عَلَى الأُمَرَاءِ فهَدَمُوهَا[4].

وعَمَدَ إلى جَمِيعِ مَا مَلَكَه في هَذِه الغَزَاةِ مِن القُرَى والضِّياعِ والأَرْضِين [فقَسَّمَها][ب] بَيْنَ الأُمَرَاءِ الّذِين كَانُوا مَعَه، وكَانُوا اثْنَيْنِ وخَمْسِين، وكَتَبَ لَهم بذلك[5].

وقَفَلَ إلى مِصْرَ، وبَلَغَه الخَبَرُ بوفَاةِ هُولاكُو مِلِكِ الطَّطَرِ، في رَبِيعِ [الآخِرِ][6] مِن السَّنَة، ووِلايَةُ ابنِه [أبْغَا][ج] مَكَانَه، وبِمَا وَقَعَ بيْنَه وبيْنَ بَرَكَه صَاحِبِ الشَّمَالِ مِنَ الفِتْنَة[7].

(ا) سقط من س. (ب) من س، وفي ظ: فقسمها. (ج) من س، وفي ظ: أبلغا.

---

(1) من المختصر 4: 2.

(2) منتصف جمادى الأولى 663 هـ. الروض الزاهر 231، نهاية الأرب 30: 267.

(3) الروض الزاهر 234، زبدة الفكرة 96، نهاية الأرب 30: 268، عقد الجمان 1: 397.

(4) الروض الزاهر 235 – 236، نهاية الأرب 30: 268 – 272.

(5) وكتب بالتمليك توقيعا جامعا. تنظر نسخته في زبدة الفكرة 97 – 99، نهاية الأرب 30: 273 – 281، عقد الجمان 1: 398 – 406، السلوك 1: 530 – 534.

(6) من المختصر 4: 2، زبدة الفكرة 99.

(7) زبدة الفكرة 101.

ولأوّلِ دُخُولِه مِصْرَ قَبَضَ عَلَى شَمْسِ الدِّين سُنقُر الرُّوميّ وحَبَسَه[1].

وكَانَتِ الفِتْنَةُ وَقَعَتْ قَبْلَ غَزَاتِه بيْن عِيسَى بن مُهَنّا، أمِيرِ العَرَبِ بالشَّـام، وبيْنَ ابنِ عَمِّه زَامِل، ثُمّ وفَدَ زَامِلٌ عَلَى الظَّاهِرِ فَحَبَسَه، ثُمّ أصْلَحَ بيْنَه وبيْنَ ابنِ عَمِّه عِيسَى.

وفَرَّ زَامِلٌ بعدَ ذَلِكَ ولَحِقَ بِهُولاكُو وأقْطَعَ لهُ بالعِرَاقِ، ثُمّ عَادَ إلى بَرِّيَّةِ نَجْد، وأقَامَ يُغِيرُ عَلَى أطْرَافِ الشَّام، حَتَّى إذا تُوفِّي هُولاكُو اسْتَأمَنَ إلى الظَّاهِرِ فَأمَّنَه، وعَادَ إلى أحْيَائِه.

غَزْوُ طَرَابُلُسَ وفَتْحُ صَفَد

/كانَت طَرَابُلُس للفِرنج، وبِها بِيمُنْدُ بنُ بِيمُنْدَ بن البِرِنْس الأشْتَر، ولهُ [مَعَها][ب] [315ا] أنطاكِيَة، وَبَلَغَ السُّـلْطَانَ أنَّه قَصَدَ حِمْص، فلَقِيَه النَّائِبُ بِها عَلَمُ الدِّين سَنجَر البَاشْقَرْدِيُّ، وَانْهزَمَ المسْلِمُونَ وَاسْتُشْهِدَ كَثِيرٌ مِنْهم، فتَجَهَّزَ السُّلْطَانُ للغَزْوِ، وسَارَ مِن مِصْرَ في شَعْبَانِ أرْبَعٍ وسِتِّين، وتَرَكَ ابنَه السَّعِيدَ بالقَلْعَةِ في كَفَالَةِ عِزِّ الدِّين أيْدُمُرَ الحَلَبِيّ، وقدْ كَان عَهِدَ لابنِه السَّعِيد بالمُلْكِ سَنَةَ اثنَتَيْنِ وسِتِّين، ولَمَّا انْتَهَى إلى غَزَّةَ بَعَثَ العَسَاكِرَ صُحْبَةَ سَيْفِ الدِّين قَلاوُون، وأيْدُغدِي العَزِيزِيّ، فنَازَلُوا القُلَيْعَاتِ وحَلْبَاءَ وَ[عِرْقَةَ] مِن حُصُون طَرَابُلُس، فَاسْتَأْمَنُوا إليهم[2]، ورَجَعَتِ العَسَاكِرَ[3].

(ا) من س. وفي ظ: معه.

---

(1) المختصر 4: 3.

(2) في شعبان 664 هـ. عقد الجمان 1: 421.

(3) زبدة الفكرة 103، وينظر نهاية الأرب 30: 283.

وسَارَ السُّلْطَانُ إلى صَفَدَ فحَاصَرَها عَشراً، ثُم افْتَتَحَها عَلَيْهم في عِشْرِينَ مِن رَمَضَانَ[1] السَّنَة، وجَمَعَ الفِرِنْجَ الَّذين بِها فَاسْتَلْحَمَهم أجْمَعِين، وأنْزَلَ بِها الحَامِيَة، وفَرَضَ أرْزَاقَهم في دِيوَانِ العَطَاء، ورَجَعَ إلى دِمَشْق.

مَسِيرُ العَسَاكِرِ لِغَزْوِ الأَرْمَن

هَـؤُلاءِ الأَرْمَـنُ مِن وَلَدِ أَخِي إبْرَاهِيمَ عَلَيْه السَّلام، مِن بَنِي قَمُونِيل بن نَاحُور، ونَاحُورَ بن تَارِح، وعَبَّرَ عَنه في التَّنْزِيلِ[2] بآزَرَ[3]، ونَاحُور أَخُو إبْرَاهِيم عَلَيْه السَّلَام، ويُقَال: إنَّ الكُرْجَ[4] إخْوَةُ الأَرْمَن، وأَرْمِينِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إلَيْهم، وهِيَ مَوَاطِنُهم، وآخِرُ مَوَاطِنِهم الدُّرُوبُ المُجَاوِرَةُ لِحَلَب، وَقَاعِدَتُها سِيس، ويُلَقَّبُ مَلِكُهم التَّكْفُور.

وكَان مَلِكُهم، صَاحِبُ هَذه الدُّرُوبِ، لعَهْدِ المَلِكِ العَادِلِ[5] وصَلاحِ الدِّين مِن بَعْدِه، اسْمُهُ مَلِيحُ بنُ ألْيون، وَاسْتَخْدَمَه العَادِلُ وأَقْطَعَ لَه، وكَان يُعَسْكِرُ مَعَه، وصَالَحَه صَلاحُ الدِّين عَلَى بِلَادِه بَعْدَ فِتْنَةٍ وحُرُوب.

(1) في المختصر 4: 3، زبدة الفكرة 104: تاسع عشر شعبان. في نهاية الأرب 30: 288، ثامن عشر الشهر شوال. وينظر الروض الزاهر 254 – 263، عقد الجمان 1: 421 .

(2) في الآية 74 من سورة الأنعام.

(3) في الأصول: بآذر.

(4) بضم الكاف ثم السكون: جيل من الناس كانوا يسكنون جبال القبق وبلد السرير، ثم قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس، معجم البلدان 4: 446.

(5) المقصود الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، ينظر وفيات الأعيان 5: 184، وما يلي في أخبار الأرمن.

ثُمّ كَانَ مَلِكَهم لِعَهْدِ هُولاكُو والطَّطَرِ •هَيْثُومُ بنُ قُسْطَنْطِين[1]، ولَعَلَّه مِن أعْقَابِ مَلِيح أو قَرَابَتِه، ولَمَّا مَلَكَ هُولاكُو العِرَاقَ والشَّامَ دَخَلَ هَيْثُومُ•[أ] في طَاعَتِه، فأَقَرَّه عَلَى سُلْطَانِه، ثُمّ أمَّرَه بالإغَارَةِ عَلَى بِلادِ الشَّامِ، وأمَدَّه صَاحِبُ بِلادِ الرُّومِ مِن الطَّطَرِ.

وسَارَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وسِتِّين، ومَعَه بَنُو كِلَاب، مِن أعْرَابِ حَلَب، وانْتَهَوْا إلَى عَيْنتَاب، وجَهَّزَ الظَّاهِرُ عَسَاكِرَ حَمَاةَ وحِمْص، فَسَارُوا إليهم وهَزَمُوهم، ورَجَعُوا إلَى بِلادِهِم[2].

[315ب] / فلَمَّا رَجَعَ السُّلْطَانُ مِن غَزَاةِ طَرَابُلُس سَنَةَ أرْبَعٍ وسِتِّين سَرَّحَ العَسَاكِرَ لِغَزْوِ سِيس وبِلَادِ الأرْمَن، وعَلَيْهِم سَيْفُ الدِّين قَلاوُونُ والمَنْصُورُ صَاحِبُ حَمَاة، فَسَارُوا لذَلِك، وكَانَ هَيْثُومُ بنُ قُسْطَنْطِين مَلِكُهم قد تَرَهَّبَ، ونَصَّبَ لِلمُلْكِ ابنه لِيفُون، فجَمَعَ لِيفُونُ الأرْمَنَ وسَارَ لِلِقَائِهم ومَعَه أخُوه وعَمَّاه، ولَقِيَ المُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّرْبَنْد، فانْهَزَمَ وأُسِرَ، وقُتِلَ أخُوه وعَمُّه في جَمَاعَةٍ مِن الأرْمَن، واكْتَسَحَت عَسَاكِرُ المُسْلِمِينَ بِلادَهم، واقْتَحَمُوا مَدِينَةَ سِيس وخَرَّبُوهَا، ورَجَعُوا، وقدِ امْتَلأَت أيْدِيهم بالغَنَائِمِ والسَّبْي، وتَلَقَّاهُمُ الظَّاهِرُ مِن دِمَشْقَ[3] بقَارَه[4] سُرُورًا بِمَا حَصَلَ لَهم، وشَكَا إلَيه الرَّعَايا هُنَالِك بِمَا لَحِقَهم مِن عُدْوَانِ الأحْيَاءِ الرَّحَّالَةِ هُنَالِك، وأنَّهم يَنْهَبُون

(أ) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) العبارة في الأصول: ثم كان ملكهم... هيثومُ بنُ قسطنطين ملكهم، بالتكرار.

(2) زبدة الفكرة 88، وينظر الروض الزاهر 192 – 193، عقد الجمان 1: 384 – 385.

(3) في زبدة الفكرة 105: ولما وصل خبر هذا الفتح إلى الملك الظاهر بيبرس رحل من دمشق إلى حماة، ثم إلى فامية (أفامية) فالتقى عساكره. المختصر 4: 4، الروض الزاهر 271، عقد الجمان 1: 424.

(4) قرية على الطريق من حمص إلى دمشق. المختصر 4: 4، نهاية الأرب 30: 292. معجم البلدان 4: 295.

وبَبِيعُونَ مَن يَتَخَطَّفُونه مِنْهم للفِرِنْج بعَكّا، فأَمَرَ باسْتِبَاحَتِهم، وأَصْبَحُوا نَهْبًا في أَيْدِي العَسَاكِرِ بيْنَ القَتْلِ والأَسْرِ والسَّبْي[1].

ثُم سَارَ إلى مِصْرَ وأَطْلَقَ لِيفُونَ[2] مَلِكَ الأَرْمَن وصَالَحَه عَلَى بِلادِه لسَنَة، ولَمْ يَزَلْ مُقيمًا عِنْدَه إلى أَنْ بَعَثَ أَبُوه صَاحِبُ سِيس في فِدَائه، وبَذَلَ فِيه الأَمْوَالَ والقِلَاعَ، فأَبَى الظَّاهِرُ مِن ذَلك، وشَرَطَ عَلَيْه خَلَاصَ الأُمَرَاءِ الَّذِين أَخَذَهم هُولاكُو مِن [سِجْنِ][ا] حَلَب، وهم: سُنْقُر الأَشْقَرُ وأَصْحَابُه، فبَعَثَ فِيهم التَّكْفُورُ هَيْثُوم إلى أَبْغَا بنِ هُولاكُو، فأَطْلَقَهم إليه، وبَعَثَ الظَّاهِرُ بابْنِه لِيفُون مُنْتَصَفَ شَوَّال[3]، وتَسَلَّمَ القِلَاعَ الَّتي بَذَلَ في الفِدْيَة، وكَانت خَمْساً مِن أَعْظَمِ القِلاعِ وأَحْصَنِها، مِنْها: مَرْزُبَانُ ورَعْبَان[4].

وقَدِمَ سُنْقُر الأَشْقَرُ [عَلَى الظَّاهِرِ][ب] بدِمَشْق، وأَصْبَحَ مَعَه في [المَوْكِبِ][ج]، ولم يَكُن أَحَدٌ عَلِمَ بأَمْرِه، فَعَجِبُوا مِنْ ذَلك، وأَضْفَى عَلَيْه السُّلْطَانُ النِّعْمَةَ، ورَفَعَ لَه الرُّتْبَة، ورَعَى لَه السَّابِقَةَ والصُّحْبَة[5].

وتُوفِّي هَيْثُومُ سَنَةَ [تِسْعٍ و][6] سِتِّينَ بَعْدَها.

(ا) من س. (ب) من س. (ج) من س، وفي ط: المواكب.

---

(1) زبدة الفكرة 105 – 106، الروض الزاهر 270، وينظر نهاية الأرب 30: 290 – 292، عقد الجمان 1: 422 – 423.

(2) فك قيده ليلة الجمعة ثاني عشرين ربيع الأول 665 هـ. الروض الزاهر 272.

(3) في زبدة الفكرة 115: ثالث عشر شوال 666 هـ.

(4) زبدة الفكرة 115، المختصر 4: 5.

(5) زبدة الفكرة 115.

(6) من زبدة الفكرة 132، التحفة الملوكية 72، المختصر 4: 6.

مَسيرُ الظَّاهِرِ لغَزْوِ حُصُونِ الفِرِنْجِ بالشَّامِ
وفَتحُ يَافَا والشَّقيفِ ثُمَّ أَنطاكيَة

كَانَ الظَّاهِرُ عِنْدَمَا رَجَعَ مِن غَزَاةِ طَرَابُلُس إلى مِصْرَ أَمَرَ بتَجْدِيدِ الجَامِعِ الأَزْهَرِ وإِقَامَةِ الخُطْبَةِ بِه[1]، وكَانَ عُطْلاً مِنْها مُنذُ مِائة سَنَة، وهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ أَسَّسَه / الشِّيعَةُ بالقَاهِرة حِينَ اخْتَطُّوها[2]. [316ا]

ثُمَّ خَرَجَ[3] إلى دِمَشْقَ لخَبَرٍ بَلَغَه عَن الطَّطَرِ ولَمْ يَثبُتْ، فَسَارَ مِن هُنَالِكَ إلى صَفَدَ، وكَان أَمَرَ عِنْدَ مَسِيرِه بعِمَارَتِها، وبَلَغَه إِغَارَةُ أَهْلِ الشَّقِيفِ عَلَى الثُّغُورِ، فَقَصَدَها وشَنَّ الغَارَةَ عَلَى عَكَّا، وَاكْتَسَحَ بَسَائِطَها حَتَّى سَأَلَ الفِرِنْجُ مِنه الصُّلْحَ عَلَى مَا يَرْضَاه، فشَرَطَ المُقَاسَمَةَ في صَيْدا، وَهَدْمَ الشَّقِيف، وإِطْلاقَ تُجَّارٍ مِن المسْلِمِينَ كَانُوا أَسَرُوهم، ودِيَةَ بعْضِ القَتْلَى أَصَابُوا دَمَه، وعَقَدَ الصُّلْحِ لعَشْرِ سِنِين[4].

ولَم يُوفُوا بِمَا شَرَطَ عَلَيْهِم، فَنَهَضَ لغَزْوِهِم، ونَزَلَ فِلَسْطِينَ في جُمَادَى [الآخِرَة[5] سنةَ] سِتٍّ وسِتِّين، وسَرَّحَ العَسَاكِرَ لحِصَارِ الشَّقِيفِ، ثُمَّ بَلَغَه مَهْلِكُ صَاحِبِ يَافَا مِن الفِرِنْجِ، ومُلْكُ ابْنِه مَكَانَه، وجَاءَت رُسُلُه إلَيْه في طَلَبِ

(1) في ثامن عشر ربيع الأول 665 هـ. عقد الجمان 2: 6، وينظر زبدة الفكرة 107، التحفة الملوكية 60، الروض الزاهر 277.

(2) زبدة الفكرة 107، ويراجع المواعظ والاعتبار، المجلد الرابع 90 وما بعدها.

(3) في عشرين جمادى الآخرة 665 هـ. الروض الزاهر 280.

(4) الروض الزاهر 282.

(5) من الروض الزاهر 293، نهاية الأرب 30: 299.

الْمُوَادَعَة، فَحَبَسَهم وصَبَّحَ البَلَدَ فاقْتَحَمَها، وجَاءَ أَهْلُها إلى القَلْعَة فاسْتَنْزَلَهم بالأَمَانِ وهَدَمَها[1].

وكَانَ أَوَّلَ مَنِ اخْتَطَّ مَدِينَةَ يَافَا هَذه صَنْكِلُ[2] مِن مُلُوك الفِرِنْج، عِنْدَما مَلَكُوا سَوَاحِلَ الشَّام سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعِينَ وأَرْبَعِ مِائَة، ثُمّ مَدَّنَها وأَتَمَّ عِمَارَتَها رِيد إفْرَنْس، المَأْسُورُ عَلَى دِمْيَاط، عِنْدَما خَلَصَ مِن مَحْبِسِه بدَارِ ابنِ لُقْمَان[3].

ثُمّ رَجَعَ إلى حِصْنِ الشَّقِيف فحَاصَرَهُ وافْتَتَحَه بالأَمَان[4]، وبَثَّ العَسَاكِرَ في نَوَاحِي طَرَابُلُس فاكْتَسَحُوها وخَرَّبُوا عُمْرَانَها وكَنَائِسَها[5].

وبَادَرَ صَاحِبُ أَنْطَرْسُوس بطَاعَةِ الْمُسْلِمِين، وبَعَثَ إلى العَسَاكِرِ بالمِيرَة، وأَطْلَقَ الأَسْرَى الّذِين عِنْدَه، ثَلاثَ مِائَةٍ أو يَزِيدُون[6].

ثُمّ ارْتَحَلَ السُّلْطَان إلى حِمْص وحَمَاة يُرِيدُ أَنْطاكِيَة، وقَدَّمَ سَيْفَ الدِّين قَلاوُون في العَسَاكِر، فنَزَلَ أَنْطاكِيَةَ في شَعْبَان ولَحِقَه الظَّاهِرُ في رَمَضَان[7]، وكَانَ

---

(1) وتسلم القلعة في العشر الأوسط من جمادى الآخرة. زبدة الفكرة 110، وورد: في العشرين من جمادى الآخرة في الروض الزاهر 293، نهاية الأرب 30: 295، وينظر عقد الجمان 2: 19.

(2) في الروض الزاهر 294: طنكلى. وورد: طنكى: في نهاية الأرب 30: 300، وهو Tancred.

(3) نهاية الأرب 30: 300.

(4) في رجب 666 هـ. زبدة الفكرة 110، نهاية الأرب 30: 301 - 304، وينظر الروض الزاهر 306، التحفة الملوكية 62.

(5) نهاية الأرب 30: 304 - 305.

(6) الروض الزاهر 306، التحفة الملوكية 62.

(7) في اليوم الأول من شهر رمضان. زبدة الفكرة 111، الروض الزاهر 307، 310.

صَاحِبُ أَنْطَاكِيَةَ بيمُنْد[1] [بنَ][أ] بيمُنْد، وكَانَت قَاعِدَةَ مُلْكِ الرُّومِ قَبْلَ الإسْلَام، اختَطَّهَا أنطِيخُس[2] من مُلُوكِ اليُونانِيِّينَ[ب] وإليه تُنْسَبُ[ج]، ثُمَّ صَارَتْ [تُنْسَبُ][د] للرُّومِ، ومَلَكَهَا المسْلِمُونَ عِنْدَ الفَتْحِ[3]، ثُمَّ مَلَكَهَا الفِرِنْجُ عِندَمَا سَارُوا إلى سَواحِلِ الشَّامِ أعْوَامَ التِّسْعِينَ والأرْبَعِ مِائة[4]، ثُمَّ اسْتَرَدَّهَا صَلاحُ الدِّين من البِرِنْس أرْنَاط، / [316ب] الَّذي قَتَلَه في وَاقِعَةِ حِطِّين، كَمَا مَرَّ[5]، ثُمَّ ارْتَجَعَهَا الفِرِنْجُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى يَدِ البِرِنْس الأَشْتَر[6]، وأَظُنُّه صَنْكِيل، ثُمَّ صَارَت لابْنِه بيمُنْد، ثُمَّ لابْنِه بيمُنْدَ بن بيمُنْد.

فكَانَ عِنْدَمَا حَاصَرَهَا الظَّاهِرُ بطَرَابُلُس، وكَانَ بها كُنْد اسْطَبْل، عَمُّ لِيفُون مَلِكِ الأَرْمَن، أفْلَتَ مِنَ الوَاقِعَةِ عَلَيْه بالدَّرْبَنْد، وَاسْتَقَرَّ بأنْطَاكِيَة عِنْدَ بيمُنْد، فخَرَجَ في جُمُوعِه لِقِتَالِ الظَّاهِرِ، فانْهَزَمَ أَصْحَابُه، وأُسِرَ [هو][هـ]، فرَهَنَ وَلَدَه عَلَى أن يَحْمِلَ أَهْلَ أنطَاكِيَة عَلَى الطَّاعَة فَلَم يُوَافِقُوه، وجَهَدَهم[و] الحِصَارُ، وَاقْتَحَمَها المسْلِمُون عَنْوَةً[7]، وأَثْخَنُوا فِيهِم، ونَجَا فَلُّهم [إلى][ز] القَلْعَةِ، فَاسْتُنْزِلوا عَلَى الأَمَان[8].

(أ) من س. (ب) في س: اليونان. (ج) سقط من س. (د)، (هـ) من س. (و) في س: ثم جهدهم. (ز) من س.

---

(1) هو بيموند السادس Bohemond VI .

(2) في نهاية الأرب 30: 313: أنتيوخس.

(3) في نهاية الأرب 30: 313: في خلافة عمر بن الخطاب.

(4) في مستهل رجب سنة 491 هـ (3 يونيو 1098 م). الروض الزاهر 319 – 320.

(5) لم يسترد صلاح الدين أنطاكية، بل عقد صلحا مع صاحبها، يراجع الروض الزاهر 323، نهاية الأرب 30: 317، وقد تأثر ابن خلدون بما ورد - خطأ - في زبدة الفكرة 114، وفيه: "وكان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله قد فتحها".

(6) الإبرنس المعروف بالأسير: في نهاية الأرب 30: 317.

(7) رابع رمضان 666 هـ. زبدة الفكرة 111، الروض الزاهر 308، 311، المختصر 4: 4، البداية والنهاية 17: 476.

(8) زبدة الفكرة 111 - 112، نهاية الأرب 30: 305 – 307.

وكَتَبَ الظَّاهِرُ إلى مَلِكِهِم يَمُند وهُوَ بِطَرَابُلُس[1]، وأَطْلَقَ كُنْدَ اسْطَبْل وأقاربَه إلى مَلِكِهم هَيثُوم بِسِيس، ثُمَّ جَمَعَ الغَنَائِمَ وقَسَمَها، وخَرَّبَ قَلْعَةَ انْطاكِيَة وأَضْرَمَها نَاراً.

وَاسْتَأْمَنَ صَاحِبُ بَغْرَاس، فبَعَثَ إليه آقسُنْقُر الفَارِقِيَّ إسْتَادَارَه فَمَلَكَها[2]، وأرْسَلَ صَاحِبُ عَكَّا إلى الظَّاهِرِ في الصُّلْحِ، وهُوَ ابنُ أُخْتِ صَاحِبِ قُبْرُس، فعَقَدَ لَهُمُ السُّلْطَانُ(أ) الصُّلْحَ لعَشْرِ سِنِين، ثُمَّ عَادَ إلى مِصْرَ فدَخَلَها ثَالِثَ أيَّامِ التَّشْرِيق مِن السَّنَة.

الصُّلْحُ مَعَ الطَّطَرِ

ثُمَّ نَهَضَ السُّلْطَانُ مِن مِصْرَ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ لغَزْوِ الفِرِنْجِ بِسَواحِلِ الشَّام، وخَلَّفَ عَلَى مِصْرَ عِزَّ الدِّين أَيْدَمُر الحَلَبِيَّ مَعَ ابنِه السَّعِيد وَلِيِّ عَهْدِه، وَانْتَهَى إلى أرْسُوفَ فبَلَغَه أنَّ رُسُلاً جَاءُوا مِن عِنْدِ أَبْغَا بنِ هُولاوُو، ومَرُّوا بالتَّكْفُورِ مَلِكِ الأَرْمَن، فَبَعَثَ بِهِم إلى الفُرَات، فبَعَثَ أمِيراً مِن حَلَبَ لإحْضَارِهم، فَجَاءُوا، وقَرَأَ كِتَابَ أبْغَا يَذْكُرُ سَعْيَ التَّكْفُور في الصُّلْحِ، ويُحِيلُ عَلَى سُنْقُرَ الأَشْقَر فيما أَوْدَعَه مِن رِسَالَتِه، فأَعَادَ رُسُلَه بجوابهم[3]، وأَذِنَ للأُمَرَاءِ في الانطِلاقِ إلى مِصْرَ، ورَجَعَ إلى دِمَشْق[4].

(أ) سقط من س.

(1) ينظر نص الخطاب في الروض الزاهر 309، زبدة الفكرة 112، نهاية الأرب 30: 307 .

(2) ثالث عشر رمضان 666 هـ. الروض الزاهر 325، المختصر 4: 5، نهاية الأرب 30: 319.

(3) ينظر نص الخطابات المتبادلة في زبدة الفكرة 117 - 118، الروض الزاهر 340 – 342، عقد الجمان 2: 40 - 41.

(4) زبدة الفكرة 117 – 118.

ثُمَّ سَارَ مِنها في خِفٍّ مِن العَسكَرِ إلى القِلاعِ، وبَلَغَه وَفاةُ أَيْدُمُر الحَلَبيّ بِمِصْرَ، فَخَيَّمَ بِخِرْبَةِ اللُّصوصِ، وأَغَذَّ السَّيْرَ إلى مِصْرَ مُتَنَكِّراً مُنتَصَفَ شَعْبَان[3] في خِفٍّ مِن الرِّكَابِ، وقَدْ طَوَى خَبَرَه عَن مُعَسْكَرِه وأَوْهَمَهُمُ القُعُودَ في خَيْمَتِه عَلِيلاً.

وَوَصَلَ القَلْعَةَ / لَيْلَةَ الثُّلاثَاءِ رَابِعَةَ سَفَرِه، فَتَنَكَّرَ لَه الحُرَّاسُ، وطُولِعَ مُقَدَّمُ [317أ] الطُّوَاشِيَّة، فطَلَبَ مِنْهم أَمَارَةً عَلَى صِدْقِهم فأَعْطُوهَا، ثُمَّ دَخَلُوا[أ] فَعَرَفُوه، وبَاكَرَ المَيْدَانَ يَوْمَ الخَمِيسِ فَسُرَّ بِه النَّاسُ، ثُمَّ قَضَى حَاجَةَ نَفْسِه، وخَرَجَ لَيْلَةَ الاثْنَيْنِ عَائِداً إلى الشَّامِ، كَمَا جَاءَ، فوَصَلَ إلى مُخَيَّمِه لَيْلَةَ الجُمُعَةِ تَاسِعَ عِشْرِي شَعْبَان، وفَرِحَ الأُمَرَاءُ بقُدُومِه، ثُمَّ فَرَّقَ البُعُوثَ في الجِهَاتِ وأَغَارُوا عَلَى صُور، ومَلَكُوا إِحْدَى ضِيَاعِ صِهْيَون، وسَاحُوا في بَسِيطِ كَزْكَر فَاكْتَسَحُوهَا، وَامْتَلأَتْ أَيْدِيهِم مِن الغَنَائِمِ ورَجَعُوا[1].

اسْتِيلاءُ الظَّاهِرِ عَلَى صِهْيَوْن

كَانَ صَلاحُ الدِّينِ بنُ أَيُّوبَ قَدْ أَقْطَعَها يَوْمَ[ب] فَتْحِها، وهِيَ سَنَةُ أَرْبَعٍ وثَمَانِينَ وخَمْسِ مِائَةٍ لِنَاصِرِ الدِّينِ مَنْكبرس، فَلَمْ تَزَلْ بِيَدِه إلى أَنْ هَلَكَ، وَوَلِيَ فِيها [بعْدَه ابْنُه][ج] مُظَفَّرُ الدِّينِ عُثْمَان، وبَعْدَه ابْنُه سَيْفُ الدِّينِ بنُ عُثْمَان.

وَاسْتَبَدَّ التُّرْكُ بِمِصْرَ، وبَعَثَ سَيْفُ الدِّينِ أَخَاه عِمَادَ الدِّينِ سَنَةَ سِتِّينَ بالهَدَايَا إلى المَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرْس فتَقَبَّلَها وأَحْسَنَ إليه، ثُمَّ مَاتَ سَيْفُ الدِّينِ سَنَةَ تِسْعٍ

(أ) في س: دخل. (ب) في س: أيام. (ج) من س، وفي ظ: بعد الله.

(1) ليلة السبت سادس عشر شعبان. زبدة الفكرة 119، نهاية الأرب 30: 162، وينظر عقد الجمان 2: 44.
(2) زبدة الفكرة 119 - 120، وينظر الروض الزاهر 345 – 348.

وسِتِّين، وكَان أوْصَى أوْلادَه بالنُّزُولِ للظَّاهِرِ عَن صِهْيَوْن، فوَفَدَ ابْناه: سَابِقُ الدِّين وفخْرُ الدِّين عَلَى السُّلْطَانِ بمِصْرَ، فأكْرَمَهُمَا وأقْطَعَهمَا، ووَلّى سَابِقَ الدِّين مِنهمَا أمِيراً[1]، ووَلِّي عَلَى صِهْيَوْنَ مِن قِبَلِه، ولَم تَزَلْ كَذلكَ إلى أنْ غَلَبَ عَلَيها سُنْقُر الأشْقَرُ عِنْدَما انْتَقَضَ بدِمَشْقَ أيّامَ المَنْصُورِ قَلاوُون[2].

نُهُوضُ الظَّاهِرِ إلَى الحَجِّ

ثُمّ بَلَغَ الظَّاهِرَ أنَّ أبَا نُمَيٍّ بنَ أبي سَعْد بن قَتَادَةَ غَلَبَ عَمَّه إدْرِيسَ بنَ قَتَادَةَ عَلَى مَكَّةَ وَاسْتَبَدَّ بِها، وخَطَبَ للظَّاهِرِ، فكَتَبَ لهُ بالإمَارَةِ عَلَى مَكَّةَ[3]. وَاعْتَزَمَ عَلَى النُّهُوضِ إلى الحَجِّ وتَجَهَّزَ لذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّين، وأزَاحَ عِلَلَ أصْحَابِه، وشَيَّعَ العَسَاكِرَ مَعَ آقْسُنْقُر الفَارِقَانِيّ أسْتَاذَارِهِ إلى دِمَشْق.

وسَارَ إلى الكَرَكِ مُوَرِّياً بالصَّيدِ، وَانْتَهى إلى الشَّوْبَك، فرَحَلَ مِنه لإحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً مِن ذِي القَعْدَة، ومَرَّ بالمدِينَة، فأحْرَمَ مِن مِيقَاتِها.

وقَدِمَ مَكَّةَ لخَمْسٍ مِنْ / ذِي الحِجَّة، وغَسَلَ الكَعْبَةَ بِيَدِه وحَمَلَ لَهَا الماءَ عَلَى [317 ب]
كَتِفِه، وأبَاحَ للنّاسِ دُخُولَها، [وأقَامَ](أ) عَلَى بَابِها يَأخُذ بأيْدِيهم، ثُمّ قَضَى حَجَّه ومَنَاسِكَه، ووَلّى نائباً بِمَكَّة شَمْس الدِّين مَرْوَان، وأحْسَنَ إلى الأمِيرِ أبي نُمَيّ وَإلى

(أ) من س. وفي ظ: وقام.

---

(1) وذلك سنة 671 هـ. زبدة الفكرة 136، المختصر 4: 7، الروض الزاهر 405.

(2) ينظر ما يلي ص 309.

(3) الروض الزاهر 351 – 352.

صَاحِبِ يَنْبُعَ وخُلَيْص وسَائِرِ شُرَفَاءِ الحِجَازِ[1]، وكَتَبَ إلى صَاحِبِ اليَمَنِ يَقُولُ: سَطَّرْتُهَا مِن مَكَّةَ، وقَدْ وصَلْتُها في سَبْعَ عَشْرَةَ خُطْوَةً.

ثُمّ فَصَلَ مِن مَكَّةَ ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الحِجَّةِ، فَوَصَلَ المدِينَةَ عَلَى سَبْعَةِ أيّامٍ، ووَصَلَ الكَرَكَ سَلْخَ السَّنَةِ، ثُمّ وصَلَ دِمَشْقَ غُرَّةَ ثَمَانٍ وسِتِّين، وسَارَ إلى زِيَارَةِ القُدْسِ، وقَدَّمَ العَسَاكِرَ مَعَ [الأمير][أ] آقْسُنْقُر إلى مِصْر، وعَادَ مِن الزِّيَارَةِ فأدْرَكَهم بِتَلِّ العُجُول، ووَصَل القَلْعَةَ ثَلاثَة[ب] أيّام في صَفَرٍ مِن السَّنَةِ[2].

إغَارَةُ الفِرِنْجِ والطَّطَرِ عَلَى حَلَب، ونُهُوضُ السُّلْطَانِ إلَيهِم

كَانَ صَمْغَار، مِن أُمَرَاءِ الطَّطَرِ، مُقِيماً بِبِلادِ الرُّومِ وأمِيراً عَلَيها، فَوَقَعَتِ المرَاسَلَةُ بَيْنَه وبَيْنَ الفِرِنْجِ[ج] في الإغَارَةِ عَلَى بِلادِ الشَّام، وجَاءَ صَمْغَار في عَسْكَرِه لِمَوْعِدِهِم، فأغَارَ عَلَى أحْيَاءِ العَرَبِ بنَوَاحِي حَلَب، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى الظَّاهِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وسِتِّين، وهو يَتَصَيَّدُ بنَوَاحِي الإسْكَنْدَرِيَّة، فنَهَضَ مِن وَقْتِه إلى غَزَّة[3]، ثُمّ إلى دِمَشْق، ورَجَعَ الطَّطَرُ عَلَى أعْقَابِهِم[4].

ثُمّ سَارَ إلى عَكَّا فاكْتَسَحَ نَوَاحِيَهَا وأثْخَنَ فِيها، وفَعَلَ كَذَلِكَ بِحِصْنِ الأكْرَاد،

(أ) من س. (ب) في س: ثالث. (ج) في س: الإفرنج.

(1) زبدة الفكرة 120 – 121، الروض الزاهر 354 – 358، نهاية الأرب 30: 166 – 167، وينظر البداية والنهاية 17: 482، الجوهر الثمين 278.

(2) زبدة الفكرة 121، 123.

(3) ليلة الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول. زبدة الفكرة 124، الروض الزاهر 362، وينظر عقد الجمان 2: 57 - 58.

(4) زبدة الفكرة 123 - 124، نهاية الأرب 30: 170 - 171.

ورَجَعَ إلى دِمَشْقَ آخِرَ رَجَب، ثُمَّ إلى مِصْر، ومَرَّ بعَسْقَلان فَخَرَّبها وطَمَسَ آثارَها[1].

وجَاءَ[أ] الخبَرُ بمِصْرَ بأنَّ الفِرَنْسِيس لوِيس بن لوِيس، ومَلِكَ الإنكِلْطار، ومَلِكَ أُسكُوسَنا، ومَلِكَ بورك[ب][2]، ومَلِكَ بَرْشلُونَة، وهو رِيد رَاكُون، وجَمَاعَةً مِن مُلُوكِ الفِرَنْج، جَاءُوا في الأساطِيلِ إلى صِقِلِّيَة، وشَرَعُوا في الاستِكْثَارِ مِن الشَّوَاني وآلاتِ الحَرْبِ، ولَمْ يُعْرَف وَجْهُ مَذْهَبِهم، فاهتَمَّ الظَّاهِرُ بحِفْظِ الثُّغُورِ والسَّوَاحِلِ، واستَكْثَرَ مِنَ الشَّوَاني والمَرَاكِبِ، ثُمَّ جَاءَ الخبَرُ الصَّحِيحُ بأنَّهم قاصِدُون تُونِس[3]، فكَانَ مِن خَبَرِهم مَا نَذْكُرُه في / دَوْلَةِ السُّلْطان بها يَوْمَئِذٍ مِن بني أبي حَفْص. [318أ]

فَتْحُ حِصْنِ الأَكْرَادِ وعَكَّارَ الشَّامِلة وحُصُونِ صُورٍ

ثُمَّ سَارَ السُّلْطانُ سَنَةَ تِسْعٍ وسِتِّينَ لِغَزْوِ بِلادِ الفِرَنْج، وسَرَّحَ ابْنَه السَّعِيدَ في العَسَاكِرِ إلى المَرْقَبِ لِنَظَرِ الأَمِيرِ قَلاوُون وبَيْلِيك الخَازِنْدَار، وسَارَ هو إلى طَرَابُلُس، فَاكْتَسَحُوا[ج] سَائِرَ تِلْكَ النَّوَاحِي، وتَوَافَوْا بحِصْنِ الأَكْرَادِ عَاشِرَ شَعْبَان مِنَ السَّنَة، فَحَاصَرَه السُّلْطانُ عَشْراً، ثُمَّ اقْتُحِمَتْ أَرْبَاضُه، وانْحَجَرَ الفِرَنْجُ في قَلْعَتِه، وَاسْتَأْمَنُوا، وخَرَجُوا إلى بِلادِهم[4]، ومَلَكَ الظَّاهِرُ الحِصْنَ، وكَتَبَ إلى أصْحابِه[5]

(أ) في س: وجاءه. (ب) في س: نورل. (ج) سقط من س.

---

(1) زبدة الفكرة 124.

(2) في الروض الزاهر 370: نورك.

(3) زبدة الفكرة 124 - 125، الروض الزاهر 370.

(4) الروض الزاهر 376، نهاية الأرب 30: 329، عقد الجمان 2: 70: في رابع عشرين شعبان.

(5) في زبدة الفكرة 127: صاحب الحصن مقدّم، وفيه نص الخطاب، وانظر أيضاً، الروض الزاهر 376، نهاية الأرب 30: 330 - 331.

الإسْبِتَارِ بالفَتْحِ، وهو بأَنْطَرْسُوس، فأَجَابَ بِطَلَبِ الصُّلحِ[1]، فعَقَدَ لَه عَلَى أَنْطَرْسُوس والمَرْقَب[2].

ورَحَلَ السُّلْطَانُ عَن حِصْنِ الأَكْرَادِ بَعْدَ أَنْ شَحَنَهُ بالأَقْوَاتِ والحَامِيَة، ونَازَلَ حِصْنَ عَكَّار مُنْتَصَف[3] رَمَضَان، واشْتَدَّ في حِصَارِه، فَاسْتَأْمَنَ أَهْلُه إليه ومَلَكَه[4].

ثُمَّ ارْتَحَلَ بَعْدَ الفِطْرِ إلى طَرَابُلُس، وَاشْتَدَّ في قِتَالِها، وسَأَلَ صَاحِبُها البِرِنْس في الصُّلْحِ، فعَقَدَ لَه لِعَشْرِ سِنِين، ورَجَعَ إلى دِمَشْق[5].

ثُمَّ خَرَجَ آخِرَ شَوَّالٍ[6] إلى حِصْنِ الشَّامِلة، ومَلَكَ قَلْعَتَه بالأَمَانِ عَلَى أَنْ يَتْرُكُوا الأَمْوَالَ والسِّلَاحَ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْه وهَدَمَه[7].

وَسَارَ إلى اللَّجُون[8]، وبعَثَ إليه صَاحِبُ صُورَ في الصُّلْح عَلَى أَن يَنْزِلَ للظَّاهِرِ عَن خَمْسٍ مِن قِلَاعِه، فَعَقَدَ لَه الصُّلْحَ، ومَلَكَها[9].

---

(1) اجتمع على طلب الصلح مقدم بيت الداوية، ومقدم بيت الإسبتار: ينظر الروض الزاهر 378 – 379، عقد الجمان 2: 72.

(2) زبدة الفكرة 127 - 128.

(3) زبدة الفكرة 128، الروض الزاهر 379: سابع عشر شهر رمضان.

(4) زبدة الفكرة 128. وينظر عقد الجمان 2: 76 - 77.

(5) زبدة الفكرة 128.

(6) في العشر الآخر من شوال. زبدة الفكرة 129، وفي نهاية الأرب 30: 332: في الرابع والعشرين.

(7) زبدة الفكرة 129، في رابع عشرين ذي القعدة تكمل هدمها: في الروض الزاهر 386.

(8) زبدة الفكرة 129.

(9) المصدر نفسه 130 - 131.

ثُمّ كَتَبَ إلى نائِبِه بِمِصْرَ أنْ يُجَهِّزَ عَشرةً مِنَ الشَّوانِي إلى قُبْرُس، فجَهَّزَها، ووَصَلَتْ لَيلاً إلى قُبْرُس، فأخْطَأَتِ المَرْسَى، وصَادَمَتِ التُّرُوسَ المُحِيطَةَ بالجزيرة فتكَسَّرَت، وكَتَبَ صَاحِبُ قُبْرُس [بِذلك](ا) إلى السُّلْطانِ يُخبِرُها مُتهكِّمًا، فأجابَه بالوَعِيدِ[1].

اسْتِيلاءُ الظَّاهِرِ عَلَى حُصُونِ الإسْمَاعِيلِيَّةِ بالشَّامِ

كَانَ الإسْمَاعِيلِيّةُ في حُصُونٍ مِنَ الشَّامِ قَدْ مَلَكُوهَا، وهِيَ: مِصْيَاب[2]، [318ب] والقُلَيْعَة، والكَهْف، والمنِيقَة، والقدمُوس، وكَانَ كَبِيرَهم لعَهْدِ الظَّاهِرِ / نَجْمُ الدِّينِ الشَّعْرَانِيُّ، وكَانَ قَد جَعَلَ لَه الظَّاهِرُ وِلايَتَها، ثُمّ تَأخَّرَ عَن لِقَائِه في بَعْضِ الغَزَوَاتِ، فَعَزَلَه ووَلَّى عَلَيها صَارِمَ الدِّين بنَ الرَّضِيِّ، عَلَى أنْ يَنْزِلَ لَه عَن حِصْنِ مِصْيَاب، وأَرْسَلَ لَه(ب) العَسْكَرَ فتَسَلَّمُوه مِنْه[3]، ثُمّ قَدِمَ عَلَيْه سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّين، وهُوَ عَلَى حِصْنِ الأكْرَادِ، وكَانَ نَجْمُ الدِّين الشَّعْرَانِيُّ قَدْ أَسَنَّ وهَرِمَ، فَاسْتَعْتَبَ وأَعْتَبَه الظَّاهِرُ وعَطَفَ عَلَيْه، وقَسَّمَ الوِلَايَةَ بَيْنَه وبَيْنَ ابنِ الرَّضِيِّ، وفَرَضَ عَلَيْهِمَا مِائَةً وعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ يَحْمِلَانِها في كُلِّ عَامٍ[4].

(ا) من س. (ب) في س: معه.

---

(1) زبدة الفكرة 129 – 130، الروض الزاهر 386 – 387، وينظر عقد الجمان 2: 74 – 76.

(2) في الأصول: مصيات، وبعضهم يقول: مصياف، معجم البلدان 5: 144.

(3) زبدة الفكرة 124، نهاية الأرب 30: 249.

(4) المصدران نفسهما.

ولَمَّا رَجَعَ سَنَةَ تِسْعٍ وسِتِّين، وفَتَحَ حِصْنَ الأَكْرَادِ و[عَكَّار][1]، وصَالَحَ أَهْلَ طَرَابُلُس، مَرَّ بِحِصْنِ القُلَيْعَة[أ] مِنْ حُصُونِهم، فَمَلَكَه مِن يَدِ ابنِ الرَّضِيِّ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ[2] مِنَ السَّنَة، وأَنْزَلَ به حَامِيَتَه[3].

ثُمَّ سَارَ بَعْدَ ذَلِكَ لِقِتَالِ الطَّطَرِ عَلَى إِلْبِيرَةَ فَهَزَمَهم، كَمَا نَذْكُر، ورَجَعَ إلى مِصْرَ فوَجَدَ الإِسْمَاعِيلِيَّة قَدْ نَزَلُوا عَنِ الحصُونِ الَّتِي قد بَقِيَتْ بأَيْدِيهم وأَسْلموها[ب] لنُوَّابِ الظَّاهِرِ، فَمَلَكُوهَا، وَانْتَظَمَتْ قِلَاعُ الإِسْمَاعِيلِيَّة في مِلْكَةِ الظَّاهِرِ، وَانْقَرَضَتْ مِنْها دَعْوَتُهم[4].

حِصَارُ الطَّطَرِ إِلْبِيرَةَ وهَزِيمَتُهم عَلَيها

ثُمَّ بَعَثَ أَبْغَا بنُ هُولاوُو العَسَاكِرَ إلى إِلْبِيرَةَ سَنَةَ إِحْدَى وسَبْعِين مَعَ درْبَاي[5]، [مِن][ج] مُقَدَّمِي أُمَرَائه، فحَاصَرَها[د] ونَصَبَ عَلَيْها المجَانِيق، وكَان السُّلْطَانُ بدِمَشْق، فجَمَعَ العَسَاكِرَ مِنْ مِصْرَ والشَّام، وزَحَفَ للفُرَاتِ[هـ].

وقَدْ جَمَّرَ الطَّطَرُ العَسَاكِرَ عَلَى مَخَاضَتِه، فتَقَدَّمَ الأَمِيرُ قَلَاوُون وخَالَطَ

(أ) في س: العليقة. (ب) في س: وسلّموها. (ج) من س، وفي ظ: في. (د) في س: لحاصروها.
(هـ) في س: إلى الفرات.

---

(1) في الأصول: عكا، والتصويب مما سبق.

(2) في الحادى عشر من شوال. زبدة الفكرة 129، نهاية الأرب 30: 250.

(3) زبدة الفكرة 129.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

(5) في زبدة الفكرة 137: دربيه.

الطَّطَرَ عَلَيْها في مُخَيَّمِهِم فَجَالُوا مَعَه جَوْلةً ثُمَّ انهزمُوا وقُتِلَ مُقَدَّمُهم، وخاضَ السُّلْطَانُ بعَسَاكِرِه بَحْرَ الفُرَاتِ إليهم، فأجفلُوا وتَرَكُوا خِيَامَهم بِمَا فِيها، وخَرَجَ أَهْلُ البِيرَةِ فنَهَبُوا سَوَادَهم وأحرَقُوا آلاتِ الحِصَارِ، وَوَقَفَ السُّلْطَانُ بسَاحَتِها قَلِيلًا، وخَلَعَ عَلَى النَّائِبِ بِها وقَفَلَ، ولَحِقَ دزبَاي بسُلْطَانِه أَبْغَا مَفْلُولاً فسَخِطَه ولَمْ يُغْنِيه[1].

غَزْوَةُ سِيس وتَخْرِيبُها

ثُمَّ نَهَضَ الظَّاهِرُ مِن مِصْرَ لغَزْوِ سِيسَ في شَعْبَانِ[2] ثَلاثٍ وسَبْعِين، وَانْتَهى إلى دِمَشْقَ في رَمَضَانَ[3]، وسَارَ مِنهَا، وعَلَى مُقَدِّمَتِه الأَمِيرُ قَلاوُون وبَدْرُ الدِّين / بِيلِيك الخَازِنْدَار، فَوَصَلُوا إلى المَصِّيصَة وَافْتَتَحُوها عَنْوَةً[4]. [319أ]

وجاءَ السُّلْطانُ عَلَى أَثَرِهم، وسَارَ بِجَمِيعِ العَسَاكِرِ إلى سِيس بَعْدَ أَنْ أَكْثَفَ الحَامِيَةَ بالبِيرَةِ خَوفاً عَلَيْها مِنَ الطَّطَرِ، وبَعَثَ حُسَامَ الدِّين العَينتَابِيَّ ومُهَنَّا بنَ عِيسَى أَمِيرَ العَرَب بالشَّام، للإغَارَة عَلَى بِلادِ الطَّطَر مِن نَاحِيَتِها، وسَارَ إلى سِيس فَخَرَّبَها، وبَثَّ السَّرَايَا في نَوَاحِيها فانْتَهَوْا إلى إيَاس وأَذْنَة، وَاكْتَسَحُوا سَائِرَ تِلْكَ الجِهَاتِ، ووَصَلَ إلى دَرْبَنْدِ الرُّوم، وعَادَ إلى المَصِّيصَة في التَّعْبِئة، فأَحْرَقَها، ثُمَّ انْتَهى إلى أَنْطَاكِيَة، فأَقَام عَلَيها حتَّى قَسَّمَ الغَنَائِمَ[5].

---

(1) زبدة الفكرة 137، وينظر تاريخ الملك الظاهر 55 – 56، نهاية الأرب 30: 333 - 335، عقد الجمان 2: 101 - 102.

(2) في ثالث شعبان. زبدة الفكرة 144، تاريخ ابن الفرات 7: 29.

(3) تاسع عشرين شعبان. تاريخ الملك الظاهر 106، نهاية الأرب 30: 338.

(4) زبدة الفكرة 144، نهاية الأرب 30: 338.

(5) زبدة الفكرة 144 - 145، وينظر تاريخ الملك الظاهر 106 - 107، عقد الجمان 2: 133.

ثُمَّ رَحَلَ إلى القُصِير، وكَانَ للفِرنْج، وخَالِصًا[أ] لبَتْرَكِهِم برُومَةَ[1] الذي يُسَمُّونه البَابَا، فافْتَتَحَه[2]، ولَقِيَهُ هُنَالك حُسَامُ الدِّين العَيْنتَابِيُّ ومُهَنَّا بنُ عِيسَى رَاجِعِين مِن إغَارَتِهم ورَاءَ الفُرَات[3].

ثُمَّ بَلَغَه مَهْلِكُ البِرِنْس بَيْمُنْدَ[4] بنِ بَيْمُنْد صَاحِبِ طَرَابُلُس، فبَعَثَ الظَّاهِرُ بَلَبَانَ الدَّوَادَارَ [لِيُقَرِّرَ][ب] الصُّلْحَ مَعَ بَنِيه، فقَرَّرَه عَلَى عِشْرِينَ أَلْف دِينَار [صُورِيَّة][5] وعِشْرِينَ أسِيرًا كُلَّ سَنَة، وحَضَرَ لِذَلِكَ صَاحِبُ قُبْرُس، وكَانَ جَاءَ مُعَزِّيًا لبَنِي البِرِنْس، ورَجَعَ الدَّاوَدَارُ إلى الظَّاهِرِ، فَقَفَلَ إلى دِمَشْقَ مُنْتَصَفَ ذِي الحِجَّة[6].

إيقَاعُ الظَّاهِر بالطَّطَر في بلاد الرُّوم، ومَقتَل البِرْوَانَاه بمُدَاخَلَتِه في ذلك

كَانَ عَلَاءُ الدِّين البِرْوَانَاه[7] مُتَغَلِّبًا عَلَى غِيَاثِ الدِّين كَيْخُسْرُو، صَاحِبِ بِلَادِ الرُّومِ مِنْ بَنِي قِلِيج أرْسَلَان، وقَد غَلَبَ الطَّطَرُ عَلَى جَمِيعِ مَمَالِكِ بِلَادِ الرُّوم،

(أ) في س: وخالصهم. (ب) من س، وفي ظ: بتقرر.

---

(1) تاريخ ابن الفرات 7: 33: إلى بترك أنطاكية.

(2) في يوم الأربعاء ثالث وعشرين جمادى الأولى 674 هـ. نهاية الأرب 30: 342، تاريخ ابن الفرات 7: 41.

(3) زبدة الفكرة 145.

(4) توفي في تاسع شهر رمضان 673 هـ. تاريخ ابن الفرات 7: 34.

(5) إضافة للتوضيح من تاريخ ابن الفرات 7: 40.

(6) زبدة الفكرة 145.

(7) هو سليمان بن علي، الصاحب معين الدين، والبرواناه: لقب أعجمي يعني الحاجب، ينظر ذيل مرآة الزمان 3: 268، فوات الوفيات 2: 71، الوافي بالوفيات 15: 407، المنهل الصافي 6: 45.

وأبقَوْا علَى كيخُسْرُو اسْمَ المَلِكِ في كَفَالَةِ البِرْوَاناه، وأقامُوا أميرًا مِن أمَرائِهم ومَعَه عَسْكرٌ مِنَ الطَّطَرِ حَامِيَةً بالبِلادِ، ويُسَمُّونَه الشَّحْنَةَ، وكَانَ أوَّلَ أميرٍ مِنَ الطَّطَرِ بِبِلادِ الرُّومِ بِيكُو[1]، وهُوَ الَّذي افْتَتَحَها، وبَعْدَه صَمْغار، وبعدَ صَمْغار[أ] تُوقُو وتَداوُن شَرِيكَيْنِ في إمْرَتِها لعَهْدِ المَلِكِ الظَّاهِرِ، وكَانَ البِرْوَاناه يَتأفَّفُ مِن الطَّطَرِ ومِن اسْتِطَالَتِهِم عَلَيْه وسُوءِ مِلْكَتِهِم.

[319ب] ولَمَّا اسْتَفْحَلَ أمْرُ الظَّاهِرِ بِمِصْرَ والشَّام أمَّلَ البِرْوَاناهُ / الظُّهُورَ عَلَى الطَّطَرِ والكَرَّةَ لبَني قِلِيج أرْسَلان بمَمالأةِ الظَّاهِرِ، فدَاخَلَه في ذلك وكَاتَبَه، وزَحَفَ أبْغَا مَلِكُ الطَّطَرِ إلى البِيرَةَ سَنَةَ أرْبَعٍ وسَبْعينَ[2]، وخَرَجَ الظَّاهِرُ بالعَسَاكِرِ مِن دِمَشْق، وكَاتَبَه البِرْوَاناه بالمظَاهَرَة عَلَيْه، ووَقَعَتْ كُتُبُه بأيْدِي عُيُونِ أبْغَا ووَقَّفُوه عَلَيها، فرَجَعَ مِن البِيرَةَ وكَتَبَ إلى البِرْوَاناه يَسْتَدْعِيه، وأقَامَ الظَّاهِرُ عَلَى حِمْص، وأرْسَلَ إلَيه البِرْوَاناه يَسْتَحِثُّه لِلقاءِ الطَّطَرِ، وعَزَمَ أبْغَا عَلَى البِرْوَاناه في الوُصُولِ، فاعْتَذَرَ، ثُمَّ رَحَلَ مُتَثَاقِلاً[3]، وكَتَبَ إلَيه الأمَرَاءُ، بَعْدَه، بأنَّ الظَّاهِرَ قَدْ نَهَضَ[ب] إلى بِلادِ الرُّومِ، بوَصِيَّتِه إلَيهِم بذَلِك، فبَعَثَ بالكُتُبِ إلى أبْغَا واسْتَمَدَّه، فأمَدَّه بعَسَاكِرِ المُغُل، وأمَرَه بالرُّجُوعِ لمدَافَعَةِ الظَّاهِرِ فرَجَعَ، ووَجَدَ جَمَاعَةً مِن الأمَرَاءِ قَدْ كَاتَبُوا الظَّاهِرَ واسْتَحَثُّوه للقُدُومِ، فسَقَطَ في أيْدِيهِم، وحِيلَ بَيْنَهم وبَيْنَ مَرَامِهِم[4].

(أ) سقط من س.   (ب) في س: قد رحل.

---

(1) في زبدة الفكرة 20، ونهاية الأرب 27: 349: بيجو، وهو واجدٌ، فقد كُتِبت الكاف في س منقوطة من تحت.

(2) ثامن جمادى الآخرة. زبدة الفكرة 146، البداية والنهاية 17: 519، وينظر عقد الجمان 2: 139.

(3) زبدة الفكرة 146 – 147.

(4) المصدر نفسه 147.

ورَجَعَ إلى مِصْرَ في رَجَبٍ مِن السَّنَةِ، وأقَامَ بِها حَوْلاً.

ثُمَّ جَمَعَ تُوقُو وتَداوُن أمِيرَا الطَّطَرِ بِبِلادِ الرُّومِ، وسَارَا إلى ثُغُورِ الشَّامِ، وبَلَغَ السُّلْطَانَ خَبَرُهُما، فَسَارَ مِن مِصْرَ في العَسَاكِرِ في رَمَضَانِ خَمْسٍ وسَبْعِينَ وقَصَدَ بِلادَ الرُّومِ، وَانْتَهَى إلى النَّهْرِ الأزْرَقِ، فَبَعَثَ شَمْسَ الدِّين سُنْقُرَ الأشْقَرَ فَلَقِيَ مُقَدِّمَةَ الطَّطَرِ وَهَزَمَهم، ورَجَعَ إلى السُّلْطَان، وسَارُوا جَمِيعاً فَلَقُوا الطَّطَرَ عَلَى البِلِسْتِين، ومَعَهم مُعِينُ الدِّين البِرْوَانَاه في عَسَاكِرِه فَهَزَمُوهم، وقُتِلَ الأمِيرَانِ تُوقُو وتَداوُن، وفَرَّ البِرْوَانَاه وسُلْطَانُه كَيخُسْرُو لَمَّا كَانَ مُنفَرِداً عَنهم، وأُسِرَ كَثِيرٌ مِن المَغُلِ، مِنهم: سَلَار، الَّذِي كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ [نَائِبَ][1] صَاحِبِ مِصْرَ، وهُوَ سَلَار ابنُ طُغْرُل، ومِنهم: قَفْجَاق، وجَاوِرْجِي، وأُسِرَ عَلاءُ الدِّين بنُ مُعِينِ الدِّين البِرْوَانَاه، وقُتِلَ كَثِيرٌ مِنهم[2].

ثُمَّ رَحَلَ السُّلْطَانُ إلى قَيْسَارِيَّةَ فَمَلَكَهَا، وأقَامَ عَلَيها يَنْتَظِرُ وُصُولَ البِرْوَانَاه لِمَوْعِدٍ كَانَ بَيْنَهما، وأبْطَأَ عَلَيه فَقَفَلَ رَاجِعاً[3].

وبَلَغَ خَبَرُ الهَزِيمَةِ إلى أبْغَا مَلِكِ الطَّطَرِ، وَاطَّلَعَ مِن بَعْضِ عُيُونِه عَلَى مَا كَانَ [بَيْنَ][ا] البِرْوَانَاه والظَّاهِرِ مِن المُدَاخَلَة، فَتَنَكَّرَ لِلبِرْوَانَاه، وجَاءَ لِوَقْتِه حَتَّى وَقَفَ / عَلَى مَوْضِعِ المَعْرَكَة، وَارْتَابَ لِكَثْرَةِ القَتْلَى مِنَ المَغُلِ، وأنَّ عَسْكَرَ الرُّومِ [320ا]

(ا) من س.

---

(1) إضافة، ينظر عنها ما يلي ص 387، ويراجع فوات الوفيات 2: 86.

(2) زبدة الفكرة 154.

(3) المصدر نفسه 156.

لَمْ يُصَبْ مِنهم أَحَدٌ، فرَجَعَ عَلَى بِلَادِهِم بالقَتْلِ والتَّخْرِيبِ والاكْتِسَاحِ، وامْتَنَعَ كَثِيرٌ مِن القِلَاعِ، ثُمَّ أَمَّنَهم ورَجَعَ، وسَارَ ومَعَه البِرْوَانَاه، وهَمَّ بقَتْلِه أَوَّلاً، ثُمَّ رَجَعَ إلى تَخْلِيَتِه لِحِفْظِ البِلَادِ، فأَعْوَلَ نِسَاءُ القَتْلَى مِنَ المغُلِ عِنْدَ بَابِه، فوَجَمَ لبُكَائِهِنَّ، وبَعَثَ أَمِيراً مِنَ المغُلِ قَتَلَه في بَعْضِ طَرِيقِه[1].

وفَاةُ الظَّاهِرِ ووِلَايَةُ ابْنِه [السَّعِيد][أ]

وَلَمَّا رَجَعَ السُّلْطَانُ إلى دِمَشْقَ[2] مِنْ وَاقِعَةِ الطُّطَرِ[ب] عَلَى البِلِسْتَيْنِ وقَيْسَارِيَّةَ، طَرَقَه المرَضُ في مُحَرَّمِ سِتٍّ وسَبْعِينَ، وهَلَكَ مِن [آخِرِه][ج][3]، وكَانَ بَيْلِيك الخَازِنْدَارُ مُسْتَوْلِياً عَلَى دَوْلَتِه، فكَتَمَ مَوْتَه ودَفَنَه، ورَجَعَ بالعَسَاكِرِ إلى مِصْرَ[4].

فلَمَّا وَصَلَ إلى القَلْعَةِ جَمَعَ النَّاسَ وبَايَعَ لبَرَكَةَ ابنِ الملِكِ الظَّاهِرِ ولَقَّبَه السَّعِيدَ، وهَلَكَ بَيْلِيك إِثْرَ ذَلِكَ[5]، فقَامَ بتَدْبِيرِ الدَّوْلَةِ أُسْتَادَار شَمْسُ الدِّينِ [آقسُنْقُر][6] الفَارِقَانِيُّ، وكَانَ نَائِبَ مِصْرَ أَيَّامَ مَغِيبِ الظَّاهِرِ بالشَّامِ، وَاسْتَقَامَتْ

(أ) من س، وفي ظ: المسعود. (ب) في س: واقعته بالططر. (ج) من س، وفي ظ: آخر.

---

(1) زبدة الفكرة 157 - 159، تاريخ ابن الفرات 7: 80، 99 – 100، وينظر عقد الجمان 2: 162.

(2) في زبدة الفكرة 160: دخلها في الخامس من المحرم 676 هـ.

(3) المختصر 4: 10، ذيل مفرج الكروب 86، زبدة الفكرة 161، تاريخ ابن الفرات 7: 87: في يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم.

(4) زبدة الفكرة 161.

(5) نهاية الأرب 30: 371، تاريخ ابن الفرات 7: 94: في ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول 676 هـ، وينظر الوافي بالوفيات 10: 365، ذيل مرآة الزمان 2: 262، المنهل الصافي 3: 512.

(6) من زبدة الفكرة 162.

أُمُورُه[1]، ثُمَّ قَبَضَ عَلَى شَمْسِ الدِّين سُنْقُر الأَشْقَر وبدرِ الدِّين بَيْسَرِي، مِن أُمَرَاء الظَّاهِر، بِسِعَايَةِ بِطَانَتِه الَّذِين جَمَعَهم عَلَيْه لأَوَّلِ وِلايَتِه، وكَانُوا مِن أَوْغَادِ المَوَالِي، وكَانَ يَرْجِعُ إلى رَأْيِهم لمسَاعَدَتِهم لَه عَلَى هَوَاه ومَآرِبِ شَبِيبَتِه، فَلَمَّا قَبَضَ عَلَى هٰذَيْنِ الأَمِيرَيْن نَكِرَ ذَلِك عَلَيْه خَالُه مُحَمَّدُ بنُ بَرَكَة خَان، فَاعْتَقَلَه مَعَهُمَا، وَاسْتَوْحَشَتْ أُمُّه لِذَلِك، فأَطْلَقَ الجَمِيعَ، [فَارْتَابَ][أ] الأُمَرَاءُ وأَجْمَعُوا مُعَاتَبَتَه، فاسْتَعْتَبَ، وَاسْتَحْلَفُوه[2].

ثُمَّ أَغْرَاه بِطَانَتُه بشَمْسِ الدِّين الفَارقَانِيّ، مُدَبِّر دَوْلَتِه، فقَبَضَ عَلَيه وَاعْتَقَلَه وهَلَكَ لأَيَّامٍ منَ اعْتِقَالِه، ووَلَّى مَكَانَه شَمْسَ الدِّين سُنْقُـرَ الأَلْفِيّ، ثُـمَّ سَعَى أُولَئِك البِطَانَةُ بِه فعَزَلَه، ووَلَّى مَكَانَه سَيْفَ الدَّوْلَة كُونْدَك السَّاقِيَ، صِهْـرَ الأَمِير قَلاوُون عَلَى أُخْتِ زَوْجَتِه بِنْتِ كَرْمُون، كَانَ أَبُوهَا مِن أُمَرَاءِ الطَّطَرِ ونَـزَلَ إلى الظَّاهِرِ، وَاسْتَقَرَّ عِنْدَه وزَوَّجَ بِنْتَه مِن الأَمِيرِ قَلاوُون، وبِنْتَه الأُخْرَى مِن كُونْدَك، ثُـمَّ حَظِيَ عِنْدَ السَّعِيد / لَاجِين[3] الزَّيْنِيّ مِن خَاصِكِيَّتِه[4]، وغَلَبَ عَلَى هَوَاه، وَاسْتَمَالَ أَهْـلَ [320 ب]
الدَّوْلَة بقَضَاءِ حَاجَاتِهم، وَاسْتِمْرَاءِ مَعْرُوفِهِ لَهم، وَاسْتَمَرَّ الحَالُ عَلَى ذَلِك[5].

(أ) من س، وفي ظ: فارتابوا.

---

(1) زبدة الفكرة 162.

(2) زبدة الفكرة 163، عقد الجمان 2: 186 - 187.

(3) في الأصول: لاشين، وجرى رسمه في المصادر لاجين، ومن ثم جرى تصويبه هنا وفي المواضع التالية.

(4) في الأصول: خاسكيته، وفي المصادر بالصاد بدل السين، فعدلت هنا وفيما يأتي.

(5) زبدة الفكرة 163 - 164، تاريخ ابن الفرات 7: 94 – 96، عقد الجمان 2: 187 - 188.

خَلْعُ السَّعيد وولايةُ أخيه سَلامِش

ولمّا استقرّ السَّعيدُ في مُلكِه بمِصر أجْمَعَ المسيرَ إلى الشّام للنّظر في مَصالِحِه، فسارَ لذلك سَنةَ سَبْعٍ وسَبْعِينَ فاستقرَّ بدِمَشق[1]، وبعثَ العَساكِرَ إلى الجهات، فسَارَ قَلاوُونُ الصَّالِحيُّ وبَدْرُ الدِّين بَيْسَرى إلى سِيس، زيَّنَ له ذلك لاجِينُ الزَّيْنيُّ والبِطانةُ الّذين مَعَه، وأغرَوْه بالقَبْضِ عَلَيهم عِنْدَ مَرْجِعِهم، ثُمّ حَدَثَ بَيْنَ هؤلاء البِطانةِ وبَيْنَ النّائِبِ سَيْفِ الدِّين كُونْدَك وَحْشَةٌ، وآسَفُوه بما يَلْقَوْن فيه عند السُّلْطان، فغَضِبَ لذلك[2].

وَسارَتِ العَساكِرُ فأغارُوا عَلَى سِيس وَاكْتَسَحُوا نَوَاحِيَها، ورَجَعُوا فلَقِيَهم النّائِبُ كُونْدَك، وأسَرَّ إليهم مَا أضْمَرَ لَهم السُّلْطان، فخَيَّمُوا بالمرْج وقَعَدُوا عَن لِقَاء السُّلْطان، وبَعَثُوا إليه بالعَذْلِ في بِطانَتِه، وأنْ يُنْصِفَ نائِبَه مِنهم، فأعْرَضَ عَنْهم، ودَسَّ لمَوالِي أبِيه أنْ يُفارِقُوهم إليه، وأطْلَعُوهم عَلَى كِتَابِه، فَازْدادَ حَنَقُهم، وصَرَّحُوا بالانْتِقَاضِ، وبَعَثَ إليهم سُنْقُرُ الأشْقَرُ وسُنْقُرُ التَّكْرِيتيُّ أسْتَاذاره بالاسْتِعْطَافِ، فَرَدُّوهما، فبَعَثَ أُمَّه بنْتَ بَرَكَة خَان، فلَم يَقْبَلُوها[3].

وَارْتَحَلُوا إلى القَاهِرَة فوصَلُوها في مُحَرَّمِ[4] ثَمانٍ وسَبْعِين، وبالقَلْعَة يَوْمَئِذٍ: عِزُّ الدِّين أيْبَك الأفْرَمُ الصَّالِحيُّ أمِيرُ جانْدار، وعَلاءُ الدِّين أقْطُوان السّاقي، وسَيْفُ

(1) وصل إلى دمشق في خامس ذي الحجة 677 هـ. تاريخ ابن الفرات 7: 116، عقد الجمان 2: 200.

(2) زبدة الفكرة 166 – 167، عقد الجمان 2: 201 - .

(3) زبدة الفكرة 167، تاريخ ابن الفرات 7: 141 - 142.

(4) زبدة الفكرة 169: في شهر ربيع الأول، والأرجح ما ورد بالمتن.

الدّين بلَبَانُ أستَادَار[أ]، فضبَطُوا أبوَابَ القَاهِرَة ومَنعُوهم مِن الدُّخولِ، وتَرَدَّدَت بَيْنَهم المَرَاسَلَة، وخَرَجَ إليهم الأفرَمُ وأقطُوَان ولاجِينُ التُّركَمَانيُّ للحَدِيثِ، فتَقَبَّضُوا عَلَيْهم ودَخلُوا إلى بِيُوتِهم، ثُمّ بَاكَرُوا القَلْعَةَ بالحِصَارِ[1] ومَنَعُوا عَنْها المَاءَ[2].

وَكَانَ السَّعِيدُ ـ بَعْدَ [مُنصَرفِهم][ب] مِنْ دِمَشْق ـ سَارَ فِي بَقِيةِ العَسَاكِرِ، وَاستَنفَرَ الأعْرَابَ، وبَثَّ العَطَاءَ، وَانتَهى إلى غَزّة، فافتَرَقَ عنه الأعْرَابُ واتّبَعَهم النَّاسُ، ثُمّ انتَهى إلى بِلْبِيس ورَأى قِلَّةَ العَسَاكِرِ، فَرَدَّ عَسْكَرَ / [321أ] الشّامِ مَعَ عِزّ الدّين أيْدُمُر الظَّاهِرِيّ إلى دِمَشْق، والنَّائِبُ بِها يَوْمَئِذٍ جَمَالُ الدّين آقُوش، فقَبَضَ عَلَيه، وبَعَثَ بِه إلى الأُمَرَاءِ بِمِصْرَ[3].

ولَمَّا رَحَلَ السَّعِيدُ مِن بِلْبِيس إلى القَلْعَة اعْتَزَلَ عَنه سُنقُرُ الأَشْقَر، وسَارَ الأُمَرَاءُ فِي العَسَاكِرِ لاعْتِرَاضِه دُونَ القَلْعَةِ، وأَلْقَى اللهُ عَلَيه حِجَاباً مِنَ الغُيُومِ المُتَرَاكِمَة فلَم يَهْتَدُوا إلى طَرِيقِه[ج]، وخَلَصَ إلى القَلْعَةِ، وأَطْلَقَ عَلَمَ الدّين سَنْجَرَ الحَلَبِيَّ مِن مَحْبِسِه لِيَسْتَعِينَ بِه[4].

ثُمّ اختَلَفَ عَلَيه بِطَانَتُه وفَارَقَه بعضُهم، فرَجَعَ إلى مُصَانَعَةِ الأُمَرَاءِ بأَنْ يَتْرُكَ لَهم الشَّامَ أَجْمَع، فأَبَوْا إلّا خَلْعَه، فسَأَلَهم أن يُعطُوه الكَرَكَ فأَجَابُوه، وحَلَفُوا لَهُ عَلَى

(أ) سقط من س. (ب) من س، وفي ظ: مصرفهم. (ج) في س: لطريقه.

(1) تنظر أسماء الأمراء الأعيان الذين توافقوا على ذلك واجتمعوا هنالك. زبدة الفكرة 170، الجوهر الثمين 289، عقد الجمان 2: 216 – 218، السلوك 1: 654.

(2) زبدة الفكرة 170.

(3) زبدة الفكرة 171.

(4) زبدة الفكرة 171 - 172، عقد الجمان 2: 220.

[الأمان](أ)، وحلف لهم أن لا ينتقض عليهم، ولا يداخل أحداً من العسكر والعرب، ولا يستميله، فبعثوه من جيبه إلى الكرك، وكتبوا إلى النائب بها علاء الدين أيدكين الفخري أن يمكنه منها، ففعل، واستقر(ب) السعيد بالكرك، وقام بدولته أيدكين الفخري(1).

واجتمع الأمراء بمصر، وعرضوا الملك على الأمير قلاوون، وكان أحق به، فلم يقبل، وأشار إلى سلامش بن الظاهر وهو ابن ثماني سنين(2)، فنصبوه للملك في ربيع [الأول(3) سنة] ثمان وسبعين، ولقبوه بدر الدين(4).

وولي الأمير قلاوون أتابك الجيوش، وبعث [على دمشق سنقر الأشقر نائباً](ج) مكان جمال الدين آقوش، فتسلمها منه، وسار آقوش إلى حلب نائباً، وولى قلاوون في الوزارة برهان الدين الخضر(5) السنجاري، وجمع المماليك الصالحية ووفر إقطاعاتهم، وعمر بهم مراتب الدولة، وأبعد الظاهرية وأودعهم السجون لسعيهم في الفساد، ولم يقطع عنهم رزقاً إلى أن بلغ العقاب فيهم أجله، فأطلقهم تباعا واستقام أمره(6).

(أ) من س، وفي ظ: الآن. (ب) في س: فاستقر. (ج) من س.

---

(1) زبدة الفكرة 171، تاريخ ابن الفرات 7: 144 - 145.

(2) سبع سنين وشهور. زبدة الفكرة 173، عقد الجمان 2: 223.

(3) من زبدة الفكرة 173، عقد الجمان 2: 223، وفي نهاية الأرب 30: 398: ربيع الآخر.

(4) زبدة الفكرة 173، عقد الجمان 2: 222.

(5) في الأصول: الحصرى، والتصويب من زبدة الفكرة 173، نهاية الأرب 31: 12.

(6) زبدة الفكرة 173 - 174.

خَلْعُ سَلامِش، ووِلايةُ المَنصُورِ قلاوُون

أَصْلُ هٰذا السُّلْطان قَلاوُونَ مِن القَفجَاق، ثُمّ مِن قَبِيلَةٍ مِنهم يُعْرَفُون بِبُرج أغْلى، وقد مَرَّ ذِكْرُهم، وكَانَ مَوْلىً لِعَلاءِ الدِّين آقْسُنقُر الكَامِليّ[1]، مَوْلَى الصَّالح نَجْم الدِّين، فلَمَّا مَاتَ عَلاءُ الدِّين صَارَ مِن / مَوَالِي الصَّالح، وانْتَظَمَ في البَحْرِيَّة، فلَمْ [321ب] يَزَلْ معَهم، وكَان مِن أخْبَارِهِم ومَسِيرِهِم إلى الشَّامِ، [ونَفْرَتِهم][أ] واسْتِقَامَتِهِم مَا قَدَّمْنَاه[2]، ثُمّ قَدِمَ إلى مِصْرَ في دَوْلَةِ المظَفَّر قُطُز مَعَ الظَّاهِر بَيْبَرْس، ولَمَّا مَلَكَ الظَّاهِرُ قَرَّبَه وَاختَصَّه وأَصْهَرَ لَهُ[ب]، ثُمّ بَايَعَ لابْنِه السَّعِيدِ مِن بَعْدِه، ولَمَّا اسْتَوْحَشَ الأُمَرَاءُ مِنَ السَّعِيدِ [وخَلَعُوه][ج] رَغِبُوا مِنَ الأَمِيرِ قَلاوُون في الوِلايَةِ عَلَيْهِم، كَمَا قَدَّمْنَاه، فأَبَى، ونَصَّبَ أخَاه سَلامِش بنَ الظَّاهِر، فوَافَقَه الأُمَرَاء عَلَى ذَلك طَوَاعِيةً لَه، وَاتَّصَلَتْ رَغْبَتُهم في وِلايَتِه مُدَّةَ شَهْرَيْنِ حَتَّى أَجَابَهم إلى ذَلِك، فبَايَعُوه في [رَجَبٍ][3] ثَمَانٍ وسَبْعِين[4].

فَقَامَ بالأَمْرِ، ورَفَعَ كَثِيراً مِنَ المُكُوسِ والظُّلامَاتِ، وقَسَّمَ [الوَظَائِف][د] بَيْنَ الأُمَرَاءِ، ووَلَّى جَمَاعَةً مِن مَمَالِيكِه إمْرَةَ الأُلُوفِ وزَادَهم في الإقْطَاعَات، وأَفْرَجَ لِوَقْتِه عَن عِزِّ الدِّين أَيْبَكَ الأَفْرَم الصَّالِحِيّ ووَلَّاه نائِباً بِمِصْرَ، ثُمّ اسْتَعْفَى فأَعْفَاه، وَوَلَّى

(أ) من س، وفي ظ: وتفرقهم. (ب) في س: إليه. (ج) من س، وفي ظ: وحلفوه. (د) من س، وفي ظ: الوضائف.

(1) في نهاية الأرب 31: 7، السلوك 1: 663: العادلي، وينظر الوافي بالوفيات 24: 266.

(2) ينظر ما سبق ص 255.

(3) في الأصول: جمادى، وما أثبتناه من زبدة الفكرة 174، وفيه: في الثاني والعشرين من رجب.

(4) زبدة الفكرة 174، نهاية الأرب 31: 8.

مَكَانَه مَمْلُوكَه حُسَامَ الدِّين طُرُنْطَايْ[1]، ومَمْلُوكَه علَمَ الدِّين سَنْجَر الشُّجَاعِيّ شَدُّ الدَّوَاوين، وأَقَرَّ الصَّاحِبَ بُرهَانَ الدِّين السِّنْجَارِيّ في الوِزَارَة، ثُمّ عَزَلَه بفَخْرِ الدِّين إِبْرَاهِيمَ بنِ لُقْمَان، وبَعَثَ عَن عِزِّ الدِّين أَيْدُمُرَ الظَّاهِرِيّ، الَّذِي كَانَ اعْتَقَلَه جَمَالُ الدِّين آقُوش حِينَ رَجَعَ بعَسَاكِرِ الشَّام عَن السَّعِيدِ بنِ الظَّاهِرِ مِن بِلْبِيس، فَجِيءَ بِه مُقَيَّداً مِن دِمَشْق[2]، وَاعْتَقَلَه بقَلْعَتِه(أ)[3].

انْتِقَاضُ السَّعِيد بن الظَّاهِر بالكَرَك، ووَفَاتُه، ووِلَايَةُ أَخِيه خَضِر مَكَانَه

ولَمَّا مَلَكَ السُّلْطَانُ قَلاوُون، شَرَعَ السَّعِيدُ بالكَرَك، وكَاتَبَ الأُمَرَاءَ بِمِصْر والشَّام، في الانْتِقَاضِ، وخَاطَبَه السُّلْطَانُ بالعِتَابِ عَلَى نَقْضِ العَهْدِ فلم يَسْتَعْتِبْ، وبَعَثَ عَسَاكِرَه مَعَ حُسَامِ الدِّين لَاجِينَ الجَمْدَار إلى الشَّوْبَكِ فَاسْتَوْلَى عَلَيْها.

فبَعَثَ السُّلْطَانُ بَدْرَ الدِّين بَيْلِيك الأَيْدُمُرِيّ في العَسَاكِر فَاسْتَرَدَّها في ذي القَعْدة[4] [سنَةَ] ثَمانٍ وسَبْعِين.

(أ) في س: بقلعة مصر.

(1) في الأصول: قرنطاى، والتصويب مما يلي، وينظر زبدة الفكرة 178، عقد الجمان 2: 230.
(2) ورد أن نائب دمشق قبض على الظاهرى وأرسله إلى الأمراء بمصر، ينظر ما سبق ص 302 .
(3) نهاية الأرب 31: 12 - 13.
(4) في العاشر. نهاية الأرب 31: 25.

وقَارَنَ ذَلِكَ وَفَاةَ السَّعِيدِ بالكَرَكِ[1]، واجْتَمَعَ الأُمَرَاءُ الَّذِينَ بها ومُقَدَّمُهم نَائِبُه [أَيْدُغْدِي الحَرَّانِيُّ[2]، فأَقَامُوا أَخاه مَقَامَه، ولُقِّبَ المَلِكَ المَسْعُودَ][3].

/ وقَالَ النُّوَيْرِيُّ[4][(أ)]: إِنَّ نَائِبَهُ كَانَ أَيْدُغْدِي[(ب)] الحَرَّانِيَّ، فنَصَّبُوا أَخاه خَضِراً [322ا] ولَقَّبُوه المَسْعُودَ نَجْمَ الدِّين، وَاسْتَوْلَى المَوَالِي عَلَى رَأْيِه، وأَفَاضُوا المَالَ مِن غَيْرِ تَقْدِيرٍ ولا حُسْبَان، حَتَّى أَتْلَفُوا مَا كَان بالكَرَكِ مِن الذَّخِيرَة الَّتي ذَخَرَها المَلِكُ الظَّاهِرُ، ودَسُّوا[(ج)] إلى أُمَرَاءِ الشَّامِ في الخِلافِ، وبَعَثُوا العَسَاكِرَ فاسْتَوْلَوْا عَلَى الصَّلْتِ، وحَاصَرُوا صَرْخَدَ فامْتَنَعَتْ، وكَاتَبُوا سُنْقُرَ الأَشْقَرَ في التَّظَاهُر عَلَى الخِلاف.

فَجَهَّزَ السُّلْطَانُ أَيْبَك الأَفْرَمَ في العَسَاكِرِ لِحِصَارِ الكَرَك، فحَاصَرَها وضَيَّقَ عَلَيها، ثُمَّ سَأَلَ المَسْعُودَ في الصُّلحِ عَلَى مَا كَانَ النَّاصِرُ دَاوُدُ بنُ المعَظَّم، فأَجَابَه السُّلْطَانُ قَلاوُون وعَقَدَ لَه ذَلِكَ[5]، ثُمَّ انْتَقَض [ثَانِيَةً][(د)] ونَزَعَ عَنه [نَائِبَه][(هـ)] علاءُ الدِّين أَيْدُغْدِي الحَرَّانِيُّ إلى السُّلْطَان، فَصَدَّقَ ما نُقِلَ عَنه مِنَ[(و)] ذَلِكَ. ثُمَّ بَعَثَ

(أ) في س: التوريزى. (ب) في س: ايدبكين. (ج) في س: حتى دسوا. (د) من س، وفي ظ: نائبه.
(هـ) من س، وفي ظ: نيابة. (و) في س: في.

---

(1) يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذي القعدة 678 هـ. عقد الجمان 2: 232.
(2) في الأصول: ايدكين الفخرى، والتصويب من زبدة الفكرة 179، وينظر نهاية الأرب 31: 26، عقد الجمان 2: 233.
(3) إضافة من زبدة الفكرة 180، وهي المصدر لتوضيح النصّ.
(4) نهاية الأرب 31: 26 – 27، مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(5) في زبدة الفكرة 194: فلم يجبه السلطان إلى ذلك، ولا إلى الإقامة في الكرك، بل يقول لهم في جواب كل رسالة: أنا أعطيكم قلعة غير الكرك فلما تقرر الصلح مع سنقر الأشقر خافوا الغائلة.... فأجابوا إلى طاعة السلطان على أن يبقيهم بالكرك... فأجاب إلى ذلك في العشر الأول من شهر ربيع الأول 680 هـ. وينظر تاريخ ابن الفرات 7: 210، وما يلي ص 314.

السُّلْطَانُ سَنَةَ خَمْسٍ وثَمَانِينَ نَائِبَه حُسَامَ الدِّين طُرُنْطَاي في العَسَاكِرِ لِحِصَارِ الكَرَك، فَحَاصَرَها، وَاسْتَنْزَلَ المَسْعُودَ وأَخَاه سَلامِش مِنْها عَلَى الأَمَان(1)، ومَلَكَها، وجَاءَ بِهِمَا إلى السُّلْطَانِ قَلاوُون، فأَكْرَمَهُمَا(2) وخَلَطَهُمَا بِوَلَدِه إلى أن تُوفِّي فغَرَّبَهُمَا الأَشْرَفُ إلى القُسْطَنْطِينة(3).

انتِقَاضُ سُنْقُرَ الأَشْقَرِ بِدِمَشْقَ وهَزِيمَتُه ثُمَّ امْتِنَاعُهُ بِصِهْيَوْنَ

كَانَ شَمْسُ الدِّين سُنْقُر الأَشْقَرُ لَمَّا اسْتَقَرَّ في نِيَابَة دِمَشْق، أَجْمَعَ الانْتِقَاضَ والاسْتِبْدَادَ، وتَسَلَّم القِلاعَ مِن الظَّاهِرِية، وَوَلَّى فِيها مِنْ قِبَلِه، وطَالَبَ المَنْصُورَ قَلاوُون في دُخُولِ مَمَالِكِ الشَّامِ بأَسْرِها مِن العَرِيش إلى الفُرَاتِ في وِلايَتِه، وزَعَمَ أَنَّه عَاهَدَه عَلَى ذَلِك.

وَوَلَّى السُّلْطَانُ عَلَى قَلْعَةِ دِمَشْق مَوْلاه حُسَامَ الدِّين لاَجِين الصَّغِير السِّلَحْدَار في ذِي الحِجَّة [سنةَ] ثَمَانٍ وسَبْعِين، فَنَكِرَ ذَلِك سُنْقُر وانْتَقَضَ ودَعَا لنَفْسِه، ثُمَّ بَلَغَه خَبَرُ قَلاوُون وجُلُوسُهُ عَلَى التَّخْتِ، فَدَعَا الأُمَرَاءَ وأَشَاعَ أَنَّ قَلاوُونَ [322ب] قُتِلَ، وَاسْتَحْلَفَهم عَلَى بَيْعَتِه، وحَبَسَ مَنِ امْتَنَعَ مِنَ اليَمِين، وتَلَقَّبَ / الكَامِلَ، وذَلِك في ذِي الحِجَّة(4) مِن السَّنَة، وقَبَضَ عَلَى لاَجِينَ نَائِبِ القَلْعَة، وجَهَّزَ سَيْفَ الدِّين

---

(1) وذلك في صفر سنة خمس وثمانين وستمائة. نهاية الأرب 31: 29.

(2) وأمّر كلاً منهما إمرة مائة فارس. زبدة الفكرة 255، نهاية الأرب 31: 29.

(3) ينظر زبدة الفكرة 194، 254 – 255، نهاية الأرب 31: 28 – 29، ويقارن بما يلي ص 320.

(4) في نهاية الأرب 31: 14: في الرابع والعشرين. في زبدة الفكرة 179: في الرابع والعشرين من ذي القعدة.

بلْبَان إلى المَمَالِكِ الشَّامِيَّة والقِلاعِ للاسْتِخْلاف، وولّى في وِزارَة الشَّامِ مجْد الدّين إسْمَاعِيل بن الكُسَيْرَات، وسَكَنَ سُنْقُر بالقَلْعَة(1).

ثُمّ بَعَثَ السُّلْطَانُ أيْبَك الأفْرَمَ بالعَسَاكِرِ إلى الكَرَكِ لَمّا تُوفّي السَّعِيدُ صَاحِبُها، وَانْتَهى إلى غزَّة، وَاجْتَمَعَ عَلَيْه[أ] بَيْلِيك الأيْدَمُرِيُّ مُنْقَلِبًا مِن الشَّوْبَك بَعْدَ فَتْحِه، فَحَذَّرَهم سُنْقُر الأشْقَرُ، وخَاطَبَ الأفْرَمَ يُنْحِي عَلَى السُّلْطَانِ قَلاوُون في أنّه لَم يُفْرِدْه بإمَارَة الشَّام، وولّى في قَلْعَة دِمَشْقَ وفي حَلَب.

وبَعَثَ الأفْرَمُ بالكِتَابِ إلى السُّلْطَانِ قَلاوُونَ فأجَابَه، وتَقَدَّمَ إلى الأُمَرَاءِ بِمِصْرَ أنْ يُكَاتِبُوه بالعَذْلِ فِيمَا ارْتَكَبَه، فَلَم يَرْجِعْ عَن شَأْنِه، وجَمَعَ العَسَاكِرَ مِن عِمَالاتِ[ب] الشَّامِ، واحْتَشَدَ العُرْبَانَ وبَعَثَهم مَعَ قَرَاسُنْقُر المِعِزّي إلى غَزَّة فلَقِيَهم الأفْرَمُ وأصْحَابُه وهَزَمُوهم، وأسَرُوا جَمَاعَةً مِن أُمَرَائِهم، وبَعَثُوا بهم إلى السُّلْطَانِ قَلاوُون، فأطْلَقَهم وخَلَعَ عَلَيْهم(2).

ولَمَّا وَصَلَتِ العَسَاكِرُ مَفْلُولَةً إلى دِمَشْقَ عَسْكَرَ سُنْقُرُ الأشْقَرُ بالمَرْج، [وكَاتَبَ][ج] الأُمَرَاءَ بغَزَّة يَسْتَمِيلُهم، وبَعَثَ السُّلْطَانُ العَسَاكِرَ مِن مِصْرَ مَعَ عَلَم الدّين سَنْجَر الحَلَبِيّ وبَدْرِ الدّين بِكْتَاش الفَخْرِيّ السّلحْدَار، فَسَارُوا إلى دِمَشْق، فلَقِيَهم سُنْقُرُ الأشْقَرُ عَلَى الجِسْرِ بالكِسْوَةِ فهَزَمُوه في صَفَر تِسْعٍ وسَبْعِين، وتَقَدَّمُوا إلى دِمَشْقَ فَمَلَكُوها، وأطْلَقَ عَلَمُ الدّين سَنْجَرُ لاجِينَ المَنْصُورِيَّ مِنَ الاعْتِقَالِ

(أ) في س: إليه. (ب) في س: من أمراء. (ج) من س، وفي ظ: وكانت.

(1) نهاية الأرب 31: 14 - .

(2) زبدة الفكرة 181 - 182، نهاية الأرب 31: 16 - 17، تاريخ ابن الفرات 7: 167 - 168.

ووَلاهُ نِيَابَةَ دِمَشْق[1]، وَوَلّى عَلَى القَلْعَةِ سَيْفَ الدِّين قَجْقَارَ المَنْصُورِيّ، وكَتَبَ إلى السُّلْطَانِ بالفتح[2].

وسَارَ سُنقُر إلى الرَّحْبَةِ فَامْتَنَعَ عَلَيْه نائِبُها، فَسَارَ إلى عِيسَى بن مُهَنّا، ورَجَعَ عَنه أكْثَرُ الفَلّ، وكَاتَبُوا أبْغَا مَلِكَ الطَّطَرِ واسْتَحَثُّوه للشَّامِ، وكَتَبَ إليه السُّلْطَانُ يَسْتَمِيلُه، فلَمْ يُجِبْ، فبَعَثَ إليه العَسَاكِرَ فأجْفَلُوا إلى صِهْيَوْنَ ومَلَكَها سُنقُر، ومَلَكَ مَعَها شَيْزَر[3].

وبَعَثَ السُّلْطَانُ العَسَاكِرَ لِحِصَارِ شَيْزَر مع عِزِّ الدِّين الأَفْرَم فَحَاصَرَها[4].

وجَاءَتِ / الأَخْبَارُ[5] بِزَحْفِ أبْغَا مَلِكِ الطَّطَرِ إلى الشَّامِ في مُوَاعَدَةِ سُنقُر وابنِ مُهَنّا، وأنَّه اسْتَدْعَى صمْغَار، صَاحِبَ بِلادِ الرُّوم، فِيمَنْ مَعَه مِنْ عَسَاكِرِ المُغُلِ، وبَعَثَ بَيْدُو ابنَ أخِيه [طُرْغَاي][6] وصَاحِب مَارِدِين [وصَاحِبَ آمِد][7] وصَاحِبَ [323 ا]

(1) تقررت نيابة السلطنة... للأمير بدر الدين بكتوت العلائى.... إلى أن يأتى مرسوم السلطان.... الذي ورد في 11 ربيع الأول 679 هـ، بتقليد الأمير حسام الدين لاجين الصغير نيابة السلطنة بدمشق، وتقليد الأمير بكتوت بشد الدواوين: ينظر تاريخ ابن الفرات 7: 171، 173، 175 – 176.

(2) زبدة الفكرة 182 – 183، نهاية الأرب 31: 18 – 20.

(3) زبدة الفكرة 184، وينظر تاريخ ابن الفرات 7: 172، عقد الجمان 2: 246 – 247.

(4) زبدة الفكرة 185.

(5) في تاريخ ابن الفرات 7: 185: وردت الأخبار بذلك إلى الشام في أوائل جمادى الآخرة 679 هـ، وينظر عقد الجمان 2: 248 – 254، صبح الأعشى 7: 187 – 190.

(6) في الأصول: طرغان، وانظر زبدة الفكرة 185، وتاريخ ابن الفرات 7: 185، وكذا في السلوك 1: 681.

(7) من زبدة الفكرة 185.

سِيسَ مِن نَاحِيةِ أَذْرَبِيجَان، وجَاءَ [هُوَ][أ] عَلَى طَرِيقِ الشَّـام، وفي مُقَدِّمَتِه أَخُـوه مُنكُوتَمُر[1].

فلَمَّا تَواتَرَتِ الأَخْبَارُ بذَلِك أفرَجَ الأَفْـرَمُ عَن حِصَارِ شَيْزَر، ودَعَا الأَشْقَرَ إلى مُدَافَعَةِ عَدُوّ المسْلِمِين، فأَجَابَه ورَجَعَ عَن مُوَالاةِ أَبْغَا، وسَارَ مِن صَهْيُون للاجْتِمَاعِ بعَسَاكِرِ المسْلِمِين[2].

وجَمَعَ السُّلْطَانُ العَسَاكِرَ بمِصْرَ وسَارَ إلى الشَّام، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مِصْرَ ابْنَه أبَا الفَتْحِ عَلِيّاً بَعْدَ أَنْ وَلاَّه عَهْدَه، وكَتَبَ لَه[ب]، وقُرِىءَ كِتَابُه[3] بذَلِك عَلَى النَّاسِ، وخَرَجَ بِجَمِيعِ العَسَاكِرِ في جُمَادَى [الآخِرة[4] سنَةَ] تِسْعٍ وسَبْعِين، وَانْتَهَى إلى غَزَّة، ووَصَلَ الطَّطَرُ إلى حَلَبَ، وقَدْ أَجْفَلَ عَنها أَهْلُها وأَقْفَرَتْ مَنازِلُها، فأَضْرَمُوا النَّارَ في بُيُوتِها ومَسَاجِدِها، وتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِك صَاحِبُ سِيسَ والأَرْمن.

وبَلَغَهم وصُولُ السُّلْطَانِ إلى غَزَّةَ، فأَجْفَلوا عَائدِينَ إلى بِلادِهِم، وعَادَ السُّلْطَان إلى مِصْرَ بَعْدَ أَنْ جَهَّزَ[ج] العَسَاكِرَ إلى حِمْص وبِلادِ السَّوَاحِل لِحِمَايَتِها مِن الفِرنْج[5].

(أ) من س، وفي ظ: هوا. (ب) سقط من س. (ج) في س: جرد.

---

(1) زبدة الفكرة 185، نهاية الأرب 31: 21 – 24.

(2) زبدة الفكرة 185، وينظر تاريخ ابن الفرات 7: 208 - 209.

(3) تنظر نسخة التقليد في زبدة الفكرة 185 – 188، تاريخ ابن الفرات 7: 187 – 190.

(4) من زبدة الفكرة 189.

(5) المصدر نفسه 185، 189.

ورَجَع سُنقُرُ الأشقَرُ إلى صِهْيَون، وفارَقَه كثيرٌ مِن عَسكَرِه فلَحِقُوا بالسُّلْطَان، وأقامَ مَعَه سَنجَرُ الدَّوَادَار وعزُّ الدِّين أزدُمُرُ والأُمَرَاءُ الذين أمْكَنُوه مِن قِلاعِ الشَّام عِنْدَ انتِقَاضِه[1].

مَسيرُ السُّلطَانِ لحِصَارِ المرْقَبِ ثُمَّ الصُّلحُ مَعَهم ومعَ سُنقُرَ الأشقَرِ بصِهْيَون ومعَ بَني الظَّاهِرِ بالكَرَك

كَانَ الفِرنْجُ الذِين بحِصْنِ المرْقَبِ عندَمَا بَلَغَهم هُجُومُ الطَّطَرِ عَلَى الشَّامِ بَثُّوا الغَارَاتِ في بِلادِ المسْلِمِينَ مِن سَائِرِ النَّوَاحِي، فلَمَّا رَجَعَ الطَّطَرُ عَن الشَّام اسْتَأْذَنَ بَلَبَان الطَّبَّاخِيُّ، نَائِبُ [السَّلْطَنَة بِـ][2] حِصْنِ الأكْرَادِ في غَزْوِهم، وسَارَ إلَيْهم في حَامِيَةِ الحصُونِ بنَوَاحيه، وجُمُوعِ التُّركُمَان، وبَلَغَ حِصْنَ المرْقَب ووَقَفَ أسْفَلَه، وَاسْتَطْرَدَ لَهُ أَهلُ الحِصْن / [323 ب] حَتَّى تَوَرَّط [في](ا) أوْعَارِ الجبَل، ثُمَّ هَجَمُوا عَلَيْه دَفْعَةً فَانْهَزَم ونَالُوا مِن المسْلِمِين[3].

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلْطَان، فخَرَجَ مِن مِصْرَ لِغَزْوِهم آخِرَ[4] تِسْعٍ وسَبْعِين، وَاسْتَخْلَفَ ابنَه مَكَانَه، وانْتَهَى إلى الرَّوْحَاء، فَوَافَتْه هُنَالِكَ رُسُلُ الفِرنْج في تَقْرِير

(ا) من س، وفي ظ: من.

---

(1) زبدة الفكرة 189.

(2) إضافة للتوضيح من المصدر نفسه 189، وينظر تاريخ ابن الفرات 7: 195.

(3) زبدة الفكرة 189 - 190، تاريخ ابن الفرات 7: 195.

(4) في زبدة الفكرة 190: في مستهل ذي الحجة، وينظر تاريخ ابن الفرات 7: 195.

الهُدْنَة مع أهْلِ المَرْقَب عَلَى أن يُطْلِقُوا مَنْ أَسَرُوه مِنَ المسْلِمِينَ في وَاقِعَةِ بَلَبْان، فعَقَدَ لَهم في مُحَرَّمِ ثمانِين[1].

وعَقَدَ لصَاحِبِ بَيْتِ الإسْبِتَار وابْنِه، ولصَاحِبِ طَرَابُلُس بَيْمُنْد بن بَيْمُنْد، ولصَاحِبِ عَكَّا عَلَى بِلادِهِم، وعَلَى قِلاعِ الإسْمَاعِيلِيَّة، وعَلَى جَمِيعِ البِلادِ المُسْتَجَدَّةِ الفَتْحِ ومَا سَيَفْتَحُه، عَلَى أن يَسْكُنَ عُمَّالُ المسْلِمِينَ باللاذِقِيَّة، وأن لا يَسْتَجِدُّ الفِرِنْجُ قَلْعَةً ولا غَيْرَها، ولا يُدَاخِلُوا الطَّطَرَ في فِتْنَة، ولا يَمُرُّوا عَلَيْهِم إلى بِلادِ المسْلِمِين، إنْ أطَاقُوا ذَلك، وعَقَدَ مَعَهم ذَلِكَ لإحْدَى عَشْرَةَ سَنَة[2]، وبعَثَ السُّلْطَانُ مِن أُمَرَائِه مَنْ يَسْتَحْلِفُ الفِرِنْجَ عَلَى ذَلك[3].

وبَلَغَه الخَبَرُ بأنَّ جَمَاعَةً مِن أُمَرَائه أجْمَعُوا الفَتْكَ به، ودَاخَلُوا الفِرِنْجَ في ذَلك، وكَانَ كَبِيرَهم كُونْدَك، فلَمَّا وَصَلَ إلى بَيْسَانَ تَقَبَّضَ عَلَيه وعَلَيْهِم، وقَتَلَهم، واسْتَرَابَ مَن دَاخَلَهم في ذَلك ولَحِقُوا بسُنْقُرَ الأشْقَرِ في صَهْيُون، ودَخَلَ السُّلْطَانُ إلى[أ] دِمَشْق، وبَعَثَ العَسَاكِرَ لِحِصَارِ شَيْزَرَ مَعَ عِزِّ الدِّين الأفْرَم[4].

ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَه وبَيْنَ الأشْقَرِ في الصُّلْحِ عَلَى أن يَنْزِلَ [عَن][ب] شَيْزَر ويَتَعَوَّضَ عنها بالشُّغْر وبَكَاس، وعَلَى أن يَقْتَصِرَ في حَامِيَةِ الحُصُونِ الّتي لِنَظَرِه عَلَى

(أ) سقط من س. (ب) من س، وفي ظ: على.

---

(1) زبدة الفكرة 191، وينظر تاريخ ابن الفرات 7: 204 - 206.

(2) في تاريخ ابن الفرات 7: 204: لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أول ذلك يوم السبت ثانى عشر المحرم.

(3) زبدة الفكرة 191.

(4) زبدة الفكرة 192 - 193، ينظر تاريخ ابن الفرات 7: 206 - 207، عقد الجمان 2: 263 - 264.

سِتّ مِائَة مِن الفُرْسَانِ فَقَط، ويَطْرُدَ عنه الأُمَرَاءَ الّذين لَجَئُوا بِه، فَتَمَّ الصُّلحُ عَلى ذَلك، وكَتَب لَه التَّقْلِيدَ بِتِلْك الأَعْمَال، ورَجَعَ مِن عِنْدِه سَنْجَرُ الدُّوَادَار، فأَحْسَنَ إليه السُّلْطَان، ووَلّى عَلى نِيَابَةِ شَيْزَر بَلَبَان الطُّبَّاخِي[1].

وكَان بَنُو الظَّاهِر بالكَرَك يَسْأَلُونَ السُّلْطَانَ في الصُّلح بالزِّيَادَةِ عَلى الكَرَك كَما كَان السُّلْطَانُ دَاوُد، فلَمَّا تَمّ الصُّلحُ مَعَ سُنقُر رَجَعُوا إلى القُنُوعِ بالكَرَك، وبَعَثَ إليهمُ السُّلْطَانُ بأَقَارِبهم مِن القَاهِرَة، فأَتَمَّ لَهم العَقْدَ عَلى ذَلك، وبَعَثَ الأَمِيرَ [بَدْرَ الدِّين بَيْلِيك المُحسِنِيّ][2] سِلحْدَار، والقَاضِيَ تَاجَ الدِّين بنَ الأَثِير لاسْتِحْلافِهم[3].

[324أ] وَاقِعَةُ الطَّطَرِ بِحِمْصَ ومَهْلِكُ أَبْغَا / سُلْطَانِهِم بِأَثَرِها

ثُمّ زَحَفَ الطَّطَرُ سَنَةَ ثَمانِينَ إلى الشّام مِن كُلّ نَاحِيَةٍ مُتَظَاهِرِين، فَسَارَ أَبْغَا في عَسَاكِرِ المُغُلِ وجُمُوعِ الطَّطَرِ، وَانْتَهَى إلى الرَّحْبَة فحَاصَرَهَا ومَعَه صَاحِبُ مَارِدِين، وقَدَّم أَخَاه مَنْكُوتَمُر في العَسَاكِرِ إلى الشّام، وجَاءَ صَاحِبُ الشَّمَال مَنْكُوتَمُر، مِن بَنِي دُوشِي خَان مِن كُرْسِيِّهم بصَرَاي(أ)، مُظَاهِراً لأبْغَا بنِ هُولاوُو عَلى الشّام، فَمَرّ بالقُسْطَنطِينَة، ثُمّ نَزَلَ بَيْنَ قَيْسَارِيّة والبِلِسْتِين، ثُمّ سَارَ إلى مَنْكُوتَمُر ابنِ هُولاوُو، وتَقَدَّم مَعَه إلى الشّام.

(أ) في س: بصراى.

---

(1) زبدة الفكرة 193، تاريخ ابن الفرات 7: 209، عقد الجمان 2: 267 - 268.

(2) من زبدة الفكرة 194.

(3) زبدة الفكرة 194.

وخرَجَ السُّلْطَانُ مِن دِمَشْق في عَسَاكِرِ المسْلِمِين وسَاقَهم إلى حِمْص، ولَقِيَه هُنَالِكَ سُنْقُرُ الأشْقَرُ فيمَنْ معَه مِن أمَـرَاءِ الظَّاهِرِيَّة، وزَحَفَ الطَّطَرُ ومَنْ معَهم [مِن][أ] عَسَاكِرِ الرُّوم والفِرِنْج والأرْمَنِ والكُرْج، ثَمَانونَ ألفاً أو يَزِيدُون، والتَقَى الفَرِيقَانِ عَلَى حِمْص[1].

وجَعَلَ السُّلْطَانُ في مَيْمَنَتِه صَاحِبَ حَمَاةَ المَنْصُورَ مُحَمَّدَ بنَ المُظَفَّر، ونَائِبَ دِمَشْقَ لاجِينَ السِّلَحْدَار، وعِيسَى بنَ مُهَنَّا فيمَنْ إليه مِن العَرَب، وفي المَيْسَـرَةِ سُنْقُرَ الأشْـقَرَ في الظَّاهِرِيَّة مع جُمُوعِ التُّرْكُمَانِ ومَنْ إليهم، وجَمَاعَةً مِنْ أمَرَائِه[2]، وفي[ب] القَلْبِ نَائِبَه حُسَامَ الدِّين طُرُنْطَاي، والحَاجِبَ رُكْنَ الدِّين أبَاجِي[3] وجُمْهُورَ العَسَاكِرِ والمَمَالِيك، ووَقَفَ السُّلْطَانُ تَحْتَ الرَّايَاتِ في مَوَالِيه وحَاشِيَتِه[4]، ووَقَفَت عَسَاكِرُ الطَّطَرِ كَرَادِيس، وذَلِكَ مُنْتَصَفَ[5] رَجَبِ ثَمَانِين، واقْتَتَلُوا، ونَزَلَ الصَّبْرُ، ثُمَّ انْفَضَّت مَيْسَرَةُ المسْلِمِينَ واتَّبَعَهُمُ الطَّطَر، وانْفَضَّت مَيْسَرَةُ الطَّطَرِ ورجَعُوا عَلَى مَلِكِهم مَنْكُوتَمُرَ[6] في القَلْبِ فانْهَزَمَ، ورَجَعَ الطَّطَرُ [مِنَ][ج] اتِّبَاعِ مَيْسَرَةِ المسْلِمِينَ فَمَرُّوا بالسُّلْطَانِ وهُوَ ثَابِتٌ في مَقَامِه لَم يَبْرَح، ورَجَعَ أهْلُ المَيْسَرَة[7].

(أ) من س، وفي ظ: في.   (ب) في س: في.   (ج) من س، وفي ظ: في.

---

(1) زبدة الفكرة 195 - 196.

(2) المصدر نفسه 197، تاريخ ابن الفرات 7: 215، عقد الجمان 2: 273.

(3) في نهاية الأرب 31: 81، تاريخ ابن الفرات 7: 216، السلوك 1: 692: أباجى، وينظر الوافي بالوفيات 9: 475، وفيه: أباجي.

(4) زبدة الفكرة 197، تاريخ ابن الفرات 7: 216، عقد الجمان 2: 274.

(5) يوم الخميس رابع عشر رجب. زبدة الفكرة 196، وينظر عقد الجمان 2: 272 .

(6) [الملك هو أبغا كما تقدم في أول الفقرة، ومنكوتمر هذا أخوه].

(7) زبدة الفكرة 196 – 197.

ونَزَلَ السُّلْطَانُ في خِيَامِه، ورَحَلَ مِن الغَدِ في اتِّبَاعِ العَدُوِّ، وأوْعَزَ إلى الحُصُونِ الَّتي في نَاحِيَةِ الفُرَاتِ بِاعْتِرَاضِهِم عِنْدَ المَعَابِرِ، فَعَدَلُوا عَنْها، وخَاضُوا الفُرَاتَ في المَجَاهِلِ فَغَرِقُوا، ومَرَّ بَعْضُهم بِدَرْبِ سَلَمِيَّة فَهَلَكُوا بالقَفْرِ، وانْتَهَى الخَبَرُ إلى أَبْغَا عَلَى الرَّحْبَة فأجْفَلَ إلى بَغْدَاد[1].

[324ب] وصَرَفَ السُّلْطَانُ العَسَاكِر / إلى أمَاكِنِهم، وسَارَ سُنْقُر الأشْقَرُ إلى مَكَانِه بِصِهْيَون، وتَخَلَّفَ عنه كَثِيرٌ مِن الظَّاهِرِيَّة عندَ السُّلْطَان، وعَادَ السُّلْطَانُ إلى دِمَشْق، ثُمَّ إلى مِصْرَ آخِرَ شَعْبَان[2] مِن السَّنَة، فبَلَغَه الخَبَرُ بِمَهْلِكِ مَنْكُوتَمُر بن هُولاوُو بِهَمَذَان، ومَنْكُوتَمُر صَاحِبُ الشَّمَال بِصَرَاي، فكَانَ ذَلكَ تَمَاماً للفَتْح[3].

ثُمَّ هَلَكَ أبْغَا بَعْدَهُما سَنَة إحْدَى وثَمَانِين، وكَان سَبَبُ مَهْلِكِه فِيمَا يُقَال أنَّه اتَّهم شَمْسَ الدِّين الجُوَيْنيّ وزِيرَه باغْتِيَالِ أخِيه مَنْكُوتَمُر مُنْصَرَفَهُ مِن وَاقِعَةِ حِمْص، فقَبَضَ عَلَيْه وَامْتَحَنَه وَاسْتَصْفَاه(أ)، فَدَسَّ له الجُوَيْنيُّ مَن سَمَّه، ومَاتَ[4].

وكَانَ أبْغَا اتَّهَمَ باغْتِيَالِ أخِيه أيضاً أمِيراً مِنَ المُغْلِ كَانَ شِحْنَةً بالجزِيرَة[5]، فَفَرَّ مِنها وأقَامَ مُشَرَّداً. وبَعَثَ السُّلْطَانُ قَلاوُونُ بَعْثاً إلى نَاحِيَةِ المَوْصِلِ للإغَارَةِ عَلَيها،

(أ) في س: واستصفى أمواله.

(1) زبدة الفكرة 200، تاريخ ابن الفرات 7: 221.

(2) الثاني والعشرين من شعبان. زبدة الفكرة 207، تاريخ ابن الفرات 7: 227.

(3) زبدة الفكرة 213، 227.

(4) المصدر نفسه 213، 217 – 218.

(5) هو: مؤمن آغا: في زبدة الفكرة 215، ونهاية الأرب 27: 399.

وانتَهَوْا إلى [سِنجار][1] فصَادَفُوا هذا الأمِير، وجَاءُوا به إلى السُّلطَانِ فحَبَسَه، ثُمّ أطلَقَه وأثبَتَ اسْمَه في الدِّيوان، وكَان يُحَدِّثُ[2] بكَثِيرٍ مِن أخبَارِ الطَّطَرِ، وكُتِبَ بعضُها مِنه[3].

وبَعَثَ السُّلطَانُ في هَذه السَّنةِ[4] بُعُوثاً أُخرى إلى نَواحِي سِيس مِن بِلادِ الرُّومِ جَزاءً بِما كَانَ مِن الأرْمَنِ في حَلَبَ ومَسَاجِدِها، فَاكْتَسَحُوا تِلْكَ النَّوَاحِيَ، ولَقِيَهم بعضُ أُمَرَاءِ الطَّطَرِ كانَ هُناكَ فهَزَمُوه، ووصَلُوا إلى جِبَالِ بَلْغَر ورَجَعُوا غَانِمِين[5].

وبَعَثَ السُّلطَانُ [شَمْسَ الدِّين][أ] قَرَاسُنقُرَ المَنصُورِيَّ عَلَى حَلَبَ لإصْلاحِ مَا خرَّبَ الطَّطَرُ مِن قَلْعَتِها وجَامِعِها، فأعَادَ ذَلكَ إلى أحْسَنِ مَا كَانَ عَلَيْه[6].

ثُمّ أَسْلَمَ مُلُوكُ الطَّطَرِ، فبَعَثَ أوَّلاً تَكُدارُ بنُ هُولاوُو، صَاحِبُ العِرَاقِ، بإسْلامِه، وأنَّه [تَسَمَّى][ب] أحْمَد، وجَاءَت رُسُلُه بذَلكَ إلى السُّلطَان، وهم: شَمْسُ الدِّين أتَابِك مَسْعُودُ بنُ كيكَاوس، صَاحِبُ بِلادِ الرُّوم، وقُطْبُ الدِّين مَحْمُودٌ الشِّيرَازِيُّ قَاضِي سِيواس، وشَمْسُ الدِّين [مُحمدُ][ج] بنُ الصَّاحِب مِن حَاشِيَةِ

(أ) من س. (ب) من س، وفي ظ: يسمى. (ج) من س.

(1) في الأصول: سنجر، وانظر زبدة الفكرة 215.

(2) وهو الذي حدثني بمقتل منكوتمر وما جرى له. زبدة الفكرة 216.

(3) زبدة الفكرة 213، 215 – 216، وينظر نهاية الأرب 27: 399 -340.

(4) سنة 681 هـ: في زبدة الفكرة 216.

(5) زبدة الفكرة 215 - 216.

(6) وكان نجازه في سنة 682 هـ. زبدة الفكرة 217.

صَاحِبِ مَارِدِين، وكَانَ كِتَابُه مُؤرَّخاً بِجُمَادى [الأولى[1] سنةَ] إحْدَى وثَمانِين، وحُمِلُوا عَلَى الكَرَامَة، وأُجِيبَ سُلْطَانُهم بِمَا يُنَاسِبُه[2].

ثُمّ وصَلَ رَسُولُ تَدَان بنِ طُغَان، المُتَوَلِّي بِكُرْسِيّ الشَّمَال بعْدَ أخِيه مَنْكُوتَمُر [325 ا] سَنَةَ اثْنَتَيْن وثَمانِين / يُخْبِرُ بولايَتِه ودُخُولِه فِي دِينِ الإسْلام، ويَطْلُبُ تَقْلِيدَ الخَلِيفَة واللَّقَبَ مِنْه، والرَّايَةَ للجِهَاد فِيمَنْ يَلِيه مِن الكُفَّارِ، فأُسْعِفَ بذَلِك[3].

اسْتِيلاءُ السُّلْطَانِ قَلاوُونَ عَلَى الكَرَكِ وعَلَى صِهْيَوْن، ووَفَاةُ صَاحِبِ حَمَاة

ثُمّ تُوفِّي المَنْصُورُ مُحَمَّدُ[4] بنُ المظَفَّر، صَاحِبُ حَمَاة، فِي شَوَّالِ [ثَلاثٍ][5] وثَمَانِين، ووَلَّى السُّلْطَانُ ابنَه المظَفَّرَ [محموداً][6] مَكَانَه، وبَعَثَ بالخِلَع لَه ولأقَارِبِه[7].

---

(1) من زبدة الفكرة 222.

(2) نص الرسائل المتبادلة في زبدة الفكرة 219 - 226، وهناك رسالة ثانية لم يتم الرد عليها لوفاة السلطان أحمد قبل وصول رسالته، ينظر زبدة الفكرة 242 – 243، عقد الجمان 2: 297 – 301.

(3) زبدة الفكرة 234، عقد الجمان 2: 301 .

(4) في المختصر المطبوع 4: 18: أحمد، وهو خطأ.

(5) في الأصول: ثنتين، وكذا في زبدة الفكرة 246، والتصويب من المختصر 4: 18، الوافي بالوفيات 5: 11، البداية والنهاية 17: 596، تذكرة النبيه 1: 88، كنز الدرر 8: 265، وينظر عقد الجمان 2: 314.

(6) من المختصر 4: 18.

(7) زبدة الفكرة 246، المختصر 4: 18 - 19.

وسَارَ السُّلْطَانُ قَلاوُونُ إلى الشَّام في رَبيع [الأوَّل[1] سنةَ] ثلاثٍ[2] وثمانِين لِمُحَاصَرةِ المَرْقَبِ بمَا فَعَلُوه مِن مُمَالأةِ العَدُوّ، فَحَاصَرَه حتّى اسْتَأْمَنُوا إليه، ومَلَكَ الحِصْنَ مِن أيْدِيهم، وانتَظَرَ وصُولَ سُنقُرَ الأشْقَرِ مِن صِهْيَوْن، ولَم يَصِلْ، فَرَجَعَ إلى مِصْر[3].

وجَهَّزَ النَّائِبُ حُسَامُ الدِّين طُرُنْطَاي في العَسَاكِرِ لِحِصَارِ الكَرَك بِمَا وَقَعَ مِن سَلامِش وخَضِر مِنَ الانْتِقَاض، فَسَارَ سَنَةَ خَمْسٍ وثَمَانِين، وحَاصَرَهم حَتّى اسْتَأْمَنُوا، وجَاءَ بهم إلى السُّلْطَان، فَرَكِبَ لِلِقَائِهم وبَالَغَ في إكْرَامِهم. ثُمّ سَاءَت سِيرَتُهم، وَاسْتَرَابَ بِهِم وَاعْتَقَلَهم وبَعَثَ بهم إلى القُسْطَنْطِينَة[4].

ووَلَّى عَلَى الكَرَكِ عِزَّ الدِّين أَيْبَكَ المَنْصُورِيَّ، وبَعْدَه بَيْبَرْس الدَّوادَار، مُؤَلِّفُ أخْبَارِ التُّرْك[5].

ثُمّ جَهَّزَ السُّلْطَانُ ثَانِياً النَّائِبَ طُرُنْطَاي بالعَسَاكِرِ لِحِصَارِ سُنْقُر الأشْقَر بصِهْيَون، لانْتِقَاضِه وإغَارَتِه عَلَى بِلادِ السُّلْطَان، فَسَارَ لِذَلِك سَنَةَ سِتٍّ وثَمَانِين[6]،

---

(1) من زبدة الفكرة 252.

(2) في زبدة الفكرة 252: أربع.

(3) زبدة الفكرة 252 - 253.

(4) وبقيا في الاعتقال إلى أيام ولده الأشرف فسيرهما إلى القسطنطينة. زبدة الفكرة 255، وينظر ما سبق ص 325 – 326.

(5) من مؤلفاته: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (11 مجلداً)، التحفة الملوكية في أخبار الدولة التركية. وفاته سنة 725هـ عن نحو 80 عاماً.

(6) في زبدة الفكرة 258، مختار الأخبار 86: في حادي عشر ذي الحجة 685 هـ.

وحَاصَرَه حَتَّى اسْتَأْمَنَ ومَن مَعَه، وجَاءَ به إلى السُّلطَان وأَنْزَلَه بالقَلْعَةِ، ولَمْ يَزَلْ عِنْدَه إلى أنْ هَلَكَ السُّلطَانُ فتَقَبَّضَ[أ] عَلَيْه ابْنُه الأشْرَفُ مِن بَعْدِه[ب]، كَمَا نَذْكُرُه[1].

وفَاةُ مِيخَائِيلَ مَلِكِ قُسْطَنْطِينَةَ

قَدْ تَقَدَّمَ لَنا كيْفَ تَغَلَّبَ الفِرِنْجُ عَلَى القُسْطَنْطِينَةِ مِن يَدِ الرُّومِ سَنَةَ سِتِّ مِائَة، وكَان هذا مِيخَائِيلُ مِن بَطَارِقَتِهِم، أَقَامَ بِبَعْضِ الحُصُونِ في نَوَاحِيهَا، حَتَّى أَمْكَنَتْه الفُرْصَةُ فَبَيَّتَهَا وقَتَلَ مَنْ كَانَ بِهَا مِن الفِرِنْجِ، وفَرَّ البَاقُونَ في مَرَاكِبِهِم، وَاجْتَمَعَ الرُّومُ إلَى مِيخَائِيلَ هَذا ومَلَّكُوه عَلَيهِم، وقُتِلَ المَلِكُ الَّذِي قَبْلَه[2].

[325 ب] وكَان / بَيْنَه وبَيْنَ الظَّاهِرِ صَاحِبِ مِصْر، و[المَنْصُور][ج] قَلاوُونَ مِن بَعْدِه، اتِّصَالٌ ومُهَادَاة، ونَزَلَ بَنُو الظَّاهِرِ عَلَيْه عِنْدَمَا غُرِّبُوا مِن مِصْرَ.

ثُمَّ مَاتَ مِيخَائِيلُ سَنَةَ [اثْنَتَيْنِ][3] وثَمَانِين، وَوَلِيَ ابْنُهُ مَانْدَر ويُلَقَّبُ الدُّوقس[4]، وهذا مِيخَائِيلُ يُعْرَفُ بلَشْكُرِي[5]، وبَنُوه مِن بَعْدِه ببَنِي لَشْكُرِي، وهُم مُلُوكُ قُسْطَنْطِينَةَ إلى هَذا العَهْد.

(أ) في س: فقبض. (ب) سقط من س. (ج) من س، وفيه: "الناصر صاحب" ومشطوب عليها. وفي ط: الناصر.

(1) زبدة الفكرة 258 - 259، مختار الأخبار 86.

(2) زبدة الفكرة 239.

(3) في الأصول: إحدى، واعتمدنا من زبدة الفكرة 239، المختصر 4: 18، وينظر المنهل الصافي 12: 319، تشريف الأيام والعصور 54، عقد الجمان 2: 320.

(4) في زبدة الفكرة 239: ولده أندرونيكس وتوج ولقب الدوقس الأنجالوس الباولوغس. وهو: Palaeologus Andronicus III.

(5) في زبدة الفكرة 239، وبعض المصادر الأخرى: الاشكرى.

أَخبارُ النُّوبَة

كَان المِلِكُ الظَّاهِرُ قَد وَفَدَ عَلَيه أعْوَامَ [أَرْبَعٍ][1] وسَبْعِينَ مَلِكُ النُّوبَة [مُرْتَشكِر][(أ)][2] مُستَنجِدًا به عَلَى ابنِ أُختِه[3] دَاوُدَ لَمَّا كَان تَغَلَّبَ عَلَيه وَانْتَزَعَ المُلْكَ مِن يَدِه، فوَعَدَه السُّلطَان، وأقَام يَنْتَظِرُ، وَاستَفْحَلَ مُلْكُ دَاوُدَ وتَجَاوَزَ حُدُودَ مَمْلَكَتِه إلى قَرِيبِ أُسْوَانَ مِن آخِرِ الصَّعِيد، فَجَهَّزَ السُّلطَانُ العَسَاكِرَ إليه مَعَ آقْسُنقُر الفَارِقَانِيّ وأَيْبَكَ الأَفْرَمِ أُسْتَاذَار[4]، وأَطْلَقَ مَعَهم مُرْتَشكِر مَلِكَ النُّوبَة، فسَارُوا لِذَلِك[5]، وَاستَنفَروا العَرَبَ، وَانتَهَوا إِلى رَأسِ الجَنَادِل، وَاستَولَوا عَلَى تِلْكَ البِلادِ وأَمَّنُوا أَهْلَها. وسَارُوا في البِلادِ، فَلَقِيَهم دَاوُدُ المَلِكُ فهَزَمُوه، وأَثْخَنُوا في عَسَاكِرِه، وأُسِرَ أَخُوه وأُختُه وأُمُّه، وسَارَ إِلى مَمْلَكَةِ السُّودَان بالأَبْوَاب [ورَاءَه][(ب)] فقَاتَلَه مَلِكُها وهَزَمَه وأَسَرَه، وبَعَثَ به مُقَيَّداً إلى السُّلطَان، فَاعْتُقِلَ بالقَلْعَة إلى أن مَات، وَاستَقَرَّ مُرْتَشكِر في سُلطَانِ النُّوبَة عَلَى جِزيَةٍ مَفْرُوضَة وهَدِيَّةٍ مَعْلُومَة في كُلّ

(أ) في ظ: مرتشكير، في هذا الموضع، والتصويب من الأسطر التالية، مرتشكر، وسقط من س. (ب) من س، وفي ظ: قراءه.

---

(1) في الأصول: خمس، والتصويب من زبدة الفكرة 148، نهاية الأرب 30: 344، المواعظ والاعتبار، الجلد الأول 547.

(2) في زبدة الفكرة 148: مرشكر، في نهاية الأرب 30: 344: مرمشكند، في المواعظ والاعتبار، الجلد الأول 548: شكنده.

(3) في زبدة الفكرة 148: على خاله. في تاريخ ابن الفرات 7: 46: ابن عمه.

(4) في نهاية الأرب 30: 344، المواعظ والاعتبار، الجلد الأول 548: أمير جاندار.

(5) في ثامن شوال 674 هـ. في زبدة الفكرة 149، في مستهل شعبان: في تاريخ ابن الفرات 7: 46، المواعظ والاعتبار، الجلد الأول 548.

سَنَة، وعَلَى أن تَكُونَ الحُصُونُ المَجاوِرةُ لأَسْوانَ خَالِصَةً للسُّلْطَان(أ)، وعَلَى أن يُمَكِّنَ ابنَ أُخْتِه دَاوُدَ وجَمِيعَ أَصْحَابِه مِن كُلِّ مَا لَهم في بِلادِهِم[2]، فوَفَى بذَلِكَ.

ثُمّ مَاتَ الظَّاهِرُ وانقَرَضَت دَوْلَتُه ودَوْلَةُ بَنِيه، وانتَقَلَ المُلْكُ إلى المَنْصُورِ[1] قَلاوُون، فبَعَثَ سَنَةَ سِتٍّ وثَمَانِينَ العَسَاكِرَ إلى النُّوبَة مَعَ عَلَم الدِّين سَنْجَر الخَيّاط، وعِزِّ الدِّين الكُورَانِي، وسَارَ مَعَهم نَائِبُ قُوص عِزُّ الدِّين أَيْدَمُر السَّيْفِيّ بَعْدَ أنِ استَنْفَرَ العُرْبانَ[3]: أَوْلادَ أَبِي بَكْر، وأَوْلاد عُمَر، وأَوْلاد شَرِيف، وأَوْلاد شَيْبَان، وأَوْلاد كَنْزِ الدَّوْلَة، وجَمَاعَةَ العَرَبِ المرِيسِيَّة[4]، وبَني هِلال، وسَارُوا عَلَى العُدْوَة: الغَرْبِيَةِ والشَّرْقِيَة، / وَاجْتَمَعَ النُّوبَةُ في دُنْقُلَة، ومَلِكُهم سَمَامُون، هَكَذا سَمَّاه [326أ] النُّوَيْرِي، وأَظُنُّه أخَا مُرْتَشْكِر، فبَرَزُوا للعَسَاكِرِ فهَزَمَتْهم، وَاتَّبَعَتْهم خَمْسَةَ عَشَرَ يَوماً وَرَاءَ دُنْقُلَة[5].

ورُتِّبَ ابنُ أُخْتِ سَمَامُونَ في المُلْكِ، ورَجَعَتِ العَسَاكِرُ إلى مِصْرَ، فَجَاءَ سَمَامُون إلى دُنْقُلَةَ فَاسْتَوْلَى عَلَى البِلادِ، ولَحِقَ ابنُ أُخْتِه بمِصْرَ صَرِيخاً بالسُّلْطَان،

(أ) في س: السلطان.

---

(1) وعلى أن تكون بلاد النوبة نصفين: نصفها للسلطان، ونصفها لعمارة البلاد وحفظها، ما خلا بلاد الجنادل، فإنها كلها للسلطان لقربها من أسوان. المواعظ والاعتبار، المجلد الأول 548.

(2) في زبدة الفكرة 149، المواعظ والاعتبار، المجلد الأول 549، تاريخ ابن الفرات 7: 45 – 51، نهاية الأرب 30: 344 – 348، وأن مهما كان لداوود ولأخيه شنكو المأسور ولأمه وأقاربه ومن قُتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة يحمل إلى الباب العزيز.

(3) في نهاية الأرب 31: 40، تاريخ ابن الفرات 8: 52: عربان الإقليم.

(4) في نهاية الأرب 31: 40: الريسية. في تاريخ ابن الفرات 8: 52: البرلسية.

(5) زبدة الفكرة 261، نهاية الأرب 31: 40، عقد الجمان 2: 361، وتعرف بالميم بدل النون. معجم البلدان 2: 470.

فبعَث معَه عزّ الدّين أيْبَك الأفرَم في العَساكِر، ومعَه ثلاثةٌ مِن الأُمَراء، وعزّ الدّين نائِبُ قُوص، وذلك سنَة ثمَانٍ وثمَانين[1]، وبعَثُوا المرَاكِبَ في البَحْرِ بالأزوِدَة والسِّلاح[2].

ومَاتَ مَلِكُ النُّوبَة بأُسْوَانَ ودُفِن بها، وجَاءَ نَائِبُه جرِيسُ إلى السُّلْطَان، فبعَثَ مَكَانه دَاوُدَ ابنَ أُختِ سَمَامُون الّذي كَانَ أسِيرًا بالقَلْعَةِ[3]، وتَقَدَّم جرِيسُ بَيْنَ يَدَي العَسَاكِرِ إلى دُنْقُلَة فهَرَبَ سَمَامُون، وامْتَنَعَ بجَزِيرَةٍ وَسْط النِّيلِ عَلَى خَمْسَ عَشْرَةَ مَرْحَلَةً وَرَاءَ دُنْقُلَة، ووَقَفَتْ العسَاكِرُ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، وتَعَذَّرَ وصُولُ المرَاكِبِ إلى الجَزِيرَة لِكَثْرَةِ الحَجَر، وخَرَجَ سَمَامُونُ مِنْهَا فلَحِقَ بالأبْوَابِ، ورَجَعَ عَنْه أَصْحَابُه، ورَجَعَتِ العَسَاكِرُ إلى دُنْقُلَةَ فمَلَّكُوا [المَلِكَ الوَاصِلَ مِنَ الأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ][4] ورَجَعُوا إلى مِصْرَ سنَةَ تِسْعٍ وثمَانين[5] لسِتَّةِ أَشْهُرٍ مِن مَسِيرِهم، بعْدَ أن تَرَكُوا أميراً[6] مِنهم معَ [المَلِك][7].

ولَمَّا رَجَعُوا إلى مِصْر، رَجَعَ سَمَامُون إلَى دُنْقُلة، وقَتَلَ [المَلِكَ][8]، وبَعَثَ

---

(1) ثامن شوال. نهاية الأرب 31: 42.

(2) نهاية الأرب 31: 42، تاريخ ابن الفرات 8: 83.

(3) في نهاية الأرب 31: 42 - 43: فأرسل إليه من أولاد أخت الملك داوود رجلاً كان بالأبواب السلطانية، ورسم له أن يملكه النوبة. وانظر تاريخ ابن الفرات 8: 83.

(4) في الأصول: ناوود، والتكملة من نهاية الأرب 31: 44، وينظر تاريخ ابن الفرات 8: 92.

(5) في جمادى الأولى. نهاية الأرب 31: 45، تاريخ ابن الفرات 8: 92.

(6) وجرد عنده طائفة من العسكر، وقدم عليهم ركن الدين بيبرس العزي. نهاية الأرب 31: 46، تاريخ ابن الفرات 8: 92.

(7)، (8) في الأصول: الملك داود، داود.

الأميرَ الّذي كَان مَعَها إلى السُّلْطَان، وحَمَّلَه الرَّغْبَة في الصُّلح عَلَى أن يُؤَدِّيَ الضَّرِيبَةَ المعْلُومَة، فأُسْعِف لذلك، وَاسْتَقَرَّ في مُلْكِه[1].

فَتحُ طَرَابُلُس

كَانَ الفِرنْجُ الذين بها قَدْ نَقَضُوا الصُّلحَ[2] وأغَارُوا عَلَى الجِهَات، فاسْتَنْفَرَ السُّلْطَانُ العَسَاكِرَ مِن مِصْرَ والشَّام، وأزَاحَ عِلَلَهم، وجَهَّزَ آلاتِ الحِصَار، وسَارَ إليها في مُحَرم ثَمَانٍ وثَمَانِين، فَحَاصَرَها ونَصَبَ عَلَيها المجَانِيق، وفَتَحَها عَنْوَةً لأَرْبَعةٍ وثَلاثِينَ يَومًا مِن حِصَارِها[3] وَاسْتَبَاحَها، وركِبَ بعْضُهم الشَّوَانِيَ للنَّجاةِ، فَرَدَّتْهم الرِّيحُ إلى السَّاحِلِ فقُتِلُوا وأُسِرُوا، وأمَرَ السُّلْطَانُ بتَخْرِيبِها فَخُرِّبَت وأُحرِقَت[4].

[326 ب] وفَتَحَ السُّلْطَانُ مَا إليها مِن الحُصُونِ والمعَاقِلِ، وأنْزَلَ حَامِيَتَها / وعَامِلَها بحِصْنِ الأَكْرَاد، ثُمَّ اتَّخذَ بإزَائِها حِصْنًا آخر لِنُزُولِ(أ) النَّائِب والحَامِيَة في العَمَلِ، وسُمِّي باسْمِ المدِينَة، وهُوَ الموْجُودُ لهذا العَهْد.

وكَان مِن خَبَرِ هَذِه المَدِينَة مِن لَدُن الفَتْح: أنَّ مُعَاوِيةَ أيَّامَ وِلايَتِه الشَّامَ لعَهْدِ

(أ) في س: لنزل.

---

(1) نهاية الأرب 31: 45 - 46، تاريخ ابن الفرات 8: 92.

(2) الصُّلح الذي عقد لمدة عشرة سنين أولها يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة 680 هـ. زبدة الفكرة 210.

(3) في يوم الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الآخر سنة 688 هـ. زبدة الفكرة 266، مختار الأخبار 87، نهاية الأرب 31: 46، تاريخ ابن الفرات 8: 80، وفي كنز الدرر 8: 283: رابع عشر ربيع الآخر.

(4) زبدة الفكرة 266 - 267، نهاية الأرب 31: 46 - 48.

عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، بعَثَ إليها سُفْيَانَ[أ] بنَ مِخْنَفٍ[1] الأزْدِيَّ، فحَاصَرَها وبَنَى عَلَيْها حِصْناً حَتَّى جَهَدَ أهْلَها الحِصَارُ وهَرَبُوا عَنْها في البَحْرِ، وكَتَبَ سُفْيَانُ إلى مُعَاوِيَةَ بالفَتْحِ، وكَانَ يَبْعَثُ العَسَاكِرَ كُلَّ سَنَةٍ للرِّبَاطِ بِها[2].

ثُمَّ جَاءَ إلى عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ بطْرِيقٌ مِن الرُّومِ وسَأَلَه في عِمَارَتِها ونُزُولِه بِها بجَمْعِه عَلَى أنْ يُعْطِيَ الخَرَاجَ، فأجَابَه، وأقَامَ قَلِيلاً[3] ثُمَّ غَدَرَ بِمَنْ مَعَه مِن المُسْلِمِينَ.

وذَهَبَ إلى بَلَدِ الرُّومِ فتَخَطَّفَتْه شَوَانِي المُسْلِمِينَ في البَحْرِ، وقَتَلَه عَبْدُ المَلِكِ، ويُقَالُ: الوَلِيدُ، ومَلَكَها المُسْلِمُونَ[4].

وبَقِيَ الوُلاةُ يَمْلِكُونَها مِن دِمَشْقَ إلى أنْ جَاءَتْ دَوْلَةُ العُبَيْدِيِّينَ، فأفْرَدُوها بالوِلايَةِ، ووَلِيَها رَيَّانُ الخَادِمُ، ثُمَّ سَنَدُ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ أبو السَّعَادَةِ، ثُمَّ عَلِيُّ ابنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَيْدَرَةَ، ثُمَّ بَزَّالٌ[5]، ثُمَّ مُخْتَارُ الدَّوْلَةِ [ابنُ][ب] بَزَّالٍ، وهَؤُلاءِ كُلُّهم مِن أهْلِ دَوْلَتِهم، ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَيْها قَاضِيها أمِينُ الدَّوْلَةِ أبو طَالِبٍ الحَسَنُ بنُ عَمَّارٍ، وتُوفِّيَ سَنَةَ أرْبَعٍ وسِتِّينَ وأرْبَعِ مَائَةٍ، وكَانَ مِن فُقَهَاءِ الشِّيعَةِ، وهُوَ الَّذِي

(أ) في س: سفين.   (ب) من س، وفي ظ: ثم.

---

(1) في نهاية الأرب 31: 50: ابن نجيب، في كنز الدرر 8: 284، تاريخ ابن الفرات 8: 76: ابن مُجيب.

(2) نهاية الأرب 31: 50، كنز الدرر 8: 284، تاريخ ابن الفرات 8: 76.

(3) فلم يلبث غير سنتين أو أكثر بأشهر. نهاية الأرب 31: 50، تاريخ ابن الفرات 8: 77.

(4) نهاية الأرب 31: 50 -51.

(5) نزال. نهاية الأرب 31: 51، تاريخ ابن الفرات 8: 77.

صَنَّفَ الكِتَابَ الملَقَّبَ بِجِرَابِ الدَّولة، وسَمَّاه "تَزوِيجَ الأَرْوَاح ومِصْبَاحَ السُّرُورِ والأَفْرَاح"[1].

ولَمَّا مَاتَ كَانَ بِطَرَابُلُسَ سَدِيدُ المُلْكِ ابنُ مُنْقذ، هَارِبًا مِن مَحْمُودِ بنِ صَالِح، فقَامَ بولايَةِ ابنِ أَخِيه أَبي الحَسَن [عَليِّ][2] بنِ مُحَمدِ بن عَمَّار، فمَلَك، ولَقَّبَه جَلَالَ المُلْك[3]، وتُوفِّيَ سَنَةَ اثنَتَيْنِ وتِسْعِينَ [وأَرْبَع مائة][4]، ومَلَكَ [بَعْدَه][5] أَخُوه فَخْرُ المُلْكِ [عَمَّارُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَمَّار][6].

ثُمَّ اسْتَوْلَى الفِرِنْجُ عَلَى سَوَاحِلِ الشَّام، وزَحَفَ لِحِصَارِ طَرَابُلُسَ في رَجَبِ خَمْسٍ وتِسْعِينَ [وَأَرْبَعِ مِائَة][7] صَنْجِيلُ، مِن مُلُوكِهِم، وَاسْمُه ميمنت، ومعْنَاه مَيْمُون، وصَنْجِيلُ: اسمُ مدِينَةٍ عُرِفَ بِهَا[8]، وأَقَامَ صَنْجِيلُ يُحَاصِرُها طَوِيلًا، وعَجَزَ ابنُ عَمَّارٍ عَنْ مُنَافَعَتِه[أ]، ثُمَّ قَصَدَ سُلْطَانَ السَّلْجُوقِيَّة بالعِرَاق [مُحَمَّدَ][9] بن مَلِكْشَاه مُسْتَنْجِدًا

(أ) في س: دفاعه.

(1) هكذا في الأصول، ونهاية الأرب 31: 51، وتاريخ ابن الفرات 8: 77. وجراب الدولة: هو أحمد بن محمد ابن علوجة السِّجزي، البغدادى الطنبورى، المتوفى أواخر القرن الثالث الهجرى، وله من الكتب "ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح في الفنون والنوادر والمضاحكات"، وتوجد مخطوطة بهذا العنوان بالمكتبة الأهلية بباريس، ينظر: هدية العارفين 1: 56، بروكلمان Supp. I 599.

(2) من نهاية الأرب 31: 51.

(3) فأخرجوا أخا أمين الدولة من طرابلس، وولى جلال الملك: في نهاية الأرب 31: 51 - 52، تاريخ ابن الفرات 8: 77.

(4)، (5)، (6) من نهاية الأرب 31: 52.

(7) من كنز الدرر 8:285.

(8) المقصود ريموند سان جيل Saint Gilles.

(9) في الأصول: محمود، وكذا في نهاية الأرب 31: 52، وتاريخ ابن الفرات 8: 77، والتصويب مما سبق في ج 9 عن الدولة السلجوقية، وكان السلطان محمد بن ملكشاه حاكما في بغداد من سنة 492 هـ، ثم ولي الملك فيما بين 498 – 511 هـ، ينظر وفيات الأعيان 5: 71 – 74، تاريخ الدول الإسلامية 1: 319.

به، وَاسْتَخْلَفَ بها[أ] أَبَا المَنَاقِبِ[1] ابنَ عَمِّه عَلَى طَرَابُلُس، ومعَهُ سَعْدُ الدَّوْلة / فتيانُ ابنُ الأَعَزّ[ب]، فقَتَلَه أبو المَنَاقِبِ ودَعَا للأَفْضَلِ[2] ابنِ أَمِيرِ الجُيُوش المستَبِدّ عَلَى خُلَفَاءِ العُبَيْدِيِّينَ بِمِصْرَ لِذَلك العَهْد، ثُمَّ هَلَكَ صَنْجِيلُ وهو مُحَاصِرٌ لَها، ووَلِيَ مَكَانَه السَّرْدَانِيُّ[3] مِن زُعَمَائِهم[4]. [327]

وبَعَثَ الأَفْضَلُ قَائِدًا إلى طَرَابُلُس فأَقَامَ بها، وشُغِلَ عَن مُدَافَعَةِ العَدُوِّ بِجَمْعِ المَالِ[ج]، ونُمِيَ عَنْهُ إلى الأَفْضَلِ أَنَّه يَرُومُ الاسْتِبْدَادَ، فبَعَثَ آخَرَ[5] مَكَانَه، ونَافَرَه أَهْلُ البَلَدِ لسُوءِ سِيرَتِه، فتَحَيَّنَ وصُولَ المَرَاكِبِ مِن مِصْرَ بالمَدَدِ، وقَبَضَ عَلَى أَعْيَانِهِم، وعَلَى مُخَلَّفِ فَخْرِ المُلْكِ بن عَمَّارٍ مِنْ أَهْلِه ووَلَدِه، وبَعَثَ بِهم إلى مِصْرَ، وجَاءَ فَخْرُ المُلْكِ بنُ عَمَّار بَعْدَ أَنِ انْقَطَعَ حَبْلُ الرَّجَاءِ في يَدِه مِن إِنْجَادِ السَّلْجُوقِيَّة لِمَا كَانُوا فِيه مِن الشُّغْلِ بالفِتْنَةِ، ورُبَّمَا عَلَّلَه بعْضُهم بِوِلَايَةِ الوِزَارة له، ثُمَّ رَجَعَ إلى دِمَشْقَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسِ مائة، ونَزَلَ عَلَى طُغْتِكِينَ الأَتَابِك[6].

ثُمَّ مَلَكَ السَّرْدَانِيُّ طَرَابُلُسَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وخَمْسِ مِائة[7]، بعْدَ حِصَارِها سَبْعَ

(أ) سقط من س. (ب) في: الأعز. (ج) في س: الأموال.

---

(1) فيما سبق بالجزء التاسع: ذا المناقب، وينظر ذيل تاريخ دمشق 160.

(2) وذلك في رمضان سنة خمسمائة. نهاية الأرب 31: 53.

(3) هو وليم جوردان كونت سرداني، ابن عم (خال) ريموند، ينظر رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية.

(4) نهاية الأرب 31: 52 - 53، تاريخ ابن الفرات 8: 78.

(5) في الأصول: آخراً.

(6) ينظر الكامل 10: 452 – 454، ذيل تاريخ دمشق 160 – 161، نهاية الأرب 31: 53 - 54.

(7) ثالث ذى الحجة 502 هـ، وقد تقدم أن أخذها كان لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة. نهاية الأرب 31: 54، كنز الدرر 8: 286، وينظر الكامل 10: 475.

سنين، وجاءَ ابنُ الصَّنجيل[1] •من بِلادِ الفِرنْج•[أ] فملَكَها منه، واستَعانَ عليه بأصحابه، وأقامَت في مِلكَيه نحوًا مِن ثلاثين سَنة، ثُمّ ثارَ عليه بعضُ الزُّعَماء وقتله، وأُسِرَ بُطْرُس الأعْوَر، واستَخلَف في طَرابُلُس القُومَس بطْرَان[2]، ثُمّ كانتِ الواقِعةُ بيْنَ صاحِبِ القُدسِ مَلِكِ الفِرنج فُلْكِ بنِ فُلْك[3]، وبيْنَ زَنْكي الأتابك صاحِبِ المَوْصِل، وانهزَمَ الفِرنْجُ وأُسِرَ القُومَسُ في تِلْك الواقِعَة، ونَجا مَلِكُ الفِرنْجِ إلى بَعْرين فتحَصَّنَ بها، وحاصَرَه زَنْكي حَتّى اصطَلَحا على أن يُعطَى بَعْرين، ويُطْلِق زَنْكي الأَسْرَى في الوَاقِعَةِ، فانطَلَق القُومَس إلى طَرابُلُس فأقامَ بها مُدَّة، ثُمّ وَثَب الإسْماعِيلِيّةُ بِه فقتَلُوه، ووَلِيَ بَعْدَه ريمُند[4] صَبِيًّا، وحَضَرَ مَعَ الفِرنج سَنةَ [تِسْع][5] وخَمْسينَ واقِعَةَ[ب] حارِم الّتي هَزَمَهم فيها نُورُ الدّين العَادِل، فَأُسِرَ القُومَسُ ريمُند يَوْمَئذٍ، وبَقِيَ في اعْتِقالِه إلى أن مَلَكَ صَلاحُ الدِّين يُوسُفُ بنُ أيُّوبَ فأطْلَقَه سَنَةَ سَبْعِينَ وخَمْس مائة، ولَحِقَ بطَرابُلُس، ولَم تَزَلْ في مُلْكِه ومُلْكِ ولَدِه إلى أن فَتَحَها
[327ب] المَنْصُورُ وهَدَمَها / سنةَ ثَمانٍ وثَمانِين، كَما مَرَّ[6].

(أ) سقط ما بين النجمين من س.   (ب) في س: وقعة.

---

(1) في نهاية الأرب 31: 55، كنز الدرر 8: 286: تبران، والمقصود برتراند Bertrand، يراجع رنسيمان.

(2) نهاية الأرب 31: 56، تاريخ ابن الفرات 8: 79: وَلَدُ القومص بدران، والمقصود ريموند الثاني الذي ولي طرابلس بعد وفاة أبيه بونز سنة 1137م.

(3) المقصود فولك انجو الذي حكم مملكة بيت المقدس من 1131 – 1143 م، يراجع رنسيمان.

(4) هو ريموند الثالث كونت طرابلس 1152 – 1187، والذي بقي في أسر نور الدين فيما بين 1164 و1174 م، يراجع رنسيمان.

(5) في الأصول: سبع، وانظر الجزء التاسع في أخبار الدولة الزنكية، نهاية الأرب 31: 56، تاريخ ابن الفرات 8: 79.

(6) نهاية الأرب 31: 55 – 57، وينظر ما سبق ص 322.

إنشاءُ المدرَسَة والمَارِسْتَانِ(ا) بِمِصْر

كَانَ المنصُورُ قَلاوُونُ قَدِ اعْتَزَمَ عَلَى إنشَاءِ مَارِسْتَان بالقَاهِرَة، وَاعْتَامَ لَهُ[1] الأَمَاكِنَ، حتَّى وقَفَ نَظَرُه عَلَى الدَّارِ القُطْبِيَّة مِن قُصُورِ الفاطِمِيِّينَ وما يُجَاوِرُها بيْنَ القَصْرَين، فَاعْتَمَدَ إنْشاءَه هُنالِكَ، وجَعَلَ الدَّارَ أَصْلَ المارِسْتَان، وبَنى بإزائِه مَدْرَسَةً لتَدْرِيسِ العِلْمِ وقُبَّةً لدَفْنِه، وجَعَلَ النَّظَرَ في ذَلِكَ لعَلَمِ الدِّين الشُّجَاعِيّ، فقَامَ بإنْشَاءِ ذَلِكَ لأقْرَبِ وقْتٍ، وكَمُلَتِ العِمَارَةُ سَنَةَ ثَلاثٍ وثَمانِينَ وسِتِّ مِائة، ووَقَفَ عَلَيها أَمْلاكاً وضِيَاعاً بِمِصْرَ والشَّام[2]، وجَلَسَ بالمارِسْتَانِ في يَوْمٍ مَشْهُود، وتَنَاوَلَ قَدَحاً مِن الأَشْرِبَةِ الطِّبِّيَّة فشَرِبَه وقَالَ: وقَفْتُ هَذا المَارِسْتَانَ عَلَى مِثْلِي فَمَن دُونِي مِن أَصْنافِ الخَلْقِ، فكَانَ ذَلِكَ مِنْ صَالِحِ آثارِه[3].

وفاةُ المنصُورِ قَلاوُونَ، وولايةُ ابْنِه خَلِيلٍ الأشْرَف

كَانَ المنصُورُ قَلاوُونُ قَد عَهِدَ لابْنِه عَلاءِ الدِّين ولَقَّبَه الصَّالِحَ، وتُوفِّي سَنَةَ سَبْعٍ وثَمَانِين، فَوَلَّى العَهْدَ مَكَانَه ابْنَه الآخَرَ خَلِيلاً، ثُمّ انْتَقَضَ الفِرنْجُ بعَكّا وأَغَارُوا عَلَى النَّوَاحِي، وَمَرَّت بِهم رِفْقَةٌ مِن التُّجَّارِ بِرَقِيقٍ مِنَ الرُّومِ والتُّرْكِ جَلَبُوهم للسُّلْطَانِ

(ا) في س: المدرسة والمدرسة.

---

(1) اعتام له: تخير له.

(2) المواعظ والاعتبار، المجلد الرابع 692 - 693، وتنظر وثائق وقف السلطان قلاوون في ملاحق ج 1 من كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب الحلبيّ، ويراجع فهرست وثائق القاهرة.

(3) نهاية الأرب 31: 105 - 106، وينظر المواعظ والاعتبار، المجلد الرابع 696، الأوقاف والحياة الاجتماعية بمصر 57 - 58.

فَنَهَبُوهم وأَسَرُوهم، فأَجْمَعَ السُّلْطَانُ غَزْوَهم(أ)، وخَرَجَ في العَسَاكِرِ بَعْدَ الفِطْرِ [مِن](ب) سَنَةِ تِسْعٍ وثَمَانِين، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَه خَلِيلاً عَلَى القَاهِرَة ومَعَه زينُ الدِّين كُتْبُغا، وعَلَمُ الدِّين الشُّجَاعِيُّ الوَزِير، وعَسْكَرَ بظَاهِرِ البَلَدِ فطَرَقَه المَرَضُ، ورَجَعَ إلى قَصْرِه فمَرِضَ، وتُوفِّي في ذِي القَعْدة(1) مِن السَّنَة، فبُويِعَ ابنُه خَلِيلٌ ولُقِّبَ الأشْرَف(2)، وكَان حُسَامُ الدِّين طُرُنْطَاي نَائِبَ المَنْصُورِ(ج) أبِيه، فأَقَرَّه وأَشْرَكَ مَعَه زينَ الدِّين كُتْبُغا في نِيَابَةِ الغَيْبَةِ، وأَقَرَّ عَلَمَ الدِّين الشُّجَاعِيَّ عَلَى الوِزَارَة، وبَدْرَ الدِّين بَيْدَرَا أُسْتَادَار، وعِزَّ الدِّين أَيْبَك خَازِنْدارا(3).

وكَان حُسَامُ الدِّين لَاجِينُ [السِّلِحْدَار](د) نَائِبًا بدِمَشْق، وشَمْسُ الدِّين قَرَاسُنْقُر الجُوكَنْدَار نَائبًا / بحَلَب، فأَقَرَّهما وجَمِيعَ مَن كَانَ بالشَّامِ مِن [وُلَاةِ](هـ) أبِيه(4). [328أ]

ثُمَّ قَبَضَ عَلَى النَّائِبِ حُسَامِ الدِّين طُرُنْطَاي ولأيّامٍ قَلائِلَ(5) وقَتَلَه واسْتَوْلَى عَلَى أَمْوالِه، وكَانَتْ لا يُعَبَّرُ عَنْهَا، كَانَ النَّاضُّ(و)(6) مِنْها سِتُّ مائةِ أَلْفِ دِينَار، وحُمِلَت كُلُّها لِخِزَانَتِه(7).

(أ) في س: أمرهم. (ب) من س. (ج) في س: نائب السلطان. (د) من س. (هـ) من س، وفي ظ: ولاية.
(و) في س: النض.

---

(1) في السادس من ذي القعدة. زبدة الفكرة 270.
(2) في السابع من ذي القعدة. زبدة الفكرة 272، مختار الأخبار 91، نهاية الأرب 31: 177.
(3) زبدة الفكرة 273.
(4) المصدر نفسه 273.
(5) قبض عليه في الثاني عشر من ذي القعدة. زبدة الفكرة 274، المختصر 4: 24.
(6) الناض: الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز. اللسان.
(7) زبدة الفكرة 274 - 275، نهاية الأرب 31: 180 - 181، وينظر كنز الدرر 8: 305.

واسْتَقَلَّ بَيْدَرَا بالنِّيَابَة، وبَعَثَ عَن مُحَمَّدِ بنِ عُثمانَ بن السَّلْعُوس مِن الحِجَازِ فَوَلَّاهُ الوِزَارَة، وكَانَ تَاجِراً مِن تُجَّارِ الشَّام وتَقرَّبَ إلَيْه أيَّامَ أبيه، واسْتَخْدَمَ لَهُ فاستَعْمَلَه في بَعْضِ إقطاعِه بالشَّام، ووَفَّرَ جِبَايَتَها فوَلَّاه دِيوانَه بِمِصْرَ فأسْرَفَ في الظُّلْم، وأنْهَى أمْرَه طُرُنْطَاي النَّائِبُ، فصَادَرَه المَنْصُورُ وَامْتَحَنَه، ونَفَاه إلى الشَّام.

وحَجَّ في هَذِه السَّنَة، وَوَلِيَ الأشْرَف فكَانَ أوَّلَ أعْمَالِه البَعْثُ عَنْه، ووَلَّاه الوِزَارَة، فبَلَغَ المَبَالِغَ في الظُّهُورِ وعُلُوِّ الكَلِمَة، واسْتِخْدَام الخَوَاصِّ لَه، وتَرَفَّعَ عَن النَّاس، واسْتَقَلَّ الرُّتَبَ[1].

وقَبَضَ الأَشْرَفُ عَلَى شَمْسِ الدِّين سُنْقُرَ [الأشْقَر][(1)] وحَبَسَه، وكَانَ قَد قَبَضَ مَعَ طُرُنْطَاي النَّائِبِ عَلَى زَيْنِ الدِّين كُتْبُغَا لِمَا بَلَغه أنَّه يُدَبِّرُ عَلَيْه مَعَ طُرُنْطَاي، ثُمَّ ثَبَتَت عِنْدَه بَرَاءَتُهُ فأَطْلَقَه[2].

فَتحُ عَكَّا وتَخرِيبُها

ثُمَّ سَارَ الأَشْرَفُ أوَّلَ التِّسْعِينَ وسِتِّ مِائَةٍ لِحِصَارِ عَكَّا مُتَمِّماً عَزْمَ أبِيه فِيها، فَجَهَّزَ العَسَاكِر، وَاسْتَنْفَرَ أهلَ الشَّام، وخَرَجَ مِن القَاهِرَة فَأَغَذَّ السَّيْرَ إلى عَكَّا، ووَافَاه بِها أُمَرَاءُ الشَّامِ والمظَفَّرُ بنُ المَنْصُورِ صَاحِبُ حَمَاة، فحَاصَرَها ورَمَاهَا بالمَجَانِيقِ،

(أ) من س، وفي ظ: الأشرف.

(1) زبدة الفكرة 275 - 276، نهاية الأرب 31: 187 - 188، وينظر تاريخ ابن الجزري 1: 41.

(2) نهاية الأرب 31: 194 - 195، وينظر تاريخ ابن الفرات 8: 106 - 107.

فتهدَّمَ كثيرٌ مِن أبرَاجِها، وتدَاعَى المقَاتِلَةُ لاقتِحَامِها، فرَشَقُوهم بالسِّهام، فترَّسُوا بحاجِزٍ مِن اللُّبودِ، وزحَفُوا في كِنِّه وردَمُوا الخَندَقَ بالتُّرابِ، بحَملِ كُلِّ واحِدٍ[أ] مِنهم ما قَدَرَ علَيه حتّى طَمُّوه، وانتَهَوا إلى [الأبرَاجِ][ب] المتَهدِّمَة فألصَقُوها بالأرضِ، واقتَحَمُوا البَلَدَ مِن نَاحِيَتِها، وَاستَلحَمُوا مَنْ كَانَ فِيها، وَأكثَروا القَتلَ والنَّهبَ، ولَجَأَ الفَلُّ مِن العَدُوِّ إلى أبرَاجِها الكِبَارِ الّتي بقِيَت مَائِلَةً، فحَاصَرَها عَشراً أُخرى[ج]، ثُمّ اقتَحَمَها علَيهم فاستَوعَبَهم السَّيفُ[1].

[328ب] وكَانَ الفَتحُ / مُنتَصَفَ[2] جُمَادَى [الآخِرة[3] سنَةَ] تِسْعِين، لِمائة وثَلاثِ سِنِينَ مِنَ اسْتِرْجَاعِ الكُفَّارِ لَها مِن يَدِ صَلاحِ الدِّين سنَةَ سَبْعٍ وثَمَانِينَ وخَمْسِ مِائة، وأمَرَ الأشْرَفُ بتَخرِيبِها فخُرِّبَت[4].

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى الفِرِنْجِ بصُورَ وصَيْدا وعَثْلِيثَ وحَيْفا، فأجْفَلوا عنْها وتَرَكُوها خَاوِيَةً، ومَرَّ السُّلطَانُ بِها فأمَرَ بهَدْمِها فهُدِمَت جَمِيعاً، وَانكَفَأ رَاجِعاً إلى دِمَشْق[5].

وتَقَبَّضَ في طَرِيقِه عَلَى لاجِينَ نائِبِ دِمَشْق، لأن بعْضَ الشَّيَاطِينِ أوْحَى إليه بأنّ[د] السُّلطَانَ يَرُومُ الفَتْكَ به، فرَكِبَ للفِرَارِ، واتَّبَعَهُ عَلَمُ الدِّين سَنجَر الدَّوَادَار

(أ) سقط من س. (ب) من س، وفي ظ: الأبراج. (ج) من س. (د) في س: أن.

---

(1) زبدة الفكرة 278.

(2) في زبدة الفكرة 280، تاريخ ابن الجزري 1: 45: السابع عشر، وينظر نهاية الأرب 31: 198.

(3) من زبدة الفكرة 280.

(4) زبدة الفكرة 280، تاريخ ابن الفرات 8: 112.

(5) زبدة الفكرة 282 - 283، وينظر تاريخ ابن الفرات 8: 119، عقد الجمان 3: 65.

وتلطّف به حتّى ردّه بعدَ هذهِ مِنَ الليْل، وتَقبَّض السُلْطَانُ عَلَيْه مِنَ الغَدِ، وبعَثَ بهِ إلَى القَاهِرَة[1]، وَوَلّى مَكَانَه بدِمَشْقَ عَلَمَ الدّين سَنْجَر الشُّجَاعِيُّ، فَسَارَ إلى بَيْروتَ وفَتَحَها[2].

وَمَرَّ السُلْطَانُ بالكَرَكِ فَاسْتَعفَى نَائِبُها رُكْنُ الدّين بَيْبَرَس الدَّوَادَار، وهُوَ المؤرِّخُ، فوَلَّى مَكَانَه جَمَالَ الدّين آقُوش[3] الأَشْرَفيَّ.

ورَجَعَ السُلْطَانُ إلى القَاهِرَة[4]، فبَعَثَ سَلامِش وخَضِراً ابْنَي الظَّاهِر مِن مَحْبِسِهمَا بالإسْكَنْدَرِيّة إلى القُسْطَنطِينَة، ومَاتَ سَلامِشُ هُنالك[5]، وأفْرَجَ عَن شَمْسِ الدّين سُنقُرَ الأَشْقَرِ، وحُسَام الدّين لاَجِينَ المَنْصُورِيِّ اللّذَيْنِ اعتَقَلَهمَا كمَا ذكَرْنَاه، وقَبَضَ عَلَى عَلَم الدّين سَنْجَر نَائِبِ دِمَشْق، وسِيقَ إلى مِصْرَ مُعْتَقَلاً[6].

وأمَرَ السُلْطَانُ بِبنَاءِ الرَّفْرَفِ بالقَلْعَةِ عَلَى أوْسَع مَا يَكُونُ وأرْفَعه، وبِنَاء القُبَّة بإزَائِه لِمَجْلِس السُلْطَانِ أيَّامَ الزّينَة والعَرْضِ، فبُنِيَت مُشْرِفَةً عَلَى سُوقِ الخَيْلِ والمَيْدَان[7].

(1) في ثالث عشرين رجب 690 هـ. نهاية الأرب 31: 212، تاريخ ابن الفرات 8: 121.

(2) زبدة الفكرة 283، نهاية الأرب 31: 209 - 210.

(3) في الأصول: أقش، واعتمدنا ما سبق، ومن زبدة الفكرة 284.

(4) زبدة الفكرة 284.

(5) المصدر نفسه 286 - 287.

(6) زبدة الفكرة 283، نهاية الأرب 31: 218.

(7) زبدة الفكرة 284، وينظر عقد الجمان 3: 79 - 80.

فَتحُ قَلعَةِ الرُّومِ

ثُمّ سَارَ السُّلْطَانُ سَنَةَ إحْدَى وتِسْعِينَ في عَسَاكِرِه إلى الشَّام، بَعْدَ أنْ أفْرَجَ عَنْ حُسَامِ الدِّين لاجِينَ وردَّه إلى إمَارَتِه، وَانْتَهَى إلى دِمَشْق، ثُمّ سَارَ إلى حَلَب، ثُمّ دَخَل مِنْهَا إلى قَلْعَةِ الرُّومِ فَحَاصَرَها في جُمَادَى [الآخِرَةِ][1] مِن السَّنَة، ومَلَكَهَا عَنْوَةً بعْدَ ثَلاثِينَ يَوماً مِنَ الحِصَارِ، فقَتَلَ المُقَاتِلَة، وسَبَى الذُّرِّيَّة، وخَرَّبَ [329أ] القَلْعَةَ، وأخَذَ فِيها بتْرَكَ / الأرْمَن أسِيراً[2].

وَانكَفَأَ السُّلْطَانُ رَاجِعاً إلى حَلَب، فأقَام بِها شَعْبَان، ووَلَّى عَلَيها سَيْفَ الدِّين [بَلَبَان][3] الطَّبَّاخيَّ نَائِباً مَكَان قَرَاسُنْقُر الظَّاهِريّ، لأنّه وَلَّاه مُقَدَّمَ المَمَالِيك[4].

[ورَحَلَ][أ] إلى دِمَشْقَ وقَضَى[ب] بِها عِيدَ الفِطْرِ، وَاسْتَرَابَ لاجِينَ النَّائِبُ فهَرَبَ لَيْلَةَ الفِطْرِ، وركِبَ السُّلْطَانُ في طَلَبِه، وتَقَبَّضَ عَلَيْه بَعْضُ العَرَبِ في حَيِّه، وجَاءَ بِه إلى السُّلْطَانِ فبَعَثَه مُقَيَّداً إلى القَاهِرَة، ووَلَّى عَلَى نِيَابَةِ دِمَشْقَ عِزَّ الدِّين أيْبَك الحَمَويَّ عِوَضاً عن علَم الدِّين سَنْجَر الشُّجَاعِيّ[5].

(أ) من س. وفي ظ: ولحق. (ب) في س: تقضى.

---

(1) من زبدة الفكرة 288، مختار الأخبار 92. وفي كنز الدرر 8: 323: في ثامن جمادى الآخرة.

(2) زبدة الفكرة 289، نهاية الأرب 31: 227، وينظر عقد الجمان 3: 116.

(3) المصدر نفسه 290.

(4) زبدة الفكرة 290،وينظر نهاية الأرب 31: 239، تاريخ ابن الفرات 8: 142، عقد الجمان 3: 125.

(5) زبدة الفكرة 290، وينظر نهاية الأرب 31: 242، تاريخ ابن الفرات 8: 143 – 144.

ورَجَع إلى مِصْر فأفْرَجَ عَنْ علَم الدِّين سَنْجَر الشُّجَاعِيّ، وتُوفِّي لسَنَةٍ[1] بعْدَ [إطْلَاقِه][أ]، ثُمّ قَبَض عَلَى سُنقُرَ الأشْقَرِ وقَتَلَه، وشَفَعَ نَائِبُه [بَيْدَرا][ب] في لاجِين، فأطْلَقَه[2].

وتُوفِّي القَاضِي فتْحُ الدِّين مُحمدُ[3] بنُ عبْدِ الله بن عبْدِ الظَّاهِر، كاتِبُ السِّرّ وصَاحِبُ دِيوانِ الإنْشَاء، وله التَّقدُّمُ عنْدَه وعنْدَ أبيه، فوَلَّى مَكَانَه فتْحَ الدِّين أحْمَدَ ابنَ الأثِيرِ الحَلَبِيّ، وتَرَكَ ابنُ عبْدِ الظَّاهِـر ابْنَه علاء الـدِّين عَلِيّاً، فأبْقَى عَلَيْه النِّعْمَةَ، وبَقِيَ مُنتَظِماً في حَلْبَةِ الكُتَّاب، وتُوفِّي ابنُ الأثيرِ بعْدَ شَهْر، فوَلَّى مَكَانَه ابْنَه عِمَادَ الدِّين إسْمَاعِيل[4].

وأفْرَجَ عَن بـدْرِ الدِّين بَيْسَـرَى الشَّمْسيّ، مِن مَوَالي الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب، وكَان أبُوه المَنْصُورُ قد اعْتَقَـلَه لأوَّلِ وِلايَتِه[5]، وأطْلَقَـه[ج] الأشْـرَفُ هذه السَّنَة[6]، لثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً منَ اعْتِقَالِه، وَاسْتَخْلَصَه[د] للمُجَالَسَةِ والشُّورَى[7].

(أ) من س، وفي ظ: اطلاقه.   (ب) من س، وفي ظ: بيدا.   (ج) في س: فأطلقه.   (د) في س: واستخصه.

---

(1) زبدة الفكرة 300: في صفر 693 هـ. وينظر الوافي بالوفيات 15: 470.

(2) زبدة الفكرة 288، 293، مختار الأخبار 95.

(3) في نهاية الأرب 31: 245: في منتصف رمضان 691 هـ.

(4) في نهاية الأرب 31: 246: زبدة الفكرة 291، وينظر عقد الجمان 3: 144، واستمر إلى آخر سنة 692 هـ.

(5) سنة 681 هـ. نهاية الأرب 31: 88.

(6) سنة 692 هـ. زبدة الفكرة 292، التحفة الملوكية 133، وورد في كنز الدرر 8: 312، نهاية الأرب 31: 214، عقد الجمان 3: 70 – 72: أن الإفراج عنه كان في 18 شعبان 690 هـ.

(7) زبدة الفكرة 292.

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إلى الصَّعِيدِ مُتَصَيِّداً، وَاسْتَخْلَفَ النَّائِبَ بَيْدَرا عَلَى دَارِ مُلْكِهِ، وَانْتَهَى إلى قُوص[1].

وكَانَ ابنُ السَّلْعُوس قَدْ دَسَّ إلَيه بأَنَّ بَيْدَرَا احْتَجَنَ[2] بالصَّعِيدِ مِن الزَّرْعِ مَا لَا يُحْصَى، فوَقَفَ هُنَالِكَ عَلَى مَخَازِنِها وَاسْتَكْثَرَها، وَارْتَابَ بَيْدَرَا لِذَلِكَ.

ولَمَّا رَجَعَ الأَشْرَفُ إلى مِصْرَ ارتَجَعَ مِنْ بَعْضِ إقْطَاعِه، وبَقِيَ بَيْدَرا مُرْتَاباً مِن ذَلِك، وأَتْحَفَ السُّلْطَانَ بالهَدَايَا مِن الهُجْنِ والخِيَامِ[أ] وغَيْرِها[3].

مَسِيرُ السُّلْطَانِ إلى الشَّامِ، وصُلْحُ الأَرْمَن، ونَكْبَةُ بَنِي مُهَنَّا، وهَدْمُ الشَّوْبَك

[329 ب] / ثُمَّ تَجَهَّزَ الأَشْرَفُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وتِسْعِينَ إلَى الشَّامِ، وقَدَّمَ النَّائِبَ بَيْدَرا بالعَسَاكِرِ، وعَاجَ[4] إلى الكَرَكِ عَلَى الهُجْنِ، فوَقَفَ عَلَيها وأَصْلَحَ مِن أُمُورِها، ورَجَعَ، ووَصَلَ إلى الشَّامِ فوَافَاه رُسُلُ[ب] صَاحِبِ سِيس مَلِكِ الأَرْمَن رَاغِباً فِي السِّلْمِ عَلَى أَنْ يُعْطَى بَهَسْنا ومَرْعَش وتَلَّ حَمْدُون، فعَقَدَ لَهُم عَلَى ذَلِك، ومَلَكَ هَذه

(أ) في س: من الخيام والهجن. (ب) في س: رسول.

---

(1) زبدة الفكرة 292.

(2) احتجن مالاً: ضمه إليه واستبد به. الاشتقاق.

(3) زبدة الفكرة 292، نهاية الأرب 31: 248 - 249، وينظر عقد الجمان 3: 153 - 154.

(4) عاج: مال وعطف. اللسان.

القِلاعَ، وهِيَ في فَمِ الدَّرْبَنْد: مِن ضِيَاعِ حَلَب، وكَانَتْ بهَسْنَا للمُسْلِمِين، ولَمَّا مَلَكَ هُولاوُو حَلَبَ بَاعَهَا النَّائِبُ مِن مَلِكِ الأَرْمَن بسِيس[1].

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إلى حِمْص، ووَصَلَ إلَيها في رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ ومَعَهُ المظَفَّرُ صَاحِبُ حَمَاة، ونَزَلَ سَلَمِيَّة، ولَقِيَه مُهَنَّا بنُ عِيسَى أَمِيرُ العَرب، فقَبَضَ علَيْه وعَلَى أَخَوَيْه[أ]: مُحمدٍ وفَضْل وابنِه مُوسَى، وبَعَثَ بِهِم مُعْتَقَلِينَ مع لَاجِين بدِمَشْق[ب]، ومِن هُنالكَ إلى مِصْرَ فحُبِسُوا بِها، ووَلَّى عَلَى العَرَبِ مكَانَهم مُحمدَ ابنَ أَبي بَكْرِ بنِ[ج] بنِ عليِّ بنِ حَذِيفَة[2].

وأَوْعَزَ وهُو بحِمْص إلى نَائِبِ الكَرَك بهَدْمِ قَلْعَةِ الشُّوْبَكِ فهُدِمَت، وانكَفَأَ رَاجِعًا إلى مِصْرَ، وقَدَّمَ العَسَاكِرَ مع بَيْدَرَا، وجَاءَ في السَّاقَةِ عَلَى الهُجْنِ مع خَوَاصِّه، ولَمَّا دَخَلَ مِصْرَ[3] أَفْرَجَ عَن لَاجِينَ المَنْصُورِي[4].

مَقتَلُ الأَشْرَف، ووِلَايَةُ أَخِيه مُحَمَّدٍ النَّاصِرِ فِي كَفَالَةِ كُتْبُغَا

كَانَ النَّائِبُ بَيْدَرَا مُسْتَوْلِياً عَلَى الأَشْرَف، حَتَّى كَأَنَّه مُسْتَبِدٌّ، وكَانَ مُسْتَوْحِشاً مِن الأَشْرَف، والأَشْرَفُ مُسْتَرِيباً به، كَما قَدَّمْنَاه.

(أ) في س: اخوته. (ب) في س: إلى دمشق. (ج) بياض في الأصول مقدار كلمتين، ولكن الاسم كامل.

(1) نهاية الأرب 31: 249 250.

(2) في نهاية الأرب 31: 251: محمد بن أبي بكر بن على بن حذيفة، وينظر تاريخ ابن الفرات 8: 156.

(3) في الثامن والعشرين من شهر رجب 692 هـ، زبدة الفكرة 293.

(4) نهاية الأرب 31: 252.

وَاعْتَزَمَ الأَشْرَفُ سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعِينَ عَلَى الصَّيْدِ في البُحَيْرَةِ فخَرَجَ إلَيها[1]، وبَعَثَ وزِيرَه ابنَ السَّلْعُوس إلى الإسكَنْدَرِيَّةِ لتَحْصِيلِ الأَمْوَالِ والأَقْمِشَةِ، فوَجَدَ وكَلاءَ بَيْدَرَا قد سَبَقُوا إليها واسْتَصْفَوْا مَا هُنالِك، فكَاتَبَ السُّلْطَانَ بذَلِك، فغَضِبَ [واسْتَدْعَى بَيْدَرَا][أ] فوَبَّخَه وتَوَعَّدَه، ولَمْ يَزَلْ هُوَ يُلاطِفُه حَتَّى كَسَرَ مِن سَوْرَةِ غَضَبِه، ثُمَّ خَلَصَ إلى أَصْحَابِه ودَاخَلَهم في التَّوَثُّبِ به، وتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ مِنْهم لاجِينُ
[330 أ] المَنْصُورِيُّ نَائِبُ دِمَشْق، وقَرَاسُنْقُر المَنْصُورِيُّ نَائِبُ / حَلَب، وكَانَ الأُمَرَاءُ كُلُّهم حَاقِدِينَ عَلَى الأَشْرَفِ لتَقْدِيمِه خَاصِكِيَّتَهُ عَلَيهم[2].

ولَمَّا كَتَبَ إلَيه ابنُ السَّلْعُوسِ بقِلَّةِ المالِ صَرَفَ مَوَالِيَه إلى القَلْعَةِ تَخْفِيفاً مِن النَّفَقَةِ، وبَقِيَ في القَلِيلِ.

ورَكِبَ بَعْضَ أَيَّامِه يَتَصَيَّدُ وهُوَ مُقِيمٌ عَلَى تَرُوجَةَ[3]، فاتَّبَعوهُ وأَدْرَكُوه في صَيْدِه، فأَوْجَسَ في نَفْسِه الشَّرَّ مِنْهم، فعَاجَلُوه عَن الكَلامِ، وعَلَوْهُ بالسُّيُوف، ضَرَبَه أَوَّلاً بَيْدَرَا، ودَفَّفَ عَلَيه لاجِين، وتَرَكُوه مُجَنْدَلاً بمَصْرَعِه مُنْتَصَفَ[4] المُحَرَّمِ مِن السَّنَةِ[5].

(أ) من س، وفي ظ: واستدعاه.

---

(1) في نهاية الأرب 31: 259، تاريخ ابن الجزري 1: 190: في ثالث المحرم.

(2) نهاية الأرب 31: 260.

(3) مكانها اليوم كوم تروجة بمركز أبو المطامير بمحافظة البحيرة: القاموس الجغرافي.

(4) في مختار الأخبار 96: ثالث عشر المحرم، في نهاية الأرب 31: 259: ثاني عشر، وينظر تاريخ ابن الجزري 1: 191، تاريخ ابن الفرات 8: 165.

(5) زبدة الفكرة 295 - 296، نهاية الأرب 31: 260.

ورجعُوا إلى المُخَيَّم وقَدْ أبرَمُوا أنْ يُوَلُّوا بَيْدَرا، فوَلَّوه ولَقَّبوه القاهِرَ، وتَقَبَّضُوا عَلَى بَيْسَرَى الشَّمْسِيّ وسَيْف الدّين بُكْتُمُر السِّلَحْدار، وَاحْتَمَلُوهُما وسَارُوا إلى قَلْعَة المُلْك[1].

وكَانَ زَيْنُ الدّين كُتْبُغَا قَدْ رَكِبَ للصَّيْدِ فبلَغَه الخَبَرُ في صَيْدِه، فسَارَ في اتّبَاعِهم ومَعَه بَيْبَرْس الجَاشَنْكِير، وحُسَامُ الدّين أسْتَاذَار، ورُكْنُ الدّين بَيْبَرْس، وطُقْجِي في طَائِفَةٍ مِن الخَاصِكِيَّة، وأدْرَكُوا القَوْمَ عَلَى الطُّرَّانَة، ولَمَّا عَايَنَهم بَيْدَرا أطْلَقَ بَيْسَرَى وبُكْتُمر المعْتَقَلَيْنَ في المخَيَّم، فرَجَعَا إلى كُتْبُغَا وأَصْحَابِه، وفَرَّ عَن بَيْدَرا مَنْ كَان مَعَه مِن العُرْبَانِ والجُنْدِ، وقَاتَـلَ قَلِيلاً ثُمّ قُتِـلَ، ورُفِعَ رَأْسُه عَلَى القَنَاةِ، وَافْتَرَقَ أَصْحَابُه، وَاخْتَفَى قَرَاسُنْقُر ولَاجِينُ بالقَاهِرَة، ويُقَال: إنَّ لَاجِينَ كَانَ مُخْتَفِيًا في مِئْذَنَةِ جَامِع ابنِ طُولُون[2].

ووَصَلَ كُتْبُغَا وأَصْحَابُه إلى القَلْعَةِ، وبِها عَلَمُ الدّين الشُّجَاعِيّ، وَاسْتَدْعَوْا مُحَمَّدَ بنَ قَلاوُون، أخَـا الأشْرَفِ، وبَايَعُوه، ولَقَّبـوه النَّاصِرَ[3]، وقَامَ بالنِّيَابَة زَيْنُ الدّين كُتْبُغَـا، وبالأتَابِكِيَّةِ حُسَامُ الدّين لَاجِين، وبالـوِزَارَة عَلَمُ الدّين سَنْجَر، وبالأسْتَادَارِيَّة رُكْنُ الدّين بَيْبَرْس الجَاشَنْكِير، وَاسْتَبَدُّوا بالدَّوْلَة فَلَم يَكُنِ النَّاصِرُ يَمْلِكُ مَعَهم شَيْئاً مِن أَمْرِه[4].

(1) نهاية الأرب 31: 263.

(2) نهاية الأرب 31: 264، وينظر عقد الجمان 3: 222 - 223.

(3) في نهاية الأرب 31: 267: في رابع عشر المحرم 693 هـ، وينظر تذكرة النبيه 1: 169.

(4) زبدة الفكرة 297 - 298، نهاية الأرب 31: 266 - 267.

وجدُوا في طَلَبِ الأُمَرَاءِ الّذين دَاخَلُوا بَيْدَرَا في قَتْلِ الأَشْرَف، فاسْتَوْعَبَهُمُ القَتْلُ والصَّلْبُ والقَطْعُ، وكَان[أ] منهم بَهَادِرُ رَأْس نَوْبَة، وآقُوش المَوْصِلِيّ فقُتِلا، وأُحْرِقَت[ب] أَشْلاؤُهما في كَثِيرٍ مِنهم[1]، وشَفَع كُتْبُغا في لاجِين وقَراسُنْقُر المتَوَلِّين كِبْرَ [330ب] ذَلِك، / فظَهَرا مِن الاخْتِفَاء، وعَادَا إلى مَحَلِّهما مِن الدَّوْلة[2].

ثُمّ تَقَبّض عَلَى الوزِير مُحَمّدِ بنِ السّلْعُوس عِنْدَ وصُولِه مِنَ الإسْكَنْدَرِيّة، وصَادَرَه الوَزِيرُ الشُّجَاعِيّ وَامْتَحَنَه فَمَاتَ تَحْتَ الامْتِحَان[3]، وأُفْرِجَ عَن عِزِّ الدِّينِ أَيْبَكَ الأَفْرَم الصَّالِحِيّ، وكَان الأَشْرَفُ اعْتَقَلَه سَنَةَ اثنَتَيْنِ وتِسْعِين[4].

وَحْشَةُ كُتْبُغَا ومَقْتَلُ الشُّجَاعِيّ

ثُمّ إنّ الشُّجَاعِيَّ لَطُفَ مَحَلُّه مِن النَّاصِرِ واخْتَصَّه بالمَدَاخَلَة، وأَشَارَ عَلَيْه بالقَبْضِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِن الأُمَرَاءِ، فاعْتَقَلَهم، وفِيهِم: سَيْفُ الدِّين كَرْجي، وسَيْفُ الدِّين طُرقْجِي[5]، وطَوى ذَلِك عَن كُتْبُغَا، وبَلَغَه الخَبَرُ وهُوَ في مَوْكِبِه بسَاحَةِ القَلْعَة، وكَان الأُمَرَاءُ يَرْكَبُونَ في خِدْمَتِه، فاسْتَوْحَش وارْتَابَ بالشُّجَاعِيّ وبالنَّاصِر.

(أ) سقط من س. (ب) في س: وحرقت.

(1) زبدة الفكرة 300.

(2) زبدة الفكرة 303، وينظر نهاية الأرب 31: 269 – 270، 278.

(3) زبدة الفكرة 300، وفي نهاية الأرب 31: 273، تاريخ ابن الجزري 1: 194: في عاشر صفر 693 هـ.

(4) نهاية الأرب 31: 278، تاريخ ابن الفرات 8: 183 - 184.

(5) في الأصول: طوقجي، واعتمدنا ما في زبدة الفكرة 301، نهاية الأرب 31: 274.

ثُمَّ جَاءَ بَعْضُ مَمَالِيكِ الشُّجَاعِيِّ إلى كُتْبُغَا في المَوْكِبِ، وجَرَّدَ سَيْفَه لقَتْلِه فقَتَلَه مَمَالِيكُه، وتأَخَّرَ هُوَ ومَن كَانَ مَعَه مِن الأُمَرَاءِ عَن دُخُولِ القَلْعَةِ، وقَبَضُوا عَلَى بَيْبَرْس الجَاشْنَكِير [أُسْتَادَار][أ]، وبَعَثُوا بِه إلى الإسْكَنْدَرِيَّة، ونَادَوْا في العَسْكَرِ وَاجْتَمَعُوا[ب]، وحَاصَرُوا القَلْعَةَ، وبَعَثَ إليهِمُ السُّلْطَانُ أُمَّه فشَرَطُوا عَلَيْه أَنْ يُمَكِّنَهم مِن الشُّجَاعِيِّ، فامْتَنَعَ، وحَاصَرُوه سَبْعًا واشْتَدَّ القِتَالُ، وفَرَّ مَن كَانَ بَقِيَ بالقَلْعَةِ مِن العَسْكَرِ إلى كُتْبُغَا، وخَرَجَ الشُّجَاعِيُّ إلى مُدَافِعَتِهم، فلَمْ يُغْنِ شَيْئاً، ورَجَعَ إلى السُّلْطَانِ وقَد خَامَرَه الرُّعْبُ، فطَلَبَ أَنْ يَحْبِسَ نَفْسَه، فمَضَى به المَمَالِيكُ إلى السِّجْنِ، وقَتَلُوه في طَرِيقِه[ج][1].

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى كُتْبُغَا ومَن مَعَه، فذَهَبَتْ عَنْهُمُ الهَوَاجِس، وَاسْتَأْمَنُوا للسُّلْطَانِ، فأَمَّنَهم، وَاسْتَحْلَفُوه، فحَلَفَ لَهم، ودَخَلُوا إلى القَلْعَةِ، وأَفَاضَ كُتْبُغَا العَطَاءَ في النَّاسِ، وأَخْرَجَ مَن كَان في الطِّبَاقِ مِنَ المَمَالِيكِ المُتَّهَمِينَ بِمُدَاخَلَةِ الشُّجَاعِيِّ، فأَنْزَلَهم إلى البَلَدِ بِمَنَاظِرِ الكَبْشِ، ودَارِ الوِزَارَة، والمَيْدَان، وكَانُوا نَحْوًا مِن تِسْعَةِ [آلافٍ][د] فأَقَامُوا بِها[2].

ولَمَّا كَان المُحَرَّمُ فَاتِحةُ أَرْبَعٍ وتِسْعِينَ اتَّعَدُوا لِلَيْلَةٍ[3] رَكِبُوا فِيها جَمِيعاً، / وأَخْرَجُوا مَنْ كَان بالسُّجُونِ، ونَهَبُوا بُيُوتَ الأُمَرَاءِ، وأَعْجَلَهم الصُّبْحُ عَن تَمَامِ

(أ) من س، وفي ظ: أستاذ الدار. (ب) في س: فاجتمعوا. (ج) في س: في طريقهم. (د) من س، وفي ظ: ألف.

(1) في تاريخ ابن الجزري 1: 198: رابع عشرين صفر 692 هـ، وينظر زبدة الفكرة 300.

(2) زبدة الفكرة 300 - 301، نهاية الأرب 31: 273 - 277.

(3) في نهاية الأرب 31: 281، كنز الدرر 8: 356: ليلة العاشر من المحرم.

قَصْدِهِم، وبَاكَرَهُمُ الحَاجِبُ بَهَادرُ سَيْفُ الدِّينِ[أ] بِبَعْضِ العَسَاكِرِ [فَهَزَمَهُم][ب]، وَافْتَرَقُوا[ج]، وتَقَبَّضَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهم، فَأَخَذَ مِنْهم العِقَابُ مَأْخَذَه قَتْلاً وضَرْباً وعَزْلاً[1]، وأُفْرِجَ عَنْ عِزِّ الدِّينِ أَيْبَكَ الأَفْرَم، [وأُعِيدَ][د] إلى وَظِيفَتِه أَمِيرِ جَنْدَار، ثُمَّ هَلَكَ قَرِيباً[2].

وَاسْتَحْكَمَ أَمْرُ السُّلْطَانِ ونَائِبِه كُتُبُغَا، وهُوَ مُسْتَبِدٌّ عَلَيْه، وَاسْتَمَرَّ الحَالُ عَلَى ذَلِكَ إلى أَن كَانَ مَا نَذْكُر.

خَلْعُ النَّاصِرِ ووِلَايَةُ كُتُبُغَا العَادِل

ولَمَّا وقَعَتِ الوَحْشَةُ بَيْنَ كُتُبُغَا والشُّجَاعِيِّ، ثُمَّ تَلَتْهَا هَذه الفِتْنَة، اسْتَوْحَشَ كُتُبُغَا فِي بَاطِنِ أَمْرِه، وَانْقَطَعَ عَنْ دَارِ النِّيَابَة مُتَمَارِضاً، وتَرَدَّدَ السُّلْطَانُ لِعِيَادَتِه. ثُمَّ حَمَلَتْه بِطَانَتُه عَلَى الاسْتِبْدَادِ بِالمُلْكِ والجُلُوسِ عَلَى التَّخْتِ، وكَانَ طَمُوحاً لِذَلِكَ مُذْ أَوَّلِ أَمْرِه، فَجَمَعَ الأُمَرَاءَ ودَعَاهُم إلى بَيْعَتِه فَبَايَعُوهُ وخَلَعُوا النَّاصِر، ورَكِبَ إلى دَارِ السُّلْطَان، وجَلَسَ[هـ] عَلَى التَّخْتِ[3]، وتَلَقَّبَ بِالعَادِلِ، وأَخْرَجَ السُّلْطَانَ مِن قُصُورِ المُلْكِ وأَنْزَلَه مَعَ أُمِّه بِبَعْضِ الحُجَرِ، ووَلَّى حُسَامَ الدِّينِ لاجِين نَائِباً، والصَّاحِبَ

(أ) في س: سيف الدين بهادر. (ب) من س، وفي ظ: فهزموهم. (ج) سقط من س. (د) من س، وفي ظ: واعتد.
(هـ) في س: فجلس.

---

(1) نهاية الأرب 31: 281، وينظر البداية والنهاية 17: 672، تاريخ ابن الفرات 8: 191.
(2) توفي سنة 695 هـ، ينظر وفيات الأعيان 13، تذكرة النبيه 1: 191 .
(3) في زبدة الفكرة 305: تاسع المحرم. في نهاية الأرب 31: 282: حادي عشر المحرم 694 هـ، وينظر عقد الجمان 3: 267 - 268.

فخرَ الدّين عُمَرَ بن عَبْدِ العَزِيز الخليلِيّ الدّارِيّ وَزِيراً، نَقَلَه إليها مِن نَظَرِ الدّيوانِ لعَلاء الدّين، [وَلِيّ][أ] العَهْدِ، ابنِ قَلاوُون، وَعِزّ الدّين أيْبَكَ الأفْرَم الصَّالِحيّ أمِيرَ جَنْدَار، وبَهادِرَ الحَلَبيّ أمِيرَ حَاجِب، وسَيْف الدّين بِتْخَاص أستادار[ب]، وقَسّم إمارَةَ الدَّوْلَة بَيْنَ مَمَالِيكِه[1].

وكَتَبَ إلى نُوّابِ الشّامِ بأخْذِ البَيْعَةِ لهُ، فأجَابُوا بالسَّمْعِ والطّاعَة[2]، وقَبَضَ عَلَى عِزّ الدّين أيْبَكَ الخَازِنْدَار نَائِبِ طَرَابُلُس، ووَلّى مَكَانَه عِزّ الدّين أيْبَك المَوْصِلِيّ، وكَانَ الخَازِنْدَار يَنْزِلُ حِصْنَ الأكْرَادِ، فنَزَلَ المَوْصِلِيّ بطَرَابُلُس، وعَادَت دَارَ إمَارَة[3].

ثُمّ وَفَدَ سَنَةَ خَمْسٍ [وتِسْعِينَ][ج] عَلَى العَادِلِ كُتْبُغَا طَائِفَةٌ مِنَ الطَّطَرِ يُعْرَفُونَ بالأُوَيْرَاتِيّة[4]، ومُقَدَّمُهم طرْغَاي، كَانَ مُدَاخِلاً لبَيْدُو في قَتْلِ كِيخَاتُو ابنِ عَمّه أبْغَا، مَلِكِ / الطَّطَرِ، فلَمّا صَارَ المُلْكُ إلى غَازَانَ خَافَه طُرْغَاي، وكَانَت أحْيَاؤه بَيْنَ [331 ب] بَغْدَادَ والمَوْصل[5].

وأوْعَزَ غَازَان إلى الطَّطَرِ الّذين بدِيَارِ بَكْرٍ بأخْذِ الطُّرُقِ عَلَيْهم، وبَعَثَ قُطْلُغُو[د]، مِن أُمَرَائِه، للقَبْضِ عَلَى طُرْغَاي ومَنْ مَعَه مِن أكَابِرِ قَبِيلِه، فسَارَ لذَلِكَ في ثَمَانِينَ فَارِساً، فقَتَلَه طُرْغَاي وأصْحَابُه، وعَبَرُوا الفُرَاتَ إلى الشّام، واتّبَعَهم الطَّطَرُ مِن

(أ) من س، وفي ظ: وولى. (ب) في س: أستاذ الدار. (ج) من س، وفي ظ: وسبعين. (د) في س: قطلغوا.

(1) زبدة الفكرة 305، وينظر نهاية الأرب 31: 285.

(2) نهاية الأرب 31: 284.

(3) زبدة الفكرة 308، وينظر نهاية الأرب 31: 287 - 288، تاريخ ابن الفرات 8: 199.

(4) في نهاية الأرب 31: 297: وكانوا - على ما قيل - ثمانية عشر ألف بيت.

(5) زبدة الفكرة 309.

دِيَارِ بَكْرٍ فَكَرُّوا عَلَيْهم وهَزَمُوهم، وأَمَرَ العَادِلُ سَنْجَرَ الدَّوَادَارَ أن يَتَلَقَّاهم بالرَّحْبَة، وَاحْتَفَلَ نَائِبُ دِمَشْقَ لِقُدُومِهم، ثُمّ سَارُوا إلى مِصْرَ فتَلَقَّاهم شَمْسُ الدِّين قَرَاسُنْقُر[1]، وكَانُوا يَجْلِسُونَ مَعَ الأُمَرَاءِ بِبَابِ القُلَّة، فأَنِفُوا مِن ذَلِك، وكَان سَبَباً لِخَلْعِ العَادِلِ[2] كَمَا نَذكر.

ووَصَلَ عَلَى أَثَرِهم بَقِيَّةُ قَوْمِهم بَعْدَ أن مَاتَ مِنهم كَثِيرٌ، ثُمّ رَسَخُوا في الدَّوْلَة، وخَلَطَهمُ التُّرْكُ بأَنْفُسِهم، وأَسْلَمُوا، واسْتَخْدَمُوا أَوْلادَهم، وخَالَطُوهم بالصِّهْرِ والوِلاد[3].

خَلْعُ العَادِلِ كَتْبُغَا، وولايَةُ لاجِينَ المَنْصُورِيّ

كَانَ أَهْلُ الدَّوْلَة قَدْ(أ) نَقِمُوا عَلَى السُّلْطَان كُتْبُغَا العَادِل تَقْدِيمَ مَمَالِيكِه عَلَيْهم، ومُسَاوَاةَ الأُوَيْرَاتِيّة مِنَ الطَّطَرِ بِهِم، فتَفَاوَضُوا في خَلْعِه[4].

وسَارَ إلى الشَّام في شَوَّالِ خَمْسٍ وتِسْعِينَ فعَزَلَ عِزَّ الدِّين أَيْبَكَ الحَمَوِيّ نَائِبَ دِمَشْق وَاسْتَصْفَاه، ووَلَّى مَكَانَه سَيْفَ الدِّين أَغْرلُو مِن مَوَالِيه، ثُمّ سَارَ إلى حِمْص مُتَصَيِّداً، ولَقِيَه المظَفَّرُ صَاحِب حَمَاة، فأَكْرَمَه ورَدَّه إلى بَلَدِه[5].

(أ) سقط من س.

(1) ثم توجه بهم الأمير شمس الدين قراسنقر إلى الديار المصرية في يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول 695 هـ. نهاية الأرب 31: 298، وينظر تاريخ ابن الفرات 8: 204.

(2) زبدة الفكرة 309 - 310.

(3) نهاية الأرب 31: 299.

(4) زبدة الفكرة 310.

(5) المصدر نفسه 310 – 311.

وسَارَ إلى مِصْرَ والأُمَرَاءُ مُجْمِعُونَ خَلْفَهُ والفَتْكُ بِمَمَالِيكِهِ، وَانْتَهى إلى العَوْجَاءِ مِن أرْضِ فِلَسْطِين، وبَلَغَه عَنْ بَيْسَرَى[أ] الشَّمْسِيّ أنَّه كَاتَبَ الطُّطَرَ، فَنَكِرَ عَلَيْه وأغْلَظَ لَه في الوَعِيدِ، وَارْتَابَ الأُمَرَاءُ لِذَلك، وتَمَشَّتْ رِجَالاتُهم وَاتَّفَقُوا، ورَكِبَ حُسَامُ الدِّين لاجِين، وبَدْرُ الدِّين بَيْسَرَى، وشَمْسُ الدِّين قَرَاسُنْقُر، وسَيْفُ الدِّين قَفْجَق، وبَهَادِرُ الحَلَبِيُّ الحَاجِب، وبَكْتَاش الفَخْرِيّ، وبَيْلِيك الخَازِنْدار، وآقُوش المَوْصِلِيّ، وبَكْتَمُر السِّلَحْدَار، / وسَلارُ، وطُقْجِي، وكُرْجِي، وتَمُطَاي، ومَنِ انْضَافَ إلَيهم بَعْدَ أنْ [332 ا] بَايَعُوا لاجِين، وقَصَدُوا مُخَيَّمَ بَكْتُوتَ الأزْرَق فقَتَلُوه، وجَاءَهم بَتْخَاص فَقَتَلُوه أيْضًا[1].

ورَكِبَ السُّلْطَانُ كَتْبُغَا [في][ب] لَفِيفِه، وحَمَلُوا عَلَيْه فَانْهَزَمَ إلى دِمَشْق، وبَايَعَ القَوْمُ لاجِينَ ولَقَّبُوه المَنْصُورَ، وشَرَطُوا عَلَيْه أنْ لا يَنْفَرِدَ عَنْهم بِرَأْي، فَقَبِلَ، وسَارَ إلى مِصْرَ ودَخَلَ القَلْعَةَ[2].

ولَمَّا وَصَلَ كَتْبُغَا إلى دِمَشْقَ لَقِيَه نَائِبُه سَيْفُ الدِّين [أغْزَلُو][3] وأدْخَلَه القَلْعَةَ، وَاحْتَاطَ عَلَى حَوَاصِلِ لاجِينَ والأُمَرَاءِ الَّذين مَعَه، وأمَّرَ جَمَاعَةً مِن مَوَالِيه، ووَصَلَتِ العَسَاكِرُ الَّتي كَانَت مُجَرَّدَةً بالرَّحْبَةِ، ومُقَدَّمُهم جَاغَان، وكَانُوا قد دَاخَلُوا لاجِينَ في شَأْنِه، ونَزَلُوا ظَاهِرَ دِمَشْق في مُحَرَّمِ سِتٍّ وتِسْعِين، مُظْهِرِين لِدَعْوَتِه، فخَرَجَ إليهم الأُمَرَاءُ مِن دِمَشْق، واتَّفَقُوا عَلَى بَيْعَةِ لاجِين، وأعْلَنُوا بِدَعْوَتِه[4].

(أ) في س: بيسر. (ب) من س، وفي ظ: إلى.

---

(1) زبدة الفكرة 311.

(2) المصدر نفسه 313، وفي نهاية الأرب 31: 315: في يوم الجمعة عاشر صفر 696 هـ.

(3) في الأصول: غزلو، واعتمدنا ما سبق ص 345، ونهاية الأرب 31: 316.

(4) نهاية الأرب 31: 306 - 307.

وَانْحَلَّ أَمْرُ العَادِلِ وسَأَلَ لِي وِلايَةَ صَرْخَد، وأُلْقِيَ بِيَدِه، فحُبِسَ بالقَلْعَةِ لسَنَتَيْنِ مِن وِلايَتِه، وبَعَثَ الأُمَرَاءُ بَيْعَتِهِم للاجِين، ودَخَلَ سَيْفُ الدِّين جاغان إِلَى القَلْعَة[1].

ثُمَّ وَصَلَ كِتَابُ لاجِينَ بِبَيْعَتِه بِمِصْرَ، وبَعَثَ إِلَى كُتُبُغا بوِلايَة صَرْخَد كَما سَأَلَ، ووَصَلَ قَفْجَقُ المَنْصُوريُّ نَائِباً عَلَى دِمَشْق، وأَفْرَجَ لاجِينُ بِمِصْرَ عَن رُكْنِ الدِّين بَيْبَرْس الجَاشْنَكِير وغَيْرِه مِنَ المَمَالِيك، ووَلَّى قَرَاسُنْقُر نَائِباً، وسَيْفَ الدِّين سَلار أُسْتَادَاراً، وسَيْفَ الدِّين بُكْتُمُر السِّلَحْدَار أَمِيرَ جَانْدَار، وبَهَادِرَ الحَلَبِيَّ حَاجِباً، وأَقَرَّ فَخْرَ الدِّين الخَلِيلِيَّ عَلَى وِزَارَتِه، ثُمَّ عَزَلَه ووَلَّى مَكَانَه شَمْسَ الدِّين سُنْقُر الأَعْسَر، وقَبَضَ عَلَى قَرَاسُنْقُر النَّائِبِ آخِرَ سِتٍّ وتِسْعِين، ووَلَّى مَكَانَه سَيْفَ الدِّين مَنْكُوتُمُر الحُسَامِيَّ مَوْلاه، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى دِمَشْقَ سَيْفَ الدِّين قَفْجَقَ المَنْصُوريَّ نَائِباً[2].

ثُمَّ أَمَرَ بتَجْدِيدِ عِمَارَةِ [جَامِع][أ] ابنِ طُولُون، ونَدَبَ لِذَلِكَ عَلَمَ الدِّين سَنْجَر الدَّوَادَارِيَّ، وأَخْرَجَ للنَّفَقَة فيه مِن خَاصِّ[ب] مَالِه عِشْرِينَ[ج] أَلْفَ دِينَار، ووَقَفَ عَلَيه أَمْلاكاً وضِيَاعاً[3].

(أ) من س، وفي ظ: الجامع. (ب) في س: خالص. (ج) في س: مائة وعشرين، ومشطوب فوق مائة و.

---

(1) نهاية الأرب 31: 307، وينظر تاريخ ابن الفرات 8: 228، عقد الجمان 3: 345 - 346.

(2) نهاية الأرب 31: 305.

(3) زبدة الفكرة 315، نهاية الأرب 31: 322، وينظر وثائق وقف السلطان حسام الدين لاجين، فهرست وثائق القاهرة.

ثُمَّ بَعَثَ سَنَةَ سَبْعٍ(1) وتِسْعِينَ بالنَّاصِرِ / مُحمدِ بنِ قَلاوُونَ إلى الكَرَكِ مَعَ سَيْفِ الدِّينِ سَلار أُسْتاذاراً، وقَالَ لزَيْنِ الدِّين [عَلِيّ](2) بنِ مَخْلُوف، فَقِيهِ بَيْتِه: هُوَ ابنُ أُسْتَاذِي وأنَا نائِبُه في الأمْرِ، ولَوْ عَلِمْتُ أنَّه يُقِيمُ الأمْرَ لأقَمْتُه، وقَدْ خَشِيتُ عَلَيه في الوَقْتِ، فبَعَثْتُه إلى الكَرَك، ووَصَلَها في رَبِيعٍ [الأوَّل](3). [332ر]

وقَالَ النُّوَيْرِي: إنَّه بُعِثَ مَعَ(أ) جَمَالِ الدِّين آقُوش(4).

ثُمَّ قَبَضَ السُّلْطَانُ في هَذِه السَّنَة عَلَى بدْرِ الدِّين بَيْسَرَى الشَّمْسِيّ بِسِعَايَةِ منكُوتَمُر نَائِبه(ب)، لأنَّ لاجِينَ أرَادَ أنْ يَعْهَدَ إلَيْه بالأمْرِ فَرَدَّه بَيْسَرَى عَنْ ذَلِكَ وقَبَّحَه عَلَيْه، فدَسَّ منكُوتَمُر بَعْضَ مَمَالِيكِ بَيْسَرَى وأنْهَوْا إلى السُّلْطَانِ أنَّه يَرُومُ الثَّوْرَةَ بِه، فقَبَضَ عَلَيْه آخِرَ(5) رَبِيعٍ الثَّاني مِنَ السَّنَة، وأوْدَعَه السِّجْنَ، فَمَاتَ في مَحْبِسِه(6).

وقَبَضَ في هَذِه السَّنَة عَلَى بَهادِرَ الحَلَبِيّ، وعَلَى عِزِّ الدِّين أيْبَك الحَمَوِي(7).

(أ) سقط من س.   (ب) في س: نائبه منكوتمر.

---

(1) ورد هنا الخبر في حوادث سنة 696 هـ: في كل من زبدة الفكرة 314، عقد الجمان 3: 354.

(2)، (3) من نهاية الأرب 31: 330.

(4) في نهاية الأرب 31: 330 - 331: وتوجه في خدمته سيف الدين سلار أستاذ الدار.... وكان النائب بالكرك يوم ذاك الأمير جمال الدين أقش الأشرفي المنصوري.

(5) في نهاية الأرب 31: 331: في سادس شهر ربيع الآخر.

(6) نهاية الأرب 31: 331 - 335.

(7) نهاية الأرب 31: 335 - 336، وفي الوافي بالوفيات 10: 364: في تاسع عشر شوال 698 هـ.

ثُمَ أَمَرَ فِي هَذِهِ السَّنَة بِرُوكِ[1] الإقْطَاعَاتِ في النَّوَاحِي، وبَعَثَ الأُمَرَاءَ والكُتَّابَ لِذَلِكَ، وتَوَلَّى ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَن الطَّوِيلُ [وهُوَ أَحَدُ][2] مُسْتَوْفِي الدولة[3].

وقَال مُؤَرِّخُ حَمَاةَ المؤيِّد[4]: كَانَت مِصْرُ مُنْقَسِمةً علَى[أ] أرْبَعةٍ وعِشْرِين قِيرَاطًا: أرْبَعة مِنْها للسُّلْطَان والكُلَفِ والرَّوَاتِب، وعَشَرةٌ للأُمَرَاء والاطْلاقَاتِ والزِّيَادَاتِ، وعَشَرةٌ لأجْنَادِ الحَلَقَة، فصَيَّرُوها عَشَرةً للأُمَرَاء والأجْنَاد، وأرْبَعة عَشَرَ للسُّلْطَان، فضَعُفَ الجَيْش.

وقَـال النُّـوَيْرِي[5]: قَـرَّرَ للخَـاصِّ [في][ب] الـرُّوك: الجِـيزَة، وإطْفِـيح، وإسْكِنْدرِيَّة، ودِمْيَاط، ومَنْفَلوط، والكُومَ الأحْمَر.

وحُوِّلَت السَّنَةُ الخَرَاجِيَّةُ مِن [سَنَةِ][ج] سِتٍّ وتِسْعِين إلى سَبْعٍ وتِسْعِين، وهَذا في العَادَة، إنَّمَا هُوَ بعْد انْقِضَاء ثَلاثَة وثَلاثِين سَنَة تُحَوَّلُ سَنَةً وَاحِدَة، وهِيَ تَفَاوُتُ ما بَيْنَ السِّنِينَ الشَّمْسِيةِ والقَمَرِية، وهِيَ[د] حُجَّةُ دِيوانِ الجَيْش في اقْتِطَاع التَّفَاوُتِ الجَيْشِي، وهُوَ تَحْوِيلٌ بالأقْلام فقَط، ولَيْس فيه نَقْصُ شَيْء [من الأموال][6].

(أ) سقط من س. (ب) من س. (ج) من س. (د) في س: وهو.

---

(1) الروك: مصدر الفعل راك، ومعناه مسح أراضي الزراعة في بلد من البلاد لتقدير الخراج المستحق طبقا لما يطرأ من تغيرات في مساحة الأرض، واستغل سلاطين المماليك هذه العملية لإجراء تغيير شامل في توزيع الإقطاعات كما حدث سنتي 697 هـ، 715 هـ، وعن الروك الحسامي، يراجع زبدة الفكرة 320 - 321، نهاية الأرب 31: 345 - 346، عقد الجمان 3: 394 - 395.

(2) من نهاية الأرب 31: 346.

(3) نهاية الأرب 31: 345 - 346.

(4) لم يرد هذا النص في المطبوع من كتاب المختصر في أخبار البشر، ولا في تقويم البلدان.

(5) نهاية الأرب 31: 346، وينظر زبدة الفكرة 320.

(6) من نهاية الأرب 31: 347 - 348، وينظر زبدة الفكرة 321، عقد الجمان 3: 394 - 395.

ثُمَّ أُقْطِعَتِ البِلَادُ بَعْدَ الرُّوْكِ [دربسته](1)، وَاسْتُثْنِيَتِ الجَوَالي(2)، والمَوَارِيثِ الحَشْرِيَّة(3) [فإنَّ ذَلِكَ جُعِلَ في جُمْلَةِ الخَاصِّ السُّلْطَاني](4)، والرِّزَقُ الأَحْبَاسِيَّةُ [المُرْصَدَةُ لمصَالِحِ الجوامِعِ والمسَاجِدِ والرُّبُطِ والزَّوَايَا والخُطَبَاء والفُقَرَاء](5). انْتهى كَلامُ النُّوَيْرِي(6).

فَتحُ حُصُونِ سِيس

ولَمَّا وَلِيَ سَيْفُ الدِّين منكُوتَمُر/ النِّيَابةَ، وكَانَ مُخْتَصّاً بالسُّلْطَان(أ)، [333أ] فَاسْتَوْلى عَلَى الدَّوْلَةِ، وطَلَبَ مِن السُّلْطَانِ أنْ يَعْهَدَ [لَه](ب) بالمُلْكِ، فنَكِرَ ذَلِكَ الأُمَرَاءُ، وثَنَوْا عَنْه السُّلْطَانَ، فتَنَكَّرَ لَهم منكُوتَمُرُ وأكْثَرَ السِّعَايَةَ فِيهم، حَتَّى قُبِضَ عَلَى بَعْضِهم، وفُرِّقَ الآخَرُونَ في النَّوَاحِي، وبَعَثَ السُّلْطَانُ جَمَاعَةً مِنْهم سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعِينَ لغَزْوِ سِيس وبِلَادِ الأَرْمَن، كَانَ مِنْهم: بِكْتَاش [الفَخْرِيُّ](7) أمِير سِلاح،

(أ) في س: بالدولة بالسلطان: ومشطوب على "بالدولة". (ب) من س.

---

(1) إضافة للتوضيح من نهاية الأرب 31: 348، وهي لفظ فارسي بمعنى: كاملاً.

(2) الجوالي: ما يؤديه أهل الذمة من الجزية وفقاً للأحكام الشرعيّة: قوانين الدواوين 317 - 318، وينظر صبح الأعشى 3: 462 - 463.

(3) المواريث الحشرية: هي أموال المتوفين وليس لهم وارث، أو لهم ورثة لايستحقون كل الميراث، فتؤول هذه الأموال إلى بيت المال. قوانين الدواوين 319، وينظر صبح الأعشى 3: 460.

(4) من نهاية الأرب 31: 347 - 348.

(5) نفس المصدر والصفحة.

(6) مع اختلاف في بعض الألفاظ، ينظر نهاية الأرب 31: 347 - 348.

(7) من نهاية الأرب 31: 337.

[وآقسُنقر][1] وبَكْتَمُر السِّلَحْدارِيَّان، وبُزْلار، [وعَزَّاز][2]، ومعهم الألبَكِيّ نائِبُ صفَدَ في العَسَاكِرِ، ونائِبُ طَرَابُلُس، وصَاحِبُ حَمَاة، ثُمّ أردَفَهم بِعَلَم الدِّين سَنْجَر الدَّوَادَار[3].

وجَاءَتْ رُسُلُ صَاحِبِ سِيس بالمسَالَمَة والطَّاعَة، فلَم يَقْبَلُوا، ووصَلَتِ العَسَاكِرُ إلى سِيس[4]، فأغَارُوا بنَوَاحِيها ثَلاثَة أيّام واكْتَسَحُوها، ثُمّ مَرُّوا ببَغْرَاس، ثُمّ بِمَرْجِ أنطَاكِيَة وأقَامُوا بِه ثَلاثاً، ومَرُّوا إلى جِسْرِ الحَدِيد بأرْضِ الرُّوج[5]، ثُمّ قَصَدُوا تَلّ حَمْدُون فوجَدُوهَا خَالِيَةً، وقَدِ انتَقَلَ الأرْمَنُ الّذين بها إلى قَلْعَةِ [النُّجَيْمَة][أ]، ففَتَحُوا قَلْعَةَ مَرْعَش[6] وحَاصَرُوا قَلْعَةَ نُجَيْمَة أربَعِين يومًا وافتَتَحُوهَا صُلحاً[7]، وافتَتَحُوا مِنْ حُصُونِهِم[ب] أحَدَ عَشَرَ حِصْناً، مِنْها: المَصِّيصَةُ وحُمُوص[ج] وغَيرُهَا، اضطَرَب أهْلُها مِن الخَوْفِ فأعْطَوْا طَاعَتَهم، ورَجَعَ العَسْكَرُ إلى حَلَبَ[8].

وبَلَغَ السُّلْطَانَ لاجِين أنَّ الطَّطَرَ قَاصِدُونَ الشَّامَ، فَجَهَّزَ العَسَاكِرَ إلى دِمَشْقَ مَعَ جَمَالِ الدِّين آقُوش الأفْرَم، وأمَرَه أنْ يُخْرِجَ العَسَاكِرَ مِنْ دِمَشْقَ إلى

(أ) من س، وفي ظ: النجويه. (ب) في س: وفتحوا حصونهم. (ج) س: حوض.

---

(1) في الأصول: قراسنقر، واعتمدنا زبدة الفكرة 316، نهاية الأرب 31: 337.

(2) في الأصول: عمراز، واعتمدنا زبدة الفكرة 316.

(3) زبدة الفكرة 316، نهاية الأرب 31: 337، وينظر المختصر 4: 35، عقد الجمان 3: 387.

(4) كان دخولهم إلى دربند سيس في رابع شهر رجب 697 هـ؛ نهاية الأرب 31: 338، وينظر المختصر 4: 35، عقد الجمان 3: 387.

(5) الروج: قرية تقع غرب حلب بينها وبين المعرة، معجم البلدان 3: 76.

(6) في نهاية الأرب 31: 340: في عاشر رمضان.

(7) في نهاية الأرب 31: 340: في سابع شهر رمضان.

(8) تاسع ذي القعدة 697 هـ. المختصر 4: 37، وينظر زبدة الفكرة 316.

حلَبَ معَ قَفْجَقَ النَّائِب، فَسَارَ إلى حِمْصَ[1] وأقَامَ بِهَا، ثُمّ بَلَغهمُ الخَبَرُ برُجُوعِ الطَّطَرِ.

ووَصَلَ أمْرُ السُّلْطَانِ إلى سَيْفِ الدِّين الطَّبَّاخِيِّ نَائِبِ حَلَبَ بالقَبْض عَلَى بَكْتَمُر السِّلَحْدَار والأَلْبَكِيِّ نَائِب صَفَد، وجَمَاعَةٍ [مِنَ][ا] الأُمَرَاءِ بحَلَبَ بسِعَايَةِ مَنكُوتَمُر، وحَاوَلَ الطَّبَّاخِيُّ في ذَلِكَ فتَعذَّرَ عَلَيه، وفَرَّ بُزْلارُ إلى سِنجَارَ فتُوفِّيَ بِهَا، وأَقَامَ الآخَرُون، وشَعَرُوا بذَلِكَ فلَحِقُوا بقَفْجَقَ النَّائِبِ[2] عَلَى حِمْصَ فأجَارَهم، وكَتَبَ إلى السُّلْطَانِ يَشْفَعُ فِيهم، وأبْطَأَ جَوابُه[3].

وَعَذَلَه سَيْفُ الدِّين كُجُك / وعَلَاءُ الدِّين [أَيْدُغْدي][ب]، مِن أَصْحَابِه، في [333 ب] إجَارَتِهم، فاسْتَرَابَ، ووَلَّى السُّلْطَانُ مَكَانَه عَلَى دِمَشْقَ جَاغَان، فَكَتَبَ إلى قَفْجَقَ بطَلَبِهِم[ج]، فنَفَرَ وَافْتَرَقَ عَسْكَرُه، [وعَبَرَ][د] الفُرَاتَ إلى العِرَاقِ ومَعَه أَصْحَابُه بَعْدَ أَنْ قَبَضُوا عَلَى نَائِبِ حِمْصَ وَاحْتَمَلُوه، ولَحِقَهم الخَبَرُ بِمَقْتَلِ السُّلْطَانِ لاجِين[هـ]، وقَدْ تَوَرَّطُوا في بِلادِ العَدُوِّ فَلَم يُمْكِنْهم الرُّجُوعُ، وَوَفَدُوا عَلَى غَازَان بنَواحِي وَاسِط[4].

وكَانَ قَفْجَقُ مِن جِنْسِ الطَّطَرِ، وأَبُوه مِن جُنْدِ غَازَان خُصُوصاً، ولَمَّا وقَعَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَ لاجِينَ وغَازَان، وكَان نَيْرُوزُ أَتَابِك غَازَان مُسْتَوحِشاً مِن سُلْطَانِه،

(ا) من س. (ب) من س، وفي ظ: بن دغدي. (ج) في س: بطلبهم. (د) من س، وفي ظ: وعبروا.
(هـ) س: لاشين، مع الإشارة أنّ س تلتزم هذا الرسم، لوحدناه من غير تنبيه.

(1) في المحرم 698 هـ. نهاية الأرب 31: 351.
(2) كان في ذلك الوقت بحمص مع عسكر دمشق. ينظر زبدة الفكرة 317.
(3) زبدة الفكرة 317، وينظر المختصر 4: 37.
(4) زبدة الفكرة 317، نهاية الأرب 31: 355.

فكَاتَبَ[أ] لاجِينَ في اللَّحَاقِ بِه، واطَّلَعَ سُلْطَانُه عَلَى كُتُبِه[1]، فأَرْسَلَ إلى قُطْلُوشاه، نَائِبِ خُرَاسَان، فقَبَضَ عَلَى نَيْرُوزَ وقَتَلَه، وقَتَلَ غَازَانُ أَخَوَيْه في بَغْدَاد[2].

مَقْتَلُ لاجِينَ، وعَوْدُ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلاوُونَ إلَى مُلْكِه

كَانَ السُّلْطَانُ لَاجِينُ قَدْ فَوَّضَ أَمْرَ دَوْلَتِه إِلَى مَوْلَاه مَنْكُوتَمُر فَاسْتَطَالَ وطَمِعَ في الاسْتِبْدَادِ، ونَافَرَه الأُمَرَاءُ، كَمَا قَدَّمْنَاه، فَأَغْرَى السُّلْطَانَ بِهِم، وشَرَّدَهم كُلَّ مُشَرَّدٍ بالنَّكْبَةِ والإبْعَادِ، وكَانَ سَيْفُ الدِّين كَرْجِي مِنَ الخَاصِكِيَّة ومُقَدَّماً عَلَيهم، كَمَا كَانَ قَرَاسُنْقُر مَعَ الأَشْرَف، وكَانَ جَمَاعةُ المَمَالِيكِ مُغْصَوصِبِينَ[ب] عَلَيْه، وسَعَى مَنْكُوتَمُر في نِيَابَتِه عَلَى القِلَاعِ الَّتِي افْتُتِحَتْ مِنَ الأَرْمَن بِبِلادِ سِيس، فَاسْتَعْفَى مِنْ ذَلِك وأَسَرَّهَا في نَفْسِه، وأَخَذَ في السِّعَايَةِ عَلَى مَنْكُوتَمُر، وظَاهَرَه عَلَى أَمْرِه طُقْجِي[3] مِن كِبَارِ الخَاصِكِيَّة، وكَانَ لِطُقْجِي صِهْرٌ مِنْ كِبَارِ الخَاصِكِيَّة اسْمُهُ طَقْطَاي[4]، أَغْلَظَ له مَنْكُوتَمُر يوماً في المُخَاطَبَة فَامْتَعَضَ وفَزِعَ إلى كَرْجِي وطُقْجِي، فَاتَّفَقُوا عَلَى اغْتِيَالِ السُّلْطَان[5].

وقَصَدُوه لَيْلًا وهُو يَلْعَبُ الشِّطْرَنْجَ، وعِنْدَه حُسَامُ الدِّين قَاضِي الحَنَفِية،

(أ) كذا في الأصول، والأصوب بدون عطف، جواب لمَّا. (ب) في س: معصوبين.

---

(1) في زبدة الفكرة 318: فوقعت كتبه في يد قازان.

(2) زبدة الفكرة 318.

(3) في زبدة الفكرة 323: طغجي.

(4) في زبدة الفكرة 323: طغاي.

(5) نهاية الأرب 31: 358.

فأخبَرَه كَرْجي بغَلَقِ الأبوَابِ علَى المَماليكِ فشكَرَه، ولَم يَزَلْ يتَصرَّفُ أمَامَه حَتَّى سَتَرَ سَيْفَه بمِنْديلٍ طَرَحَه عَلَيْه، فلَمَّا قَامَ السُّلطَانُ لصَلَاةِ العَتمَة، نَحَّاهَا عَنه وعَلَاه بالسَّيفِ، وَالْتَقَدَ السُّلطَانُ سَيفَه، فتَعَاوَرُوه بسُيُوفِهم / حَتَّى قَتَلُوه، وهَمُّوا بقَتْلِ [334ا]
القَاضِي ثُمَّ تَرَكُوه[1].

وخَرَجَ كَرْجي إلى طُقجِي بمَكَانِ انتِظَارِه، وقَصَدُوا مَنكُوتَمُر في دَارِ النِّيَابَة، فَاستَجَارَ بطُقجِي، فأجَارَه وحَبَسَه بالجُبِّ[أ]، ثُمَّ رَاجَعُوا رَأيَهم واتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِه، فَقَتَلُوه[2].

وكَانَ مَقتَلُ لَاجِينَ في رَبِيعٍ [الآخِرِ[3] سنَةَ] ثَمَانٍ وتِسْعِين، وكَانَ مِن مَوالِي عَلِيّ بن المعِزّ أيبَك، فلَمَّا غُرِّبَ إلى القُسطَنطِينة تَرَكَهُ بالقَاهِرَة فَاشتَرَاه المَنصُور قَلاوُونَ مِن القَاضِي بِحُكْمِ البَيْعِ عَلَى الغَائِبِ بألْفِ دِرهَم، وكَان يُعْرَفُ بلاجِينَ الصَّغِير، لأنَّه كَانَ هُنالك لَاجِين آخَرُ أكْبَرُ مِنه، وكَانَ نَائِباً بِحِمص.

ولَمَّا قُتِلَ اجتَمَعَ الأُمَرَاءُ، وفِيهم: رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجَاشنكِير، وسَيفُ الدِّين سَلار الأستَادَار، وحُسَامُ الدِّين لاجِينُ الرُّوميُّ وقد وصَلَ عَلَى البَرِيد مِن بِلادِ سِيس، وجَمَالُ الدِّين آقُوش الأفْرَمُ وقَد عَادَ مِن دِمَشْق بَعْدَ أنْ أخْرَجَ النَّائِبَ

(أ) في س: بالجب.

---

(1) نهاية الأرب 31: 358 – 359.

(2) المصدر نفسه 31: 360.

(3) من زبدة الفكرة 323، وفي نهاية الأرب 31: 357: في ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر، وينظر عقد الجمان 3: 421 - 422.

والعَساكِرَ إلى حِمْص، وعِزُّ الدِّين أيْبَك الخَازِنْدار، وبدْرُ الدِّين [عبدُ الله][1] السِّلَحْدار، فضَبَطُوا القَلْعَةَ، وبَعَثُوا إلى النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلاوُون بالكَرَكِ يَسْتَدْعُونه للمُلْكِ[2].

وَاعْتَزَمَ طُقْجِي عَلَى الجُلُوس عَلَى التَّخْتِ، وَاتَّفَقَ وُصُولُ الأُمَرَاءِ الذين كَانُوا بِحَلَب، مُنْصَرِفِينَ مِن غَزَاةِ سِيس، وفيهم: سَيْفُ الدِّين كُرْتِيه، وشَمْسُ الدِّين سُنْقُرشاه، ومُقَدَّمُهم بَدْرُ الدِّين بِكْتَاش الفَخْرِيُّ أمير سِلاح، فأشَارَ الأُمَرَاءُ عَلَى طُقْجِي بالرُّكُوب لِلِقَائِهم فأنِفَ أوَّلاً، ثُمَّ رَكِبَ ولَقِيَهم، وسَألُوه عنِ السُّلْطَان، فقَالَ: قُتِلَ، فقَتَلُوه[3].

وكَانَ كُرْجِي عِنْدَ القَلْعَةِ فرَكَضَ هَارِباً، فأُدْرِكَ عِنْدَ القَرَافَة وقُتِلَ[4]، ودَخَلَ بِكْتَاش والأُمَرَاءُ إلى[أ] القَلْعَة لِحَوْلٍ مِن غُزَاةِ سِيس، ثُمَّ اجْتَمَعُوا، وبَعَثُوا سَيْفَ الدِّين الجُوكَنْدَار وعَلَمَ الدِّين سَنْجَر الجَاوليّ إلى الكَرَكِ لإحْضَارِ النَّاصِر[5].

وبَقِيَ الأَمْرُ بِمِصْرَ دَائِراً بَيْنَ سَلَّار، وبَيْبَرْس، وأَيْبَكَ الخَازِنْدَار، وآقُوش الأَفْرَم، وبِكْتَمُرَ أَمِير جَنْدَار، وكُرْت الحَاجِب[6]، وهم يَنْتَظِرون وصُولَ النَّاصِرِ مِن

(أ) سقط من س.

---

(1) من نهاية الأرب 31: 364

(2) زبدة الفكرة 324، نهاية الأرب 31: 363 - 364.

(3) زبدة الفكرة 325، نهاية الأرب 31: 365 - 366.

(4) المصدر نفسه، نهاية الأرب 31: 366.

(5) المصدر نفسه، نهاية الأرب 31: 366 - 367، وينظر عقد الجمان 3: 449.

(6) نهاية الأرب 31: 367، ويراجع عقد الجمان 3: 449 – 450، 452.

الكَرَك[أ]، وكَتَبُوا إلى الأُمَـرَاءِ بدِمَشْقَ بِمَا فعَلُوه فوَافَقُوا عَلَيه، ثُمّ قَبَضُوا عَلَى / [334ب] نَائِبِها جَاغَانَ الحُسَامِيّ[1]، وتَوَلَّى ذَلِكَ بهَاءُ الدِّين [قَرَا أَرْسَلان][2] السَّيْفِيُّ وَاعْتَقَله[3]، ومَاتَ لأَيّامٍ قَلائِلَ[4]، فبَعَثَ الأُمَرَاءُ بِمِصْرَ مَكَانَه سَيْفَ الدِّين قَطْلُوبك المَنْصُورِيُّ[5].

ثُمّ وَصَلَ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بنُ قَلاوُونَ إلى مِصْرَ في جُمَادَى [الأُولَى[6] سَنَةَ] ثَمَانٍ وتِسْعِين، فبَايَعُوا لَهُ[ب]، ووَلَّى[ج] سَلّار نَائِباً، وبَيْبَرْس أُسْتَادَاراً، وبَكْتَمُر الجُوكَنْدَار أَمِيرَ جَنْدَار، وشَمْسَ الدِّين الأَعْسَرَ وَزِيرًا، وعَزَلَ فَخْرَ الدِّين [بنَ][د] الخَلِيلِيّ بَعْدَ أنْ كَانَ أَقَرَّه، وبَعَثَ عَلَى دِمَشْقَ جَمَالَ الدِّين آقُوش الأَفْرَمَ عِوَضًا عَن سَيْفِ الدِّين قَطْلُوبك[هـ]، وَاسْتَدْعَاه إلى مِصْرَ فَوَلّاه حَاجِباً، وبَعَثَ عَلَى طَرَابُلُس سَيْفَ الدِّين كُرْت، وعَلَى الحُصُونِ سَيْفَ الدِّين كَرَاي، وأَقَرَّ بَلَبَان الطَّبَّاخِي عَلَى حَلَبَ، وأَفْرَجَ عَن قَرَاسُنقُر المَنْصُورِيّ وبَعَثَه عَلَى الصُّبَيْبَة، ثُمّ نَقَلَه إلى حَمَاة، عِنْدَما بَلَغَه وفَاةُ صَاحِبِها المُظَفَّر آخِرَ السَّنَة، وخَلَعَ عَلَى الأُمَرَاءِ، وبَثَّ العَطَايَا والأَرْزَاق، وَاسْتَقَرَّ في مُلْكِه، وبَيْبَرْس وسَلارُ مُسْتَبِدَّان عَلَيْه[7].

(أ) سقط من س. (ب) سقط من س. (ج) في س: فولى. (د) من س. (هـ) في س: قطلبك.

(1) ولي بر دمشق في أوائل سنة 698 هـ. نهاية الأرب 31: 369.
(2) في الأصول: قرا رسلان، وصوبناه من نهاية الأرب 31: 369.
(3) في تاسع عشر ربيع الآخر 698 هـ. ينظر نهاية الأرب 31: 369.
(4) في ثاني جمادى الأولى 698 هـ. نهاية الأرب 31: 369.
(5) نهاية الأرب 31: 367، 369.
(6) من نهاية الأرب 31: 370.
(7) زبدة الفكرة 326، نهاية الأرب 31: 371 - 372.

الفِتنةُ مَعَ الطَّطَرِ

قَد قَدَّمْنَا مَا كَانَ مِن فِرَارِ قَفجَق نَائِبِ دِمَشْقَ إلى غَازَان، وحُدُوثِ الوَحْشَةِ بيْنَ المَمْلَكَتَيْنِ، فَشَرَعَ غَازَانُ في تَجْهِيزِ العَسَاكِرِ إلى الشَّام، وبَعَثَ سَلَامِش بن أفَاك ابن بِيكُو[1] في خَمْسَةٍ وعِشْرِينَ ألفاً مِن عَسَاكِرِ المُغل، ومَعَه أخُوه قَطْقُطُو، وأمَرَهُ أنْ يَسِيرَ مِن جِهَةِ سِيس، فَسَارَ لذَلِك، ثُمَّ حَدَّثَتْه نَفْسُه بالمُلْك، فَخَلَعَ[2] وطَلَبَ المُلْكَ لنَفْسِه، وكَاتَبَ ابنَ قَرَمَانَ أمِيرَ التُّرْكُمَان، فَسَارَ إلَيه في عَشَرَةِ آلافِ فَارِس، وسَارَ في سِتِّينَ ألَف فَارِس إلى سِيوَاس وحَاصَرَها، فَامْتَنَعَتْ عَلَيه، وكَتَبَ إلى صَاحِبِ مِصْرَ [المنصورِ لاجِين][3] مَعَ مُخْلِصِ الرُّومِيّ يَسْتَنْجِدُه، فبَعَثَ إلى نَائِبِ دِمَشْقَ بإنْجَادِه[4].

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى غَازَان، فبَعَثَ لِقِتَالِه [بُولَاي][5] مِن أُمَرَاءِ الطَّطَرِ في خَمْسَةٍ وثَلاثِينَ ألفَ فَارِس، ولَحِقَه عَلَى سِيوَاس، فَانْفَضَّتْ عَنه العَسَاكِرُ، ورَجَعَ الطَّطَرُ إلى بُولاي، ولَحِقَ التُّرْكُمَانُ بالجِبَالِ، ولَحِقَ هُوَ بسِيس في فَلٍّ مِن العَسْكَرِ، وَسَارَ إلى / دِمَشْقَ ثُمَّ إلى مِصْرَ[6]، وسَأَلَ مِنَ السُّلْطَان لاجِينَ أن يُمِدَّه بعَسْكَرٍ [335 ا] يَنْقُلُ بِه عِيَالَه إلى الشَّام، فأمَرَ السُّلْطَانُ نَائِبَ حَلَب أنْ يُنْجِدَه عَلَى ذَلِك، فبَعَثَ

---

(1) زبدة الفكرة 319، وفي نهاية الأرب 31: 373: سلامش بن أفال بن بيجو.

(2) في نهاية الأرب 31: 373: فلما وصل سلامش إلى بلاد الروم خلع طاعة قازان.

(3) من زبدة الفكرة 319.

(4) نهاية الأرب 31: 373.

(5) في الأصول وتاريخ غازان خان 161: مُولاي، وضبطناه حسبما يلي، ومن نهاية الأرب 31: 374.

(6) في نهاية الأرب 31: 374: في يوم الأحد خامس عشر شعبان 697 هـ.

معه عَسْكَراً عَلَيْهم بكْتَمُر الجَلَمِيّ، وسَارُوا إلى سِيس، فاعْتَرَضهم الطُّطَرُ وهَزَمُوهم، وقُتِلَ الجَلَمِيُّ، ونَجَا سَلامِش إلى بَعْضِ القِلاعِ، فَاسْتَنْزَلَه غَازَانُ وقَتَلَه، وَاسْتَقَرّ أخُوه قَطْقُطُو ومُخْلِصٌ بِمِصْرَ، وأُقْطِعَ لهمَا، وَانْتَظَمَا في عَسْكَرِ مِصْرَ[1].

واقِعَةُ الطَّطَرِ عَلَى النَّاصِر
واسْتِيلاءُ غَازَانَ عَلَى الشَّامِ ثُمّ ارْتِجَاعُهُ منه

قَد كُنَّا قَدَّمْنا مَا حَدَثَ مِنَ الوَحْشَةِ بَيْنَ الطُّطَرِ وبَيْنَ التُّرْكِ بِمِصْرَ، وقَدَّمْنا مِن أسْبَابِها مَا قَدَّمْنَاه، فَلَمَّا بُويِعَ النَّاصِرُ بَلَغَه أَنَّ غَازَانَ زَاحِفٌ إلى الشَّامِ[2]، فتَجَهَّزَ وقَدَّمَ العَسَاكِرَ مَعَ قَطْلُوبك[أ] الكَبِير، وسَيْفِ الدّين نُكْبِيه[3]، وسَارَ عَلَى أَثَرِهِم آخِرَ ثَمَانٍ وتِسْعِين[4].

وَانْتَهَى إلى غَزَّة، فنُمِيَ إليه أَنَّ بَعْضَ المَمَالِيكِ مُجْمِعُونَ للتَّوَثُّبِ[ب] عَلَيْه، وأَنَّ الأُوَيْرَاتِيَّةَ الذِين وَفَدُوا مِنَ الطُّطَرِ عَلَى كُتْبُغَا دَاخَلُوهم في ذَلِك، وبَيْنَمَا هُو يَسْتَكْشِفُ الخَبَرَ إذَا بِمَمْلُوكٍ مِن [أُولَئِك][ج] المَمَالِيكِ قد شَهَرَ سَيْفَه واخْتَرَقَ صُفُوفَ العَسَاكِرِ، وهُم مُصْطَفُّون بظَاهِرِ غَزَّة، فقُتِلَ لِحِينِه، وتَتَبَّعَ أَمْرَهم مِنْ هَذِه

(أ) في س: قطلبك. (ب) في س: على التوثب. (ج) من س.

---

(1) زبدة الفكرة 319، نهاية الأرب 31: 375.

(2) انظر الوقائع في تاريخ غازان خان 159.

(3) في نهاية الأرب 31: 381: نوكيه.

(4) في زبدة الفكرة 329: في الرابع والعشرين من ذي الحجة.

البَادِرة حَتَّى ظَهرتْ جَلِيَّتُها، فَشنِقَ الأَوْيَراتِيَّة ومُقَدَّمُهم بُرلْطاي، وقُتِلَ بعْضُ المَمَالِيكِ، وحُبِسَ البَاقُونَ بالكَرَكِ[1].

ورَحَلَ السُّلْطَانُ إلى عَسْقَلاَنَ ثُمّ دِمَشْق، ثُمّ سَارَ ولَقِيَ غَازَانَ مَا بَيْنَ سَلَمِيَّةَ وحِمْصَ بِمَجْمَعِ المُرُوجِ، ومعَه الكُرْجُ والأَرْمَن، وفي مُقَدَّمَتِه أُمَرَاءُ التُّرْكِ الّذِين هَرَبُوا منَ الشَّامِ، وهُم: قَفْجَق المَنْصُورِيُّ، وبَكْتَمُر السِّلْحَدَار، وفَارِسُ الدِّين أَلْبَكِي، وسَيْفُ الدِّين عَزاز، فكَانَتِ الجَوْلَةُ مُنْتَصَفَ[2] رَبِيعِ [الأوّل][3]، فَانْهَزَمَتْ مَيْمَنَةُ الطَّطَرِ وثَبَتَ غَازَان، ثُمّ حَمَلَ عَلَى القَلْبِ فَانْهَزَمَ النَّاصِرُ، وَاسْتُشْهِدَ كَثِيرٌ مِن الأُمَرَاءِ، وفُقِدَ حُسَامُ الدِّين قَاضِي الحَنَفِية وعِمَادُ الدِّين إِسْمَاعِيلُ ابنُ الأَثِير، ونَجَا السُّلْطَانُ إلى دِمَشْقَ، وَسَارَ غَازَانُ إلى حِمْص فَاسْتَوْلَى عَلَى الذَّخَائِرِ السُّلْطَانية[4].

[335ب] وطَارَ الخَبَرُ / إلى دِمَشْقَ، فاضْطَرَبَ العَامَّةُ وثَارَ الغَوْغَاءُ، وخَرَجَ المَشْيَخَةُ إلى غَازَان، تَقَدَّمَهم: بدْرُ الدِّين ابنُ جَمَاعَة، وتَقِيُّ الدِّين ابنُ تَيْمِيَّة، وجَلاَلُ الدِّين القَزْوِيني، وبَقِيَ أَهْلُ البَلَدِ فَوْضَى، وخَاطَبَ المَشْيَخَةُ غَازَانَ في الأَمَانِ، فَقَالَ: قَد خَالَفَكم إلى بَلَدِكُم كِتَابُ الأَمَانِ[5].

ووَصَلَ جَمَاعَةٌ مِن أُمَرَائِه، فِيهِم: إِسْمَاعِيلُ الأَمِير، والشَّرِيفُ القُمِّي، وقُرِيءَ

(1) زبدة الفكرة 330، نهاية الأرب 31: 383، وينظر عقد الجمان 3: 462 - 463.

(2) الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول 699 هـ. نهاية الأرب 31: 384.

(3) من نهاية الأرب 31: 384.

(4) زبدة الفكرة 332، نهاية الأرب 31: 387 – 389، تاريخ غازان خان 184.

(5) ينظر نص كتاب الأمان في زبدة الفكرة 337 - 339، نهاية الأرب 31: 389 - 390، عقد الجمان 4: 48 - 49، 56 - 57.

كِتَابُ الأَمَانِ، ويُسَمُّونَه بلُغَتِهِم الفَرْمَان، ونَزَلَ الأُمَرَاءُ الواصِلُونَ بالبَسَاتِين خَارِجَ البَلَدِ، وامتَنَعَ عَلَمُ الدِّين سَنْجَر أرْجُوَاش بالقَلْعَةِ، فبَعَثَ إليه إسْمَاعِيلُ يَسْتَنْزِلُه بالأَمَانِ، فامْتَنَعَ، فبَعَثَ إلَيه المَشْيَخَةَ مِن أَهْلِ دِمَشْق، فَزَادَ امْتِنَاعاً، ودَسَّ إلَيْه النَّاصِرُ بالتَّحَفُّظِ بالقَلْعَةِ، وأنَّ المَدَدَ عَلَى غَزَّة.

ووَصَلَ قَفْجَقُ وبَكْتَمُر فنَزَلُوا المَيْدَانَ، وبَعَثُوا إلى سَنْجَرَ بالقَلْعَةِ في الطَّاعَةِ فأَسَاءَ جَوَابَهم، وقَالَ لَهم: إنَّ السُّلْطَانَ وَاصِلٌ، وقَدْ هَزَمَ عَسَاكِرَ الطَّطَرِ التي اتَّبَعَتْه[1].

ودَخَلَ قَفْجَقُ إلى دِمَشْقَ فقَرَأَ تَقْلِيدَ غَازَانَ لَه بِوِلايَةِ دِمَشْقَ والشَّامِ جَمِيعاً[2]، وجَعَلَ إلَيْه وِلايَةَ القَضَاءِ، وخُطِبَ لغَازَان بالجَامِعِ، وانْطَلَقَتْ أيْدِي العَسْكَرِ في البَلَدِ بجَمِيعِ أنْوَاعِ العَيْثِ، وكَذَا في الصَّالِحِيَّةِ والتُّرَبِ الَّتِي بِها، والمِزَّةِ، ودَارَيَّا، ورَكِبَ ابنُ تَيْمِيَّةَ إلى شَيْخِ الشُّيُوخِ نِظَامِ الدِّين مَحْمُودِ بن عَلِيٍّ الشَّيْبَانِي، وكَانَ نَزَلَ إلى العَادِلِيَّة[أ]، فأَرْكَبَه معه إلى الصَّالِحِيَّةِ وطَرَدُوا مِنْها أَهْلَ العَيْثِ، ورَكِبَ المَشْيَخَةُ إلى غَازَانَ شَاكِين، فمُنِعُوا مِن لِقَائِه حَذَرًا مِن سَطْوَتِه بالطَّطَرِ فيَقَعُ الخِلَاف، ويَعُودُ وبَالُ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ البَلَدِ، فرَجَعُوا إلى الوَزِيرِ سَعْدِ الدِّين ورَشِيدِ الدِّين، فأَطْلَقُوا لَهُمُ الأَسْرَى والسَّبْيَ[3].

(أ) في س: بالعادلية.

---

(1) نهاية الأرب 31: 393.

(2) ينظر نص فرمان كل من الأمير قفجق والأمير بكتمر السلحدار في: زبدة الفكرة 340، 342، عقد الجمان 4: 60، 63. تاريخ غازان خان 164.

(3) ينظر نهاية الأرب 31: 393 - 394.

وشاعَ في النّاسِ أنّ غازانَ أذِنَ للمُغلِ في البَلَدِ وما فيه، ففزِعَ النّاسُ إلى شيْخِ الشُّيوخ، وفرَضُوا على أنفُسِهم أربَعَ مِائةِ ألفِ دِرْهم مُصانَعَةً على ذلكَ، وأُكْرِهُوا على غَرامَتِها بالضَّرْبِ والحَبْسِ حتّى كَمُلَت.

ونَزَلَ الطُّطَرُ بالمدْرَسَةِ العادِلِيّة فأَحْرَقَها أرْجُوَاش، نائِبُ القَلْعَةِ، ونُصِبَ المنجَنِيقُ عَلَى القَلْعَةِ بسَطْحِ جَامِعِ بَنِي أُمَيّة، وبَيّتَه أهْلُ القَلْعَةِ / |336أ| فأحْرَقُوه، فأُعِيدَ عَمَلُه، وكَانَ المُغُلُ يَحْرُسُونَه فانتَهَكُوا حُرْمَةَ المسْجِدِ بكُلِّ مُحَرَّمٍ مِنْ غَيرِ اسْتِثْنَاء، وبَيّتَهم أهْلُ القَلْعَةِ فقَتَلُوا النَّجّارَ الّذِي كَانَ يَصْنَعُ المنْجَنِيقَ، وهَدَمَ نَائِبُ القَلْعَة أرْجُوَاش مَا كَانَ حَوْلَها مِنَ المسَاكِنِ والمدَارِسِ والأبْنِيَةِ ودَارِ السَّعَادَة، وطُولِبُوا بِما لا يقْدِرُونَ عَلَيْه، وأُهِينَ القُضَاةُ والخُطَبَاء، وعُطِّلَتِ الجَماعَاتُ والجُمُعَة، وفَحُشَ القَتْلُ والسَّبْيُ، وأُحْرِقَتْ دَارُ الحَدِيثِ وكَثِيرٌ مِنَ المدَارِسِ[1].

ثُمّ قَفَلَ غَازانُ إلى بِلادِه[2] بَعْدَ أنْ وَلّى عَلى دِمَشْقَ والشّام قَفْجَق، وعَلَى حَمَاةَ وحِمْصَ بَكْتَمُرَ السّلَحْدار، وعَلَى صَفَدَ وطَرابُلُسَ والسّاحِلِ فارِسَ الدِّين ألْبَكِي، وخَلَّفَ نَائِبَه قُطْلُوشَاه[3] في سِتِّينَ ألفاً حَامِيَةً للشّام[4]، واسْتَصْحَبَ وَزِيرَه بدْرَ الدِّين بنَ فَضْلِ الله، وشَرَفَ الدِّين ابنَ الأثِير، وعَلاءَ الدِّين ابنَ القَلانِسِيّ[5]، وحَاصَرَ قُطْلُوشَاه القَلْعَةَ، فامْتَنَعَتْ عَلَيه، فاعْتَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ، وجَمَعَ لَه قَفْجَقُ مَالاً،

(1) نهاية الأرب 31: 396 - 397.

(2) في نهاية الأرب 31: 397، يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى، وينظر زبدة الفكرة 344.

(3) عرد في تاريخ غازان خان 184: قتلغ شاه.

(4) نهاية الأرب 31: 397 - 398.

(5) المصدر نفسه 31: 398.

وغادَ في[1] جُمادَى [الأولَى][2] مِنَ السَّنَة، وبَقِي قَفْجَق مُنفَرِداً بأمْرِه، [فأمَّن][أ] النَّاسَ بَعْضَ الشَّيءِ، وأمَّرَ مَمَالِيكَه.

ورَجَعَتْ عَسَاكِرُ الطَّطَرِ مِنَ اتِّبَاعِ التُّرْكِ بَعْدَ أنْ وَصَلُوا إلى القُدْسِ وغَزَّة والرَّمْلَة وَاسْتَبَاحُوا ونَهَبُوا، وقَائِدُهم يَومَئِذٍ بُولاي مِن أُمَرَاءِ الطَّطَرِ، وخَرَجَ إليه ابنُ تَيمِيَّةَ وَاسْتَوْهَبَه بَعْضَ الأسْرَى فأطْلَقَهم[3].

وكَانَ المَلِكُ النَّاصِرُ لَمَّا وَصَلَ إلى القَلْعَةِ، وَوَصَل معه كُتْبُغَا العَادِل، وكَان حَضَرَ معه المَعْرَكَةَ مِن مَحَلِّ نِيَابَتِه بصَرْخَد، فلَمَّا وَقَعَتِ الهَزِيمَةُ سَارَ مَعَ السُّلْطَانِ إلى مِصْرَ، وبَقِيَ في خِدْمَةِ النَّائِب سَلاَّر[4].

وجَدَّدَ السُّلْطَانُ العَسَاكِرَ، وبَثَّ [النَّفَقَاتِ][ب]، وسَارَ مِن مِصْرَ وَانْتَهى إلى الصَّالِحِيَة، وبَلَغَه رَحِيلُ غَازَانَ مِنَ الشَّام، ووَصَلَ إليه: بَلَبَانُ الطَّبَّاخِيُّ نَائِبُ حَلَب عَلَى طَرِيقِ طَرَابُلُس، وجَمَالُ الدِّين الأفْرَمُ نَائِبُ دِمَشْق، وسَيْفُ الدِّين كَرَاي نَائِبُ طَرَابُلُس، وأنْفَقَ السُّلْطَانُ في عَسَاكِرِهم[5].

وبَلَغَه أنَّ قَطْلُوشَاه نَائِبَ غَازَان رَحَلَ مِن الشَّامِ عَلَى أثَرِ غَازَان، فتَقَدَّمَ بَيْبَرْس وسَلاَّرَ في العَسَاكِرِ إلى الشَّامِ، ووَقَعَتِ المُرَاسَلَةُ بَيْنَه وبَيْنَ قَفْجَق وبَكْتَمُر

(أ) من س، وفي ظ: فأمر. (ب) من س، وفي ظ: للنفقات.

---

(1) في نهاية الأرب 31: 399: الثالث والعشرين.
(2) من نهاية الأرب 31: 399.
(3) نهاية الأرب 31: 400 - 401.
(4) المصدر نفسه 31: 402.
(5) المصدر نفسه 31: 402.

[٢٨ب] والبَكِي فأذْعَنُوا للطَّاعَة، / ووصَلُوا إلى بَيْبَرْس وسَلار، فبَعثُوا معَهم إلى السُّلْطان، وهُوَ بالصَّالِحِيَة في شَعْبَانَ(1) مِن السَّنَة، [فركِبَ](أ) لِلِقَائِهِم، وبالَغ في تَكْرِمَتِهِم والإقْطَاعِ لهم، وولّى قَفْجَقُ عَلَى الشَّوْبَك، ورَحَلَ عائِداً إلى مِصْرَ(2).

ودَخَلَ بَيْبَرْس وسَلّار إلى دِمَشق، وقَرَّرُوا في ولايَتِها جَمَالَ الدِّين آقُوش الأفْرَم، كَما كان، وفي نِيَابَةِ حَلَبَ قَرَاسُنْقُر المنْصُوريُّ الجُوكَنْدَار، لاسْتِعْفاءِ بَلَبَانَ الطَّبَّاخِيِّ منها، وفي طَرَابُلُس سَيْفَ الدِّين قَطْلُوبك، وفي حَمَاةَ كَتْبُغَا العَادِلَ، وفي قَضاءِ دِمَشْقَ بدْرَ الدِّين ابنَ جَمَاعَة، لوفَاةِ إمَام الدِّين عُمَرَ بن سَعْدِ الدِّين القَزْوِيني(3). [الَّذِي اسْتَقَرَّ ابنُه جَلَالُ الدين، بَعْدَ ذَلك، قَاضِي القُضَاة بمِصْر](ب).

وعَادَ بَيْبَرْس وسَلّار إلى مِصْرَ مُنْتَصَفَ شوّال(4)، وعَاقَبَ الأفْرَمُ كُلَّ مَن اسْتَخْدَمَ للطَّطَرِ مِن أهْلِ دِمَشْق، وأغْزَى عَسَاكِرَه جِبَالَ الكِسْرَوَان والدُّرْزِيَّة لِمَا نَالُوا عِنْدَ الهَزِيمَة مِن العَسْكَر(ج)، وألْزَمَ أهْلَ دِمَشْقَ بالرِّمَايَة وحَمْلِ السِّلاح(5)، وفُرِضَتْ عَلَى أهْلِ مِصْرَ ودِمَشْقَ الأمْوَالُ عَن لَقَبِ الخَيَّالَة(6) وأُجْرَةِ المسَاكِنِ لأرْبَعَة أشْهر، وثُلُثُ ضَمَانِ القُرَى(7).

(أ) من س، وفي ط: وركب. (ب) من س. (ج) في س: من العسكر عند الهزيمة.

---

(1) في نهاية الأرب 31: 404: في العاشر من شعبان.

(2) نهاية الأرب 31: 404.

(3) نهاية الأرب 31: 405 - 406.

(4) في نهاية الأرب 31: 406: ثالث شوال.

(5) نهاية الأرب 31: 406.

(6) في نهاية الأرب 31: 412: مقرر الخيالة.

(7) نهاية الأرب 31: 411 - 412.

وكَثُرَ الإرْجَاف سَنَةَ سَبعِ مِائة بِحَرَكَةِ الطَّطَرِ، فتَوجَّهَ السُّلْطَانُ إلى الشَّام[1] بَعْدَ أنْ فَرَضَ علَى الرَّعِيَّة أمْوالاً وَاسْتَخْرَجها لتَقْوِيَة عَسَاكِره، وأقَامَ بظَاهِرِ غَزَّة أيَّامًا، تَوالَتْ فيها الأمْطَار، ثُمَّ بَعَثَ ألْفَي فارِسٍ إلى دِمَشْق، وعَادَ إلى مِصْرَ سَلْخَ رَبيعِ الآخِر[2].

وجَاءَ غَازَانُ بعَسَاكِره، وأجْفَلَتِ الرَّعَايَا أمَامَه حَتَّى ضَاقَتْ بِهِمُ السُّبُلُ والجِهَاتُ، فنَزَلَ مَا بَيْنَ حَلَبَ وسَرْمِينَ ونَازَلَها، واكْتَسَحَ البِلادَ إلى أنطاكِيَة وجَبَلِ السُّمَّاق، وأصَابَهم سَمُومُ البَرْدِ وكَثْرَةُ الأمْطَارِ والوَحَلِ، وانْقَطَعَتِ المِيرَةُ عَنْهم، وعُدِمَتِ الأقْوَاتُ، وصُوِّعَتِ[أ] المَرَاعِي[3] مِن كَثْرَة الثَّلج، فارْتَحَلُوا إلى بِلادِهِم[4].

وكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ جَهَّزَ العَسَاكِرَ، كَمَا قَدَّمْنَاه[ب]، إلى الشَّام صُحْبَةَ بَكْتَمُر السِّلَحْدَار نَائِب صَفد، ووَلَّى مَكَانَه بصَفَد سَيْفَ الدِّين بتخاص المَنْصُوري[5].

ثُمَّ وَقَعَتِ المُرَاسَلَةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ النَّاصِر وبَيْنَ غَازَان، وجَاءَتْ كُتُبُه، وبَعَثَ النَّاصِرُ كُتُبَه ورُسُلَه[6].

(أ) في س: وصوّحت. (ب) في س: كما قلناه.

(1) نهاية الأرب 31: 413: في ثالث عشر صفر 700 هـ، وينظر عقد الجمان 4: 126. تاريخ غازان خان 164.

(2) في نهاية الأرب 31: 413: فكان وصوله إلى قلعة الجبل في حادي عشر جمادى الأولى، وفي زبدة الفكرة 350: في العشرين من جمادى الأولى.

(3) صوعت المراعي: أصبحت جرداء ليس فيها شيء.

(4) زبدة الفكرة 351، نهاية الأرب 31: 414 - 415.

(5) نهاية الأرب 31: 414.

(6) ينظر نص الرسائل المتبادلة في زبدة الفكرة 352، 356، نهاية الأرب 31: 426 - 427، عقد الجمان 4: 133، 157.

وَوَلَّى السُّلْطَانُ عَلَى حِمْص فارِسَ الدِّين أَلْبَكي[1].

[337أ] وفَاةُ الخَلِيفَةِ الحَاكِم / وولايةُ ابْنِه المستَكفي والغَزاةُ إلى العَرَبِ بالصَّعيد

ثُمَّ تُوفِّيَ الخَلِيفَةُ الحَاكِمُ بأَمْرِ الله أَحْمَد، وهُو الّذي وَلّاه الظّاهِرُ وبَايَعَ لَهُ سَنَةَ سِتِّين، فتُوفِّي[2] سَنَةَ إِحْدَى وسَبْعِ مِائَة، لإِحْدَى وأَرْبَعِينَ سَنَةً مِن خِلافَتِه، وقَدْ عَهِدَ لابْنِه أَبِي الرَّبِيع سُلَيْمَان، فَبَايَعَ لَهُ النَّاصِرُ ولَقَّبَه المسْتَكْفِي[3].

وارْتَفَعَتْ شَكْوَى الرَّعَايَا في الصَّعِيدِ مِنَ الأَعْرَابِ، وكَثُرَ عَيْثُهم، فجَهَّزَ إِلَيْهِمُ السُّلْطَانُ العَسَاكِرَ مَعَ شَمْسِ الدِّين قَرَاسُنْقُر فَاكْتَسَحَهم، ورَاجَعُوا الطَّاعَة، وقَرَّرَ عَلَيْهم مَالاً حَمَلُوه: أَلْفَ أَلْفٍ وخَمْسَ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهم، وأَلْفَ فَرَسٍ وَاحِد، وأَلْفَا جَمَلٍ اثْنَان، وعَشَرَةَ آلاف رَأْسٍ مِنَ الغَنَمِ، وأَظْهَرُوا الاسْتِكَانَة، ثُمَّ عَاوَدُوا النِّفَاق، فسَارَ إِلَيْهِم كَافِلَا المملكةِ سَلارُ وبَيْبَرْسُ في العَسَاكِرِ فَاسْتَلْحَمُوهم وأَبَادُوهم وَاجْتَاحُوا أَمْوَالَهم ونَعَمَهم، ورَجَعُوا[4].

وَاسْتَأْذَنَ بَيْبَرْس في قَضَاءِ فَرْضِه، فَخَرَجَ حَاجّاً، وكَانَ أبو نُمَي، أَمِيرُ مَكَّة،

(1) في سنة سبعمائة. نهاية الأرب 31: 442.

(2) في ثامن عشر جمادى الأولى. زبدة الفكرة 363، نهاية الأرب 32: 18.

(3) زبدة الفكرة 362، نهاية الأرب 32: 18، وينظر عقد الجمان 4: 188، مورد اللطافة 1: 240، المنهل الصافي 2: 79.

(4) في أواخر شعبان من السنة 701 هـ. زبدة الفكرة 363 - 364، نهاية الأرب 32: 16.

قَد تُوفِّي، وقَام بأَمْرِه في مَكّةَ ابْناه: رُمَيْثَةُ وحُمَيْضَة، وَاعْتَقَلَا أخوَيْهما عُطَيفَةَ وأَبَا الغَيثِ، ففَتَحَا السِّجْنَ وجَاءَا إلى بَيْبَرْس مستَعْدِيَيْنِ عَلَى أخَوَيْهِما، فقَبَضَ عَلَيْهِما بَيْبَرْس وجَاءَ بِهما إلى القَاهِرَة[1].

وفي سَنَةِ اثنَتَيْنِ وسَبْعِ مِائَة بَعْدَها خَرَجَتِ الشَّوَانِي مَشْحُونَةً بالمقَاتِلَةِ إلى جَزِيرَة أَرْوَاد[2] في البَحْرِ الرُّومِيّ قُبَالَةَ أَنْطَرْسُوس، وبِها جَمَاعَةٌ مِن الفِرِنْج قَدْ حَصَّنُوهَا وسَكَنُوهَا، فَمَلَكُوهَا وأَسَرُوا أَهْلَهَا، وخَرَّبُوهَا وأَذْهَبُوا آثَارَهَا[3].

تَقرِيرُ العَهدِ لأَهْلِ الذِمّة

حضَرَ في سَنَةِ سَبْعِ مِائَة وَزِيرٌ مِنَ المغرِبِ في غَرَضِ الرِّسَالَة، فَرَأَى حَالَ أَهْلِ الذِّمَّة وتَرَفَهم وتَصْرِيفَهم[أ] في أُمُورِ الدَّوْلَة، فنَكِرَ ذَلِكَ وقَبَّحَه، وَاتَّصَلَ بالسُّلْطَانِ نَكِيرُه، فأمَر بِجَمْعِ الفُقَهاءِ[4] للنَّظَرِ في الحُدُودِ التي يَقِفُ عِنْدَها أَهْلُ الذِّمَّة بمُقْتَضَى عُهُودِ المسْلِمِينَ لَهم عِنْدَ الفَتْحِ، فاجْتَمَعَ الملأُ فِيهم عَلَى مَا نَذْكُر، وهو: أَنْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ أَهْلِ المدِينة بِشِعَارٍ يَخُصُّهم / فالنَّصَارَى: بالعَمَائِم الزُّرْقِ، واليَهُودُ [337ب] بالصُّفْرِ، والنِّسَاءُ مِنْهنَّ بعَلامَاتٍ تُنَاسِبُهنّ، و[أَنْ][ب] لا يَرْكَبُوا[5] فَرَسًا ولا يَحْمِلُوا[6]

(أ) في س: وتعريفهم. (ب) من س.

(1) زبدة الفكرة 364 - 365، نهاية الأرب 32: 17.
(2) جزيرة صغيرة في الجهة الشمالية من طرابلس الشام، غرب أنطرطوس، معجم البلدان 1: 162.
(3) زبدة الفكرة 366، نهاية الأرب 32: 21 .
(4) ينظر نهاية الأرب 31: 416 - 417، السلوك 1: 910 - 911.
(5) في الأصول: يركبون.
(6) في الأصول: يحملون.

سِلاحاً، وإذَا رَكِبُوا الحُمُرَ فيَرْكَبونَها عُرْضاً، ويَتَجَنَّبونَ وسَطَ الطَّرِيقِ، ولا يَرْفَعُوا[1] أصْواتَهم فوقَ أصْواتِ المسْلِمِين، ولا يَعْلُوَ بناؤُهم عَلَى بنَاء المسْلمِين، ولا يُظْهِرُوا[2] شَعَائِرَهم، ولا يَضْرِبُوا[3] بالنَّوَاقِيسِ، ولا يُنَصِّرُوا[4] مُسْلِماً ولا يُهَوِّدُوهُ[5]، ولا يَشْتَرُوا[6] مِنَ الرَّقِيقِ مُسْلِماً، ولا مَنْ سَبَاه مُسْلِم، ولا مَنْ جَرَتْ عَلَيْه سِهَامُ المسْلِمِين، ومَنْ دَخَلَ مِنْهم الحَمَّامَ فيَجْعَلُ في عُنُقِه جَرَساً يَتَمَيَّزُ بِه، ولا يَنْقُشُوا[7] فَصَّ الخَواتِم[ا] بالعَرَبِي[8]، ولا يُعَلِّمُوا[9] أوْلادَهم القُرآن، ولا يَسْتَخْدِمُوا[10] في أعْمَالِهم الشَّاقَّة مُسْلِماً، ولا يَرْفَعُوا[11] النِّيرَانَ، ومَنْ زَنَى مِنْهم بمسْلِمة قُتِلَ.

وقَالَ البَتْرَكُ بِحَضْرَةِ العُدُولِ: حَرَّمْتُ عَلَى أهْلِ مِلَّتِي وأصْحَابِي مُخَالَفَةَ ذَلِك والعُدُولَ عَنْه.

(ا) في س: الخواتم.

---

(1) في الأصول: يرفعون.

(2) في الأصول: يظهرون.

(3) في الأصول: يضربون.

(4) في الأصول: ينصّرون.

(5) في الأصول: يهودونه.

(6) في الأصول: يشترون.

(7) في الأصول: ينقشون.

(8) في نهاية الرتبة 121، نهاية الأرب 31: 418: بالعربية، وينظر مايلي.

(9) في الأصول: يعلّمون.

(10) في الأصول: يستخدمون.

(11) في الأصول: يرفعون.

وقالَ رَئِيسُ اليَهُودِ: أوْقَعتُ الكَلِمَةَ عَلَى أهْلِ مِلَّتِي وطَائِفَتِي [في مُخَالَفَةِ ذَلِك، والخُرُوجِ عَنه][1].

وكُتِبَ بذَلِك إِلَى الأعْمَالِ[2].

ولْنَذْكُرْ في هَذَا المَوْضِعِ نُسْخَةَ كِتَاب عُمَرَ بالعَهْدِ لأهْلِ الذِّمَّة، بَعْدَ كِتَابِ نَصَارَى الشَّامِ ومِصْرَ إِلَيه، ونَصُّه:

هَذَا كِتَابٌ لعَبْدِ الله عُمَرَ أمِيرِ المؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى أهْلِ الشَّامِ ومِصْرَ، لَمَّا قَدِمْتُم عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمُ الأمَانَ لأنْفُسِنَا وذَرَارِينَا وأمْوَالِنَا[أ] وأهْلِ مِلَّتِنَا، وشَرَطْنَا عَلَى أنْفُسِنَا [أنْ][ب] لا نُحْدِثَ في مَدَائِنِنَا ولا فِيمَا حَولَهَا دَيْراً ولا كَنِيسَةً ولا قَلِيَّةً[3] ولا صَوْمَعَةَ رَاهِب، ولا نُجَدِّدَ مَا خَرِبَ مِنْها ولا مَا كَانَ في خِطَطِ المسْلِمِين، وأنْ نُوَسِّعَ أبْوابَهَا[4] للمَارَّة وابنِ[ج][5] السَّبِيلِ، وأنْ نُنْزِلَ مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلاثَ لَيَالٍ نُطْعِمُهم، ولا نُؤْوِيَ في كَنَائِسِنَا ولا [في][د] مَنَازِلِنَا جَاسُوساً، ولا نَكْتُمَ غِشّاً [عَلَى المسْلِمِين][6]، ولا نُعَلِّمَ أوْلادَنَا القُرْآن، ولا نُظْهِرَ شَرْعَنَا ولا نَدْعُوَ إِلَيْه أحَداً، ولا نَمْنَعَ أحَداً مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا الدُّخُولَ في دِينِ الإسْلامِ إنْ [أرَادَ][7]، وأنْ نُوَقِّرَ

(أ) سقط من س. (ب) من س. (ج) في س: ولبني. (د) من س.

---

(1) من نهاية الأرب 31: 418.
(2) نهاية الأرب 31: 416 - 417.
(3) في نهاية الأرب 31: 423: قلاية.
(4) سقط من نهاية الأرب 31: 423.
(5) في نهاية الأرب 31: 423: ولبني.
(6) في الأصول: للمسلمين. نهاية الأرب 31: 423.
(7) في الأصول: أرادوه. نهاية الأرب 31: 423.

[338 أ] المسْلِمِينَ ونَقُومَ لهُم في مَجَالِسِنا إذَا أرادُوا الجُلوسَ، ولا نَتَشَبَّه بهم / في شَيْءٍ مِنْ مَلابِسِهِم في قَلَنْسُوَة ولا عِمَامَة ولا نَعْلَيْنِ ولا فَرْقِ شَعْر، ولا نَتَسَمَّى بأَسْمَائِهِم ولا نَتَكَنَّى بِكُنَاهُم، ولا نَرْكَبَ بالسُّرُوجِ، ولا نَتَقَلَّدَ بالسُّيُوفِ، ولا نَتَّخِذَ شَيْئًا مِنَ السِّلَاحِ، ولا نَحْمِلَه معَنا[1]، ولا نَنْقُشَ عَلَى خَواتِمِنا بالعَرَبِيَّةِ، وأَنْ نَجُزَّ[2] مَقَادِمَ رُؤُوسِنَا، ونَلْزَمَ زِيَّنَا حَيْثُ كُنَّا، وأَنْ نَشُدَّ الزَّنَانِيرَ عَلَى أوْسَاطِنَا، وأَنْ لا نُظْهِرَ صُلْبَانَنَا، ولا نَفْتَحَ [كُتُبَنَا في طُرُقِ][3] المسْلِمِينَ ولا أسْوَاقِهِم، ولا نَضْرِبَ بنَوَاقِيسِنَا في كَنَائِسِنَا [إلّا ضَرْباً خَفِيفاً، ولا نَرْفَعَ أصْوَاتَنَا بالقِرَاءَةِ][4] في شَيْءٍ [بحَضْرَةِ][5] المسْلِمِين، ولا نَخْرُجَ [في][6] شَعَانِينِنا ولا طَاغُوتِنَا[7]، ولا نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا مَعَ مَوْتَانَا، •ولا نُوقِدَ النِّيرَانَ في طُرُقِ المسْلِمِينَ ولا أسْوَاقِهِم، ولا نُجَاوِرَهم بمَوْتَانَا•(أ) ولا نَتَّخِذَ مِنَ الرَّقِيقِ مَا جَرَتْ عَلَيْه سِهامُ المسْلِمِين، ولا نَطَّلِعَ [عَلَيْهِم][8] في مَنَازِلِهِم، ولا تَعْلُوَ مَنَازِلُنَا مَنَازِلَهم[9].

فلَمَّا لَقِيَ(ب) عُمَرَ بالكِتَاب زَادَ فِيه: ولا نَضْرِبَ أَحَداً مِنَ المسْلِمِين.

(أ) سقط ما بين النجمين من س   (ب) في س: أتى.

---

(1) سقط من نهاية الأرب 31: 423.

(2) نهاية الرتبة 121: وأن لا نجز.

(3) في الأصول: كُتُبَنا في طَرِيقٍ، وانظر نهاية الرتبة 121، وينظر معالم القربة 94.

(4) من معالم القربة 94.

(5) في الأصول: من حضرة، وتنظر معالم القربة 94.

(6) من نهاية الرتبة 121.

(7) في معالم القربة 95: ولا نظهر باعوثاً ولا شعانين.

(8) من نهاية الرتبة 121.

(9) نهاية الرتبة 121، نهاية الأرب 31: 424.

شَرَطْنَا ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وأَهْلِ مِلَّتِنَا، وقَبِلْنَا عَلَيْه الأَمَانَ، فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا فِي شَيْءٍ مِمَّا شَرَطْنَا لَكُم عَلَيْنَا وضَمِنَّاه عَلَى أَنْفُسِنَا وأَهْلِ مِلَّتِنَا فَلا ذِمَّةَ[1] لَنَا عَلَيْكُم، وقَدْ حَلَّ بِنَا مَا حَلَّ بغَيْرِنَا مِنْ أَهْلِ المُعَانَدَةِ والشِّقَاقِ.

فكَتَبَ عُمَر: أَمْضِ مَا سَأَلُوه، وأَلْحِقْ فِيه حَرْفَيْنِ [أَشْتَرِطُهُمَا][2] عَلَيهم مَعَ مَا شَرَطُوه: [وَلَا يَشْتَرُوا شَيْئاً مِنْ سَبَايَا المُسْلِمِين][3]، وَأَنَّ[4] من ضَرَبَ مُسْلِماً عَمْداً [أَوْ شَتَمَهُ][5] فَقَدْ خَلَعَ عَهْدَه[6].

وعَلَى أَحْكَام هَذا الكِتَابِ جَرَتْ فَتَاوى الفُقَهَاءِ في [أَحْكَامِ][أ] أَهْلِ الذِّمَّة نَصّاً وقِيَاساً.

وَأَمَّا كَنَائِسُهم فقَالَ أَبُو هُرَيْرَة: أَمَرَ عُمَرُ بِهَدْمِ كُلِّ كَنِيسَةٍ اسْتُحْدِثَتْ بَعْدَ الهِجْرَة، ولَمْ يُبْقِ إلاَّ مَا كَانَ قَبْلَ الإسْلام، وسَيَّرَ [عُرْوَةَ][7] بنَ مُحَمَّدٍ فهَدَمَ الكَنَائِسَ بصَنْعَاء، [وَلَم يُبْقِ مِنها شَيْئاً][ب]، وَصَالَحَ القِبْطَ عَلَى كَنَائِسِهم [بِمِصْرَ][8]

(أ) من س. (ب) من س.

---

(1) في نهاية الأرب 31: 424: دية، ولا معنىً له.

(2) في الأصول: أشرطها، واعتمدنا نهاية الأرب 31: 424.

(3) إضافة لاستكمال النص من معالم القربة 95.

(4) في الأصول: أنه، وصوبناه من معالم القربة 95.

(5) من معالم القربة 95.

(6) ينظر نهاية الأرب 31: 422 - 423، معالم القربة 94 - 95، نهاية الرتبة 121 - 122، ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة.

(7) في الأصول: عزرة، واعتمدنا نهاية الأرب 31: 426، وينظر معالم القربة 97 .

(8) إضافة للتوضيح من معالم القربة 97.

وهَدَمَ بَعْضَها، ولَم يُبْقِ مِنَ الكَنَائِس إلَّا مَا كَانَ قَبْلَ الهِجْرَةِ[1]، وفي إبَاحَةِ رَمِّها وإصْلاحِها لَهم خِلافٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَ الفُقَهاءِ.

إيقَاعُ النّاصِرِ بالطَّطَرِ عَلَى شَقْحَب

ثُمَّ تَوَاتَرَتِ الأَخْبَارُ سَنَةَ اثنَتَيْنِ وسَبْعِ مائةٍ بِحَرَكَةِ الطَّطَرِ، وأَنّ قُطْلُوشَاه / [338ب] وصَلَ إلى جِهَةِ الفُرَاتِ، وأَنّه قَدَّمَ كِتَابَه إلى نائِبِ حَلَبَ بأَنَّ بِلادَهم مُمْحِلَةٌ[2]، وأَنّهم يَرْتَادُونَ المَرَاعِيَ بنَواحِي الفُرَاتِ، يُخَادِعُ بذَلِكَ [عَن][(أ)] قَصْدِه، ويُؤَمِّنُ الرَّعَايَا أن يَجْفِلُوا مِن البَسَائِطِ[3].

ثُمّ وصَلَتِ الأَخْبَارُ بإجَازَتِهم الفُرَات، فأَجْفَلَ النّاسُ أَمَامَهم مِن كُلِّ نَاحِيَةٍ، ونَزَلَ الطَّطَرُ مَرْعَش، وبعَثَ العَسَاكِرَ مِن مِصْرَ مَدَداً لأَهْلِ الشّامِ، فوَصَلُوا إلى قَاقُون، وبَلَغَهم هُنالِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ غَازَانَ وصَلَ في جُيُوشِ الطَّطَرِ إلى مَدِينَةِ الرَّحْبَةِ ونَازَلَها، فقَدَّمَ لَه نَائِبُها قِرىً وعَلُوفَةً، وَاعْتَذَرَ إليه بأَنّه في طَاعَتِه إلى أَنْ يَرِدَ الشَّامَ، فإنْ ظَفِرَ بِه فالرَّحْبَةُ أَهْوَنُ شَيءٍ عَلَيه، وأَعْطَاه ابْنَه رَهِينَةً عَلَى ذَلِكَ، فأَمْسَكَ عَنه، ولَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَبَرَ الفُرَاتَ رَاجِعاً إلى بِلادِه[4].

(أ) من س، وفي ظ: من.

---

(1) في نهاية الأرب 31: 426: قبل بعثة النبي ﷺ.

(2) ممحلة: مقحولة لا شيء فيها. لسان العرب.

(3) زبدة الفكرة 366 - 367.

(4) المصدر نفسه 367 - 368.

وكَتَبَ إلى أهْلِ الشَّامِ كِتَابًا مُطَوَّلاً يُنْذِرُهم فيه أنْ يَسْتَمِدُّوا عَسْكَرَ السُّلْطَانِ أو[أ] يَسْتَجِيشُوه، ويُخَادِعُهم بِلِينِ القَوْلِ ومُلاطَفَتِه[1].

وتَقَدَّم قَطْلُوشَاه وجُوبَان إلى الشَّام بعَسَاكِرِ الطَّطَر، يُقَال: في تِسْعِين ألفًا أو يَزِيدُون[2].

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلْطَانِ، فخَرَجَ بالعَسَاكِرِ مِنْ مِصْرَ، وتَقَدَّمَ بَيْبَرْس كَافِلُ المَمْلكَةِ إلى الشَّام، والسُّلْطَانُ وسَلار عَلَى أَثَرِه ومَعَهُمَا الخَلِيفَةُ أبُو الرَّبِيع، وسَارُوا في التَّعْبِئَة، ودَخَلَ بَيْبَرْس دِمَشْق.

وكَانَ النَّائِبُ بِحَلَبَ قَرَاسُنْقُر المَنْصُورِيُّ، وقَدِ اجْتَمَعَ إليه كُتْبُغَا [العَادِلُ][ب] نَائِبُ حَمَاة، وأَسُنْدُمر الكَرْجِي نَائِبُ طَرَابُلُس بِمَنْ مَعَهم مِن العَسَاكِرِ. فأغَارَ الطَّطَرُ عَلَى القَرْيَتَيْنِ[3]، وبِهِا أحْيَاءٌ مِنَ التُّرْكُمَان، كَانُوا أجْفَلُوا أمَامَهم مِن الفُرَاتِ، فَاسْتَاقُوا أحْيَاءَهم بِمَا فيها، وأتْبَعَهم العَسَاكِرُ مِنْ حَلَبَ فأوْقَعُوا بِهم[4]، واسْتَخْلَصُوا أحْيَاءَ التُّرْكُمَان[ج] مِن أيْدِيهم[5].

وزَحَفَ قُطْلُوشَاه وجُوبَانُ بِجُمُوعِهِمَا إلى دِمَشْقَ بِظَنِّ أنَّ السُّلْطَانَ لَم يَخْرُجْ مِن مِصْرَ، والعَسَاكِرُ الإسْلَامِيَّةُ مُقِيمَةٌ[د] بِمَرْجِ الصُّفَّر، وهُوَ المُسَمَّى شَقْحَب، مع

(أ) في س: و. (ب) من س. (ج) في س: الططر. (د) ط: مقيمين.

---

(1) نص الكتاب في زبدة الفكرة 368 - 369، عقد الجمان 4: 210 - 211.

(2) زبدة الفكرة 372.

(3) بلدة من أعمال حمص، وتدعى حُوَّارِيْن: معجم البلدان 4: 336.

(4) في الحادي عشر من شعبان، في مكان يُسمى عرض. ينظر زبدة الفكرة 373، عقد الجمان 4: 219.

(5) زبدة الفكرة 367، 373.

رُكْنِ الدِّين بَيْبَرْس ونائِبِ دِمَشْقَ آقُوش الأفْرَم، يَنْتَظِرُونَ وصُولَ السُّلطَان، [339 ا] / فارْتَابُوا لزَحْفِ الطَّطَرِ، وتأخَّرُوا عَنْ مَرَاكِزِهم قَلِيلاً، وارْتَاعَتِ الرَّعَايَا مِنْ تأخُّرِهم فأجْفَلُوا إلى نَوَاحِي مِصْرَ، وبَيْنَمَا هُم كذَلِك إذْ وصَلَ السُّلْطَانُ في عَسَاكِرِه وجُمُوعِه غُرَّةَ رَمَضَانَ مِنْ هَذِه السَّنَة، فرَتَّبَ مَصَافَّه، وخَرَجَ إلى قَصْدِهِم، فالْتَقَى الجَمْعَانِ بمَرْجِ الصُّفَّرِ[1]، وحَمَلَ الطَّطَرُ عَلَى مَيْمَنَةِ السُّلْطَان، فثَبَّتَ اللهُ أقْدَامَهم وصَابَرُوهم مَلِيًّا إلى أنْ غَشِيَهم اللَيْلُ، واسْتُشْهِدَ جَمَاعَةٌ في الجَوْلَة[2].

ثُمَّ انْهَزَمَ الطَّطَرُ ولَجَأُوا إلى الجَبَلِ يَعْتَصِمُونَ بِه، وأتْبَعَهم السُّلْطَانُ فأحَاطَ بالجَبَلِ إلى أنْ أطَلَّ الصَّبَاحُ، وشَعَرَ المسْلِمُونَ باسْتِمَاتَتِهم فأفْرَجُوا لهم مِن بَعْضِ الجَوَانِبِ، وتَسَلَّلَ مُعْظَمُهم مع قُطْلُوشَاه وجُوبَان، وحَمَلَتِ العَسَاكِرُ الإسْلامِيَّةُ عَلَى مَن بَقِيَ مِنْهم فَاسْتَلْحَمُوهم وأبَادُوهم، وَأتْبَعَتِ الخُيُولُ آثَارَ المنْهَزِمِين، وقَدِ اعْتَرَضَتْهم الأوْحَالُ بِمَا كَانَ السُّلْطَانُ تَقَدَّمَ إلى أهْلِ الأنْهَارِ بَيْنَ أيْدِيهم فبَثَقُوها، ووَحِلَتْ خُيُولُ القَوْمِ فِيها، فَاسْتَوْعَبُوهم قَتْلاً وأسْراً[3]، وكَتَبَ السُّلْطَانُ إلى غَازَان[4] بِمَا يُجَدِّدُ عَلَيْهِم الحَسْرَةَ ويَمْلأُ قُلُوبَهم رُعْباً، وبَعَثَ البَشَائِرَ إلى مِصْرَ[5].

ثُمَّ دَخَلَ إلى دِمَشْقَ وأقَامَ بِهَا عِيدَ الفِطْرِ[أ]، وخَرَجَ لثَالِثِه مِنه[ب] إلى مِصْرَ

(أ) في س: عيد الططر. (ب) في س: منها.

---

(1) في نهاية الأرب 32: 30: يوم السبت ثاني شهر رمضان.

(2) زبدة الفكرة 374 - 375.

(3) انظر الرواية المغولية ومحاولة تهوين هذه الهزيمة في تاريخ غازان خان 184.

(4) ينظر نص كتاب السلطان في: كنز الدرر 9: 119- 120، عقد الجمان 4: 247 - 248.

(5) زبدة الفكرة 377 - 378.

فدخلها آخِرَ[1] شوَّالٍ في مَوْكِبٍ حَفِلٍ ومَشْهَدٍ عَظِيمٍ، وقدِ اعتزَّ الإسْلَامُ بنصْرِه، ويَمَّنَ بنَقِيبَةِ رَأْيِه، وأَنْشَدَه الشُّعَرَاءُ في ذَلِكَ[2].

وفي هَـذِه السَّـنَةِ[3] تُوفِّي كُتْبُغَا العَادِلُ نَائِبُ حَمَاةَ، وهُو الَّذِي كَانَ وَلِيَ المُلْكَ بِمِصْرَ، كَمَا مَرَّ ذِكْرُه، فدُفِنَ بدِمَشْقَ[4].

وتُوفِّي أيضاً بَلَبَان الجوكَنْدَار نَائِبُ حِمْص[5].

وتُوفِّي القَاضِي تَقِيُّ الدِّين ابنُ دَقِيقِ العِيد بِمِصْرَ[6] لولاية سِتِّ سِنِينَ بها، ووَلِي مَكَانَه بَدْرُ الدِّين ابنُ جَمَاعة[7].

وهَلَكَ غَازَانُ[8] مَلِكُ الطَّطَرِ، يُقَالُ: أَصَابَتْه حُمَّى حَادَّةٌ للهَزِيمَةِ الَّتِي بَلَغَتْه فهَلَكَ مِنْها، ووَلِيَ أخُوه خُدابَنْدا.

وفيها[9] أفْرَجَ السُّلْطَانُ عن رُمَيْثَةَ وحُمَيْضَةَ وَلَدَي الشَّرِيف أبِي نُمَيّ، ووَلَّاهُمَا بَدَلاً مِنْ أَخَوَيْهِمَا / عُطَيْفَةَ وأبي الغَيْثِ. [339 ب]

---

(1) في نهاية الأرب 32: 45، كنز الدرر 9: 88، البداية والنهاية 18: 29: في الثالث والعشرين.

(2) يقول النويري: وأنشدته: أنت غيث إذا وردت إلى الشّا م وسيلٌ إذا تيمّمتَ مِصْـرا.
نهاية الأرب 32: 45، 51، وقصائد أخرى في: التحفة الملوكية 170، كنز الدرر 9: 89، عقد الجمان 4: 270.

(3) المقصود سنة 702 هـ.

(4) نهاية الأرب 32: 61 - 62، كنز الدرر 9: 109، تذكرة النبيه 1: 254، المنهل الصافي 9: 115.

(5) توفي سنة 706 هـ. زبدة الفكرة 391، نهاية الأرب 32: 127، وينظر الوافي بالوفيات 10: 283.

(6) يوم الجمعة حادي عشر صفر 702 هـ. نهاية الأرب 32: 22، تذكرة النبيه 1: 254، الوافي بالوفيات 4: 193، الدرر 4: 210، المنهل الصافي 10: 208.

(7) نهاية الأرب 32: 22 - 23.

(8) في الثالث عشر من شوال 703 هـ. التحفة الملوكية 174، البداية والنهاية 18: 35.

(9) سنة 704 هـ. ينظر زبدة الفكرة 382.

أخبار الأرمن وغزو بلادهم وإذعانهم للصلح ثم قتل ملكهم صاحب سيس على يد الططر

قَد كانَ تَقَدَّمَ لَنا ذِكرُ هَؤلاءِ الأرمَن[1]، وأنهم وإخوتهم الكرج[أ] مِن وَلَدِ قَمُوئِيلَ بنِ نَاحُورَ بنِ آزر[2]، ونَاحُورُ أخُو إبْرَاهِيمَ عَلَيهِمَا السَّلَام، وكَانُوا قَد أخَذُوا بدِينِ النَّصرَانِيَّة قَبلَ المِلَّة، وكَانَت مَوَاطِنُهم أرمِينِيَّة، مَنسُوبَةً إليهم، وقَاعِدَتُها خِلَاط، وهِي كُرسِيُّ مُلكِهم، ويُسَمَّى مَلِكُهم التَّكفُور. ثُمَّ مَلَكَ المسلِمُونَ بِلَادَهم وضَرَبُوا الجِزيَةَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنهم، واختَلَفَ عَلَيهم الوُلاة، ونَزَلَتْ بِهم ومِنهم الفِتَن، وخُرِّبَتْ خِلَاطُ، فانتَقَلَ كُرسِيُّهم إلى سِيس عِندَ الدُّرُوبِ المجاوِرَةِ لحَلَب، وأرَزُوا[3] إليها، وكَانُوا يُؤَدُّونَ الضَّرِيبَةَ للمُسلِمِين، وكَانَ مَلِكُهم لِعَهْدِ نُورِ الدِّين العَادِل مَلِيحُ بنُ ألِيُون[4]، وهُوَ صَاحِبُ تِلكَ الدُّرُوبِ، وَاستَخدَمَ للعَادِلِ وأقطَعَ لَه، ومَلَكَ أذَنَةَ والمَصِّيصَةَ وطَرَسُوسَ مِن يَدِ الرُّوم، ثُمَّ أبقَاه صَلَاحُ الدِّين بَعدَ العَادِلِ نُورِ الدِّين عَلَى مَا كَانَ عَلَيه مِنَ الخِدْمَة.

وغَدَرَ بَعضَ السِّنِينَ بالتُّركمَانِ، فغَزَاه صَلَاحُ الدِّين، وأجلَبَ عَلَيه حَتَّى أذعَنَ ورَجَعَ إلى حَالِه مِنْ أدَاءِ الجِزيَةِ والطَّاعَةِ وحُسْنِ الجِوَارِ لثُغُورِ حَلَب.

(أ) في س: الكرج.

---

(1) ينظر ما سبق ص298- .

(2) في الأصول: آذر.

(3) أرز: تقبض وتجمع وثبت. لسان العرب.

(4) في نهاية الأرب 30: 341: لاون.

ثُمّ مَلَكَهم لعَهْدِ الظَّاهِرِ هَيْثُومُ بنُ قُسْطَنْطِينَ بن بَاسِيل، ويَظْهَرُ أنَّه مِن أعْقَابِ مَلِيحٍ أوْ(أ) مِن أهْلِ بَيْتِه، ولَمَّا مَلَكَ هُولاكُو العِرَاقَ والشَّامَ دَخَلَ هَيْثُومُ في طَاعَتِه وأقَرَّه عَلَى سُلْطَانِه، وأجْلَبَ معَ الطَّطَرِ في غَزَواتِهم عَلَى الشَّامِ، وغَزَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وسِتِّينَ بِمَدَدِ صَاحِبِ بِلادِ الرُّومِ مِن الطَّطَرِ، وَاسْتَنْفَرَ مَعَه بَنِي كِلَابٍ مِن أعْرَابِ حَلَب، وعَاثُوا في نَوَاحِي [عَيْنتَاب](1)، ثُمّ تَرَهَّبَ هَيْثُومُ بنُ قُسْطَنْطِينَ ونَصَّبَ ابْنَه لِيفُون للمُلْكِ.

وبَعَثَ الظَّاهِرُ العَسَاكِرَ سَنَةَ أرْبَعٍ وسِتِّينَ مَعَ قَلاوُون والمَنْصُورِ صَاحِبِ حَمَاة إلى بِلادِهم، فلَقِيَهم لِيفُونُ في جُمُوعِه قَبْلَ الدَّرْبَنْد، فَانْهَزَمَ وأُسِرَ، وخَرَّبَ العَسَاكِرُ مَدِينَةَ سِيس، وبَذَلَ هَيْثُومُ الأمْوَالَ والقِلاعَ في فِدَاءِ ابْنِه لِيفُون، فشَرَطَ عَلَيه الظَّاهِرُ أنْ يَسْتَوْهِبَ سُنْقُرَ الأشْقَرَ وأصْحَابَه / مِن أبْغَا بن هُولاكُو، وكَانَ [340أ] هُولاكُو أخَذَهم مِن سِجْنِ حَلَب، فَاسْتَوْهَبَهم وبَعَثَ بِهم، وأعْطَى خَمْساً مِن القِلاعِ مِنها رَعْبَانُ ومَرْزُبَان(2)، ثُمّ تُوُفِّيَ هَيْثُومُ سَنَةَ تِسْعٍ وسِتِّين، ومَلَكَ بَعْدَه ابْنُه لِيفُون، واتَّصَلَ المُلْكُ فيه وفي عَقِبِه(3).

وكَانَ بَيْنَهم وبَيْنَ التُّرْكِ نَفْرَةٌ وَاسْتِقَامَة لقُرْبِ جِوَارِهم مِن حَلَب، والتُّرْكُ يُرَدِّدُون العَسَاكِرَ إلى بِلادِهم حَتَّى يَلُوذُوا بالصُّلْحِ عَلَى الطَّاعَةِ والجِزْيَة، وشِحْنَةُ الطَّطَرِ مُقِيمٌ عِنْدَهم في العَسَاكِرِ مِن قِبَلِ شِحْنَةِ بِلادِ الرُّومِ.

(أ) في س: و.

---

(1) في الأصول: عتاب، واعتمدنا زبدة الفكرة 105، ومعجم البلدان.
(2) زبدة الفكرة 105، 115، المختصر 4: 5.
(3) زبدة الفكرة 132، وينظر ما سبق ص298 – 301.

ولَمّا تُوفِّيَ لِيفُونُ مَلَكَ بَعْدَه ابنُه هَيْثُوم، وَوَثَبَ عَلَيه أخُوه سُنْبَاط فَخلَعَه وحَبَسَه، بَعْدَ أنْ سَمَلَ عَيْنَهُ الوَاحِدَة، وقَتَلَ أخاهُما الأصْغر طَرُوس[1]، ونَازَلَتْ عَسَاكِرُ التُّركِ لِعَهْدِه قَلْعَةَ حَمُوص مِنْ قِبَلِ العَادِلِ كُتْبُغا، فاسْتَضْعَفَ الأرْمَنُ سُنْبَاطَ وهَمُّوا بِه، فلَحِقَ بالقُسْطَنْطِينَة، وقَدَّمُوا عَلَيهم أخَاه دِنْدِين، فصَالَحَ المسْلِمِين وأعْطَاهم حَمُوصَ ومَرْعَش، وجَمِيعَ القِلاعِ الّتِي عَلَى جَيْحَان[2]، وجَعَلُوه تَخْماً، ورَجَعَت العَسَاكِرُ عَنهم[3]. ثُمّ أفْرَجَ دِنْدِينُ عن أخِيه هَيْثُوم [الأعْوَر](أ) سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعِين، فأقَامَ مَعَه قَليلاً، ثُمّ وَثَبَ بدِنْدِين، فَفَرَّ إلى القُسْطَنْطِينَة، وأقَامَ هَيْثُومُ بسِيس في مُلْكِ الأرْمَن، وقَدَّمَ ابْنَ أخِيه طَرُوس، مَقْتُولَ سُنْبَاط، أتَابِكاً[4]، واسْتَقَامَت دَوْلَتُه فيهِم.

وسَارَ معَ غَازَانَ فِي وَقْعَتِه عَلَى المَلِكِ النَّاصِرِ، فعَاثَ الأرْمَنُ في البِلادِ وَاسْتَرَدُّوا بَعْضَ قِلَاعِهم، وخَرَّبُوا تَلَّ حَمْدُون. فلَمَّا هَزَمَ النَّاصِرُ الطَّطَرَ سَنَةَ [اثْنَتَيْنِ](ب) وسَبْعِ مِائَة، بَعَثَ(ج) العَسَاكِرَ إلى بِلادِهم فَاسْتَرْجَعُوا القِلاعَ ومَلَكُوا [حَمُوص][5]، وَاكْتَسَحُوا [بَسَائطَ](د) سِيس ومَا إليها[6] [ومَنَعوا](هـ) الضَّرِيبَةَ المقَرَّرَة

(أ) من س. (ب) من س، وفي ظ: ثلاثين. (ج) في ظ: وبعث. (د) من س، وفي ظ: بساط.
(هـ) من س، ظ: منع.

---

(1) في المختصر 4: 36: تروس.
(2) في المختصر 4: 36: جنوبي نهر جيحا.
(3) كان تسليم حموص يوم الجمعة تاسع عشر شوال 697 هـ. المختصر 4: 37.
(4) وجعل هيثوم نفسه أتابكًا للملك الصغير، حتّى قتلا سنة 707 هـ. المختصر 4: 45، 54.
(5) في، س: حمص، ظ: حمض، والتعديل يتفق مع سير الأحداث، ينظر المختصر 4: 49.
(6) المختصر 4: 49.

عَلَيهم، فأنْفَذَ نَائِبُ حَلَب قَرَاسُنْقُر المنْصُوريُّ سَنَةَ خَمْسٍ[1] وسَبْعِ مائة العَسَاكِرَ إلَيْهم مَعَ أرْبَعةٍ مِن الأُمَرَاءِ، فَعَاثُوا في بِلادِهم، وَاعْتَرَضَهم شِحْنَةُ الطَّطَرِ بسِيس في رُجُوعِهم، فهَزَمُوهم وقُتِل أميرُهم وأُسِرَ البَاقُون[2]، وجَهَّزَ العَسَاكِرَ مِن مِصْرَ مَعَ بِكْتَاش الفَخْرِيّ أمِير سِلاح، مِن بَقِيةِ البَحْرِية، وَانْتَهَوْا إلى غَزَّة، وخَشِيَ هَيْثُومُ مَغَبَّةَ هَذِه الحَادِثَة / [340 ب] فبَعَثَ إلى نَائِبِ حَلَب بالجِزْيَة الَّتي عَلَيه لسَنَةِ خَمْسٍ وقَابِلَتِها، وتَوَسَّلَ بشَفَاعَتِه إلى[ا] السُّلْطَانِ فشَفَّعَه وأَمَّنَه[3].

وكَانَ شِحْنَةُ الطَّطَرِ بِبِلادِ الرُّومِ لِهَذَا العَهْدِ أَبْزَغْلِي[4]، وكَانَ قَدْ أسْلَمَ لَمَّا أسْلَمَ أبْغَا، وبَنَى مَدْرَسَةً بأَذَنَةَ وشَيَّدَ فِيها مِئْذَنَة.

ثُمّ حَدَثَ بَيْنَه وبَيْن هَيْثُوم، صَاحِبِ سِيس، وَحْشَةٌ، فَسَعَى فِيه هَيْثُومُ عِنْدَ خُدابَنْدا مَلِكِ الطَّطَرِ بأنَّه مُدَاخِلٌ لأَهْلِ الشَّامِ، وقَدْ واطَأهم عَلَى مُلْكِ سِيس ومَا إلَيها، وَاسْتَشْهَدَ لهُ في ذَلِك بالمدْرَسَةِ والمئْذَنَةِ، وكَتَبَ بذَلِك إلى أبْزَغْلِي بعْضُ قَرَابَتِه، فأَسَرَّهَا في نَفْسِه، واغْتَالَه في صَنِيعٍ دَعَاه إلَيه فقَتَلَه[5].

وقَبَضَ عَلَى وَافِدٍ مِنْ مَمَالِيكِ التُّرْكِ كَانَ عِنْدَ هَيْثُومَ مِنْ قِبَلِ نَائِبِ حَلَب

(ا) في س: بشفاعة.

---

(1) في ذي الحجة سنة 704 هـ. نهاية الأرب 32: 97.

(2) المختصر 4: 52.

(3) زبدة الفكرة 384.

(4) في زبدة الفكرة 395: برلغوا، وفي المختصر 4: 54: برلغى.

(5) في زبدة الفكرة 395، التحفة الملوكية 183: في أحداث سنة 707 هـ، وينظر ما يلي.

يَطْلُبُ الجِزْيَةَ المقَرَّرَةَ عَلَيْه، وهُوَ أَيْدُغْدِي الشُّهْرَزُورِيُّ[أ][1]، ولَمْ يَزَلْ في سِجْنِ الطَّطَرِ إلى أَنْ فَرَّ مِنْ مَحْبِسِه بتَوْرِيز[2] سَنَةَ عَشْرٍ وسَبْعِ مِائَة.

ونَصَّبَ لِمُلْكِ سِيسَ أُوشِينَ بنَ لِيفُون.

وسَارَ أَبْرْغَلِي إلى خُدابَنْدا فَسَابَقَه أَلْتَاق، أخُو هَيْثُوم، بنِسَائِه ووَلَدِيه مُسْتَعْدِينَ عَلَيْه، فتَفَجَّعَ لَهم خُدابَنْدا وسَطَا بأَبْرْغَلِي وقَتَلَه، وأَقَرَّ أُوشِينَ أَخَاه في مُلْكِه بسِيس[3]، فبَادَرَ إلى مُرَاسَلَةِ النَّاصِرِ بمِصْرَ، وتَقْرِيرِ الجِزْيَةِ عَلَيْه كما كانَتْ، ومَا زَالَ يُواصِلُ بَعْثَها مَعَ الأَحْيَان[4].

مُرَاسَلاتُ[ب] مَلِك المَغْرِب ومُهادَاتُه

كَانَ مَلِكُ المغرِبِ الأَقْصَى مِنْ بَنِي مَرِينَ المتَوَلِّينَ أَمْرَه مِنْ بَعْدِ المُوَحِّدِين، [وهُوَ][ج] يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ عَبْدِ الحَق، قَد بَعَثَ إلى السُّلْطَان[د] المَلِكِ النَّاصِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وسَبْعِ مِائَة رَسُولَه عَلاءَ الدِّين أَيْدُغْدِي الشُّهْرَزُورِيَّ، مِن الشُّهْرَزُورِيَّةِ المغَرَّبِينَ هُنَاكَ أَيَّامَ الظَّاهِرِ بَيْبَرْس، وبَعَثَ مَعَه هَدِيَّةً حَافِلَةً مِن الخَيْلِ والبِغَالِ والإِبِلِ وكَثِيرٍ مِنْ مَاعُونِ المغرِبِ وآنِيَتِه وسَائِرِ طُرَفِه، وجُمْلَةً مِنَ الذَّهَبِ العَيْن، في

(أ) في س: الشهروزي. (ب) في س: مراسلة. (ج) من س. (د) سقط من س.

---

(1) زبدة الفكرة 395، وينظر عقد الجمان 4: 458 - 459.

(2) هي تبريز نفسها.

(3) زبدة الفكرة 395.

(4) كذا في الأصول، ولعل معناها بين حين وآخر.

زَكْبٍ عَظِيمٍ مِنَ المغَارِبةِ لقَضَاءِ فرْضِهم[أ]، فقَابَلَهم السُّلْطَانُ بأبلَغِ وُجُوهِ التَّكْرِمَةِ، وبَعَثَ مَعَهم أمِيراً مِن الأُمَرَاءِ[ب] لإكْرَامِهم وقِرَاهم في طَرِيقِهم حَتَّى قَضَوْا فَرْضَهم[1].

وعَادَ الرَّسُولُ أيْدُغْدِي المذكُورُ مِن حَجِّه سَنَةَ خَمْسٍ، فبَعَثَ السُّلْطَانُ مَعَه مُكَافَأةَ هَدِيَّتِهم بِمَا يَلِيقُ بها مِنَ النَّفَاسَةِ، وعَيَّنَ للمَسِيرِ بذَلِكَ أمِيرَيْنِ مِنْ بَابِه: أيْدُغْدِي التَّلِيلِيَّ وأيْدُغْدِي / الخَوَارِزْمِيَّ، كُلٌّ مِنْهُمَا لَقَبُه عَلاءُ الدِّين[2]، فانْتَهَوْا إلى [341أ] سُلْطَانِ المغْرِبِ يُوسُفَ بنِ يَعقُوبَ بمَكَانِه مِنْ حِصَارِ تِلِمْسَان، كَمَا هُوَ في أخْبَارِه، في رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ سِتٍّ، فقَابَلَهم بِمَا يَجِبُ لهم ولمُرْسِلِهم، وأوْسَعَ لَهم في الكَرَامَةِ والحِبَاءِ، وبَعَثَهم إلى مَمَالِكِه بفَاسَ ومُرَّاكِش لِيَطوفَا بها ويُعَايِنَا مُنْتَزَهَاتِها[3].

وهَلَكَ يُوسُفُ بنُ يَعقُوبَ بمَكَانِه مِن حِصَارِ تِلِمْسَان[4]، وانْطَلَقَ الرَّسُولَانِ المذْكُورَانِ مِن فَاسَ رَاجِعَيْنِ مِن رِسَالَتِهما في رَجَبٍ سَنَةَ سَبْعٍ في رَكْبٍ عَظِيمٍ مِنْ أهْلِ المغْرِبِ اجْتَمَعُوا عَلَيهم لقَصْدِ الحَجِّ، ولَقُوا السُّلْطَانَ أبَا ثَابِتٍ الَّذِي وَلِيَ مِنْ بَعْدِ يُوسُفَ بنِ يَعقُوبَ في طَرِيقِهم، فبَالَغَ في التَّكْرِمَةِ والإحْسَانِ إلَيهم، وبَعَثَ إلى مُرْسِلِهم المَلِكِ النَّاصِرِ بهَدِيَّةٍ أُخْرَى مِنَ الخَيْلِ والبِغَالِ والإبِلِ، ثُمَّ مَرُّوا بتِلِمْسَانَ، وبها أبُو زَيَّان وأبُو حَمُّو ابْنَا عُثْمَانَ بن يَغْمَراسِنَ فلَمْ يَصْرِفَا إلَيهم وَجْهاً مِنَ القَبُولِ، وطَلَبُوا مِنْهُمَا خَفِيرًا يَخْفِرُهمَا إلى تُخُومِ بِلادِهِمَا، لَمَّا كَانَت نَوَاحِي تِلِمْسَانَ قَدِ

(أ) لقضاء فرضهم: سقط من س. (ب) من الأمراء: سقط من س.

---

(1) زبدة الفكرة 381، وينظر نهاية الأرب 32: 90.

(2) زبدة الفكرة 382 - 283، نهاية الأرب 32: 97.

(3) زبدة الفكرة 411.

(4) سنة 706 هـ. زبدة الفكرة 389، وينظر الأنيس المطرب 374، 388، روضة النسرين 21.

اضْطَرَبَتْ بَعْدَ مَهْلِكِ يُوسُفَ بنِ يَعقُوب، ومَا كَانَ مِن شَأْنِه؛ [فَبَعَثَا](أ) مَعَهم بَعْضَ العَرَبِ(1) لَمْ يُغْنُوا عَنهم، وَاعتَرَضَهم فِي طَرِيقِهم أَشْرَارُ حُصَيْنٍ مِن زُغْبَةَ بنَواحِي المَدِيَّة، فبَالَغُوا فِي الدِّفَاعِ، ولَم يُغْنِ عَنهم(2).

وَاستَوْلَى الشِّرَارُ عَلَى الرَّكْبِ بِمَنْ فِيه، ونَهَبُوا جَمِيعَ الحَاجِّ، ورُسُلَ المَلِكِ النَّاصِرِ مَعَهم، وخَلَصُوا مَسْلُوبِين إِلَى أَبِي بَكْرِ بنِ زُغْلِي شَيْخِ بَنِي يَزِيدَ مِن زُغْبَة [بِوَطَا](ب) حَمْزَةَ مِن نَوَاحِي بِجَايَة، فأَوْصَلَهم إِلَى السُّلْطَان بِبِجَايَة أَبِي البَقَاءِ خَالِدِ مِن وَلَدِ الأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيا يَحْيى بنِ عَبْدِ الوَاحِدِ بن أَبِي حَفْصٍ مُلُوكِ إِفْرِيقِيَّة، فكَسَاهم وحَمَلَهم وسَرَّحَهم إِلَى حَضْرَةِ تُونِس، وبِهَا السُّلْطَانُ أَبو عَصِيدَةَ مُحمدُ بنُ يَحْيى الوَاثِق، مِن بَنِي عَمِّه، فبَالَغَ فِي تَكْرِمَتِهم(3).

وسَافَرَ مَعَهم إِبْرَاهِيمُ بنُ عِيسَى مِن بَنِي وَسْنَاف، أَحَدُ أُمَرَاءِ بَنِي مَرِين، كَانَ أَمِيرًا عَلَى الغُزَاةِ بالأَنْدَلُس، وخَرَجَ لقَضَاءِ فَرْضِه فمَرَّ بتُونِس، وَاستَنْهَضَه سُلْطَانُها عَلَى الفِرِنْج بجَزِيرَةِ جِرْبَة، فَسَارَ إِلَيها بقَومِه، ومَعَه عَبْدُ الحَق بنُ عُمَرَ بن رَحُّو مِن أَعْيَاصِ بَنِي مَرِين، وكَانَ الشَّيْخُ أَبو يَحْيى زَكَرِيَّاءُ(ج) بنُ أَحْمَدَ اللِّحْيَانِيّ يُحَاصِرُها / [341ب] فِي عَسَاكِرِ تُونِس، فَأَقَامَ مَعَه مُدَيْدَةً، ثُمّ اسْتَوحَشَ أَبُو يَحْيى اللِّحْيَانِيُّ مِن سُلْطَانِه

(أ) في ظ: فبعث، واعتمدنا ما في س. (ب) في ظ: بوطاهر، والتصحيح من س. ووطا: يعني أرض. (ج) في س: ابو زكريا يحيى.

(1) في زبدة الفكرة 411: ثلاثة أشخاص من العرب.
(2) ينظر التحفة الملوكية 193.
(3) زبدة الفكرة 412.

بتُونِس فلَحِق بطَرَابُلُس، وسَارُوا جَميعاً إلى مِصْرَ[1]، وتَقَدَّمَ السُّلْطَانُ بإكْرَامِهِمَا حَتّى قَضُوا فَرْضَهم وعَادُوا إلى المغرِبِ.

وَاسْتَمَدَّ أبُو يَحْيى اللّحْيَانيُّ السُّلْطَانَ النَّاصِرَ، فأمَدَّه بالأمْوَالِ والمَمَالِيكِ، وكَانَ سَبَبًا لاسْتِيلائِه عَلَى المُلْكِ بتُونِس، كَمَا نَذْكُرُ في أخْبارِه[أ].

وَحْشَةُ النَّاصِرِ مِن كَافِلَيْه بَيْبَرْس وسَلار، ولَحَاقُه بالكَرَك وخَلْعُه، والبَيْعَةُ لبَيْبَرْس

ثُمّ عَرَضَتْ وَحْشَةٌ بَيْنَ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ وبَيْنَ كَافِلَيْه بَيْبَرْس وسَلار سَنَةَ سَبْعٍ، فامْتَنَعَ [مِنَ العَلَامَةِ عَلَى][ب] المَرَاسِمِ[ج]، وتَرَدَّدَت بَيْنَه وبَيْنَهُمَا السُّفَرَاءُ بالعِتَابِ، ورَكِبَ بَعْضُ الأُمَرَاءِ في سَاحَةِ القَلْعَةِ مِنْ جَوْفِ اللَيلِ، ودَافَعَهم الأُوجَاقِيَّةُ مِن جَوْفِ اللَيْلِ، وَافْتَرَقُوا، وَامْتَعَضَ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ وَازْدَادَ وَحْشَةً، ثُمّ سَعَى بَكْتَمُر الجوكَنْدَار[2] في إصْلَاحِ الحَالِ، وحَمَلَ السُّلْطَان عَلَى تَغْرِيبِ بَعْضِ الخَوَاصِّ مِن مَمَالِيكِه إلى القُدْسِ، [و][د] كَان بَيْبَرْس يَنْسُبُ إلَيهم هَذِه الفِتْنَةَ ويَشْنَأُهم مِن أجْلِها. فغَرَّبَهم السُّلْطَانُ وأعْتَبَ الأمِيرَيْنِ. ثُمّ أُعِيدَ المَوَالِي مِنَ القُدْسِ إلى مَحَلِّهم مِن خِدْمَتِهم، وَاتَّهَمَ السُّلْطَانُ الجوكَنْدَارَ في سِعَايَتِه، فسَخِطَه وأبْعَدَه وبَعَثَه نَائِباً عَلَى صَفَدَ[3].

(أ) في س: كما نذكره في أخبارهم. (ب) من س. في ظ: على العلامة من. (ج) في س: المراسيم. (د) من س.

---

(1) سنة 709 هـ. زبدة الفكرة 412، وينظر نهاية الأرب 32: 144.

(2) في زبدة الفكرة 393: أمير جاندار، وفي نهاية الأرب 32: 129: بكتمر الجوكندار أمير جاندار.

(3) زبدة الفكرة 392 - 393.

ثُمَّ غُصَّ بِمَا هُو فِيه مِنَ الحَجْرِ والاسْتِبْدَادِ، فطَلَب[أ] الحَجَّ، فجَهَّزه بَيْبَرْس وسَلَّار، وسَارَ عَلَى الكَرَكِ سَنَةَ ثَمَانٍ[1]، ووَدَّعه الأُمَرَاءُ واسْتَصْحَبَ[ب] بعضاً مِنهم، فلَمَّا مَرَّ بالكَرَكِ[2] دَخَلَ القَلْعَةَ، وأَخْرَجَ النَّائِبَ جَمَالَ الدِّين آقُوش الأشْرَفِيّ إِلى مِصْرَ، وبَعَثَ عَنْ أَهْلِه ووَلَدِه كَانُوا مَعَ المَحْمِل الحِجَازِي، فعَادُوا إِلَيْه مِنَ العَقَبَة، وصَرَفَ الأُمَرَاءَ الَّذِين تَوَجَّهُوا مَعَه، وأَظْهَرَ الانْقِطَاعَ بالكَرَكِ للعِبَادَة[3].

وأَذِنَ لهم في إِقَامَةِ مَن يَصْلُحُ للأَمْرِ، وَاجْتَمَعُوا بِدَارِ النِّيَابَة، وتَشَاوَرُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى أَن يَكُونَ بَيْبَرْس [الجاشَنْكِير][4] سُلْطَاناً عَلَيهم، وسَلَّارُ عَلَى نِيَابَتِه، وبَايَعُوا بَيْبَرْس في شَوَّال[5] سَنَةَ ثَمَانٍ، ولَقَّبُوه المُظَفَّر، وقَلَّدَه الخَلِيفَةُ أَبُو الرَّبِيع، [342 أ] وكَتَبَ للنَّاصِرِ بِنِيَابَة الكَرَكِ، وعُيِّنَ[6] / لَهُ إِقْطَاعٌ يَخْتَصُّ بِه، وقَامَ سَيْفُ الدِّين سَلَّارُ بالنِّيَابة عَلَى عَادَةِ مَن قَبْلَه، وَاسْتَقَرَّ أَهْلُ الوَظَائِفِ والمَرَاتِبِ عَلَى مَرَاتِبِهم، وبَعَثَ أَهْلُ الشَّام بطَاعَتِهم، واسْتَقَرَّ بَيْبَرْس في سُلْطَانِه[7].

(أ) من س، وفي ظ: وطلب. (ب) في س: واستصحبه.

---

(1) يوم السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان. زبدة الفكرة 404، المختصر 4: 54.

(2) وصل إلى الكرك عاشر شوال 708 هـ. زبدة الفكرة 404.

(3) زبدة الفكرة 404 - 405.

(4) من المختصر 4: 55.

(5) يوم السبت الثالث والعشرين من شوال. المختصر 4: 55، نهاية الأرب 32: 141.

(6) في الأصول: وعُيِّنت.

(7) زبدة الفكرة 405.

انتقاضُ أمرِ بَيبَرس، وعَودُ النّاصرِ إلى مُلكه

ولمّا دَخلَتْ سَنةُ تِسعٍ[1] هَرَبَ بَعضُ مَوالِي النّاصِرِ فلَحِقُوا بالكَرَكِ، وقَلِقَ لذلك بَيبَرْسُ المُظفَّر، وبَعثَ في أثرِهم فلَم يُدرِكُوهم[أ]، واتُّهِم آخَرُونَ فقُبِضَ علَيهم، ونَشأتِ الوَحشَةُ لذلك، واتَّصلَتِ المُكاتَبةُ مِنَ الأُمَرَاءِ الّذِين بالشّامِ إلى السُّلطانِ بالكَرَكِ، وخَرَجَ مِن مَكانِه يُرِيدُ النُّهُوضَ إليهم، ثُمّ رَجَعَ[2]، ووَصَلَ كِتابُ نائِبِ دِمَشقَ جَمالِ الدِّين آقُوش الأفرَمِ بذَلِك، فسَكَنَ الحَالُ[3].

وبَعَثَ الجَاشَنكِير بَيبَرْس إلى السُّلطانِ بِرِسالَةٍ مَعَ الأمِيرِ عَلاءِ الدِّين مُغلَطاي أينُغلِي[4] وقُطلُوبُغا تَتَضَمَّنُ الإرهَابَ، فثَارَتْ لَها حَفائِظُه، وعَاقَبَ الرَّسُولَيْنِ، وكَاتَبَ أُمَرَاءَ الشّامِ يَتَظَلَّمُ مِن بَيبَرْس وأصحَابِه بمِصرَ ويَقُول: سَلَفْتُ لَهم في المُلْكِ ورَضِيتُ بالضَّنكِ رَجاءَ الرّاحَةِ فلَم يَرجِعُوا عَنّي، وبَعَثُوا إليّ بالوَعِيدِ، وأنّهم يَفعَلُونَ بِي مَا فَعَلُوا بأولادِ المُعِزّ أيبَك وبَيبَرْس الظّاهِر، ومِثلِ ذَلِك مِنَ القَوْلِ، ويَستَنجِدُهم ويَمُتُّ إليهم بوَسَائِل التَّربِيَة والعِتقِ في دِفَاعِ هَؤُلاءِ عَنه، وإلّا لَحِقْتُ ببلادِ الطَّطَر[5].

(أ) في س: فلم يلحقهم.

---

(1) ليلة الخامس عشر من جمادى الآخرة 709 هـ. نهاية الأرب 32: 146.

(2) زبدة الفكرة 414، المختصر 4: 56، وينظر نهاية الأرب 32: 147.

(3) زبدة الفكرة 414 - 415.

(4) في السلوك 2: 58: أيتغلي.

(5) زبدة الفكرة 415 - 416.

وبعثَ بهذِه الرِّسالَة بعضَ الجُندِ[1]، كَانَ مُستخدَماً بالكَرَكِ مِنْ عَهْدِ آقُوش الأشْرَفِيّ، وأقَامَ هُنَالِك، وكَانَ مُولَعاً بالصَّيدِ، فاتَّصَلَ بالسُّلْطَان في مَصَايِدِه، وبَثَّ إلَيْه ذَاتَ يَوْمٍ شَكْوَاه، فَقَالَ: أنَا أكُونُ رَسُولَكَ إلى أُمَرَاءِ الشَّامِ، فَبَعَثَ مَعَه إليهم بِهذِه الرِّسالَةِ، فَانْتَقَضُوا، وأجَابُوه بالطَّاعَةِ بِمَا يُحِبُّ مِنْهم[2].

وسَارَ السُّلْطَانُ إلَى البَلْقَاءِ، وأرْسَلَ جَمَالَ الدِّين آقُوش الأفْرَمَ نَائِبَ دِمَشْق إلى مِصْرَ يُخْبِرُ الجَاشْنكِيرِ بَيْبَرْس بالحَالِ، ويَسْتَمِدُّه العَسَاكِرَ للدِّفَاعِ، فَبَعَثَ إلَيه بِمُفْرَدِهِ بأرْبَعَةِ آلَافٍ منَ العَسَاكِرِ معَ كِبَارِ الأُمَرَاءِ، وأزَاحَ عِلَلَهم، وأنْفَقَ في سَائِرِ العَسَاكِرِ بِمِصْر[3]، وكَثُرَ الإرْجَافُ وشَغَبَتِ العَامَّةُ، وعَيَّنَ مَمَالِيكَ السُّلْطَانِ للخُرُوجِ إلَى النَّوَاحِي اسْتِرَابَةً بمكَانَتِهِم[أ].

[342 ب] / ثُمَّ وَصَلَ الخَبَرُ بِرُجُوعِ السُّلْطَانِ مِنَ البَلْقَاءِ إلى الكَرَكِ لِرَأْيٍ رَآه، واسْتَرَابَ لِرَجْعَتِه سَائِرُ أَصْحَابِه وحَاشِيَتِه، وخَافُوا أنْ يُصَبِّحَهم عَسَاكِرُ مِصْرَ بِمَا كَانَ شَاعَ عِنْدَهم منَ اعْتِزَامِ بَيْبَرْس عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ دَسَّ السُّلْطَانُ إلَى مَمَالِيكِه وشِيَعِ أَبِيه فَأجَابُوه، وأعَادَ الكِتَابَ إلى نُوَّابِ الشَّامِ، مِثْلَ: شَمْس الدِّين قَرَاسُنْقُر نَائِبِ حَلَب، وسَيْف الدِّين قَفْجَق نَائِب حَمَاة، وسَيْف الدِّين تَمُر نَائِبِ حِمْص، فَأجَابُوه بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وبَعَثَ نَائِبُ حَلَبَ وَلَدَه

(أ) في س: بهم.

(1) جندياً يُسمى تاج الدين أوران. زبدة الفكرة 416.
(2) زبدة الفكرة 416.
(3) نهاية ما نُشر من زبدة الفكرة 417.

إلَيه، وَاسْتَنْهَضُوه للوُصُولِ، فَخَرَجَ مِنَ الكَرَكِ في شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ، ولَحِقَ بِه طَائِفَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ دِمَشْق، وبَعَثَ النَّائبُ آقُوش أَمِيرَيْنِ لِحِفْظِ الطُّرُقَاتِ، فَلَحِقَا بالسُّلْطَانِ، وكَتَبَ بَيْبَرْسُ الجَاشَنْكِيرِ إلى نُوَّابِ الشَّامِ بالوقُوفِ مَعَ جَمَالِ الدِّين آقُوش نَائِبِ دِمَشْقَ والاجْتِمَاعِ مَعَه عَلَى مُدَافَعَةِ النَّاصِرِ عَنْ دِمَشْق، فأَعْرَضُوا ولَحِقُوا بالسُّلْطَانِ، وسَارَ آقُوش إلَى البِقَاعِ والشَّقِيفِ، وَاسْتَأْمَنَ إلى السُّلْطَانِ النَّاصِرِ، فَبَعَثَ إلَيه بالأَمَانِ مَعَ أَمِيرَيْنِ مِنْ أَكَابِرِ أُمَرَائِه[1].

وسَارَ إلَى دِمَشْقَ فَدَخَلَها[2] وخَالِصَتُه يَوْمَئِذ سَيْفُ الدِّين بَكْتَمُر أَمِير جَانْدَار، جَاءَه مِن صَفَدَ وهَاجَرَ إلى خِدْمَتِه، فتَلَقَّاهُ وجَازَاهُ أَحْسَنَ الجزَاءِ، ثُمّ وَصَلَ آقُوش الأَفْرَم، وتَلَقَّاه السُّلْطَانُ بالمبَرَّةِ والتَّكْرِمةِ، وأَقَرَّه عَلَى نِيَابَةِ دِمَشْق.

وَاضطَرَبَتْ أُمُورُ الجَاشَنْكِيرِ بِمِصْرَ، وخَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ هَارِبِينَ إلَى الشَّامِ، فَسَرَّحَ في أَثَرِهِم العَسَاكِرَ فأَدْرَكُوهم، ونَالَ الهَارِبُونَ مِنْهم قَتْلاً[أ] وجِرَاحَةً ورَجَعُوا، وتَجَمَّعَتْ أَوْشَابُ العَامَّةِ والغَوْغَاء وأَحَاطُوا بالقَلْعَةِ وجَاهَرُوا بالخَلْعَانِ، وقُبِضَ عَلَى بَعْضِهِم وعُوقِبَ، فَلَم يَزِدْهم إلّا عُتُوّاً وتَمَالُؤاً، وَارْتَابَ الجَاشَنْكِيرُ لِحَالِه، فجَمَعَ النَّاسَ للحَلِفِ، وَأَحْضَرَ الخَلِيفَةَ وجَدَّدَ عَلَيْه وعَلَيهم الحَلْفَ، وبَعَثَ بِنُسْخَةِ البَيْعَةِ لِتُقْرَأَ في الجَامِعِ[ب] يَوْمَ الجُمُعةِ، فَصَاحَ النَّاسُ بِهِم وهَمُّوا أَنْ يَحْصِبُوهم عَلَى المنَابِرِ، فرَجَعَ إلَى النَّفَقَةِ وبَذْلِ المَالِ، وَاعْتَزَمَ عَلَى المسِيرِ إلى الشَّامِ[3].

(أ) سقط من س. (ب) في س: بالجامع.

---

(1) التحفة الملوكية 198.

(2) في السابع عشر من شعبان 709 هـ. التحفة الملوكية 198.

(3) المصدر نفسه 199 - 200.

وقَدِمَ أكَابِرُ الأمَرَاءِ فلَحِقُوا بالسُّلْطَانِ، وزادَ اضْطِرَابُ بَيْبَرْس، وخَرَجَ السُّلْطَانُ مِنْ [343 أ] دِمَشْقَ مُنْتَصَفَ[1] / رَمَضَان، وقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ أمِيرَيْنِ مِن أمَرَائِهِ إلَى غَزَّة فوَصَلَاها، وَاجْتَمَعَ إلَيهِ العَرَبُ والتُّرْكُمَانُ، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى الجاشْنْكِير فجَمَعَ إلَيهِ: سَيْفَ الدِّين سَلار، وبَدْرَ الدِّين بَكْتُوتَ الجوكَنْدَار، وسَيْفَ الدِّين [قَجْمَاس][أ] السِّلَحْدَار، وفَاوَضَهم في الأمْرِ، فرَأَوْا أنَّ الخَرْقَ قدِ اتَّسَعَ، وأنَّه لَمْ يَبْقَ إلَّا البِدَارُ بالرَّغْبَةِ إلَى السُّلْطَانِ أنْ يُقْطِعَه الكَرَكَ أو حَمَاةَ أو صِهْيَونَ، ويَتَسَلَّمُ السُّلْطَانُ مُلْكَه، فأجْمَعُوا عَلَى ذَلِك، وبَعَثُوا بَيْبَرْسَ الدَّوَادَار[2] وسَيْفَ الدِّين بَهَادِرَ آص، بَعْدَ أنْ أشْهَدَ الجَاشْنْكِيرُ بالخَلْعِ، وخَرَجَ مِنَ القَلْعَةِ إلَى إطْفِيح بِمَمَالِيكِه، فلَمْ يَسْتَقِرَّ بها، وتَقَدَّمَ قَاصِدًا أسْوَان، واحْتَمَلَ مَا شَاءَ مِنَ المَالِ والذَّخِيرَةِ وخُيُولِ الإسْطَبْلِ.

وقَامَ بِحِفْظِ القَلْعَةِ صَاحِبُه سَيْفُ الدِّين سَلار، وكَاتَبَ السُّلْطَانَ يُطَالِعُه بذَلِك، وخُطِبَ للسُّلْطَان عَلَى المَنَابِرِ، ودُعِي باسْمِه [عَلَى][ب] المآذِن، وهَتَفَ بذِكْرِه العَامَّةُ في الطُّرُقَاتِ، وجَهَّزَ سَلَّار سَائِرَ شِعَارِ السَّلْطَنَةِ.

ووَصَلَتْ أرْسَالُ الجَاشْنْكِير إلَى السُّلْطَانِ بِمَا طَلَبَ، فأَسْعَفَه[ج] بصِهْيَون، ورَدَّهم إلَيه بالأمَانِ والوِلَايَة[3].

(أ) من س، وفي ظ: قجماز. (ب) من س، وفي ظ: في. (ج) في س: فاسعفهم.

(1) يوم الثلاثاء تاسع رمضان. التحفة الملوكية 201، المختصر 4: 57، كنز الدرر 9: 176، وورد في السلوك 2: 72: في سادس عشر رمضان، وورد في كل من التحفة الملوكية والسلوك: وهي الساعة التي خلع فيها المظفر نفسه من الملك، رغم اختلاف التاريخ في كلٍّ منهما.

(2) التحفة الملوكية 202.

(3) ووصلت أنا وسيف الدين بهادر آص إلى القلعة الخامس والعشرين من الشهر رمضان 709 هـ. التحفة الملوكية 203.

ووَافَى السُّلْطَانَ عِيدُ الفِطْرِ بالبِرْكَةِ، ولَقِيَه هُنَالِكَ سَيْفُ الدِّين سَلَّار وأَعْطَاه(ا) الطَّاعَةَ، ودَخَلَ السُّلْطَانُ إلى القَلْعَةِ، وجَلَسَ ثَانِيَ العِيد بالإيوَانِ جُلُوساً فَخْماً، واسْتَحْلَفَ النَّاسَ عَامَّةً، وسَأَلَه سَلَّارُ في الخُرُوجِ [إلى](1) إقْطَاعِه، فأَذِنَ لَه بَعْدَ أَنْ خَلَعَ عَلَيْه، فخَرَجَ ثَالِثَ شَوَّالٍ، وأَقَامَ وَلَدُه ببَابِ السُّلْطَان(2).

ثُمَّ بَعَثَ السُّلْطَانُ الأُمَرَاءَ(3) إلَى إخْمِيم، فانْتَزَعُوا مِنَ الجَاشْنَكِيرِ مَا كَانَ احْتَمَلَه مِنَ المالِ والذَّخِيرَةِ وأَوْصَلُوها إلَى الخزَائِن، ووَصَلَ مَعَهم جَمَاعَةٌ مِنْ مَمَالِيكِه، كَانُوا أُمَرَاءَ، وَاخْتَارُوا الرُّجُوعَ إلى السُّلْطَانِ(4).

وَوَلَّى السُّلْطَانُ سَيْفَ الدِّين بَكْتَمُر الجوكَنْدَار أَمِيرَ جَنْدَار نَائِباً بِمِصْرَ، وقَرَاسُنْقُر المنْصُورِيَّ نَائِباً بدِمَشْق، وبَعَثَ نَائِبَها الأفْرَم نَائِباً بِصَرْخَد، وسَيْفَ الدِّين قَفْجَق نَائِباً بحَلَب، وسَيْفَ الدِّين بَهَادِر الحَاجَّ نَائِباً بطَرَابُلُس، وخَرَجُوا جَمِيعاً إلَى الشَّامِ(5)، وقَبَضَ السُّلْطَانُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الأُمَرَاءِ ارْتَابَ بِهِم، وَوَلَّى عَلَى وِزَارَتِه / الصَّاحِبَ فَخْرَ الدِّين عُمَرَ بنَ [عَبْدِ العَزِيز بنِ](6) الخَلِيلِيّ عِوَضاً عَن ضِيَاءِ الدِّين [343 ب] أَبِي بَكْر النَّشَائي.

(ا) في س: واعطى.

(1) في الأصول: من، وعُدّل بما يتفق والسّياق.

(2) التحفة الملوكية 206، المختصر 4: 58.

(3) فسرت إليه أنا والأمير سيف الدين بهادر آص. التحفة الملوكية 207.

(4) التحفة الملوكية 207، نهاية الأرب 32: 158.

(5) التحفة الملوكية 209، المختصر 4: 58، نهاية الأرب 32: 158 - 159.

(6) من نهاية الأرب 32: 158.

ثُمَّ انْصرَفَ الرُّكْن بَيْبَرْس الجَاشَنْكِير مِنْ إخْمِيمَ مُتوجِّهاً إلى صَهْيُون، كما وعَدَه السُّلْطَان، ومَعَه بَهَادِر آص، وبَهادِرُ الشُّجَاعِيُّ مُوَكَّلٌ بِه إلَى حَيْثُ قَصَدَ، ورَجَعَ عَنه الأُمَرَاءُ الذِين كَانُوا مَعَه إلَى السُّلْطَانِ، فَاسْتَضَافَ بَعْضَهم إلَى مَمَالِيكِه، وَاعْتَقَلَ بَعْضَهم، ثُمَّ بَدَا للسُّلْطَانِ في أَمْرِه، وبَعَثَ إلَى قَرَاسُنْقُر وبَهَادِرَ الحَاجّ، وهُمَا مُقِيمَان بغَزَّةَ ولَم يَنْفَصِلا إلى الشَّام، أَنْ يَقْبِضَا عَلَيْه، فَقَبَضَا عَلَيه وبَعَثَا بِه إلَى القَلْعَةِ آخِرَ[1] ذِي القَعْدة، فاعْتُقِلَ ومَاتَ هُناكَ[أ][2].

خَبَرُ سَلار ومَآلُ أَمْرِه

ولَمَّا اسْتَقَلَّ السُّلْطَانُ النَّاصِرُ في مُلْكِه بِمِصْرَ، وكَانَ لِسَلَّار[ب] مِن السَّعْيِ في إحْكَام أَمْرِه وتَمْكِين سُلْطَانِه مَا ذَكَرْناه، وكَانَت لَهُ سَوَابِقُ عِنْدَ السُّلْطَانِ يُغْنَى بِرَعْيِها لَهُ، وكَانَتِ الشَّوْبَك مِن إقْطَاعِه، فرَغِبَ مِن السُّلْطَانِ المسِيرَ إليها والتَّخَلِّيَ فيها، فأَذِنَ لَهُ، وخَلَع عَلَيه وزَادَه[ج] في إقْطَاعِه[3] وإقْطَاعِ مَمَالِيكِه، وأَتْبَعَهُ مائَةً مِن الطَّوَاشِيَّة بإقْطَاعِهم[4]، وسَارَ مِن مِصْرَ إلى الشَّوْبَك في شَوَّالِ ثَمَانٍ وسَبْعِ مِائَة، ثُمَّ بَعَثَ إليه دَوَادَاره..... [5] بِمَنْشُور الكَرَك مُضَافًا إلى الشَّوْبَك، وباللِّوَاءِ وبِخِلْعَةٍ مُذْهَبَةٍ ومَرْكَبٍ ثَقِيل ومِنْطَقَة مُجَوْهَرَة، وأَقَام هُنالكَ[د].

(أ) في س: هنالك. (ب) في س: لبيبرس. (ج) في س: وزاد. (د) وأقام هنالك: سقط من س.

---

(1) رابع عشر. التحفة الملوكية 212، المختصر 4: 59.

(2) رابع عشر ذي القعدة. نهاية الأرب 32: 160 - 161، وينظر كنز الدرر 9: 195 - 196.

(3) وكان يتحدث أن إقطاعه بضعة وثلاثون طبلخاناه. الوافي بالوفيات 16: 56.

(4) نهاية الأرب 32: 162.

(5) بياض في الأصول لموقع الاسم.

فلمّا كانت سَنةُ عَشرٍ بَعْدَهَا، نُمِيَ إلى السُّلطَانِ عن جَمَاعَةٍ مِنَ الأمَـرَاء أنّهم مُعتزمُون علَى الثَّوْرَة، وفِيهِم إخوةُ سَلّار، فقَبَض علَيْهِم جَمِيعاً، وعَلى شَيْعِ سَلارَ وحَاشِيَتِه الّذين بمِصْر[1]، وبَعَثَ [عن] علَم الدّين الجاوليّ لاستِقْدامِه مِن الكَرَك تأنِيساً لَهُ وتَسكِيناً، فقَدِم في رَبيعٍ [الآخِر][2] مِن السَّنة، واعْتُقِلَ إلى أن هَلَك[3] في مُعتَقَلِه، واسْتُصْفِيَت أمْوالُه وذخَائِرُه بِمِصْرَ والكَرَك، وكَانَت شَيئاً لا يُعَبَّرُ عنه مِن الأموَال، والفُصُوصِ، واللّآلىء، والأقْمِشَةِ، والزَّرْعِ، والكُرَاعِ، والإبِلِ، ويُقَال: إنَّه كَانَ يُغِلُّ كُلَّ يَومٍ مِن إقْطَاعِه وضِيَاعِه ألْفَ دِينار[4].

وأمّا أوّلِيَّتُه، فإنّه حِينَ أُسِرَ مِنَ الطَّطَرِ[5] صَارَ مَوْلَى لعَلاءِ الدّين [عَلِيّ][أ] ابنِ المَنْصور قَلاوُون، ولمّا مَاتَ صَارَ لأبِيه قَلاوُون، ثُمّ لابنِه / الأشْرَف، ثُمّ [344ا]
لأخِيه مُحَمّدٍ النّاصِر، وظَهَرَ في دُوَلِهم كُلِّها، وكَانَ بَيْنَه وبَيْنَ لاجِينَ مَوَدّة، فاسْتَخْدَمَ لَهُ وعَظُمَ في دَوْلَتِه، وهُو الّذِي كَتَبَ إلَى النّاصِرِ عِنْدَ مَقْتَلِ لاجِين، ولم يَثِقْ إلّا بِكِتَابِه، ولَمّا بُويِعَ لَه بمِصْرَ وَلّاه نِيَابَتَه، ولم يَزَلْ في دَوْلَتِه مُتَرَقِّياً في المَرَاتِبِ، مُتَحَرِّياً بِصُحْبَةِ[ب] السُّلْطَانِ إلَى أنِ انقَرَضَ أمْرُه.

(أ) من س. (ب) في س: بصحابة.

---

(1) التحفة الملوكية 214، نهاية الأرب 32: 164.

(2) من المختصر 4:60، نهاية الأرب 32: 165.

(3) في رابع عشرين جمادى الأولى 710 هـ. نهاية الأرب 32: 165، وينظر تالي كتاب وفيات الأعيان 89، الوافي بالوفيات 16: 55، المنهل الصافي 6: 5.

(4) نهاية الأرب 32: 165، وورد في الوافي بالوفيات 16: 55: مائة ألف درهم.

(5) ينظر ما سبق ص 299 – .

ويُقَال: إنّه لَمّا احتَضَرَ في مَحْبِسه قِيلَ لَه: قَد رَضِيَ عَنكَ السُّلْطَانُ، فوَثَبَ قَائِمًا ثُمّ مَشَى خُطُوَاتٍ ثُمّ مَاتَ[1].

انتقَاضُ النوّاب بالشّامِ ومَسيرُهم إلى الظّطَر، ووِلايَة تَنكِز عَلى الشّام

كَانَ قَفْجَقُ نَائِبُ حَلَبَ قَدْ تُوفِّيَ بَعْدَ أَنْ وَلّاه السُّلْطَان، فنقَلَ مَكَانَه إلَى حَلَبَ أَسَنْدَمِرَ الكَرَجِيَّ نَائِبَ[أ] حَمَاةَ سَنَةَ عَشْرٍ، ثُمّ تَظَلّم النّاسُ مِنه، فقَبَضَ[ب] عَلَيْه[2]، ونَقَلَ مَكَانَه[ج] قَرَاسُنقُر المنصُورِيَّ مِن نِيَابَة دِمَشْق، ووَلّى مَكَانَه بدِمَشْق سَيْفَ الدّين كَرَاي المَنصُورِيَّ سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ[3]، ثُمّ سَخِطَه وَاعْتَقَلَه[4]، ووَلّى مَكَانَه بدِمَشْق جَمَالَ الدّين[د] آقُوش الأشْرَفِيَّ، نَقَلَه إلَيها مِن الكَرَكِ، وتُوفِّيَ بَهادِرُ الحَاجُ نَائِبُ طَرَابُلُس، فنقَلَ إلَيها آقُوش الأفْرَمَ مِنْ صَرْخَد، ثُمّ قَبَضَ عَلَى بَكْتَمُر الجُوكَنْدَار[5] نَائِبِه بمِصْرَ، وحَبَسَه بالكَرَكِ، وجَعَلَ مَكَانَه فِي النّيَابَة بَيْبَرْس الدّوَادَار.

ثُمّ ارْتَابَ قَرَاسُنقُر نَائِبُ حَلَبَ فهَرَبَ إلَى البَرّيّةِ، وَاجْتَمَعَ بمُهَنّا بنِ عِيسَى،

(أ) سقط من س. وضبط اسم أسندمر في تحفة ذوي الألباب للصفدي 556، وترجمته ص503 حاشية 4، بكسر السين.

(ب) من س، وفي ط: وقبض.   (ج) في س: إليها.   (د) في س: سيف الدين.

---

(1) ينظر الوافي بالوفيات 16: 56.

(2) حادي عشر ذي الحجة 710 هـ. نهاية الأرب 32: 169.

(3) وصل إلى دمشق في يوم الخميس العشرين من المحرم. نهاية الأرب 32: 178.

(4) في يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى 711 هـ. نهاية الأرب 32: 182.

(5) في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى 711 هـ. نهاية الأرب 32: 169.

ويُقَالُ: إنَّه اسْتَأْذَنَ السُّلْطَانَ فِي الحَجِّ، فَأَذِنَ لَه، فَلَمَّا تَوسَّطَ البَرِّيَّةَ اسْتَوْعَرَهَا ورَجَعَ، فَمَنَعَه الأُمَرَاءُ الَّذِين بِحَلَبَ إلَّا بإذْنِ السُّلْطَانِ، فَرَجَعَ إلَى الفُرَاتِ، وبَعَثَ مُهَنَّا بنَ عِيسَى شَافِعًا لَه عِنْدَ السُّلْطَانِ، فَقَبِلَه ورَدَّه إلَى نِيَابَة حَلَب[1].

ثُمَّ بَلَغَ السُّلْطَانَ أَنَّ خُدابَنْدا مَلِكَ الطَّطَرِ زاحِفٌ إلَى الشَّام، فَجَهَّزَ العَسَاكِرَ مِنْ مِصْرَ، وتَقَدَّمَ إلَى عَسَاكِرِ الشَّام بِأَنْ يَجْتَمِعُوا مَعَهم بِحِمْص، فَارْتَابَ قَرَاسُنْقُر، وخَرَجَ مِنْ حَلَبَ وعَبَرَ الفُرَاتَ، ثُمَّ رَاجَعَ نَفْسَه وَاسْتَأْمَنَ السُّلْطَانَ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بالفُرَاتِ، فَأَقْطَعَه السُّلْطَانُ الشُّوبَكَ لِيُقِيمَ بها، فَلَم يَفْعَلْ، وبَقِيَ بِمَكَانِه مِنَ الفُرَاتِ مع مُهَنَّا بن عِيسَى، ثُمَّ / ارْتَابَ جَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ فَلَحِقُوا بِهِم، وفِيهِم آقُوش [344ب] الأَفْرَمُ نَائِبُ طَرَابُلُس، وأَمْضَوْا عَزْمَهم عَلَى اللَّحَاقِ بخُدابَنْدا، فَوَصَلُوا إلَى مَارِدِينَ وتَلَقَّاهم صَاحِبُها بالكَرَامَةِ، وحَمَلَ إلَيهم سِتِّينَ أَلْفَ دِرْهَم، ورَتَّبَ لَهم الإقَامَاتِ، ثُمَّ سَارُوا إلَى خِلَاطَ إلَى أَنْ جَاءَهم إذْنُ خُدابَنْدا، فَسَارُوا إلَيه وَاسْتَحَثُّوه للشَّام[2].

وَبَلَغَ الخَبَرُ إلَى السُّلْطَانِ فَاتَّهَم الأُمَرَاءَ الَّذِين في خِدْمَتِه بالشَّام بِمُدَاخَلَة قَرَاسُنْقُر وأَصْحَابِه، فَاسْتَدْعَاهم وعَسَاكِرَهم، وبَعَثَ عَلَى حَلَبَ سيفَ الدِّين سُودِي مكَانَ قَرَاسُنْقُر، وعَلَى طَرَابُلُسَ تَمُر السَّاقِي مَكَانَ آقُوش[3]، ووَلَّى عَلَى العَرَبِ فَضْلَ بن عِيسَى مَكَانَ أَخِيه مُهَنَّا، ووَصَلَ الأُمَرَاءُ إلَى مِصْرَ فَقَبَضَ عَلَيهم جَمِيعاً، وعَلَى آقُوش الأَشْرَفِيِّ نَائِبِ دِمَشْق، ووَلَّى مَكَانَه مَوْلاه تَنْكِز النَّاصِرِيَّ سَنَةَ اِثْنَتَي

(1) يقارن بما ورد في نهاية الأرب 32: 185.

(2) ينظر نهاية الأرب 32: 185 - 186.

(3) نهاية الأرب 32: 197.

عَشْرَةَ، وجَعَلَ لَه الوِلَايَاتِ(أ) عَلَى سَائِرِ المَمَالِكِ الشَّامِيَّة، وقَبَضَ عَلَى نَائِبِه بِمِصْر بَيْبَرْس الدَّوَادَار وحَبَسَهُ بالكَرَكِ، وَوَلَّى مَكَانَه أرْغُونَ الدَّوَادَار[1]، وعَسْكَرَ بِظَاهِرِ القَلْعَةِ، وَارْتَحَلَ بَعْدَ الفِطْرِ مِنَ السَّنَةِ[2]، فَلَقِيَه الخَبَرُ أَثْنَاءَ طَرِيقِه بِأَنَّ خُدَابَنْدَا وَصَلَ إِلَى الرَّحْبَة ونَازَلَها، وَانْصَرَفَ عَنْهَا رَاجِعاً، فَانْكَفَأَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْق، وفَـرَّقَ العَسَاكِرَ في الشَّامِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الكَرَكِ واعْتَزَمَ عَلَى قَضَاءِ فَرْضِه تِلْكَ السَّنَة، وخَرَجَ حَاجّاً مِنَ الكَرَك، ورَجَعَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ[3] إِلَى الشَّام، وبَعَثَ إِلَى مُهَنَّا بنِ عِيسَى يَسْتَمِيلُه، وعَادَ الرُّسُلُ بامْتِنَاعِه، ثُمَّ لَحِقَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ بِخُدَابَنْدَا وأَقْطَعَ لَهُ بالعِرَاقِ، وأَقَامَ هُنَالِكَ فَلَم يَرْجِعْ إِلَّا بَعْدَ مَهْلِكِ خُدَابَنْدَا.

رُجُوعُ حَمَاةَ إِلَى بَنِي المُظَفَّرِ بنِ(ب) شَاهِنْشَاه بنِ أَيُّوب، ثُمَّ لِبَنِي الأَفْضَلِ مِنْهُم وانْقِرَاضُ أَمْرِهِم

قَد كَانَ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ حَمَاةَ كَانَتْ مِن إِقْطَاعِ تَقِيِّ الدِّين عُمَرَ بنِ شَاهِنْشَاه بنِ أَيُّوبَ، أَقْطَعَهَا إِيَّاه عَمُّه صَلَاحُ الدِّين بنُ أَيُّوبَ سَنَةَ [أَرْبَعٍ وسَبْعِينَ وخَمْسِ مائة][4]، فَلَمْ تَزَلْ بِيَدِه إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وثَمَانِينَ وخَمْسِ مائة(ج)، فَأَقْطَعَهَا ابْنَه نَاصِرَ

(أ) في س: الولاية. (ب) سقط من س. (ج) سقط من س.

---

(1) نهاية الأرب 32: 199 - 200.

(2) ثاني شوال 712 هـ. نهاية الأرب 32: 202 .

(3) نهاية الأرب 32: 202 - 205.

(4) بياض في الأصول، والإضافة من مفرج الكروب 2: 74.

الدّين[أ] / مُحمّداً ولقّبه المنصور، وتُوفّي سَنة سَبْع عَشْرَة وسِتّ مائة[1]، بَعْدَ عَمِّه صَلاحِ الدّين والعَادِل، فوَلِيَها ابنُه [الأكْبَر][2] قِلِيج أرْسَلان، ويُلَقَّبُ النَّاصِرَ[ب] إلى سَنَةِ سِتّ وعِشْرِين، وكَانَ أخُوه المُظَفَّرُ [مَحْمُودٌ][3] وَلِيَّ عَهْدِ أبِيه، عِنْدَ الكَامِل ابنِ العَادِل، فَجَهَّزَهُ بالعَسَاكِرِ مِنْ دِمَشْقَ ومَلَّكَهَا مِن يَدِ أخِيه[4]، وأقَامَ بِها إلَى أنْ هَلَكَ سَنَةَ [اثْنَتَين][5] وأرْبَعِين، ووَلِيَ ابنه مُحَمَّداً وتَلَقَّبَ المَنْصُورَ، ولَمْ يَزَلْ في وِلَايَتِها إلَى أنْ سَارَ النَّاصِرُ يُوسُفُ بنُ العَزِيزِ مَلِكُ الشَّامِ مِنْ بَنِي أيُّوبَ هَارِباً إلَى مِصْرَ أمَامَ الطَّطَر، فَسَارَ مَعَه المَنْصُورُ صَاحِبُ حَمَاةَ وأخُوه الأفْضَل، ثُمَّ خَشِيَ [النَّاصِرُ يُوسُفُ][6] مِنَ التُّرْكِ بِمِصْرَ، فرَجَعَ إلَى هُولاكُو، وَاسْتَمَرَّ المَنْصُورُ إلَى مِصْرَ فَأقَامَ بِها، ومَلَكَ هُولاكُو الشَّامَ وقَتَلَ النَّاصِرَ وسَائِرَ بَنِي أيُّوب، كَمَا مَرَّ. [345أ]

ثُمَّ سَارَ قُطُز إلَى الشَّام، عِنْدَمَا رَجَعَ هُولاكُو عَنْه وشُغِلَ بالفِتْنَةِ مَعَ قَوْمِه، فَارْتَجَعَه مِن مِلكَةِ الطَّطَرِ، وَوَلَّى عَلَى قَوَاعِدِه وأمْصَارِه، ورَدَّ المَنْصُورَ إلَى حَمَاة، فَلَمْ يَزَلْ وَالِياً عَلَيْها، وحَضَرَ وَاقِعَةَ قَلَاوُون عَلَى الطَّطَرِ بِحِمْص سَنَةَ ثَمَانِين، وكَانَ يَتَرَدَّدُ إلَى مِصْرَ سَائِرَ أيَّامِه، ويَخْرُجُ في البُعُوثِ إلَى بِلَادِ الأرْمَن وغَيْرِهَا، ويُعَسْكِرُ مَعَ

(أ) في س: الناصر. (ب) ويلقب الناصر: سقط من س.

(1) نهاية الأرب 29: 110، وينظر الذيل على الروضتين 124، البداية والنهاية 17: 101.
(2) من نهاية الأرب 29: 110.
(3) من المختصر 3: 143.
(4) نهاية الأرب 29: 111، 157.
(5) في الأصول: ثلاث، وصوبناه من نهاية الأرب 29: 308، 31: 122.
(6) إضافة للتوضيح مما سبق ص 232 - .

[مُلُوكِ][1] مِصْرَ مَتَى طَلَبُوه لِذَلِكَ، ثُمَّ تُوفِّي سَنَةَ ثَلَاثٍ وثَمَانِين[1]، وأقَرَّ قَلَاوُونُ ابْنَه المُظَفَّرَ [تَقِيَّ الدِّينِ مَحْمُوداً][2] عَلَى مَا كَانَ أبُوه، وجَرَى هُوَ مَعَهم عَلَى سَنَنِه إلَى أنْ تُوفِّي سَنَةَ ثَمَانٍ وتِسْعِين[3]، عِنْدَمَا بُويِعَ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بنُ قَلَاوُون، بَعْدَ لَاجِين، وانْقَطَعَ عَقِبُ المَنْصُور، فَوَلَّى السُّلْطَانُ عَلَيْها قَرَاسُنْقُر مِن أُمَرَاءِ التُّرْكِ[4]، نَقَلَه إلَيْها مِنَ الصُّبَيْبَة، وأمَرَه باسْتِقْرَارِ بَنِي المُظَفَّر وسَائِرِ النَّاسِ عَلَى إقْطَاعَاتِهِم.

ثُمَّ كَانَ اسْتِيلاءُ غَازَانَ عَلَى الشَّامِ ورُجُوعُه سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعِين، ومَسِيرُ بَيْبَرْس وسَلَار، وَانْتِزَاعُ الشَّامِ مِن يَدِ الطَّطَرِ، وكَانَ كُتُبُغَا العَادِل، الَّذِي مَلَكَ مِصْرَ وخَلَعَه لَاجِينُ نَائِباً بصَرْخَد، فَجَلَّى فِي هَذِه الوَقَائِعِ وتَنَصَّحَ لبَيْبَرْس وسَلار، وحَضَرَ مَعَهم بدِمَشْق، فَوَلَّوْه[ب] عَلَى حَمَاة[5]، وغَزَا بالعَسَاكِرِ بِلَادَ الأرْمَن، وحَضَرَ هَزِيمَةَ الطَّطَرِ مَعَ النَّاصِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وسَبْعِ مِائَة، ثُمَّ رَجَعَ[ج] إلَى حَمَاةَ فَمَاتَ بِهَا[6]، ووَلَّى السُّلْطَانُ / عَلَيْهَا [بعدَهُ][د] سَيْفَ الدِّينِ قَفْجَق، اسْتَدْعَاه إلَيْهَا مِن إقْطَاعِه بالشُّوبَك[7].

(أ) من س. (ب) س فولاه: وفي ظ مصححة إلى: فولوه. (ج) في س: ورجع. (د) من س.

(1) في حادي عشر شوال. نهاية الأرب 31: 121، وينظر ذيل مرآة الزمان 4: 236، البداية والنهاية 17: 596، تذكرة النبيه 1: 88، الوافي بالوفيات 5: 11.
(2) من نهاية الأرب 31: 122.
(3) في الحادي والعشرين من ذي القعدة. البداية والنهاية 17: 714، نهاية الأرب 31: 379، تذكرة النبيه 1: 214، عقد الجمان 3: 475.
(4) في أوائل ذي الحجة 698 هـ. المختصر 4: 42، وينظر نهاية الأرب 31: 379.
(5) وصل إلى حماة في الرابع والعشرين من شعبان 699 هـ. المختصر 4: 44.
(6) عاشر ذي الحجة 702 هـ. المختصر 4: 49، وينظر نهاية الأرب 32: 61.
(7) وصل إلى حماة في الثالث والعشرين من صفر 703 هـ. المختصر 4: 50، نهاية الأرب 32: 62.

وكَان الأَفضَلُ عَلَاءُ الدِّين أَخُو المنْصُور، صَاحِبُ حَمَاة، تُوفِّيَ أَيَّامَ أَخِيه المنْصُور، وخلَّف وَلَداً اسْمه إِسْمَاعِيلُ ولَقَبُه عِمَادُ الدِّين، ونَشأَ في دَوْلَتِهم عَاكِفاً عَلَى العِلْمِ والأَدَبِ حَتَّى تَوَفَّرَ مِنها حَظُّه، ولَه كِتَابٌ في التَّارِيخ مَشْهُورٌ[1]، ولَمَّا رَجَعَ السُّلْطَانُ النَّاصِرُ مِنَ الكَرَك إِلَى كُرْسِيِّه، وسَطَا بِبَيْبَرْس وسَلار، رَاجَعَ نَظَره في الإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ هَذَا البَيْتِ، وَاخْتَارَ مِنهم عِمَادَ الدِّين إِسْمَاعِيلَ [هَذَا][ا]، وَوَلَّاه عَلَى حَمَاةَ مَكَانَ قَوْمِه سَنَةَ عَشْرٍ وسَبْعِمَائَة[2].

وكَان عِنْدَ رُجُوعِه إِلَى مُلْكِه قَدْ وَلَّى نِيَابَةَ حَلَبَ سَيْفَ الدِّين قَفْجَق، وجَعَلَ مَكَانَه بِحَمَاةَ أَسَنْدَمِر كَرْجِي[3]، وتُوفِّي قَفْجَق، فَنَقَلَ أَسَنْدَمِرَ مِنْ حَمَاةَ إِلَى حَلَبَ مَكَانَه، وَوَلَّى إِسْمَاعِيلَ عَلَى حَمَاة، كَمَا قُلْنَاه، وَلَقَّبَه المُؤَيَّد، ولَمْ يَزَلْ عَلَيها إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَلَاثِين[4]، وَوَلَّى النَّاصِرُ ابنَه الأَفْضَلَ مُحَمَّداً، بِرَغْبَة أَبِيه إِلَى السُّلْطَانِ في ذَلِك.

ثُمّ مَاتَ المَلِكُ النَّاصِرُ في ذِي الحِجَّة سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِين، وقَامَ بَعْدَه بالأَمْرِ مَوْلَاه قُوصُون، ونَصَّبَ ابْنَه أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّداً، فكَانَ أَوَّلَ شَيءٍ أَحْدَثَه عَزْلُ الأَفْضَلِ

(ا) من س.

---

(1) هو كتاب: المختصر في أخبار البشر.

(2) وأعطيتْ حماة في هذه المرة على قاعدة النواب، وكان تاريخ التقليد 18 جمادى الأولى 710 هـ. المختصر 4: 60.

(3) نهاية الأرب 32: 159.

(4) ينظر الوافي بالوفيات 9: 173.

مِن حَمَاة[1]، وبَعَثَ عَلَيها مَكَانَه طُقُزدُمُر النَّائِبَ، وسَارَ الأَفضَلُ إِلَى دِمَشق، فَمَاتَ بِها سَنَةَ اثْنَتَين وأَرْبَعِين[2]، وَانقَرَضَتْ إِيَالَةُ بَني المُظَفَّرِ مِن حَمَاة، والبَقَاءُ للهِ وحْدَه.

غَزْوُ العَرَبِ بالصَّعيدِ وفَتحُ مَلَطْيَةَ وآمِد

ثُمّ خَرَجَ السُّلْطَانُ سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ[3] فعَسْكَرَ بالأَهْرَام مُوَرِّياً بالنُّزْهَة، وقَدْ بَلَغَه مَا نَزَلَ بالصَّعِيدِ مِنْ عَيْثِ العَرَبِ وفَسَادِهِم في نَوَاحِيه وإِضْرَارِهِم بالسَّابِلَة، فَسرَّحَ العَسَاكِرَ في كُلّ نَاحِيَةٍ مِنْه، وأَخَذَ المَسَالِكَ عَلَيهم مِنَ الوَاحَاتِ إِلَى أُسْوَان إِلَى السُّوَيْس، واسْتَبَاحَهم في كُلّ نَاحِية، وشَرَّدَ بِهم مَنْ خَلْفَهم[4].

ثُمّ بَعَثَ العَسَاكِرَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ[5]، بَعْدَهَا، إِلَى مَلَطْيَة، وهِيَ للأَرْمَن ومَلِكُها مِيزَامْرَا[6]، وسَارَ لِذَلِكَ تَنْكِز نَائِبُ دِمَشْقَ بعَسَاكِرِ الشَّام وسِتَّةٍ مِنَ الأُمَرَاءِ بِمِصْرَ[7]، / ونَازَلُوهَا في مُحَرَّمِ خَمْسَ عَشْرَةَ، وبِها جُمُوعٌ مِنْ نَصَارَى الأَرْمَن والسُّرْيَانِ [346ا] وقَلِيلٌ مِنَ المسْلِمِين، تَحْتَ الجِزْيَةِ، فَقَاتَلُوهم حَتّى أَلْقَوْا باليَدِ، وَاقْتَحَمُوهَا عَنْوَةً

(1) عزل في عهد السلطان الملك الأشرف كجك، في سابع عشر (ربيع الأول 742 هـ). السلوك 2: 573.

(2) ينظر الوافي بالوفيات 2: 224.

(3) في ثامن عشري رجب. السلوك 1: 129.

(4) السلوك 1: 129.

(5) في ذي الحجة. نهاية الأرب 32: 219.

(6) حاكم ملطية جمال الدين الخضر، ويعرف بمزامير، ومعناه الأمير الكبير بلغة نصارى تلك البلاد، المختصر 4: 75، وورد: في نهاية الأرب 32: 221: بدر الدين ميزامير بن الأمير نور الدين.

(7) "وتقدمت مراسيم السلطان إليّ أولاً بأن أجهز عسكر حماة صحبتهم وأن أقيم أنا بمفردي بحماة، ثم رأى المصلحة بتوجهي بعسكر حماة، فتوجهت أنا والعساكر المذكورة". المختصر 4: 74 - 75.

وَاسْتَبَاحُوهَا[1]، وجاءوا بِمَلِكِهَا مع الأَسْرَى، فَاسْتَبْقَاه السُّلْطَان وأَنْعَمَ عَلَيْه، ثُمّ نُمِيَ عَنه أَنّه يُكاتِبُ مُلُوكَ العِرَاق، فَحَبَسَه.

ثُمّ بَعَثَ السُّلْطَانُ العَسَاكِرَ مِن حَلَبَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ[2] إلى عِزقِيّة[3] مِن أعْمَالِ آمِدَ فَفَتَحُوها، وسَارَت العَسَاكِرُ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ[4] ثَانِيَةً إلَى آمِد، فَفَتَحُوها وَاسْتَبَاحُوهَا وغَنِمُوا مِنها أَمْوَالاً جَمّة[5].

الوِلايَاتُ

وفي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَخِطَ السُّلْطَانُ سَيْفَ الدِّين تَمُر [السَّاقِيّ][6] نَائِبَ طَرَابُلُس، الَّذِي وَلِيَهَا بَعْدَ آقُوش الأَفْرَم، وأَمَرَ بِه[أ] فَسِيقَ مُعْتَقَلاً إلى مِصْرَ، وَوَلَّى مَكَانَه سَيْفَ الدِّين كُسْتَاي، ثُمّ هَلَكَ، فَوَلَّى مَكَانَه شِهَابَ الدِّين قُرْطَاي، نَقَلَه إلَيها مِن نِيَابَةِ حِمْص، وَوَلَّى نِيَابَةَ حِمْص لسَيْفِ الدِّين أَرْقَطَاي.

ثُمّ قَبَضَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ عَلَى طُغَاي الحُسَامِيّ مِنَ الخَاصِكِيّة، وغَرّبَه نَائِبًا

(أ) سقط من س.

(1) فتحت في الثاني والعشرين من المحرم 715 هـ. المختصر 4: 74، وينظر نهاية الأرب 32: 220، السلوك 2: 143.

(2) في نهاية الأرب 32: 226: في أول شعبان.

(3) في نهاية الأرب 32: 226: قلعة أرقنين.

(4) في ربيع الآخر، في المختصر 4: 82.

(5) المختصر 4: 82.

(6) من المختصر 4: 76، نهاية الأرب 32: 224.

إلى صَفَد[1]، مَكَانَ بَكْتَمُر الحَاجِب، ثُمّ سَخِطَه، فَأحْضَرَه مُعْتَقَلاً، وحَبَسَه بالإسْكَنْدَرِيّة[2]، ثُمّ بعَثَ[أ] عَلَى صَفَد سَيْفَ الدّين أرْقطاي، نَقَلَه إليها مِنْ حِمْص، وبَعَثَ عَلَى حِمْص بَدْرَ الدّين بَكْتُوتَ القَرَمَانِي[3].

العَمَائِر

ابْتَدَأ السُّلْطَانُ سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ وسَبْعِ مِائة بِبِنَاء الجَامِع الجَدِيد بِمِصْرَ[4] وأكْمَلَه، وَوَقَفَ عَلَيْه الوُقُوفَاتِ المُغِلّة، ثُمّ أمَرَ سَنَةَ سَبْعَ[ب] عَشْرَةَ بِبِنَاء القَصْرِ الأبْلَق[5] مِنْ قُصُورِ المُلْكِ، فَجَاءَ مِنْ أحْفَلِ المَصَانِعِ المُلُوكِيّة، وفي سَنَة ثَمَانِ عَشْرَةَ أمَرَ بتَوْسِعَة جَامِعِ القَلْعَة، فَهُدِمَ مَا حَوْلَه مِنَ المَسَاكِن، وزِيدَ فِيه إلى الحَدّ الّذِي هُو عَلَيْه بهَذَا العَهْد[6]، ثُمّ أمَرَ سَنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ بِعِمَارَةِ القُصُورِ لمَنَازِلِه بسِرْيَاقُوس، وبَنَى إزَاءَها الخَانْقَاه الكَبِيرَةَ[7] المَنْسُوبَةَ إلَيْه، وفي سَنَةِ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ أمَرَ بِعِمَارَةِ الإيوَانِ الفَخْمِ بالقَلْعَة، وَجَعَلَه مَجْلِس مُلْكِه وبَيْتَ كُرْسِيّه، وسَمّاه دَارَ العَدْلِ.

(أ) في س: وبعث. (ب) في س: أربع.

---

(1) وصل إلى صفد في يوم الخميس تاسع عشر شهر ربيع الأول. نهاية الأرب 32: 284.

(2) وكان آخر العهد به، وفي مستهل شعبان أمر السلطان عائلته بعمل عزائه. نهاية الأرب 32: 284.

(3) نهاية الأرب 32: 283 - 284.

(4) الجامع الجديد الناصري، بشاطىء النيل من ساحل مصر (الفسطاط) الجديد، المواعظ والاعتبار، المجلد الرابع 206 - 207، وينظر الانتصار، القسم الأول 76 - 77.

(5) المواعظ والاعتبار، المجلد الثالث 669، وكمل بناؤه في 17 رجب 713 هـ. السلوك 2: 129.

(6) نهاية الأرب 32: 285.

(7) المواعظ والاعتبار، المجلد الرابع 767-768، وتنظر وثائق وقف السلطان الناصر محمد للخانقاة، والوقف على مصالحها في ملاحق الجزء الثاني من كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب الحلبي.

حَجَّاتُ السُّلْطَانِ

وحَجَّ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بنُ قَلاوُونَ في أيَّامِ دَوْلَتِهِ ثَلاثَ / حَجَّاتٍ: أَوَّلُها[أ] [346 ب] سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ، عِنْدَمَا انْتَفَضَ قَرَاسُنْقُر نَائِبُ حَلَب، وآقُوشُ الأَفْرَمُ نَائِبُ طَرَابُلُس، ومُهَنَّا بنُ عِيسَى أَمِيرُ العَرَبِ، وجَاءَ خُدابَنْدَا إلَى الشَّامِ ورَجَعَ مِنَ الرَّحْبَةِ، فسَارَ السُّلْطَانُ مَن مِصْرَ إلَى الشَّامِ[ب]، وبَلَغَه رُجُوعُ خُدابَنْدَا، فَسَارَ مِن هُنَالِكَ حَاجًا، وقَضَى فَرْضَه سَنَةَ [اثْنَتَي][1] عَشْرَةَ، وَرَجَعَ إلَى الشَّامِ[2].

ثُمَّ حَجَّ الثَّانِيَةَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ[3]، رَكِبَ إلَيها مِنْ مِصْرَ فِي أَوَاخِرِ [ذِي القَعْدَةِ][ج][4]، ومَعَه المُؤَيَّدُ صَاحِبُ حَمَاة، والأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ابنُ أُخْتِ عَلاءِ الدِّينِ مَلِكِ الهِنْدِ، وهُو صَاحِبُ دِلِّي، ولَمَّا قَضَى نُسُكَه انْطَلَقَ الأَمِيرُ مُحَمَّدٌ مِن هُنَالِكَ إلَى الهِنْدِ عَلَى اليَمَنِ، ورَجَعَ السُّلْطَانُ إلَى مِصْرَ فأَفْرَجَ عَنْ رُمَيْثَةَ أَمِيرِ مَكَّةَ مِنْ بَنِي حَسَنٍ، وعَنِ المُعْتَقَلِينَ بِمَحْبِسِه، ووَصَلَه ووَصَلَهم[5].

ثُمَّ حَجَّ الثَّالِثَةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَلاثِينَ[6]، ومَعَه الأَفْضَلُ بنُ المُؤَيَّدِ صَاحِبُ حَمَاة،

(أ) في ظ: أولاها، ومشطوب عليها. وعن هذه الحجات ينظر: الذهب المسبوك 99. (ب) سقط من س. (ج) من س، وفي ظ: ذي الحجة.

---

(1) في الأصول: ثلاث، واعتمدنا ما سبق ص 392.

(2) سنة 713 هـ. ينظر المختصر 4: 70، نهاية الأرب 32: 20.

(3) المختصر 4: 85، نهاية الأرب 32: 303، تذكرة النبيه 2: 199.

(4) ثاني ذي القعدة. المختصر 4: 85، وينظر نهاية الأرب 32: 304.

(5) المختصر 4: 85 – 86، نهاية الأرب 32: 303 - 306.

(6) تذكرة النبيه 2: 221.

عَلَى عَادَةِ أَبِيه فِي مُوَاكَبَةِ السُّلْطَان، وقَفَلَ مِن حَجِّهِ سَنَةَ ثَلاثٍ وثَلاثِين، فَأَمَرَ بِعَمَلِ بَابٍ لِلكَعْبَةِ مُصَفَّحاً بالفِضَّة، أَنْفَقَ فِيه خَمْسَةً وثَلاثِينَ أَلْفَ دِرْهَم.

وفي مُنْصَرَفِه مِن هَذه الحِجَّة مَاتَ بَكْتَمُر السَّاقِي، مِن أَعْظَم أُمَرَائِه وخَوَاصِّه، ويُقَالُ: إنَّه سَمَّه، وهُو مِن مَمَالِيكِ بَيْبَرْس الجَاشْنَكِير، وَانْتَقَلَ إِلَى النَّاصِرِ فجَعَلَه أَمِيرَ السُّقَاة، وعَظُمَتْ مَنْزِلَتُه عِنْدَه، ولَطُفَتْ خِلَّتُه حَتَّى كَانَا لا يَفْتَرِقَان، إِمَّا فِي بَيْتِ السُّلْطَان أَوْ فِي بَيْتِه، وكَان حَسَنَ السِّيَاسَةِ فِي الغَايَة، وخَلَّفَ بَعْدَ وَفَاتِه مِنَ الأَمْوَالِ والجَوَاهِرِ والذَّخَائِرِ(ا) مَا يَفُوتُ الحَصْرَ[1].

أَخْبَارُ النُّوبَة وإِسْلامُهم

قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا غَزْوُ(ب) التُّرْكِ إِلَى النُّوبَة أَيَّامَ الظَّاهِر بَيْبَرْس والمَنْصُورِ قَلاوُون[2] لِمَا كَانَ عَلَيهم مِنَ الجِزْيَة الَّتِي فَرَضَهَا عَمْرُو بن العَاص عَلَيْهِم[3]، وقَرَّرَهَا المُلُوكُ [مِن](ج) بَعْدِ ذَلِك، ورُبَّمَا كَانُوا يُمَاطِلُونَ بِهَا أَوْ يَمْتَنِعُونَ مِنْ أَدَائِهَا فَيَغْزُوهم عَسَاكِرُ المُسْلِمِينَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى يَسْتَقِيمُوا، وَكَان مَلِكُهم بِدُنْقُلَة، أَيَّامَ سَارَتِ العَسَاكِرُ مِنْ عِنْدِ قَلاوُونَ إِلَيها سَنَةَ [سِتٍّ وَ](4) ثَمَانِينَ وسِتِّ مِائَة، اسْمُه سَمَامُون، ثُمَّ كَان

(ا) سقط من س. (ب) في س: اخبار. (ج) من س.

(1) ينظر الوافي بالوفيات 10: 193، تذكرة النبيه 2: 235، المنهل الصافي 3: 390.

(2) ينظر ما سبق ص 321.

(3) المقصود معاهدة البقط، ينظر المواعظ والاعتبار، المجلد الأول 542.

(4) إضافة مما سبق ص 322.

مَلِكُهم لِعَهْدِ النَّاصِرِ اسْمُه آيْ، لا أَدْرِي / مُعَاقِبًا لِسَمَامُون أَوْ تَوَسَّطَ بَيْنَهما مُتَوَسِّطٌ، [347ا] وتُوفِّي آيْ سَنَةَ عَشْرٍ وسَبْعِ مِائَة، ومَلَكَ بَعْدَه في دُنْقُلَة أَخُوه كُرُنْبَس.

ثُمَّ نَزَعَ مِنْ بَيْتِ مُلُوكِهِم مُهَاجِرًا إِلَى مِصْرَ رَجُلٌ اسْمُهُ نَشْلِي[1]، وأَسْلَمَ، فحَسُنَ إِسْلامُه، وأَجْرَى لَه رِزْقًا، وأَقَامَ عِنْدَه.

فَلَمَّا كَانَت سَنَةُ سِتَّ عَشْرَةَ امْتَنَع كُرُنْبَس مِن أَدَاءِ الجِزْيَة، وجَهَّزَ السُّلْطَانُ إِلَيْه العَسَاكِرَ[2]، وبَعَثَ مَعَهَا عَبْدَ الله نَشْلِي المُهَاجِرَ إِلَى الإِسْلامِ مِن بَيْتِ مَلِكِهِم، فَخَامَ كُرُنْبَس عَنْ لِقَائِهِم، وفَرَّ إِلَى بَلَدِ الأَبْوَابِ، ورَجَعَتِ العَسَاكِرُ إِلى مِصْرَ، وَاسْتَقَرَّ نَشْلِي في مُلْكِ النُّوبَة عَلَى حَالِه مِن الإِسْلامِ.

وبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَى مَلِكِ الأَبْوَابِ في كُرُنْبَس، فَبَعَثَ بِه إِلَيه، وأَسْلَمَ وَأَقَامَ بِأَبْوَابِ السُّلْطَان[3].

ثُمَّ إِنَّ(ا) أَهْلَ النُّوبَة اجْتَمَعُوا عَلَى نَشْلِي وقَتَلُوه بِمُمَالأَةِ جَمْعٍ مِنَ العَرَبِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ، وبَعَثُوا عن كُرُنْبَس مِن بَلَدِ الأَبْوَابِ فَأَلْفَوْهُ بِمِصْرَ، وبَلَغَ الخَبَرُ إِلَى السُّلْطَان، فبَعَثَه إِلَى النُّوبَة، ومَلَكَهَا[4]، وَانْقَطَعَتِ الجِزْيَةُ بإِسْلامِهِم.

(ا) سقط من س.

---

(1) في نهاية الأرب 32: 238: عبدالله برشنبوا.

(2) ورسم أن يكون سفرهم في العشرة الآخرة من شعبان. نهاية الأرب 32: 238.

(3) نهاية الأرب 32: 238.

(4) الذي آل إليه الحكم هو كنز الدولة، ابن أخت كرنبس. نهاية الأرب 32: 239. أما الإفراج عن كرنبس وتجهيزه إلى النوبة فكان سنة 723 هـ. نهاية الأرب 33: 66.

ثُمَّ انْتَشَرَتْ أَحْيَاءُ العَرَبِ مِن جُهَيْنَةَ فِي بِلادِهِم وأَوْطَنُوها ومَلأُوها عَيْثاً وفَسَاداً، وذَهَبَ مُلُوكُ النُّوبَة إلى مُدَافَعَتِهِم فَعَجَزُوا عَنْها، ثُمَّ صَارُوا إلَى مُصَانَعَتِهِم حَتَّى بالصِّهْرِ، فافْتَرَقَ(أ) مُلْكُهم، وصَارَ لِبَعْضِ أَبْنَاءِ جُهَيْنَةَ مِن أُمَّهَاتِهِم، عَلَى مَذَاهِبِ الأَعَاجِمِ فِي تَمْلِيكِ الأُخْتِ وابنِ الأُخْتِ، فَتَمَزَّقَ مُلْكُهم، وَاسْتَوْلَى أَعْرَابُ جُهَيْنَةَ عَلَى بِلَادِهِم، ولَيْسَ فِي طَبِيعَةِ العَرَبِ شَيْءٌ مِنَ السِّيَاسَةِ المُلُوكِيَّةِ للأَنَفَةِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ انْقِيَادِ بَعْضِهِم إلَى بَعْضٍ، فَصَارُوا شِيَعاً لِهَذَا العَهْدِ، ولَمْ يَبْقَ بِبِلادِهِم رَسْمٌ لِلمُلْكِ، وإنَّمَا هُمُ الآنَ رَحَّالَةٌ بَادِيَةٌ يَتَّبِعُونَ مَوَاقِعَ القَطْرِ، شَأْنَ [بَوَادِي الأَعْرَابِ](ب) لِمَا أَحَالَتْ صِبْغَةُ البَدَاوَةِ العَرَبِيَّةِ مِن صِبْغَتِهِم بالخُلْطَةِ والالْتِحَامِ. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

بَقِيَّةُ أَخْبَارِ الأَرْمَنِ إِلَى فَتْحِ أَيَاس ثُمَّ فَتْحِ سِيس وانْقِرَاضِ(ج) أَمْرِهِم

قَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَخْبَارَ الأَرْمَنِ إلى مَقْتَلِ مَلِكِهِم هَيْثُومَ عَلَى يَدِ أَبْزَغْلِي شِحْنَةِ الطَّطَرِ بِبِلادِ الرُّومِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِ مِائَة[1]، / وَاسْتِقْرَار المُلْكِ بِسِيس لأَخِيه أُوشِين عـ3ب/ا
ابنِ لِيفُون(د)، وكَانَ بَيْنَه وبَيْنَ قَرمَان مَلِكِ التُّرْكُمَانِ مَصَافٌّ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ[2]،

(أ) في س: وافترق. (ب) من س. (ج) من س، وفي ظ: وانقراط. (د) في س: أوشيش ثم ليفون.

---

(1) ينظر ما سبق ص 378 - 379.

(2) اجتمع تمرتاش بن جوبان هو وابن قرمان ودخلوا إلى بلاد سيس في أواخر سنة إحدى وعشرين. نهاية الأرب 33: 40.

فهزَمه قرَمان، ولَم يَزل أوشِين بن لِيفُون علَيهم مُملَّكاً[ا] إلى سَنَة: اثنَتَين وعِشرين، وهلَكَ، فنصَبُوا للمُلكِ مَكانَه ابنَه لِيفُون صَغيراً ابنَ اثنَتَي عَشرَةَ سَنةً[1]، وكَان النّاصِرُ قَدْ طَلَبَ أُوشِينَ أنْ يَنزِلَ لَه عَن القِلَاع الّتي تَلِي الشّامَ، فامتَنَع، وجَهّزَ إلَيه عَسَاكِرَ الشّام، فاكتَسَحُوا بِلَادَه وخَرّبُوهَا، وهَلَكَ أوشِينُ علَى أثَرِ ذَلِك[2].

ثُمّ أمَرَ النّاصِرُ[ب] طُنبُغَا[3] نَائِبَ حَلَب بِغَزوِ[ج] سِيس، فدَخَلَ إلَيها بِالعَسَاكِرِ •سَنَةَ [خَمسٍ][4] وثَلاثِين•[د]، واكتَسَحَ جِهَاتِها، وحَاصَرَ قَلْعَةَ النَّقِيرَة وافتَتَحَهَا، وأسَرَ مِنَ الأرْمَنِ عِدّةً، يُقَال[هـ]: بَلَغُوا ثَلاثَ مِائة، وبَلَغَ خبَرُهم إلى النَّصَارَى بِأيَاس، فثَارُوا بِمَن عِندَهم مِن المُسلِمِين وأحرَقُوهم[5] غَضَباً للأرمَن لِمُشَارَكَتِهم في دِينِ النَّصْرَانِيّة.

ولَم يَنشَبْ[6] أنْ بَعَثَ ـ إلَى[و] السُّلْطَان ـ دِمِرْدَاش بنُ جُوبَان، شِحْنَةَ المُغُلِ بِبِلادِ الرُّوم، يُعَرِّفُ السُّلطَانَ بِدُخُولِه في الإسلَام، ويَستَنفِرُ عَسَاكِرَه لِجِهَادِ نَصَارَى الأرمَن، فأسْعَفَه بِذَلِك، وجَهّزَ إلَيه عَسَاكِرَ الشّامِ مِنْ دِمَشْق وحَلَب وحَمَاة

(ا) في س: مملكًا عليهم. (ب) في س: سنة ست وثلاثين. (ج) مصحف في ظ: تقرو. (د) سقط ما بين النجمين من س.
(هـ) سقط من س. (و) سقط من س.

---

(1) هو ليفون الخامس Léo V، وكان عمره نحو ثمان سنين. نهاية الأرب 33: 39.
(2) نهاية الأرب 33: 38 - 39، وورد البريد بهذه الأخبار في مستهل جمادى الأولى 722 هـ. ينظر السلوك 2: 237.
(3) في تذكرة النبيه 2: 259: الأمير علاء الدين الطنبغا الصالحي العلائي.
(4) في الأصول: ست، وانظر تذكرة النبيه 2: 259، وفيه: في شهر رمضان 735 هـ.
(5) في يوم عيد الفطر 735 هـ. تذكرة النبيه 2: 260.
(6) لم ينشب: لم يلبث، لسان العرب.

سَنَةَ سَبْعٍ وثَلاثِين، ونَازَلُوا مَدِينَةَ أيَاس، فَفَتَحُوهَا وخَرَّبُوهَا، ونَجَا فَلُّهم إِلَى الجِبَالِ، فَاتَّبَعَتْهُم عَسَاكِرُ حَلَب، وعَادُوا إِلَى بِلادِهِم[1].

ثُمَّ سَارَ سَنَةَ إِحْدَى وسِتِّينَ بَيْدَمُر الخُوَارِزْمِيُّ، نَائِبُ حَلَب، لِغَزْوِ سِيس، فَفَتَحَ أَذَنَةَ وطَرَسُوسَ والمَصِّيصَةَ، ثُمَّ قَلْعَتَي كِلَالَ والجَدِيدَة، وسَنْبَاطَ كَلَا، ونَمْرُون، وَوَلَّى نَائِبَيْنِ فِي أَذَنَةَ وطَرَسُوس، وعَادَ إِلَى حَلَب[2]، وَوَلِيَ بَعْدَه عَلَى حَلَبَ عَشْقْتَمُر[3] النَّاصِرِيُّ، فَسَارَ سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعِينَ وحَاصَرَ سِيس وقَلْعَتَها شَهْرَيْنِ إِلَى أَنْ نَفِدَتْ أَقْوَاتُهم، وجَهَدَهُمُ الحِصَارُ، فَاسْتَأْمَنُوا ونَزَلُوا عَلَى حُكْمِه، فَخَرَجَ مَلِكُهم التَّكْفُور وأُمَرَاؤُه وعَسْكَرُه إِلَى عَشْقْتَمُر، فَبَعَثَ بِهِم إِلَى مِصْرَ، وَاسْتَوْلَى المُسْلِمُونَ عَلَى سِيس وسَائِرِ قِلَاعِها وثُغُورِهَا، وَانْقَرَضَتْ مِنْهَا دَوْلَةُ الأَرْمَن جَمِيعاً[أ][4]، والبَقَاءُ لِلّهِ وَحْدَه.

/ الصُّلْحُ مَعَ مُلُوكِ الطَّطَر وصِهْرُ النَّاصِرِ مَعَ مُلُوكِ الشَّمَالِ مِنْهم [348أ]

كَانَ للطَّطَرِ دَوْلَتَانِ مُسْتَفْحِلَتَان: إِحْدَاهُمَا دَوْلَةُ بَنِي هُولاوُو فَاتِحِ بَغْدَاد والمُسْتَوْلِي عَلَى كُرْسِيِّ الإِسْلامِ بِالعِرَاقِ، وأَصَارَهَا هُوَ وبَنُوه كُرْسِيّاً لِمُلْكِهِم، ولَهُم مَعَ

(أ) سقط من س.

---

(1) تاريخ ابن الوردي 2: 304، تاريخ الملك الناصر 8 - 9.
(2) السلوك 3: 50.
(3) في السلوك 3: 237: أَشْقْتَمُر.
(4) السلوك 3: 237 - 238.

ذَلِكَ عِرَاقُ العَجَمِ وفَارِس وخُرَاسَان ومَا وَرَاءَ النَّهرِ، ودَوْلَةُ بَنِي[أ] دُوشِي خَان بن جِنكِزخَان بالشَّمَال، مُتَّصِلَةً إلَى خُوَارِزَمَ بالمَشْرِق وإلَى القِرَمِ وحُدُودِ القُسْطَنطِينَة بالجَنُوبِ، وإلَى أرْضِ بُلْغَار بالمغرِبِ، وكانَ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ فِتَنٌ وحُرُوبٌ، كَمَا تَحدُثُ أبَداً بَيْنَ الدُّوَلِ المُتَجَاوِرَةِ، وكَانَتْ دَوْلَةُ التُّرْكِ بِمِصْرَ والشَّامِ مُجَاوِرَةً لدَوْلَةِ بَنِي هُولاوُو، وكَانُوا يَطْمَعُونَ فِي مُلْكِ الشَّامِ ويُرَدِّدُونَ الغَزْوَ إلَيه مَرَّةً بَعْدَ أُخرَى، ويَسْتَمِيلُونَ أوْلِيَاءَهم وأشْيَاعَهم مِنَ العَرَبِ والتُّركُمَان فَيَسْتَظْهِرُونَ بِهم عَلَيهم، كَمَا رَأيْتَ ذَلِكَ في أخبَارِهم، وكَانَتْ بَيْنَ مُلُوكِهم مِنَ الجَانِبَيْن وَقَائِعُ مُتَعَدِّدَةٌ، وحُرُوبُهم فِيها سِجَالٌ، ورُبَّمَا غَلَبُوا عَلى الشَّامِ وَانتَزَعَه التُّركُ مِنهم، كَمَا مَرَّ ذَلِكَ كُلُّه. فكَانَ مُلُوكُ التُّرْكِ في أكْثَرِ[ب] [الأحَايِينِ][ج] لما يُؤنِسُونَه مِنَ الفِتْنَةِ بَيْنَ دَوْلَةِ دُوشِي خَان وبَيْنَ[د] [بَنِي][هـ] هُولاوُو، لبُعْدِهم عَنْ فِتْنَةِ بَنِي دُوشِي خَان، بِتَوَسُّطِ المَمَالِكِ بَيْنَ مَمَالِكِهم[و] ومَملَكَةِ مِصْرَ والشَّامِ، فتَقَعُ[ز] الصَّاغِيَةُ إلَيهم، وتَتَجَدَّدُ بَيْنَهم[ح] المُرَاسَلَةُ والمُهَادَاةُ في كُلِّ وَقْتٍ، ويَسْتَحِثُّ مُلُوكُ التُّرْكِ مُلُوكَ صَرَايِ مِن بَنِي دُوشِي خَان لفِتْنَةِ بَنِي هُولاوُو والإجْلابِ عَلَيهم في خُرَاسَانَ ومَا إلَيها مِنْ حُدُودِ مملَكَتِهم، ليَشْغَلُوهم عَن الشَّامِ، ويَأْخُذُوا بحُجْزَتِهم عَنِ النُّهُوضِ إلَيه، ومَا زَالَ ذَلِكَ دَأْبَهم مُذْ أوَّلِ دَوْلَةِ التُّرْكِ، وكَانَت رَغْبَةُ بَنِي دُوشِي خَان في ذَلِكَ أعْظَمَ، يَفخَرُونَ بِه عَلَى بَنِي هُولاوُو.

ولَمَّا وَلِي بصَرَايِ أُزبكُ مِن بَنِي دُوشِي خَان سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وكَانَ نَائِبُه قَطْلُقْتَمُر، وفَدَتْ عَلَيه الرُّسُلُ مِن مِصْرَ / عَلَى العَادَةِ، فعَرَضَ لَهم قَطْلُقْتَمُر بالصِّهْرِ [348 ب]

(أ) سقط من س. (ب) في س: غالب. (ج) مصحفة في ظ: الأحانين. (د) سقط من س. (هـ) من س.
(و) س: مملكتهم. (ز) س: فتقع لهم [والعطف زائد، ويكون الفعل جواب كان]. (ح) في س: لهم.

مَعَ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ بِبَعْضِ نِسَاءِ ذَلِكَ البَيْتِ، عَلَى شَرِيطَةِ الرَّغْبَةِ مِن السُّلْطَانِ •في ظَاهِرِ الأَمْرِ•[1]، والتَّمَهُّلِ مِنهم في إِمْضَاءِ ذَلِكَ، وزَعَمُوا أَنَّ هَذِه عَادَةُ المُلُوكِ مِنهم، فَقَبِلَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ، ورَدَّدَ الرُّسُلَ والهَدَايَا أَعْوَاماً سِتَّةً، إِلَى أَنِ اسْتَحْكَمَ ذَلِكَ بَيْنَهم، وبَعَثُوا إِلَيهِ[ب] بِمَخْطُوبَتِهِ طُلُنْبَا[1] بِنْتِ طُغَاجِي بن هِنْدُو بن تَكُو[2] بن دُوشِي خَان سَنَةَ عِشْرِين، مَعَ كَبِيرِ المُغُل بَابِيجَا[3]، وكَانَ مُقْعَداً يُحْمَلُ عَلَى الأَعْنَاقِ، ومَعَه جَمَاعَةٌ مِن أُمَرَائِهم، وبُرْهَانُ الدِّين إِمَامُ أُزْبَك، ومَرُّوا بالقُسْطَنْطِينَة فبَالَغ لَشْكَرِي في كَرَامَتِهم، يُقَالُ: إِنَّه أَنْفَقَ عَلَيْهم سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ورَكِبُوا البَحْرَ مِن هُنَالِكَ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، ثُمَّ سَارُوا بِها إِلَى مِصْرَ مَحْمُولَةً عَلَى عَجَلَةٍ[4]، ورَاءَ سُتُورٍ مِن الذَّهَبِ والحَرِيرِ، يَجُرُّها أَكْدِيشٌ يَقُودُه بِعِنَانِه اثْنَانِ مِن مَوَالِيها، في مَظْهَرٍ عَظِيمٍ مِنَ الوَقَارِ والتَّجِلَّةِ، ولَمَّا قَارَبُوا مِصْرَ رَكِبَ لِلقَائِهم النَّائِبُ أَرْغُون وبَكْتَمُر السَّاقِي في العَسَاكِرِ[ج]، وكَرِيمُ الدِّين وَكِيلُ السُّلْطَان، وأُدْخِلَتِ الخَاتُونُ إِلَى القَصْرِ، وَاسْتُدْعِيَ - ثَالِثَ وُصُولِها - القُضَاةُ والفُقَهَاءُ وسَائِرُ النَّاسِ عَلَى طَبَقَاتِهم إِلَى الجَامِعِ بالقَلْعَةِ، وحَضَرَ الرُّسُلُ الوَافِدُونَ عِنْدَهم بَعْدَ أَنْ خُلِعَ عَلَيْهم، وَانْعَقَدَ النِّكَاحُ بَيْنَ وَكِيلِ السُّلْطَانِ ووَكِيلِ أُزْبَك، وَانْفَضَّ ذَلِكَ المَجْمَعُ، وكَانَ يَوْماً مَشْهُوداً[5].

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) سقط من س. (ج) في س: العسكر.

---

(1) تعددت صور رسم هذا الاسم في المصادر، ففي نهاية الأرب 32: 325: دلنبية، وقيل: طولونبة. وفي السلوك 2: 203 – 204، 298، 338، 378: طلنباي، دلنبية، طولونية.

(2) في السلوك 2: 204: باطو.

(3) في السلوك 2: 204: بابنجار.

(4) جُعلت في خركاة (خيمة) مذهبة محمولة على عجلة. نهاية الأرب 32: 327.

(5) السلوك 2: 203 - 204.

ووَصَلَتْ رُسُلُ أَبِي سَعِيدٍ صَاحِبِ بَغْدَادَ والعِرَاقَيْنِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وعِشْرِينَ[1]، وفيهم قَاضِي تَوْرِيز[2]، يَسْأَلُونَ الصُّلْحَ، وانتِظَامَ الكَلِمَةِ، وَاجْتِمَاعَ اليَدِ، عَلَى إِقَامَةِ مَعَالِمِ الإِسْلامِ مِنَ الحَجِّ، وإِصْلاحِ السَّابِلَةِ، وجِهَادِ العَدُوِّ، فَأَجَابَ السُّلْطَانُ إِلَى ذَلِكَ، وبَعَثَ[3] سَيْفَ الدِّينِ أَيْتَمُش(ا) المحمَدِيَّ لإِحْكَامِ العَقْدِ مَعَهم، واقْتِضَاءِ أَيْمَانِهِم، فَتَوَجَّهَ لِذَلِكَ بِهَدِيَّةٍ سَنِيَّةٍ، وَعَادَ سَنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ بَعْدَهَا، ومَعَه رُسُلُ أَبِي سَعِيد، ونَائِبِه جُوبَان، لِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ السُّلْطَانِ، فَتَمَّ ذَلِكَ وانْعَقَدَ بَيْنَهم[4].

وقَدْ كَانَتْ / قَبْلَ ذَلِكَ تَجَدَّدَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَ صَاحِبِ صَرَايِ وأَبِي سَعِيد، غَيْرَةً [349ا] مِن أُزْبَكَ صَاحِبِ صَرَايِ مِنْ تَغَلُّبِ جُوبَانَ عَلَى أبي سَعِيد وفَتْكِه فِي المُغُل، وكَانَت بينَ جُوبَانَ وبَيْنَ يَسُولَ صَاحِبِ خُوَارِزْمَ ومَا ورَاءَ النَّهْرِ فِتْنَةٌ ظَاهَرَهُ فِيها أُزْبَكُ، وأَمَدَّه بالعَسَاكِرِ، فَاسْتَوْلَى أُزْبَكُ عَلَى أَكْثَرِ بِلادِ خُرَاسَان، وطَلَبَ مِنَ النَّاصِرِ، بَعْدَ الالتِحَامِ بالصِّهْرِ، المُظَاهَرَةَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وجُوبَان، فَأَجَابَه إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيه أَبُو سَعِيدٍ فِي الصُّلْحِ، كَمَا ذَكَرْنَاه، فَآثَرَه وعَقَدَ لَه. وبَلَغَ الخَبَرَ إِلَى أُزْبَك، ورُسُلُ النَّاصِرِ عِنْدَه، فَأَغْلَظَ فِي القَوْلِ، وبَعَثَ بالعِتَابِ، وَاعْتَذَرَ لهُ النَّاصِرُ بِأَنَّهم إِنَّمَا دَعَوْه لإِقَامَةِ شَعَائِرِ الإِسْلامِ، ولا يَسَعُ التَّخَلُّفُ عَن ذَلِكَ، فَقَبِلَ.

ثُمَّ وقَعَتْ بَيْنَه وبَيْنَ أَبِي سَعِيدٍ مُرَاوَضَةٌ فِي الصُّلْحِ، بَعْدَ أَنِ اسْتَرَدَّ جُوبَان مَا

(ا) في س: بكثمر.

---

(1) في العشر الآخر من ربيع الأول. نهاية الأرب 33: 43.

(2) توريز = تبريز. نهاية الأرب 33: 43.

(3) في رجب 722 هـ. السلوك 2: 242.

(4) نهاية الأرب 33: 63، وينظر السلوك 2: 242.

مَلَكَه أُزبكُ مِن خُرَاسَان، فتَوَادَعَ كُلٌّ مِن هَؤلاءِ المُلُوكِ وَاصْطَلَحُوا، ووضَعُوا أَوزَارَ الحَرْبِ حِيناً منَ الدَّهرِ، إلَى أَنْ تَقَلَّبَتِ الأَحْوَالُ وتَبَدَّلَتِ الأُمُورُ، واللهُ مُقَلِّبُ اللَّيلِ والنَّهارِ.

خَبَرُ أَولادِ بَنِي نُمَيٍّ أُمَرَاءِ مَكَّةَ مِن بَنِي حَسَن

قَد تَقَدَّمَ لَنَا اسْتِيلاءُ قَتَادَةَ عَلَى مَكَّةَ والحِجَازِ مِنْ يَدِ الهَوَاشِمِ[1]، وَاسْتِقْرَارُهَا لبَنِيه إلَى أنِ اسْتَوْلَى مِنْهم أَبُو نُمَيّ، وهو مُحَمَّدُ بنُ أَبي سَعْدٍ [حسَنِ بنِ][2] عَلِيِّ بنِ قَتَادَة، ثُمّ تُوفِّي سَنَةَ [إحدى][3] وسَبعِ مِائة، وَوَلِيَ مَكَانَه ابناهُ رُمَيثَةُ وحُمَيضَةُ، وَاعتَقَلا أَخَوَيهِما عُطَيفَةَ وأبَا الغَيث، ولَمَّا حَجَّ الأَمِيرَان، كَافِلا المَملَكَة: بَيبَرْس وسَلار، هَرَبَا إلَيهِما مِنْ مَكَانِ اعتِقَالِهِما، وشَكَوَا[4] مَا نَالَهما مِن رُمَيثَةَ وحُمَيضَة، فَأَشْكَاهُما الأَمِيرَانِ وَاعتَقَلا رُمَيثَةَ وحُمَيضَةَ وأَوْصَلاهُما إلى مِصْرَ، ووَلَّيَا عُطَيفَة وأَبَا الغَيثِ[5]، وبَعَثَا بِهِما إلى السُّلطَان صُحبَةَ الأَمِيرِ أَيدَمُرَ الكُوَيْكِي الَّذِي جَاءَ بالعَسَاكِرِ مَعَهما. ثُمَّ رَضِيَ السُّلطَانُ عَنهما ووَلَّاهُما مَكَانَ رُمَيثَةَ وحُمَيضَة، وبَعَثَ مَعَهُمَا العَسَاكِرَ ثَانِياً سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَة، وفَرَّ رُمَيثَةُ وحُمَيضَةُ عَنِ البِلادِ[6]، وَرَجَعَ العَسكَرُ، وأَقَامَ

(1) العقد الثمين 7: 39، ويراجع ما سبق بالجزء السابع: الخبر عن بني قتادة أمراء مكة.

(2) إضافة للتوضيح من العقد الثمين 1: 456، وينظر نهاية الأرب 32: 17.

(3) في الأصول: اثنتين، وقد توفي أبو نمي في رابع صفر 701 هـ. ينظر نهاية الأرب 32: 17، العقد الثمين 1: 471.

(4) في الأصل: وشكيا، بالياء.

(5) نهاية الأرب 32: 17، وينظر العقد الثمين 4: 233، 404.

(6) العقد الثمين 4: 407.

/ أبو الغَيْثِ وعُطَيْفَة، فرَجَع إليهما رُمَيْثَةُ وحُمَيْضَة، وتلاقَوْا، فانهزَمَ أبو الغَيْثِ [91ر] وعُطَيْفَة[1]، وصَارَا إلى المدِينَة في جِوَارِ مَنْصورِ بن جَمَّاز، فأمَدَّهما بِبَنِي عُقْبَة وبَني مَهْدِي، ورَجَعَا إلى حَرْبِ رُمَيْثَةَ وحُمَيْضَة، فاقْتَتَلُوا ثَانِياً ببَطْنِ مَرْوٍ، وانهزَمَ أبُو الغَيْثِ وقُتِلَ[2]، واسْتَبَدَّ رُمَيْثَةُ وحُمَيْضَةُ، ولَحِقَ بِهِمَا أخُوهُمَا عُطَيْفَةُ وصَارَ مَعَهُمَا، ثُمّ تَشَاجَرُوا سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ، ولَحِقَ رُمَيْثَةُ بالسُّلْطَانِ[3] مُسْتَعْدِيًا عَلَى أخَوَيْه، فَبَعَثَ مَعَه العَسَاكِرَ، فَفَرَّ حُمَيْضَةُ، بَعْدَ أنِ اسْتَصْفَى أهْلَ مَكَّة، وهَرَبَ إلى السَّبْعَةِ مُدُن، ولَحِقَتْه العَسَاكِرُ، فاسْتَبَاحُوا أهْلَ تِلْكَ المُدُن[4]، ونَجَا حُمَيْضَةُ بنَفْسِه، ثُمّ رَجَعَتِ العَسَاكِرُ فرَجَعَ، وبَعَثَ رُمَيْثَةُ يَسْتَنْجِدُ السُّلْطَانَ، فَبَعَثَ إلَيه بالعَسَاكِر(أ)، وفَرَّ حُمَيْضَةُ، ثُمّ عَادَ وَاتَّفَقَ مَعَ أخَوَيْه رُمَيْثَةَ وعُطَيْفَة، ثُمّ لَحِقَ عُطَيْفَةُ بالسُّلْطَانِ سَنَةَ ثَمانِ عَشْرَةَ، وبَعَثَ مَعَه العَسَاكِرَ فتَقَبَّضُوا عَلَى رُمَيْثَة وأوْصَلُوه مُعْتَقَلاً، فسُجِنَ بالقَلْعَةِ[5].

وَاسْتَقَرَّ عُطَيْفَةُ بِمَكَّة، وبَقِيَ حُمَيْضَةُ مُشَرَّداً، ولَحِقَ بمَلِكِ الطَّطَرِ بالعِرَاقِ، خُدابَنْدَا، وَاسْتَنْجَدَه عَلَى مَلِكِ الحِجَازِ، فأنْجَدَه بالعَسَاكِرِ، وشَاعَ بَيْنَ النَّاسِ أنّه دَاخَلَ الرَّوَافِضَ الّذِين كَانُوا عِنْدَ خُدابَنْدَا في إخْرَاجِ الشَّيْخَيْنِ مِن قَبْرَيْهِما، وعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، وَاعْتَرَضَه مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، أخُو مُهَنَّا، حِسْبَةً وامْتِعَاضاً للدِّين،

(أ) في س: العسكر.

(1) ينظر السلوك 2: 138.

(2) في رابع ذي الحجة 714 هـ. العقد الثمين 4: 238، 8: 79 - 80.

(3) في ثالث جمادى الآخرة 715 هـ. نهاية الأرب 32: 225

(4) المختصر 4: 77.

(5) ينظر السلوك 2: 190.

وكَانَ عِنْدَ خُدابَنْدَا، فاتَّبَعَهُ واعتَرَضَهُ وهزَمَه، ويُقَالُ: إنَّه أخَذَ مِنْهم المَعَاوِلَ والفُؤُوسَ الَّتي أعَدُّوهَا لنَبْلِك، وكَانَتْ سَبَباً لرِضَاءِ السُّلْطَانِ عَنْه[1].

وجَاءَ حُمَيْضَةُ إلَى مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ، فبَعَثَ النَّاصِرُ العَسَاكِرَ إلَيْه فهَرَبَ وتَرَكَهَا[2]، ثُمَّ أُطْلِقَ رُمَيْثَةُ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ فهَرَبَ إلَى الحِجَازِ، ومَعَه وزيرُه عَلِيُّ بنُ صُبْحٍ، فرُدَّ مِنْ طَرِيقِه وَاعْتُقِلَ، وأفْرَجَ السُّلْطَانُ عَنْه بَعْدَ مَرْجِعِه مِنَ الحَجِّ سَنَةَ عِشْرِين، ثُمَّ إنَّ حُمَيْضَةَ اسْتَأْمَنَ السُّلْطَانَ سَنَةَ عِشْرِين، وكَانَ مَعَه جَمَاعَةٌ مِنَ المَمَالِيكِ هَرَبُوا إلَيه فخَافُوا أنْ يَحْضُرُوا مَعَه إلَى السُّلْطَان / فَاغْتَالُوه وقَتَلُوه[3]، وحَضَرُوا، وكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ أطْلَقَ رُمَيْثَةَ منَ الاعْتِقَالِ فَأمْكَنَه مِنْهم، فثَأَرَ مِنَ المُبَاشِرِ قَتْلَ أخِيه، وعَفَا عنِ البَاقِين، ثُمَّ صَرَفَ السُّلْطَانُ رُمَيْثَةَ إلَى مَكَّةَ، ووَلَّاه مَعَ أخِيه عُطَيْفَة، وَاسْتَمَرَّتْ حَالُهُمَا.

ووَفَدَ عُطَيْفَةُ سَنَةَ إحْدَى وعِشْرِينَ عَلَى الأبْوَابِ، ومَعَه قَتَادَةُ صَاحِبُ اليَنْبُع يَطْلُبُ الصَّرِيخَ عَلَى ابنِ عَمِّه عُقَيل، قَاتِلِ وَلَدِه، فَأجَابَه السُّلْطَانُ وجَهَّزَ العَسْكَرَ لِصَرِيخِه، وقُوبِلَ مِنْهم بالإكْرَام، وَانصرَفُوا(أ).

وفي سَنَةَ إحْدَى وثَلاثِينَ وَقَعَتِ الفِتْنَةُ بِمَكَّة، وقَتَلَ العَبِيدُ جَمَاعَةً مِن الأُمَرَاءِ والتُّرْكِ، فَبَعَثَ السُّلْطَانُ أيدُغْمِش ومَعَه العَسَاكِرُ، فَهَرَبَ الشُّرَفَاءُ والعَبِيد، وحَضَرَ

(أ) سقط من س.

---

(1) المختصر 4: 81، وينظر نهاية الأرب 32: 252 - 253، العقد الثمين 4: 239.

(2) نهاية الأرب 32: 286، العقد الثمين 4: 241.

(3) كان مقتله في يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى من هذه السنة 720 هـ. المختصر 4: 89.

رُمَيْثَةُ وبَذَلَ الطَّاعَةَ، وحَلَفَ مُتَبَرِّئاً مِمَّا وَقَعَ، فَقَبِلَ السُّلْطَانُ مِنه وعَفَا لَه عَنْها، وَاسْتَمَرَّتْ حَالُه عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ [سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَة][1] وتَدَاوَلَتِ الإِمَارَةَ بَيْنَ ابْنَيْه عَجْلَانَ وثُقْبَةَ، ثُمَّ اسْتَبَدَّ عَجْلَانُ، كَمَا نَذْكُرُ فِي أَخْبَارِهِم[أ]، وأَوْرَثَها بَنِيه لِهَذَا العَهْدِ، كَمَا نَذْكُرُه مُرَتَّبًا فِي أَخْبَارِهِم.

حَجُّ مَلِكِ التَّكْرُور

كَانَ مُلْكُ السُّودَانِ بِصَحْرَاءِ المَغْرِبِ، مِنَ[ب] الإِقْلِيمِ الأَوَّلِ والثَّانِي، مُنْقَسِماً بَيْنَ أُمَمٍ مِنَ السُّودَانِ:

أَوَّلُهم مِمَّا يَلِي البَحْرَ المُحِيطَ أُمَّةُ صَوْصَوْ[2]، وكَانُوا مُسْتَوْلِينَ عَلَى غَانَة، ودَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ أَيَّامَ الفَتْحِ.

وذَكَرَ صَاحِبُ كِتَاب[3] رُجَارٍ فِي الجُغْرَافِيَا أَنَّ بَنِي صَالِحٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الله ابنِ حَسَنِ بنِ الحَسَنِ كَانَتْ لَهم بِها[ج] دَعْوَةٌ ومُلْكٌ قَدِيم، ولَمْ يَقَعْ لَنَا فِي تَحْقِيقِ هَذَا الخَبَرِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا، وصَالِحٌ مِنْ بَنِي حَسَنٍ مَجْهُولٌ، وأَهْلُ غَانَةَ يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهم مُلْكٌ لأَحَدٍ غَيْرِ صَوْصَوْ[4].

(أ) في أخبارهم: سقط من س.　(ب) في س: في.　(ج) سقط من س.

---

(1) بياض في الأصول، والإكمال من العقد الثمين 4: 417.

(2) الضبط من الأصول (ظ، س).

(3) نزهة المشتاق 1: 23.

(4) حطم الصُّوصَوْ، وهم فرع من الفولانيين، إمبراطورية غانة الإسلامية سنة 1203 م، تراجع إمبراطورية غانة الإسلامية 53، دائرة المعارف الإسلامية.

ثُمَّ يَلِي أُمَّةُ صَوْصَوْ أُمَّةُ مَالِي، مِن شَرْقِيِّهِم، وكُرْسِيُّ مُلْكِهِم بِمَدِينَة [نِيْنِي][1]، ثُمَّ بَعْدَهُم وشَرْقاً عَنهُم أُمَّةُ كَوْكَوْ[2]، ثُمَّ التَّكْرُور، ثُمَّ بَعْدَهُم، وفِيمَا بَيْنَهُم وبَيْنَ النُّوبَة، / أُمَّةُ كَانِم.....[أ] وغَيْرُهَا. [350ب]

وتَحَوَّلَتِ الأَحْوَالُ باسْتِمْرَارِ العُصُورِ، فَاسْتَوْلَى أَهْلُ مَالِي[ب] عَلَى مَا وَرَاءَهُم وبَيْنَ أَيْدِيهِم مِنْ بِلادِ صَوْصَوْ وكَوْكَوْ، وآخِرُ مَا اسْتَوْلَوْا عَلَيْه بِلادُ التَّكْرُورِ، وَاسْتَفْحَلَ مُلْكُهُم إِلَى الغَايَةِ، وأَصْبَحَتْ مَدِينَتُهُم نِيْنِي حَاضِرَةَ بِلادِ السُّودَانِ بالمغْرِبِ، ودَخَلُوا في دِينِ الإِسْلامِ مُنْذُ مِئِينٍ منَ السِّنِينَ، وحَجَّ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِهِم، وأَوَّلُ مَنْ حَجَّ مِنْهُم جَدُّهُم سَرَنْبَدَانَه[ج]، وسَمِعْتُ في ضَبْطِه مِنْ بَعْضِ فُضَلائِهِم بَرْمِنْدَانَه[3]، وسَبِيلُه في الحَجِّ هِيَ التي اقْتَفَاهَا مُلُوكُهم مِنْ بَعْدِه، ثُمَّ حَجَّ مِنْهُم [مَارِي جَاطَة، ثُمَّ][4] مَنْسَا وَلِي بن مَارِي جَاطَة أَيَّامَ الظَّاهِرِ بَيْبَرْس[5]، وحَجَّ بعدَه مِنْهُم مَوْلاهُم شَاكُورَه[6]، وكَانَ تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِهِم، وهُوَ الَّذِي افْتَتَحَ بِلادَ كَوْكَوْ ثُمَّ حَجَّ أَيَّامَ النَّاصِرِ، وحَجَّ مِنْ بَعْدِهِ مِنْهُم مَنْسَى مُوسَى[7]، حَسْبَمَا ذَلِكَ مَذْكُورٌ في أَخْبَارِهِم في دُوَلِ البَرْبَرِ، عِنْدَ ذِكْرِ صِنْهَاجَةَ ودَوْلَةِ لَمْتُونَةَ مِنْ شُعُوبِهِم.

(أ) بياض في الأصول. (ب) سقط من س. (ج) هكذا ضبطت في الأصول.

---

(1) في الأصول: ينى، وينظر مسالك الأبصار 4: 60، 61، 68.

(2) جاءت الكاف في الأصول منقوطة من تحت للإشمام مع الجيم المعطشة.

(3) الذهب المسبوك 110، 112، صبح الأعشى 5: 293، وكذا ضُبط في الأصول.

(4) من صبح الأعشى 5: 293، وينظر الذهب المسبوك 110.

(5) الذهب المسبوك 110، وينظر صبح الأعشى 5: 293.

(6) ينظر الذهب المسبوك 111، صبح الأعشى 5: 294، وفي الأصول بالكاف المنقوطة المشئة.

(7) أعظم سلاطين مالي، قدم حاجًا سنة 724 هـ. مسالك الأبصار 4: 68، صبح الأعشى 5: 295، تاريخ السودان 7، دولة مالي الإسلامية 71 - 72، وينظر الدرر الكامنة 5: 154.

ولَمَّا جَاءَ مَنْسَى مُوسَى مِنْ بِلادِ المغرب للحَجِّ، سَلَكَ عَلَى طَرِيقِ الصَّحْرَاءِ، وخَرَجَ عِنْدَ الأَهْرَامِ بِمِصْرَ، وأَهْدَى إِلَى النَّاصِرِ هَدِيَّةً حَفْلَةً. يُقَالُ: قِيمَةُ[ا] خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَار، وأَنْزَلَه بِقَصْرٍ عِنْدَ القَرَافَةِ الكُبْرَى وأَقْطَعَه إِيَّاه، ولَقِيَه السُّلْطَانُ بِمَجْلِسِه، وَحَادَثَه[ب] وَوَصَلَهُ وَزَوَّدَه، وقَرَّبَ إِلَيه الخَيْلَ والهُجُنَ، وبَعَثَ مَعَه الأُمَرَاءَ يَقُومُونَ بِخِدْمَتِه إِلَى أَنْ قَضَى فَرْضَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وعِشْرِين، ورَجَعَ فأَصَابَتْه في طَرِيقِه بالحِجَازِ نَكْبَةٌ تَخَلَّصَهُ مِنْها أَجَلُه، وذَلِكَ أَنَّه ضَلَّ في الطَّرِيقِ[ج] عَنِ المَحْمَلِ والرِّكَابِ، وَانْفَرَدَ بِقَوْمِه عَنِ العُمْرَانِ، وهِي كُلُّهَا مَجَاهِلُ لَهم، فَلَم يَهْتَدُوا إِلَى العُمْرَانِ[د]، ولا وَقَفُوا عَلَى مَوْرِدٍ، وسَارُوا عَلَى السَّمْتِ إِلَى أَنْ نَفَذُوا عِنْدَ السُّوَيْس، وهم يَأْكُلُونَ لَحْمَ الحِيتَانِ إِذَا وَجَدُوهَا، والأَعْرَابُ تَتَخَطَّفُهم مِنْ أَطْرَافِهم إِلَى أَنْ خَلَصُوا، ثُمَّ جَدَّدَ السُّلْطَانُ لَه الكَرَامَةَ وَوَسَّع لَه في الحِبَاءِ[1].

وكَانَ أَعَدَّ لِنَفَقَتِه مِنْ بِلادِه، فِيما يُقَالُ: مِائَةَ جَمْلٍ مِنَ التِّبْرِ، في كُلِّ جَمْلٍ ثَلاثَةُ قَنَاطِير، فنَفِدَتْ كُلُّها، وأَعْجَزَتْه النَّفَقَةُ، / فَاقْتَرَضَ مِنْ أَعْيَانِ التُّجَّارِ، وكَانَ في صُحْبَتِه [351أ] مِنْهم بَنُو الكُوَيك، فَأَقْرَضُوه خَمْسِينَ [أَلْفَ][هـ] دِينَار، وَابْتَاعَ مِنْهُمُ القَصْرَ الَّذِي أَقْطَعَه [إِيَّاه][و] السُّلْطَان، وأَمْضَى لَه ذَلِك، وبَعَثَ سِرَاجُ الدِّين بن الكُوَيك مَعَه مَن يَرُدُّ لَه مِنه مَا أَقْرَضَه[ز] مِنَ المَالِ، فهَلَكَ هُنَالِك، وأَتْبَعَه سِرَاجُ الدِّين [ابنُ الكُوَيك][ح]

(ا) في س: قيها. (ب) سقط من س. (ج) في س: طرقه. (د) في س: عمران. (هـ) من س.
(و) من س. (ز) س: ما اقترضهُ. (ح) من س.

---

(1) الذهب المسبوك 113، وينظر مسالك الأبصار 4: 72.

فمَاتَ هُنَالِكَ[أ]، وجَاء ابنُه فَخرُ الدِّين أبُو جَعفَرٍ بالبَغضِ، وهَلَكَ مَلشَى مُوسَى قَبلَ وَفَاتِها، فَلَم يَظفَرُوا مِنها بِشَيءٍ[1].

إنجَادُ المُجَاهِد مَلِك اليَمَن

قَد تَقَدَّمَ لَنَا اسْتِبْدَادُ عَلِيّ بن رَسُولٍ بِمُلْكِ اليَمَن، بَعْدَ مَهْلِكِ سَيِّدِه يُوسُف أطْسِز بنِ الكَامِل[ب] بنِ العَادِل بن أيُّوب، ويُلَقَّبُ المسْعُودَ، وكَانَ عَلِيُّ بنُ رَسُول أسْتَاذَارَه ومُسْتَوْلِياً عَلَى دَوْلَتِه، فَلَمَّا هَلَكَ سَنَةَ سِتٍّ وعِشْرِينَ وسِتِّ مِائَةٍ نَصَبَ ابنُ رَسُولٍ ابنَه مُوسَى الأشْرَف لِمُلكِه، وكَفَلَه، ثُمّ هَلَكَ الأشْرَفُ قَرِيباً، وَاسْتَوْلَى ابنُ رَسُول[2]، وأوْرَثَ مُلْكَه باليَمَنِ لبَنِيه لِهَذَا العَهْدِ.

وصَارَ الأمْرُ للمُجَاهِد مِنْهم عَلِيّ بن دَاوُدَ المؤيِّدِ بن يُوسُفَ المُظَفَّرِ بنِ عُمَرَ المَنْصُورِ بنِ عَلِيّ بن رَسُولٍ سَنَةَ إحْدَى وعِشْرِينَ [وَسَبْع مِائَة][3]، وانْتَقَضَ عَلَيْه جَلالُ الدِّين ابنُ عَمِّه الأشْرَف، فظَهَرَ عَلَيْه المُجَاهِدُ وَاعْتَقَلَه، ثُمّ انْتَقَضَ عَلَيْه عَمُّه[ج] المَنْصُورُ سَنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ وحَبَسَه، وأُطْلِقَ مِنْ مَحْبِسِه وَاعْتَقَلَ عَمَّه المَنْصُور، وكَانَ ابنُه عَبْدُ الله الظَّاهِرُ بنُ المَنْصُور قَائِمًا بِأَمْرِ أبِيه، ومُنَازَعَةِ المُجَاهِد، فَاسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ اليَمَن، وتَحَصَّنَ المجَاهِد بقَلْعَةِ تَعِزّ، كَمَا نَذْكُرُ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهم[4].

(أ) في س: هناك. (ب) في س: كامل. (ج) سقط من س.

(1) الدرر الكامنة 5: 155، صبح الأعشى 5: 296.

(2) خلع ابنُ رسول طاعةَ بني أيوب، واستقل بأمر اليمن 630 هـ، وتلقب بالملك المنصور، وكاتب خليفة بغداد فجعل له نيابة اليمن. غاية الأماني 1: 420، العقود اللؤلؤية 1: 48، 51.

(3) إضافة للتوضيح، ما يلي ص 602 - 603.

(4) ينظر ما يلي ص 603 - 604.

ثُمّ بَعَثَ المُجَاهِدُ سَنَةَ أَرْبَعٍ(1) وعِشْرِينَ بالصَّرِيخِ إلَى النَّاصِرِ سُلْطَانِ التُّرْكِ بِمِصْرَ، وكَانَ هُوَ وقَوْمُهُ يُعْطُونَ(أ) الطَّاعَةَ ويَبْعَثُونَ إلَيهِمُ الإتَاوَةَ منَ الأَمْوَالِ والهَدَايَا وطُرَفِ اليَمَنِ ومَاعُونِه، فَجَهَّزَ لَه النَّاصِرُ العَسَاكِرَ، صُحْبَةَ بَيْبَرْسَ الحَاجِبِ وطِينَال، مِنْ أَعْظَمِ أُمَرَائِه، فسَارُوا إلَى اليَمَنِ(2)، ولَقِيَهُم المُجَاهِدُ بعَدَن، فأَصْلَحُوا بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ عَلَى أنْ تَكُونَ الدَّمْلُوَةُ(3) للظَّاهِرِ، ويَسْتَقِرَّ المُجَاهِدُ في سُلْطَانِه باليَمَنِ، ومَالُوا عَلَى كُلِّ مَن كَانَ سَبَبًا / في الفِتْنَةِ فقَتَلُوهم، ودَوَّخُوا اليَمَنَ، وحَمَلُوا أَهْلَه عَلَى طَاعَةِ [351ب] المُجَاهِدِ، ورَجَعُوا إلَى مَحَلِّهِم منَ الأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ(4).

وِلَايَةُ أَحْمَدَ ابنِ المَلِكِ(ب) النَّاصِرِ عَلَى الكَرَكِ

ولَمَّا اسْتَفْحَلَ مُلْكُ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ، وَامْتَدَّ عُمُرُه، وكَثُرَ وَلَدُه، طَمَحَتْ نَفْسُه إلَى تَرْشِيحِ وَلَدِه، لتَقَرَّ عَيْنُه بِمُلْكِهِم، فبَعَثَ كَبِيرَهم أَحْمَدَ(5) إلَى قَلْعَةِ الكَرَكِ سَنَةَ سِتٍّ وعِشْرِينَ، ورَتَّبَ لَه الأُمَرَاءَ المُقِيمِينَ لِوَظَائِفِ السُّلْطَانِ(6)، فَسَارَ إلَى

(أ) في س: يعطونهم. (ب) سقط من س.

---

(1) في نهاية الأرب 33: 79، 172: خمس، وقد أرسل الملك المجاهد إلى الناصر محمد يطلب النجدة مرتين، الأولى: في المحرم 724 هـ، فلم يُجب إلى ذلك، والثانية: في صفر 725 هـ، فرسم السلطان بتجهيز العساكر إليه. ينظر السلوك 2: 254، 260.

(2) خامس شهر ربيع الآخر 725 هـ. نهاية الأرب 33: 176، وفي المختصر 4: 94: ربيع الأول.

(3) حصن منيع، يعتبر فرعاً من جبل الصلو. معجم البلدان 2: 471، ومعجم المدن والقبائل اليمنية 160.

(4) مستهل ذي القعدة 725 هـ. نهاية الأرب 33: 181.

(5) وسنه يومئذ نحو ثمان سنين. نهاية الأرب 33: 202.

(6) نهاية الأرب 33: 202.

الكَرَكِ وَأقَامَ بها أَرْبَعَ سِنِينَ مُمَتَّعاً بالمُلْكِ والدَّوْلَة، وأبُوه قَرِيرُ العَيْنِ بإمَارَتِه في حَيَاتِه، ثُمّ اسْتَقْدَمَه سَنَةَ ثَلاثِين، وأقَامَ فِيه سُنَّةَ الخِتَانِ وَاحْتَفَلَ في الصَّنِيعِ لَه، وخَتَّنَ مَعَه مِن أَبْنَاءِ الأُمَرَاءِ والخَوَاصِّ جَمَاعَةً انْتَقَاهم ووَقَعَ اخْتِيَارُه عَلَيهم، ثُمّ صَرَفَه إلَى مَكَانِ إمَارَتِه بالكَرَكِ، فَأَقَامَ بِها إلَى أنْ تُوفِّي المَلِكُ النّاصِرُ، وكَانَ مَا نَذْكُرُه.

وِفَادَةُ دِمِرْدَاشَ بنِ جُوبَان شِحْنَةِ بِلادِ الرُّومِ، ومَقْتَلُه

كَانَ جُوبَانُ، نَائِبُ مَمْلَكَةِ الطَّطَرِ، مُسْتَوْلِياً عَلَى سُلْطَانِه أبي سَعِيدِ[1] بن خُدابَنْدَا [لِصِغَرِه][أ]، وكَانَتْ حَالُه مَعَ أبِيه خُدابَنْدَا قَرِيبًا مِنَ الاسْتِيلاءِ، فَوَلَّى عَلَى مَمْلَكَةِ بِلادِ الرُّومِ ابْنَه دِمِرْدَاش، ثُمّ وَقَعَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَهم وبَيْنَ أُزْبَك مَلِكِ الشَّمَالِ مِنْ بَني دُوشِي خَان عَلَى خُرَاسَان. وسَارَ جُوبَانُ مِن بَغْدَادَ سَنَةَ [ثَمانٍ][2] وعِشْرِينَ لِمُدَافَعَتِه، كَما يَأْتِي في أَخْبَارِهم، وتَرَكَ عِنْدَ السُّلْطَان أبِي سَعِيد بِبَغْدَادَ ابْنَه خَوَاجَا دِمَشْق، فسَعَى بِه أَعْدَاؤُه، وأَنْهَوْا عَنْه قَبَائِحَ مِن الفِعَالِ[ب] لَم يَحْتَمِلْهَا لَه، فَسَطَا بِه وقَتَلَه. وبَلَغَ الخَبَرُ إلَى أَبِيه جُوبَان فَانْتَقَضَ، وعَاجَلَه أبُو سَعِيدِ بالمَسِيرِ إلَى خُرَاسَان، فَتَفَرَّقَ عَنْه أَصْحَابُه[3]، وفَرَّ فَأُدْرِكَ بِهَرَاةَ وقُتِلَ[4]، وأَذِنَ السُّلْطَانُ أبُو سَعِيدِ لأَهْلِه

(أ) من س، وفي ظ: الصغره.   (ب) في س: من الأفعال.

---

(1) أكثر الناس يقولون: أبو سعيد، على أنه كنيته، والصحيح على أنه علم بلا ألف، هكذا رأيت كتبه التي كانت ترد منه على الملك الناصر. الوافي بالوفيات 10: 322، وينظر المنهل الصافي 12: 327.

(2) في الأصول: تسع، وصوبناه بما يتفق مع سياق الأحداث، ينظر ما يلي.

(3) في ذي الحجة 728 هـ. المختصر 4: 96.

(4) سنة 728 هـ. تذكرة النبيه 2: 181، المنهل الصافي 5: 34، درة الأسلاك، وحُدّد في سنة 729 هـ. المختصر 4: 96، وينظر ما يلي ص 394، 710.

أنْ يَنقُلُوه إلَى التُّرْبَةِ الَّتِي اختَطَّهَا بالمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ لِدَفنِهِ، فَاحْتَمَلُوه، ولَمْ يَتَوَقَّفُوا عَلَى إذْنِ صَاحِبِ مِصْرَ، فَمَنَعَهم صَاحِبُ المَدِينَة، ودَفَنُوه بالبَقِيعِ.

ولَمَّا بَلَغَ الخَبَرُ بِمَقْتَلِهِ إلَى ابنِهِ دِمِرْدَاش •في إمَارَتِه بِبِلادِ الرُّومِ خَشِيَ عَلَى نَفْسِه فَـ•[أ] هَرَبَ إلَى مِصْرَ، وتَرَكَ مَوْلَاه أرْتِنَا مُقِيماً لأمْرِ/ البِلادِ، وأنْـزَلَه [352] بِسِيوَاس. ولَمَّا وَصَلَ إلَى دِمَشْقَ[1]، رَكِبَ النَّائِبُ لِتَلَقِّيه، وسَارَ مَعَه إلَى مِصْرَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْه السُّلْطَانُ وأحَلَّه مَحَلَّ الكَرَامَة، وكَانَ مَعَهُ عَشَرَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ، ومِنَ العَسْكَرِ نَحْوُ ألْفِ فَارِس، فَأَكْرَمَهُمُ السُّلْطَانُ وأجْرَى عَلَيْهِمُ الأرْزَاق، وأَقَامُوا عِنْدَه[2].

وجَاءَتْ عَلَى أَثَرِه رُسُلُ السُّلْطَانِ أبِي سَعِيدٍ في طَلَبِه لِذِمَّةِ الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ عَقَدَه مَعَ المَلِكِ النَّاصِرِ، وأوْضَحُوا لِعِلْمِ السُّلْطَان[ب] مِنْ فَسَادِ طَوِيَّتِه وطَوِيَّةِ أبِيه جُوبَان، وسَعْيِهم في الأرْضِ بالفَسَادِ مَا أوْجَبَ إعْطَاءَه باليَدِ، وشَرَطَ السُّلْطَانُ عَلَيْهم إمْضَاءَ حُكْمِ الله في قَرَاسُنْقُر، نَائِبِ حَلَبَ الَّذِي كَانَ فَرَّ سَنَةَ اثْنَتَي عَشْرَةَ مَعَ آقُوش الأفْرَم إلَى خُدابَنْدَا وأغْرَوه بِمُلْكِ الشَّامِ ولَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ، وأَقَامُوا عِنْدَ خُدابَنْدَا، ووَلَّى آقُوش الأفْرَم عَلَى هَمَذَانَ فَمَاتَ بِهَا سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ، فَوَلَّى قَرَاسُنْقُر صَاحِبَه[ج] مَكَانَه بِهَمَذَان، فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْهِمُ السُّلْطَانُ[د] قَتْلَه، كَمَا قَتَلَ دِمِرْدَاش[3]،

(أ) سقط ما بين النجمين من س.　(ب) في س: وأوضحوا للسلطان.　(ج) س: صاحبه قراسنقر.

(د) في س: السلطان عليهم.

---

(1) في خامس عشرين صفر 728 هـ. البداية والنهاية 18: 289.

(2) المصدر السابق 18: 290.

(3) اعتقل في أواخر شعبان، وأعدم في رابع شوال 728 هـ. المختصر 4: 99، وينظر البداية والنهاية 18: 294.

أمضَوْا فِيه حُكْمَ الله وقَتَلُوه[1] جزَاءً بِمَا كَانَ عَلَيْه مِنَ الفَسَادِ في أرْضِ الله[أ]، والله مُتَوَلّي جزَاءَهم.

ثُمّ وَصَلَ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ ابنُ السُّلْطَانِ[2] أبي سَعيد، ومَعَه جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِه في تَأكِيدِ الصُّلْحِ والإصْهَارِ مِنَ السُّلْطَان، فَقُوبِلُوا بالكَرَامَةِ التي تَلِيقُ بِهِم، وَاتّصَلَتِ المُرَاسَلَةُ والمُهَادَاةُ بَيْنَ هَذَيْنِ السُّلْطَانين إلى أنْ تُوفّيَا.

والله وَارِثُ الأرْضِ ومَن عَلَيْهَا.

وَفَاةُ مُهَنَّا بنِ عيسَى أميرِ العَرَبِ بالشَّامِ وأخبَارُ قومه

هَذَا الحَيُّ منَ العَرَبِ يُعْرَفُونَ بآلِ فَضْل، وهم رَحّالَةٌ مَا بَيْنَ الشَّامِ والجَزِيرَة[ب]، وبَرِيّةِ نَجْدٍ مِن أرْضِ الحِجَاز، يَتَقَلَّبُونَ بَيْنَها في الرِّحْلَتَيْن، [ويَنْتَسِبُونَ][ج] في طَيِّء، ومَعَهم أحْيَاءٌ مِن: زُبَيد، وَكَلْبٍ، وهُذَيل، ومَذْحِج، أحْلَافٌ لَهم، ويُنَاهِضُهم في الغَلَبِ والعَدَدِ آلُ مِرًّا، ويَزْعُمُون أنّ[د] فَضْلاً ومِرًّا أبْنَاءُ رَبيعَة، ويَزْعُمُونَ أيضاً أنَّ فَضْلاً يَنْقَسِمُ وَلَدُه بَيْنَ آلِ مُهَنّا وآلِ عَلِيّ، وأنَّ آلَ فَضْلٍ كُلُّهم[هـ] كَانُوا بِأرْضِ حُورَان، فغَلَبَهم عَلَيها آلُ مِرًّا وأخْرَجُوهم مِنْها، فَنَزَلُوا حِمْصَ ونَوَاحِيَها، / [352 ب] وأقَامَتْ

(أ) في س: في الأرض. (ب) في س: الجزيرة والشام. (ج) في ظ: وينسبون، وصوبناه من س. (د) سقط من س.
(هـ) سقط من س.

(1) وصل الخبر بوفاة قراسنقر... في ذي القعدة 728 هـ. البداية والنهاية 18: 303.
(2) في نهاية الأرب 33: 282: رسل الملك.

زُبيدُ في(أ) أحلافِهم بحَوران، فهُم بها حتّى الآنَ لا يُفارِقونَها، قالُوا: ثُمّ اتّصلَ آلُ فَضْلٍ بالدّوْلَةِ السُّلْطانية، ووَلّوْهم عَلَى أحْياءِ العَرَبِ، وأقْطَعُوهم عَلَى إصْلاحِ السّابِلَةِ ما بَيْنَ الشّامِ والعِراقِ، فاسْتَظْهَرُوا بِرِياسَتِهم عَلَى آلِ مِرّا وغَلَبُوهم عَلَى المَشاتِي، فصارَ عامّةُ رِحْلَتِهم في حُدودِ الشّامِ قَرِيباً مِنَ التُّلُولِ والقُرَى، ولا يَنْجَعُونَ إلَى البَرِّيّةِ إلّا في الأقَلّ، وكانَتْ مَعَهم أحْياءٌ مِنْ أفارِيقِ الأعْرابِ مُنْدَرِجِينَ في لَفِيفِهم وحِلْفِهم مِنْ مَذْحِجٍ وعامِرٍ وزُبيد، كَما كانَ لآلِ فَضْلٍ، إلّا أنّ أكْثَرَ(ب) مَن كانَ مَعَ آلِ مِرّا مِنْ أولَئِكَ الأحْياءِ، وأوْفَرَهم عَدَدًا بَنُو حارِثَةَ مِن سُنْبُس، إحْدَى شُعُوبِ طَيِّء، هَكَذا ذَكَرَ لِي الثِّقَةُ عِنْدِي مِن رِجالاتِهم(ج).

وحارِثَةُ هَؤلاءِ مُتَقَلِّبُونَ لِهَذا العَهْدِ في تُلُولِ الشّامِ لا يُجاوِزُونَها إلَى القِفارِ.

[ورِياسَةُ](د) آلِ فَضْلٍ لِهَذا العَهْدِ في بَنِي مُهَنّا(هـ)، ويَنْسُبُونَه هَكَذا: مُهَنّا بنُ مانِع بن حَدِيثَةَ بن غُضَيّةَ بن فَضْلِ بن بَدْرِ بن رَبِيعَةَ بنِ عَلِيّ بن مُفَرّج بن بَدْرِ بن سالِم بن قَصّةَ بن بَدْرِ بن سُمَيْع، ويَقِفُونَ عِنْدَ سُمَيْع، ويَقُولُ رِعاؤُهم: إنّ سُمَيْعاً هَذا هُو الّذِي وَلَدَتْه العَبّاسَةُ أُخْتُ الرّشِيدِ، مِنْ جَعْفَرِ بنِ يَحْيَى البَرْمَكِي، وحاشَ للهِ مِنْ هَذِه المَقالَةِ في الرّشِيدِ وأُخْتِه، وفي انْتِسابِ كُبَراءِ العَرَبِ مِنْ طَيِّء إلَى مَوالِي العَجَمِ مِنْ بَنِي بَرْمَكَ وأمْثالِهم. ثُمّ إنّ [الوِجْدانَ](1) يُحِيلُ رِياسَةَ مِثْلِ هَؤلاءِ عَلَى هَذا الحَيّ إذا لَم يَكُونُوا مِنْ نَسَبِهم، وقَدْ تَقَدّمَ مِثْلُ ذَلِكَ في مُقَدّمَةِ(و) الكِتابِ.

(أ) في س: من. (ب) من س، وفي ظ: أكثر كان. (ج) في س: من رجالاتهم عندي. (د) من س، وفي ظ: ورياسة.
(هـ) في س: في بني مهنا لهذا العهد. (و) في س: المقدمة.

(1) في الأصول: الوجود، والتعديل من المقدمة، ينظر الكتاب الأول، المقدمة 1: 234 - 235.

وكانَ مَبْدَأُ رِيَاسَتِهِم مِنْ أوَّلِ دَوْلَةِ بَني أيُوب، قَالَ العِمَادُ الأَصْفَهَانِيُّ في كِتَابِ البَرْقِ الشَّامِي: نَزَلَ العَادِلُ بِمَرْجِ دِمَشْق، ومَعَه عِيسَى بنُ مُحَمَّدِ بن رَبِيعَةَ شَيْخُ الأَعْرَابِ في جُمُوعٍ كَثِيرَة. انتَهَى.

وكَانَتِ الرِّيَاسَةُ قَبلَهم لِعَهْدِ الفَاطِمِيِّينَ لِبَني جَرَّاح[أ] مِنْ طَيِّء، وكَان كَبِيرَهم مُفَرِّجُ بنُ دَغْفَل بن جَرَّاح، وكَانَ مِن إقْطَاعِه الرَّمْلَة، وهُوَ الَّذِي قَبَض عَلَى أفتكِين[1]، مَوْلَى بَنِي بُوَيْه، لَمَّا انهَزَمَ [مِن][2] مَوْلاهُ بَخْتِيَار بالعِرَاقِ، وجَاءَ إلَى [353أ] الشَّام سَنَةَ أرْبَعٍ / وسِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةٍ ومَلَكَ دِمَشْق، وزَحَفَ مَعَ القَرَامِطَة لِقِتَالِ [العزيز بالله][3] حِينَ مَلَكَ مِصْرَ، فَهَزَمَهمُ [العزيزُ][4]، وهَرَبَ افْتكِين[5]، فَلَقِيَه مُفَرِّجُ بنُ دَغْفَل وجَاءَ بِه إلَى [العزيز][ب]، فأكْرَمَه ورَقَّاه في دَوْلَتِه، ولم يَزَلْ شَأْنُ مُفَرِّج هَكَذَا، وتُوفِّي سَنَةَ أرْبَع وأرْبَعِ مِائَة، وكَان من ولده: حسَّانُ ومحمودٌ وعليٌّ وجَرَّار، ووَلِيَ حسَّانُ بعدَه وعَظُمَ صيتُه، وكَانَ بَيْنَه وبَيْنَ خُلَفَاءِ الفَاطِمِيِّينَ نَفْرَةٌ وَاسْتِقَامَةٌ، وهُو الَّذِي هَدَمَ الرَّمْلَة، وهَزَمَ قَائِدَهم يَارُوق التُّرْكِيَّ وقَتَلَه وسَبَى نِسَاءَه، وهُو الَّذِي مَدَحَه التِّهَامِيُّ[6].

(أ) في س: الجراح. (ب) في ظ: المعز، وصوبناه من س.

(1) في الكامل 8: 648: الفتكين. في كنز الدرر 6: 175، أخبار الدول المنقطعة 31: هفتكين.

(2) من الكامل 8: 656.

(3) في ظ: المعز لدين الله، في س: المعز، واعتمدنا ما في نهاية الأرب 28: 157.

(4) في الأصول: المعز، وصوبناه من نهاية الأرب 28: 157.

(5) في المحرم 368 هـ. نهاية الأرب 28: 157.

(6) الشاعر أبو الحسن التهامي، علي بن محمد، قتل سنة 416 هـ: ينظر وفيات الأعيان 3: 378.

ويذكُرُ المُسبِّحيُّ وغيرُه مِنْ مُؤرِّخِي دَوْلَةِ العُبَيْدِيِّينَ، في قَرابَةِ حَسَّانِ بنِ مُفرِّج هَذا، فَضْلَ بنَ رَبِيعَةَ بن حَازِمِ بن جَرَّاح، وأخاه بَدْرَ بنَ رَبِيعَة، وابْنَيْ بَدْر، ولَعَلَّ فَضْلًا هَذا هُو جَدُّ آلِ فَضْل.

وقَالَ ابنُ الأثِيرِ[1]: إنَّ فَضْلَ بن رَبِيعَة بن حَازِمٍ كَانَ آبَاؤه أَصْحَابَ البَلْقَاءِ والبَيْتِ المَقْدس، وكَان فَضْلٌ تَارَةً مَعَ الفِرِنْج وتَارَةً مَعَ خُلَفَاءِ مِصْرَ، ونَكِرَهُ لِذلِكَ طُغْتِكِينُ أتَابِكُ دِمَشْقَ وكَافِلُ بَنِي تُتُش، وطَرَدَه مِنَ الشَّام، فنَزَلَ عَلَى صَدَقَةَ بنِ مَزْيَدٍ بالحِلَّة، وحَالَفَه، ووَصَلَه صَدَقَةُ بِسَبْعَةِ آلافِ دِينَارٍ، فلَمَّا خَالَفَ صَدَقَةُ بنُ مَزْيَدٍ عَلَى السُّلْطَان مُحَمَّدِ بن مَلِكْشَاه سَنَةَ خَمْسِ مِائَةٍ ومَا بَعْدَهَا، وَوَقَعَتْ بَيْنَهما الفِتْنَةُ، اجْتَمَعَ فَضْلٌ هَذا وقِرْوَاشُ بنُ شَرَفِ الدَّوْلَة مُسْلِمِ بنِ قُرَيْش صَاحِبُ المَوْصِلِ، وبَعْضُ أُمَرَاءِ التُّرْكُمَان كَانُوا كُلُّهم أوْلِيَاءَ صَدَقَة، فَسَارُوا فِي الطَّلائِع بَيْنَ يَدَي الحَرْبِ(أ)، وهَرَبُوا إلَى السُّلْطَان فَأكْرَمَهم وخَلَعَ عَلَيْهم، وأنْزَلَ فَضْلَ بنَ رَبِيعَةَ في دَارِ(ب) صَدَقَةَ بن مَزْيَد بِبَغْدَاد، حَتَّى إذَا سَارَ السُّلْطَانُ لِقِتَالِ صَدَقَة اسْتَأْذَنَه فَضْلٌ في الخُرُوجِ إلَى البَرِّيَّة لِيَأْخُذَ بِحُجْزَة صَدَقَة، فَأذِنَ لَه، وعَبَرَ إلَى الأنْبَارِ، ولَمْ يُرَاجِعِ السُّلْطَانَ بَعْدَهَا. انْتَهَى كَلامُ ابنِ الأثِيرِ.

ويَظْهَرُ مِنْ كَلامِه وكَلامِ المسَبِّحِيّ أنَّ فَضْلاً هَذا وبَدْراً [هَذَا](ج) مِنْ آلِ جَرَّاحٍ بِلَا شَكّ، ويَظْهَرُ مِنْ سِيَاقَةِ هَؤلاءِ نَسَبَهم أنَّ فَضْلاً هَذا هُو/ جَدُّهم، لأنَّهم [353 ب]

(أ) في س: الحرث. (ب) في س: بدار. (ج) من س.

(1) الكامل 10: 443، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

يَنْسُبونه فَضْلَ بنَ رَبيعَةَ بن عَلِيِّ بن مُفَرِّج، وهُو عِنْدَ الآخَرِينَ[ا] فَضْلُ بنُ رَبيعَةَ بنِ الجَرَّاح، فَلَعَلَّ هَؤلاءِ نَسَبُوا رَبيعَةَ إلَى مُفَرِّج الَّذِي هُو كَبِيرُ بَنِي الجَرَّاح، لِطُولِ العَهْدِ وقِلَّةِ المحَافَظَةِ عَلَى مِثْلِ هَذا مِنَ البَادِيَةِ الغُفْل.

وَأمَّا نِسْبَةُ هَذا الحَيِّ مِنْ آلِ فَضْلِ بنِ رَبيعَةَ بن فُلانِ بن مُفَرِّج في طَيِّء، فبَعْضُهم يَقُولُ: إنَّ الرِّيَاسَة في طَيِّء كَانَتْ لإيَاسِ بنِ قَبِيصَةَ مِن بَنِي هُنَيِّ بن عَمْرِو ابنِ الغَوْثِ بن طَيِّء، وإيَاسٌ هُوَ الَّذِي مَلَّكَه كِسْرَى عَلَى الحِيرَة بَعْدَ آلِ المُنْذِر، عِنْدَمَا قَتَلَ النُّعْمَانَ، وهُوَ الَّذِي صَالَحَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ [عن][ب] الحِيرَة عَلَى الجِزْيَة، ولَمْ تَزَلِ الرِّيَاسَة عَلَى طَيِّء فِي بَنِي قَبِيصَة هَؤلاء صَدْرًا مِنْ دَوْلَة الإسْلَام.

فَلَعَلَّ بَنِي الجَرَّاحِ وآلَ فَضْل هَؤلاءِ مِن أعْقَابِهم، وإنْ كَانَ انْقَرَضَ أعْقَابُهم فَهم مِنْ أقْرَبِ الحَيِّ إلَيهم، لأنَّ الرِّيَاسَة عَلَى الأحْيَاءِ والشُّعُوبِ إنَّمَا تَتَّصِلُ في أهْلِ العَصَبِيَّةِ والنَّسَبِ، كَمَا مَرَّ أوَّلَ الكِتَاب[1].

وقَالَ ابنُ حَزم، عِنْدَمَا ذَكَرَ أنْسَابَ طَيِّء: وأنَّهم لَمَّا خَرَجُوا مِنَ اليَمَن مَعَ بَنِي أسَدٍ نَزَلُوا جَبَلَيْ أجَإٍ وسَلْمَى[ج] وأوْطَنُوهُما ومَا بَيْنَهما، ونَزَلَ بَنُو أسَدٍ ما بَيْنَهما وبَيْنَ العِرَاقِ، وفَضَلَ كَثِيرٌ مِنهم، وهم بَنُو خَارِجَةَ بنِ سَعْدِ بن فُطْرَةَ بن طَيِّء، ويُقَالُ [لَهم][د]: جَدِيلَةُ، نِسْبَةً إلَى أُمِّهم، وتَيْمُ الله وحُبَيْش والأسْعَدُ إخْوَتُهم، رَحَلُوا عَن الجَبَلَيْنِ فِي حَرْبِ الفَسَادِ، فَلَحِقُوا بحَلَبَ وحَاضِرِ طَيِّء، وأوْطَنُوا تِلْكَ البِلادَ، إلَّا

(ا) ظ: ابن فضل. (ب) من س، ظ: على. (ج) مكررة في س. (د) من س، ظ: هم.

(1) ينظر الكتاب الأول، المقدّمة 1: 233 – 234، 322.

بَنِي رُمَّانَ بنِ جُنْدُبِ بن خَارِجَةَ بن سَعْد، فإنَّهم أقَامُوا بالجَبَلَيْنِ، فكَان يُقَالُ لأهْلِ الجَبَلَيْنِ: الجَبَلِيُّون، ولأهْلِ حَلَبَ وحَاضِرِ طَيِّءٍ مِنْ بَنِي خَارِجَةَ: السُّهْلِيُّون. انتهَى[1].

فَلَعَلَّ هَذه الأحْيَاءَ الَّذين بالشَّامِ، مِنْ بَنِي الجَرَّاحِ وآلِ فَضْلٍ، مِنْ بَنِي خَارِجَةَ هَؤُلاءِ الذِين ذكَرَ ابنُ حَزمٍ أنَّهمُ انتَقَلُوا إلَى حَلَبَ وحَاضِرِ طَيِّءٍ، لأنَّ هَذا المَوْطِنَ أقْرَبُ إلَى مَوَاطِنِهِم لِهَذا العَهْدِ، وإلَى مَوَاطِنِ بَنِي الجَرَّاحِ بِفِلَسْطِينَ مِنْ جَبَلَيْ أجَإٍ وسَلْمَى الَّذِي هُوَ مَوْطِنُ الآخَرِين. فاللهُ / أعْلَمُ أيُّ ذَلِكَ يَصِحُّ مِن أنْسَابِهِم. [354]

ولِنَرْجِع الآنَ إلَى سَرْدِ الخَبَرِ عَنْ رِيَاسَةِ آلِ فَضْلٍ أهْلِ هَذا البَيْتِ [مُنْذُ][أ] دَوْلَةِ بَنِي أيوبَ، فنَقُولُ: كَانَ الأمِيرُ مِنْهم لِعَهْدِ بَنِي أيُّوبَ عِيسَى بنُ مُحَمَّدِ بن رَبِيعَةَ أيَّامَ العَادِلِ، كَما نَقَلْنَاه عَنِ العِمَادِ الأصْفَهَانِيِّ الكَاتِبِ[2]، ثُمَّ كَانَ بَعْدَه حُسَامُ الدِّين مَانِعُ بنُ حَدِيثَةَ بنِ غُضَيَّةَ بن فَضْل، وتُوفِّي سَنَةَ ثَلاثِينَ وسِتِّ مِائَة، وَوَلِيَ عَلَيهم بَعْدَه ابنُه مُهَنَّا[3].

ولَمَّا ارْتَجَعَ قُطُز، ثَالِثُ مُلُوكِ التُّرْكِ بِمِصْرَ، [الشَّامَ][ب] مِن أيْدِي الطَّطَر وهَزَمَ عَسَاكِرَهم بِعَيْنِ جَالُوت، أقْطَعَ سَلَمِيَّةَ لِمُهَنَّا بنِ مَانِع، وَانْتَزَعَها مِن عَمَلِ المَنْصُورِ بنِ المُظَفَّرِ بن شَاهِنْشَاه صَاحِبِ حَمَاةَ[4]، ولَمْ أقِفْ عَلَى تَارِيخِ وَفَاةِ

(أ) من س، ظ: من. (ب) في ظ: والشام.

---

(1) يراجع جمهرة أنساب العرب (ولد فطرة بن طيء) 399، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(2) ينظر ما سبق ص 421.

(3) صبح الأعشى 4: 206.

(4) ينظر ما سبق ص 264.

[مُهَنَّا](أ)(1). ثُمّ وَلَّى الظَّاهِرَ عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ بالشَّامِ، عِنْدَمَا اسْتَفْحَلَ مُلْكُ التُّرْكِ، وسَارَ إِلَى [دِمَشْق](ب) لِتَشْيِيعِ الخَلِيفَةِ الحَاكِمِ، عَمِّ المُسْتَعْصِمِ، إِلَى بَغْدَادَ، فَوَلَّى عَلَى العَرَبِ عِيسَى بنَ مُهَنَّا بن مَانِعٍ، ووَفَّرَ لَهُ الإِقْطَاعَاتِ عَلَى حِفْظِ السَّابِلَةِ، وحَبَسَ ابنَ عَمِّهِ زَامِلَ بنَ عَلِيّ بن رَبِيعَةَ مِنْ آلِ عَلِيّ بِسِعَايَتِهِ وإِغْرَائِهِ، ولَمْ يَزَلْ أَمِيرًا عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ، وصَلَحُوا فِي أَيَّامِهِ لأَنَّهُ خَالَفَ أَبَاهُ فِي الشِّدَّةِ عَلَيهِم، وهَرَبَ إِلَيهِ سُنْقُرُ الأَشْقَرُ سَنَةَ تِسْعٍ وسَبْعِينَ، وكَاتَبُوا أَبْغَا وَاسْتَحَثُّوهُ لِمُلْكِ الشَّامِ، وتُوفِّيَ عِيسَى بنُ مُهَنَّا سَنَةَ [ثَلاثٍ](2) وثَمَانِينَ، فَوَلَّى المَنْصُورُ قَلَاوُونُ(ج) بَعْدَه ابنَه مُهَنَّا.

ثُمّ سَارَ الأَشْرَفُ بنُ قَلَاوُونَ إِلَى الشَّامِ ونَزَلَ حِمْصَ، ووَفَدَ عَلَيه مُهَنَّا بنُ عِيسَى فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَبَضَ عَلَيهِ(3) وعَلَى ابنِهِ مُوسَى وأَخَوَيهِ: مُحَمَّد وفَضْل ابْنَيْ عِيسَى بنِ مُهَنَّا، وبَعَثَ بِهِم إِلَى مِصْرَ فَحُبِسُوا بِهَا حَتَّى أَفْرَجَ عَنْهُمُ العَادِلُ كُتْبُغَا عِنْدَمَا جَلَسَ عَلَى التَّخْتِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وتِسْعِينَ، ورَجَعَ إِلَى إِمَارَتِهِ. ثُمّ كَانَ لَهُ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ نَفْرَةٌ وَاسْتِقَامَةٌ ومَيْلٌ إِلَى مُلُوكِ الطَّطَرِ بالعِرَاقِ، ولَمْ يَحْضُرْ شَيئًا مِن وَقَائِعِ [354ب] غَازَان، ولَمَّا انْتَقَضَ قَرَاسُنْقُر وآقُوش الأَفْرَمُ وأَصْحَابُهُما سِنِيَّ عَشْرٍ وسَبْعِ مِائَة / لَحِقُوا بِهِ، وسَارُوا مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خُدابَنْدَا، وَاسْتَوْحَشَ هُوَ مِنَ السُّلْطَانِ، وأَقَامَ فِي أَحْيَائِهِ مُنْقَبِضًا عَنِ الوِفَادَةِ، وَوَفَدَ أَخُوهُ فَضْلٌ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فَرَعَى لَهُ حَقَّ وِفَادَتِهِ، وَوَلَّاهُ

(أ) في ط: بن محنا. (ب) من س، وفي ط: إلى بمصر. (ج) سقط من س.

(1) توفي سنة 660 هـ. الأعلام 7: 317.

(2) في الأصول: أربع، وصوبناه من ذيل مرآة الزمان 4: 231، وينظر تاريخ ابن الفرات 8: 12، المنهل الصافي 8: 354، السلوك 1: 726.

(3) عن سبب القبض عليه، ينظر المنهل الصافي 11: 293.

عَلَى العَرَبِ مَكَانَ أخِيه مُهَنَّا[1]، وبَقِيَ مُهَنَّا مُشَرَّداً، ثُمَّ لَحِقَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ بِخُدابَنْدَا مَلِكِ الطَّطَرِ فأكْرَمَه وأقْطَعَه بالعِرَاقِ، وهَلَكَ خُدابَنْدَا في تِلْكَ السَّنَةِ، فَرَجَعَ مُهَنَّا إلَى أحْيَائِه، وأوْفَدَ ابْنَيْه: أحْمَدَ ومُوسَى وأخَاه مُحَمَّدَ بنَ عِيسَى مُسْتَعْتِبِينَ[أ] للنَّاصِرِ ومُتَطَارِحِينَ عَلَيه، فكَرَّمَ وِفَادَتَهم، وأنْزَلَهم بالقَصْرِ الأبْلَقِ وشَمِلَهم بالإحْسَانِ، وأعْتَبَ مُهَنَّا ورَدَّه عَلَى إمَارَتِهِ وإقْطَاعِه[2]، وذَلِكَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ. وحَجَّ هَذه السَّنَةَ ابْنُه عِيسَى وأخُوه مُحَمَّدٌ وجَمَاعَةٌ مِنْ آلِ فَضْلٍ في اثْنَيْ عَشَرَ ألْفَ راحِلَة.

ثُمَّ رَجَعَ مُهَنَّا إلَى دِينِه في مُمَالأةِ الطَّطَرِ والإجْلَابِ عَلَى الشَّامِ، واتَّصَلَ ذَلِك مِنه، فنَقَمَ السُّلْطَانُ عَلَيه، وسَخِطَ قَوْمَه أجْمَع، وتَقَدَّمَ إلَى نُوَّابِ الشَّامِ سَنَةَ عِشْرِين، بَعْدَ مَرْجِعِه مِنَ الحَجِّ[3]، بِطَرْدِ آلِ فَضْلٍ عنِ البِلادِ، وأدَالَ مِنْهم بآلِ عَلِيٍّ عديلةِ نَسَبِهم، وَوَلَّى مِنهم عَلَى أحْيَاءِ العَرَبِ مُحَمَّدَ بنَ أبِي بَكْر، وصَرَفَ إقْطَاعَ مُهَنَّا وَوَلَدِه إلَى مُحَمَّدٍ وَوَلَدِه، فأقَامَ مُهَنَّا عَلَى ذَلِك مُدَّة.

ثُمَّ وَفَدَ سَنَةَ [أرْبَع][4] وثَلاثِينَ مَعَ الأفْضَلِ بنِ المُؤيَّد، صَاحِبِ حَمَاة، مُتَوَسِّلاً بِه ومُتَطَارِحاً عَلَى السُّلْطَان، فأقْبَلَ عَلَيه ورَدَّ عَلَيه إقْطَاعَه وإمَارَتَه[5].

(أ) في س: مستغيثين.

---

(1) السلوك 2: 118، المنهل الصافي 12: 29.

(2) المصدران المتقدمان.

(3) يقصد مرجع السلطان من حجته الثانية، وقد حج ثلاث حجات كما مرّ. انظر التبر المسبوك 155.

(4) في الأصول: إحدى، وصوبناه من المختصر 4: 113، والبداية والنهاية 18: 365، وفي تذكرة النبيه 2: 248: سنة ثلاث وثلاثين.

(5) رجع من مصر في المحرم 735 هـ. المختصر 4: 113.

وذكَرَ لِي بَعْضُ كِبَارِ الأُمَرَاءِ بِمِصْرَ، مِمَّنْ أدرَكَ وِفَادَتَه أو حُدِّثَ بها، •أنَّه تَجَافَى فِي هَذه الوِفَادَة•[١] عَن قَبُولِ شَيْءٍ مِن السُّلْطَان، حَتَّى أنَّه سَاقَ عِدَّةً مِنَ النِّيَاقِ للحَلُوبَة[ب] والغِذَاءِ بها، وأنَّه لَمْ يَغْشَ بَابَ أَحَدٍ مِن أرْبَابِ الدَّوْلَة، ولا سَأَلَ مِنهم شَيْئاً مِن حَاجَاتِه، ثُمَّ رَجَعَ إلى أحْيَائِه[1]، وتُوفِّي سَنَةَ [خَمْسٍ][2] وثلاثين.

[١٣٧ب] فوَلِيَ ابنُه مُظَفَّرُ الدِّين مُوسَى[3]، وتُوفِّي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وأرْبَعِين[4]، عَقِبَ مَهْلِكِ النَّاصِر، وَوَلِيَ مَكَانَه أخُوه سُلَيْمَان، / ثُمَّ هَلَكَ سُلَيْمَانُ سَنَةَ ثَلاثٍ وأرْبَعِين[5]، فوَلِيَ مَكَانَه شَرَفُ الدِّين عِيسَى، ابنُ عَمِّه فَضْلِ بنِ عِيسَى، ثُمَّ تُوفِّي سَنَةَ أرْبَعٍ وأرْبَعِين[6] بالقَرْيَتَيْنِ ودُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ خَالِدِ بن الوَلِيد.

وَوَلِيَ مَكَانَه أخُوه سَيْفُ بنُ فَضْل، ثُمَّ عَزَلَه السُّلْطَانُ بِمِصْرَ الكَامِلُ بنُ النَّاصِر سَنَةَ سِتٍّ وأرْبَعِين[7]، وَوَلَّى مَكَانَه أحْمَدَ بنَ مُهَنَّا ابن عِيسَى، ثُمَّ جَمَعَ سَيْفُ ابنُ فَضْل، ولَقِيَه فَيَّاضُ بنُ مُهَنَّا، وَانْهَزَمَ سَيْفٌ، ثُمَّ وَلَّى السُّلْطَانُ حَسَنٌ النَّاصِرُ في دَوْلَتِه الأُولَى، وهُو في كَفَالَة بَيْبُغَارُوس، أحْمَدَ بنَ مُهَنَّا، فَسَكَنَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَهم، ثُمَّ

(أ) سقط من س. (ب) في س: الحلوبة.

---

(1) في سادس المحرم 735 هـ. البداية والنهاية 18: 374.

(2) في الأصول: أربع، واعتمدنا المختصر 4: 116، البداية والنهاية 18: 381، تذكرة النبيه 2: 264، المنهل الصافي 11: 293.

(3) في درر العقود 3: 512: فولي بعده أخوه سليمان بن مُهنا.

(4) في العشر الأخير من جمادى الأولى. البداية والنهاية 18: 431.

(5) تذكرة النبيه 3: 47، وورد في المنهل الصافي 6: 55: أنه توفي سنة 744 هـ.

(6) تذكرة النبيه 3: 51.

(7) ينظر تذكرة النبيه 3: 82، 96، 98، 225.

تُوفّي[1] سَنَةَ تِسْعٍ وأَرْبَعِين، فوَلِيَ مَكَانَه أَخُوه فَيَّاضٌ، وهَلَكَ سَنَةَ [إحْدَى][2] وسِتِّين، فوَلِيَ مَكَانَه أَخُوه حَيَّار بن مُهَنَّا، وَلّاه حَسَنٌ النَّاصِرُ في دَوْلَتِه الثَّانِيَة، ثُمّ انْتَقَضَ سَنَةَ خَمْسٍ وسِتِّين، وأقَامَ سَنَتَيْنِ بالقَفْرِ عَاصِياً إلَى أَنْ شَفَعَ فِيه نائِبُ حَمَاة، فأُعِيدَ إلَى إمَارَتِه، ثُمّ انْتَقَضَ سَنَةَ سَبْعِين، فوَلَّى السُّلْطَانُ الأشْرَفُ مَكَانَه ابنَ عَمّه زَامِلَ بنَ مُوسَى بنِ عِيسَى، وجَاءَ إلَى نَوَاحِي حَلَبَ وَاجْتَمَعَ إلَيه بَنُو كِلَابٍ وغَيْرُهم وعَاثُوا في البِلادِ، وعَلَى حَلَبَ يَوْمَئِذٍ قَشْتَمُر المَنْصُورِيُّ، فبَرَزَ إلَيهم وَانْتَهَى إلَى مُخَيَّمِهم، وَاسْتَاقَ نِعَمَهم، وتَخَطَّى إلَى الخِيَامِ فَاسْتَمَاتُوا دُونَها، وهَزَمُوا عَسَاكِرَه، وقُتِلَ قَشْتَمُرُ وَابْنُه في المَعْرَكَة، تَوَلَّى نُعَيْرٌ ابْنُه قَتْلَه بِيَدِه، وذَهَبَ إلَى القَفْرِ مُنْتَقِضاً، فَوَلَّى الأشْرَفُ مَكَانَه ابنَ عَمّه مُعَيْقِلَ بنَ فَضْلِ بنَ عِيسَى.

ثُمّ بَعَثَ مُعَيْقِلٌ حَاجِبَهُ سَنَةَ إحْدَى وسَبْعِينَ يَسْتَأْمِنُ لحَيَّارٍ، فأَمَّنَه، [ثُمّ](أ) وَفَدَ حَيَّارُ بنُ مُهَنَّا سَنَةَ خَمْسٍ وسَبْعِينَ فرَضِيَ عَنه السُّلْطَانُ وأَعَادَه إلَى إمَارَتِه، ثُمّ تُوفّي سَنَةَ [سِتٍّ][3] وسَبْعِينَ فوَلِيَ أَخُوه قَارَا إلَى أَن هَلَكَ سَنَةَ إحْدَى وثَمَانِين[4]، فوَلِيَ مَكَانَه مُعَيْقِلُ بنُ فَضْلِ بن عِيسَى، وزَامِلُ بنُ مُوسَى *بنِ عِيسَى*(ب) ابنِ مُهَنَّا، شَرِيكَيْنِ في إمَارَتِها، ثُمّ عُزِلَا لسَنَتِها، ووَلِيَ نُعَيْرُ بنُ حَيَّارِ بن مُهَنَّا

(أ) من س.　　(ب) سقط ما بين النجمين من س.

(1) المقصود أحمد بن مهنا، ينظر تذكرة النبيه 3: 129، وينظر ما يلي ص 450.

(2) في الأصول: اثنين، واعتمدنا البداية والنهاية 18: 606، الدرر الكامنة 2: 169.

(3) في الأصول: سبع، واعتمدنا درة الأسلاك، السلوك 3: 245، إنباء الغمر 1: 84.

(4) ينظر المنهل الصافي 9: 7، السلوك 3: 375، إنباء الغمر 1: 205.

واسْمُهُ مُحَمَّد، وهُو لِهَذَا العَهْدِ[1] أمِيرٌ عَلَى آلِ فَضْلٍ وجَمِيعِ أحْيَاءِ طَيٍّء بالشَّام[2].

وَفَاةُ أَبِي سَعِيدٍ مَلِكِ العِرَاقِ، / وانقِرَاضُ أمرِ بَنِي هُولاوُو [355 ب]

ثُمَّ تُوفِّي أبو سَعِيدٍ مَلِكُ العِرَاقِ مِن الطَّطَرِ ابن خُدابَنْدَا بن [أرغون][3] بن أبْغَا بن هُولاوُو بن طُولِي خَان بن جِنكِز خَان سَنَةَ سِتٍّ[(أ)] وثَلاثِين وسَبْعِمائة[4]، لِعِشْرِينَ سَنَةً مِن مُلْكِه، ولَم يُعْقِبْ، فانقَرَض بمَوْتِه مُلْكُ بَنِي هُولاوُو، وصَارَ الأمْرُ بالعِرَاقِ لِسِوَاهم، وَافتَرَقَ مُلْكُ الطَّطَرِ في سَائِر مَمَالِكِهم، كَمَا نَذْكُرُ في أخْبَارِهم[5].

ولما اسْتَبَدَّ بِبَغْدَادَ الشَّيْخ حَسَنٌ[6]، مِنْ أسْبَاطِهِم، كَثُرَ عَلَيْه المُتَنازِعُونَ، فَبَعَثَ رُسُلَه إلَى النَّاصِر[7] قُبَيلَ وفَاتِه، يَسْتَنْجِدُه، عَلَى أنْ يُسَلِّمَ له بَغْدَادَ، ويُعْطِيَ الرَّهْنَ في العَسَاكِرِ حَتَّى يَقْضِيَ بِها غَرَضَهُ في أعْدَائِه، فأجَابَه النَّاصِرُ إلَى ذَلِك[8]،

(أ) في س: اثنتين.

---

(1) اختلفت المصادر في تاريخ وفاة نعير، فورد في الدليل الشافي 2: 761: أنه توفي حوالي 790 هـ، وأنه قتل سنة 808 هـ: في إنباء الغمر 2: 349، الضوء اللامع 10: 203، وأنه قتل سنة 809 هـ: في السلوك 4: 49، درر العقود 3: 509، نزهة النفوس 2: 233، وينظر المنهل الصافي 12: 27.

(2) ينظر هنا الاستطراد في المنهل الصافي 12: 27 - 28.

(3) في الأصول: أرغو، والتصويب مما سبق، وينظر مايلي.

(4) بقراباغ: منزلة التتار في الشتاء. تذكرة النبيه 2: 271، وينظر السلوك 2: 404.

(5) البداية والنهاية 18: 382، وينظر ما يلي ص 711.

(6) وذلك في سنة 740 هـ. تذكرة النبيه 2: 272.

(7) في ربيع الآخر 740 هـ. السلوك 2: 489، 517، وينظر تاريخ الملك الناصر 98.

(8) تاريخ الملك الناصر 98، وينظر ما يلي ص 714.

ثُمَّ تُوفِّيَ قَرِيباً، •فلَم يَتِمّ•[أ]، والأَمْرُ لله[ب].

وُصُولُ هَدِيَّةِ مَلِكِ المَغْرِبِ الأَقْصَى مَعَ رُسُلِه وكَرِيمَتِه صُحْبَةَ الحَاجِّ

كَانَ مُلْكُ بَني مَرِينَ بالمَغْرِبِ الأَقْصَى قدِ اسْتَفْحَلَ لِهَذِه العُصُور، وصَارَ للسُّلْطَانِ أَبي الحَسَن عَلِيّ[1] ابنِ السُّلْطَان أَبي سَعِيدٍ عُثْمَانَ ابنِ السُّلْطَان أَبي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بنِ عَبْدِ الحَقِّ جَدِّ مُلُوكِهِم، وأَسَفَ[2] إلَى مُلْكِ جِيرَانِه مِنَ الدُّوَلِ، فَزَحَفَ إلَى المغرِبِ الأَوْسَطِ، وهُو في مِلْكَةِ بَني عَبْدِ الوَادِّ أَعْدَاءِ قَوْمِه مِن زَنَاتَة، ومَلِكُهم أَبُو تَاشُفِينَ عَبْدُ الرَّحْمَن بن أَبِي حَمُّو مُوسَى بن أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانَ ابنِ السُّلْطَان يَغْمَرَاسِن ابنِ زَيَّانَ جَدِّ مُلُوكِهم أيضاً، وكُرْسِيُّه بِتِلِمْسَان. فَزَحَفَ إلَيْه السُّلْطَانُ أَبُو الحَسَن، للعَدَاوَةِ القَدِيمَة بَيْنَ قَومِه وقَوْمِهِ، ونَازَلَ تِلِمْسَانَ سَبْعَةً وعِشْرِينَ شَهْراً، ونَصَبَ علَيها المَجَانِيق، وأَدَارَ بِها الأَسْوَارَ سِيَاجاً، فَمَنَعَ وُصُولَ المِيرَة والأَقْوَاتِ إلَيها، وتَقَرَّى أَعْمَالَها بَلَداً بَلَداً فَمَلَكَ جَمِيعَها، ثُمَّ اقْتَحَمَها [عَنْوَةً][ج] آخِرَ رَمَضَانِ سَبْعٍ وثَلاثِين[3]، فَفَضَّ جُمُوعَها، وقَتَلَ سُلْطَانَها عِنْدَ بَابِ قَصْرِه، كَما ذَكَرْنَاه في أَخْبَارِهم.

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) في س: والبقاء لله. (ج) من س.

---

(1) بويع له في ذي القعدة 731 هـ. روضة النسرين 25.

(2) أَسَفَ = توجه تاج العروس.

(3) ينظر السلوك 2: 424.

ثُمَّ كَتَبَ للمَلِكِ النَّاصِرِ صَاحِبِ مِصْرَ يُخْبِرُهُ بفَتْحِها وزَوَالِ العَوائِقِ[أ] عَنْ [356أ] وِفادَةِ الحَاجِّ، وأنّه ناظِرٌ في ذَلك / بِمَا يُسَهِّلُ سَبيلَهم ويُزِيحُ عِلَلَهم. وكَانَتْ كَرِيمَةٌ مِن كَرائمِ أبِيه[1] السُّلْطان أبي سَعِيد، ومِن أهْلِ فِرَاشِه، قدِ اقْتَضَتْ مِنْه الوَعْدَ بالحَجِّ عِنْدَمَا يَمْلِكُ تِلِمْسَان، فلَمّا فتَحَها وأذْهَبَ عَدُوَّه عَنْها[ب] جَهَّزَ تِلْكَ المَرْأةَ للحَجِّ بِمَا يُناسِبُ قَرَابَتَها مِنْه، وجَهَّزَ مَعَهَا للمَلِكِ النَّاصِرِ، صَاحِبِ مِصْرَ، هَدِيَّةً فَخْمَةً تَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسِ مِائةٍ مِنَ الجِيَادِ المُقَرَّبَاتِ بِعُدَّتِها وعُدَّةِ فُرْسَانِها مِنَ السُّرُوجِ واللُّجُمِ والسُّيُوفِ والمَهَامِيزِ ذَهَبِيَّةً وفِضِّيَّةً، وبَعْضُها مُرَصَّعٌ باللّآلِئِ والفُصُوصِ، وعَلَى خَمْسِ مِائةِ جَمَلٍ مِنْ طُرَفِ المَغْرِبِ ومَاعُونِهِ مِنْ شَتَّى أصْنَافِه، مِنْ ثِيَابِ الحَرِيرِ والصُّوفِ والكَتَّانِ وصَنَائعِ الجِلْدِ حَتّى لَزَعَمُوا[ج] أنّه كَانَ فِيها مِنْ أوَانِي الخَزَفِ وأصْنَافِ الدُّرِّ واليَاقُوتِ ومَا بَيْنَهُمَا، في سَبِيلِ التَّوَدُّدِ وعَرْضِ أحْوَالِ المَغْرِبِ عَلَى سُلْطَانِ المَشْرِقِ، وتَعْظِيمِ قَدْرِ هَذِه الوَافِدَةِ عِنْدَ النّاصِر. وأوْفَدَ مَعَهَا عُظَمَاءَ مِن قَوْمِه ووزَرَائِه وأهْلِ مَجْلِسِه، فوَفَدُوا عَلَى النّاصِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وثَلاثِينَ[2]، وأحَلَّهم بأشْرَفِ مَحَلٍّ مِنَ التَّكْرِمَةِ، وبَعَثَ [مَعَهم][د] مِن اصْطَبْلاتِه ثَلاثِينَ قِطَاراً مِنَ البِغَالِ لِحَمْلِ الهَدِيَّةِ مِن بَحْرِ النِّيلِ، سِوَى مَا تَبِعَهَا مِنَ البَخَاتي والجِمَالِ، وجَلَسَ لَهم في يَوْمٍ مَشْهُودٍ، ودَخَلُوا عَلَيْه وعَرَضُوا الهَدِيَّةَ، فَعَمَّ بها أهْلَ دَوْلَتِه إحْسَاناً في ذَلك المَجْلِس، واسْتَأْثَرَ مِنها،

(أ) في س: العاتق. (ب) في س: منها. (ج) في س: لقد زعموا. (د) من س.

---

(1) المقصود أخت السلطان أبي الحسن من أبيه، وورد في بعض المصادر أنها: الحرة بنت السلطان أبي الحسن عليّ بن عثمان بن يعقوب المريني، السلوك 2: 447.

(2) في ثاني عشري رمضان. السلوك 2: 447.

زَعَمُوا، بالدُّرِّ والياقُوتِ فقط، ثُمّ فرَّقَهم في مَنازِلِ كَرامَتِه، وقد هُيِّئَتْ[أ] بالفَرْشِ والماعُونِ، ووفّرَ لَهم الجِرايَاتِ، وَاسْتَكْثَرَ لَهم مِن الأَزْوِدَةِ[1]، وبَعَثَ أُمَراءَه في خِدْمَتِهم [إِلَى الحِجَازِ][ب] حَتّى قَضَوْا فَرْضَهم تِلْكَ السَّنَةَ، وانْقَلَبُوا إِلَى سُلْطَانِهم.

فَجَهَّزَ النّاصِرُ مَعَهم هَدِيَّةً إِلَى مَلِكِ المغرِب تَشْتَمِلُ عَلَى ثِيَابِ الحَرِيرِ المَصْنُوعَةِ بإسْكَنْدَرِيّةَ، وعَيَّنَ مِنها الحِمْلَ المُتَعارَفَ في كُلّ سَنَة لِخِزانَةِ السُّلْطَانِ، وقِيمَتُه لِذَلِكَ العَهْدِ خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَار، وعَلَى خَيْمَةٍ مِن خِيَامِ[ج] السُّلْطَانِ المَصْنُوعَة بالشّامِ، فِيها أَمْثَالُ البُيُوتِ والقِبَابِ والعُمُدِ والمسْجِدِ والمئذَنَةِ، كأَنّها قَصْرٌ مِن / [356 ب] قُصُورِ المُلْكِ تُبْنَى بالجَداوِلِ المُعَارَةِ الفَتْلِ مِن القُطْنِ والكَتّانِ، مِرْسَاةٌ أَطْرَافُها في الأَرْضِ بأَوْتَادِ الحَدِيدِ والخَشَبِ كَأَنّها قِبَابٌ مَاثِلَة، وعَلَى خَيْمَةٍ قَوْرَاء، بَاطِنُها مِن ثِيَابِ الحَرِيرِ العِرَاقِيّةِ، وظَاهِرُها مِن ثِيَابِ القُطْنِ العِرَاقِيّةِ، مُسْتَجَادَةُ الصَّنْعَةِ تُبْنَى بالجُدُلِ والأَوْتَادِ أَحْسَنَ مَا يَرَاه رَاءٍ مِن البُيُوتِ، وعَلَى صِيوَانٍ مِن الحَرِيرِ مُرَبَّعِ الشَّكْلِ، يُقَامُ بالجُدُلِ كالحَائِطِ ظِلُّه مِن الشَّمْسِ، وعَلَى عَشَرَةٍ مِن الجِيَادِ المقَرَّبَاتِ المُلُوكِيّةِ بِسُرُجٍ ولُجُمٍ مُلُوكِيّةٍ مَصْنُوعَةٍ مِن الذَّهَبِ والفِضّةِ مُرَصَّعَةٍ باللّآلِيءِ والفُصُوصِ، وبَعَثَ مَعَ تِلْكَ الخِيَامِ [قَوْمَةً][د] يَقُومُونَ ببِنائِها المتعارَفِ عليه.

ووَصَلَتِ الهَدِيّةُ إِلَى سُلْطَانِ المغْرِبِ فوَقَعَتْ مِنه أَحْسَنَ المَوَاقِعِ، وأَعَادَ الكُتُبَ والرُّسُلَ بالشُّكْرِ، وَاسْتَحْكَمَتِ المَوَدَّةُ بَيْنَ هَذَيْنِ السُّلْطَانَيْنِ، واتّصَلَتِ المُهَادَاةُ إِلَى أَنْ مَضَيَا لِسَبِيلِهما.

(أ) في س: ملئت. (ب) في ظ: للحجاز. (ج) في س: خيم. (د) في ظ: خدمة.

---

(1) ينظر السلوك 2: 447.

وَفَاةُ الخَلِيفَةِ أبِي الرَّبِيعِ وَوِلَايَةُ ابْنِه

قَد ذكَرنا أيَّامَ الظَّاهِرِ أنَّه أقَامَ خَلِيفَةً بِمِصْرَ مِن وَلَدِ [الرَّاشِد](أ)، وَصَلَ يَوْمَئِذٍ مِن بَغْدَادَ واسْمُهُ أحْمَدُ بنُ مُحَمَّد، وذكَرنا نَسَبَه هُنَالِكَ إلَى الرَّاشِد، وأنَّه بَايَعَ له بالخِلَافَة سَنَةَ سِتِّينَ وسِتِّ مِائة، ولَقَّبَه الحَاكِمَ، فلم يَزَلْ في خِلَافتِه إلَى أنْ تُوفِّيَ سَنَةَ إحْدَى وسَبْعِ مِائة، وقَدْ عَهِدَ لابْنِه سُلَيمَانَ فَبَايَعَ له أهْلُ دَوْلَةِ النَّاصِرِ الكَافِلُون لَها، ولَقَّبُوه المستَكْفِيَ، فَبَقِيَ خَلِيفَةً سَائِرَ أيَّامِ النَّاصِرِ، ثُمَّ تَنَكَّرَ له السُّلْطَانُ سَنَةَ سِتٍّ وثَلَاثِينَ لِشَيءٍ نُمِيَ لَه عَن بَنِيهِ، فَأسْكَنَه بالقَلْعَةِ، ومَنَعَه [مِن](ب) لِقَاءِ النَّاسِ، فَبَقِيَ حَوْلًا(1) كَذَلِكَ، ثُمَّ تَرَكَ سَبِيلَه فنَزَلَ إلَى بَيْتِه، ثُمَّ كَثُرَتِ السِّعَايَةُ في بَنِيهِ فَغَرَّبَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ(2) وثَلَاثِينَ إلَى قُوص، هُوَ وبنيهِ(3) وسَائِرِ أقَارِبِه، فأقَامَ هُنَالِكَ إلَى أنْ هَلَكَ سَنَةَ أرْبَعِينَ(4)، قُبَيْلَ مَهْلِكِ النَّاصِرِ.

وقَدْ عَهِدَ بالخِلَافَةِ لابْنِه أحْمَدَ ولَقَّبَه الحَاكِمَ، فَلَم يُمْضِ النَّاصِرُ عَهْدَه في ذَلِك، لأنَّ أكْثَرَ السِّعَايَةِ المُشَارِ إلَيها كَانَتْ فِيه(ج)، فَنَصَّبَ للخِلَافَة بَعْدَ المستَكْفِي / ابنَ [أخِيه](5) إبْرَاهِيمَ بنَ مُحَمَّدٍ ولَقَّبَه الوَاثِقَ(6)، وهَلَكَ لأشْهُرٍ قَرِيبَة، فاتَّفَقَ الأُمَرَاءُ [357أ]

(أ) من س، وفي ظ: الرشيد. (ب) في ظ: عن. (ج) سقط من س.

(1) في مورد اللطافة 1: 242: أربعة أشهر وسبعة عشر يوماً.
(2) ثاني عشر ذي الحجة 736 هـ. مورد اللطافة 1: 243.
(3) في الأصول: وبنوه.
(4) في مستهل شعبان. مورد اللطافة 1: 242، وينظر السلوك 2: 502.
(5) في الأصول: ابن عمه، وصوبناه من تاريخ ابن الوردي 2: 318، وينظر البداية والنهاية 18: 426.
(6) مورد اللطافة 1: 243، 245.

بَعْدَه عَلَى إمْضَاءِ عَهْدِ المُستَكْفِي في ابْنِه أَحْمَد، فأعَادُوه سَنَةَ إحْدَى وأرْبَعِين[1]، وأقَامَ في الخِلَافَةِ إلَى سَنَةِ ثَلاثٍ وخَمْسِين[2] فتُوفِّي ووَلِيَ مَكَانَه أخُوه أبُو بَكْرٍ ولُقِّبَ المُعْتَضِدَ، ثُمَّ هَلَكَ سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّين[3]، لِعَشْرِ سِنِينَ مِن خِلافَتِه، ونُصِّبَ بَعْدَه بِعَهْدِه ابْنُه مُحَمَّدٌ ولُقِّبَ المُتَوَكِّل[4]، ونُورِدُ مِن أخْبَارِه في أمَاكِنِها مَا حَضَرَنَا ذِكْرُه.

نَكْبَةُ تَنْكِز ومَقْتَلُه

كَان تَنْكِز مَوْلًى مِن مَوَالِي لاجِين، [فَلَمَّا قُتِلَ لَاجِينُ في سَلْطَنَتِه][5] اصْطَفَاه النَّاصِرُ وقَرَّبَه، وشَهِدَ مَعَه وَقَائِعَ(أ) الطَّطَرِ، وسَارَ مَعَه إلَى الكَرَكِ، وأقَامَ في خِدْمَتِه مُدَّةَ خَلْعِه. فلَمَّا عَادَ إلَى كُرْسِيِّه، ومَهَّدَ أمُورَ مُلْكِه ورَتَّبَ الوِلَايَةَ لِمَنْ يَرْضَاه مِنْ أُمَرَائِه، بَعَثَ تَنْكِز إلَى الشَّام، وجَعَلَه نَائِبًا بدِمَشْق[6]، ومُشَارِفًا لسَائِرِ مَمَالِكِ الشَّام، ففَتَحَ مَلَطْيَة، وَدَوَّخَ بِلادَ الأَرْمَن، وكَان يَتَرَدَّدُ بالوِفَادَةِ عَلَى السُّلْطَان، وكَان السُّلْطَانُ يُشَاوِرُه، ورُبَّما اسْتَدْعَاه للمُفَاوَضَةِ في المُهِمَّاتِ، وَاسْتَفْحَلَ في دِفَاعِ الطَّطَرِ وكِيَادِهِم.

ولَمَّا تُوفِّي أبُو سَعِيدٍ وَانْقَرَضَ مُلْكُ بَنِي هُولاوُو، افْتَرَقَ أمْرُ بَغْدَادَ وتَوْرِيز،

(أ) في س: الوقائع.

---

(1) سلخ ذي الحجة 741 هـ. مورد اللطافة 1: 244.

(2) توفي سنة 753 هـ، وقيل: سنة أربع. المنهل الصافي 1: 309، مورد اللطافة 1: 245، النجوم الزاهرة 10: 290.

(3) في العشر الأوسط من جمادى الأولى. البداية والنهاية 18: 655، مورد اللطافة 1: 247.

(4) ولي الخلافة نحوًا من 45 سنة، بما فيها من الخلع والحبس، حيث خُلع مرتين، وتوفي سنة 808 هـ. مورد اللطافة 1: 248، 251، 254.

(5) إضافة للتوضيح، من الوافي بالوفيات 10: 420.

(6) في ربيع الآخر 712 هـ. الوافي بالوفيات 10: 421، إعلام الورى 12 - 13.

وكَانَا مَعاً يُجَاوِرَانِه ويَسْتَنْجِدَانِه، وسَخِطَهُ بَعْضُهم فَدَسَّ للسُّلْطَانِ بِغِشِّه وإِذْهَابِه في طَاعَتِه، ومُمالأَةِ أَعْدَائِه، وشَرَعَ السُّلْطَانُ في اسْتِكْشَافِ حَالِه، وكَانَ قَدْ عَقَدَ لَه عَلَى بِنْتِه[1]، فَبَعَثَ دَوَادَارَهُ طَاجَار يَسْتَقْدِمُه للإِعْرَاسِ بِها، وكَانَ عَدُوّاً لَه للمُنَافَسَةِ والغَيْرَة، فَأَشَارَ عَلَى تَنَكِز بالمُقَامِ، وخَيَّلَه مِنَ السُّلْطَان، وغَشَّه في النَّصِيحَة، وحَذَّرَ السُّلْطَانَ مِنه، فَبَعَثَ المَلِكُ النَّاصِرُ[(أ)] إِلَى طَشْتَمُر [حُمّص أَخْضَر][2] نَائِبِ صَفَدَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى دِمَشْق، ويَقْبِضَ عَلَيه، فَقَبَضَ عَلَيْه سَنَةَ أَرْبَعِين، لثَمَانٍ وعِشْرِينَ سَنَةً لِوِلَايَتِه بدِمَشْق، وبَعَثَ النَّاصِرُ مَوْلاه بَشْتَاك إِلَى دِمَشْق في العَسَاكِرِ، فَاحْتَاطَ عَلَى مَوْجُودِه، وكَانَ شَيْئاً لا يُعَبَّرُ عَنه مِنْ أَصْنَافِ المُتَمَلَّكَاتِ[3]، وجَاءَ بِه مُقَيَّدًا، فَاعْتُقِلَ بالإِسْكَنْدَرِيَّة، ثُمَّ قُتِلَ في مَحْبِسِه[4].

[357 ب] / وفَاةُ المَلِكِ النَّاصِرِ وابْنِه أَنُوكَ قَبْلَه ووِلَايَةُ [ابْنِه][(ب)] أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ كُجُك

ثُمَّ تُوفِّيَ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بنُ المَنْصُورِ قَلاوُون، أَفْحَلُ مَا كَانَ مَلِكاً، وأَعْظَمُ اسْتِبْدَادًا، تُوفِّيَ عَلَى فِرَاشِه[(ج)] في ذِي الحِجَّة[5] آخِرَ [سَنَةِ][(د)] إِحْدَى

(أ) في س: فبعث السلطان. (ب) من س. (ج) على فراشه: سقط من س. (د) من س.

---

(1) تراجع روايات أخرى في الوافي بالوفيات 10: 425، السلوك 2: 497.
(2) إضافة للتوضيح من تاريخ ابن الوردي 2: 328.
(3) الوافي بالوفيات 10: 428 – 429.
(4) في ذي الحجة 740 هـ. تذكرة النبيه 2: 321، البداية والنهاية 18: 419، وورد في تاريخ الملك الناصر 119 في العشرين من المحرم 741 هـ.
(5) في ليلة يسفر صباحها عن يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة. تاريخ الملك الناصر 108.

وأرْبَعِينَ وسَبْعِ مِائة، بَعْدَ أنْ تُوفِّي، قَبْلَه بقَلِيل، ابنُه أنُوك، فاحْتَسَبه.

وكَانَت وَفاتُه لثَمَانٍ وأرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ وِلايَتِه الأولَى في كَفَالَة كُتْبُغا، ولاثْنَتَيْنِ وثَلاثِينَ [سَنَةً وَشَهْرينِ وعِشْرِينَ يَوماً][1] مِن حِينِ اسْتِبْدادِه بِأمْرِه بَعْدَ بَيْبَرْس، وصَفَا المُلْكُ لَه.

ووَلِي النِّيابَةَ في هَذِه المُدَّةِ[2] ثَلاثَةٌ مِنْ أُمَرائِه: بَيْبَرْس الدَّوادَار المؤرِّخ، ثُمَّ بَكْتَمُر الجُوكَنْدَار، ثُمَّ أرْغُونَ الدَّوادَار، ولَم يُوَلِّ أحَدًا النِّيابَةَ بَعْدَه، وبَقِيَتِ الوَظِيفَةُ عُطْلاً آخِرَ أيَّامِه.

وأمَّا دَوادَارِيَّتُه: فأيْدَمُر، [ثُمَّ أرْغُون][3] ثُمَّ [أرْسَلان][4]، ثُمَّ ألْجَاي، ثُمَّ يُوسُفُ بنُ الأسْعَد، ثُمَّ بُغَا، ثُمَّ طَاجَار.

وكَتَبَ عَنه[5]: شَرَفُ الدِّين [عَبْدُ الوَهَاب][6] بنُ فَضْلِ الله، ثُمَّ عَلَاءُ الدِّين [عليّ][7] بنُ الأثير، ثُمَّ مُحْيِي الدِّين [يحيى][8] بنُ فَضْلِ الله، ثُمَّ ابْنُه شِهَابُ الدِّين[9]، ثُمَّ ابنُه الآخَرُ عَلَاءُ الدِّين [عَلِيّ][10].

---

(1) من تاريخ الملك الناصر 108، وينظر الوافي بالوفيات 4: 353 - 354.

(2) يعني في سلطنته الثالثة، بعد أن صفا له الملك.

(3) من الوافي بالوفيات 4: 373، السلوك 2: 547.

(4) من الوافي بالوفيات 4: 373، السلوك 2: 547، وفي الأصول: رسلان.

(5) يريد كتاب سرّه بمصر. الوافي بالوفيات 4: 372.

(6) من السّلوك 2: 547.

(7)، (8)، (9) المصدر نفسه والصفحة.

(10) لم يذكر في السلوك، وورد بعده: ثم القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود. الوافي بالوفيات.

ووَلِيَ القَضَاءَ[1] في دَوْلَتِه: تَقِيُّ الدِّين [مُحَمَّدُ][2] بنُ دَقِيقِ العِيدِ، ثُمَّ بَدْرُ الدِّين [مُحمّدُ][3] بنُ جَماعَة، ثُمَّ جَمَالُ الدِّين [سُلَيمانُ][4] الزُّرَعِيُّ، ثُمَّ أُعِيدَ بَدْرُ الدِّين، ثُمَّ جَلَالُ الدِّين [مُحمّدُ بنُ][5] القَزْوِينيّ، ثُمَّ عِزُّ الدِّين [عَبْدُ العَزيز][6] بنُ جَماعَة.

وإنَّما ذَكَرْتُ [أَرْبابَ][أ] هَذه الوَظَائِف، وإنْ كَان ذَلِك لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الكِتَابِ، لِعِظَمِ دَوْلَةِ النَّاصِرِ وطُولِ أَمَدِها، وَاسْتِفْحَالِ دَوْلَةِ التُّرْكِ عِنْدَهَا، وقَدَّمْتُ الكُتَّابَ عَلَى القُضَاةِ، وإنْ كَانُوا أَحَقَّ بالتَّقْدِيم، لأَنَّ الكُتَّابَ أَمَسُّ بالدَّوْلَة، فإنَّهم مِنْ أَعْوَانِ المُلْكِ.

ولَمَّا اشْتَدَّ المَرَضُ بالسُّلْطَانِ، وكَان قُوصُونُ عَظِيمَ أُمَرَائِه يَوْمَئِذٍ، فَبَاكَرَ القَصْرَ في مَمَالِيكِه مُتَسَلِّحِين، وكَانَ بَشْتَكُ[7] يُضَاهِيه، فَارْتَابَ وسَلَّحَ أَصْحَابَه، وبَدَا بَيْنَهما التَّنَافُسُ، ودَسَّ بَشْتَكُ بالشَّكْوَى إلَى السُّلْطَانِ، فاسْتَدْعَاهما وأَصْلَحَ بَيْنَهما[8].

وأَرَادَ أَنْ يَعْهَدَ بالمُلْكِ إلَى قُوصُونَ فَامْتَنَعَ، فَعَهِدَ لابْنِه أَبي بَكْرٍ[9] ومَاتَ، فَمَالَ بَشْتَكُ إلَى وِلايَةِ أَحْمَدَ صَاحِبِ الكَرَك، وأَبَى قُوصُونُ إلَّا الوَفَاءَ بِعَهْدِ السُّلْطَان،

(أ) من س. ط: أبواب.

---

(1) يريد القضاة الشافعية بِمِصْرَ. يراجع الوافي بالوفيات 4: 372.

(2)، (3)، (4) من السلوك 2: 547.

(5)، (6) من السلوك 2: 547.

(7) كذا في الأصول، وتقدم رسمه: بشتاك.

(8) في ثامن عشر ذي الحجة 740 هـ. السلوك 2: 523.

(9) السلوك 2: 523.

ثُمّ / رَجَعَ [إِلَيه][أ] بَشْتَكُ بَعْدَ مُرَاوَضَة، فَبُويعَ لأَبي بَكْرٍ ولُقِّبَ المَنْصُورَ[ب]، وقَامَ بِأَمْرِ الدَّوْلَة قُوصُون، ورَدَفَه قَطْلُوبُغَا الفَخْرِيُّ، فَوَلّوا عَلَى نِيَابَةِ السُّلْطَانِ طُقُزْدَمِر[ج]، وبَعَثُوا عَلَى حَلَبَ طَشْتَمُر حُمُّص أخْضَر عِوَضاً عَنْ طُرْغَاي، وأقَرُّوا أَلْطُنْبُغَا الصَّالِحِيَّ عَلَى دِمَشْق. |358أ|

ثُمّ اسْتَوْحَشَ بَشْتَكُ مِنَ اسْتِبْدَادِ قُوصُونَ وقَطْلُوبُغَا دُونَه، فَطَلَبَ نِيَابَةَ دِمَشْق، وكَان يُعْجَبُ بِها مِنْ يَوْمَ دَخَلَهَا للحَوْطَةِ عَلَى تَنْكِز، فأَسْعَفُوه، فَلَمّا جَاءَ للوَدَاعِ قَبَضَ عَلَيه قَطْلُوبُغَا الفَخْرِيُّ، وبَعَثَ بِهِ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيّة فاعْتُقِلَ بِها[1].

ثُمّ أَقْبَلَ السُّلْطَانُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى لَذَّاتِه ونَزَعَ أُبَّهَةَ المُلْكِ، وصَارَ يَمْشِي بِاللّيْلِ فِي سِكَكِ المَدِينَة مُتَنَكِّراً، مُخَالِطاً للسُّوقَة، فَنَكَرَ ذَلِكَ الأُمَرَاءُ، وخَلَعَه قُوصُونُ وقَطْلُوبُغَا لِسَبْعَةٍ وخَمْسِينَ يَوْماً مِنْ بَيْعَتِه، وبَعَثُوا بِهِ إِلَى قُوص فَحُبِسَ بِها[2]، وَوَلّوا أَخَاه كُجُك[3] ولَقَّبُوه الأَشْرَفَ[4]، وعَزَلُوا طُقُزْدَمِر عَنِ النِّيَابَة، وقَامَ بِها قُوصُون، وبَعَثُوا[د] طُقُزْدَمِر نَائباً عَلَى حَمَاة ، وأدَالُوا بِهِ مِنَ الأَفْضَلِ بنِ المُؤيَّد[5]، فَكَانَ[هـ] آخِرَ

(أ) في ط: إلى. (ب) في س: بالمنصور. (ج) في س في هذا الموضع والمواضع التالية: طقزدمر. [وضبطه ناشر تحفة ذوي الألباب للصفدي 541، وفيه طُقُزْتَمِر، فاعتمدنا ضبطه]. (د) وبعثوا: مكررة في س. (هـ) في س: وكان.

---

(1) في تاريخ الملك الناصر 131، حادي عشر المحرم 742 هـ، وينظر البداية والنهاية 18: 427.

(2) في تذكرة النبيه 3: 24: ثم قُتل بها.

(3) في السلوك 2: 571، ولم يكمل له من العمر خمس سنين، وينظر المنهل الصافي 9: 121.

(4) في السلوك 2: 571، حادي عشري صفر 742 هـ، وفي البداية والنهاية 18: 429، تذكرة النبيه 3: 26: في مستهل ربيع الأول.

(5) في السلوك 2: 573: في سابع عشر (ربيع الأول)، وأنعم على الأفضل بإمرة ألف في دمشق.

مَنْ وَلِيهَا مِنْ بَنِي المُظَفَّر، ثُمَّ قَبَضُوا عَلَى طَاجَار الدَّوَادَارِ وبَعَثُوا بِهِ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّة فَغَرِقَ فِي البَحْر[1]، وبَعَثُوا بِقَتْلِ بَشْتَك، فَقُتِلَ فِي مَحْبِسِه بالإِسْكَنْدَرِيَّة[2].

مَقْتَلُ قُوصُون، ودَوْلَةُ أَحْمَدَ ابنِ المَلِكِ النَّاصِر

لَمَّا بَلَغَ الخَبَرُ إِلَى الأُمَرَاءِ بالشَّامِ بِاسْتِبْدَادِ قُوصُون عَلَى الدَّوْلَة، غَصُّوا بِمَكَانِه وَاعْتَزَمُوا عَلَى البَيْعَةِ لأَحْمَدَ ابنِ السُّلْطَان المَلِكِ النَّاصِر، وكَان يَوْمَئِذٍ بالكَرَكِ مُقِيماً مُنْذُ وَلَّاه أَبُوه إِمَارَتَه، كَمَا قَدَّمْنَاه، فكَاتَبَه طَشْتَمُر[ا] حُمُّص أَخْضَر نَائِب حَلَب، وَاسْتَدْعَاه إِلَى المُلْكِ، وبَلَغَ الخَبَرُ إِلَى مِصْرَ، فخَرَجَ[ب] قُطْلُوبُغَا الفَخْرِيُّ فِي العَسَاكِرِ لِحِصَارِ الكَرَك، وبَعَثُوا إِلَى أَلْطُنْبُغَا الصَّالِحِي نَائِبِ دِمَشْق، فسَارَ فِي العَسَاكِرِ إِلَى حَلَبَ[3] للقَبْضِ عَلَى طَشْتَمُر حُمُّص أَخْضَر، وكَان قُطْلُوبُغَا الفَخْرِيُّ قَدِ اسْتَوْحَشَ مِن [صَاحِبِه][ج] قُوصُون، وغَصَّ بِاسْتِبْدَادِه عَلَيْه، فَلَمَّا فَصَلَ بالجُنُودِ / مِن مِصْرَ [358ب] بَعَثَ بِبَيْعَتِهِ إِلَى أَحْمَدَ ابنِ المَلِكِ النَّاصِرِ بالكَرَكِ، وسَارَ إِلَى الشَّام فَأَقَامَ دَعْوَتَه فِي دِمَشْق، ودَعَا إِلَيْهَا طُقُزْدَمِر نَائِبَ حَمَاةَ فَأَجَابَه وقَدِمَ عَلَيْه، وَانْتَهَى الخَبَرُ إِلَى أَلْطُنْبُغَا نَائِبِ دِمَشْق، وهُوَ مُحَاصِرٌ حَلَبَ، فَأَفْرَجَ عَنْهَا، ودَعَاه قُطْلُوبُغَا إِلَى بَيْعَةِ أَحْمَدَ فَأَبَى، فَانْتَقَضَ عَلَيْه أَصْحَابُه وسَارَ إِلَى مِصْرَ[4].

(ا) ضبطه بالحركات ناشرُ تحفة ذوي الألباب 511: طَشْتَمُر. (ب) في س: فأخرج. (ج) من س، ط: أصحابه.

---

(1)، (2) في تاريخ الملك الناصر 219: في ربيع الآخر.

(3) في خامس الشهر (جمادى الآخرة). البداية والنهاية 18: 431.

(4) ينظر البداية والنهاية 18: 433 - 434.

وَاسْتَوْلَى قَطْلُوبُغَا الفَخْرِيُّ عَلَى الشَّامِ أَجْمَعَ بِدَعْوَةِ أَحْمَد، وبَعَثَ إِلَى الأُمَرَاءِ بِمِصْرَ فَأَجَابُوا إِلَيْهَا، وَاجْتَمَعَ أَيْدُغْمُش وآقْسُنْقُر السَّلارِيُّ وقُمَارِي ومَن تَبِعَهم مِنَ الأُمَرَاءِ عَلَى البَيْعَةِ لأَحْمَد، وَاسْتَرَابَ بِهِم قُوصُون كَافِلُ المملكَة، وهَمَّ بالقَبْضِ عَلَيهم، وشَاوَرَ يَلْبُغَا اليَحْيَاوِيَّ وغَيْرَه مِنْ أَصْحَابِه فِي ذَلِك فغَشُّوه وخَذَلُوه.

وَرَكِبَ القَوْمُ لَيْلاً، وكَانَ أَيْدُغْمُش عِنْدَه بالاسْطَبْل، وهُو أَمِيرُ المَاخُورِيَّة، وهَمَّ قُوصُونُ[أ] بالرُّكُوبِ فَخَذَّلَه وفَتَّ فِي عَزْمِه، ثُمَّ رَكِبَ مَعَهم، وَاتَّصَلَتِ الهَيْعَةُ، ونَادَى فِي الغَوْغَاءِ بِنَهْبِ بُيُوتِ قُوصُون، فَنَهَبُوها وخَرَّبُوها، وخَرَّبُوا الخَانْقَاه الَّتِي بَنَاهَا بالقَرَافَة تَحْتَ القَلْعَةِ، ونُهِبَ بَيْتُ شَيْخِهَا شَمْسِ الدِّين الأَصْفَهَانِيِّ وسَلَبُوه ثِيَابَه، وَانْطَلَقَت أَيْدِي الغَوْغَاءِ فِي البَلَدِ، *ولَحِقَتِ النَّاسَ مِنْهم مَعَرَّاتٌ فِي بُيُوتِهِم*[ب]، وَاقْتَحَمُوا بَيْتَ حُسَامِ الدِّين الغُورِيِّ قَاضِي الحَنَفِيَّة فَنَهَبُوه ونَهَبُوا عِيَالَه، قَادَهم إِلَيه بَعْضُ مَن كَان يَحْقِدُ لَه مِنَ الخُصُوم، فَجَرَتْ عَلَيْه مَعَرَّةٌ مِنْ ذَلِك، ثُمَّ اقْتَحَمَ أَيْدُغْمُش وأَصْحَابُه القَلْعَةَ، وتَقَبَّضُوا عَلَى قُوصُونَ وبَعَثُوا بِه إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّة، فَمَاتَ فِي مَحْبِسِه[1].

وكَان قُوصُونَ قَدْ أَخْرَجَ جَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ لِلقَاءِ الطُّنْبُغَا الصَّالِحِي[ج]، فَسَارَ آقْسُنْقُر السَّلَارِيُّ فِي أَثَرِهِم، وتَقَبَّضَ عَلَيْهم وعَلَى الصَّالِحِيّ، وبَعَثَ بِهِم جَمِيعًا إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّة، وقُتِلَ الصَّالِحِيُّ مِنهم، وخَلَعَ أَيْدُغْمُش السُّلْطَانَ كُجُك[2] وَاعْتَقَلَه

(أ) وهم قوصون: مكررة في س. (ب) سقط ما بين النجمين من س. (ج) في س: الفخري.

---

(1) في شوال 742 هـ أو في ذي القعدة. الوافي بالوفيات 24: 279.

(2) أول شعبان 742 هـ. السلوك 2: 593.

بالقَصْرِ، إلَى أنْ هَلَكَ فِيما بَعْد سَنَةِ [سِتٍّ][1] وأربَعِين، وبايَعَ لأحْمَد ابنِ المَلِكِ [359 ا] النَّاصِر، وطَيَّرَ إلَيْه بالخَبَرِ، وتَقَبَّضَ عَلَى[أ] جَماعَةٍ مِنَ الأُمَرَاءِ / وَاعْتَقَلَهم.

ثُمَّ قَدِمَ السُّلْطَانُ أحْمَدُ مِنَ الكَرَكِ في رَمَضَانِ[2] اثْنَتَيْنِ وأربَعِين، ومَعَه طَشْتَمُر حُمُّص أخْضَر نَائِبُ حَلَب، وقُطْلُوبُغَا الفَخْرِيُّ، فَوَلَّى طَشْتَمُر نائِباً بِمِصْرَ، وبَعَثَ قُطْلُوبُغَا الفَخْرِيَّ إلَى دِمَشْقَ نائِبًا، ثُمَّ قَبَضَ عَلَى [طَشْتَمُر][ب] حُمُّص أخْضَر لشَهْرٍ أوْ نَحْوِه[3]، وقَبَضَ عَلَى أيْدُغْمُش وآقْسُنْقُر السَّلَارِيّ، ثُمَّ وَلَّى أيْدُغْمُش عَلَى حَلَب، وبَلَغَ الخَبَرُ إلَى قُطْلُوبُغَا الفَخْرِيّ قَبْلَ وُصُولِه إلَى دِمَشْق، فعَدَلَ إلَى حَلَب، وَاتَّبَعَتْهُ العَسَاكِرُ فَلَمْ يُدْرِكُوه، وتَقَبَّضَ عَلَيه أيْدُغْمُشُ بحَلَبَ، وبَعَثَ به إلَى مِصْرَ، فَاعْتُقِلَ معَ طَشْتَمُر، وَارْتَابَ الأُمَرَاءُ بِأنْفُسِهم، وَاسْتَوْحَشَ السُّلْطَانُ مِنْهم.

مَسِيرُ السُّلْطَانِ أحْمَد إلَى الكَرَك وَاتِّفَاقُ الأُمَرَاءِ عَلَى خَلْعِه والبَيْعَةِ لأخِيه الصَّالِح

ولَمَّا اسْتَوْحَشَ الأُمَرَاءُ مِنَ السُّلْطَانِ وَارْتَابَ بِهِم، ارْتَحَلَ إلَى الكَرَكِ[4] لثَلَاثَةِ أشْهُرٍ مِنْ بَيْعَتِه، وَاحْتَمَلَ مَعَه طَشْتَمُرَ وأيْدُغْمُشَ[ج] مُعْتَقَلَيْنِ، وَاسْتَصْحَبَ

(أ) في س: وبعث إلى. (ب) من س. (ج) في س: واحتمل طشتمر وايدغمش معه.

(1) من تذكرة النبيه 3: 87، وينظر المنهل الصافي 9: 121، وفي الأصول: خمس.

(2) في الحادي والعشرين. تاريخ الملك الناصر 202، وفي السلوك 2: 601: ثامن عشريه.

(3) مدة إقامته في النيابة خمسة وثلاثون يومًا. تاريخ الملك الناصر 212، وعن سبب القبض عليه ينظر السلوك 2: 606.

(4) يوم الاثنين سلخ ذي القعدة 742 هـ. البداية والنهاية 18: 445 - 446، وفي تاريخ الملك الناصر 217: ثاني ذي الحجة، وفي تذكرة النبيه 3: 39: في المحرم 743 هـ.

الخَلِيفَةَ الحَاكِمِ، وَاسْتَوْحَشَ نَائِبُ صَفَدَ بَيْبَرْسُ الأَحْمَدِيُّ، وسَارَ إِلَى دِمَشْقَ، وهِيَ يَوْمَئِذٍ فَوْضَى، فَتَلَقَّاه العَسْكَرُ وأَنْزَلُوه، وبَعَثَ السُّلْطَانُ في القَبْضِ عَلَيه فأَبَى مِنْ إِعْطَاءِ يَدِه، وقَالَ: إِنَّمَا الطَّاعَةُ لسُلْطَانِ مِصْرَ، وأَمَّا صَاحِبُ الكَرَكِ فَلَا[1]، وطَالَتْ غَيْبَةُ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بالكَرَكِ، واضْطَرَبَ الشَّامُ، فَبَعَثَ إِلَيه الأُمَرَاءُ بِمِصْرَ في الرُّجُوعِ إِلَى دَارِ مُلْكِه فامْتَنَعَ، وقَالَ: هَذه مَمْلَكَتِي أَنْزِلُ مِنْ بِلَادِها حَيْثُ شِئْتُ، وعَمَدَ إِلَى طَشْتَمُر وأَيْدُغْمُش الفَخْرِيّ[ا] فقَتَلَهما[2].

فَاجْتَمَعَ الأُمَرَاءُ بِمِصْرَ وكَبِيرُهم بَيْبَرْسُ العَلَائِيُّ وأَرْغُونُ الكَامِلِيُّ وخَلَعُوه، وبَايَعُوا لأَخِيه إِسْمَاعِيلَ في مُحَرَّم[3] ثَلَاثٍ وأَرْبَعِينَ ولَقَّبُوه الصَّالِح، فَوَلَّى آقْسُنْقُرَ السَّلَّارِيَّ [النِّيَابَةَ بِدِيَارِ مِصْرَ][4]، ونَقَلَ أَيْدُغْمُش النَّاصِرِيَّ من نِيابَةِ حَلَبَ إِلَى نِيابَةِ دِمَشْقَ، ووَلَّى مَكَانَه بِحَلَب سَيْفَ الدِّين طُقُزْدَمُر[5]، ثُمَّ عَزَلَ[6] أَيْدُغْمُش مِن دِمَشْقَ ونَقَلَ إِلَيها طُقُزْدَمِر، ووَلَّى بِحَلَب الطُّنْبُغَا / المَارِدَانِي[7]، ثُمَّ هَلَكَ المَارِدَانِيُّ[8] [359 ب] فَوَلَّى مَكَانَه يَلْبُغَا اليَحْيَاوِي، واسْتَقَامَتْ أُمُورُه.

(ا) سقط من س.

---

(1) تاريخ الملك الناصر 226.

(2) في العشر الأول من المحرم. تاريخ الملك الناصر 227، وينظر السلوك 2: 617.

(3) في العشرين من المحرم 743 هـ. تاريخ الملك الناصر 230، البداية والنهاية 18: 450.

(4) من تاريخ الملك الناصر 231، وينظر السلوك 2: 620.

(5) تاريخ الملك الناصر 231.

(6) توفي أيدغمش نائب دِمَشق فجأة بدِمَشق يوم الثلاثاء خامس جمادى الآخرة، فأنعم السلطان بنيابة دِمَشق على الأمير سيف الدين طقزدمر. تاريخ الملك الناصر 240، البداية والنهاية 18: 455.

(7) في تاريخ الملك الناصر 240، الدرر الكامنة 1: 437: في رجب 743 هـ.

(8) مات في مستهل صفر 744 هـ. تذكرة النبيه 3: 48، الدرر الكامنة 1: 437.

ثورةُ رمضانَ بنِ الناصرِ ومقتلُه، وحصارُ الكركِ ومقتلُ السلطانِ أحمد

ثُمّ إنَّ بَعْضَ المَمَالِيكِ دَاخلُوا رَمَضَانَ ابنَ المَلِكِ[أ] النَّاصرِ في الثَّوْرَة بأخِيه وَوَاعَدُوه قُبَّةَ النَّصْرِ[1]، فرَكِبَ إليهم وأخلفُوه، فوَقَفَ في مَمالِيكه سَاعةً يَهتِفُون بدَعْوتِه[ب]، ثُمّ اسْتمرَّ هَارِباً إلى الكَرَكِ، واتَّبَعَهُ العَسْكَرُ وأدْرَكُوه بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، فجَاءوا بِه، وقُتِلَ بِمِصْرَ[2].

وَارْتَابَ السُّلْطَانُ [بالكَثِيرِ][ج] مِنَ الأُمَرَاءِ، وتَقَبَّضَ عَلَى نَائِبِه آقْسُنْقُرَ السَّلَارِيّ[3] وبَعَثَ بِه إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ فَقُتِلَ هُنَاك[4]، وَوَلّى مَكَانَه الحَاجّ آلَ مَلَك[5]، ثُمّ سَرَّحَ العَسَاكِرَ سَنَةَ أرْبَعٍ وأرْبَعِينَ لِحِصَارِ الكَرَكِ مُتَرَادِفَةً، ونَزَعَ بَعْضُ العَسَاكِرِ عنِ السُّلْطَانِ أحْمَدَ منَ الكَرَكِ فَلَحِقُوا بِمِصْرَ[د]، وكَان آخِرَ مَن سَارَ مِنَ الأُمَرَاءِ لِحِصَارِ الكَرَكِ قَمارِي ومَنْكَلي سَنَةَ خَمْسٍ وأرْبَعِين، فَأخَذُوا بِمُخَنَّقِه، ثُمّ اقْتَحَمُوا عَلَيْه وقَتَلُوه، فكَان لُبْثُه في المُلْكِ[هـ] ثَلاثَةَ أشْهُرٍ وأيّاماً، وانْتَقَلَ إلى الكَرَكِ في مُحَرَّمٍ سَنَةِ ثَلَاثٍ وأرْبَعِينَ إلَى أنْ حُوصِرَ وقُتِلَ بِه[6].

(أ) سقط من س. (ب) في س: ببيعته. (ج) في ظ: بالكبير. (د) في س: إلى مصر. (هـ) في س: لبثه بمصر.

---

(1) السلوك 2: 630: والقبة عمرها الأمير يَلْبُغا اليحياوي تحت الجبل الأحمر خارج القاهرة في موضع خيمته عند مسجد القدم. المواعظ والاعتبار، أعيان العصر 5: 587.

(2) في ليلة عيد الأضحى 743 هـ. السلوك 2: 630، وينظر تاريخ الملك الناصر 244. تذكرة النبيه 3: 43.

(3) يوم الأربعاء عاشر المحرم 744 هـ. تاريخ الملك الناصر 254، وينظر السلوك 2: 638.

(4) أظهر السلطان موته في سابع عشر المحرم 745 هـ. تاريخ الملك الناصر 274.

(5) تذكرة النبيه 3: 58، السلوك 2: 640.

(6) تذكرة النبيه 3: 65، البداية والنهاية 18: 473، المنهل الصافي 2: 158.

وتُوفِّي في أيَّام الصَّالح أَلْطُنْبُغا المَارِدَانِيُّ نَائِبُ حَلَب، فَوَلِيَ مَكَانَه يَلْبُغا اليَحْيَاوِي[1]، وسَيْفُ الدِّين طُرْغاي[2] الجَاشْنَكِير [النَّاصِري][3] نَائِبُ طَرَابُلُس فَوَلِيَ مَكَانَه آقْسُنقُر النَّاصِري.

وَفَاةُ الصَّالح بن النَّاصِر، وولايةُ أخيه الكَامِل

ثُمَّ تُوفِّي الصَّالِحُ إسْمَاعِيلُ ابنُ المَلِكِ النَّاصِرِ حَتْفَ أَنْفِه سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِين[4]، لثَلَاثِ سِنِينَ وثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ وِلَايَتِه، وبُويِعَ بَعْدَه أَخُوه زَيْنُ الدِّين شَعْبَانُ ولُقِّبَ الكَامِلَ، وقَامَ بِأَمْرِه أَرْغُونُ العَلَائِيُّ وَوَلِيَ نِيابَةَ مِصْرَ، وغَرَّبَ الحَاجَّ آلَ مَلَك إلَى صَفَدَ، ثُمَّ رَدَّه مِنْ طَرِيقِه مُعْتَقَلاً إلَى دِمَشْق[5]، وَقَبَضَ عَلَى قَمَارِي الكَبِيرِ فَبَعَثَه إلَى حَبْسِ الإسْكَنْدَرِيَّة، وَاسْتَدْعَى طُقُزْدَمِر نَائِبَ دِمَشْق وَوَلَّى مَكَانَه يَلْبُغا اليَحْيَاوِيُّ نَائِبَ حَلَب، ومَكَانَ يَلْبُغا بِحَلَب / سَيْفَ الدِّين أَرْقَطَاي[6]، وَاسْتَدْعَى [1360] آقْسُنقُر النَّاصِرِيَّ مِن طَرَابُلُس، وَاسْتَوْسَقَ مُلْكُه.

ثُمَّ هَلَكَ طُقُزْدَمِر[7] نَائِبُ دِمَشْق، وكُجُك[8] الأَشْرَفُ المَخْلُوعُ بْنُ النَّاصِر،

---

(1) في شهر ربيع الأول منها (744 هـ). تذكرة النبيه 3: 48.

(2) توفي في رمضان منها (744 هـ). المصدر نفسه 3: 56.

(3) المصدر نفسه 3: 56.

(4) ثالث شهر ربيع الآخر. البداية والنهاية 18: 480، تذكرة النبيه 3: 79، وينظر الوافي بالوفيات 9: 219، المنهل الصافي 2: 426.

(5) وجهز إلى الإسكندرية بعد أن عُزل، وكان آخر العهد به. تذكرة النبيه 3: 82، وينظر ما يلي.

(6) تذكرة النبيه 3: 80 - 81.

(7) في الوافي بالوفيات 16: 465: في تاسع جمادى الآخرة 746 هـ، وينظر السلوك 2: 698.

(8) في السلوك 2: 688، تذكرة النبيه 3: 87، المنهل الصافي 9: 121: في جمادى الآخرة 746 هـ.

الَّذِي وَلَّاه قُوصُون، وهَلَكَ الحَاجُ آلُ مَلِك[1] الجوكَنْدار في مَحْبِسِه بدِمَشْق[2].

مَقتَلُ الكَامِل، وبَيْعَةُ أخيه المُظَفَّر حَاجي

كَان السُّلْطَانُ الكَامِلُ قَدْ أَرْهَفَ حَدَّه في الاسْتِبْدَادِ عَلَى أهْلِ دَوْلَتِه فِرَاراً مِمَّا يَتَوَهَّمُ فِيهم مِنَ الحَجْرِ عَلَيْه، فتَرَاسَلَ في ذَلِكَ الأُمَرَاءُ بِمِصْرَ والشَّام، وأَجْمَعُوا الإِدَالَةَ مِنْه، وَانْتَقَضَ يَلْبُغَا اليَحْيَاوِيُّ ومَن مَعه بدِمَشْق سَنَةَ سَبْعٍ وأربَعِين[3]، وبَرَزَ في العَسَاكِرِ يُرِيدُ مِصْرَ، وبَعَثَ الكَامِلُ مَنجَكَ اليُوسُفِيَّ يَسْتَطْلِعُ أَخْبَارَهم، فحَبَسَهُ اليَحْيَاوِي.

وَاتَّصَلَ الخَبَرُ بالكَامِل، فَجَهَّزَ(أ) العَسَاكِرَ إلَى الشَّام وَاعْتَقَلَ أَخَوَيْه: حَاجي وأَمِير حُسَين بالقَلْعَةِ، وَاجْتَمَعَ الأُمَرَاءُ بِمِصْرَ للثَّوْرَةِ، وَرَكِبُوا إلَى قُبَّةِ النَّصْرِ مَعَ أَيْدَمُر الحِجَازِيّ وآقْسُنقُر النَّاصِرِيّ وأَرْغُون شَاه، ورَكِبَ إلَيهم الكَامِلُ في مَوَالِيه، ومَعَه أَرْغُون العَلَائِيُّ نَائِبُه، فكَانَت بَيْنَهما جَوْلَةٌ هَلَكَ فِيها أَرْغُونُ العَلَائِيّ[4]، ورَجَعَ الكَامِل إلَى القَلْعَةِ مُنْهَزِماً، ودَخَلَ مِنْ بَابِ السِّرِّ مُخْتَفِياً، وقَصَد مَحْبِسَ أَخَوَيْه لِيَقْتُلَهما، فحَالَ الخُدَّامُ دُونَهما وغَلَّقُوا الأَبْوَابَ، وجَمَعَ الذَّخِيرَةَ لِيَحْتَمِلَها فعَاجَلُوه عَنْها، وَاقْتَحَمُوا

(أ) في س: لجرد.

(1) في أواخر سنة 746 هـ. تذكرة النبيه 3: 82، الوافي بالوفيات 9: 372، وورد أنه توفي سنة 747 هـ: في السلوك 2: 723، المنهل الصافي 3: 547، الدرر الكامنة 1: 439.

(2) ينظر ما سبق ص 444.

(3) في جمادى الأولى. البداية والنهاية 18: 485، السلوك 2: 708.

(4) السلوك 2: 712.

القَلْعَةَ، وقَصَدَ أرْغُون شَاه حَاجِي ابنَ النَّاصِرِ فأخْرَجَه مِنْ مُعْتَقَلِه، وجَاءَ بِه، فبَايَعُوهُ ولَقَّبُوهُ المُظَفَّرَ[1]، وَافْتَقَدُوا الكَامِلَ، وتَهَدَّدُوا جَوَارِيَه بالقَتْلِ، فدَلَلْنَ عَلَيْه، وَاعْتُقِلَ مَكَانَ حَاجِي بالدّهيشَة، وقُتِلَ في اليَوْمِ الثَّانِي[2]، وأُطْلِقَ حُسَيْن.

وقَامَ بِأمْرِ المُظَفَّر حَاجِي أرْغُون شَاه والحِجَازِيُّ، وَوَلَّوْا طَقْتَمُر[أ] الأَحْمَدِيَّ نَائِباً بحَلَب، والصَّلَاحِيُّ نَائِباً بحِمْص، *وحُبِسَ جَمِيعُ مَوَالِي الكَامِل*[ب]، وأُخْرِجَ صُنْدُوقٌ[ج] مِنْ بَيْتِ الكَامِلِ، قِيلَ: إنَّ فِيه السُّمَّ، فأُحْرِقَ بِمَشْهَدِ الأُمَرَاءِ.

ثُمّ نَزَعَ المُظَفَّر حَاجِي إلَى الاسْتِبْدَادِ، / كَمَا نَزَعَ أخُوه، فقَبَضَ [عَلَى][د] الحِجَازِيِّ والنَّاصِرِيِّ وقَتَلَهُما لأَرْبَعِينَ يَوماً مِنْ بَيْعَتِه[3]، وعَلَى أرْغُون شَاه وبَعَثَه نَائِبًا إلَى صَفَد[4]، وجَعَلَ مَكَانَ طَقْتَمُر الأَحْمَدِيّ في حَلَبَ بَيْدَمُرَ البَدْرِي[5]، وَوَلَّى عَلَى نِيَابَتِه الحَاجَّ ارقطاي. [360 ب]

وأرْهَفَ حَدَّه في الاسْتِبْدَادِ، فَارْتَابَ الأُمَرَاءُ بِمِصْرَ والشَّامِ، وَانْتَقَضَ اليَحْيَاوِيُّ بِدِمَشْقَ سَنَةَ ثَمَانٍ وأَرْبَعِين، ودَاخَلَه نُوَّابُ الشَّامِ في الخِلَافِ. ووَصَلَ الخَبَرُ إلَى مِصْرَ، فَاجْتَمَعَ الأُمَرَاءُ وتَوَاعَدُوا للرُّكُوبِ، ونُمِيَ الخَبَرُ إلَى المُظَفَّرِ، فَأرْكَبَ مَوَالِيَه مِنْ

(أ) في س: طقطمر. (ب) سقط من س. (ج) في س: صندوق سم. (د) من س.

(1) مستهل جمادى الآخرة 747 هـ. الوافي بالوفيات 11: 238.

(2) ثالث جمادى الآخرة 747 هـ. تذكرة النبيه 3: 90، الوافي بالوفيات 16: 153.

(3) تذكرة النبيه 3: 99.

(4) إلى حلب عوضًا عن بيدمر البدري بحكم عزله وطلبه إلى بمصر (في ربيع الأول 748 هـ). تذكرة النبيه 3: 99.

(5) في أواخر سنة 747 هـ. تذكرة النبيه 3: 91.

جَوْفِ اللَيْلِ وطَافُوا بالقَلْعَةِ، فَامْتَنَعَ الأُمَرَاءُ مِنَ الرُّكُوبِ، وَاسْتَدْعَاهم مِنَ الغَدِ إلَى القَصْرِ، وقَبَضَ عَلَى كُلِّ مَنِ اتَّهَمَه مِنهم بالخِلافِ، وهَرَبَ بَعْضُهم فَأُدْرِكَ بِساحَةِ البَلَدِ، وَاعْتُقِلُوا جَمِيعاً وقُتِلُوا مِنْ تِلْكَ اللَيْلَةِ، وبَعَثَ بَعْضَهم إلَى الشَّامِ وقُتِلُوا بالطَّرِيقِ، وَوَلّى مِنَ الغَدِ مَكَانَهم خَمْسَةَ عَشَرَ أمِيراً. وَوَصَلَ الخَبَرُ إلَى دِمَشْق، فَلاذَ اليَحْيَاوِيُّ بالمُغَالَطَةِ يُخَادِعُ بها، وقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الأُمَرَاءِ.

وكَانَ السُّلْطَانُ المُظَفَّرُ قَدْ بَعَثَ الأمِيرَ أُلْجَيْبُغَا، مِنْ خاصَّتِه، إلَى الشَّامِ، عِنْدَمَا بَلَغَه انْتِقَاضُ يَلْبُغَا اليَحْيَاوِي، يَسْتَطْلِعُ أَخْبَارَه، فَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى طَاعَةِ المُظَفَّرِ وأَغْرَاهم باليَحْيَاوِيِّ حَتّى قَتَلُوهُ[1]، وبَعَثُوا [بِرَأْسِه][أ] إلَى مِصْرَ، وسَكَنَتِ النَّفْرَة، واسْتَوْسَقَ المُلْكُ للمُظَفَّرِ.

مَقْتَلُ المُظَفَّرِ حَاجِي بنِ النَّاصِرِ وبَيعَةُ أخِيه حَسَنِ النَّاصِرِ، ودَوْلَتُه الأُولى

قَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ السُّلْطَانَ بَعَثَ أُلْجَيْبُغَا إلَى الشَّامِ حَتَّى مَهَّدَه ومَحَا آثَارَ الخِلافِ مِنْه، وَرَجَعَ إلَى السُّلْطَانِ سَنَةَ ثَمانٍ وأَرْبَعِينَ وقَدِ اسْتَوْسَقَ أَمْرُه، وكَانَ شَيْخاً مُعَقَّلاً دَاهِيَةً، فَوَجَدَ الأُمَرَاءَ مُسْتَوْحِشِينَ مِنَ السُّلْطَانِ ومُنْكِرِينَ عَلَيْه اللعِبَ

(أ) في ظ: به برأسه.

---

(1) قبض عليه الأمير قطليجا نائب حماة.... ثم خرج الأمير منجك السلحدار لقتله، فوجده قد نزل بقاقون، فصعد منجك مع يلبغا إلى قلعتها وقتله. السلوك 2: 733، البداية والنهاية 18: 495 - 496، الوافي بالوفيات 29: 41 - 42.

بالحَمام، فتنَصَّحَ لَه بِذَلك، يُرِيدُ إقْلَاعَهُ عَنْه، فَسَخِطَ ذَلِك مِنْه، وأَمَرَ بالحَمام فَذُبِحَتْ كُلُّها، وقَالَ لأُلْجَيْبُغا: أنَا أذْبَحُ خِيَارَكُمْ كَما ذَبَحْتُ هَذه، فاسْتَوْحَش أُلْجَيْبُغا، وغَدَا عَلَى الأُمَرَاءِ والنَّائِبِ[1].

فَاجْتَمَعَ بَيْبُغَا رُوس[2] وطَاز ومَعَهم أَسُنْبُغَا، وثَارُوا بالسُّلْطَان، / وخَرَجُوا إلَى [136ا] قُبَّةِ النَّصْرِ، ورَكِبَ المُظَفَّرُ فِي مَوَالِيه، والأُمَرَاءُ الذِين مَعَه قَدْ دَاخَلُوا الآخَرِين فِي الثَّوْرَة، ورَأْيُهم وَاحِدٌ فِي خَلْعِه، فبَعَثَ إلَيهِمُ الأَمِيرَ شَيْخُو يَتَلَطَّفُ بِهِم فَأَبَوْا إِلَّا خَلْعَه، فَجَاءَه بالخَبَرِ، ثُمّ رَجَعَ إلَيهم وزَحَفَ مَعَهم، ولَحِقَ بِه[ا] الأُمَرَاءُ الذِين مَعَ السُّلْطَانِ المُظَفَّر عِنْدَمَا تَوَرَّطَ فِي اللِّقَاءِ، وحَمَلَ عَلَيْه بَيْبُغَا رُوس فَأَسْلَمَه أَصْحَابُه، وأَمْسَكَه بِيَدِه فَذَبَحَه فِي تُرْبَةِ أُمِّهِ[3] خَارِجَ القَلْعَةِ، ودُفِنَ هُنَاك، ودَخَلُوا القَلْعَةَ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَة[4].

وأَقَامُوا عَامَّةَ يَومِهم يَتَشَاوَرُونَ فِيمَنْ يُوَلُّونَه حَتَّى هَمَّ أَكْثَرُ المَوَالِي بالثَّوْرَةِ والرُّكُوبِ فِي قُبَّةِ النَّصْرِ، فَحِينَئِذٍ بَايَعُوا حَسَنًا ابنَ المَلِكِ النَّاصِرِ ولَقَّبُوه النَّاصِرَ بِلَقَبِ أَبِيه[5]، فَوَكَّلَ بِأَخِيه حُسَيْنٍ، وأَخَذَ مَوَالِيَهُ لِنَفْسِه، ونَقَلَ المَالَ الَّذِي بالحَوْشِ فَوَضَعَه بالخِزَانَةِ.

(ا) في س: بهم.

---

(1) ينظر السلوك 2: 741 - 742.

(2) في الوافي بالوفيات 10: 356: بيبغا آروس.

(3) تربة آقسنقر الرومي تحت الجبل. السلوك 2: 744، وفي الوافي بالوفيات 11: 239: ودخلوا به إلى تربة هناك وقضى الله أمره فيه.

(4) ينظر الوافي بالوفيات 11: 237.

(5) في يوم الثلاثاء رابع عشري رمضان 748 هـ. السلوك 2: 745.

وقامَ بالدَّوْلَة سِتَّةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ، وهُم: شَيْخُو، وطَاز، وأَلْجَيْبُغَا، وأحْمَد شَاد الشُّرَبْخَانَاه، وأَرْغُونُ الإسْمَاعِيلِي، والمسْتَبِدُّ عَلَيْهِم جَمِيعاً بَيْبُغَا رُوس، ويُعْرَفُ بالقَاسِمِي، فَقَتَلَ مَلِكْتَمُر الحِجَازِيّ وآقْسُنْقُر [النَّاصِرِيّ][1] القَائِمَيْنِ بِدَوْلَة المُظَفَّر بمَحْبِسِهِمَا بالقَلْعَةِ[2]، وَوَلَّى بَيْبُغَا رُوس نَائِبًا بِمِصْرَ مَكَانَ أَرقْطَاي، وأَرْغُون شَاه نائِباً بحَلَبَ مَكَانَ بَيْدَمُر البَدْرِي، ثُمَّ نَقَلَه إِلَى دِمَشْقَ [لِبَقَائِها](أ) فَوْضَى مُنْذُ مَقْتَلِ اليَحْيَاوِي، وَوَلَّى مَكَانَه بحَلَبَ أَيَاس[3] النَّاصِرِيَّ.

ثُمَّ تَقَبَّضَ بَيْبُغَا رُوس عَلَى رَفِيقِه أَحْمَد شَادّ الشُّرَابْخَانَاه وغَرَّبَه إِلَى صَفَد، وأَبْعَدَ أَلْجَيْبُغَا مِنْ رِفْقَتِه وبَعَثَه نَائِباً عَلَى طَرَابُلُس، وبَعَثَ أَرْغُونَ الإسْمَاعِيلِيّ مِنْهُم نَائِباً عَلَى حَلَب.

وفي هَذه السَّنَة وَقَعَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَ بَني مُهَنَّا بن عِيسَى وبَني فَضْل بن عِيسَى، وكَانَتِ الإِمَارَةُ لسَيْف بنِ فَضْل، فَجَمَعَ له فَيَّاضُ بنُ مُهَنَّا، ولَقِيَه فَهَزَمَه[4]، وَوَفَدَ أَحْمَدُ أَخُوه عَلَى السُّلْطَانِ فَوَلَّاه إِمَارَةَ العَرَبِ، وهَدَأَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَهم، ثُمَّ هَلَكَ سَنَةَ تِسْعٍ وأَرْبَعِينَ بَعْدَهَا[5]، وَوَلِيَ أَخُوه فَيَّاضٌ[6]، كَمَا مَرَّ في أَخْبَارِهِم[7].

(أ) في ظ: للقائها.

---

(1) من الدرر الكامنة 1: 422.
(2) في ربيع الآخر 748 هـ. الدرر الكامنة 1: 422.
(3) إياز، الأمير فخر الدين السلاح دار الناصريّ. الوافي بالوفيات 8: 354.
(3) وحصل بين فياض بن مهنا وسيف بن فضل محاربة على سلمية (748 هـ). تذكرة النبيه 3: 98.
(4) تذكرة النبيه 3: 129.
(5) توجه (فياض) إلى مِصْرَ لأخذ الإمرة، فحضر جماعة من التجار المسافرين وشكوا منه، وادعوا أنه نهب أموالهم، فقبض عليه وسجن، ثم ولي إمرة العرب حيار بن مهنا. تذكرة النبيه 3: 130.
(6) ينظر ما سبق ص 427.

مَقتَلُ أرغُون شاه نائب دِمَشق

[361ب] /كان خبرَ هذه الواقِعةِ الغريبةِ أنّ ألجيبُغا لمّا بعثوه نائباً على طرابُلُس، سارَ صُحبَتَه أياس(1) الحاجبُ نائباً على حلَبَ سنةَ خمسين، وانتهَوا إلى دِمَشق، ونَما إلى ألجيبُغا عنْ أرغونَ شاه أنّه تعرّضَ لِبَعضِ حُرَمِه في صَنيعٍ جَمَعَ فيه نِساءَ(أ) أهلِ الدّولةِ بدِمَشق، فرَكِبَ إليه ليلاً(2) وطرَقَه في بيتِه، فلمّا خرَجَ إليه قبَضَ عليه وذَبَحه في ربيعِ [الأوّل](3)، وصَنَعَ مَرسوماً سُلطانياً دافَعَ به النّاسَ والأمراءَ، واستَصفى أموالَه، ولَحِقَ بطَرابُلُس، وجاءَ الأمرُ مِن مِصرَ لاتّباعِه(ب) وإنكارِ المرسومِ الّذي أظهرَ(ج)، فخرَجَتِ العَساكرُ مِن دِمَشق(4)، وقبَضوا على ألجيبُغا وأياس الحاجبِ بطَرابُلُس، وجاءوا بهما إلى مِصرَ فقُتِلا بها(5)، ووَلِيَ أيتَمُش النّاصِريُّ نِيابةَ دِمَشقَ مكانَ أرغون شاه، وأرغونُ الكامِليُّ حلَبَ(6)، وذلك في جُمادى [الآخِرةِ سنةَ](7) خمسين.

وأصلُ أرغون شاه مِن بِلادِ [الصّين](د)، جُلِبَ إلى السُّلطان أبي سَعيدٍ مَلِكِ الطَّطَرِ ببَغداد، فأعطاه للأميرِ خواجا ابنِ نائبِه جوبان المُلقّبِ بدِمَشق،

(أ) في س: نسوان. (ب) في س: باتباعه. (ج) في س: ظهر. (د) من س، وفي ط: الروم.

---

(1) هو إياس الناصريّ.

(2) ليلة الخميس الثالث والعشرين. البداية والنهاية 18: 512، الوافي بالوفيات 8: 354.

(3) من البداية والنهاية 18: 512، الدرر الكامنة 1: 373.

(4) سادس ربيع الآخر. البداية والنهاية 18: 514.

(5) وعلقا على الخشب بسوق الخيل بدمشق. تذكرة النبيه 3: 136، وينظر أيضا: البداية والنهاية 18: 512؛ الدرر الكامنة 1: 434.

(6) دخل أرغون الكاملي حلب خامس عشر شهر رجب. الوافي بالوفيات 8: 356.

(7) من المصدر السابق 9: 482.

وأهْدَاه خَواجًا[1] للمَلِكِ النّاصِرِ فَحَظِيَ عِنْدَه وقَدَّمَه رَأسَ نَوْبَةٍ، وزَوَّجَه بِنْتَ آقْبُغَا عَبْدِ الوَاحِدِ، ثُمَّ ولاّه الكَامِلُ [شَعْبَانُ][2] أُسْتَاذَارًا، ثُمَّ عَظُمَت رُتْبَتُه أيّامَ المُظَفَّرِ وجُعِلَ نَائِبًا في صَفَد، ثُمَّ في حَلَب، ولَمّا حُبِسَ يَلْبُغَا اليَحْيَاوِيُّ في دِمَشْقَ بِسِعَايَةِ أَلْجَيْبُغَا، كَمَا مَرَّ، وَلِيَ أَرْغُونُ شَاه بِدِمَشْق مَكَانَه[3].

نَكْبَةُ بَيْبُغَا رُوس

ثُمّ إنَّ السُّلْطَانَ حَسَناً النّاصِرَ(أ) شَرَعَ في الاسْتِبْدَادِ، وقَبَضَ عَلَى مَنْجَك اليُوسُفِيِّ أُسْتَاذَارِه وعَلَى شَيْخُو[4]، وَاعْتَقَلَهُما مِنْ غَيْرِ مَشُورَةِ بَيْبُغَا رُوس ولاَ أَصْحَابِه، وكَانَ لِمَنْجَكَ اخْتِصَاصٌ بِبَيْبُغَا رُوس وأُخُوّةٌ مَعَه(ب)، فَارْتَابَ، وَاسْتَأْذَنَ السُّلْطَانَ في الحَجِّ هُوَ وطَاز، فَأَذِنَ لَهُما، ودَسَّ إلَى طَاز بالقَبْضِ عَلَى بَيْبُغَا رُوس وسَارَا لِشَأْنِهِما، فَلَمّا نَزَلا بالَيَنْبُع قَبَضَ طَاز عَلَى بَيْبُغَا رُوس[5]، فَجَزِعَ ورَغِبَ إلَيْه أَنْ يَتْرُكَه يَحُجُّ مُقَيَّداً فَتَرَكَه، فَلَمّا قَضَى فَرْضَه ورَجَعُوا، حَبَسَه طَاز بالكَرَكِ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ، وأَفْرَجَ عَنْه بَعْدَ ذَلِكَ[6]، وَوَلِيَ نِيَابَةَ حَلَب[7]، وانْتَقَضَ بِها كَمَا نَذْكُرُ / بَعْد. [362 أ]

(أ) في س: الناصر حسن. (ب) سقط من س.

---

(1) ارتجع بوسعيد الأمير سيف الدين أرغون شاه، ثم بعثه إلى الملك الناصر. الوافي بالوفيات 8: 352.

(2) من المصدر المتقدم 8: 352.

(3) سابع عشر جمادى الآخرة 748 هـ. الوافي بالوفيات 8: 353.

(4) وذلك سنة 751 هـ. تذكرة النبيه 3: 144.

(5) في سادس عشرين القعدة 751 هـ الوافي بالوفيات 8: 357.

(6) في رجب 752 هـ. السلوك 2: 849 – 850.

(7) تاسع عشر (رجب 752 هـ). السلوك 2: 850.

وبلَغَ خبَرُ اعْتِقَالِه إلَى أحْمَدَ [مِشَدّ](أ) الشَّرابْخاناه بِصَفَدَ فانْتَقَضَ، وجَهَّزَ السُّلْطَانُ إلَيْه العَسَاكِرَ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْه وجِيءَ بِه إلَى مِصْرَ، فَاعْتُقِلَ بالإسْكَنْدرِيَّة، وقَامَ بالدَّوْلَة مُغْلْطَاي مِنْ أُمَرائِها.

واقِعَةُ المُجَاهِد مَلِكِ اليَمَن بمَكَّةَ واعتِقَالُهُ ثُمَّ انطِلاقُه

كَان مَلِكُ اليَمَنِ، وهُوَ المُجاهِدُ عَلِيُّ بنُ دَاوُدَ المُؤَيَّد، قَدْ جَاءَ إلَى مَكَّةَ حَاجّاً سَنَةَ إحْدَى وخَمْسِين[1]، وهِيَ السَّنَةُ الّتِي حَجَّ فِيها طَاز، وشَاعَ في النّاسِ عَنه أنّه يَرُومُ كِسْوَةَ الكَعْبَة، فَتَنَكَّرَ وَافِدُ المِصْرِيِّينَ لِوَافِدِ اليَمَن، وَوَقَعَتْ في بَعْضِ الأيّامِ هَيْعَةٌ في رَكْبِ الحَاجّ، فَتَحَارَبُوا وَانْهَزَمَ المُجاهِد، وكَان بَيْبُغَا رُوس مُقَيَّداً فَأَطْلَقَه طَاز وأرْكَبه لِيَسْتَعِينَ بِه، فَجَلَّى في تِلْكَ الهَيْعَةِ، وأُعِيدَ إلَى اعْتِقَالِه، ونُهِبَ حَاجُّ اليَمَنِ، وقُيِّدَ المُجاهِدُ إلَى مِصْرَ فَاعْتُقِلَ بِها[2] حَتّى أُطْلِقَ في دَوْلَة الصَّالِح سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسِين، وتَوَجَّه مَعَه قُشْتُمُر المَنْصُورِيُّ لِيُعِيدَه إلَى بِلَادِه، فَلَمّا انْتَهَى إلَى اليَنْبُع أُشِيعَ عَنه أنّه هَمَّ بالهَرَبِ، فَقَبَضَ عَلَيْه قُشْتُمُر المَنْصُورِي وحَبَسَه بالكَرَكِ[3]، ثُمّ أُطْلِقَ بَعْدَ ذَلِك وعَادَ إلَى مُلْكِه[4].

(أ) في ظ: أمشد.

---

(1) الذهب المسبوك 114 – .

(2) السلوك 2: 831 – 832.

(3) المصدر نفسه 2: 839 - 840.

(4) في ذي الحجة 752 هـ. المنهل الصافي 8: 79، السلوك 2: 852.

خَلْعُ حَسَنٍ النَّاصِرِ وَوِلايَةُ أَخِيهِ الصَّالِحِ

لَمَّا قَبَضَ السُّلْطَانُ حَسَنٌ عَلَى بَيْبُغَا رُوس وحَبَسَه، وتَنَكَّرَ لأَهْلِ دَوْلَتِه، ورَفَعَ عَلَيهِم مُغُلْطَاي وَاخْتَصَّه، اسْتَوْحَشُوا لِذَلِكَ وتَفَاوَضُوا، وداخَلَ طَاز، وهُوَ كَبِيرُهم يَوْمَئِذٍ، جَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ في الثَّوْرَةِ، وأَجَابَه إلَى ذَلِكَ(أ) بَيْغَرَا وبَيْبُغَا الشَّمْسِيُّ(ب) في آخَرِينَ، واجْتَمَعُوا لِخَلْعِه، ورَكِبُوا في جُمَادَى [الآخِرَةِ(1)] سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسِينَ فَلَمْ يُمَانِعْهم أحَدٌ، ومَلَكُوا أَمْرَهم ودَخَلُوا القَلْعَةَ.

وقَبَضَ طَاز عَلَى حَسَنٍ النَّاصِرِ وَاعْتَقَلَه، وأَخْرَجَ أَخَاه صَالِحاً مِن اعْتِقَالِه، فَبَايَعَ لَه ولَقَّبَه الصَّالِحَ، وقَامَ بِحَمْلِ الدَّوْلَة، وأَخْرَجَ بَيْبُغَا الشَّمْسِيَّ إلَى دِمَشْق، وبَيْغَرَا إلَى حَلَبَ، أَمِيرَيْنِ، وانفَرَدَ بالأَمْرِ.

ثُمَّ نَافَسَه [أُمَرَاءُ](ج) الدَّوْلَة، وَاجْتَمَعُوا عَلَى الثَّوْرَةِ بِه، وتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ [362ب] مُغُلْطَاي ومَنْكَلِي بُغَا / الفَخْرِيُّ، ورَكِبُوا فِيمَنِ اجْتَمَعَ إلَيهِم(د) إلَى قُبَّةِ النَّصْرِ لِلحَرْبِ، فرَكِبَ طَاز وسُلْطَانُه(هـ) الصَّالِحُ في جُمُوعِه وحَمَلَ عَلَيهم فَفَضَّ جَمْعَهم(و) وأَثْخَنَ فِيهِم، وقَبَضَ عَلَى مُغُلْطَاي ومَنْكَلِي فحَبَسَهما بالإسْكَنْدَرِيَّة، وأَفْرَجَ عَن مَنْجَك •وعَنْ شَيْخُو•(ز) وجَعَلَه أَتَابِكَ العَسَاكِرِ وأَشْرَكَه في سُلْطَانِه، ووَلَّى سَيْفَ الدِّين قُبْلَاي النِّيَابَة، واخْتَصَّ صَرْغَتْمُش ورَقَّاه في الدَّوْلَة، وقَبَضَ عَلَى أَيْتَمُش المحَمَّدِيّ نَائِبِ

(أ) في س: جماعة من الأمراء. (ب) في س: بيبغا الشمسي وبيغرا. (ج) من س، وفي ظ: أهل. (د) في س: عليهم.
(هـ) في س: فركب السلطان. (و) في س: جموعهم. (ز) ما بين النجمين بياض في س.

(1) من تذكرة النبيه 3: 147.

دِمَشْق، ونَقَلَ إلَيها مَكَانَه أرْغُون الكَامِلِيّ مِن حَلَب، وأفْرَجَ عَنْ بَيْبُغَا رُوس مِنَ الكَرَكِ وبَعَثَه مَكَانَه عَلَى حَلَبَ[1]، ثُمّ تَغَيَّرَ مَنْجَكُ وَاخْتَفَى بالقَاهِرَة.

انتِقَاضُ بَيْبُغَا رُوس واستِيلاؤُه عَلَى الشَّام، ومَسِيرُ السُّلطَان إليه، ومَقْتَلُه

قَد تَقَدَّمَ لَنا ذِكْرُ بَيْبُغَا رُوس وقِيَامِه بِدَوْلَةِ حَسَن الأُولَى ونَكْبَتِه في طَرِيقِه إلَى الحَجِّ[أ] وحَبْسِه بالكَرَكِ. ولَما أطْلَقَه طَاز وَوَلَّاه عَلَى حَلَبَ أدْرَكَتْه المُنَافَسَةُ والغَيْرَةُ مِن طَاز وَاسْتِبْدَادِه بالدَّوْلَة، فَحَدَّثَتْه نَفْسُه بالخِلَافِ، ودَاخَلَ نُوّابَ الشَّام في ذَلِك، فَوَافَقَه: بَكْلَمِش نَائِبُ طَرَابُلُس، وأحْمَد شَادّ الشَّرَابْخَانَاه نَائِبُ حَمَاة، وألْطُنْبُغَا بِرْنَاق نَائِبُ صَفَد، وخَالَفَه أرْغُونُ الكَامِلِيّ نَائِبُ دِمَشْق وتَمَسَّكَ بالطَّاعَةِ، وتَعَاقَدَ هَؤلاءِ عَلَى الخِلَافِ إلَّا أنْ يَعْزِلَ طَاز وشَيْخُو و[صَرْغَتْمُش][ب]، وذَلِك في رَجَبِ ثَلاثٍ وخَمْسِين[2].

ثُمّ دَعَا بَيْبُغَا رُوسُ العَرَبَ والتُّرْكُمَانَ إلَى المُوَافَقَة، فَأجَابَه قَارَا[3] بنُ مُهَنّا مِنَ العَرَبِ، وقَرَاجَا بنُ دُلْغَادِر[ج] مِنَ التُّرْكُمَانِ في جُمُوعِهِمَا، وبَرَزَ مِنْ حَلَبَ[4] يَقْصِدُ

(أ) في س: في طريق الحج.   (ب) في ظ: طرغتمش.   (ج) في س: ذو الغادر.

---

(1) في أوائل شهر رمضان 752 هـ. تذكرة النبيه 3: 148.

(2) تذكرة النبيه 3: 158.

(3) في السلوك 2: 868: حيار بن مهنا.

(4) في ثالث عشر رجب 753 هـ. تذكرة النبيه 3: 158.

دِمَشْقَ فَأَجْفَلَ عَنها النَّائِبُ أَرْغُونُ [الكَامِلِيُّ](أ) إِلَى غَزَّة(ب)، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيها الْجَيْبُغَا العَادِلِيَّ، وَوَصَلَ بَيْبُغَا رُوس فَمَلَكَهَا، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ القَلْعَةُ فَحَاصَرَها، وكَثُرَ العَيْثُ مِنْ عَسَاكِرِه فِي البَلَدِ والقُرَى، وسَارَ السُّلْطَانُ الصَّالِحُ وأُمَرَاءُ الدَّوْلَة مِنْ مِصْرَ فِي العَسَاكِرِ شَهْرَ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَة، وأَخْرَجَ مَعَه الخَلِيفَةَ المُعْتَضِدَ أَبَا الفَتْحِ أَبَا بَكْرِ بنَ [363 أ] المُسْتَكْفِي، وعَثَرَ بَيْنَ يَدَيْ خُرُوجِه / عَلَى مُنَجِّك بِبَعْضِ البُيُوتِ لِسَنَةٍ مِنَ اخْتِفَائِه، فَبَعَثَ بِه [صُرْغَتْمُش](ج) إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُعْتَقَلاً.

وبَلَغَ خُرُوجُ السُّلْطَان [مِنْ](د) مِصْرَ، فَأَجْفَلَ بَيْبُغَا رُوس عَنْ دِمَشْق، وثَارَ العَوَامُّ بالتُّرْكُمَانِ فَأَثْخَنُوا فِيهِم، وَوَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ وَنَزَلَ بالقَلْعَةِ، وجَهَّزَ العَسَاكِرَ فِي اتِّبَاعِ بَيْبُغَا رُوس فَجَاءُوا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الأُمَرَاءِ الذِينَ مَعَه، فَقَتَلَ السُّلْطَانُ بَعْضَهم ثَالِثَ الفِطْرِ وحَبَسَ البَاقِين، وَوَلَّى عَلَى دِمَشْقَ أَمِيرَ عَلِيَّ المَارِدَانِيَّ، ونَقَلَ مِنها أَرْغُونَ الكَامِلِيَّ إِلَى حَلَبَ، وسَرَّحَ العَسَاكِرَ فِي طَلَبِ بَيْبُغَا رُوس مَعَ تُقُطَاي(1) الدَّوَادَارِ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ فَدَخَلَهَا فِي ذِي القَعْدَة مِنَ السَّنَة.

وسَارَ تُقُطَاي فِي طَلَبِ بَيْبُغَا رُوس وأَصْحَابِه فَأَوْقَعَ بِهِم، وتَقَبَّضَ عَلَى بَيْبُغَا رُوس وأَحْمَدَ وبَكْلَمِش وقَتَلَهُم، وبَعَثَ بِرُءُوسِهم إِلَى مِصْرَ أَوَائِلَ أَرْبَعٍ وخَمْسِين(2).

(أ) من س. (ب) سقط من س. (ج) من س، وفي ط: صلغتمش. (د) من س.

---

(1) في السلوك 2: 870: طقطاي.

(2) تنظر مقامة "مروج الغروس في خروج بيبغا روس" لابن حبيب الحلبي، مخطوط بمكتبة خدابخش بتنه بالهند، ومنها صورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم 1224 تاريخ، والأجزاء التي وردت منها في كل من درة الأسلاك، وتذكرة النبيه 3: 159، وينظر السلوك 2: 886، 891.

وأوْعَزَ السُّلْطَانُ إلَى أرْغُونَ الكَامِلِيِّ نَائِبِ حَلَبَ بِأنْ يَخْرُجَ فِي العَسَاكِرِ لِطَلَبِ قَرَاجَا بنِ دُلْغَادِرِ مُقَدَّمِ التُّرْكُمَان، فَسَارَ[1] إلَى بَلْدَةِ البِلِسْتِين فوَجَدَها مُقْفِرَةً، وقَدْ أجْفَلَ عَنْها، فهَدَمَها أرْغُون، وتَبِعَه[أ] إلَى بِلادِ الرُّومِ، فلَمَّا أحَسَّ بِهِم أجْفَلَ ولَحِقَ بابنِ أرْتَنَا[2] قَائِدِ المُغُل في سِيوَاس، ونَهَبَ العَسَاكِرُ أحْيَاءَه واسْتَاقُوا مَوَاشِيَهُ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْه ابنُ أرْتَنَا وبَعَثَ بِه إلَى مِصْرَ فَقُتِلَ بها[3]، وسَكَنَتِ الفِتْنَةُ، وأُطْلِقَ المُعْتَقَلُونَ بالإسْكَنْدَرِيَّة، وتَأخَّرَ مِنْهم مُغُلْطَاي ومَنْجَكُ أيَّاماً، ثُمَّ أُطْلِقَا وغُرِّبَا إلَى الشَّام.

وَاقِعَةُ العَرَبِ بالصَّعِيد

وفي أثْنَاءِ هَذِه الفِتَن[ب] كَثُرَ الفَسَادُ مِنَ العَرَبِ[ج] بالصَّعِيدِ وعَيْثُهم، وانْتَهَبُوا الزُّرُوعَ والأمْوَالَ، وتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ الأحْدَبُ[4]، وكَثُرَتْ جُمُوعُه، فَخَرَجَ السُّلْطَانُ فِي العَسَاكِرِ سَنَةَ أرْبَعٍ وخَمْسِينَ ومَعَه طَاز، وسَارَ شَيْخُو فِي المُقَدِّمَة، فَهَزَمَ العَرَبَ، واسْتَلْحَمَ جُمُوعَهم، وامْتَلأتْ أيْدِي العَسَاكِرِ بِغَنَائِمِهِم، وخَلَصَ للسُّلْطَان مِنَ الظَّهْرِ والكُرَاعِ والسِّلاحِ مَا لَا يُعَبَّرُ عَنْه، وأسَرَ جَمَاعَةً مِنْهُم فَقُتِلُوا، وهَرَبَ[د] الأحْدَبُ

(أ) في س: وأتبعه. (ب) في س: الفتنة. (ج) في س: فساد العرب. (د) في س: وهربو.

---

(1) في جمادى الأولى 754 هـ. تذكرة النبيه 3: 171.

(2) في تذكرة النبيه 3: 171: الأمير حاجي بك ابن الأمير أرتنا صاحب الروم.

(3) في الوافي بالوفيات 24: 260، تذكرة النبيه 3: 171 – 172: في ذي القعدة 754 هـ.

(4) واسمه محمد بن واصل، السلوك 2: 908.

[363 ب] حَتّى استَأمَنَ بَعْدَ[أ] رُجُوعِ / السُّلْطَان، فَأمَّنه عَلَى أنْ يَمْتَنِعُوا مِنْ رُكُوبِ الخَيْلِ وحَمْلِ السِّلاحِ ويُقْبِلُوا عَلَى الفِلاحَة[1].

خَلْعُ الصَّالِح، ووِلايةُ حَسَن النَّاصِرِ الثَّانِيَة

كَان شَيخُو أتابِكُ العَسَاكِرِ قَدِ ارْتَابَ بِصَاحِبِه طَاز، ودَاخَلَ الأُمَرَاءَ في الثَّوْرَةِ بالدَّوْلَة، وتَرَبَّصَ بِها إلَى أنْ خَرَجَ طَاز سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسِين إلَى البُحَيْرَة مُتَصَيِّدًا، ورَكِبَ إلَى القَلْعَةِ فَخَلَعَ [السُّلْطَانَ][ب] الصَّالِحَ[2] ابنَ بِنْتِ تَنْكِز، وقَبَضَ عَلَيْه وألْزَمَه بَيْتَه، لِثَلاثِ سِنِينَ كَوَامِلَ[3] مِنْ دَوْلَتِه[ج]، وبَايَعَ لِحَسَنٍ النَّاصِرِ أخِيه، وأعَادَه إلَى كُرْسِيِّه[4]، وقَبَضَ عَلَى إخْوَة طَاز واسْتَدْعَاه مِنَ البُحَيْرَة فَبَعَثَه إلَى حَلَبَ نَائِباً، وعَزَلَ أرْغُونَ الكَامِلِيَّ فَلَحِقَ بدِمَشْقَ حَتّى تَقَبَّضَ عَلَيْه سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِين، وَسِيقَ إلَى الإسْكَنْدَرِيَّة فَحُبِسَ بِها، وكُحِلَ بَعْدَ ذَلِك[5].

وبَلَغَ الخَبَرُ بوَفَاة أيْتَمُش المحَمَّدِيّ[6] نَائِب طَرَابُلُس، فَوَلَّى مَكَانَه مَنْجَك.

واسْتَبَدَّ شَيخُو بالدَّوْلَة، وتَصَرَّفَ بالأمْرِ والنَّهْي، وَوَلَّى عَلَى مَكَّةَ عَجْلانَ بنَ رُمَيْثَة وأفْرَدَه بإمَارَتِها، وكَانَتْ لَه الوِلايَةُ والعَزْلُ والحَلُّ والعَقْدُ سَائِرَ أيَّامِه، وَاعْتَمَدَه

(أ) في س: من بعد. (ب) من س. (ج) في س: من ولايته.

---

(1) السلوك 2: 916.

(2) في تذكرة النبيه 3: 175: في شوال منها.

(3) في تذكرة النبيه 3: 175: ثلاث سنين وثلاثة أشهر.

(4) في السلوك 3: 1: في يوم الاثنين ثاني شهر شوال 755 هـ.

(5) توفي الأمير أرغون الكاملي بالقدس، ودفن في التربة التي بناها لنفسه، في شوال 758 هـ. تذكرة النبيه 3: 206.

(6) في تذكرة النبيه 3: 177: توفي في رمضان منها 755 هـ.

المُلوكَ مِن النَّواحِي شَرْقاً وغَرْباً بالمخاطَبات، وكَان رَديفه في حَمْلِ الدَّولَة صَرْغَتْمُش[1] مِنْ مَوالِي السُّلْطَان.

مَهلِكُ شَيخُو ثُمَّ صَرْغَتمُش بَعدَه، واستِبدادُ النَّاصِر بأمرِه

لَم يَزَلْ شَيخُو مُستَبِدّاً بالدَّولَة وكَافِلاً للسُّلْطان حَتّى وَثَبَ عَلَيه يَوماً بَعضُ المَوالي[2] بِمَجْلِس السُّلْطَان في دَارِ العَدْلِ في [ثَامِنِ][3] شَعْبَانِ ثَمانٍ وخَمْسِين، اعْتَمَدَه في دُخُولِه مِنْ بَابِ الإيوَان وضَرَبَه بالسَّيْف ثَلاثاً أَصَابَ بِها وَجهَهُ ورَأسَهُ وذِرَاعَيه فخَرَّ لليَدَيْن[4]، ودَخَلَ السُّلْطَانُ بَيْتَه وَانفَضَّ المَجْلِس، وَاتَّصَلَتِ الهَيْعَةُ بالعَسْكَرِ خَارِجَ القَلْعَةِ فَاضْطَرَبُوا، وَاقْتَحَمَ مَوَالِي شَيْخُو القَلْعَةَ إِلَى الإيوَان [يَتَقَدَّمُهم][أ] خَلِيلُ بنُ قُوصُون، [وكَان][ب] رَبِيبَه، لأَنَّ شَيْخُو تَزَوَّجَ بِأُمِّه بِنْتِ المَلِك النَّاصِر، فَاحْتَمَلَ شَيْخُو إِلَى مَنْزِلِه، وأَمَرَ النَّاصِرُ بِقَتْلِ المَمْلُوكِ •الَّذِي ضَرَبَه•[ج] فَقُتِلَ لِيَوْمِه ثُمَّ عَادَه النَّاصِرُ مِنَ الغَدِ، وتَنَصَّلَ مِنَ الرِّيبَةِ / لأَمْرِه[د]، وأَقَامَ شَيْخُو عَلِيلاً إِلَى أَنْ هَلَكَ فِي [خَامِسِ عِشْرِينَ][5] ذِي القَعْدَة مِنَ السَّنَة، وهُو أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ الأَمِيرَ الكَبِيرَ بِمِصْرَ[6].

(أ) من س، وفي ظ: يقدمهم. (ب) من س، وفي ظ: وكانت. (ج) سقط من س. (د) بأمره: في س.

---

(1) في الأصول: صلغتمش، وهو صرغتمش بن عبدالله الناصريّ، ينظر المنهل الصافي 6: 342.

(2) يقال له: قطلوخجا السلحدار. المنهل الصافي 6: 261.

(3) من السلوك 3: 33، المنهل الصافي 6: 261.

(4) من مثل يضرب للشماتة بمن سقط، يقال: خرّ صريعاً لليدين وللفم.

(5) من السلوك 3: 34، وورد: في سادس عشر ذي القعدة... وقيل: في ذي الحجة. المنهل الصافي 6: 261.

(6) السلوك 3: 34، وينظر المنهل الصافي 6: 260.

وَاسْتَقَلَّ صَرْغَتْمُش رَدِيفُه بِحَمْلِ الدَّوْلَة، وبَعَثَ عَنْ طَاز فأمْسَكَه بحَلَب وحَبَسَهُ بالإسْكَنْدَرِيَّة[1]، وَوَلَّى مَكَانَه أمير عَلِيّ المَارِدَانِي[2]، نَقَلَه إلَيها مِنْ دِمَشْق، وَوَلَّى مَكَانَه بِدِمَشْق مَنجَك اليُوسُفِيّ، ثُمّ تقَبَّضَ السُّلْطَانُ عَلَى صَرْغَتْمُش في رَمَضَانِ تِسْعٍ وخَمْسِين، وعَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الأُمَرَاءِ مَعَه، مِثْلَ: تُنْطَاي النَّوَادار، وطُشْتُمُر القَاسِمِيّ الحَاجِب(أ)، وأَلْطُنْبُغَا المَاجَارِي، وخَلِيلِ بن قُوصُون، وقَجَا السِّلَحْدَار، وغَيْرِهم، وَاضْطَرَبَ مَوَالِيهِ ورَكِبُوا في سَاحَةِ القَلْعَةِ، وقَاتَلُوا مَمَالِيكَ السُّلْطَان صَدْرَ نَهَارٍ، ثُمّ انْهَزَمُوا وقُتِلُوا، وَاعْتُقِلَ صَرْغَتْمُش وجَمَاعَةُ المَنْكُوبِين بالإسْكَنْدَرِيَّة، وقُتِلَ بِمَحْبِسِه لِسَبْعِين يَوماً[3]، وتَخَطَّتِ النَّكْبَةُ إلَى أَصْحَابِه وشِيَعِه مِنَ الأُمَرَاءِ والقُضَاةِ والعُمَّالِ، وكَانَ الَّذِي تَوَلَّى نَكْبَةَ هَؤُلاءِ كُلّهم بِأمْرِ السُّلْطَان مَنْكَلِي بُغَا الشَّمْسِيّ.

ثُمّ اسْتَبَدَّ السُّلْطَانُ بِمُلْكِه وَاسْتَوْلَى عَلَى أمْرِه، وقَدَّمَ مَمْلُوكَه يَلْبُغَا العُمَرِيّ وجَعَلَه أمِيرَ ألْف، وأقَامَ في الحِجَابَةِ ألْجَاي اليُوسُفِيّ، ثُمّ بَعَثَه إلَى دِمَشْق حَاجِباً، وَاسْتَقْدَمَ مَنجَك مِنْ(ب) دِمَشْق، فلَمَّا انْتَهَى إلَى غَزَّةَ اسْتَرَابَ وَاخْتَفَى، فَوَلَّى النَّاصِرُ مَكَانَه بدِمَشْق أمِيرَ عَلِيّ المَارِدَانِي، نَقَلَه مِنْ حَلَب، ووَلَّى عَلَى حَلَبَ سَيْفَ الدِّين بَكْتَمُر المُؤْمِنِيّ[4]، ثُمّ أدَالَ [مِنْ](ج) عَلِيّ المَارِدَانِيّ في دِمَشْق بأسَنْدَمُر الزَّيْنِيّ، ومِنَ

(أ) في س: وطشتمر الحاجب القاسمي. (ب) في س: نائب. (ج) من س، وفي ظ: أميره.

(1) أمسك بدمَشْق، وجهز إلى الكرك مقيداً منفرداً، فاعتقل بقلعتها حسب الأمرالسلطاني سنة 759 هـ، تذكرة النبيه 3: 177، السلوك 3: 40.

(2) منجك (في ربيع الأول 759 هـ)، ثم ولي منجك نيابة السلطنة في دِمَشْق (في جمادى الآخرة)، وولي مكانه بحلب أمير علي الماردينى. تذكرة النبيه 3: 212، السلوك 3: 40، 43.

(3) في ذي الحجة 759 هـ. المنهل الصافي 6: 343.

(4) في أوائل سنة 760 هـ. تذكرة النبيه 3: 217.

المُؤمِنيّ في حلب بِبَيْدَمُر الخُوارِزمِيّ، وأمَرَهُ السُّلْطَانُ سَنَةَ إِحْدَى وسِتِّين بِغَزْوِ سِيس، فافْتَتَحَ أذَنَةَ وطَرَسُوسَ والمَصِّيصَة في حُصُونٍ أُخْرَى[1]، وَوَلَّى عَلَيْها وَرَجَعَ، فوَلَّاه السُّلْطَانُ نِيَابَةَ دِمَشْقَ مَكَانَ أَسِنْدَمُر[أ]، وَوَلَّى بحَلَب أحْمَدَ بنَ القَيْمَرِيّ.

ثُمَّ عَثَرَ بدِمَشْقَ[2] سَنَةَ إِحْدَى وسِتِّينَ[3] عَلَى مَنْجَك، بَعْدَ أَنْ نَالَ العِقَابَ بِسَبَبِه جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا حَضَرَ عَفَا عَنْهُ السُّلْطَان / وأَمَّرَهُ وخَيَّرَه في النُّزُولِ [364ب] حَيْثُ شَاءَ مِنْ بِلادِ الشَّام[4].

وأَقَامَ السُّلْطَانُ بَقِيَّةَ دَوْلَتِه مُسْتَبِدّاً عَلَى أَمْرِه، وكَانَ يَأْنَسُ بالعُلَمَاءِ والفُقَهَاءِ[ب] والقُضَاةِ، ويَجْمَعُهم في بَيْتِه مُتَبَذِّلاً، ويُفَاوِضُهم في مَسَائِلِ العِلْمِ، ويَصِلُهم ويُحْسِنُ إِلَيهم ويُخَالِطُهم أَكْثَرَ مِمَّنْ سِوَاهم إِلَى أَنِ انْقَرَضَتْ دَوْلَتُه.

ثَوْرَةُ يَلْبُغَا، ومَقْتَلُ السُّلْطَان حَسَن
ووِلايةُ المَنْصُورِ بنِ المُظَفَّر حَاجِي في كَفَالَةِ يَلْبُغَا

كَانَ يَلْبُغَا[5] هَذَا مِنْ مَوَالِي السُّلْطَان حَسَن وأَعْلَاهم مَنْزِلَةً عِنْدَه، وكَانَ يُعْرَفُ بالخَاصِكِي، نِسْبَةً إِلَى خَوَاصِّ السُّلْطَان، وكَان النَّاصِرُ قَدْ [رَقَّاه][ج] في مَرَاتِبِ

(أ) كذا ضبطت في المواعظ والاعتبار، وانظر الدرر الكامنة (ترجمة ابن فهد الحلبي). (ب) سقط من س. (ج) من س، في ظ: ولاه.

---

(1) تذكرة النبيه 3: 230.

(2) وقبض على الأمير منجك من داريا بالشرف الأعلى ظاهر مدينة دِمَشْق. السلوك 3: 53.

(3) في صفر منها. تذكرة النبيه 3: 231.

(4) من البلاد الإسلامية: وينظر نص المرسوم السلطاني. تذكرة النبيه 3: 231.

(5) هو يلبغا بن عبدالله العمري الناصري، الأتابكي الخاصكي. ينظر المنهل الصافي 12: 157.

الدَّوْلَةَ وَوَلَّاه الإمَارَة، ثُم رَفَعه إلَى الأتَابكِيَّة. وكَان لِجُنُوحِه[أ] إلَى الاسْتِبْدادِ، كَثِيراً مَا يَكْبَحُ شَكَائِمَ المُتَطَاوِلِينَ إلَى الرِّياسَةِ، ويُصْغِي إلَى قَبُولِ الألَاقِيّ[1] والسِّعَايَاتِ، ورُبَّمَا عُرِّضَ عِنْدَه بِيَلْبُغَا في مِثْلِ ذَلِك، فَأَحْضَرَه بَعْضَ اللَّيَالِي بَيْنَ حُرَمِه، وصَرَفَه في مِهْنَةٍ مِنَ الخِدْمَةِ تَعْزِيراً لَه وتَأْدِيباً، فَأَسَرَّها يَلْبُغَا في نَفْسِه وَاسْتَوْحَشَ.

وخَرَجَ السُّلْطَانُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ إلَى كُوم بَرَّى[2] وضَرَبَ بِهَا خِيَامَه، وأَذِنَ للخَاصِكِيِّ في مُخَيَّمِه قَرِيباً مِنه، ثُمَّ نُمِيَ عَنه خَبَرُ الانْتِقَاضِ، فَأَجْمَعَ القَبْضَ عَلَيْه وَاسْتَدْعَاه، فَامْتَنَعَ مِنَ الوُصُولِ، ورُبَّمَا أَشْعَرَهُ الدَّاعِيَةُ بالاسْتِرَابَة، فَرَكِبَ إلَيْه النَّاصِرُ بِنَفْسِه، فِيمَن حَضَرَه مِن مَمَالِيكِه وخَوَاصِّ أُمَرَائِه تَاسِعَ[3] جُمَادَى [الأُولَى][4] مِنَ السَّنَة، وبَرَزَ إلَيْه يَلْبُغَا وقَدْ نُذِرَ بِه وَاسْتَعَدَّ لَه، فَصَدَقَه القِتَالَ في سَاحَة مُخَيَّمِه، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ عَنه، ومَضَى إلَى القَلْعَةِ، ويَلْبُغَا في اتِّبَاعِه، فَامْتَنَعَ الحُرَّاسُ بالقَلْعَةِ مِنْ إجَابَةِ طَارِقَةِ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَتَسَرَّبَ في المدِينَة وَاخْتَفَى بِبَيْتِ الأَمِير [مُوسَى][5] بنِ الأَزْكَشِيِّ بالحُسَيْنِيَّة، ورَكِبَ الأُمَرَاءُ مِنَ القَاهِرَةِ، مِثْلَ: نَاصِرِ الدِّين المُحْسِنِيّ، وقَشْتَمُر المَنْصُورِيّ، وغَيْرِهما، لمُدَافَعَة يَلْبُغَا، لَقِيَهم / بِبُولَاق فَهَزَمَهم[ب]، [365أ] وَاجْتَمَعُوا ثَانِيَةً وثَالِثَةً فَهَزَمَهم، وتَنَكَّرَ النَّاصِرُ مَعَ أَيْدَمُر الدَّوَادَار يُحَاوِلُ النَّجَاةَ إلَى

(أ) أي: جنوح السلطان. (ب) في س: وهزمهم.

---

(1) الألاقي: الشدائد. والنوازل، مفردها ألْقِيَّة.

(2) كوم برا: بليدة من نواحي القاهرة، المنهل الصافي 5: 128.

(3) في السلوك 3: 61: ثامن.

(4) من السلوك 3: 61.

(5) من السلوك 3: 61، وينظر ما يلي.

الشَّام، وَاطَّلَعَ عَلَيْهِما بَعْضُ المَمَالِيكِ فَوَشَى [بِهِمَا][أ] إلى يَلْبُغا. •وَيُقَالُ: إنَّ الأَزْكَشِيَّ هُوَ الَّذِي دَسَّ بِذَلِكَ إلى يَلْبُغَا•[ب]، فَبَعَثَ مَنْ أَحْضَرَه، فَكَان آخِرَ العَهْدِ بِه[1]، وَيُقَالُ: إنَّه امْتَحَنه قَبْلَ القَتْلِ حَتَّى دَلَّه عَلَى أَمْوَالِ السُّلْطَان وَذَخَائِرِه، وَذَلِك لِسِتِّ سِنِين وَنِصْفٍ مِنْ مُلْكِه.

ثُمَّ نَصَّبَ يَلْبُغَا للمُلْكِ مُحَمَّدَ بنَ المُظَفَّرِ حَاجِي وَلَقَّبَه المَنْصُورَ[2]، وَقَامَ بِكَفَالَتِه وَتَدْبِيرِ دَوْلَتِه، وَجَعَلَ طَيْبُغَا الطَّوِيلَ رَدِيفَه، وَوَلَّى قَشْتَمُر المَنْصُورِيَّ نَائِباً، وعَشْقُتُمُر أَمِيرَ مَجْلِس، ومُوسَى [ابنَ] الأَزْكَشِيِّ أُسْتَادَاراً، وَأَفْرَجَ عَن [طَشْتَمُر][3] القَاسِمِيِّ وَبَعَثَه نَائباً بِالكَرَكِ، وَأَفْرَجَ عَن طَاز، وَقَدْ عَمِيَ، فَبَعَثَه إلى القُدْسِ بِسُؤَالِه، ثُمَّ إلى دِمَشْق، ومَاتَ بِها في السَّنَة بَعْدَهَا[4]، وَأَقَرَّ عَجْلَانَ عَلَى وِلَايَةِ مَكَّة، وَوَلَّى عَلَى عَرَبِ الشَّامِ حَيَّارَ بن مُهَنَّا، وَأَمْسَكَ جَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ فَحَبَسَهم.

انتِقَاض بَيدَمُر بِدمَشْق

ولَمَّا اتَّصَلَ بالشَّامِ مَا فَعَلَه يَلْبُغَا، وأَنَّه اسْتَبَدَّ بالدَّوْلَة، وكَان بَيْدَمُر نَائِبًا بِدِمَشْق، كَمَا قَدَّمْنَاه، امْتَعَضَ[ج] لِذَلِك، وأَجْمَعَ الانْتِقَاضَ، ودَاخَلَه في ذَلِك أَسَنْدَمُر الزَّيْنِيُّ ومَنْجَك اليُوسُفِيُّ[5]، وَاسْتَوْلَى عَلَى قَلْعَةِ دِمَشْق، وسَارَ يَلْبُغَا في العَسَاكِرِ

(أ) من س، وفي ظ: بها. (ب) سقط ما بين النجمين من س. (ج) في س: انتقض.

---

(1) وذلك يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى 762 هـ. المنهل الصافي 5: 129.
(2) في جمادى الأولى سنة 762 هـ. تذكرة النبيه 3: 240.
(3) من السلوك 3: 66.
(4) في ذى الحجة سنة 763 هـ. تذكرة النبيه 3: 241.
(5) نائبا السلطنة بدمشق كانا. تذكرة النبيه 3: 241.

ومَعَهُ السُّلْطَانُ المنْصُورُ[1]، وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْق، وَاعْتَصَمَ القَوْمُ بالقَلْعَةِ، وتَرَدَّدَتْ بَيْنَهما القُضَاةُ بالشَّامِ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الأَمَانِ، بَعْدَ أَنْ حَلَفَ لَهم يَلْبُغَا[2]، فلَمّا نَزَلُوا إِلَيْه بَعَثَ بِهِم إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وحُبِسُوا[أ] بِها، وَوَلَّى أَمِيرَ عَلِيّ المَارِدَانِيّ [نائبًا][ب] بِدِمَشْق، وقُطْلُوبُغَا الأَحْمَدِي نائبًا بِحَلَبَ مَكَان أَحْمَدَ بن القَيْمُرِيّ[3]، وابن صُبْح بِصَفَد، وعَادَ السُّلْطَانُ المنْصُورُ ويَلْبُغَا إِلَى مِصْرَ[4].

وَفَاةُ الخَلِيفَةِ المعتَضِد بنِ المُسْتَكْفِي، وولايةُ ابْنِه المتَوَكِّل

[366ب] قَدْ كَان تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ الخَلِيفَةَ المسْتَكْفِي لَمَّا تُوفِّي قُبَيْلَ وَفاةِ المَلِكِ النَّاصِرِ / عَهِدَ إِلَى ابْنِه أَحْمَدَ ولَقَّبَهُ الحَاكِمَ[ج]، وأَنَّ النَّاصِرَ عَدَلَ عَنْه إِلَى إِبْرَاهِيمَ بن مُحَمَّدٍ [ابن أَخِي][5] المسْتَكْفِي ولَقَّبَه الوَاثِقَ، فَلَمّا تُوفِّي النَّاصِرُ آخِر إِحْدَى وأَرْبَعِين، [أَعَادَ][د] الأُمَرَاءُ القَائِمُونَ بالأَمْرِ أَحْمَدَ الحَاكِم بنَ المسْتَكْفِي [وَوَلِيَ][هـ] عَهْدِه، فلَم يَزَلْ في خِلَافَتِه إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ[6] وخَمْسِين لأَوَّلِ دَوْلَةِ الصَّالِح صَالِح سِبْطِ[و] تَنْكِز، وَوَلِيَ بَعْدَه أَخُوهُ أَبُو الفَتْح أَبُو بَكْرِ بنُ المسْتَكْفِي ولُقِّبَ المعْتَضِدَ، ثُمّ تُوفِّي

(أ) في س: لحبسوا. (ب) من س. (ج) في س: الناصر. (د) في ظ: أعا، أعان في س. (هـ) في ظ، من س: وولا. (و) سبط، مكررة في س.

---

(1) تاسع عشرين شهر رمضان 762 هـ. السلوك 3: 67، وينظر النجوم الزاهرة 11: 5.

(2) النجوم الزاهرة 11: 5، السلوك 3: 67.

(3) القشمري. تذكرة النبيه 3: 241، السلوك 2: 67.

(4) وصعد إلى قلعته في يوم الاثنين عشرين شوال 762 هـ. السلوك 3: 68.

(5) في الأصول: عم، والتصويب مما سبق ص 435.

(6) وقيل: سنة أربع، ينظر المنهل الصافي 1: 309، النجوم الزاهرة 10: 290، مورد اللطافة 1: 245.

سَنَةَ ثلاثٍ وستِّينَ[1] لعشرةِ أعوام مِن خلافتِه، وعَهِدَ لابْنِهِ[أ] مُحمَّدٍ فوَلِيَ مَكانَه ولُقِّبَ المُتَوكِّل، واسْتَمرَّ في خِلافتِه[2].

خَلعُ المَنصُورِ وولايةُ الأَشرَف

ثُمَّ بَدَا لِيَلْبُغَا الخاصِكيِّ مِن[ب] أمْرِ المَنْصُورِ مُحمَّدِ بن حَاجِي، فخَلَعَهُ استرابَةً به في شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّين، لسَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْراً مِنْ وِلايَتِه[3]، ونَصَّبَ مَكَانَه شَعْبَانَ ابنَ الأَمِيرِ حُسَيْنٍ ابنِ المَلِكِ[ج] النَّاصِر، وَكَانَ أبُوه قَدْ تُوفِّيَ في رَبيع الآخِرِ مِنْ تِلْكَ السَّنَة، وَكَانَ آخِرَ بَنِي المَلِكِ النَّاصِر وَفَاةً، فوَلَّى ابنَه شَعْبَانَ ابنَ عَشْرِ سِنِينَ وَلقَّبَه الأَشْرَف[4]، وَتَوَلَّى كَفَالَتَه.

وَفي سَنَةِ خَمْسٍ وسِتِّين عَزَلَ المَارِدَانِيَّ عَنْ دِمَشْق، وَوَلَّى مَكانَه مَنْكَلِي بُغَا، نَقَلَه مِنْ حَلَب، وَوَلَّى مَكَانَه قَطْلُوبُغَا الأَحْمَدِيَّ، وتُوفِّيَ قَطْلُوبُغَا فوَلَّى مَكَانَه عَشْقَتُمُر[5] المَارِدَانِيَّ[د]، ثُمَّ عَزَلَ عَشْقَتُمُر سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّينَ[6] فولَّى مَكَانَه سَيْفَ الدِّين جُرْجِي[هـ]، وأوْعَزَ إلَيْه سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ أَنْ يَسِيرَ في العَسَاكِرِ لِطَلَبِ خَلِيلِ

(أ) في س: إلى ابنه. (ب) في س: في. (ج) سقط من س. (د) سقط من س. (هـ) في س: حولي.

(1) السلوك 3: 77: عاشر جمادى الأولى. مورد اللطافة 1: 247: ثامن عشر.

(2) تذكرة النبيه 3: 248.

(3) المصدر نفسه 3: 258، وعن سبب خلعه ينظر النجوم الزاهرة 11: 7.

(4) في النصف من شعبان 764 هـ. السلوك 3: 83، النجوم الزاهرة 11: 24.

(5) في تذكرة النبيه 3: 272، 281: أشقتمر الأشرفي، وفي النجوم الزاهرة 11: 25: أشقتمر المارداني.

(6) في تذكرة النبيه 3: 281: في رجب منها.

ابنِ قَرَاجَا بن دُلْغَادِر أَمِيرِ التُّرْكُمَان فيُحْضِرَه مُعْتَقَلاً، فسَارَ إِلَيْه(1)، وامْتَنَعَ منه في خَرْت بِرْت، فحَاصَرَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَاسْتَأْمَنَ خَلِيلٌ بَعْدَهَا وَجَاءَ إِلَى مِصْرَ(2)، فَأَمَّنَه السُّلْطَانُ وخَلَعَ عَلَيْه، وَوَلَّاه، وَرَجَعَ إِلَى بَلَدِه وقَوْمِه.

وَاقِعَةُ الإسْكَنْدَرِيَّة

كَان أَهْلُ جَزِيرَة قُبْرُص مِنْ أُمَمِ النَّصْرَانِيَّة، وهُم مِنْ بَقَايَا الرُّوم، وإنَّما[أ] يَنْتَسِبُونَ لِهَذَا العَهْدِ إِلَى الفِرنْج، لِظُهُورِ الفِرنْج عَلَى سَائِرِ أُمَمِ النَّصْرَانِيَّة، وإلَّا فقد نَسَبَهم [أهْرُوشيُوش](3) إِلَى كَتِّيم [366أ] / وهُم الرُّومُ عِنْدَه[ب]، ونَسَبَ أَهْلَ [رُودِس][ج] إِلَى دُودَانِم، وجَعَلَهم إخوةَ كَتِّيم، ونَسَبَهما مَعاً إِلَى يُونَان(4)، وكَانَتْ عَلَى أَهْلِ قُبْرُص جِزْيَةٌ مَعْلُومَةٌ يُؤَدُّونَهَا لصَاحِبِ مِصْرَ، ومَا زَالَتْ مُقَرَّرَةً عَلَيْهم مِنْ لَدُنْ فَتْحِها عَلَى يَدِ[د] مُعَاوِيَةَ أَمِيرِ الشَّامِ أَيَّامَ عُمَر، وكَانُوا إِذَا مَنَعُوا هَذِه الجِزْيَةَ يُسَلِّطُ صَاحِبُ الشَّامِ عَلَيْهم أَسَاطِيلَ المسْلِمِينَ فَيُفْسِدُونَ مَرَاسِيَها ويَعِيثُونَ في سَوَاحِلِها حَتَّى يَسْتَقِيمُوا عَلَى أَدَاءِ الجِزْيَة، وتَقَدَّمَ لَنَا آنِفاً في دَوْلَةِ التُّرْكِ أَنَّ الظَّاهِرَ بِيبَرْس بَعَثَ إِلَيها

(أ) سقط من س. (ب) في س: عندهم. (ج) في ظ: دروس، والتصويب من س. (د) في س: أيام.

---

(1) في تذكرة النبيه 3: 294: في شهر رمضان منها.

(2) تذكرة النبيه 3: 294، وينظر السلوك 3: 120.

(3) في الأصول: هروسيوس، في هذا الموضع، والتصويب مما سبق، تنظر ص 237.

(4) ذكر Orasius: وأما يوان Javan (يونان) بن يافث فإنه ولد.... وجثيم Kittim وهم أهل قبرص، ودودانم Dananeens وهم أهل رودس: ينظر الترجمة العربية القديمة لتاريخ العالم 89، وملاحظات محقق هذه الترجمة ص 471.

سَنَةَ تِسْعٍ وسِتِّينَ وسِتِّ مِائَة أَسْطولاً مِنَ الشَّوانِي، وطَرَقَتْ مَرْسَاها لَيلاً فتَكَسَّرَتْ لِكَثْرَةِ الحِجَارَةِ المحِيطَة بها في كُلِّ نَاحِيَة(1).

ثُمَّ غَلَبَ لِهَذه العُصُورِ أَهْلُ جِنْوَةَ مِنَ الفِرِنْجِ عَلَى جَزِيرَةِ [رُودِس](أ)، جَارَتِها، مِنْ يَدِ لَشْكَرِيَّ صَاحِبِ قُسْطَنْطِينَة، سَنَةَ ثَمَانٍ وسَبْعِ مِائَة، وأَخَذُوا بِمُخَنَّقِها، وأَقامَ أَهْلُ قُبْرُص مَعَهم بَيْنَ فِتْنَةٍ وصُلحٍ، وسِلْمٍ وحَرْبٍ، آخِرَ أيّامِهم.

وجَزِيرَةُ قُبْرُص هَذه عَلَى مَسَافَة يَوْمٍ ولَيْلَةٍ في البَحْرِ قُبَالَةَ طَرَابُلُس، مَنْصُوبَةً عَلَى سَوَاحِلِ الشَّامِ ومِصْرَ، وتُجَّارُها يَتَرَدَّدُونَ إلَى سَوَاحِلِها، واطَّلَعُوا بَعْضَ الأَيَّامِ عَلَى غِرَّةٍ في الإسْكَنْدَرِيَّة، فأَخْبَرُوا صَاحِبَهم، وعَزَمَ عَلَى انْتِهَازِ الفُرْصَة فِيها، فنَهَضَ في أَسَاطِيلِه، واسْتَنْفَرَ مِن سَائِرِ الفِرِنْج، ووَافَى مَرْسَاها [في](ب) سَابِعَ عِشْرِينَ المُحَرَّمِ(2) سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ في أُسْطُولٍ عَظِيمٍ، يُقَالُ: بَلَغَ سَبْعِينَ(3) مَرْكَباً مَشْحُونَةً بالعُدَّةِ والعَدِيدِ، ومَعَه الفُرْسَانُ المقَاتِلَةُ بِخُيُولِهم، فلَمَّا أَرْسَى بها قَذَفَهم إلَى السَّاحِلِ وعَبَّأَ صُفُوفَه، وزَحَفَ، وقَدْ غَصَّ السَّاحِلُ بالنَّظَّارَةِ بَرَزُوا مِنَ البَلَدِ في سَبِيلِ النُّزْهَة لا يُلْقُون بَالاً لِمَا هُو فِيه، ولَا يَنْظُرُونَ إلَى مَغَبَّةِ أَمْرِه لِبُعْدِ عَهْدِهم بالحَرْبِ، وحَامِيَتُهم يَوْمَئِذٍ قَلِيلَة، وأَسْوَارُهم مِنَ الرُّمَاةِ المنَاضِلِينَ دُونَ الحُصُونِ خَالِيَة، ونَائِبُها القَائِمُ بِمَصَالِحِها في الحَرْبِ والسِّلْمِ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيلُ بنُ عَرَّام، [غَائِبٌ](ج) في قَضَاءِ

(أ) في ظ: ردوس، في س: روديس، والصواب مما سبق. (ب) من س. (ج) من س.

(1) ينظر ما سبق ص 293.

(2) يوم الأربعاء حادي عشرينه. السلوك 3: 105.

(3) تذكرة النبيه 3: 288 - 289، وورد في السلوك 3: 105: ما بين سبعين إلى ثمانين قطعة.

فرضِه، فما هُوَ إلّا أن زحفتْ تِلْكَ الصُفوفُ عَلَى التَّعْبِئَة ونضحُوا العَوامُّ بالنَّبْلِ فانجَفَلوا مُتَسَابِقِينَ إلَى المدِينَة، وأغلَقُوا /أبْوَابَها، وصَعِدُوا إلَى الأسْوَارِ يَنظُرُون. [366ب]

ووَصَلَ القَوْمُ إلَى البَابِ [فَأحرَقُوهُ][(أ)] وَاقتَحمُوا المدِينَة، وَاضطَرَبَ أهْلُها ومَاجَ[(ب)] بَعضُهم في بَعْضٍ، ثُمّ أجفَلُوا إلَى جِهَة البَرّ بِمَن أمْكَنهم مِن عِيالهم ووِلْدِهِم، ومَا اقْتَدَرُوا[(ج)] عَلَيْه مِن أموَالِهم، وسَالَتْ بِهِمُ الطُّرُقُ والأبَاطِحُ ذاهِبِينَ إلَى غَيْرِ وَجْهٍ حَيْرَةً ودَهَشاً. وشَعَرَ بِهِمُ الأعْرَابُ أهْلُ الضَّاحِيَة فتَخَطَّفُوا الكَثِيرَ مِنهم، وتَوسَّطَ الفِرنْجُ المدِينَةَ ونَهَبُوا مَا مَرُّوا عَلَيْه مِنَ الدُّورِ وأسْوَاقِ البَزّ ودَكَاكِينِ الصَّيارِفَة ومُودَعَاتِ التُّجَّارِ، ومَلأُوا سَفِينَهم مِنَ المتَاعِ والبَضَائِعِ والذَّخِيرَة والصَّامِت، وَاحتَمَلوا مَا اسْتَوْلَوا عَلَيْه مِنَ السَّبْيِ والأسْرَى وأكْثَرُهم الشُّبَابَ مِنَ النِّسَاءِ والصِّبْيَان[(د)]، ثُمّ تَسَايَلَ إلَيْهِمُ الصَّرِيخُ مِن كُلّ جِهَة، مِنَ العَرَبِ وغَيْرِهم، فَانكَفَأَ الفِرنْجُ إلَى أسَاطِيلِهم وَانكَمَشُوا فِيها بَقِيَّةَ يَوْمِهم، وأقْلَعُوا مِنَ الغَدِ[(1)].

وطَارَ الخَبَرُ إلَى كَافِلِ الدَّوْلَة بِمِصْرَ [الأمِير][(هـ)] يَلْبُغَا، فقَامَ في رَكَائِبِه وخَرَجَ لِوَقْتِه[(و)] بِسُلْطَانِه وعَسَاكِرِه، ومَعَه ابنُ عَزَّام نَائِبُ الإسْكَنْدَرِيّة، مُنْصَرَفَهُ مِنَ الحَجّ، وفي مُقَدّمَتِه خَلِيلُ بنُ قُوصُونَ وقُطْلُوبُغَا الفَخْرِيُّ مِن أُمَرَائِه، وعَزَائِمُهم مُرْهَفَةٌ، ونِيّاتُهم في الجِهَادِ صَادِقَةٌ، حَتّى بَلَغَهمُ الخَبَرُ في طَرِيقِهم بِإقْلاعِ العَدُوّ، فلَم يُثْنِه[(ز)] ذَلِك، وَاسْتَمَرَّ إلَى الإسْكَندَرِيّة، وشَاهَدَ مَا وَقَعَ بِها مِن مَعَرَّة الخَرَابِ وآثَارِ الفَسَادِ،

(أ) من س، وفي ط: فأحرقوها. (ب) في س: وماج أهلها. (ج) في س: قدروا. (د) في س: الصبيان والنساء. (هـ) من س. (و) في س: في وقته. (ز) في س: يثنهم.

---

(1) تذكرة النبيه 3: 288، السلوك 3: 104 - 105، النجوم الزاهرة 11: 29 - 30.

فأمَرَ بِرَمِّ ذَلِكَ وإصْلاحِه، ورَجَعَ أدْراجَهُ إلَى دَارِ المُلْكِ، وقَدِ امْتَلأَتْ جَوانِحُهُ غَيْظاً وحَنَقاً عَلَى أهْلِ قُبْرُص، فأمَرَ بإنْشَاءِ مَائَة أُسْطُولٍ مِنَ الأسَاطِيلِ الَّتِي يُسَمُّونَها الغِرْبَان[1]، مُعْتَزِماً عَلَى غَزْوِ قُبْرُص فيها بجَمِيعِ مَن مَعَهُ مِن عَسَاكِرِ المسْلِمِينَ بالدِّيَارِ المِصْرِيَّة، واحْتَفَلَ في الاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ، واسْتَكْثَرَ مِنَ السِّلَاحِ وآلَاتِ الحِصَارِ[2]، وكَمُلَ غَرَضُهُ مِن ذَلِكَ [كُلِّه][أ] في رَمَضَانَ مِنَ السَّنَة، لِثَمانِيَةِ أشْهُرٍ مِنَ الشُّرُوعِ فِيه، فَلَمْ يُقَدَّرْ تَمَامُ غَرَضِه مِنَ الجِهَادِ لِمَا وَقَعَ مِنَ العَوائِقِ كَمَا نَقُصُّه.

ثَوْرَةُ الطَّوِيلِ ونَكْبَتُه

كَانَ طَيْبُغَا الطَّوِيلُ مِنْ مَوَالِي السُّلْطَان حَسَن[ب]، وكَانَتْ وَظِيفَتُه في الدَّوْلَة أمِير سِلَاح، / [ا 367] وهُو مع ذَلِك[ج] رَدِيفُ يَلْبُغَا في أمْرِه، وكَان يُؤَمِّلُ الاسْتِبْدَادَ، ثُمَّ حَدَثَت لَه المُنَافَسَةُ والغَيْرَةُ مِن يَلْبُغَا، كَمَا حَدَثَت لِسَائِرِ أهْلِ الدَّوْلَةِ، عِنْدَمَا اسْتَكْمَلَ أمْرُهُ واسْتَفْحَلَ سُلْطَانُه، ودَاخَلُوا الطَّوِيلَ في الثَّوْرَةِ واعْتَزَمُوا عَلَيها، وكَان دَوَادَارُ السُّلْطَان أزْغُونُ الأُسْعَرْدِيُّ والأسْتَادَارُ رُوسُ[3] المحَمَّدِيُّ، وبَيْنَما هُم في ذَلِك خَرَجَ الطَّوِيلُ إلَى السَّرْحَة بالعَبَّاسَة في جُمَادَى [الآخِرَة][4] سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّين، وفَشَا الأمْرُ بَيْنَ أهْلِ الدَّوْلَة، فَنُمِيَ إلَى يَلْبُغَا، واعْتَزَمَ عَلَى إخْرَاجِ الطَّوِيلِ إلَى الشَّامِ، وأصْدَرَ له

(أ) من س. (ب) في س: حسن السلطان. (ج) وهو مع ذلك: سقط من س.

---

(1) جمع غراب: مركب حربي كبير يستخدم في الغارة والغزو، السفن الإسلامية على حروف المعجم.

(2) السلوك 3: 113.

(3) في هذا الموضع والمواضع التالية، وفي السلوك 3: 115، النجوم الزاهرة 11: 31: أروس المحمودي.

(4) من تذكرة النبيه 3: 292.

المَرْسومَ السُّلْطَانيَّ بِنِيَابَة دِمَشْق، وبَعَثَ بِه إِلَيْه وبالخِلْعَة، عَلَى العَادَة، مَعَ أَزْغُون الأُسْعَزْدِيّ الدَّوَادَار ورُوس المحَمَّدِيّ أَسْتَادَار[أ] مِنَ المَدَاخِلِين لَه، ومَعَهم أَزْغُون الأَزْقِيّ وطَيْبُغَا العَلَائِيّ مِن أَصْحَابِ يَلْبُغَا، فَرَدَّهُمُ الطَّوِيلُ وأَسَاءَ عَلَيهم[1]، وَوَاعَدَ يَلْبُغَا قُبَّةَ النَّصْرِ للحَرْبِ، عَلَى عَادَتِهم، وأَقَامَ مَعَهُ الأُسْعَزْدِيُّ والمحَمَّدِيُّ، وأَصْبَحَ الطَّوِيلُ فِي قُبَّةِ النَّصْرِ، وبَرَزَ إِلَيْه يَلْبُغَا فِي عَسَاكِرِهِ، ومَعَه سُلْطَانُه الأَشْرَف، فَتَنَاشَبُوا الحَرْبَ ثُمَّ صَدَقَهم يَلْبُغَا القِتَالَ فَهَزَمَهم[2].

وقُبِضَ عَلَى الطَّوِيلِ والأُسْعَزْدِيّ والمُحَمَّدِي، وحُبِسُوا بالإِسْكَنْدَرِيَّة، ثُمَّ شُفِعَ إِلَى[ب] السُّلْطَانِ فِي الطَّوِيلِ فِي شَهْرِ شَعْبَان مِنَ السَّنَة، وبَعَثَه إِلَى القُدْسِ [بطَّالاً][3]، ثُمَّ أُطْلِقَ الأُسْعَزْدِيُّ والمحَمَّدِيُّ خَامِسَ الفِطْر[4]، وبُعِثَ بِهِمَا إِلَى الشَّام، وَوَلِيَ مَكَانَ الطَّوِيلِ طَيْدَمُر البَالِسِي، ومَكَانَ الأُسْعَزْدِيّ فِي الدَّوِيدَارِيَّة طَيْبُغَا الأَبِي بَكْرِي، ثُمَّ عَزَلَه بِيَلْبُغَا العَلَائِي، وَوَلِيَ مَكَانَ رُوس المحَمَّدِيّ [أَزْغُون الأَزْقِيّ][5].

وكَان جَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ أَهْلِ الوَظَائِفِ فِي الدَّوْلَة قَدْ خَرَجُوا مَعَ الطَّوِيلِ وحُبِسُوا، فَوَلَّى فِي وَظَائِفِهم، وأَمَّرَ آخَرِينَ مَكَانَ الأُمَرَاءِ مِمَّنْ لَم تَكُنْ لَه وَظِيفَة،

(أ) في س: الأستادار. (ب) سقط من س.

---

(1) بعثها إليه أولا مع أقبغا العمري الحاجب فلم يوافق، ورد الحاجب ردا غير جميل، فأرسل إليه ثانية مع المذكورين في المتن، ينظر السلوك 3: 115.

(2) تذكرة النبيه 3: 292، السلوك 3: 120.

(3) إضافة للتوضيح من المنهل الصافي 7: 37، وينظر السلوك 3: 120، تذكرة النبيه 3: 292.

(4) في يوم عيد الفطر. السلوك 3: 121.

(5) من السلوك 3: 121.

وَاسْتَدْعَى مَنْكَلِي بُغَا الشَّمْسِيَّ نَائِبَ دِمَشْقَ إِلَى مِصْرَ بِطَلَبِه، فَقَدِمَ نَائِبًا بِحَلَبَ مَكَانَ سَيْفِ الدِّينِ جُرْجِي، وأُذِنَ لَه فِي الاسْتِكْثَارِ مِنَ العَسَاكِرِ، وجُعِلَتْ رُتْبَتُه فَوْقَ رُتْبَةِ نَائِبِ دِمَشْقَ[1]، وَوَلَّى مَكَانَه بِدِمَشْقَ أَقْطَمُر عَبْدَ الغَنِيِّ[2].

ثَوْرَةُ المَمَالِيكِ بِيَلْبُغَا ومَقْتَلُه واسْتِبْدادُ أَسَنْدَمُر

[367 ب] / كَانَ يَلْبُغَا قَدْ طَالَ اسْتِبْدَادُه عَلَى السُّلْطَانِ، وثَقُلَتْ وطْأَتُه عَلَى الأُمَرَاءِ وأَهْلِ الدَّوْلَةِ، وخُصُوصاً عَلَى مَمَالِيكِه، وكَانَ قَدِ اسْتَكْثَرَ مِنَ [المَمَالِيكِ][أ]، وأَرْهَفَ حَدَّه لَهم فِي التَّأْدِيبِ، وتَجَاوَزَ [فِيه][ب] الضَّرْبَ بالعِصِيِّ [إِلَى][ج] جَدْعِ الأُنُوفِ [واصْطِلامِ][د] الآذَانِ، فَتَغَلَّتْ ضَمَائِرُهم لِذَلِكَ، وطَوَوْا عَلَى النَّثِّ[3]، وكَانَ كَبِيرَ خَوَاصِّه[هـ] أَسَنْدَمُرُ وأَقْبُغَا الأَحْمَدِيُّ، وَوَقَعَ [فِي][و] بَعْضِ الأَيَّامِ بِمِثْلِ هَذه العُقُوبَةِ فِي أَخٍ [لأَسَنْدَمُر][ز] فَاسْتَوْحَشَ لَهَا وارْتَابَ، ودَاخَلَ سَائِرَ المَمَالِيكِ فِي الثَّوْرَةِ يَرَوْنَ فِيها نَجَاتَهم مِنْه، وخَلَصُوا النَّجْوَى مَعَ السُّلْطَانِ فِيه، واقْتَضَوْا مِنه الإِذْنَ.

وَسَرَحَ السُّلْطَانُ ويَلْبُغَا إِلَى البُحَيْرَةِ فِي رَبِيعٍ [الآخِرِ[4] سنةَ] ثَمانٍ وسِتِّين، وَاتَّعَدَ هَؤُلاءِ المَمَالِيكُ المُتَفَاوِضُونَ فِي الثَّوْرَةِ بِمَنْزِلِ الطَّرَّانَةِ يُبَيِّتُونَه فِيها، ونُمِيَ إِلَيْه

(أ) من س، وفي ظ: مماليكه. (ب) في ظ: في، والتصويب من س. (ج) في ظ: على، والتصويب من س. (د) من س، وفي ظ: إصلام. (هـ) في س: خواصهم. (و) من س. (ز) من س، وفي ظ: أسندمر.

---

(1) في ثالث عشرين صفر 768 هـ. في السلوك 3: 127، وينظر تذكرة النبيه 3: 300.

(2) في السلوك 3: 127: أقتمر عبد الغني.

(3) النثّ: إذاعة الأخبار والأسرار، وطَوَوْا على النثّ: كتموا ما في نفوسهم.

(4) من تذكرة النبيه 3: 300.

خبَرَهم، ورأى العَلامَاتِ الّتي أعْطِيَتْهُ عَلى أمْرِهم، فرَكِبَ مُتَنَكِّراً في بَعْضِ خَواصِّه، وخَاضَ الليْلَ إلَى القَاهِرَة، فَصَابَحَها، وتَقَدَّم إلَى نَوَاتِيَةِ البَحْرِ أنْ يُرْسُوا سُفُنَهم عِنْدَ العُدْوَةِ الشَّرْقِيَّة، ويَمْنَعُوا العُبُورَ كُلَّ مَنْ يَرُومُه مِنَ العُدْوَةِ الغَرْبِيَّةِ، وخَالَفَه أسَنْدَمُر وأقْبُغَا إلَى السُّلْطَان في لَيْلَتِهم، وبَايَعُوه عَلَى مُقَاطَعَةِ يَلْبُغَا ونَكْبَتِه.

ولَمَّا وَصَلَ يَلْبُغَا إلَى القَاهِرَة جَمَعَ مَنْ كَان بها مِنَ الأمَرَاءِ والحُجَّابِ مِنْ مَمَالِيكِه وغَيْرِهم، وكَانَ بها أيْنَبَك[1] البَدْرِيُّ أمِيرُ مَاخُورِيَّته فَاجْتَمَعُوا عَلَيْه، وكَان النِّظَامِيُّ وأرْغُون طَطَر بالعَبَّاسَة سَارِحِين، فَاجْتَمَعُوا إلَيْه، وخَلَعَ الأشْرَفَ طُغَاي تَمُر، ونَصَّبَ أخَاه أنُوك ولَقَّبَه المنْصُور، وأحْضَرَ الخَلِيفَةَ فَوَلَّاه، واسْتَعَدَّ للحَرْبِ، وضَرَبَ مُخَيَّمَه بالجَزِيرَة الوسْطَى عَلَى عُدْوَةِ البَحْرِ، ولَحِقَ بِه مَنْ كَانَتْ لَه عِنْدَه[أ] [صَاغِيَةٌ][ب] مِنَ الأُمَرَاءِ الّذِين مَعَ السُّلْطَان [لِصَحَابَةٍ][ج] أوْ مَرْبَى أوْ وِلَايَة، مِثْل: [يَلْبُغَا][2] العَلَائِيِّ الدَّوَادَار، ويُونُس الرَّمَّاح، وكَشْبُغَا الحَمَوِيِّ، وخَلِيلِ بنِ قُوصُون، ويَعْقُوب شَاه، وقَرَابُغَا البَدْرِيّ، وأقْبُغَا الجُوهَرِيِّ.

وَرَحَلَ السُّلْطَان الأشْرَفُ •مِنَ الطُّرَّانَة•[د] صَبِيحَةَ ذَلِكَ اليَوْمِ، عَلَى التَّعْبِئَة، قَاصِداً دَارَ مُلْكِه، وَانْتَهى إلَى عُدْوَةِ البَحْرِ، فَوَجَدَهَا مُقْفِرَةً من السُّفُنِ، فَخَيَّمَ هُنَالِكَ، / وَأقَامَ ثَلاثاً وَيَلْبُغَا وأصْحَابُهُ قُبَالَتَهم بالجَزِيرَة الوُسْطَى يَنْضَحُونَهم بالنَّبْلِ، ويُرْسِلُونَ عَلَيْهم حِجَارَةَ المجَانِيق، وصَوَاعِقَ الأنْفَاطِ، وعَوَالِمُ النَّظَّارَة قَدْ مَلأَت

(أ) في س: معه. (ب) من س، وفي ظ: طاغية. (ج) من س، وفي ظ: بصحابة. (د) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) كذا ضبط في نشرة المواعظ والاعتبار.

(2) في الأصول: بيبغا، والتصويب مما سبق ص 469.

عُدْوَتَي البَحْرِ وغَشَتْ سَاحَتَها، وكَثِيرٌ مِن الغَوْغَاءِ يَتَسَلَّلُون فَيُلْقُونَ أنْفُسَهم في البَحْرِ ويَدْفَعُونَ السُّفُنَ إلَى أنْ تَتَوَسَّطَ، ثُمَّ يَرْكَبُونَها ويُحَرِّكُونَها بالمَجَادِيفِ إلَى نَاحِيَةِ السُّلْطَانِ، حَتَّى كَمُلَتْ عِنْدَه مِنْها[أ] عِدَّةٌ، وأكْثَرُها مِنَ الغِرْبَانِ الَّتي أنْشَأَها يَلْبُغَا، فأجَازَ فِيها السُّلْطَانُ وأصْحَابُهُ إلَى جَزِيرَةِ الفِيلِ، وسَارَ عَلَى التَّعْبِئَةِ، وقَدْ[ب] مَلأَتْ عَسَاكِرُهُ وتَابِعُهُ بَسِيطَ الأرْضِ، وتَرَاكَمَ القَتَامُ بالجَوِّ، وغَشِيَتْ سُحُبُه مَوْكِبَ[ج] يَلْبُغَا وأصْحَابِه، فتَقَدَّمُوا إلَى الدِّفَاعِ، وصَدَقَتْهم عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ القِتَالَ، فانْفَضُّوا عَنْ يَلْبُغَا وتَرَكُوه أوْحَشَ مِنْ وَتَدٍ في قَاعٍ، فَوَلَّى مُنْهَزِماً، ومَرَّ بالمَيْدَانِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ بَابِه، وَاسْتَمَرَّ إلَى بَيْتِه والعَوَامُّ تَرْجُمُهُ في طَرِيقِه.

وَسَارَ السُّلْطَانُ في تَعْبِئَةٍ إلَى القَلْعَةِ، ودَخَلَ[د] قَصْرَه، وبَعَثَ عَنْ يَلْبُغَا فَجِيءَ بِه، واعْتُقِلَ بِحَبْسِ القَلْعَةِ سَائِرَ يَوْمِه، فَلَمَّا غَشِيَ اللَّيْلُ ارْتَابَ المَمَالِيكُ بحَيَاتِه وجَاءُوا إلَى السُّلْطَان يَطْلُبُونَه، وقَدْ أضْمَرُوا الفَتْكَ بِه، فَأحْضَرَه السُّلْطَانُ، وبَيْنَما هُو مُقْبِلٌ عَلَى التَّضَرُّعِ للسُّلْطَان ضَرَبَه بَعْضُهم[1] فَأبَانَ رَأسَه، وَارْتَابَ مَنْ كَانَ مِنْهم خَارِجَ القَصْرِ في قَتْلِه، فَطَلَبُوا مُعَايَنَتَه، وَلَم يَزَالُوا يَتَنَاوَلُونَ رَأسَه مِنْ وَاحِدٍ إلَى آخَرَ[هـ] حَتَّى رَمَاه آخِرُهم في مِشْعَلٍ كَان بِإزَائِه، ثُمَّ دُفِنَ، وفُرِغَ مِنْ أمْرِه[2].

وَقَامَ بِأمْرِ الدَّوْلَةِ أَسَنْدَمُر النَّاصِريُّ، ورَدِفَه أَقْبُغَا الأحْمَدِيُّ الجُلْب، ومَعَهما: [قَجْمَاس][و] الطَّازِيُّ، وقَرَابُغَا الصَّرْغَتْمُشِي، وتَغْرِي بَرْمِش، المُتَوَلُّونَ كِبْرَ هَذِه الفَعْلَةِ،

(أ) في س: منها عنده. (ب) مكررة في ظ. (ج) س: مواكب. (د) س: ونزل. (هـ) في س: إلى واحد.
(و) في ظ: قجماز، وعدلناه من س، ومما يلي.

(1) بدره من مماليكه قراتمر، ألقى رأسه عن بدنه. السلوك 3: 136، وينظر النجوم الزاهرة 11: 39 - 40.
(2) وذلك ليلة الأحد عاشر شهر ربيع الآخر 768 هـ. السلوك 3: 137.

وقَبَضُوا عَلَى الأُمَرَاءِ الذِين عدَلُوا عَنهم إلَى يَلْبُغَا فَحَبَسُوهم بالإسْكَنْدَرِيّة، وقَدْ مَرَّ ذِكْرُهم، وعُزِلَ خَلِيلُ بنُ قُوصُون وأُلزِمَ بَيْتَه، وَوَلَّوا أُمَرَاءَ مَكَانَ المَحْبُوسِين، وأهْلَ وظَائِفَ مَكَانَ مَن كَانَت لَه، واسْتَقَرَّ أَمْرُ الدَّوْلَة عَلَى ذَلِكَ[1].

وقَائِعُ الأجْلابِ ثُمَّ نَكْبَتُهم، ومَهْلَكُ أسَنْدَمُر، / وَذَهَابُ دَوْلَتِهِم [368 ب]

ثُمَّ تَنَافَس هَؤُلاءِ القَائِمُونَ بالدَّوْلَة وحَبَسُوا قَرَابُغَا الصَّرْغَتْمُشِيَّ صَاحِبَهم، وَامْتَعَض لَه تَغْرِي بِرْمِش، ودَاخَلَ بَعْضَ الأُمَرَاءِ بالثَّوْرَةِ[أ] وَوَافَقَه أَيْنَبك البَدْرِيُّ وجَمَاعَةٌ مَعَه، ورَكِبَ مُنْتَصَف[2] رَجَبِ ثَمَانٍ وسِتِّينَ للحَرْبِ، فَرَكِبَ لَهُ [أسَنْدَمُر][ب] وأَصْحَابُهُ فَقَبَضُوا عَلَيْهِم وحَبَسُوهم بالإسْكَنْدَرِيّة[3].

وعَظُمَ طُغْيَانُ هَؤُلاءِ الأَجْلابِ وكَثُرَ هَرْجُهم في البَلَدِ وتَجَاوُزُهم حُدُودَ الشَّرِيعَة والمُلْك، وَفَاوَضَ السُّلْطَانُ أُمَرَاءَه في شَأنِهم، فَأشَارُوا بِمُعَاجَلَتِهم وحَسْمِ دَائِهم، فَنَبَذَ السُّلْطَانُ إلَيهِمُ العَهْدَ، وجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّه بالاسْطَبْلِ، وتَقَدَّمَ إلَى الأُمَرَاءِ بالرُّكُوبِ عَلَيهم، فَرَكِبَ أُلْجَاي اليُوسُفِيُّ وطُغَيْتَمُرُ النِّظَامِيُّ وسَائِر أُمَرَاءِ السُّلْطَان، وَمَنْ اسْتَخْدَمُوه مِن مَمَالِيكِ يَلْبُغَا، وتَحَيَّزَ إلَيهم أَقْبُغَا الجَلَب وقَجْمَاس الطَّازِيُّ عَنْ

(أ) في س: في الثورة.
(ب) في ظ: سندمر، واعتمدنا، في هذا الموضع والمواضع التالية، س.

---

(1) ينظر السلوك 3: 137 – 139.
(2) في يوم الخميس سادس عشر: السلوك 3: 141.
(3) السلوك 3: 141.

صَاحِبِهِا أَسَنْدَمُر، وزَكِبَ لِقِتَالِهم أَسَنْدَمُر وأَصْحَابُهُ وسَائِرُ الأَجْلَابِ، وجَاءَ مِنْ وَرَاءِ القَلْعَةِ إلى أنْ خَرَجَ عِنْدَ الطَّبْلَخَانَةِ السُّلْطَانِيَّةِ. فَاخْتَلَّ مَرْكَزُ الأُمَرَاءِ، وفَارَقَهُمُ المُسْتَخْدَمُونَ عِنْدَهم مِنْ مَمَالِيكِ يَلْبُغَا، فَانْفَضَّ جَمْعُهُم وانْهَزَمُوا، وثَبَتَ أَلْجَاي اليُوسُفِيُّ وأَزْغُون طَطَر في سَبْعِينَ مِنْ مَمَالِيكِهِم، فَوَقَفُوا قَلِيلاً ثُمَّ انْهَزَمُوا إلى قُبَّةِ النَّصْرِ، وَقُتِلَ دَرُوط[1] ابنُ أَخِي الحَاج آلِ مَلِك، وقُبِضَ عَلَى: أَقْبُغَا الجُلْب جَرِيحاً، وعَلَى طُغَاي تَمُرُ النَّظَامِي، وعَلَى قَجْمَاس الطَّازِي، وأَلْجَاي اليُوسُفِيّ، وأَزْغُون طَطَر، وكَثِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ الأُلُوفِ ومَا دُونَهم[2].

واسْتَوْلَى أَسَنْدَمُر وأَصْحَابُهُ الأَجْلَابُ عَلَى السُّلْطَان كَمَا كَانُوا، وَوَلَّى مَكَانَ المَحْبُوسِينَ مِنَ الأُمَرَاءِ وأَهْلِ الوَظَائِفِ، وأَعَادَ خَلِيلَ بنَ قُوصُونَ إلى إِمَارَتِه، وعُزِلَ عَشْقُتَمُر عن طَرَابُلُس وحُبِسَ بالإِسْكَنْدَرِيَّة، وَاسْتَبْدَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ الشَّام[3]، وَاسْتَمَرَّ الحَالُ عَلَى ذَلِكَ بَقِيَّةَ السَّنَة، والأَجْلَابُ عَلَى حَالِهم في الاسْتِهْتَارِ بالسُّلْطَانِ والرَّعِيَّةِ.

فَلَمَّا كَان مُحَرَّمُ تِسْعٍ وسِتِّينَ عَـادُوا إلى الإِجْلَابِ عَلَى الدَّوْلَة، فَرَكِبَ أُمَرَاءُ السُّلْطَانِ إلى أَسَنْدَمُر / يَشْكُونَهم ويُعَاتِبُونَه في شَأْنِهم، فَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهم، كَسَرَ [369أ] بِهِمُ الفِتْنَةَ، وذَلِكَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ[4] سَادِسِ صَفَر، فَلَمَّا كَان يَوْمُ السَّبْتِ عَاوَدُوا الرُّكُوبَ،

(1) السلوك 3: 142: ضروط الحاجب.

(2) السلوك 3: 142.

(3) يراجع السلوك 3: 143 – 145.

(4) في السلوك 3: 150: يوم الجمعة.

وتَانَوا بخَلعِ السُلْطَانِ، فَرَكِبَ السُلْطَانُ في مَمَالِيكِه ومَعَه قَشتَمُرُ المَنصُورِيُّ وأَسَنبُغَا الأَبُوبَكْرِيّ[1] وجَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ، ومَعَهُ مِنْ مَمَالِيكِه نَحْوُ مِائتَيْنِ، والْتَفَّ عَلَيهِمْ العَوَامُّ، وقَدْ حَنقُوا عَلَى الأَجْلَابِ بِسُوءِ آثَارِهِم فِيهِم، وَرَكِبَ أَسَنْدَمُر فِي الأَجْلَابِ عَلَى التَّعْبِئَةِ، وهم نَحْوُ أَلْفٍ وخَمْسِ مِائَة، وجَاءوا مِنْ وَرَاءِ القَلْعَةِ، عَلَى عَادَتِهِم، حَتَّى شَارَفُوا القَوْمَ فَأَحْجَمُوا وَوَقَفُوا، [وأَذلَقَتْهُمُ][أ] الحِجَارَةُ مِنْ أَيْدِي العَوَامِّ بالمَقَالِعِ، وحَمَلَتْ عَلَيهِمُ العَسَاكِرُ فَانهَزَمُوا، وقُبِضَ عَلَى قَرَابُغَا الصَّرْغَتْمُشِيِّ[2] وَجَمَاعَةٍ مَعَه، فَحُبِسُوا بالخِزَانَة، ثُمَّ جِيءَ بأَسَنْدَمُر أَسِيراً، وشَفَعَ فِيه الأُمَرَاءُ، فَشَفَّعَهم السُلْطَانُ وأَطْلَقَه بَاقِياً عَلَى أَتَابِكِيَّتِه، وَنَزَلَ إلى بَيْتِه بِقَصْرِ الكَبْشِ[3].

وكَانَ خَلِيلُ بنُ قُوصُون قَدْ وَلِيَ أَتَابِكاً في تِلْكَ الفَتْرَةِ، فَأَمَرَهُ السُلْطَانُ أَنْ يُبَاكِرَ بِه مَجْلِسَه مِنَ الغَدِ، فَرَكِبَ خَلِيلٌ إلى بَيْتِه، وحَمَلَه [أَسَنْدَمُر][4] عَلَى الانتِقَاضِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الكُرسِيُّ لِخَلِيلٍ بعلاقَةِ نَسَبِه إلى المَلِكِ النَّاصِرِ مِنْ أُمِّه[5]، وَاجْتَمَعَ إلَيهم جَمَاعَةٌ مِنَ الأَجْلَابِ وَرَكِبُوا بالرُّمَيلَة، فَرَكِبَ إلَيهِمُ السُلْطَانُ والأُمَرَاءُ في العَسَاكِرِ فَانهَزَمُوا، وقُتِلَ كَثِيرٌ مِنهم، وتَقَبَّضَ عَلَيهِمُ العَوَامُّ وجَاءُوا بِهِم أَسْرَى، ثُمَّ تَقَبَّضَ عَلَى أَسَنْدَمُر وخَلِيلٍ وجَمَاعَةٍ مِنَ الأَجْلَابِ، وبَعَثَ بِهم إلى

(أ) في س: وأخلقتهم، ومعنى أذلقتهم: اندفعت عليهم متتابعة.

---

(1) في السلوك 3: 151: أسنبغا بن الأبوبكري، وهو أسنبغا بن بكتمر الأبوبكري. ينظر المنهل الصافي 2: 436.

(2) في السلوك 3: 151: قرمش الصرغتمشي.

(3) السلوك 3: 150 – 152.

(4) إضافة للتوضيح، يراجع السلوك 3: 152.

(5) هو ابن بنت السلطان الملك الناصر محمد. السلوك 3: 152.

الإسكَنْدرِيَّة فحُبِسُوا بِها، ومُثِّلَ بِكَثيرٍ مِمَّنْ أُسِرَ في تِلْكَ الوَاقِعَة مِنهم، وَطِيفَ بِهِم عَلَى الجِمَالِ في أَقْطَارِ المدِينة، ثُمّ وُسِّطَ أكْثَرُهم، وتَتَبَّعَ بَقِيَّةَ الأَجْلابِ بالنَّفْيِ والحَبْسِ بالثُّغُورِ القَصِيَّة[1].

وكَانَ مِمَّن حُبِسَ مِنْهم بالكَرَكِ: بَرْقُوقٌ العُثْمَانِيُّ الّذِي وَلِيَ المُلْكَ بَعْدَ ذَلك بِمِصْرَ، وبَرَكَةُ الجُوبَانِيُّ، والطُنْبُغَا الجُوبَانِيّ، وجَرْكَس الخَلِيلِيُّ، ونَغْنَع[2]، وأَقَامُوا كُلُّهم مُتَقَلِّبِينَ بَيْنَ الحَبْسِ والنَّفْيِ إلى أَنِ اجْتَمَعَ شَمْلُهم بَعْدَ ذَلك[3]، كَمَا نَذْكُر.

وَاسْتَبَدَّ السُلْطَان بأَمْرِه بَعْضَ / الشَّيْءِ، وأَفْرَجَ عَنْ أُلْجَاي اليُوسُفِيّ [369 ب]
وطُغَاي تَمُر النِّظَامِيّ وجَمَاعَةٍ مِنَ المحْبُوسِينَ[أ] مِنْ أُمَرَائِه، ووَلَّى أُلْجَاي أَمِيرَ سِلاحٍ ووَلَّى يَلْبُغَا آص المنْصُورِيَّ وتُلُكْتَمُر المحَمَّدِيَّ مِنَ [أُمَرَاءِ][ب] الأَجْلابِ في الأَتَابِكِيَّة شَرِيكَيْنِ، ثُمّ نُمِيَ عَنْهما أَنَّهما يَرُومَانِ الثَّوْرَةَ وإِطْلاقَ المسْجُونِينَ مِنَ الأَجْلابِ، والاسْتِبْدَادَ عَلَى السُلْطَان، فَقَبَضَ عَلَيْهِما[4].

وبَعَثَ عَن مَنْكَلِي بُغَا الشَّمْسِيّ مِنْ حَلَب، وأَقَامَهُ في الأَتَابِكِيَّة، واسْتَدْعَى أَمِيرَ عَلِيِّ المَارِدَانِيَّ مِنْ دِمَشْقَ وَوَلَّاه النِّيَابَةَ[5]، وَوَلَّى في[ج] جَمِيعِ الوَظَائِفِ اسْتِبْدَادًا

(أ) في س: المسجونين. (ب) من س. (ج) سقط من س.

---

(1) ينظر السلوك 3: 152 – 155.

(2) لم يرد هنا الاسم في المصادر المتداولة، وورد بدلاً منه: أقبغا الماردیني، ينظر السلوك 3: 153.

(3) السلوك 3: 155.

(4) من الغد يوم الثلاثاء سابع عشره (صفر 769 هـ). السلوك 3: 154.

(5) في تذكرة النبيه 3: 314: نيابة السلطنة بالديار المصرية، وورد في السلوك 3: 156: واستقر نائب الشام.

وإنشاءَ بنظرِه واختيارِه، وكان مِنهم مَوْلاه أزغُون الأشرَفيّ، وما زالَ يُرقّيه في الوظائف إلى أن جعَلَه أتابِكَ دَوْلتِه، وكَان خالِصَةً له، كما نذكر. وَوَلّى على حلَبَ مَكانَ مَنكلي بُغا: طَيبُغا الطَّويلَ، وعلى دِمَشقَ مَكان المارداني: بيدُمُر الخُوارزميّ، ثُمّ اعْتَقَلَه وصَادَرَه على مِائة ألف دينارٍ ونَفاه إلى طَرَسُوس، وَوَلّى مَكانَه مَنجَك اليُوسفي، نقَلَه إليها مِن طَرابُلس، وأعادَ عليها(ا) عشقُتمُر المارداني[1] كما كان قبلَه[2].
ثمّ تُوفّي طَيبُغا الطّويلُ بحلَبَ آخِرَ تِسْعٍ وسِتّين، بَعْدَ أنْ كان يَرُومُ الانتِقاض، فولّى مَكانَه أسَنبُغا الأبُوبَكري، ثُم عزَلَه سنَةَ سَبْعِين، وَوَلّى مَكانَهُ قَشتَمُر المَنصُوري[3].

مقتل قشتمر المنصوري بحلب في واقعة العرب

كان حَيّارُ بنُ مُهَنّا أميرُ العَرَبِ مِنْ آلِ فَضْلٍ قَدِ انتقَضَ، وَوَلّى السُّلْطانُ مكانَه ابنَ عمّه زامِلَ بنَ موسى بنِ عِيسَى[4]، وَاستَمرّ حَيّارٌ على خِلافِه، وَوَطِئَ بِلادَ حَلَبَ أيامَ المَصِيف، وَاجتمعَ إليه بنو كِلاب، وانطَلَقتْ أيديهم على(ب) السّابِلَة، فخرَجَ إليهم نائبُ حلَبَ قَشتَمُر المَنصُوريُّ في عَساكِره[5]، فأغارَ على أحيائِهم، وَاستَاقَ نَعَمَهم وَمَواشِيَهم، وَشَرِهَ في(ج) اصطِلامِهم، فتذامَرُوا دُونَ ظُعْنِهم،

(ا) في س: إليها. (ب) في س: في. (ج) في س: إلى.

---

(1) في تذكرة النبيه 3: 272، 281، 315: أشقتمر الأشرفي، وفي النجوم الزاهرة 11: 25: أشقتمر المارداني.
(2) واستقر عوض منجك في نيابة طرابلس الأمير أيدمر الآنوكي الدوادار. السلوك 3: 157.
(3) تذكرة النبيه 3: 330.
(4) ورد أن عزل حيار وتولية زامل كان بعد مقتل قشتمر. ينظر النجوم الزاهرة 11: 54.
(5) في العشر الأول من شهر الحجة 770 هـ. تذكرة النبيه 3: 334.

وكانَت بيْنهم وبيْنه جوْلَةٌ أجلَتْ عنْ قشتمر المَنصوريّ وابنِه مُحمّدٍ قتيلَيْنِ، ويُقالُ: قتلَهما نُعيرُ بنُ حيّار، ورجعَتْ عساكِرُ التُّرْكِ مُنهزِمينَ إلى حلَب[1]، وذهَبَ حيّارٌ إلى القفْرِ بأحيائِه. [ووَلّى السُّلطانُ علَى العَرَبِ مُعَيْقَلَ بنَ فضْل][أ]، ثُمّ اسْتأمَنَ لَه مُعَيْقِلٌ وعاوَدَ الطّاعَةَ، وأعادَه السُّلطانُ / إلى إمَارتِه. [370 أ]

استبدادُ ألجاي اليوسُفيّ ثُمّ انتقاضه ومقتله

لَمّا أذهَبَ السُّلطانُ الأشرَفُ أثَرَ الأجْلابِ مِنْ دَوْلَتِه، وقامَ بَعْضَ الشّيْءِ علَى أمْرِه، فاسْتَدْعَى مَنكلي بُغَا مِنْ حلَب، فجَعَلَه[ب] أتابكاً، وأميرَ عَلِيّ المارِدانيّ مِن دِمَشْقَ وجعَلَه نائِباً، وَوَلّى ألجاي اليُوسُفيّ أميرَ سِلاح، وَوَلّى أقبُغا عَبْدَ الله دَوَاداراً، بَعْدَ أن كانَ الأجْلابُ وَلّوْا في الدّوَادارِيّة مِنهم واحِداً بعْدَ آخَرَ، ثُمّ سَخِطَه ووَلّى مَكانَه أقطُمر[ج] الصّاحِبِيّ، وعَمّرَ سائِرَ الخِطَطِ السُّلْطانية بِمَنْ وَقَعَ علَيْه اختِيارُه، ورَقّى مَوْلاه أرْغُون شاه في المَراتِبِ مِنْ واحِدةٍ بَعْدَ[د] أخرَى[2] إلى أنْ أوْفَى بِه علَى الأتابِكيّة، كَما يأتي، ووَلّى بَهادِر الجَماليّ أسْتاداراً ثُمّ أميرَ[هـ] الماخُوريّة، تَرَدّدَ بيْنَهما، ثُمّ اسْتَقَرّ آخِرًا في الماخُورِيّة، ووَلّى مُحَمّدَ بنَ أقبُغا آص أسْتادارَه، ووَلّى يلبُغا النّاصِرِيّ الحِجابَة، بَعْدَ وَظائِفَ أُخْرَى نَقَلَه عَنها، وزَوّجَ أمّه

(أ) من س. (ب) في س: وجعله. (ج) في س: آقبغا. (د) في س: إلى. (هـ) سقط من س.

---

(1) تذكرة النبيه 3: 334 - 335، وينظر المنهل الصافي 9: 68.

(2) أنعم عليه بإمرة طبلخاناه في النصف الثاني من شهر ذي الحجة 770 هـ، ثم استقر أمير مجلس في 21 محرم 771 هـ، ثم استقر رأس نوبة في 18 شعبان 771 هـ، ثم استقر أميراً كبيراً في 12 محرم 775 هـ. السلوك 3: 177، 181، 183، 215.

مِن أَلْجَاي(أ) اليُوسُفِيّ فَعَلَتْ رُتْبَتُه بِذَلك في الدَّوْلَة، وَاسْتَغْلَظَ أَمْرُه. وأَغْلَظَ لَه الدَّوَادَار أَقْطَمُر يَوماً في القَوْلِ، فَنُفِيَ، وَوَلِّي مَكَانه مَنْكُوتَمُر عَبْدَ الغَنِي، ثُمّ عُزِلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وسَبْعِين، لِسَنَةٍ مِنْ وِلايَتِه، وَوَلَّى السُّلْطَانُ مَكَانه طَشْتَمُر العَلائِيّ(ب) الذي كَانَ دَوَادَارَ يَلْبُغَا.

وَاسْتَقَرَّتِ الدَّوْلَةُ عَلَى هَذَا النَّمَط، وأَلْجَاي اليُوسُفِيُّ مُسْتَبِدٌّ فِيها، وَوَصَلَ قَوْدُ مَنْجَك مِنَ الشَّامِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وسَبْعِينَ(1) بِمَا لا يُعَبَّرُ عَنه، اشْتَمَلَ عَلَى: الخَيْل، والبَخَاتِيّ(2) المُجَلَّلَة، والجِمَال، والهُجُن، والقِمَاش، والحَلاوَات، والحُلِيّ، والطُّرَف، والمَوَاعِين، حَتَّى كَانَ فِيها مِنَ الكِلابِ الصَّائِدَةِ والفُهُودِ والسِّبَاعِ والإِبِلِ مِمَّا لَم يُرَ مِثْلُه في أَصْنَافِه، ثُمّ وَصَلَ قَوْدُ عَشْقُتَمُر المَارِدَانِيِّ مِنْ حَلَبَ عَلَى نِسْبَةِ ذَلِك.

انتقاضُ ألجاي اليوسفيّ ومهلكه، واستبدادُ الأشرف بملكه من بعده

لَم تَزَلِ الدَّوْلَةُ مُسْتَقِرَّةً عَلَى مَا وَصَفْنَاه إِلى أَنْ هَلَكَ الأَمِيرُ مَنْكَلِي بُغَا الأَتَابِك مُنْتَصَفَ(3) أَرْبَعٍ وسَبْعِين، وَاسْتَضَافَ أَلْجَاي اليُوسُفِيُّ الأَتَابِكِيَّةَ إِلى مَا كَانَ بِيَدِه، وَرُتْبَتُه في ذَلِك / [370 ب] أَشَفُّ مِن ذَلِك كُلِّه، وهُوَ القَائِمُ المُسْتَبِدُّ بِها، ثُمّ تُوُفِّيَتْ إِثْرَ ذَلِك(4)

(أ) في س: أولجا. (ب) في س: الدوادار.

(1) يوم الأحد أول جمادى الآخرة. السلوك 3: 203.

(2) البُخْتِيّ، البُخْتية: والجمع بَخَاتِيّ: أعجمي معرب، يعني الإبل الخراسانية.

(3) في جمادى الأولى. السلوك 3: 210، المنهل الصافي 11: 284.

(4) في يوم الثلاثاء آخر ذي القعدة 774 هـ. السلوك 3: 210؛ وفي المنهل الصافي 3: 356: آخر ذي الحجة.

أمُّ السُّلطَانِ وهيَ في عِصْمَتِه، فاسْتَحَقَّ مِنها مِيرَاثاً، دَعَاه لُؤْمُ الأخْلاقِ فيه إلى المُماحَكَة في المُخلَّف، وتجافَى له السُّلطَانُ عَنْ ذَلِك، إلَّا أنَّه كَانَ ضَيِّقَ الصَّدْرِ شَرِسَ الأخْلاقِ، فكَانَ يُغْلِظُ في القَوْلِ بِما يُخَشِّنُ الصُّدورَ[أ]، فأظْلَم الجَوُّ بَيْنَه وبَيْنَ السُّلطَانِ، وتَمَكَّنَتْ فِيه السِّعَايَة، وذُكِّرَتْ هذِه بانتِقَاضِه الأوَّلِ، وذَلِكَ أنَّه كَانَ سَخِطَ في بَعْضِ النَّزَعَاتِ عَلَى بَعْضِ العَوَامِّ مِنَ البَلَدِ، فأَمَرَ بالرُّكُوبِ عَلَى العَامَّة وقَتْلِهم، فقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهم[1]، ونُمِيَ الخَبَرُ إلى السُّلطَانِ عَلَى ألْسِنَة [أهْلِ][ب] البَصَائِرِ مِنْ دَوْلَتِه، وعَذَلُوه عِنْدَه، فاسْتَشَاطَ السُّلطَانُ وزَجَرَه وأغْلَظَ لَه، فغَضِبَ[ج] ورَكِبَ[د] إلى قُبَّةِ النَّصْرِ مُنْتَقِضاً، وذَهَبَ السُّلطَانُ في مُدَاوَاةِ أمْرِه إلى المُلاطَفَة واللِّينِ، وكَانَ الأتَابِك مَنْكَلي بُغَا يَوْمَ ذَلِك حَيّاً فأوْعَزَ السُّلطَانُ إلَيْه بِرَقْعِ هَذا الخَرْقِ، ورَكِبَ مَنْكَلي بُغَا[هـ] إلَيْه لِقُبَّةِ[و] النَّصْرِ، فلاطَفَه وعَاتَبَه، ثُمَّ غَلَبَهُ عَلَى الرُّجُوعِ إلى السُّلطَانِ، فرَجَعَ وخَلَعَ عَلَيْه، وأعَادَه إلى أحْسَنِ مَا كَان.

فلَمَّا بَدَتْ هَذه الثَّانِيَةُ حَذَّرَ السُّلطَانَ بِطَانَتُه مِنْ شَأْنِه، وخَرَجَ هُوَ[ز] مُنْتَقِضاً ورَكِبَ في مَمَالِيكِه بِسَاحَةِ القَلْعَةِ، وجَلَسَ السُّلطَانُ بِبَابِ الاسْطَبْلِ، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهما بالمُلاطَفَةِ، فأصَرَّ واسْتَكْبَرَ، ثُمَّ أذِنَ السُّلطَانُ لمَمالِيكِه في قِتَالِه، وكَانَ أكْثَرُهم مِنَ الأجْلابِ مَمَالِيكِ يَلْبُغَا، وقَدْ جَمَعَهمُ السُّلطَانُ واسْتَخْدَمَهم في جُمْلَةِ ابْنِه أمِير عَلِيّ وَلِيِّ عَهْدِه، فقَاتَلُوه في مُحَرَّم[2] خَمْسٍ وسَبْعِين، وكَانَ مَوْقِفُه في ذَلِك

(أ) في س: الصدر. (ب) من س. (ج) سقط من س. (د) في س: فركب. (هـ) سقط من س.
(و) في س: بقبة. (ز) سقط من س.

(1) في ثالث عشرينه (ذو القعدة 770 هـ). ينظر السلوك 3: 173 – 174.
(2) في المنهل الصافي 3: 42: سابع المحرم.

المعْتَرَكِ إلى حائِطِ الميْدانِ المتّصِلِ بالاسْطَبْلِ، فتَسَوَّرَهُ المُقَاتِلَةُ مِنْ دَاخِلِ الاسْطَبْلِ ونَضَحُوه بالسّهَامِ، فتَنَحّى عَنِ الحَائِطِ حَتّى إذا اخْتَلَّ مَرْكَزُه رَكِبُوا خُيُولَهم وخرَجُوا مِنْ بَابِ الاسْطَبْلِ، وصَدَقُوا عَلَيْه الحَمْلَةَ فانْهَزَمَ إلى بِرْكَةِ الحَبَشِ، ورَجَعَ مِنْ وَرَاءِ الجَبَلِ إلى قُبَّةِ النَّصْرِ، فَأَقَامَ بها ثَلاثاً، والسُّلْطَانُ يُرَاوِضُه وهُو يَشْتَطُّ، وشِيَعُه يَتَسَلَّلُونَ عَنه، ثُمّ بَعَثَ إلَيْه السُّلْطَانُ لُمَّةً مِنَ العَسْكَرِ فَفَرَّ أَمَامَهم / [371 ا] إلى قَلْيُوب، وَاتّبَعُوه[أ] فخَاضَ البَحْرَ، وكَان آخِرَ العَهْدِ بِه، ثُمّ أُخْرِجَ شِلْوُهُ ودُفِنَ، وأَسِفَ السُّلْطَانُ لِمَهْلِكِه، وكَفَلَ السُّلْطَانُ أَوْلادَه[1] في قَصْرِه، ورَتَّبَ [لَهُم][2] ولِحَاشِيَتِه الأَرْزَاقَ في دِيوَانِه، وتَقَبّضَ عَلَى مَنِ اتّهَمَه مِنْهم[ب] بِمُدَاخَلَتِه، وعَلَى أَرْبَابِ وَظَائِفِه، فَصُودِرُوا كُلُّهم وَغُرِّبُوا إلى الشّام[3].

واسْتَبَدَّ السُّلْطَانُ بِأَمْرِه، ودَعَا[ج] أَيْدَمُر العِزّيَّ الدَّوَادَار، وكَان نَائِباً بِطَرَابُلُس، فَوَلّاه أَتَابِكاً[4]، مَكَانَ أُلْجَاي، ورَفَعَ رُتْبَةَ مَوْلاه أَرْغُون شَاه وجَعَلَه أَمِيرَ مَجْلِسٍ[5]، وَوَلّى صَرْغَتْمُش - مِنْ مَوَالِيه - أَمِيرَ سِلاحٍ، وَاخْتَصَّ بالسُّلْطَانِ طَشْتَمُرُ الدَّوَادَار، ونَاصِرِ الدِّين مُحَمَّد بنِ أَقْبُغَا آص أُسْتَادَار، وكَانَت أُمُورُ الدَّوْلَةِ مُنْقَسِمَةً بَيْنَهما، وتَصَارِيفُها تَجْرِي بِسِيَاسَتِهما إلى أَنْ كَان مَا نَذْكُرُه.

(أ) في س: فاتبعوه. (ب) سقط من س. (ج) في س: واستدعى.

---

(1) وأظنهم إخوته لأمه. المنهل الصافي 3: 43، وينظر النجوم الزاهرة 11: 61 – 62.

(2) في الأصول: له، والتعديل يتفق مع السياق.

(3) السلوك 3: 212 – 215.

(4) في رابع صفر 775 هـ. السلوك 3: 217.

(5) في يوم الاثنين ثاني عشره (محرم 775 هـ) استقر الأمير أرغون شاه أميراً كبيراً، ورسم له أن يجلس بالإيوان في وقت الخدمة. السلوك 3: 215، وينظر النجوم الزاهرة 11: 62.

استقدام منجك للنيابة

كان أميرُ عليّ الماردانيُّ[أ] النائبُ قد تُوفّي سنة اثنتين وسبعين[1]، وبقيت وظيفةُ النيابة خلواً لمكان ألجاي اليوسفيّ •وأحكامه، ولما هلك سنة خمس وسبعين، ولّى السلطانُ أقطمر عبد الغني نائباً[2]، ثمّ بدا له أن يولّي في[ب] النيابة منجك اليوسفي•[ج] لما رآه فيه من الأهليّة لذلك والقيام به، ولتقلّبه في الإمارة منذ عهد الناصر حسن، وأنّه كان من مواليه أخاً ليبغا روس وطاز وصرغتمش، فهو بقيّةُ المناجيب. فلمّا وقع نظره عليه بعث في استقدامه يلبغا الناصريّ من أمراء دولته، وولّى مكانه بيدمر الخوارزميّ، وأعاد عشقتمر إلى حلب مكانه. ووصل منجك إلى مصر آخر خمس وسبعين[3]، ومعه بنوه و[د] مماليكه وحاشيته وصهره روس المحمديّ، فاحتفل السلطانُ في تكرمته، وأمر أهلَ الدولة بالركوب لتلقّيه، فتلقّاه الأمراءُ والعساكرُ وأربابُ الوظائف من القضاة والفقهاء والدواوين، وأذن له في الدخول من باب السرّ راكباً، وخاصكيّة السلطان مشاةٌ بين يديه[4] حتّى نزل عند مقاعد الطواشيّة بباب القصر، حيث مجلس مقدّم المماليك، ثمّ استُدعي إلى السلطان فدخل، وأقبل عليه السلطانُ وشافهه / بالنيابة المطلقة، وفوّض إليه الولايةَ والعزلَ [371ب] في سائر المراتب السلطانيّة من الوزارة والخاصّ والقضاء والأوقاف وغيرها، وخلع

(أ) سقط من س. (ب) سقط من س. (ج) ما بين النجمين مكرر في س. (د) بنوه و: سقط من س.

---

(1) في يوم الثلاثاء سابع المحرم. السلوك 3: 192.

(2) في يوم الخميس حادي عشرينه (صفر). السلوك 3: 217.

(3) في يوم الاثنين ثالث ذي الحجة 775 هـ. السلوك 3: 224، وفي المنهل الصافي 11: 279: رابع ذي القعدة.

(4) السلوك 3: 224 – 225.

عَلَيْه وخَرَجَ، ثُم قُرِىءَ تَقْلِيدُه[1] بِذَلِكَ [في](أ) الإيوَان ثَانِي يَوْم وُصُولِه، فكَان يَوْمًا مَشْهُوداً[2]، وَوَلّى السُّلْطَانُ(ب) في ذَلِكَ اليَوْمِ يَلْبُغَا النَّاصِرِيَّ الَّذِي قَدِمَ بِه حَاجِباً[3].

ثُم سَافَرَ عَشْقُتَمُرُ نَائِبُ حَلَبَ آخِرَ سِتٍّ وسَبْعِينَ بَعْدَهَا بالعَسَاكِرِ إلى بِلادِ الأَرْمَن، فَافْتَتَحَ سِيس وسَائِرَ أَعْمَالِها، وَاسْتَنْزَلَ مَلِكَها التَّكْفُورَ بالأَمَانِ، فَوَصَلَ بِأَهْلِه ووَلَدِه إلى الأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ، ورُتِّبَتْ لَهم الأَرْزَاقُ، وَوَلّى السُّلْطَانُ عَلَى سِيس، وَانْقَرَضَ مِنْها مُلْكُ الأَرْمَن[4].

وتُوفِّي مَنْجَكُ آخِرَ هَذِه السَّنَة[5]، فَوَلّى السُّلْطَانُ أَقْتَمُرَ الصَّاحِبِيَّ المعْرُوفَ بالحَنْبَلِي[6]، ثُمَ عَزَلَه ورَفَعَ مَجْلِسَه[7]، وَوَلّى مَكَانَه أَقْتَمُرَ عَبْدَ الغَنِيّ[8].

ثُمَ تُوفِي حَيَّارُ بنُ مَهَنَّا أَميرُ العَرَبِ بالشَّام[9]، فَوَلّى السُّلْطَانُ [أَخَاه قَارَا بنَ مَهَنَّا][10] مَكَانَه.

(أ) من س. (ب) في س: الأشرف.

(1) في المنهل الصافي 11: 279: أن السلطان أقامه مقام نفسه في كل شيء.

(2) السلوك 3: 225.

(3) واستقر حاجباً ثانياً أميرَ مائة مقدم ألف. كما في السلوك 3: 226.

(4) السلوك 3: 237 - 238.

(5) في يوم الخميس تاسع عشرين ذي الحجة 776 هـ. السلوك 3:247، وينظر المنهل الصافي 11: 280.

(6) في السلوك 3: 252: في يوم الاثنين سادس عشرين شهر ربيع الأول 777 هـ.

(7) في السلوك 3: 271: واستقر أميراً كبيراً يجلس بالإيوان وقت الخدمة.

(8) في السلوك 3: 271: واستقر حاجب الحجاب، وأبطلت النيابة.

(9) في السلوك 3: 245: في ذي الحجة 776 هـ.

(10) في الأصول: ابنه نعيرا، والتصويب مما يلي، وورد: واستقر قارا بن مهنا في إمرة العرب، وقد أرسل نعير في طلب الإمرة بعد وفاة قارا في ربيع الأول 781هـ، ثم صدر تقليده بتوليه إمرة العرب في شوال 781هـ: السلوك 3: 243، 369.

ثُمَّ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ[1] بَعْدَهَا عَجْلَانُ بنُ رُمَيْثَةَ أَمِيرُ مَكَّةَ مِنْ بَنِي حَسَن، فَوَلَّى الأَشْرَفُ مَكَانَه ابنَه أَحْمَدَ. واسْتَقَرَّتِ الأُمورُ عَلَى ذَلِكَ.

● الخَبَرُ عَنْ مَمَالِيكِ يَلْبُغَا وتَرْشِيحِهِم فِي الدَّوْلَةِ

كَانَ السُّلْطَانُ الأَشْرَفُ بَعْدَ أَنْ سَطَا بِمَمَالِيكِ يَلْبُغَا تِلْكَ السَّطْوَةَ، وقَسَّمَهم بَيْنَ القَتْلِ والنَّفْيِ، وأَسْكَنَهم السُّجُونَ، وأَذْهَبَ أَثَرَهم مِنَ الدَّوْلَةِ بالجُمْلَةِ، رَاجَعَ حُكْمَه فِيهم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، وعَاتَبَه مَنْكَلِي بُغَا فِي شَأْنِهم، وأَنَّ فِي إِتْلَافِهم قَصَّ جَنَاحِ الدَّوْلَةِ، وأَنَّهم نَاشِئَةٌ مِنَ الجُنْدِ يَحْتَاجُ المُلْكُ(أ) إلى مِثْلِهم، فَنَدِمَ عَلَى مَنْ قَتَلَ مِنْهم، وأَطْلَقَ مَنْ بَقِيَ مِنَ المَحْبُوسِينَ بَعْدَ خَمْسٍ مِنَ السِّنِينَ، وسَرَّحَهم إلى الشَّامِ، يُسْتَخْدَمُونَ عِنْدَ الأُمَرَاءِ، وَكَانَ فِيمَنْ أَطْلَقَ الجَمَاعَةَ بِحَبْسِ الكَرَكِ، وهم: بَرْقُوقٌ العُثْمَانِيُّ، وبَرَكَةُ الجُوبَانِي، وأَلْطُنْبُغَا الجُوبَانِي، وجَرْكَس الخَلِيلِيُّ، ونَغْنَع، فَانْطَلَقُوا إلى الشَّامِ، ودَعَا مَنْجَكُ صَاحِبُ الشَّامِ كُبَرَاءَهم إلى تَعْلِيمِ مَمَالِيكِه ثَقَافَةَ الرُّمْحِ، وكَانُوا بُصَرَاءَ بِهَا، فَأَقَامُوا عِنْدَه مُدَّةً.

أَخْبَرَنِي بذَلِكَ أَلْطُنْبُغَا الجُوبَانِيُّ أَيَّامَ اتِّصَالِي بِه، قَالَ: وأَقَمْنَا / عِنْدَ مَنْجَكَ إلى [372أ] أَنِ اسْتَدْعَانَا السُّلْطَانُ الأَشْرَفُ، وكَتَبَ إِلَيْه أُلْجَاي اليُوسُفِيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَاضْطَرَبَ فِي أَيِّهما يُجِيبُه فِينَا، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ العُهْدَةِ بِرَدِّ الأَمْرِ إِلَيْنَا، فَأَبَيْنَا إِلَّا امْتِثَالَ أَمْرِه، فَتَحَيَّرَ، ثُمَّ اهْتَدَى إلى أَنْ يَبْعَثَنَا إلى أُلْجَاي اليُوسُفِيّ، ودَسَّ إلى قَرْطَاي كَافِلِ

(أ) الملك، مكررة في س.

---

(1) ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الأولى، كما في العقد الثمين 6: 70، وينظر السلوك 3: 259.

أمِيرِ عَلِيّ ابنِ السُّلْطَانِ، وكَانَ صَدِيقَه، فطَلَبْنَا مِنَ أَلْجَاي لِخِدْمَةِ وَلِيِّ العَهْدِ، وصَانِعَ الجِهَتَيْنِ بِذَلِكَ، قَالَ: وصِرْنَا إلى وَلِيِّ العَهْدِ، فعَرَضَنا عَلَى السُّلْطَانِ أبيه، وَاخْتَصَّنَا عِنْدَه بتَعْلِيمِ الثَّقَافَة لِمَمَالِيكِه، إلى أَنْ دَعَانَا السُّلْطَانُ يَوْمَ وَاقِعَة أَلْجَاي، وهُوَ جَالِسٌ بالاسْطَبْلِ، فَنَدَبَنَا لِحَرْبِه، وذَكَّرَنَا حُقُوقَه، وأزَاحَ عِلَلَنا بالجِيَادِ والأسْلِحَة، فجَلَّيْنَا في قِتَالِه إلى أَنِ انهزَمَ، ومَا زَالَ السُّلْطَانُ بَعْدَهَا يَرْعَى لَنَا ذَلِكَ ويُقَدِّمُنَا. انتهى خَبَرُ الجُوبَانِي[1].

وكَانَ طَشْتَمُرُ الدَّوَادَار قَدْ لَطُفَ مَحَلُّه عِنْدَ الأشْرَفِ، وحَلا لَه وَجْهُه، وكَانَ هَوَاه في اجْتِمَاعِ مَمَالِيكِ يَلْبُغَا في الدَّوْلَة لِيَسْتَكْثِرَ بِهِم فِيمَا يُؤَمِّلُه مِنَ الاسْتِبْدَادِ عَلَى السُّلْطَان، فكَانَ يُشِيرُ في كُلِّ وَقْتٍ عَلَى الأشْرَفِ باسْتِقْدَامِهم مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وجَمْعِهم عِصَابَةً للدَّوْلَة، يُخَادِعُ بذَلِكَ عَنْ قَصْدِه، وكَانَ مُحَمَّدُ بنُ أَقْبُغَا آص، أُسْتَادَار مُسَامِيه في الدَّوْلَة ومُزَاحِمُه في مُخَالَصَةِ الأشْرفِ ولُطْفِ المَحَلِّ عِنْدَه، يَنْهى السُّلْطَانَ عَنْ ذَلِكَ ويُحَذِّرُه مَغَبَّةَ اجْتِمَاعِهم، فغَصَّ طَشْتَمُرُ لِذَلِك.

وكَان عِنْدَ السُّلْطَانِ مَمَالِيكُ رُوقَةٌ[2] مِنْ مَمَالِيكِه الخَاصِكِيَّة، شَبَابٌ أَتْرَابٌ قَدِ اصْطَفَاهم وهَذَّبَهم وخَالَصَهم بالمَحَبَّةِ والصِّهْرِ، ورَشَّحَهم للمَرَاتِبِ، ووَلَّى بَعْضَهم، وكَانَ الأكَابِرُ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَة يُفْضُونَ إلَيْهم بحَاجَاتِهم ويَتَوَسَّلُونَ بِمَسَاعِيهم، فصَرَفَ طَشْتَمُر إلَيْهم وَجْهَ السِّعَايَة، وغَشِيَ مَجَالِسَهم، وأغْرَاهم بابنِ أَقْبُغَا آص، وأَنَّه يَصُدُّ السُّلْطَانَ أَكْثَرَ الأوْقَاتِ عَنْ أَغْرَاضِهم مِنْه، ويَسُدُّ أَبْوَابَ الإنْعَامِ والصِّلاتِ عَنْهم،

(1) ينظر أيضاً السلوك 3: 155.

(2) رُوقَة: بالضم: حِسان: تاج العروس، وجارية روقة: التامّة الجمال: جمهرة اللغة، باب روق.

وَصَدَّقَ ذَلِكَ عِنْدَهم كَثْرَةُ حَاجَاتِهِم فِي وَظِيفَتِهِ، وتَعَذُّرُ الكَثِيرِ مِنْهَا عَلَيْهِم عِنْدَه، فوَغَرَتْ / صُدُورُهم مِنه، وأغْرَوا بِهِ السُّلْطَانَ بَاطِناً، وأغْرَاه طَشْتَمُرُ ظَاهِراً، [372ب] حَتَّى تَمَّتْ عَلَيهِ النَّكْبَةُ، وحَقَّتِ الكَلِمَةُ، وقَبَضَ عَلَيه مُنْتَصَفَ[1] جُمَادَى [الآخِرَة[2] سنةَ ثَمَانٍ][3] وسَبْعِين، ونَفَاه إلى القُدْسِ، فَخَلا قبله: طَشْتَمُرُ وَجْهُ السُّلْطَانِ، وانْفَرَدَ بالتَّدْبِيرِ، وَاجْتَمَعَ المَمَالِيكُ اليَلْبُغَاوِيَّةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ حَتَّى كَثَرُوا[4] أَهْلَ الدَّوْلَةِ وعَمَرُوا مَرَاتِبَهَا ووَظَائِفَها، وَاحْتَازُوهَا مِنْ جَوَانِبِهَا إلى أنْ كَانَ مَا نَذْكُر.

حَجُّ السُّلْطَانِ الأَشْرَفِ، وانتِقَاضُ المَمَالِيكِ عَلَيهِ بالعَقَبَةِ، ومَا كَانَ مَعَ ذلك مِن ثَوْرَةِ قُرْطَاي بالقَاهِرَةِ، وبَيْعَتِهِ لأَمِيرِ عَلِيٍّ وَلِيِّ العَهْدِ، ومَقْتَلُ السُّلْطَانِ إِثْرَ ذلك

لَمَّا اسْتَقَرَّ السُّلْطَانُ في دَوْلَتِهِ عَلَى أَكْمَلِ حَالاتِ الاسْتِبْدَادِ والظُّهُورِ، وإِذْعَانِ النَّاسِ لِطَاعَتِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، وأَكْمَلَ اللهُ لَهُ المَتَاعَ بِمُلْكِهِ ودُنْيَاه، سَمَتْ نَفْسُه إلى قَضَاءِ فَرْضِهِ، فَأَجْمَعَ الحَجَّ سَنَةَ ثَمَانٍ وسَبْعِين، وتَجَهَّزَ لِذَلِكَ، وَاسْتَكْثَرَ مِنَ الرَّوَاحِلِ المُسْتَجَادَةِ والأَزْوِدَةِ المُنْتَقَاةِ مِنْ سَائِرِ الأَصْنَافِ، وَاسْتَعَدَّ للسَّفَرِ، وَاحْتَفَلَ فِي الأُبَّهَةِ بِمَا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُه، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَه وَلِيَّ العَهْدِ فِي مُلْكِهِ، وَأَوْصَى النَّائِبَ أَقْتَمُرَ عَبْدَ الغَنِيِّ

(1) ثاني عشره. السلوك 3: 268.

(2) من السلوك 3: 268.

(3) في الأصول: سبع، والتصويب من السلوك 3: 268.

(4) كثروهم: غلبوهم بالكثرة.

بِمُبَاكَرَةِ بَابِه وَالانتِهاءِ إلى مَرَاسِيمِه، وأَخْرَجَ بَنِي المَلِكِ النَّاصِرِ المَحْجُوبِينَ بالقَلْعَةِ مَعَ سَوْدُون الشَّيْخُونِيِّ إلى الكَرَكِ يُقِيمُونَ بِهِ إلى مُنصَرَفِه، وتَجَهَّزَ الخَلِيفَةُ العَبَّاسِيُّ مُحَمَّدٌ المُتَوَكِّلُ ابنُ المُعْتَضِد والقُضَاةُ للحَجِّ مَعَه، وجَهَّزَ جَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ، أَهْلِ دَوْلَتِه، وأَزَاحَ عِلَلَهم، ومَلأَ بِمَعْرُوفِه حَقَائِبَهم، وخَرَجَ ثَانِيَ عَشَرَ شَوَّال في المَوَاكِبِ والقِطَارَاتِ تَرُوقُ النَّاظِرِينَ كَثْرَةً وفَخَامَةً وزِينَةً(1)، والخَلِيفَةُ والقُضَاةُ والأُمَرَاءُ جِفَانُه، وبَرَزَ النَّوَاظِرُ(ا) حَتَّى العَوَاتِقُ مِنْ خُدُورِهِن، فَجَلَّلَتْ عَوَالِمُهم البَسِيطَ، ومَاجَتِ الأَرْضُ بِهم مَوْجاً.

وخَيَّمَ بالبِرْكَة، مَنْزِلِ الحَاجِّ، وأَقَامَ بِهِ أَيَّاماً حَتَّى فَرَغَ النَّاسُ مِنْ حَاجَاتِهم، ثُمَّ ارْتَحَلَ، فَما زَالَ يَنْتَقِلُ(ب) في المَنَازِلِ إلى العَقَبَة، ثُمَّ أَقَامَ بِها عَلَى عَادَةِ الحَاجِّ.

[373 ا] وكَانَ في / نُفُوسِ المَمَالِيكِ الخَاصِكِيَّةِ(ج) مِنَ اليَلْبُغَاوِيَّة وغَيْرِهم(د) ضَجَرٌ يَتَشَوَّفُونَ بِه إلى الاسْتِبْدَالِ مِنَ الدَّوْلَة، فَتَنَكَّرُوا واشْتَطُّوا في اقْتِضَاءِ أَرْزَاقِهم، والمُبَاشِرُونَ يُعَلِّلُونَهم، والتَّجَنِّي يَحْفِزُهم إلى الفَسَادِ، ثُمَّ طَلَبُوا العَلُوفَةَ المُسْتَقْبَلَةَ إلى مَنَاخِ الأَزْلَم(2)، فاعْتَذَرَ المُبَاشِرُونَ بِأَنَّ الأَقْوَاتَ حُمِلَتْ إلى أَمَام، فَلَمْ يَقْبَلُوا، وكَشَفُوا القِنَاعَ في الانْتِقَاضِ، وبَاتُوا لَيْلَتَهم عَلَى تَعْبِئَة، واسْتَدْعَى الأَشْرَفُ(هـ) طَشْتَمُرَ الدَّوَادَار، وكَانَ كَبِيرَهم، فَفَاوَضَه في الأَمْرِ لِيَكُفَّ مِنْ غَرْبِهم، فأَجْمَلَ العُذْرَ عَنْهم،

(ا) في س: النظارة. (ب) في س: يتنقل. (ج) في س: وخصوصاً. (د) في س: وهم الأكثر.
(هـ) في س: السلطان.

(1) ينظر السلوك 3: 272 – 273، الذهب المسبوك 118.

(2) منزلة الأزلم: محطة من محطات الحاج في الطريق من القاهرة إلى مكة المشرفة. الخطط الجديدة.

وخَرَجَ إليهم، فلَجُوا، ثُم رَكِبُوا مِنَ الغَدِ وَاصْطَفُّوا، وَأَرْكَبُوا طَشْتَمُرَ مَعَهم، ومَنَعُوه مِنْ مُعَاوَدَةِ السُّلْطَان، وتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِك مِنْهم: مُبَارَكٌ الطَّازِيُّ، وصَرَاي تَمُرَ المُحَمَّدِيُّ، وقطلقتمر[1] العَلَائِيُّ، ورَكِبَ السُّلْطَانُ في خَاصِكِيَّتِه، يَظُنُّ أنَّهم يَرْعَوُونَ أوْ يَجْنَحُ بَعْضُهم إلَيْه، فأبَوْا إلَّا الإصْفَاقَ عَلَى قِتَالِه، ونَضَحُوا مَوْكِبَه بالنَّبْلِ لمَّا عَايَنُوه، فرَجَعَ إلى خِيَامِه مُنْهَزِماً.

ثُم رَكِبَ الهُجُنَ في لَفِيفٍ مِنْ خَوَاصِّه، ومَعَه: أزْغُون شَاه الأتَابِك، ويَلْبُغَا النَّاصِرِيُّ، ومُحَمَّدُ بنُ عِيسَى صَاحِبُ الدَّرَكِ مِن العَائِد الأعْرَابِ أهْلِ الضَّاحِيَة، وفي رِكَابِه جَمَاعَةُ الشَّبَابِ الَّذِين أنْشَأهم في مُخَالَصَتِه ورَشَّحَهم لوَظَائِفِ دَوْلَتِه، كَمَا مَرَّ، وخَاضُوا اللَّيْلَ إلى القَاهِرَةِ.

وقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ عِنْدَمَا سَافَرَ مِنَ القَاهِرَةِ تَرَكَ [بِها](أ) جَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ والمَمَالِيكِ مُقِيمِينَ في وظَائِفِهم، كَانَ مِنْهم: قَرَطَاي الطَّازِيُّ كَافِلُ أمِير عَلِيّ وَلِيِّ العَهْدِ، وأقْتَمُرُ الحَنْبَلِيُّ، وطَشْتَمُرُ اللَّفَّافُ، وأَسَنْدَمُرُ الصَّرْغَتْمُشِيُّ، وأَيِنْبَك البَدْرِيُّ.

وكَان شَيْطَانٌ مِنْ شَيَاطِينِ المُتَصَوِّفَة قَدْ أوْحَى إلى قَرَطَاي بأنَّه يَكُونُ صَاحِبَ الدَّوْلَةِ بِمِصْرَ، فكَانَ(ب) يَتَشَوَّفُ لِذَلِك [ويَتَرَصَّدُ لَه](ج)، ورُبَّمَا وَقَعَ بَيْنَه وبَيْنَ وَزِيرِ الدَّوْلَةِ المَقْسِيِّ مُنَازَعَةٌ في جِرَايَاتِ مَمَالِيكِ مَكْفُولِه وَلِيِّ العَهْدِ وعَلُوفَاتِهم، أغْلَظَ لَه الوَزِيرُ فِيها(د)، فوَجَمَ وأخَذَ في أسْبَابِ الانْتِقَاضِ، ودَاخَلَ في ذَلِك بَعْضَ أصْحَابِه

(أ) من س. (ب) في س: وكَان. (ج) من س، وفي ط: ويترصده. (د) في س: فيها الوزير.

---

(1) قطلو آقتمر. السلوك 3: 279.

[373ب] وَوَاعَدَهم ثَالِثَ ذِي القَعْدَة، / وتَقَدَّمَ إلى دَايَةِ وَلِيِّ العَهْدِ لَيْلَةَ ذَلِكَ اليَوْمِ بأنْ تُصْلِحَ مِنْ شَأْنِه، وتُفْرِغَ عَلَيْه مَلابِسَ السُّلْطَانِ، وتُهَيِّئَه لِجُلُوسِ التَّخْتِ، ورَكِبَ هُوَ صَبِيحَةَ ذَلِكَ اليَوْمِ، وَوَقَفَ بالرَّمِيلَةِ عِنْدَ مُصَلَّى المؤْمِنِيِّ، وتَنَاوَلَ قِطْعَةً مِنْ ثَوْبٍ فنَصَبَهَا لِوَاءً، وكَانَ صِبْيَانُ المدِينَةِ في الطُّرُقَاتِ قَدْ شَرَعُوا في اتِّخَاذِ الدَّبَادِبِ والطُّبَيْلاتِ لِلَعِبِ أيَّامِ العِيدِ، فأَمَرَ بتَنَاوُلِ بَعْضِهَا مِنْهُم، وقُرِعَتْ(أ) بَيْنَ يَدَيْه، وتَسَاتَلَ إلَيْه النَّاسُ مِن كُلِّ أَوْبٍ، ونَزَلَ مَنْ كَانَ بِطِبَاقِ القَصْرِ وغُرَفِه وبالقَاهِرَةِ مِنَ المَمَالِيكِ، وَاجْتَمَعُوا إلَيْه حَتَّى كَظَّ(1) ذَلِكَ الفَضَاءُ بِزِحَامِهِم، وكَانَتْ خُيُولُ الأُمَرَاءِ المسَافِرِينَ مُرْتَبَطَةً عَلَى عَلُوفَةِ البِرْسِيمِ عَلَى عَادَتِهِم، فنَادَى في ذَلِكَ الجَمْعِ بِنَهْبِها، وأَذِنَ لَهم في رُكُوبِها، فانْطَلَقُوا إلَيها زُرَافَاتٍ وَوِحْدَاناً، وَجَاءُوا تُعَادِي بِهِم، فاسْتَغْلَظَ لَفِيفُه، ثُمَّ اقْتَحَمَ القَلْعَةَ في جَمْعِه مِنْ بَابِ الاسْطَبْلِ إلى بَيْتِ مَكْفُولِه أمِيرِ عَلِيٍّ وَلِيِّ العَهْدِ، عِنْدَ بَابِ السِّتَارَة، يَطْلُبُونَه، وقَبَضُوا عَلَى زِمَامِي الدُّورِ، وكَانُوا عِدَّةً، حَتَّى أَحْضَرُوا وَلِيَّ العَهْدِ.

وجَاءُوا بِه عَلَى الأَكْيَادِ(2) إلى الإيوَان، فأَجْلَسُوه عَلَى التَّخْتِ، وأَحْضَرُوا أَيْدَمُر نَائِبَ القَلْعَةِ فبَايَعَ لَه(ب)، ثُمَّ أَنْزَلُوه إلى بَابِ الاسْطَبْلِ وأَجْلَسُوه هُنَالِكَ عَلَى الكُرْسِيِّ، وَاسْتَدْعَى الأُمَرَاءَ المقِيمِينَ بالقَاهِرَة فبَايَعُوا، وحُبِسَ بَعْضُهم بالقَلْعَةِ، وبَعَثَ

(أ) في س: وقرعها.   (ب) في س: لهم.

---

(1) ضاق، واشتدّ امتلاؤه.

(2) في النجوم الزاهرة 11: 73: ثم أركبوا أمير عليّ على بعض خيولهم وتوجهوا به إلى الإيوان، وينظر السلوك 3: 276. والأكياد جمع على غير قياس لكَيْد، بمعنى جاءوا به خديعةً واحتيالاً.

أقتمُر الحنبَليّ إلى الصَّعيدِ يَستَكْشِفُ أحْوالَه، وَاختَصَّ مِنهم أبِنْبك فجَعلَه رَدِيفاً في دَوْلَتِه، وباتُوا كَذلِكَ، وأصْبَحُوا يُسَائِلُونَ الرُّكبَان، ويَستَشرِفُونَ إلى أخْبَارِ[ا] السُّلْطَانِ.

وكَانَ السُّلْطَانُ لَما انهَزَمَ مِنَ العَقَبَة سَارَ لَيلَتَينِ وَجَاءَ إلى البِرْكَة آخِرَ الثَّانِيَة، وأحَسُّوا بِوَاقِعَة القَاهِرَةِ ومَا فَعلَه قَرْطَاي، فَتَشَاوَرُوا[ب] فَأشَارَ مُحَمَّدُ بنُ عِيسَى بِقَصْدِ الشَّامِ، وأشَارَ الآخَرُونَ بالدُّخُولِ إلى القَاهِـرَة، ومَالَ السُّلْطَانُ إلَيه، وَاستَمَرُّوا إلى قُبَّةِ النَّصْرِ، وتَهَافَتُوا عَنْ رَوَاحِلِهم طَلَايح[1] قَدْ أنهَكَهم التَّعَبُ وأضْنَاهم[ج] السَّهَرُ، فَما هُوَ إلَّا أنْ تَوَاقَعُوا لِمَنَاكِبِهم وجُنُوبِهم فَأغْشَاهـم النُّعَاسُ، وَجَاءَ النَّاصِرِيُّ / إلى السُّلْطَانِ الأشرَفِ مِنْ بَيْنِهم، فَتَنَصَّحَ لَه بأنْ يَتَسَلَّلَ عَنْ أصْحَابِه، [374أ] ويَتَسَرَّبَ في بَعْضِ البُيُوتِ بالقَاهِرَة[د] حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ وَجهُ مَذْهَبِه، وَانطَلَقَ بَيْنَ يَدَيْه فَقَصَدَ بَعْضَ النِّسَاءِ[2] مِمَّنْ كَانَت[هـ] تَنْتَابُ قَصْرَه، وَاختَفَى عِنْدَهَا يَظُنُّ النَّجَاةَ في ذَلِكَ، وفَارَقَه النَّاصِرِيُّ يَطْلُبُ نَفَقاً في الأرْضِ، وقَدْ كَانُوا بَعَثُوا مِنْ قُبَّةِ النَّصْرِ بَعْضَ المَمَالِيكِ الغُشْمِ[3] رَائِدًا يَستَوْضِحُ الخَبَرَ، فَأصْبَحَ بالرّميلَة أمَامَ القَلْعَةِ، وتَعَارَفَ النَّاسُ أنَّه مِنَ الحَاجِّ، فَرَفَعُوه[و] إلى صَاحِبِ الدَّوْلَة، وعَرَضَ عَلَيْه العَذَابَ حَتَّى خَبَّرَه عَنِ السُّلْطَانِ، وأنَّه وأصْحَابُه بِقُبَّةِ النَّصْرِ مُصْرَعِينَ مِنْ غَشْيِ النَّوْمِ.

(ا) في س: خبر. (ب) سقط من س. (ج) في س: وأنضام. (د) في س: إلى القاهرة. (هـ) في س: كان.
(و) في س: فدفعوه.

(1) الإعياء والسقوط من السفر.
(2) آمنة زوجة المشتولي. ينظر السلوك 3: 781، المنهل الصافي 6: 246، النجوم الزاهرة 11: 75.
(3) جمع غشيم، الجاهل بالأمور، من لا نظر له ولا فكر.

فَطَارَ إلَيْهِم شِدَادُ العَسْكَرِ مَعَ أَسَنْدَمُر الصَّرْغَتْمُشِي، والجُمْهُورُ في سَاقَتِهِم، حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِم في مَضَاجِعِهِم، وَافْتَقَدُوا[أ] السُّلْطَانَ مِنْ بَيْنِهِم، فَقَتَلُوهم جَمِيعًا، وجَاءُوا بِرُءوسِهم. وَوَجَمُوا لافْتِقَادِ السُّلْطَانِ، ونَادَوا بِطَلَبِه، وعَرَضُوا العَذَابَ والقَتْلَ عَلَى مُحَمَّدِ بنِ عِيسَى صَاحِبِ الدَّرَكِ، فَتَبَرَّأ، وحُبِسَ رَهِينَةً في شَأْنِه، ثُمَّ جَاءَتْ إمْرَأَةٌ إلى أَيِنْبك فَدَلَّتْه عَلَيْه في بَيْتِ جَارَتِها، فَرَكِبُوا وَاسْتَخْرَجُوه مِنْ ذَلِكَ البَيْتِ، ودَفَعُوه إلى أَيِنْبك البَدْرِيّ، فَامْتَحَنَه حَتَّى دَلَّهُم عَلَى الذَّخِيرَةِ والأَمْوَالِ[1]، ثُمَّ قَتَلُوه خَنْقًا[2]، وجَدَّدُوا البَيْعَةَ لابْنِه أَمِير عَلِيّ ولَقَّبُوه المَنْصُورَ، وَاسْتَقَلَّ بِدَوْلَتِه كَافِلُه مِنْ قِبَلِ الأَمِير قَرَطَاي ورِدْفُه أَيِنْبك البَدْرِيُّ، واسْتَقَرَّ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ.

مَجِيءُ طَشْتَمُر مِنَ العَقَبَةِ وانهزامُه، ثمّ مَسِيرُهُ ثانياً إلى الشَّام، وتَجْديدُ البَيعَةِ للمَنصُورِ بإذنِ الخَلِيفَةِ وتقديمُه

لَمَّا انْهَزَمَ السُّلْطَانُ بالعَقَبَة، ومَضَى إلَى القَاهِرَة، اجْتَمَعَ أَهْلُ الثَّوْرَةِ عَلَى طَشْتَمُر وأَلْقَوا إلَيْه بالقِيَادِ، ودَعَوا الخَلِيفَةَ إلى البَيْعَةِ لَه[3]، فَتَفَادَى مِنْ ذَلِكَ، ومَضَى الحَاجُّ إلى مَكَّةَ مَعَ أَمِيرِ الحَجِّ[ب] بَهَادِر الجَمَالِيّ عَلَى العَادَة، ورَجَعَ القُضَاةُ والفُقَهَاءُ إلى القُدْسِ، وتَوَجَّه طَشْتَمُر والأُمَرَاءُ إلى مِصْرَ لِتَلَافِي السُّلْطَانِ أَوْ تَلَفِه، ولَقِيَهم خَبَرُ

(أ) في س: وفقدوا. (ب) في س: أمير المحمل.

---

(1) السلوك 3: 279 – 282.

(2) خامس ذي القعدة 778 هـ. المنهل الصافي 6: 246.

(3) وقد أرادوا الخليفة أن يقوم بالأمر من غير سلطان، ويستبد بالمملكة.... فلم يوافقهم على ذلك. كذا في السلوك 3: 285.

مَهلِكِه بعَجْرُود[1]، ومَا كَان مِنْ بَيْعَةِ ابْنِه / واسْتِقْلالِ قَـرْطَاي بِالمُلْك، فَثَابَ لَهم رَأْيٌ آخَرُ فِي حَزْبِ أَهْلِ الدَّوْلَة، وسَارُوا عَلَى التَّعْبِئَةِ، وبَعَثُوا فِي مُقَدِّمَتِهم قَطْلُقْتَمُرَ العَلائِيّ، ولَقِيَ طَلائِعَ مِصْرَ فَهزَمَهم، وسَارَ [عَلَى التَّعْبِئَة][أ] فِي اتْبَاعِهِم إِلَى سَاحَةِ القَلْعَةِ، فَلَم يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِي جُمْهُورِ العَسْكَرِ، فَقَبَضُوا عَلَيْه[2]. [374ب]

وكَان قَرْطَاي قَدْ بَعَثَ عَنْ أَقْتَمُرَ الصَّاحِبِيّ الحَنْبَلِيّ مِنَ الصَّعِيدِ، وسَرَّحَه فِي العَسَاكِرِ لِحَرْبِ طَشْتَمُرَ وأَصْحَابِه، فَبَرَزَ إِلَيهم، والتَقَوا بِسَاحَةِ القَلْعَةِ، وَانْهَزَمَ طَشْتَمُرُ إِلَى الكِيمَان بِنَاحِيَةِ مِصْرَ، ثُمَّ اسْتَأْمَنَ، فَأَمَّنُوه واعْتَقَلُوه[3].

ثُمَّ جَمَعُوا النَّاسَ لِيَوْمٍ مَشْهُودٍ[4]، وحَضَرَ الخَلِيفَةُ والقُضَاةُ والعُلَمَاءُ والأُمَرَاءُ، وعَقَدَ الخَلِيفَةُ للمَنْصُورِ بنِ الأَشْرَف وفَوَّضَ إِلَيْه، وقَامَ قَرْطَاي بالدَّوْلَة وقَسَّمَ الوَظَائِفَ، فَوَلَّى طَشْتَمُرَ اللَّفَّافَ أَتَابِكاً، وأَسَنْدَمُرَ الصَّرْغَتْمُشِيّ أَمِيرَ سِلَاحٍ، وقَطْلُوبُغَا البَدْرِيّ أَمِيرَ مَجْلِس، وقَرْطَاي الطَّازِيّ رَأْسَ نَوْبَة، وإِيَاساً الصَّرْغَتْمُشِيّ دَوَادَاراً، وأَيْنَبك البَدْرِيّ أَمِيرَ المَاخُورِيَّة، وسَوْدُون جَرْكَس أُسْتَادَاراً، وأَقْتَمُرَ الحَنْبَلِيّ نَائِباً وجَعَلَ لَه الإِقْطَاعَ للأَجْنَادِ والأُمَرَاءِ والنُّوَّابِ، وأَفْرَجَ عَنْ طَشْتَمُرَ العَلائِيّ الدَّوَادَار وبَعَثَه نَائِباً إِلَى الشَّامِ، وَوَلَّى جَمَاعَةَ أُمَرَاءَ فِي الأَلْفِيَّة والطَّبْلَخَانَاة، وبَعَثَ

(أ) من س.

---

(1) عجرود: إحدى محطات الحاج القديمة، على الطريق ما بين القاهرة والسويس. القاموس الجغرافي.

(2) سادسه (ذو القعدة 778 هـ). كما في السلوك 3: 286.

(3) السلوك 3: 286 .

(4) ثامن شهر ذي القعدة 778 هـ. النجوم الزاهرة 11: 148، السلوك 3: 287.

المُعْتَقَلِين بالقَلْعَةِ إلى الإسْكَنْدَرِيَّة، وأحْضَرَ بَني المَلِكِ(ب) النَّاصِرِ مِن الكَرَك مع حَافِظِهم سَوْدُون الشَّيْخُونِيّ وَوَلَّاه حَاجِبًا، وكَذَلِك بَلُّوط الصَّرْغَتْمُشِي(1).

وأصَابَ النَّاسَ في آخِرِ السَّنَةِ طَاعُونٌ مَاتَ فِيه جَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ، مِنْهُم: خَلِيلُ بنُ قُوصُون، ويَعْقُوبُ شَاه، ويُونُس الرَّمَّاحُ، وَاتَّصَلَ الطَّاعُونُ إلى أوَّلِ [سَنَة](أ) تِسْعٍ وسَبْعِين، فَهَلَكَ طَشْتَمُرُ اللَّفَّافُ الأتَابِك، وَوَلِيَ مَكَانَه قَرَطَاي الطَّازِيُّ، وجَعَلَ مُبَارَكَ الطَّازِيَّ في وَظِيفَتِه، وَاسْتَدْعَى يَلْبُغَا النَّاصِرِيُّ مِنَ الشَّام(2)، فاخْتَصَّه الأمِيرُ الكَبِيرُ قَرَطَاي بالمُخَالَطَةِ والمشَاوَرَةِ.

نَكْبَةُ قَرَطَاي، وَاسْتِقْلَالُ أَيْنَبك بالدَّوْلَة ثُمَّ مَهْلَكُه

[375 أ] كَان أَيْنَبَك العِزِّيُّ هَذَا قَدْ رَدِفَ قَرَطَاي في حَمْلِ الدَّوْلَةِ مُذْ أَوَّلِ / تَوَرُّتِهم وَقِيَامِهِم عَلَى السُّلْطَان، كَمَا مَرَّ، فَخَالَصَه وَخَالَطَه بِنَفْسِه في الإصْهَارِ لَه(3)، وَكَان أَيْنَبك يَرُومُ الاسْتِبْدَادَ شَأنَ أَصْحَابِه، وَكَان يَعْرِفُ مِنْ قَرَطَاي عُكُوفه عَلَى لَذَّاتِه وَانْغِمَاسه مَعَ نُدَمَائِه، وَعَمِلَ قَرَطَاي في صَفَرٍ(4) تِسْعٍ وَسَبْعِينَ صَنِيعاً في بَيْتِه، وَجَمَعَ نُدَمَاءَه مِثْل: سَوْدُون جَرْكَس، وَأَسَنْدَمُر الصَّرْغَتْمُشِيّ، وَقَطْلُوبُغَا البَدْرِيّ، وَقَطْلُوبُغَا جَرْكَس، ومُبَارَكِ الطَّازِيّ، وَغَيْرِهم، وَأَهْدَى لَهُم(أ) أَيْنَبك نَبِيذاً أُذِيبَ فِيه بَعْض

(ب) سقط من س.   (أ) من س.

(1) السلوك 3: 287 – 290، النجوم الزاهرة 11: 149.
(2) في تاسعه (صفر 779 هـ). السلوك 3: 305.
(3) واتفق أن قرطاي تزوج بابنة الأمير أينبك. السلوك 3: 305.
(4) عشرينه. السلوك 3: 305، النجوم الزاهرة 11: 153.

المُرَقِّدَاتِ(1)، وَبَاتُوا يَتَعَاطُونَه حَتّى غَلَبَهم السُّكْرُ عَلى أَنْفُسِهم وَلَم يَفِيقُوا، فَرَكِبَ أَيِنْبك مِنْ لَيْلَتِه، وَأَرْكَبَ السُّلْطَانَ المَنْصُورَ مَعَه، وَاخْتَارَ الأَمْرَ لِنَفْسِه، وَاجْتَمَعَ إِلَيْه النَّاسُ، وَأَفَاقَ قَرَطَاي بَعْدَ ثَلاثٍ وَقَدِ انْحَلَّتْ عَنه العُقْدَةُ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى أَيِنْبك، فَبَعَثَ إِلَيْه يَسْتَأْمِنُ فَأَمَّنَه، ثُمّ قَبَضَ عَلَيْه وصَيَّرَه إِلى صَفَد(2)، وَاسْتَقَلَّ أَيِنْبك بالمُلْكِ والدَّوْلَة.

ثُمّ بَلَغَه مُنْتَصَفَ صَفَرٍ(3) مِنَ السَّنَة انْتِقَاضُ طَشْتَمُرْ بالشَّام، وَإِصْفَاقُ الأُمَرَاءِ هُنَالِكَ فِي سَائِرِ المَمَالِكِ عَلَى الخِلافِ مَعَه، فَنَادَى فِي النَّاسِ بالمَسِيرِ إِلى الشَّام، فَتَجَهَّزُوا، وسَرَّحَ المُقَدِّمَةَ آخِرَ صَفَر(4) مَعَ ابْنِه أَحْمَد وأَخِيه قُطْلُوقَجَاه(5)، وفِيها مِنْ مَمَالِيكِه ومَمَالِيكِ السُّلْطَان جَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ، كَانَ مِنْهم الأَمِيرَان بَرْقُوقٌ وبَرَكَةُ، المُسْتَوْلِيَانِ بَعْدَ ذَلِك، ثُمّ خَرَجَ أَيِنْبك ثَانِيَ(6) رَبِيعٍ [الآخِر](7) فِي السَّاقَةِ بالسُّلْطَانِ والأُمَرَاءِ والعَسَاكِرِ، وانْتَهَوا إِلى بِلْبِيس، وثَارَ الأُمَرَاءُ الّذِينَ كَانُوا مَعَ أَخِيه فِي المُقَدِّمَة(ب) عَلَيْه، ورَجَعَ إِلَيْه مُنْهَزِماً، فَأَجْفَلَ رَاجِعاً إِلى القَلْعَةِ بالسُّلْطَانِ والعَسَاكِرِ(8).

(أ) في س: إليه. (ب) في س: في المقدمة مع أخيه.

---

(1) في السلوك 3: 305: جرار خمر قد عمل فيه بنج، وفي النجوم الزاهرة 11: 153: مشروباً يُقال له: الشُّشْش وعمل فيه بنجاً.

(2) مات الأمير قرطاي... مخنوقاً بطرابلس، في شهر رمضان 779 هـ. السلوك 3: 326.

(3) سابع عشره (ربيع الأول 779 هـ). السلوك 3: 310.

(4) سادس عشرينه (ربيع الأول 779 هـ). السلوك 3: 311.

(5) في السلوك 3: 311، والنجوم الزاهرة 11: 156، قطلوخجا، وفي إنباء الغمر 1: 151، المنهل الصافي 3: 223: قطلوبغا.

(6) في السلوك 3: 311: أول.

(7) من السلوك 3: 311.

(8) السلوك 3: 312.

وخَرَجَ عَلَيه صَبِيحَةَ وُصُولِه يَوْمَ الاثْنَين[1] جَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ، وَهُم: قَطْلُقْتَمُر العَلائِيُّ الطَّوِيلُ، وأَلْطُنْبُغَا السُّلْطَانِيُّ، ونَغْنَغ[2]، ووَاعَدُوه قُبَّةَ النَّصْرِ للحَرْبِ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِمُ العَسَاكِرَ مَعَ أَخِيه قَطْلُوقَجَاه، فأَوْقَعُوا بِه وتَقَبَّضُوا عَلَيه، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى أَيِنْبَك فَسَرَّحَ مَنْ حَضَرَه مِنَ الأُمَرَاءِ للقَائِهم، وهُم: أَيْدَمُر الشَّمْسِيُّ، وأَقْطُمُر عَبْدُ الغَنِي، وبَهَادِرُ الجَمَالِيُّ، ومُبَارَكُ الطَّازِيُّ، في آخَرِينَ، ولَمَّا تَوَارَوْا / [375 ب] عَنه، [رَكِبَ[أ] هو][ب] هَارِباً إلى كِيمَانِ مِصْرَ، وَاتَّبَعَه أَيْدَمُر الخَطَّائِيُّ فَلَمْ يَقِفْ لَه عَلَى خَبَرٍ، ودَخَلَ الأُمَرَاءُ مِنْ قُبَّةِ النَّصْرِ إِلى الاسْطَبْلِ، وفَوَّضُوا الأَمْرَ إِلى قَطْلُقْتَمُر العَلائِيِّ، وهُم يُحَاذُونَه، وأُشِيرَ عَلَيه بِخَلْعِ المَنْصُورِ والبَيْعَةِ لِمَنْ يَقُومُ عَلَى نَفْسِه مِنْ أَبْنَاءِ السَّلاطِين، فَأَبَى.

ثُمَّ وَصَلَ صَبِيحَةَ الثُّلاثَاءِ الأُمَرَاءُ الَّذِين ثَارُوا عَلَى قَطْلُوقَجَاه[ج] أَخِي أَيِنْبَك في مُقَدِّمَةِ العَسْكَرِ، وفِيهم: يَلْبُغَا النَّاصِرِيُّ، ودِمِرْدَاش اليُوسُفِيُّ، وبَلاطُ [الصَّغِيرُ][3] مِنْ أُمَرَاءِ الأُلُوفِ، وبَرَكَةُ وبَرْقُوقُ وغَيْرُهُمَا مِنَ الطَّبْلَخَانَاتِ، فَنَازَعُوهم الأَمْرَ وغَلَبُوهم عَلَيه، وبَعَثُوا بِهم إِلى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُعْتَقَلِين، وفَوَّضُوا الأَمْرَ إلى يَلْبُغَا النَّاصِرِيِّ، فَقَامَ[د] بِأَمْرِهم[4]، [وَهُم][هـ] شَعَاعٌ وآرَاؤُهم مُخْتَلِفَةٌ.

(أ) من س، وفي ظ: راكب. (ب) من س. (ج) في س: بقطلوقجاه. (د) في س: وقام. (هـ) من س، وفي ظ: وهو.

---

(1) ثالثه (ربيع الآخر 779 هـ). كما في السلوك 3: 313، والنجوم الزاهرة 11: 157.

(2) في الأصول: ونغناغ، والتعديل مما سبق ص 474.

(3) من السلوك 3: 313.

(4) ينظر السلوك 3: 313 - 314.

ثُمَّ حَضَرَ يَوْمَ الأَحَدِ التَّاسِعِ مِنْ رَبِيعٍ [الآخِرِ][1] أَيْنْبَك صَاحِبُ الدَّوْلَةِ، ظَهَرَ مِنَ الاخْتِفَاءِ، وجَاءَ إلى بَلاطِ [الصَّغِيرِ][2] مِنهم، وأَحْضَرَه عِنْدَ يَلْبُغَا النَّاصِرِيِّ، فَبَعَثَ بِه إلى الإسْكَنْدَرِيَّة وحَبَسَه بِها[3].

وكَان يَلْبُغَا النَّاصِرِيُّ يَخْتَصُّ بَرْقُوقاً وبَرَكَةَ[أ] بالمُفَاوَضَةِ، اسْتِرَابَةً بالآخَرِين، فاتَّفَقَ رَأيُه عَلَى أنْ يَسْتَدْعُوا طَشْتَمُرَ مِنَ الشَّامِ، ويُنَصِّبُوه للإمَارَةِ الكُبْرَى، فَبَعَثُوا إلَيْه بِذَلِك وانْتَظَرُوه[4].

اسْتِبْدَادُ الأَمِيرَيْنِ أَبِي سَعِيد بَرْقُوق وبَرَكَةَ مِن بَعد أَيْنْبَك، ووُصُولُ طَشْتَمُر مِنَ الشَّامِ وقِيَامُه بالدَّوْلَة، ثُمَّ نَكْبَتُه

لَمَّا تَغَلَّبَ هَؤلاءِ الأُمَرَاءُ عَلَى الدَّوْلَةِ ونَصَّبُوا يَلْبُغَا النَّاصِرِيَّ، ولَم يُمْحِضُوا لَه الطَّاعَة، بَقِيَ أمْرُهم مُضْطَرِباً وآرَاؤُهم مُخْتَلِفَةً، وكَان بَرْقُوقٌ وبَرَكَةُ أَبْصَرَ القَوْمِ بِسِيَاسَةِ المُلْكِ وَطُرُقِ التَّدْبِيرِ، وكَان النَّاصِرِيُّ يُخَالِصُهما، كَما مَرَّ، فتَفَاوَضُوا في القَبْضِ عَلَى هَؤلاءِ الأُمَرَاءِ[ب] المُتَصَدِّينَ للمُنَازَعَةِ، وكَبْحِ شَكَائِمِهم، وهم: دِمِرْدَاشُ اليُوسُفِيُّ، وتَمُرْبَاي الحَسَنِيُّ، وأَقْبُغَا آص الشَّيْخُونِيُّ، وأَسَنْدُمُر العُثْمَانِيُّ، في آخَرِينَ مِنْ نُظَرَائِهم، ورَكِبُوا مُنْتَصَفَ صَفَر، وقَبَضُوا عَلَيْهم أجْمَعِين، وبَعَثُوا بِهم إلى الإسْكَنْدَرِيَّة،

(أ) في س: بَرَكَة وبَرْقُوق. (ب) سقط من س.

---

(1)، (2) من السلوك 3: 314.

(3) السلوك 3: 314، النجوم الزاهرة 11: 158.

(4) السلوك 3: 314 - 315.

فحبسوهم بها، واصطفوا بلاطا منهم وولّوه الإمارة وخلطوه بأنفسهم، وأبقوا يلبغا الناصريّ على الأتابكيّة كما كان، وأنزلوه من القلعة، فسكن بيت / [376 أ] شيخو قبالتها، وولي برقوق أمير[أ] الماخوريّة ونزل بباب الإسطبل، وولي بركة الجوباني أمير مجلس، واستقرّت الدّولة على ذلك[1].

وكان طشتمر نائب الشّام قد انتقض واستبدّ بأمره، وجمع عساكر الشّام وأمراءه واستنفر العرب والتّركمان، وخيّم بظاهر دمشق، يريد المسير إلى مصر، وبرز أينبك من مصر بالسّلطان والعساكر يريد الشّام لمحاربته، فكان ما قدّمناه من نكبته وخروج الأمر عنه[2]، ومصيرها إلى جماعة الأمراء[ب] اليلبغاويّة الثّائرين بأينبك، ومقدّمهم يومئذ يلبغا النّاصريّ، ثمّ تفاوض يلبغا النّاصريّ مع بركة وبرقوق[ج] في استدعاء طشتمر، فوافقاه ورأياه نظراً، وفيه حسم الدّاء به[د] من الذين معه، وحسم الدّاء منه بكونه معهم في مصر.

فكتبوا إليه بالوصول إلى مصر بالأتابكيّة وتدبير الدّولة، وأنّه شيخ اليلبغاويّة وكبيرهم، فسكنت نفسه لذلك، ووضع أوزار الفتنة، وسار إلى مصر، فلمّا وصلها احتفلوا في برّه وتعظيمه، وأركبوا السّلطان إلى الرّيدانيّة لتلقّيه، ودفعوا الأمر إليه، وأشاروا له إلى الأتابكيّة، ووضعوا زمام الدّولة في يده، فصار إليه التّولية والعزل، والحلّ والعقد، وولّى يلبغا النّاصريّ أمير سلاح مكان بلاط، وبعثوا بلاطاً

(أ) سقط من س. (ب) سقط من س. (ج) في س: مع برقوق وبركة. (د) سقط من س.

---

(1) السلوك 3: 315 - 316.

(2) ينظر ما سبق ص 491 - .

إلى الكَرَكِ لاستِثقالِ طَشْتَمُرَ بِمَكانِه، وَوَلّى إينالَ اليُوسُفيَّ، قَريبَ بَرقُوقٍ، رَأسَ نَوبَةٍ مَكانَ النّاصِرِيِّ، وَوَلّى بَيدَمُرَ الخُوارِزميَّ نائِباً بدِمَشق، وَعَمَّرَ سائِرَ وَظائِفِ الدَّولَةِ بِمَمالِكِ الشّامِ، كَما اقتَضاه نَظَرُه، ووافَقَه عَلَيه المستَبِدّانِ: بَرقُوقٌ وبَرَكَة.

وَاستَمَرَّ الحالُ عَلى ذَلِك، وبَرقُوقٌ وبَرَكَةُ، أَثناءَ [هَذِه](أ) الأُمورِ، يَستَكثِرانِ مِنَ المَماليكِ تَغليظاً لِشَوكَتِهما، واكتِفافاً لِعِصابَتِهما أَنْ تَمتَدَّ الأَعيُنُ إلى مَراتِبِهما، فَيَبذُلانِ الجاهَ لِتابِعِهما، ويُوفِّرانِ الإقطاعَ لِمَنْ يَستَخدِمُ لَهما، ويَخُصّانِ بالإمرَةِ مَنْ يَجنَحُ مِن أَهلِ الدَّولَةِ إلَيهِما، فَغُشِيَتْ أَبوابُهما، وانصَرَفَتِ الوُجوهُ عَنْ سِواهُما.

وارتابَ طَشتَمُرُ بِنَفسِه في ذَلِك، وأَغراه أَصحابُه بالتَّوَثُّبِ بِهَذَينِ الأَميرَينِ، فلَمّا / [376 ب] كانَ ذُو الحِجَّةِ[1] سَنَةَ تِسعٍ وسَبعِين، استَعجَلَ أَصحابُه عَلى غَيرِ رَوِيَّة، ورَكِبوا وبَعَثوا إلَيه، فأَحجَمَ وقَعَدَ عَنِ الرُّكوبِ.

واجتَمَعَ بَرقُوقٌ وبَرَكَةُ بالاسطَبلِ، وأَنزَلا السُّلطانَ إلَيه، وقاتَلَ مَماليكُ طَشتَمُرَ بالرُّمَيلَةِ ساعَةً مِنْ نَهارٍ ثُمَّ انهزَموا وافتَرَقوا، واستَأمَنَ طَشتَمُرُ فأَمَّنُوه واستَدعَوه إلى القَلعَةِ، فتَقَبَّضُوا عَلَيه وعَلى جَماعَةٍ مِنْ أَصحابِه، مِنهم: أَطَلْمِش الأَرغُونِي، وبَزلار النّاصِرِيُّ، وأَمِيرُ حاجّ بنُ مُغلَطاي، ودَوادارُه أَرغُون، وبُعِثَ بِهم إلى الإسكَندَرِيَّة، فحُبِسوا بِها[2]، وبُعِثَ مَعَهم يَلبُغا النّاصِرِيُّ كَذَلِك، ثُمَّ أَفرَجَ

(أ) من س. وفي ط: هنا.

---

(1) تاسع ذي الحجة، كما في النجوم الزاهرة 11: 162، وينظر السلوك 3: 321.

(2) السلوك 3: 323.

•عنه لأيّام وبُعِثَ نائباً عَلَى طَرَابُلُس[1]، ثُمّ أُفرِجَ•[أ] عَنْ طَشْتَمُر[2] بَعْدَ ذَلِك [وأُرسِلَ][3] إلى دِمْيَاطِ[4]، ثُمّ إلى صَفَد[ب][5]، ثُمّ إلى القُدْسِ [بَطّالاً][6] إلى أَنْ مَاتَ سَنَةَ [سِتٍّ][7] وثَمَانِين.

وَاسْتَقَامَتِ الدَّوْلَةُ ـ بَعْدَ اعْتِقَالِهِم ـ [للأميرَيْنِ][ج] بَرْقُوقٍ وبَرَكَة، وخَلَتْ لَهُمَا مِنَ المُنَازِعِين، وَوَلِيَ الأميرُ بَرْقُوقٌ أتابِكاً[8]، وَوَلَّى عَلَى المَاخُورِيَّةِ مَكَانَه [صَدِيقَه][9] أَيْتَمُش البِجَاسِيَّ، وَوَلَّى قَرِيبَه إِينَالَ [اليُوسُفِيَّ][10] أميرَ سِلاح مَكَان يَلْبُغَا النَّاصِرِيّ، وَوَلَّى أَقْتَمُر العُثْمَانِيَّ دَوَادَاراً مَكَانَ أَطْلَمِش الأَرْغُونِي، وَوَلَّى أَلْطُنْبُغَا الجُوبَانِيَّ رَأْسَ نَوْبَةٍ ثَانِياً، ودِمِرْدَاش أَميرَ مَجْلِس[11].

•وتُوفِّي يَلْبُغَا النِّظَامِيُّ نَائِبُ حَلَب، فَوَلَّى مَكَانَه عَشْقُتَمُر المَارِدَانِيَّ، ثُمّ اسْتَأْذَنَ فِي الحُضُورِ فَأُذِنَ لَه، وحُبِسَ بالإسْكَنْدَرِيَّة[12]، وَوَلَّى مَكَانَه بِحَلَب تَمُرْبَاي

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) سقط من س. (ج) من س، وفي ظ: للأمير.

---

(1) في ربيع الأول 780 هـ. السلوك 3: 323.

(2) السلوك 3: 323.

(3) إضافة تتفق مع السياق، وينظر السلوك 3: 334.

(4) في أخريات هذا الشهر (ربيع الآخر 782 هـ). السلوك 3: 334.

(5) في جمادى الآخرة 782 هـ. السلوك 3: 396.

(6) من السلوك 3: 474.

(7) في الأصول: سبع، والتصويب من درة الأسلاك، السلوك 3: 528، المنهل الصافي 6: 395.

(8) في يوم الاثنين ثالث عشره (ذي الحجة 779 هـ). السلوك 3: 323.

(9)، (10) من السلوك 3: 323، 325.

(11) النجوم الزاهرة 11: 163 – 164.

(12) في عشرينه (ربيع الأول 780 هـ). السلوك 3: 332.

الحَسَنِيّ الدِّمِرْداشِيّ ●[ا]، ثُمّ أُفرِجَ عَنه[1] وأقامَ بالقُدسِ قَليلاً، حتّى استَدْعاه بَرَكَةُ وأكرَمَ نُزُلَه، وبَعَثَهُ نائِباً عَلَى حَلَب[2].

ثورةُ إينال ونكبته

كان إينالُ هَذا أميرَ سِلاحٍ، وكانَ لَه مَقامٌ في الدَّوْلَة، وهُو قَريبُ الأَميرِ بَرْقُوق، وكانَ شَدِيدَ الانحِرافِ عَنِ الأميرِ بَرَكَة، ويَحْمِلُ قَرِيبَه عَلَى مُنافَرَتِه، ولا يُجِيبُه إلى ذَلِك، [فاعتَزَمَ][ب] عَلَى الثَّوْرَةِ، وتَحَيَّنَ لَهَا سَفَرَ الأميرِ بَرَكَةَ إلى البُحَيْرَة مُتَصَيِّداً، فرَكِبَ الأميرُ بَرْقُوقٌ في بَعْضِ تِلْكَ الأيّامِ مُتَصَيِّداً بِسِياجِ البَلَدِ، فرَأى أنْ قَدْ خَلا لَه الجَوُّ فرَكِبَ وعَمَدَ إلى بابِ الاسْطَبْلِ فمَلَكَه[3]، ومَعَه جَماعَةٌ مِنْ مَمالِيكِ قَرِيبِه الأميرِ بَرْقُوق، وتَقَبَّضُوا عَلَى أميرِ المَاخُورِيَّةِ جَرْكَس الخَلِيلِيّ، واسْتَدْعَوا السُّلْطَانَ / المَنْصُورَ أنْ[ج] يُظْهِرُوه للنّاسِ، فمَنَعَه المُقَدَّمُون ببابِ السِّتَارَة. [377ا]

وجاءَ الأميرُ بَرْقُوقٌ مِنْ صَيْدِه، ومَعَه الأتابِكُ أيْتَمُش، فدَخَلُوا إلى مَنْزِلِه خارِجَ القَلْعَةِ[4]، وأفرَغُوا السِّلاحَ عَلَى سائِرِ مَمالِيكِهِم، ورَكِبُوا إلى ساحَةِ الاسْطَبْلِ، ثُمّ عَمَدُوا إلى البابِ فأحْرَقُوه، ثُمّ تَسَلَّقَ[د] الأميرُ قُرْطٌ السُّورَ مِنْ جِهَةِ بابِ السِّرّ

(ا) سقط ما بين النجمين من س. (ب) من س، وفي ظ: واعتزم. (ج) سقط من س. (د) في س: وتسلق.

(1) في ثالث جمادى الآخرة 780 هـ. السلوك 3: 337.

(2) في رابع جمادى الأولى 781 هـ. السلوك 3: 358.

(3) في رابع عشرينه (شعبان 781 هـ). السلوك 3: 365، النجوم الزاهرة 11: 167.

(4) السلوك 3: 365: تحت القلعة.

وفتحه [لهم][أ] فولجوا منه، ودافعوا إينال، وانتقض عليه المماليك الّذين كانوا معه من مماليك الأمير برقوق، ورموه بالسّهام، فانهزم ونزل إلى بيته جريحًا، وأحضر إلى الأمير برقوق فاعتذر له بأنّه لم يقصد بفعلته إلّا التّغلّب على بركة، فبعث به إلى الإسكندريّة معتقلاً[1]، وأعاد يلبغا النّاصريّ أمير سلاح، كما كان، واستدعي لها من نيابة[ب] طرابلس[2].

ووصل الخبر إلى بركة فأسرع الكرّ من البحيرة، وانتظم الحال، ونظروا في الوظائف الّتي خلت من[ج] هذه الفتنة، فعمّروها بمن يقوم بها، واختصّوا بها[د] من حسن غناؤه في هذه الواقعة، مثل: قردم [الحسنيّ][3]، وقرط [بن عمر التّركمانيّ][4]، وذلك سنة إحدى وثمانين[5].

وأقام إينال معتقلاً بالإسكندريّة، ثمّ أفرج عنه في صفر[6] اثنتين وثمانين، وولّي على طرابلس، ثمّ توفّي منكلي بغا الأحمديّ[7] نائب حلب، فولّي إينال مكانه[8]، ثمّ قبض عليه آخر السّنة[9] وحبس بالكرك، وولّي مكانه يلبغا النّاصريّ.

(أ) من س، وفي ظ: إليهم. (ب) سقط من س. (ج) في س: ف. (د) سقط من س.

---

(1) السلوك 3: 365 – 366.
(2) المصدر نفسه 3: 368.
(3)، (4) من السلوك 3: 367.
(5) في ثاني شهر رمضان. السلوك 3: 367.
(6) في ثامن عشرى (ربيع الأول). السلوك 3: 388.
(7) سنة 782 هـ. السلوك 3: 406.
(8) في جمادى الآخرة 782 هـ. السلوك 3: 396.
(9) في سابع عشرينه (شعبان 783 هـ). السلوك 3: 453.

وتُوفي كَمشبُغا الحَمَوِيّ نائِبُ دِمَشقَ فبُعِثَ مَكانَه بَيدمُر الخَوارِزْمِيّ[1].

ثُم تُوفي سَنةَ إحْدَى وثَمانينَ قارَا بنُ مهنّا أميرُ العَرَبِ بالشَّام، فوُلِّيَ مَكانَه مُعَيْقِلُ بنُ فضْلِ بن عِيسَى وزَامِلُ بنُ مُوسَى بنِ عِيسَى شرِيكَيْنِ[2]، ثُم عُزِلا، ووُلِّيَ نُعَيْرُ بنُ حَيَّار[3].

ثورةُ بَركَة ونَكبَتُه، واستِقلالُ الأميرِ برقوق بالدَّولَة

كَان هَـذا الأميرُ بَرَكَةُ مُعَادِلَ الأمِيرِ بَرْقُوقٍ في حَمْلِ الدَّوْلَة، كَما ذَكَرْنَاه، وكَان أصْحَابُه يُوحُونَ إلَيه الاسْتِبْدَادَ في الأُمُورِ، وكَان الأمِيرُ بَرْقُوقٌ كَثِيرَ التَّثبُّتِ في الأُمُورِ والمَيْلِ إلى المَصَالِحِ، فيُعَارِضُهم في الغَالِبِ، ويَضْرِبُ عَلَى أيْدِيهم في الكَثِيرِ مِنَ الأحْوَالِ، فغَصُّوا بِمَكَانِه، وأغْرَوا بَرَكَةَ بالتَّوَثُّبِ / والاسْتِقْلالِ بالأمْرِ، وسَعَوا عِنْدَه [377ب] بأيْتَمُش، مِنْ كِبَارِ أصْحَابِ الأمِيرِ بَرْقُوق، أنَّه يَحْمِلُ بَرْقُوقاً عَلَى مُقَاطَعَة بَرَكَةَ ويُفْسِدُ ذَاتَ بَيْنِهِما، وأنَّه يَطْلُبُ الأمْرَ لِنَفْسِه، وقَدِ اعْتَزَمَ عَلَى الرُّكُوبِ عَلَيْهِمَا، فَجَاءَ بَرَكَةُ بِذَلِكَ إلى الأمِيرِ بَرْقُوق، وأرَادَ القَبْضَ عَلَى أيْتَمُش، فَمَنَعَه [الأمِيرُ][(أ)] بَرْقُوقٌ ودَفَعَ عَنْه[4].

وعَظُمَ انْحِرَافُ بَرَكَةَ عَنْ أيْتَمُش، ثُمَّ عَنِ الأمِيرِ بَرْقُوق، وسَعَى في إصْلاحِ بَيْنِهِما الأكَابِرُ حَتَّى أكْمَلُ الدِّين شَيْخُ الحَنَفِيَّة، والخَلْوَتِيُّ شَيْخُ الصُّوفِيَّة مِنْ كِبَارِ[(ب)]

(أ) من س. (ب) في س: أهل.

---

(1) في ثانيه (صفر 784 هـ). السلوك 3: 467.

(2) في ثامن عشره (ربيع الأول). السلوك 3:356، المنهل الصافي 9: 7.

(3) في شوال 781 هـ. السلوك 3: 369، وينظر ما سبق ص 482.

(4) ينظر السلوك 3: 378، النجوم الزاهرة 11: 174.

خُرَاسَان، وجَاءُوا بأَيْتُمُش إلى بَرَكَةَ مُسْتَغيثاً، فقَبِلَه وأَعْتَبَه وخَلَعَ عَلَيْه[1]. ثُمّ عَاوَدَ انْحِرَافَه ثَانِيَةً، فَمَسَحُوا أعْطَافَه، وسَكَنَ وهُوَ مُجْمِعٌ الثَّوْرَةَ والفَتْكَ، ثُمّ عَاوَدَ حَالَه تِلْكَ ثَالِثَةً[(ا)].

وَاتَّفَقَ أنْ كَان صَنِيعٌ في بَيْتِ الأَمِيرِ بَرْقُوق لسُرُورٍ أَوْلَمَ لَه في بَعْضِ أيّامِ الجُمُعَةِ[2] في شَهْرِ رَبِيعٍ [الأوّل][3] سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمَانِين، وحَضَرَ عِنْدَه أَصْحَابُ بَرَكَة كُلُّهم وأَهْلُ شَوْكَتِه، وقَدْ جَاءَه النَّصِيحُ بأَنّ بَرَكَة قَدْ أجْمَعَ الثَّوْرَةَ غَدَاةَ يَوْمِه، فتَقَبَّضَ الأَمِيرُ بَرْقُوقٌ عَلَى مَنْ كَانَ عِنْدَه مِنْ أَصْحَابِ بَرَكَة، لِيَقُصَّ جَنَاحَه مِنْهم، وأَرْكَبَ حَاشِيَتَه للقَبْضِ عَلَيْه، وأَصْعَدَ بُزْلارَ النَّاصِرِيّ عَلَى مِئْذَنَة مَدْرَسَةِ حَسَن فَنَضَحَه في إصْطَبْلِه بالنَّبْلِ[(ب)]، ورَكِبَ بَرَكَةُ إلى قُبَّةِ النَّصْرِ وخَيَّمَ بِها، فَنُودِيَ[(ج)] في العَامَّةِ بِنَهْبِ بَيْتِه، فنَهَبُوهَا للوَقْتِ وخَرَّبُوهَا، وتَحَيَّزَ إلَيْه يَلْبُغَا النَّاصِرِيُّ فَخَرَجَ مَعَه، وجَلَسَ الأَمِيرُ بَرْقُوقٌ ببَابِ القَلْعَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الإصْطَبْلِ، وسَرَّبَ الفُرْسَانَ للقِتَالِ، فَاقْتَتَلُوا عَامَّةَ يَوْمِهم، فزَحَفَ بَرَكَةُ عَلَى تَعْبِئَتَيْن، إحْدَاهُمَا لِيَلْبُغَا النَّاصِرِيّ، وخَرَجَ آلانُ الشَّعْبَانِيُّ للقَائِه، وأَيْتُمُش للقَاءِ يَلْبُغَا النَّاصِرِيّ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ بَرَكَة، وَرَجَعَ إلى قُبَّةِ النَّصْرِ، وقَدِ ارْتَثُّوا بالجِرَاحِ، وتَسَلَّلَ أكْثَرُهم إلى بُيُوتِهم، وأَقَامَ إلى اللَّيْلِ، ثُمّ دَخَلَ إلى جَامِعِ المَقْسِي[4] وبَاتَ بِه، ونُمِيَ إلى الأَمِيرِ بَرْقُوق خَبَرُه، فَأَرْكَبَ إلَيْه

(ا) سقط من س. (ب) في س: بالنبل في اصطبله. (ج) في س: ونودي.

---

(1) السلوك 3: 379 – 381.

(2) سابع شهر ربيع الأول: في النجوم الزاهرة 11: 175، وينظر السلوك 3: 381.

(3) من السلوك 3: 381.

(4) أنشأه الحاكم بأمر الله سنة 393 هـ على شاطئ النيل، ولما انحسر ماء النيل أصبح هذا الجامع يقع على الخليج الناصريّ بباب البحر، وأصبح يعرف منذ العصر العثماني بجامع أولاد عنان. ينظر المواعظ والاعتبار، المجلد الرابع 130 – 131.

أَلْطُنْبُغَا الجُوبَانِيِّ[1]، وجاءَ بِهِ إلى القَلْعَةِ، وبَعَثَ بِهِ الأَمِيرُ بَرْقُوقٌ إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ فَحُبِسَ بها إلى أنْ قَتَلَه النَّائِبُ بها صَلاحُ الدِّينِ بنُ عَرَّام، وقُتِلَ بِهِ في خَبَرٍ / يَأْتِي شَرْحُه. [378ا]

وقَبَضَ عَلَى يَلْبُغَا النَّاصِرِيّ وسَائِرِ شِيعَتِه مِنَ الأُمَرَاءِ[2]، فَأَوْدَعَهُمُ السُّجُونَ إلى أنِ اسْتَحَالَتِ الأَحْوَالُ، وَوَلَّى في وَظَائِفِهم مَنْ وَقَفَ عَلَيْه نَظَرُه مِنْ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ، وأَفْرَجَ عَنْ إينَالَ الثَّائِرِ قَبْلَه، ومِنْ أَجْلِه، وبَعَثَه نَائِباً عَلَى طَرَابُلُس، وَاسْتَقَلَّ بِحَمْلِ الدَّوْلَةِ، وَانْتَظَمَتْ بِهِ أَحْوَالُها.

وَاسْتَرَابَ بِبَيْدُمُر نَائِبِ دِمَشْق، لِصِحَابَتِه مَعَ بَرَكَة، فَقَبَضَ عَلَيْه وعَلَى أَصْحَابِه وحُبِسُوا بِدِمَشْق[3]، وَوَلَّى نِيَابَةَ دِمَشْق عَشْقْتَمُرْ، ونِيَابَةَ حَلَبَ إينَال، وَوَلَّى أَيْتَمُش الأَتَابِكِيَّةَ مَكَانَ بَرَكَة، وأَلانَ الشَّعْبَانِيّ[4] أَمِيرَ سِلاحٍ، وأَلْطُنْبُغَا الجُوبَانِيّ أَمِيرَ مَجْلِس، وأَلابُغَا العُثْمَانِيّ دَوَادَاراً[ا]، وجَرْكَس الخَلِيلِيّ أَمِيرَ المَاخُورِيَّة[5].

انْتِقَاضُ أَهْلِ البُحَيْرَةِ وواقِعَةُ العَسَاكِرِ مَعَهُم

كَانَ هَؤُلاءِ الطَّوَاعِنُ الَّذِين عَمَّرُوا البُحَيْرَةَ مِنْ بَقَايَا هَوَّارَةَ ومَزَاتَه وزَنَّارَة، يُعَمِّرُونَها بِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِم مِنْ هَذِه القَبَائِلِ، وغَيْرِهم، ويَقُومُونَ بِخَرَاجِ السُّلْطَانِ كُلَّ

(ا) في س: دويدا.

(1) السلوك 3: 384: يونس النوروزي.

(2) ثالث عشره (ربيع الأول 782 هـ). السلوك 3: 387، وينظر النجوم الزاهرة 11: 179.

(3) في ربيع الأول 782 هـ. السلوك 3: 388، وينظر النجوم الزاهرة 11: 181.

(4) علان الشعباني. النجوم الزاهرة 11: 180.

(5) السلوك 3: 389.

سَنَةً في إبّانِهِ، وكَانَتِ الرِّيَاسَةُ عَلَيْهِم حَتّى في أداءِ هَذا[ا] الخَرَاجِ لِبَدْرِ بن سَلّام، ولِآبائِه[ب] مِنْ قَبْلِه، وهُو مِنْ زَنّارَة إحْدَى شُعُوبِ لَوَاتَة، وكَانَ لِلبَادِيَةِ المُتَبَدِّينَ بِبَرِّيَّةِ بَرْقَةَ مِثْلَ: أَبِي ذِئْبٍ شَيْخِ أَحْيَاءِ بِمِصْرَاتَة وعَشِيرِه، ومِثْلَ: بَنِي التُّرْكِيَّةِ أُمَرَاء العَرَبِ بِعَقَبَةِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ، اتّصَالٌ بِهم لاحْتِيَاجِهم إلى المِيرَةِ مِنَ البُحَيْرَة، ثُمّ اسْتُخْدِمُوا لأُمَرَاءِ التُّرْكِ في مَقَاصِدِهِم وبِأَمْوَالِهِم[ج]، واعْتَزُّوا بِجَاهِهِم، وأشْفَوْا عَلَى نُظَرَائِهِم مِنْ هَوَّارَةَ وغَيْرِهِم، ثُمّ حَدَثَتِ الزِّيَادَةُ في وَظَائِفِ الجِبَايَةِ، كَمَا هِي طَبِيعَةُ الدُّوَلِ، فَاسْتَثْقَلُوهَا وحَدَّثَتْهم أَنْفُسُهم بالامْتِنَاعِ مِنْها، لِمَا عِنْدَهم مِنَ الاعْتِزَازِ، فَأَرْهَقُوا في الطَّلَبِ، وجَلَسَ سَلّامٌ بالقَاهِرَةِ، وأجْفَلَ ابنُه بَدْرٌ إلَى الصَّعِيدِ بالقَبِيلَة، واعْتَرَضَتْه هُنَالِكَ عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ فَقَاتَلَهم، وقُتِلَ الكَاشِفُ[1] في حَرْبِه، وسَارَتْ إلَيْه العَسَاكِرُ سَنَةَ ثَمَانِين مَعَ أَلَان الشَّعْبَانِيِّ وأَحْمَدَ بنِ يَلْبُغَا وإينَالَ / [378ب] قَبْلَ ثَوْرَتِه، فَهَرَبُوا، وعَاثَ العَسْكَرُ في مَخْلَفِهِم ورَجَعُوا، وعَادَ بَدْرٌ إلى البُحَيْرَة، وشُغِلَتِ الدَّوْلَةُ عَنْهم بِمَا كَانَ مِنْ ثَوْرَةِ إينَال [وبَرَكَةَ][د] بَعْدَه.

وَاتَّصَلَ فَسَادُ بَدْرٍ وَامْتِنَاعُه، فَخَرَجَتْ إلَيْهِمُ[هـ] العَسَاكِرُ[2] مَعَ الأَتَابِكِ أَيْتَمُش، وأَلَانَ أَمِير سِلَاح، والجُوبَانِيّ أَمِير مَجْلِس، وغَيْرِهِم مِنَ الأُمَرَاءِ، وفِيهِم قُرْطُ بنُ عُمَر مِنْ أُمَرَاءِ التُّرْكُمَانِ المُسْتَخْدَمِينَ في الدَّوْلَة، فَأَجْفَلَ بَدْرٌ بِأَهْلِ البُحَيْرَةِ إلى النَّاحِيَة

(ا) سقط من س. (ب) في س: وآبائه. (ج) في س: وبأمرائهم. (د) من س.
(هـ) في س: إليه.

---

(1) الأمير مراد كاشف الوجه القبلي. السلوك 3: 339.

(2) في أول جمادى الأولى 782 هـ. السلوك 3: 392.

الغَزِيَّة. ونزلَتِ العَساكِرُ بالبُحَيْرَة، وَاعتَزَمَ بَدْرٌ عَلَى بَيَاتِهِم، وجاءَهُم[أ] النَّذِيرُ بِذلِكَ، فَانْتَبَذُوا عَنِ الخِيَامِ وتَرَكُوهَا خَاوِيَةً، ووَقَفُوا عَلَى مَرَاكِزِهِم[ب] حَتَّى تَوَسَّطَ القَوْمُ المُخَيَّمَ وشُغِلُوا بِنَهْبِه، فكَرَّتْ عَلَيْهِمُ العَساكِرُ[ج] وكَادُوا يَسْتَلْحِمُونَهم، ولَم يُفْلِتْ مِنْهم إلَّا الأَقَلُّ، وبَعَثَ بَدْرٌ بالطَّاعَةِ، وَاعْتَذَرَ بالخَوْفِ، وقَامَ بالخَرَاجِ[1]، فَرَجَعَتِ العَساكِرُ، ووُلِّيَ تَكْتَمُرُ الشَّرِيفُ عَلَى البُحَيْرَة، ثُمَّ اسْتُبْدِلَ مِنْه بقُرْطِ بنِ عُمَر.

ثُمَّ عَادَ بَدْرٌ إلى حَالِه، فَخَرَجَتِ العَساكِرُ، فَهَرَبَ أمَامَها، وعَاثَ قُرْطٌ فِيهِم، وقَتَلَ الكَثِيرَ مِنْ رِجَالاتِهِم، وحَبَسَ آخَرِين، ورَجَعَ عَنْ بَدْرٍ أَصْحَابُه مَعَ ابنِ عَمِّه رِحَابٍ وبَنِي شَادِي مُسْتَأْمِنِين، فَأُمِّنُوا، وحُبِسَ رِحَابٌ مِنْهم، وضَمِنَ البَاقُونَ القِيَامَ بالخَرَاجِ، وَاسْتَأْمَنَ بَدْرٌ فَلَم يُقْبَلْ[2]، فَلَحِقَ بِنَاحِيَةِ الصَّعِيدِ، وَاتَّبَعَتْه العَساكِرُ، فَهَرَبَ، وَاسْتُبِيحَ مَخْلَفُه وأَحْيَاؤُه، ولَحِقَ بِبَرْقَة، ونَزَلَ عَلَى أَبِي ذِئْب فَأَجَارَه، وَاسْتَقَامَ أَمْرُ البُحَيْرَة، وتَمَكَّنَ قُرْطٌ مِنْ جِبَايَتِها، وقَتَلَ رِحَاباً وَأَوْلادَ شَادِي، وكَادَ قُرْطٌ أَنْ يَسْتَوْعِبَ رِجَالاتِهِم بالقَتْلِ. وأَقَامَ بَدْرٌ عِنْدَ أَبِي ذِئْبٍ يَتَرَدَّدُ مَا بَيْنَ أَحْيَائِه وبَيْنَ الوَاحَاتِ، حَتَّى لَقِيَه بَعْضُ أَهْلِ الثَّأْرِ عِنْدَه، فَثَأَرُوا[د] مِنه سَنَةَ [تِسْعٍ][هـ] وثَمَانِين[3]، وذَهَبَ مَثَلاً فِي الآخِرِين.

(أ) في س: لجاءهم. (ب) في س: مركزهم. (ج) سقط من س. (د) في س: فثار. (هـ) من س. وفي ظ: سبع.

---

(1) السلوك 3: 391 - 392.

(2) السلوك 3: 410.

(3) وفي تاسع عشرينه (ذي القعدة 789 هـ) جاءت رأس بدر بن سلام، فعلقت على باب القلعة. السلوك 3: 567.

مَقتَلُ بَرَكَةَ فِي مَحبِسِه، وقَتلُ ابنِ عَرَّام بثَأرِه

كَان الأَمِيرُ بَرَكَةُ قَدِ اسْتَعْمَلَ أَيَّامَ إِمَارَتِه خَلِيلَ بنَ عَرَّام أُسْتَادَارَه[1]، ثُمَّ اتَّهَمَه فِي مَالِه وسَخِطَه ونَكَبَه، وصَادَرَه عَلَى مَالٍ امْتَحَنَه عَلَيْه[2]، ثُمَّ أَطْلَقَه، / فَكَان يَطْوِي 137ظ لَه عَلَى النَّثّ، ثُم صَارَ بَرَكَةُ إِلى مَا صَارَ إِلَيْه مِنَ الاعْتِقَالِ بالإِسْكَنْدَرِيَّة، وتَوَلَّى ابنُ عَرَّام نِيَابَتَها[3]، فَحَاوَلَ عَلَى حَاجَةِ نَفْسِه فِي قَتْلِ بَرَكَة، ووَصَلَ إِلى القَاهِرَةِ مُتَبَرِّماً مِنْ أَمْرِه، مُتَخَوِّفاً مِنْ مَغَبَّتِه، ورَجَعَ وقَدْ طَوَى عَنْ ذَلِكَ عَلَى الوَغْرِ، ثُمَّ حَمَلَه الحِقْدُ الكَامِنُ فِي نَفْسِه عَلَى أَنِ اغْتَالَه فِي جُنْحِ اللَّيْلِ، وأَدْخَلَ إِلَيْه جَمَاعَةً مُتَسَلِّحِينَ فَقَتَلُوه، وزَعَمَ أَنَّه أُذِنَ لَه فِي ذَلِك.

وبَلَغَ الخَبَرُ إِلى كَافِلِ الدَّوْلَةِ الأَمِيرِ الكَبِيرِ بَرْقُوق، وصَرَخُوا مَمَالِيكُ بَرَكَة بالشَّكْوَى إِلَيْه، فأَنْكَرَ ذَلِك، وأَغْلَظَ عَلَى ابنِ عَرَّام، وبَعَثَ دَوَادَارَهُ الأَمِيرَ يُونُس لِلكَشْفِ عَنْ سَبَبِه(أ) وإِحْضَارِ ابن عَرَّام، فَجَاءَ بِه مُقَيَّداً، ووَقَّفَه عَلَى شَنِيعِ مُرْتَكَبِه فِي بَرَكَة، فَحَلَفَ الأَمِيرُ لَيَقِيدَنَّ[4] مِنْه بِه، وأُحْضِرَ إِلى القَلْعَةِ فِي مُنْتَصَفِ[5] رَجَبٍ مِنْ سَنَة اثْنَتَيْنِ وثَمَانِين، فَضُرِبَ بِبَابِ القَلْعَةِ أَسْوَاطاً، ثُمَّ حُمِلَ عَلَى جَمَلٍ مُسَمَّراً، وأُنْزِلَ إِلى سُوقِ الخَيْلِ، فَتَلَقَّاه مَمَالِيكُ بَرَكَةَ عِنْدَ بَابِ القَلْعَةِ فَتَنَاوَلُوه [حَمْلَةً](ب) هَبْراً

(أ) في س: ذلك. (ب) من س، وفي ظ: وحملة.

---

(1) في يوم الاثنين ثامن عشره (جمادى الأولى 780 هـ). السلوك 3: 336.

(2) عزل عن استاداريه بَرَكَة في تاسع المحرم 782 هـ. السلوك 3: 376.

(3) في ثاني عشرينه (ربيع الأول 782 هـ). السلوك 3: 389.

(4) القَوَد: القصاص، واستقدت الحاكم: أي سألته أن يقيد القاتل بالقتيل.

(5) رابع عشرينه. السلوك 3: 397، وفي النجوم الزاهرة 11: 184: خامس عشرين رجب.

بالسُّيوفِ، إلى أنْ تَواقَعَتْ أشلاؤه بِكُلِّ ناحِيَةٍ[1]، وكانَ فيه عِظَةٌ لِمَنْ يَتَّعِظُ، أعاذَنا اللهُ مِنْ دَرَكِ الشَّقاءِ وسُوءِ القَضاءِ وشَماتَةِ الأعْداءِ.

وَفَاةُ السُّلْطَانِ المَنْصُورِ عَلِيِّ ابنِ الأشْرَفِ وَوِلايَةُ أخِيهِ الصَّالِحِ أمِيرِ حَاجّ

كَانَ هَذا السُّلْطانُ عَلِيُّ بنُ الأشْرَفِ قَدْ نَصَّبه قَرَطاي عِنْدَ ثَوْرَتِه عَلَى أبِيه الأشْرَفِ، وهُوَ ابنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَم يَزَلْ مَنْصُوباً والأمْرُ يَنْتَقِلُ مِنْ دَوْلَةٍ إلى دَوْلَةٍ، كَما ذَكَرْنا، إلى أنْ هَلَكَ لِخَمْسِ سِنِينَ مِنْ وِلايَتِه في صَفَرٍ[2] ثَلاثٍ وثَمانِينَ، فَحَضَرَ الأمِيرُ الكَبِيرُ بَرْقُوق، وَاسْتَدْعَى الأُمَرَاءَ وَاتَّفَقُوا عَلَى نَصْبِ أخِيه أمِير حَاج، ولَقَّبُوه الصَّالِحَ، وأرْكَبُوه إلى الإيوانِ فأجْلَسُوهُ عَلَى التَّخْتِ، وقَلَّدَه الخَلِيفَةُ عَلَى العَادَةِ[3]، وجَعَلَ الأمِيرَ الكَبِيرَ بَرْقُوقاً كافِلَه في الوِلايَةِ والنَّظَرِ للمُسْلِمِينَ لِصِغَرِه يَوْمَئِذٍ عَنِ القِيامِ بِهذِه العُهْدَةِ، وأفْتَى / العُلَماءُ يَوْمَئِذٍ بِذلِك، وجُعِلَ مِنْ مَضْمُونِ [379 ب] البَيْعَةِ، وقُرِيءَ كِتابُ التَّقْلِيدِ عَلَى الأُمَرَاءِ والقُضاةِ والخاصَّةِ والعامَّةِ في يَوْمٍ مَشْهُود، وَانْفَضَّ الجَمْعُ وَقَدِ انْعَقَدَ أمْرُ السُّلْطَانِ وبَيْعَتُه[4]، وضُرِبَ فِيها للأمِيرِ بَرْقُوقٍ بِسَهْمٍ، واللهُ مالِكُ الأُمُور.

---

(1) السلوك 3: 397 - 398، النجوم الزاهرة 11: 185.

(2) ثالث عشرينه. السلوك 3: 412، النجوم الزاهرة 11: 188، وينظر المنهل الصافي 8: 82.

(3) رابع عشرينه (صفر 683 هـ). السلوك 3: 412، النجوم الزاهرة 11: 206.

(4) السلوك 3: 439 - 440.

وُصُولُ أَنص العُثْمَانِيّ وَالِدِ الأَمِيرِ بَرقُوق، وَانْتِظَامُهُ فِي الأُمَرَاء

أَصْلُ هَذَا الأَمِيرِ بَرْقُوق مِنْ قَبِيلَةِ جَرْكَس المُوَطَّنِينَ بِبِلادِ الشَّمالِ في الجِبالِ [المحِيطَةِ][أ] بِمَوَاطِنِ القَفْجَاقِ والرُّوسِ والعِلان مِنْ شَرْقِيها[ب] المطِلَّةِ عَلَى بَسَائِطِهم، ويُقَالُ: إنَّهم مِنْ بَقِيَّةِ[ج] غَسَّانَ الدَّاخِلِينَ إلى بِلادِ الرُّومِ مَعَ أَمِيرِهم جَبَلَةَ بنِ الأَيْهَم، عِنْدَمَا أَجْفَلَ هِرَقْلُ مِن الشَّامِ[1] وسَارَ إلى القُسْطَنْطِينة. وخَبَرُه وَمَسِيرُه[د] مِنْ بِلادِ الشَّامِ، وقِصَّتُه[هـ] مَعَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ مُتَنَاقَلَةٌ مَعْرُوفَةٌ[و] بينَ المؤرِّخِين[2].

وأَمَّا هَذَا الرَّأيُ فَلَيْسَ عَلَى ظَاهِرِه، وقَبِيلَةُ جَرْكَس، مِنَ التُّرْكِ، مَعْرُوفَةٌ بَيْنَ النَّسَّابَة، ونُزُولُهم بِتِلْكَ المَوَاطِنِ[ز] قَبْلَ دُخُولِ غَسَّان.

وتَحْقِيقُ هَذَا الرَّأيِ أَنَّ غَسَّانَ لَمَّا دَخَلُوا مَعَ جَبَلَةَ إلى هِرَقْلٍ أَقَامُوا عِنْدَه ويَئِسُوا مِنَ الرُّجُوعِ إلى بِلادِهِم، وهَلَكَ هِرَقْلُ وَاضْطَرَبَ مُلْكُ الرُّومِ، وَانْتَشَرَتِ الفِتْنَةُ في مَمَالِكِهم، وَاحْتَاجَتْ غَسَّانُ إلى الحِلْفِ للمُدَافَعَةِ في الفِتَنِ، فَحَالَفُوا قَبَائِلَ جَرْكَس، ونَزَلُوا فِي بَسْطِ جَبَلِهم مِنْ جَانِبِه الشَّرْقِيّ مِمَّا يَلِي القُسْطَنْطِينَة، وخَالَطُوهم بالنَّسَبِ والصِّهْرِ، وَانْدَرَجُوا فِيهم حَتَّى تَلاشَتْ أَحْيَاؤُهم، وصَارُوا إلى الفَنَاءِ، وآوَوْا مِنَ البَسَائِطِ إلى الجَبَلِ مَعَ جَرْكَس، فَلا يَبْعُدُ مَعَ هَذا كُلِّه أَنْ تَكُونَ أَنْسَابُهم تَدَاخَلَتْ مَعَهم، فَمَنِ انْتَسَبَ إلى غَسَّانَ مِنْ جَرْكَس فَهُو مُصَدَّقٌ في نَسَبِه، ويُسْتَأْنَسُ لَه بِمَا ذَكَرْنَاه، فَهو شُبْهَةٌ قَوِيَّةٌ في صِحَّتِه، واللهُ أَعْلَم.

(أ) من س، وفي ظ: المحطة. (ب) في س: من شرقها. (ج) في س: بقايا. (د) في س: وخبر مسيره.
(هـ) في س: وقصته معروفة. (و) معروفة: سقط من س في هذا الموضع. (ز) في س: الأماكن.

(1) المختصر 1: 162؛ فتوح البلدان 138، المنتظم، أحداث سنة 53.
(2) المختصر 1: 161 - 162.

وجُلِبَ هَذا الأَمِيرُ بَرْقُوقٌ عَلَى عَهْدِ الأَمِيرِ[أ] يَلبُغَا، جَلَبَه [خَوَاجَه عُثْمان][ب] مِنَ التُّجَّارِ المعْرُوفِينَ، يَوْمَئِذٍ لِتِلْكَ الجِهَاتِ، فَمَلَكَه يَلبُغَا ورُبِّيَ في طِبَاقِ بَيْتِه[1]، وأَوَاوِينِ قَصْرِه، وشَدَا[2] في الرِّمَايَةِ / والثَّقَافَةِ، وتَعَلَّمَ آدَابَ المُلْكِ، وَانْسَلَخَ مِنْ جِلْدَةِ الخُشُونَةِ، وتَرَشَّحَ للرِّيَاسَةِ والإِمَارَةِ، والسَّعَادَةُ تُشِيرُ إِلَيْه، والعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ تَحُومُ عَلَيْه، ثُمَّ كَانَ مَا ذَكَرْنَاه مِنْ شَأْنِ مَمَالِيكِ يَلبُغَا ومَهْلِكِ كَبِيرِهِم، يَوْمَئِذٍ، أَسَنْدَمُر، وكَيْفَ تَقَسَّمُوا بَيْنَ الجَلاءِ والسِّجْنِ، فَكَانَ[ج] هَذَا الأَمِيرُ بَرْقُوقٌ، أَعَزَّهُ اللهُ تَعَالَى[د]، مِمَّنْ أَدْرَكَه التَّمْحِيصُ، فَلَبِثَ في سِجْنِ الكَرَكِ سِنِينَ خَمْساً، بَيْنَ أَصْحَابٍ لَه مِنهم[3]، فَكَانَتْ سَبْكاً لإِبْرِيزِه، وتَهْذِيبًا لِمَا بَقِيَ مِنْ مَوَانِعِه، وتَذْكِرَةً لَه بالرُّجُوعِ إِلى اللهِ لِيُتِمَّ مَا قَدَّرَ اللهُ فِيه مِنْ حَمْلِ أَمَانَتِه واسْتِرْعَاءِ عِبَادِه.

ثُمَّ خَلَصَ مِنْ ذَلِكَ المَحْبِسِ مَعَ أَصْحَابِه وخُلِّيَ سَبِيلُهم، فَانْطَلَقُوا إِلى الشَّامِ، وَاسْتَخْلَصَهم الأَمِيرُ مَنْجَكُ، نَائِبُ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ، وكَانَ بَصِيراً مُجَرِّباً، فَأَلْقَى مَحَبَّتَه وعِنَايَتَه عَلَى هَذَا الأَمِيرِ لِمَا رَأَى عَلَيْه مِنْ عَلامَاتِ القَبُولِ والسَّعَادَةِ. ولَمْ يَزَلْ هُنَالِكَ في خُلَصَائِه إِلى أَنْ هَجَسَ في نَفْسِ السُّلْطَانِ الأَشْرَفِ اسْتِدْعَاءُ المُرَشَّحِينَ مِنْ مَمَالِيكِ يَلبُغَا، وَاصْطِفَاؤُهم لإِكْتَافِ العِصَابَةِ السُّلْطَانِيَّةِ بِهِم، والانْتِفَاعِ في المُدَافَعَةِ عَنِ الدَّوْلَةِ بِمَكَانِهِم، لِمَا كَانَ غَصَّ بِه مِنَ اسْتِطَالَةِ القَائِمِ بِأَمْرِه يَوْمَئِذٍ، أُلْجَاي اليُوسُفِيّ، فَبَعَثَ عَنْ مَمَالِيكِ يَلبُغَا، وهَذَا الأَمِيرُ يَقْدُمُهم، وأَفَاضَ فِيهِمُ الإِحْسَانَ، وَاسْتَضَافَهم لِوَلَدِه

(أ) سقط من س. (ب) من س، وفي ط: عثمان خواجه. (ج) في س: وكان. (د) سقط من س.

---

(1) ينظر السلوك 3: 476، المنهل الصافي 3: 285، النجوم الزاهرة 11: 224.
(2) شدا من العلم شيئاً: أحسن منه طرفاً.
(3) السلوك 3: 155.

الأميرِ عَلِيّ[1]، ولَم يَكُنْ إلّا أيّامٌ وقَدِ انتَقَضَ ألْجَاي القائمُ بالدَّولَة، ورَكِبَ على السُّلطانِ، فأحضَرَهم السُّلطانُ الأشرَفُ وأطلَقَ أيدِيَهم في خُيُولِه المقرَّبَة وسِلاحِه المستَجادَة، فاصطَفَوا مِنها ما اختارُوه، ورَكِبُوا في مُدافَعَةِ ألْجاي، وصَدَقُوه القِتالَ حتّى دَفَعُوه عَنِ الرّميلَة، ثُمّ اتّبَعُوه حتّى ألقَى نَفسَه في البَحرِ فكانَ آخِرَ العَهْدِ بِه، واحتَلّوا بمكانٍ مِن أثَرَةِ السُّلطانِ واختِصاصِه، فَسَوَّغَهم الإقطاعاتِ، وأطلَقَ لَهم الجِراياتِ.

ولِهذا الأميرِ بَيْنَ يَدَيه، مِن بَيْنِهم، مَزِيدُ مَكانَة ورَفِيعُ مَحَل، إلى أنْ خَرَجَ السُّلطانُ الأشرَفُ للحَجّ، وكانَ ما قَدَّمْناه مِنَ انتِقاضِ قَرَطاي واستِبْدادِه(أ)، ثُمّ [كان](ب) استِبْدادُ إينَبَك مِن بَعدِه، وقَدْ عَظُمَ مَحَلُّ هذا الأميرِ مِنَ الدَّولَة، ونَما عِزُّه وسَمَتْ / رُتبَتُه، ثُمّ فَسَدَ أمْرُ إينَبَك، وتَغَلَّبَ على الأمرِ جَماعَةٌ مِنَ الأُمَراءِ مُفتَرِقِي الأهْواءِ، وخَشِيَ العُقَلاءُ انتِقاضَ الأمرِ وسُوءَ المَغَبَّةِ، فبادَرَ هذا الأميرُ وتَناوَلَ الحَبْلَ بيَدِه، وجَعَلَ طَرَفَه في يَدِ بَرَكَةَ رَدِيفِهِ، فأمسَكَه مَعَه بُرْهَةً مِنَ الأيّامِ، ثُمّ اضطَرَبَ وانتَقَضَ، وصارَ إلى ما صارَ إلَيه مِنَ الهَلاكِ.

واستَقَلَّ الأميرُ بَرقُوقٌ بحَمْلِ الدَّولَة، والعِنايَةُ الرَّبّانِيَّةُ تَكْفُلُه، والسَّعادَةُ تُؤاخِيه، وكانَ مِن جَمِيلِ الصُّنعِ الرَّبّانِيّ لَه(ج) أنْ كَيَّفَ اللهُ لَه غُربَتَه في اجتِماعِ شَمْلِه بأقارِبِه، فقَدِمَ وَفْدُ التُّجّارِ بأبِيه مِن قاصِيَةِ بِلادِهم، بَعدَ أنْ أعمَلُوا الحِيلَةَ في استِخلاصِه، وتَلَطَّفُوا في استِخراجِه، وكانَ اسمُه [أنص](2)، فاحتَفَلَ ابنُه الأميرُ بَرقُوقٌ

(أ) في س: واستبداد. (ب) من س. (ج) سقط من س.

---

(1) السلوك 3: 155، وينظر ما سبق ص 482.

(2) في الأصول: أنس، والتعديل مما سبق ص 307، وسوف يجري التصويب في المواضع التالية.

في مَبَرَّتِـه، وَأَرْكَبَ العَسَاكِرَ وسَائِـرَ النَّاسِ عَلى طَبَقَاتِهم لِتَلَقِّيه، وأَعَـدَّ الخِيَـامَ بِسِرْيَاقُوس لِنُزُلِه، فحَضَرُوا جَمِيعاً هُنَالِكَ [ثَامِنَ][1] ذِي الحِجَّةِ سَـنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمَانِينَ، وجَلَسَ الأَمِيرُ أَنَص الأَبُ الوَافِدُ صَدْرَ المَجْلِسِ، وهم جَمِيعاً حِفَافَيْهِ مِنَ القُضَاةِ والأُمَرَاءِ، ونُصِبَ السِّمَاطُ فَطَعِمَ النَّاسُ وَانْتَشَرُوا، ثُـمّ رَكِـبُوا إلى البَلَدِ، وقَـدْ زُيِّنَتِ الأَسْوَاقُ، [وأُوقِدَتِ][أ] الشُّمُوعُ، ومَاجَتِ السِّكَكُ بالنَّظَّارَةِ مِنْ عَالَمٍ لا يُحْصِيهم إلا خَالِقُهم، وكَانَ يَوماً مَشْهُوداً، وأَنْزَلَه بالإصْطَبْلِ تَحْتَ المَدْرَسَـةِ النَّاصِرِيَّة، ونَظَمَه السُّلْطَانُ في طَبَقَاتِ أُمَرَاءِ الأُلُوفِ مِنَ الأَكَابِرِ[2]، وَكَانَتْ غَرِيبَةً في اللَّطَائِفِ الإلَهِيَّة.

ثُمّ وَفَدَ عَلَيْه بَعْدَه كَثِيرٌ مِنْ أَقَارِبِه[ب] وبَنِي عَمِّه وبَنِي أَخَوَاتِه، وَاجْتَمَعَ شَمْلُهم بِه، وفَرَضَ لَهمُ الأَرْزَاقَ، وقَرَّرَهم في الوَظَائِفِ، ثُمّ مَاتَ هَذَا الأَبُ الوَافِدُ، وهو الأَمِيرُ أَنَص، رَحِمَه الله، في أَوَاسِطِ[3] ثَلاثٍ وثَمَانِين، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى بِحَجَّةِ إسْلامِه[4]، وشَرُفَتْ مَرَاتِبُ الإمَارَةِ بِمَقَامِه، ودَفَنَه السُّلْطَانُ بِتُرْبَةِ الدَّوَادَارِ يُونُس، ثُمّ نَقَلَه إلى المَدْفِنِ بِجُوَارِ المَدْرَسَةِ[5] الّتي أَنْشَأَهَا بَيْنَ القَصْرَيْنِ سَنَةَ ثَمَانٍ وثَمَانِين[6]، واللهُ يُؤْتِي المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ.

(أ) من س: وفي ظ: وقدت. (ب) في س: اقربائه.

---

(1) في الأصول: ثاني، والتعديل من السلوك 3: 403، النجوم الزاهرة 11: 182.

(2) السلوك 3: 403، وينظر النجوم الزاهرة 11: 182 - 183.

(3) ثامن عشر شوال. السلوك 3: 462.

(4) السلوك 3: 455.

(5) ينظر المواعظ والاعتبار، المجلد الرابع 679.

(6) في يوم الخميس رابع عشره (جمادى الآخرة). السلوك 3: 546.

خَلعُ الصَّالح أمير حَاج
وجُلوسُ الأميرِ برقوقٍ عَلَى التَّختِ واستبدادُه بالسُّلطان

[381أ] /كَانَ أَهلُ الدَّولَة مِنَ(أ) اليَلبُغاوِيَّة مُذ وَلِيَ مِنهم هَذا(ب) الأَمِيرُ بَرقُوقٌ قَد طَعِمُوا ذَوقَ الاستِبْدَادِ، وظَفِرُوا بِلَذَّةِ المُلكِ والسُّلطَانِ، ورَتَعُوا في ظِلِّ النِّعمَةِ والأَمَانِ، ثُمَّ سَمَتْ آمَالُهم إلى أَنْ يَستَقِلَّ أَمِيرُهم بالدَّولَة، ويَستَبِدُّ دُونَ الأَصَاغِرِ المُنتَصِبِينَ بالمَملَكَة، ورُبَّما أَشَارَ بِذَلِكَ بَعضُ أَهلِ الفُتيَا يَومَ بَيعَةِ أَمِيرِ حَاج، وقَالَ: لا بُدَّ أَنْ يُشرَكَ مَعَه في تَفوِيضِ الخَلِيفَةِ الأَمِيرُ القَائِمُ بالدَّولَةِ لِيَستَنِدَ النَّاسُ إلى عُقدَةٍ مُحكَمَة، فَأُمضِيَ الأَمرُ عَلَى ذَلِك، وقَامَ الأَمِيرُ بالدَّولَة، فَأَنِسَ الرَّعِيَّةُ بِحُسنِ سِيَاسَتِه وجَمِيلِ سِيرَتِه.

وَاتَّفَقَ أَنَّ جَمَاعَةَ الأُمَرَاءِ المُختَصِّينَ بهذَا الصَّبِيِّ المَنصُوبِ غَصُّوا بِمَكَانِ هَذا الأَمِيرِ، وتَفَاوَضُوا فِي الغَدرِ بِه، وكَان مُتَوَلِّيَ كِبْرَ ذَلِك مِنهم آلابُغَا العُثمَانِيُّ دَوَادَارُ السُّلطَانِ، ونُمِيَ الخَبَرُ إِلَيه بِذَلِك فَتَقَبَّضَ عَلَيهم، وبَعَثَ آلابُغَا إِلى دِمَشق عَلَى إِمَارَتِه، وغَرَّبَ الآخَرِينَ إِلى قُوص، فَاعتُقِلُوا هُنَالِك حَتَّى يُنفِذَ اللهُ فِيهم حُكمَه.

وَأَشفَقَ الأُمَرَاءُ مِن تَدبِيرِ مِثلِ هَؤُلاءِ عَلَيهِم، وتَفَاوَضُوا في مَحوِ الدَّستِ مِنَ الأَصَاغِرِ وقِيَامِه بِأَمرِهم مُستَقِلاً، فَجَمَعَهُم لِذَلِك فِي تَاسِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ سَنَةَ أَربَعٍ وثَمَانِينَ، وحَضَرَ [الخَاصَّةُ والعَامَّةُ](ج) مِنَ الجُندِ والقُضَاةِ والعُلَمَاءِ وأَربَابِ الشُّورَى

(أ) سقط من س. (ب) سقط من س. (ج) من س، في ظ: العامة والخاصة.

والفُتْيا وأصفقُوا علَى بَيْعَتِه، وعَزَل السُّلطَانُ أميرَ حَاجّ، فَبَعَثَ إلَيْه أمِيرَيْنِ مِنْ كِبَارِ الأُمَرَاءِ أدْخَلُوه إلى بَيْتِه، وتَنَاوَلُوا السَّيْفَ مِنْ يَدِه فأحْضَرُوها[1].

ثُمّ رَكِبَ هَذَا السُّلْطَانُ مِنْ مَجْلِسِه بِبَابِ الإصْطَبْلِ، وقَدْ لَبِسَ شِعَارَ السَّلْطَنَةِ وخِلْعَةَ الخِلافَةِ، فَدَخَلَ إلى قُصُورِ(أ) السُّلْطَانِ، وجَلَسَ بالقَصْرِ الأبْلَقِ علَى التَّخْتِ، وأتَاهُ النَّاس بِبَيْعَتِهِم أرْسَالا، وَانْعَقَدَ أمْرُه يَوْمَئِذٍ، ولُقِّبَ المَلِكَ الظَّاهِرَ، وقُرِعَتِ الطُّبُولُ، وانْتَشَرَتِ البَشَائِرُ، وخَلَع عَلَى أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ مِثْلَ / أيْتَمُش [381ب] أتَابِكاً[2]، وأَلْطُنْبُغَا الجُوبَانِي أمِيرَ مَجْلِس، وجَرْكَس الخَلِيلِيّ أمِيرَ المَاخُورِيّة، وسَوْدُون الشَّيْخُونِيّ نَائِباً، وأَلْطُنْبُغَا المُعَلِّمَ أمِيرَ سِلاحٍ، ويُونُس النَّوْرُوزِيّ: دَوَادَاراً، وقُرْدُم الحَسَنِيّ رَأسَ نَوْبَةٍ[3]، وعَلَى كِتَابَته أوْحَدَ الدِّين [عَبْدِ الوَاحِد بن إسْمَاعِيل][4] بن يَاسِين كَاتِبَ سِرِّه، أدَالَ بِه مِنْ بَدْرِ الدِّين [مُحَمّدِ بن عَلِيّ بن يَحْيَى][5] بنِ فَضْلِ الله كَاتِبَ سِرِّ السُّلْطَانِ مِنْ قَبْلُ، وعَلَى جَمِيعِ أرْبَابِ الوَظَائِفِ مِنْ وَزِيرٍ وكَاتِبٍ وقَاضٍ ومُحْتَسِبٍ، وعَلَى مَشَايِخِ العِلْمِ والفُتْيا والصُّوفِيّةِ[6]، وَانْتَظَمَتِ الدَّوْلَةُ أحْسَنَ انْتِظَام، وسُرَّ النَّاس بِدُخُولِهِم في إيَالَةِ سُلْطَانٍ يُقَدِّرُ للأُمُورِ(ب) قَدْرَها، ويُحْكِمُ أوَاخِيَهَا.

(أ) في س: القصور. (ب) في س: الأمور.

---

(1) السلوك 3: 474 - ، النجوم الزاهرة 11: 215.

(2) رأس نوبة: في السلوك 3: 478، وورد: أخلع على الأمير أيتمش البجاسي باستمراره رأس نوبة الأمراء وأطابكاً: في الزاهرة 11: 226.

(3) رأس نوبة ثانياً: كما في السلوك 3: 478، النجوم الزاهرة 11: 226.

(4)، (5) من السلوك 3: 479، وينظر النجوم الزاهرة 11: 227 – 228 .

(6) السلوك 3: 478، النجوم الزاهرة 11: 226 - 228.

وَاسْتَأْذَنَه أَلْطُنْبُغَا الجوبانِيُّ أَمِيرُ مَجْلِسٍ في الحَجّ تِلْكَ السَّنَة، وأَذِنَ لَهُ، فانْطَلَقَ لِقَضَاءِ فَرْضِه وعَادَ[1].

مَقْتَلُ قُرْطٍ، وخَلْعُ الخَلِيفَة ونَصْبُ ابن عَمِّه الوَاثِق للخلافَة

كَان قُرْطُ بنُ عُمَرَ مِنَ التُّرْكُمَانِ[1] المُسْتَخْدَمِينَ بِالدَّوْلَةِ، وكَانَ لَه إقْدَامٌ وصَرَامَةٌ رَقِيَ بِها إلى مَحَلٍّ مِنْ مُرَادَفَةِ الأُمَرَاءِ في وجُوهِهِم ومَذَاهِبِهِم، ودُفِعَ إلى وِلايَةِ الصَّعِيدِ ومُحَارَبَةِ أَوْلادِ الكَنْزِ مِنَ العَرَبِ المُجْلِبِينَ في نَوَاحِي أُسْوَان، فكَانَ لَه في ذَلِكَ غَنَاءٌ، وأَحْسَنَ في تَشْرِيدِهِم عَنْ تِلْكَ النَّاحِيَة[2].

ثُمَّ بُعِثَ إلى البُحَيْرَةِ وَالِياً[3] عِنْدَ انْتِقَاضِ بَدْرِ بن سَلَّام وفِرَارِه، ومَرْجِعِ العَسَاكِرِ[ب] مِنْ تَمْهِيدِها، فقَامَ بِوِلايَتِها، وتَتَبَّعَ آثَارَ أُولَئِكَ المنَافِقِينَ وحَسَمَ عِلَلَهُم، وحَضَرَ في ثَوْرَةِ إينَال فَجَلَّى في ذَلِكَ اليَوْمِ لِشَهَامَتِه وإقْدَامِه، وكَانَ هُو المُتَوَلِّيَ [تَسَوُّرَ][ج] الحَائِطِ وإحْرَاقَ البَابِ الظُّهْرَانِيِّ إلى أَنْ وَلَجُوا عَلَيْه وأَمْسَكُوه[4]، فكَانَ يَمُتُّ[5] بِهَذِه الوَسَائِلِ أَجْمَع، والسُّلْطَانُ يَرْعَاهَا لَه، إلَّا أَنَّه كَانَ ظَلُوماً غَشُوماً،

(أ) سقط من س. (ب) في س: العساكر عنه. (ج) من س، وفي ط: بسور.

---

(1) السلوك 3: 483، النجوم الزاهرة 11: 231.

(2) في رجب 780 هـ، وربيع الآخر 781 هـ. السلوك 3: 339، 358.

(3) في رابع شوال 782 هـ. المصدر نفسه 3: 402.

(4) المصدر نفسه 3: 366.

(5) متَّ الرجلُ يمُتُّ: إذا كان سميناً يُرى على سَحْنته وجلده مثل الدهن، والمقصود أنه كان يظهر فضله دائماً. تاج العروس.

وكَثُرَتْ شِكَايَاتُ الرَّعَايَا والمتظَلِّمِين بِه، فَتَقَبَّضَ عَلَيْه لأوَّلِ بَيْعَتِه، وأَوْدَعَه السِّجْنَ[1]، ثُمّ عَفَا عَنْه وأَطْلَقَه[2].

وبَقِيَ مُبَاكِراً بَابَ السُّلْطَانِ مَعَ الخَوَاصِّ والأَوْلِيَاءِ، وطَوَى عَلَى النَّثِّ، وتَرَبَّصَ بالدَّوْلَة، ونُمِيَ عَنْهُ أنَّه فَاوَضَ الخَلِيفَةَ المتَوَكِّلَ بنَ المعْتَضِدِ في الانْتِقَاضِ والإجْلابِ عَلَى الدَّوْلَة بالعَرَبِ الخَالِفِينَ بِنَوَاحِي بَرْقَةَ مِنْ عَرَبِ[أ] البُحَيْرَة، وأَصْحَابِ بَدْرِ بن سَلَام، وأَنْ يُفَوِّضَ الخَلِيفَةُ الأَمْرَ إلى سِوَى[ب] هَذا السُّلْطَانِ القَائِمِ بالدَّوْلَة، وأَنَّه دَاخَلَ في / ذَلك بَعْضَ ضُعَفَاءِ العُقُولِ مِنْ أُمَرَاءِ التُّرْكِ مِمَّن لَا يُؤْبَهُ لَه. [382ا]

فَأَحْضَرَهم [السُّلْطَانُ][3] مِنْ غَدَاتِه، وعَرَضَ عَلَيْهم الحَدِيثَ، فَوَجَمُوا وتَنَاكَرُوا، وأَقَرَّ بَعْضُهم، وَاعْتَقَلَ الخَلِيفَةَ بالقَلْعَةِ، وأَخْرَجَ قُرْطاً هَذا الجَانِيَ لِوَقْتِه، فَأُطِيفَ عَلَى الجَمَلِ مُسَمَّراً، إبْلاغاً[ج] في عِقَابِه، ثُم سِيقَ إلى مَصْرَعِه خَارِجَ البَلَدِ، وقُدَّ بالسَّيْفِ بِنِصْفَيْن، وضُمَّ البَاقُونَ إلى السُّجُونِ[4].

وولَّى السُّلْطَانُ الخلافَةَ عُمَرَ بنَ إبْرَاهِيم الوَاثِقَ مِنْ أَقَارِبِه، وهُوَ الَّذي كَانَ المَلِكُ النَّاصِرُ وَلَّى أَبَاه إبْرَاهِيم بَعْدَ الخَلِيفَةِ أبي الرَّبِيعِ وعَدَلَ عَنِ ابْنِه أَحْمَد، كَما مَرَّ، وكَانَ هَذا كُلُّه في [رَجَبِ][5] خَمْسٍ وثَمَانِين، وأَقَامَ عُمَرُ في الخِلافَةِ أَعْوَاماً، ثُمّ تُوُفِّيَ

(أ) في س: أهل. (ب) في س: لسوى. (ج) في س: بلاغا.

(1) في يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة 784 هـ. السلوك 3: 482.

(2) في سابع عشره (صفر 785 هـ). السلوك 3: 487.

(3) إضافة للتوضيح.

(4) السلوك 3: 493 - 495، النجوم الزاهرة 11: 234 - 235.

(5) في الأصول: ربيع، انظر السلوك 3: 493، النجوم الزاهرة 11: 235.

في شوّال ثمانٍ وثمانين، وولّيَ مكانه أخوه زكريّا ولُقّبَ المستعصِم[1]، واستقرّت الأحوالُ إلى أن كان ما نذكرُ.

نكبةُ النّاصريّ واستقلاله

كان هذا النّاصِريُّ مِن مَماليكِ يَلبُغا وأرباب الوظائِف في أيّامه، وكان له مع السُّلطانِ الظّاهِرِ ذِمّةٌ ووِدادٌ وخِلّةٌ مِن لَدنِ المَربَى والعِشرَة، فقد كانوا أترابًا فيها، وكانت له دالّةٌ عليه لِعُلُوّ سِنّه، وقد ذكرنا كيف استبدّوا بعدَ أينبك ونصّبوا النّاصِريّ أتابكًا ولم يُحسِنِ القِيامَ عليها، وجاءَ طَشتَمُرُ بعدَ ذلِك فكانَ معه حتّى في النّكبَةِ والحَبسِ(أ)، ثمّ أُشخِصَ إلى الشّامِ، ووُلّيَ على طَرابُلس، ثمّ كانت ثورَةُ إينالَ [اليوسُفيّ][2] ونكبتُهُ في [شعبان][3] إحدى وثمانين، فاستُقدِمَ مِن طَرابُلس، ووُلّيَ أميرَ سِلاحٍ مكان إينال[4]، واستخلَصه الأميرُ برَكةُ وخلَطه بنفسِه، وكانت نكبتُه فحُبِسَ معه، ثمّ أُشخِصَ إلى الشّامِ، وكانَ إينال قد أُطلِقَ مِن اعتِقاله ووُلّيَ على [طَرابُلُسَ][5] سنَةَ اثنتَينِ وثمانينَ مكانَ[6] منكَلي بُغا الأحمدِي، [ثمّ وُلّيَ حلَبَ عِوضًا

(أ) في س: المجلس.

---

(1) السلوك 3: 551 - 552، النجوم الزاهرة 11: 245، وفي مورد اللطافة 1: 253: المعتصم.

(2) من السلوك 3: 365.

(3) في الأصول: في جمادى، انظر ما سبق ص 498، السلوك 3: 365.

(4) في عاشره (رمضان 781 هـ). السلوك 3: 368.

(5) في الأصول: حلب، انظر السلوك 3: 389، ما سبق ص 500.

(6) في الأصول: ثم مكان، ولا معنى لثم هنا، ينظر السلوك 3: 389.

عَن كَشْبُغَا الحَمَوِيّ][1] فأَقَامَ بِهَا سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا. ثُمّ نُمِيَ عَنه خَبَرٌ[أ] الانْتِقَاضِ فَقُبِضَ عَلَيْه، وحُبِسَ بالكَرَكِ[2]، وَوُلِّيَ مَكَانَه عَلَى حَلَبَ يَلْبُغَا النَّاصِرِيُّ فِي شَوَّالِ[3] ثَلَاثٍ وثَمَانِين، وقَعَدَ الظَّاهِرُ عَلَى التَّخْتِ لِسَنَةٍ بَعْدَها، وَاسْتَبَدَّ بِمُلْكِ مِصْرَ والشَّام.

وكَانَ النَّاصِرِيُّ لِمَا عِنْدَه مِنَ / الدَّالَّةِ يَتَوَقَّفُ فِي إِنْفَاذِ أَوامِرِه لِمَا يَرَاه مِنَ [382ب] المَصَالِحِ بِزَعْمِه، والسُّلْطَانُ يُنْكِرُ ذَلِكَ ويَحْقِدُه عَلَيْه.

وكَان لَه مَعَ أَلْطُنْبُغَا الجُوبَانِيّ أَمِيرِ مَجْلِس، أَحَدِ أَرْكَانِ الدَّوْلَةِ، حِلْفٌ لَمْ يُغْنِ عَنْه، وأَمَرَه السُّلْطَانُ بالقَبْضِ عَلَى سُولِي بنِ دُلْغَادِرٍ حِينَ وَفَدَ عَلَيْه بِحَلَب، فَأَبَى مِنْ ذَلِكَ صَوْنًا لِوَفَائِه بِزَعْمِه، ودَسَّ بِذَلِكَ إِلَى سُولِي فَهَرَبَ ونَجَا مِنَ النَّكْبَةِ[4].

وَوَفَد عَلَى السُّلْطَانِ سَنَةَ خَمْسٍ وثَمَانِين، وجَدَّدَ حِلْفَه مَعَ الجُوبَانِيّ وَمَعَ أَيْتَمُش الأَتَابِك، ورَجَعَ إِلَى حَلَب، ثُمّ خَرَجَ بالعَسَاكِرِ إِلَى التُّرْكُمَانِ آخِرَ خَمْسٍ وثَمَانِين، دُونَ إِذْنِ السُّلْطَانِ، فَانْهَزَمَ وفَسَدَتِ العَسَاكِرُ، ونَجَا بَعْدَ ثَالِثَةٍ جَرِيحًا[5].

وَاعْتَدَّ عَلَيْه السُّلْطَانُ[ب] هَذه كُلَّها، ثُمّ اسْتَقْدَمَه سَنَةَ سَبْعٍ وثَمَانِين، فَلَمَّا وَصَلَ[ج]

(أ) سقط من س. (ب) في س: السلطان عليه. (ج) في س: انتهى.

(1) السلوك 3: 389: وذلك في 27 شعبان 782 هـ، ويقارن بما سبق ص 500.

(2) في سابع عشرينه (شعبان 783 هـ). السلوك 3: 453.

(3) في ثانيه، وفي ثالث عشره خُلع عليه خِلعة السفر. السلوك 3: 454.

(4) في سادس عشرينه (المحرم 787 هـ). السلوك 3: 531.

(5) المصدر نفسه 3: 489.

إلى سَرْيَاقُوس[1] تَلَقَّاه بَهادِرُ أُسْتَادَارُ فَتَقَبَّضَ[أ] عَلَيه[2]، وطَيَّرَ بِه إلى الإسْكَنْدَرِيَّة، فَحُبِسَ بِها مُدَّةَ عَامَيْنِ[3].

وَوُلِّيَ مَكَانَه بِحَلَبَ الحَاجِبُ سَوْدُون المُظَفَّرِيُّ[4]، وكَانَ عَيْنَ نُصْحِ [السُّلْطَان][ب] وعَيْناً عَلَى النَّاصِرِيّ فِيما يَأْتِيهِ ويَذَرُه، لأنَّ مِنْ وَظَائِفِ الحَاجِبِ في دَوْلَةِ التُّرْكِ خِطَّةَ البَرِيدِ المَعْرُوفَةَ في الدُّوَلِ القَدِيمَةِ، فَهو يُطَالِعُ السُّلْطَانَ بِمَا يَحْدُثُ في عَمَلِه، ويَعْتَرِضُ شَجاً[5] في صَدْرِ مَنْ يَرُومُ الانْتِقَاضَ مِنْ وُلاتِه. فكَانَ هَذَا الحَاجِب سَوْدُون هُوَ الَّذِي يُنْهِي أَخْبَارَه إلى السُّلْطَانِ ويُطْلِعُهُ عَلَى مَكَامِنِ[ج] مَكْرِه، فَلَمَّا حُبِسَ النَّاصِرِي بالإسْكَنْدَرِيَّة وَلَّاه مَكَانَه بِحَلَب.

وَارْتَابَ الجُوبَانِيُّ مِنْ نَكْبَةِ النَّاصِرِيّ، لِما كَانَ[د] بَيْنَهما مِنَ المُوَاصَلَةِ والحِلْفِ، فَوَجَمَ وَاضْطَرَبَ، وتَبَيَّنَ السُّلْطَانُ مِنْه النُّكْرَاءَ، فَنَكَبَه كَما نَذْكُرُه بَعْدُ، وأَقْصَاه، ثُمَّ رَاجَعَ السُّلْطَانُ رَأْيَه في النَّاصِرِيّ، وتَيَقَّنَ اضْطِلاعَهُ بِذَلِكَ الثَّغْرِ وغَنَاءَه فِيه، فَامْتَنَّ عَلَيْه وأَطْلَقَه إلى دِمْيَاط[6]، ثُمَّ اسْتَقْدَمَه وتَلَقَّاهُ بالكَرَامَةِ والرِّضَا، ورَدَّه إلى نِيَابَةِ حَلَب[7]، كَما كَانَ، إلى أَنْ وَقَعَ مَا نَذْكُرُ[هـ] بَعْدُ.

(أ) في س: فقبض. (ب) من س، وفي ظ: السلطان. (ج) في س: مكان. (د) سقط من س. (هـ) في س: نذكره.

---

(1) السلوك 3: 534، نزهة النفوس 1: 119، النجوم الزاهرة 11: 241: إلى بلبيس.

(2) في رجب 787 هـ. السلوك 3: 534، نزهة النفوس 1: 119.

(3) نحو عشرة أشهر فقط، فقد أطلق سراحه في ربيع الأول 788 هـ. ينظر ما يلي.

(4) كان نائباً بحماة. ينظر السلوك 3: 534، نزهة النفوس 1: 119.

(5) شجا: غصة.

(6) في يوم الجمعة ثاني عشره (ربيع الأول 788 هـ). السلوك 3: 543، النجوم الزاهرة 11: 242، نزهة النفوس 1: 130.

(7) في عاشره (شوال 789 هـ). السلوك 3: 567، النجوم الزاهرة 11: 250.

إقصاءُ الجوبانيِّ إلى الكَرَك ثُمّ ولايتُه عَلى الشّام بَعدَ واقعَةِ بَيْدَمُر

أصلُ هَذا الأَميرِ الجوبانيِّ مِنْ قَبائِلِ التُّرْكِ، / واسْمُهُ أَلْطُنْبُغا، وكَانَ مِنْ مَوالِي يَلْبُغا الخاصِكِيِّ المسْتَوْلِي عَلى السُّلْطانِ الأَشْرَفِ، وقَدْ مَرَّ ذِكْرُه، رُبِّيَ في قَصْرِه وجَوِّ عِزِّه، ولُقِّنَ الخِلالَ والآدابَ في كَنَفِه، وكَانَ[أ] بَيْنَه وبَيْنَ السُّلْطانِ خِلَّةٌ ومُصافاةٌ أكْسَبَتْها لَه تِلْكَ الكَفَالَةُ، بِما كَانَا رَضِيعَيْ ثَدْيِها، وكَوْكَبَيْ أُفُقِها، وتِرْبَيْ مَرْباها، وقَدْ كَانَ ذَلِكَ مُتَّصِلاً بَيْنَهما فِيما قَبْلُ مِنْ لَدُنِ الْمَرْبَى في بِلادِهِم، وَاشْتَمَلَ بَعْضُهم عَلَى بَعْضٍ، وَاسْتَحْكَمَ الاتِّحادُ حَتَّى بالعِشْرَةِ أيَّامَ التَّمْحِيصِ والاغْتِرابِ، كَما مَرَّ، فَلَقَدْ كَانَ مُعْتَقَلًا مَعَه[ب] بالكَرَكِ أيَّامَ المِحْنَةِ خَمْساً مِنَ السِّنِينِ، أَدَالَ اللهُ لِهَذا السُّلْطانِ مِنْها المَساءَةَ بالمَسَرَّةِ، والنُّحُوسَةَ بالسَّعَادَةِ، والسِّجْنَ بالمُلْكِ، وقُسِمَتْ للجُوبانِيِّ بِها سَابِقَةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وعِنَايَتِه في خِدْمَةِ السُّلْطانِ بِدَارِ الغُرْبَةِ والمِحْنَةِ، وأُلْفَتِه بِهِ في المَنْزِلِ الخَشِنِ، لِتَعْظُمَ لَهُ[ج] الوَسَائِلُ، وتُكْرَمَ الأَذِمَّةُ والعُهُودُ: [البسيط] [383]

إنَّ الكِرَامَ إذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا ... مَنْ كَانَ يَأْلَفُهمْ في المَنْزِلِ الخَشِنِ[1]

ثُمَّ كَانَ انْطِلاقُهما إلى الشَّامِ ومَقَامُهما جَمِيعاً وَاسْتِدْعَاؤُهما إلى دَارِ المُلْكِ، ورُقِيُّهما في دَرَجِ العِزِّ والتَّقْرِيبِ كَذَلِكَ.

(أ) في س: وكانت. (ب) في س: كانا معتقلين. (ج) سقط من س.

(1) تنسب لأبي تمام، خاص الخاص 171، العقد الفريد 2: 38 ولم ترد في الديوان، وينسبها الثعالبي مرة أخرى لدعبل الخزاعي، لطائف اللطف 137، الشعر والشعراء 584، الحماسة البصرية 2: 3.

وكَانَ للسُّلطَانِ أصْحَابٌ سِوَاهُ أتْرَابٌ يَمُتُّونَ إِلَيْه بِمِثْلِ هَذِه الوَسَائِل، وينْتَظِمُونَ في سِلكِهَا، وكَانَ السُّلْطَانُ مُتميِّزَ الرُّتبَةِ عَنهم، سَابِقاً في تَوَقُّلِ دَرَجَاتِ العِزِّ أمَامَهم، مُجَلِّياً في الحَلْبَةِ الَّتي كَانَ فِيها طَلَقُهم، إلَى أنْ ظَفِرَ بِالمُلْكِ واسْتَوْلَى عَلَى الدَّوْلَة، وهو يَسْتَتْبِعُهم في مَقَادَتِه، ويُوطِئُهم عَقِبَه، ويُذَلِّلُ لَهمُ الصِّعَابَ فيقْتَحِمُونَهَا، ويحُوزُ لهمُ المَرَاتِبَ(أ) فَيَسْتَهِمُونَ عَلَيها، ثُمَّ اقْتَعَدَ مِنبَرَ المُلْكِ والسُّلْطَانِ، [وَاسْتَوَى](ب) عَلَى كُرْسِيِّه، وقَسَّمَ مَرَاتِبَ الدَّوْلَة ووَظَائِفَها بَيْنَ هَؤلاءِ الأصْحَابِ، وآثَرَ الجُوبَانِيَّ مِنها بالصَّفِيِّ والمِرْبَاعِ، فَجَعَلَه أميرَ مَجْلِسِه(1)، ومَعْنَاه: صَاحِبَ الشُّورَى في الدَّوْلَة •والرَّأْيِ في المُلْكِ•(ج)، وهُوَ ثَانِي الأتَابِك وتِلْوَ رُتْبَتِه، فكَانَتْ لَه [383ب] القَدَمُ العَالِيَةُ بَيْنَ أُمَرَائِه وخُلَصَائِه، / والحَظُّ الوَافِرُ مِنْ رِضَاهُ وإيثَارِه، وأصْبَحَ أحَدَ الأرْكَانِ الَّتي عَمَدَ دَوْلَتَهُ بِأسَاطِينِها، ورَسَّى مُلْكَهُ بِقَوَاعِدِها، إلَى أنْ دَبَّتْ عَقَارِبُ الحَسَدِ إلى(د) مِهَادِه، وحَوَّمَتْ سِهَامُ السِّعَايَةِ عَلَى قِرْطَاسِه، وارْتَابَ السُّلْطَانُ بِمَكَانِه، وأعْجَلَ الحَزْمَ عَلَى إمْهَالِه، فَتَقَبَّضَ(هـ) عَلَيه يَوْمَ الاثْنَينِ لِتِسْعٍ بَقِيْنَ مِنْ [ذِي الحِجَّةِ](2) سَنَةَ سَبْعٍ وثَمَانِين، وأوْدَعَه بِبَعْضِ حُجَرِ القَصْرِ عَامَّةَ يَوْمِه.

ثُمَّ أقْصَاهُ إلى الكَرَك(3)، وعَوَاطِفُ الرَّحْمَةِ تُنَازِعُه، وسَجَايَا الكَرَمِ والوَفَاءِ تَغُضُّ مِنْ سَخَطِه، ثُمَّ سَمَحَ وهُوَ بالخَيْرِ أسْمَح، وجَنَحَ وهُوَ إلى الأدْنَى مِنَ اللهِ أجْنَح،

(أ) في س: الرتب. (ب) من س، وفي ظ: واستولى. (ج) سقط ما بين النجمين من س. (د) في س: الأسد في.
(هـ) في س: فقبض.

(1) وذلك في رابع عشرينه (رمضان 784 هـ). السلوك 3: 478.
(2) من السلوك 3: 537، وفي المنهل الصافي 3: 58: ذي القعدة.
(3) بعد أيام. السلوك 3: 537.

فَسَرَّحَ إِلَيْه البَرِيدَ مِنَ الغَدِ بِمَرْسُومِ النِّيَابَةِ عَلَى تِلْكَ الأَعْمَالِ، فَكَانَتْ غَرِيبَةً لَم يُسْمَعْ بِمثلِها مِنْ حِلْمِ هَذا السُّلْطَانِ وأَنَاتِه، وحُسْنِ تَثَبُّتِه[أ] وبَصِيرَتِه، وكَرَمِ عَهْدِه وجَمِيلِ وفَائِه، وَانْطَلَقَتِ الأَلْسُنُ بالدُّعَاءِ لَه، وَامْتَلأَتِ القُلُوبُ بالمحَبَّةِ، وعَلِمَ الأَوْلِيَاءُ والخَاصَّةُ والشِّيَعُ والكَافَّةُ أَنَّهم فِي كَفَالَةِ أَمْنٍ ولُطْفٍ، ومِلْكَةِ إِحْسَانٍ وعَدْلٍ. ثُمَّ مَكَثَ حَوْلاً يَتَعَقَّبُ أَحْوَالَه، ويَتَتَبَّعُ سِيرَتَه[ب] وأَخْبَارَه، طَاوِياً شَأْنَه فِي ذَلِكَ عَنْ سَائِرِ الأَوْلِيَاءِ، إِلَى أَنْ وَقَفَ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَمْرِه، وعَلِمَ خُلُوصَ مُصَارَفَتِه، وأَمَانَةَ غَيْبِه، وجَمِيلَ خُلُوصِه، فَأَخْفَقَ سَعْيُ السَّاعِينَ، وخَابَتْ[ج] ظُنُونُ الكَاشِحِينَ، وأَدَالَه العُتْبَى مِنَ العِتَابِ، والرِّضَا مِنَ النُّكْرَاءِ، وَاعْتَقَدَ أَنْ يَمْحُوَ عَنْه هَوَاجِسَ الإِسْتِيحَاشِ والاسْتِرَابَةِ، ويَرُدَّه إِلَى أَرْفَعِ مَرَاتِبِ الإِمَارَةِ.

وبَيْنَمَا هُو يَطْوِي عَلَى ذَلِكَ ضَمِيرَه، ويُنَاجِي بِه سِرَّه، إِذْ حَدَثَتْ وَاقِعَةُ بَيْدَمُر بالشَّامِ، فَكَانَتْ مِيقَاتاً لِتِلْكَ السَّعَادَةِ، وعَلَمًا عَلَى فَوْزِه بِذَلِكَ الحَظِّ، كَمَا نَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى[د].

وخَبَرُ هَذِه الوَاقِعَةِ أَنَّ بَيْدَمُر الخُوَارِزْمِيَّ كَانَ نَائِباً بِدِمَشْق، وقَدْ مَرَّ ذِكْرُه غَيْرَ مَرَّةٍ، وأَصْلُه مِنَ الخُوَارِزْمِيَّةِ، أَتْبَاعِ خُوَارِزْم شَاه صَاحِبِ العِرَاقِ عِنْدَ اسْتِيلاءِ الطُّطَرِ، وَافْتَرَقُوا[هـ] عِنْدَ مَهْلِكِه *عَلَى يَدِ جِنْكِزْخَان فِي مَمَالِكِ الشَّامِ، وَاسْتُخْدِمُوا لِمُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ والتُّرْكِ أَوَّلَ اسْتِبْدَادِهِم*[و] بِمِصْرَ، وكَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَعْقَابِ لَفِيفِهِم، وكَانَتْ لَه نَجَابَةٌ جَذَبَتْ بِضَبْعِهِ، ونَفَقَتْ عِنْدَ الأُمَرَاءِ مِنْ سُوقِه، / فَاسْتُخْدِمَ [1384]

(أ) في س: نبته. (ب) في س: سيره. (ج) في س: وجانب. (د) سقط من س. (هـ) في س: افترقوا.
(و) سقط ما بين النجمين من س.

بها إلى أنْ تَرَشَّحَ للوِلايَةِ في الأعْمالِ[1]، وتَداوَلَ إمَارَةَ دِمَشْقَ[2] مع مَنْجَك اليُوسُفِيّ وعَشْقَتَمُر النَّاصِرِيّ، وكَانَ لَه انتِقَاضٌ بِدِمَشْق[3] عِنْدَ تغَلُّبِ الخَاصِكِي عَلَى الدَّوْلَة، وقَتْلِه سُلطَانَهُ النَّاصِرَ [حَسَناً][أ]، فنَهَضَ إلَيْه الخَاصِكِيُّ وحَاصَرَه وَاسْتَنْزَلَه بِأمَانِه، وأُعِيدَ إلى وِلايَتِه.

ثُم تَصَرَّفَتْ تِلْكَ الدُّوَلُ، وتَغَلَّبَ هَذا السُّلْطَانُ عَلَى الأمْرِ، ورَادَفَهُ فِيه بَرَكَةُ، فَوَلَّوْه عَلَى دِمَشْق، وكَانَتْ صَاغِيَتُه مَعَ بَرَكَة، فلَمَّا حَدَثَ انْتِقَاضُ بَرَكَة كَتَبَ إلَيْه وإلى تَغْرِي بَرْمَش مِنْ أوْلِيَائِه هُنَالِك، بالاسْتِيلَاءِ عَلَى القَلْعَةِ، وكَتَبَ بَرْقُوقُ إلى نَائِبِ القَلْعَةِ والأُمَرَاءِ هُنَالِك يُحَذِّرُهم، ورَكِبَ[ب] جَنْتَمُرُ أخُو طَاز، و[أَحْمَدُ][4] بنُ جُرْجِي، ومُحَمَّد بِيك، وقَاتَلُوهُ ثَلاثاً، ثُمَّ أمْسَكُوهُ وقَيَّدُوه، ومَعَه تَغْرِي بَرْمَش وجِبْرِيلُ قَرِيبُه[ج]، وسِيقُوا إلى الإسْكَنْدَرِيَّة فَحُبِسُوا بها[5].

ولَمَّا قُتِلَ بَرَكَةُ أُطْلِقَ بَيْدَمُرُ ومَنْ[د] كَانَ حُبِسَ مِنْ أصْحَابِ بَرَكَةَ مِثْلَ: يَلْبُغَا النَّاصِرِيّ، وقَرا[هـ] دِمِرْدَاش الأحْمَدِي، ثُمَّ اسْتَخْلَصَه السُّلْطَانُ بَرْقُوقُ ورَدَّه إلى عَمَلِه[6]، [وَاسْتَصْفَاه][و] لأوَّلِ جُلُوسِه عَلَى التَّخْتِ، وَاسْتَنَامَ لَه، وكَان جَمَّاعَةً للأمْوَالِ

(أ) من س. (ب) سقط من س. (ج) في س: قرينه. (د)، (هـ) سقط من س. (و) من س.

---

(1) ولي نيابة حلب سنة ستين وسبعمائة. السلوك 3: 47.
(2) في رجب 762 هـ. السلوك 3: 66.
(3) في ربيع الأول 782 هـ. السلوك 3: 381.
(4) من السلوك 3: 388.
(5) في السلوك 3: 388: وسجنوا بقلعة دمشق.
(6) خُلع على بيدمر نائب الشام خِلعة السَّفر في ثاني صفر 784 هـ. السلوك 3: 467.

شَدِيدَ الظُّلامَةِ فِيها، مُتحيّلاً عَلَى اسْتِخْلاصِها مِنْ إِيْدِي أَهْلِها بِمَا يَطْرُقُ إِلَيهِم مِنْ أَسْبَابِ العِقَابِ، مُصَانِعاً للحَاشِيَةِ بِمَالِه عَلَى جَاهِهِ، إِلى أَنْ سَئِمَ النَّاسُ إِيَالَتَه، وتَوَجَّهَتِ القُلُوبُ فِيه.

وكَان بدِمَشْقَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُوَسْوَسِينَ المُنْتَحِلِينَ لِطَلَبِ العِلْمِ بِزَعْمِهِم، مُتَّهَمِينَ فِي عَقْدِهِم بَيْنَ مُجَسِّمٍ ورَفِضِيٍّ وحُلُولِي، جَمَعَتْ بَيْنَهم أَنْسَابُ الضَّلالِ والحِرْمَانِ، وقَعَدُوا عَنْ نَيْلِ الرُّتَبِ بِمَا هُمْ فِيه، فلَبَّسُوا بِإِظْهَارِ الزُّهْدِ والنَّكِيرِ عَلَى الخَلْقِ حَتَّى عَلَى الدَّوْلَةِ فِي تَوْسِعَةِ نِطَاقِ الأَحْكَامِ والجِبَايَةِ عَنِ الشَّرْعِ إِلى السِّيَاسَةِ الَّتِي تَدَاوَلَه الخُلَفَاءُ، وأَرْخَصَ فِيه العُلَمَاءُ وأَرْبَابُ الفُتْيَا وحَمَلَةُ الشَّرِيعَةِ بِما تَمَسُّ إِلَيْه الحَاجَةُ مِنَ الوَازِعِ السُّلْطَانِي، والمَعُونَةُ عَلَى الدِّفَاعِ.

وقَدِيماً نُصِبَتِ الشُّرْطَةُ الكُبْرَى والصُّغْرَى، ووَظِيفَةُ المَظَالِم بِبَغْدَادَ، دَارِ السَّلامِ ومَقَرِّ الخِلافَةِ وإِيوَانِ / الدِّينِ والعِلْمِ، وتَكَلَّمَ النَّاسُ فِيها بِما هُو مَعْرُوفٌ، [384 ب] وفُرِضَتْ أَرْزَاقُ العَسَاكِرِ فِي أَثْمَانِ المَبِيعَاتِ عِنْدَ حَاجَةِ الدَّوْلَةِ فِي أَجْرِها بفُتْيَا الفُقَهَاءِ، وكَذَلِكَ بِقُرْطُبَةَ الأُخْرَى، مَرْكَزِ الإِسْلامِ بِالأَنْدَلُسِ وبَقِيَّةِ السَّلَفِ مِنَ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ المُنْكَرِ الَّذِي يُعْتَدُّ بِتَغْيِيرِه.

فلَبَّسَ هَؤُلاءِ الحَمْقَى عَلَى النَّاسِ بِأَمْثَالِ هَذِه الكَلِمَاتِ، ودَاخَلُوا مَنْ[ا] فِي قَلْبِه مَرَضٌ مِنَ الدَّوْلَةِ، وأَوْهَمُوا أَنْ قَدْ تَوَثَّقُوا مِنَ الحَلِّ والعَقْدِ فِي الانْتِقَاضِ فِرْيَةً انْتَحَلُوهَا، وحُمقاً أَنْهَوْهُ نِهَايَته، وغَدَوْا عَلَى كَافِلِ القَلْعَةِ بِدِمَشْقَ وحَافِظِها يَسْأَلُونه الدُّخُولَ مَعَهم فِي ذَلِكَ، لِصِحَابَةٍ كَانَتْ بَيْنَ بَعْضِهم وبَيْنَه، فَاعْتَقَلَهم، وطَالَعَ السُّلْطَانَ

(ا) سقط من س.

بأمرهم[1]، وتحدّث النّاسُ أنّهم دَاخلُوا في ذَلِك بَيْدَمُر النّائِب، بمُخالَطَةِ بَعْضِهم لابْنِه •مُحَمّد شاه•[(أ)]، ونُمِيَ الخَبَرُ بذَلِك إلى السُّلطَانِ، فَارْتَابَ بِه وعَاجَلَهُ بِالقَبضِ عَلَيْه[2]، والتَّوَثُّقِ مِنه ومِنْ حَاشِيَتِه.

ثُمّ أخرجَ مَشَدُّ الأمْوَالِ بالحَضْرَةِ لاسْتِخلاصِ مَا احتَجَنه مِنْ أمْوَالِ الرَّعَايَا، وَاسْتَأثَرَ بِه عَلَى الدَّوْلَة، وَأحْضَرَ هَؤلاء الحَمْقَى، ومَنْ لَبِسَ سَوْمَهم، مُقَيَّدِينَ إلى الأَبْوَابِ العَالِيَة، فَقُذِفُوا في السِّجْنِ، وكَانُوا أحَقَّ بِغَيْرِ ذَلِك مِنْ أنْوَاعِ العَذَابِ والنَّكَال.

ورَسَمَ السُّلْطَانُ لِعَشْقُتَمُرَ النّاصِرِيّ، وكَانَ مُقِيماً بالقُدْسِ، أنْ يَخْرُجَ نَائِباً عَلَى دِمَشْق، فَتَوَجَّه إليها، وأقَامَ رَسْمَ الإمَارَةِ بِها أَوْيَاماً ظَهَرَ فِيها عَجْزُه، وتَبَيَّنَ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَة قُعُودُهُ بِمَا أصَابَه مِنْ وَهْنِ الكِبَرِ وطَوَارِقِ الزَّمَانَةِ والضَّعْفِ، حَتّى لَزَعَمُوا[(ب)] أنّه كَانَ يُحْمَلُ عَلَى الفِرَاشِ في نَوَاحِي بَيْتِه وإلى مَقْعَدِ حُكْمِه.

فَعِنْدَهَا بَعَثَ السُّلْطَانُ عَنْ هَذَا الأمِيرِ الجُوبَانِي، وقَدْ خَلَصَ مِنَ العَتَبِ إبْرِيزُه، وأيْنَعَ بِنَفَحَاتِ الرِّضَا والقَبُولِ عُودُه، وأفْرَخَ بِمُطَالَعَةِ الأُنْسِ والقُرْبِ رَوْعُه، فَجَاءَ مِنَ الكَرَكِ عَلَى البَرِيدِ[3]، وقَدْ أُعِدَّتْ لَه أنْوَاعُ الكَرَامَةِ، وهُيِّئَ لَه المَنْزِلُ والرِّكَاب، والفُرُشُ والثِّيَاب[(ج)]، والآنِيَةُ والخِوَان، والخُرْثِيُّ[4] والصِّوَانُ، وَاحْتَفَلَ

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) في س: لقد زعموا. (ج) في س: والركاب.

---

(1) السلوك 3: 554.

(2) في أول رمضان 788 هـ. السلوك 3: 549، النجوم الزاهرة 11: 244.

(3) في يوم السبت سابع عشر صفر 789 هـ. السلوك 3: 560، النجوم الزاهرة 11: 246.

(4) الخرثي: متاع البيت وأثاثه.

السُّلْطَانُ لِقُدُومِه، وتَلَقِّيه / بِمَا أخْصَبَ أَمَلَه. وقَضَى النَّاسُ العَجَبَ مِنْ حِلْمِ هَذَا [385أ]
السُّلْطَانِ وكَرَمِ عَهْدِه وجَمِيلِ وَفَائِه، وتَحَدَّثَ بِهَا الرُّكْبَانُ.

ثُمَّ وَلَّاه النِّيَابَةَ بِدِمَشْق، وبَعَثَه لِكُرْسِيِّهَا مُطْلَقَ اليَدِ مَاضِيَ الحُكْمِ عَزِيزَ الوِلَايَةِ، وعَسْكَرَ بِالرِّيدَانِيَّةِ ظَاهِرَ القَاهِرَةِ، ثَالِثَ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وثَمَانِينَ[1]، وارْتَحَلَ مِنَ الغَدَاةِ، وسَعَادَةُ السُّلْطَانِ تَقْدُمُه، ورِضَاهُ يَكْتَنِفُه، إلى أنْ قَارَبَ دِمَشْقَ، والنَّاسُ يَتَلَقَّوْنَه أَرْسَالاً.

ثُمَّ دَخَلَ المَدِينَةَ غُرَّةَ رَبِيعٍ الثَّانِي وقَدِ احْتَفَلَ النَّاسُ لِقُدُومِه، ومَاجَتِ الأَرْضُ بِالنَّظَّارَةِ، وغَصَّتِ السِّكَكُ بِالمُتَنَزِّهِينَ، وتَطَاوَلَ إلى رُؤْيَتِه رَبَّاتُ(أ) الخُدُورِ، وتَحَدَّثَ النَّاسُ بِجَمَالِ هَذَا المَشْهَدِ الحَفِلِ، وتَنَاقَلُوا خَبَرَه.

واسْتَقَلَّ بِولَايَةِ دِمَشْقَ، وعِنَايَةُ السُّلْطَانِ تُلَاحِظُه، ومَذَاهِبُ الطَّاعَةِ والخُلُوصِ تَهْدِيه، فَحَسُنَ ذِكْرُه، وأَفَاضَ النَّاسُ في الثَّنَاءِ عَلَى السُّلْطَانِ في حُسْنِ اخْتِيَارِه وجَمَالِ مَذَاهِبِه.

وأَقَامَ السُّلْطَانُ في وَظِيفَتِه بِمِصْرَ أَحْمَدَ ابنَ الأَمِيرِ يَلْبُغَا، فَكَانَ أَمِيرَ مَجْلِسٍ[2]،
﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [سورة يوسف من الآية 21].

(أ) في س: أرباب.

---

(1) السلوك 3: 561.

(2) أول شعبان 788 هـ. السلوك 3: 548، وذلك بعد إقصاء الجوباني إلى الكرك في ذي الحجة 787 هـ، ينظر ما سبق ص 519.

هَدِيَّةُ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ

كَانَ السُّلْطَانُ لِهَذَا العَهْدِ بِإِفْرِيقِيَّةَ مِنْ بَقِيَّةِ المُوَحِّدِينَ، وَمِنْ أَعْقَابِ الأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بن عَبْدِ الوَاحِدِ بن أَبِي حَفْص الهِنْتَاتِي، المُسْتَبِدّ بِإِفْرِيقِيَّةَ عَلَى بَنِي عَبْدِ المُؤْمِنِ مُلُوكِ مَرَّاكُشَ أَعْوَامَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَة، وَهُوَ أَحْمَدُ[1] بْنُ مُحَمَّدِ بن أَبِي بَكْرِ بن يَحْيَى بن إِبْرَاهِيمَ ابنِ الأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّا، المَذْكُورُ سِلْسِلُه، مُلُوكٌ كُلُّهم[ا]، وَلَم تَزَلْ مُلُوكُ المغربِ عَلَى القِدَمِ وَلِهَذَا العَهْدِ يَعْرِفُونَ لِمُلُوكِ التُّرْكِ بِمِصْرَ حَقَّهم، وَيُوجِبُونَ لَهمُ الفَضْلَ وَالمَزِيَّةَ بِمَا خَصَّهم اللهُ بِه مِنْ ضَخَامَةِ المُلْكِ، وَشَرَفِ الوِلَايَةِ بِالمَسَاجِدِ المُعَظَّمَةِ، وَخِدْمَةِ الحَرَمَيْنِ.

وَكَانَتِ المُهَادَاةُ بَيْنَهما تَتَّصِلُ بَعْضَ الأَحْيَانِ ثُمَّ تَنْقَطِعُ، بِمَا يَعْرِضُ فِي الدَّوْلَتَيْنِ مِنَ الأَحْوَالِ.

وَكَانَ لِيَ اخْتِصَاصٌ بِذَلِكَ السُّلْطَانِ وَمَكَانٌ مِنْ مَجْلِسِه، وَلَمَّا رَحَلْتُ إِلَى هَذَا القُطْرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ[2]، وَاتَّصَلْتُ بِهَذَا السُّلْطَانِ بِمِصْرَ المَلِكِ / [385 ب] الظَّاهِرِ، سَأَلَنِي عَنْه لأَوَّلِ لُقْيَة، فَذَكَرْتُه لَه بِأَوْصَافِه الحَمِيدَةِ، وَمَا عِنْدَه مِنَ الحُبِّ وَالثَّنَاءِ، وَالدُّعَاءِ لَه، وَمَعْرِفَةِ حَقِّه عَلَى المُسْلِمِينَ أَجْمَع، وَعَلَى المُلُوكِ خُصُوصاً، فِي تَسْهِيلِ سَبِيلِ الحَجِّ، وَحِمَايَةِ البَيْتِ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، أَحْسَنَ اللهُ جَزَاءَه وَمَثُوبَتَه.

(ا) في س: كلهم ملوك.

---

(1) توفي سنة 796 هـ. المؤنس 151، تاريخ الدولتين 106 - ، المنهل الصافي 2: 105.

(2) في هذا الشهر (شوال). السلوك 3: 480.

ثُمّ بلغني أنّ السُّلطان بإفريقيّة صدّ أهلي وولدي عن اللّحاق بي، اغتياطاً بمكاني وطلباً لفيئتي إلى بابه ورجوعي، فتطارحتُ على هذا السُّلطان في وسيلةِ شفاعة تُسهّلُ منه الإذن، فأسعفني بذلك[1]، وخاطبتُ ذلك السُّلطان[2]، كان اللهُ له، أغبطه بمودّةِ هذا السُّلطانِ، والعملِ على مُواصلتِه ومُهاداتِه، كما كان بيْن سلفِهم في الدّولتيْنِ، فقبلَ منّي، وبادرَ إلى إتحافِه بمقرَّباتِه، إذْ ليس عِندَنا بالمغربِ تُحفةٌ يُطرَفُ بها مُلوكُ المشرقِ إلا الجيادُ العِرابُ، وأمّا ما سِوى ذلك من أنواعِ الطُّرفِ والتُّحفِ بالمغربِ فكثيرٌ لديهم أمثالُه، ويقبُحُ أن يُطرفَ عُظماءُ الملوكِ بالتّافه[أ] المطّرحِ لديهم، واختارَ لِتلكَ المقرّباتِ سفينتَه الّتي أعدّها لذلك، وجاءَ فيها أهلي وولدي، بوسيلةِ هذا السُّلطانِ أيّدَه الله، لسهولةِ سبيلِ البحرِ وقُربِ مسافتِه.

فلمّا قاربوا مرسى الإسكندريّة، عاقتهم عواصفُ الرّياحِ عن احتلالِه، وعطِبتِ السّفينةُ، وغرِقَ مُعظمُ ما فيها من الحيَوانِ والبضائعِ، وهلَكَ ولَدي وأهلي فيمن هلَكَ، ونفقتْ تِلكَ الجيادُ، وكانتْ رائقةَ الحُسنِ صافيةَ النّسبِ[3].

وسلِمَ من ذلك المهلكِ رسولٌ جاءَ من ذلك السُّلطانِ يُمهّدُ العُذرَ، ويُقرّرُ المودّةَ، فتُلُقّيَ بالقبولِ والكرامة، [وأُوسِعَ][ب] النُّزُلَ والقِرى، ثُمّ اعتزمَ على العودةِ إلى مُرسِلِه، فانتقى السُّلطانُ ثياباً من الوشي المرقومِ من عملِ العراقِ والإسكندريّة[ج]

(أ) في س: وبالتافه. (ب) من س، وفي ط: وواسع. (ج) في س: وأهل اسكندرية.

---

(1) ينظر نص خطاب السلطان برقوق إلى أبي العباس الحفصي يشفع في أولاد ابن خلدون، في الجزء الخاص من هذه الطبعة بالتعريف بابن خلدون 256 – 260.

(2) المقصود السلطان بتونس. ينظر التعريف بابن خلدون 350.

(3) ينظر التعريف بابن خلدون 266، 350.

تَفُوتُ القِيمَةَ، وَاسْتَكْثَرَ مِنها، وأَتْحَفَ بِها السُّلْطَانَ مَلِكَ إفْرِيقِيَّةَ عَلَى يَدِ هَـٰذا الرَّسُولِ، عَلَى عَادَةِ عُظَمَاءِ المُلُوكِ فِي إتْحَافِهِم وهَدَايَاهُم، وخَاطَبْتُ ذَلِكَ السُّلْطَانَ [386 ا] مَعَه بِحُسْنِ الثَّنَاءِ / عَلَى قَصْدِه وجَمِيلِ مَوْقِعِ هَدِيَّتِه مِنَ السُّلْطَانِ، واسْتِحْكَامِ مَوَدَّتِه لَه، وأَجَابَنِي بالعُذْرِ عَنِ الوَاقِعِ، وأَنَّه مُسْتَأْنِفٌ مِنَ الإتْحَافِ للسُّلْطَانِ، واسْتِحْكَامِ مَوَدَّتِه بِما يُيَسِّرُه الحَالُ.

فَلَمّا قَدِمَ الحَاجُّ مِنَ المَغْرِبِ سَنَةَ ثَمانٍ وثَمانِينَ، وَصَلَ فِيهِم مِنْ كِبَارِ القُوَّادِ بِدَوْلَتِه، وأَبْنَاءِ الأَعَاظِمِ المُسْتَبِدِّينَ عَلَى سَلَفِه: عُبَيْدٌ ابنُ القَائِدِ أَبِي عَبْدِ الله مُحَمَّدِ بنِ الحَكِيمِ، بِهَدِيَّةٍ مِنَ المُقَرَّبَاتِ، رَائِقَةِ الحُلَى، رَائِعَةِ الأَوْصَافِ، مُنْتَخَبَةِ الأَجْنَاسِ والأَنْسَابِ، غَرِيبَةِ الأَشْكَالِ والأَلْوَانِ، فاسْتَعْرَضَها السُّلْطَانُ، وقَابَلَها بالقَبُولِ وحُسْنِ المَوْقِعِ، وحَضَرَ الرَّسُولُ بِكِتَابِه، فَقُرِىءَ، وكُرِّمَ[(أ)] حَامِلُه، وأُنْعِمَ عَلَيْه بالزَّادِ لِسَفَرِ الحَجِّ، وأَوْصَى بِه أُمَرَاءَ المَحْمَلِ، فَقَضَى فَرْضَه عَلَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ، وكَانَتْ أَهَمَّ [أُمْنِيَاتِه][(ب)]، ثُمّ انْقَلَبَ ظَافِرًا بِقَصْدِه، وأَعَادَه السُّلْطَانُ إلَى مُرْسِلِه بِهَدِيَّةٍ أَفْخَرَ مِنَ الأُولَى مِنْ أَجْنَاسِ تِلْكَ الثِّيَابِ ومُسْتَجَادِها مِمَّا يُجَاوِزُ الكَثْرَةَ، ويَفُوتُ القِيمَةَ، وَاسْتَحْكَمَتْ عُقْدَةُ المَوَدَّةِ بَيْنَ هَذَيْنِ السُّلْطَانَيْنِ، وشَكَرْتُ اللهَ عَلَى مَا كَانَ فِيها مِنْ أَثَرِ مَسْعَايَ وإنْ قَلَّ.

وكَانَ وَصَلَ فِي جُمْلَةِ الحَاجِّ مِنَ المَغْرِبِ [كَبِيرُ][(ج)] العَرَبِ مِنْ هِلالٍ، وهُوَ يَعْقُوبُ بنُ عَلِيِّ بن أَحْمَدَ أَمِيرُ رِيَاح، المُوَطِّنِينَ بِضَوَاحِي قُسَنْطِينَةَ وبِجَايَةَ إلَى الزَّابِ، فِي وَفْدٍ مِنْ بَنِيهِ[(د)] وأَقْرِبَائِه، وَوَصَلَ فِي جُمْلَتِهم أَيْضًا عَوْنُ بنُ يَحْيَى بنِ طَالِبٍ

(أ) في س: أكرم. (ب) من س، وفي ظ: امتنانه. (ج) من س، وفي ظ: كثير. (د) في س: من أهل بيته.

ابن مُهَلْهِلٍ مِنَ الكُعُوبِ، أَحَدِ(أ) شُعُوبِ سُلَيْمِ المُوَطَّنِينَ بِضَواحِي تُونِسَ والقَيْرَوَانِ والجَرِيدِ، وبَنُو أَبِيه، فَقَضَوْا فَرْضَهم أَجْمَعُون، وَانْقَلَبُوا إِلى وَطَنِهِم أَوَاسِطَ شَهْرِ رَبِيعِ الآخِرِ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وثَمانِين، وَاطَّرَدَتْ أَحْوَالُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُون، واللهُ مُتَوَلِّي أَمْرِها [بِمَنِّه](ب).

حَوَادِثُ مَكَّةَ وأُمَرَائِها

قَدْ تَقَدَّمَ لَنا أَنَّ مُلْكَ مَكَّةَ صَارَ في هَذه الأَعْصَارِ لِبَنِي قَتَادَةَ مِنْ بَنِي مَطَاعِنِ الهَوَاشِمِ بَنِي حَسَن، وذَلِكَ مُنْذُ دَوْلَةِ التُّرْكِ، وكَانَ مُلْكُهم بِها بَدَوِيّاً، وهم يُعْطُونَ الطَّاعَةَ لِمَلِكِ مِصْرَ، ويُقِيمُونَ مَعَ ذَلِكَ الدَّعْوَةَ العَبَّاسِيَّةَ / لِلْخَلِيفَةِ الَّذِي [يُنَصِّبُه](ج) [386 ب] التُّرْكُ بِمِصْرَ، إِلى أَنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُهَا آخِرَ وَقْتٍ لأَحْمَدَ بن عَجْلَانَ بن رُمَيْثَةَ بن أَبِي نُمَيّ أَعْوَامَ [سَبْعِينَ](1) وسَبْعِ مِائَة، بَعْدَ أَبِيه عَجْلان(2)، فَأَظْهَرَ في سُلْطَانِه عَدْلًا وتَعَفُّفًا عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، وقَبَضَ أَيْدِيَ أَهْلِ العَيْثِ والظُّلْمِ مِنْ أَخْلافِهم وحَاشِيَتِهم وعَبِيدِهم، وخُصُوصاً عَنِ المُجَاوِرِين، وأَعَانَه عَلَى ذَلِكَ مَا كَان لَه مِنَ الشَّوْكَةِ بِعَصَبِيَّةِ أَخْوَالِه، يُعْرَفُونَ بِبَنِي عُمَرَ مِنْ أَتْبَاعِ هَؤلاءِ السَّادَةِ ومَوَالِيهم، فَاسْتَقَامَ أَمْرُه وَشَاعَ بالعَدْلِ ذِكْرُه، وحَسُنَتْ سِيرَتُه، وَامْتَلأَتْ مَكَّةُ مِنَ المُجَاوِرِ والتَّاجِرِ حَتَّى غَصَّتْ بُيُوتُها بِهِم(3).

(أ) في ظ: أحدهم، ومصححة. (ب) من س. (ج) من س، وفي ظ: ينصبوه.

(1) في الأصول: ستين، والتعديل من العقد الثمين 3: 90، 6: 69.

(2) نزل عجلان عن الإمرة لابنه أحمد سنة 774 هـ، أو قبلها بقليل. العقد الثمين 6: 69.

(3) المصدر نفسه 3: 95 – 96.

وكَان عِنَانٌ ابنُ عَمّه مُغامِس بن رُمَيْثَة، ومُحَمَّدٌ ابنُ عَمّه ثُقْبَة بنِ رُمَيْثَة، يَنفُسُون عَلَيْه مَا آتاه اللهُ مِنَ الخَيْرِ، ويَجِدُونَ في أَنْفُسِهم، إذْ لَم يَقْسِمْ لَهم بِرِضَاهم في أمْوالِ جِبَايَتِه، فَتَنكَّرُوا لَه، وهَمُّوا بالانْتِقَاضِ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهم، وكَان لَهم حِلْفٌ مَعَ أخِيه مُحَمَّدِ بن عَجْلان، فَرَاوَدَه عَلَى تَرْكِهم أوْ حَبْسِه مَعَهم، فَحُبِسُوا ولَبِثُوا في مَحْبِسِهم ذَلِكَ حَوْلًا أو مَا فَوْقَه، ثُم نَقَبُوا السِّجْنَ لَيْلًا وفَرُّوا، فأُدْرِكُوا مِنْ لَيْلِهم[أ] وأُعِيدُوا إلى مَحْبِسِهم، وأفْلَتَ مِنْهم عِنَانٌ بنُ مُغامِس، ونَجَا إلى مِصْرَ سَنَةَ ثَمانٍ وثَمانِينَ[1] صَرِيخاً بالسُّلْطَان. وعَنْ قَلِيلٍ وَصَلَ الخَبَرُ[2] بوَفَاةِ أحْمَدَ بنِ عَجْلان عَلَى فِرَاشِه[3]، وأنَّ أخَاه كُبَيْش بنَ عَجْلان نَصَّبَ ابْنَه مُحَمَّداً مَكَانَ أبِيه، وقَامَ بِأمْرِه، وأنَّه عَمَدَ إلى هَؤلاءِ المُعْتَقَلِينَ [فَسَمَلَهم][ب] صَوْناً للأمْرِ عَنهم بِمَكَانِ تَرْشِيحِهم، فَنَكِرَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ وسَخِطَه[4] مِنْ فَعَلاتِهم وَافْتِيَاتِهم، ونَسَبَه إلى كُبَيْش وأنَّه يُفْسِدُ مَكَّةَ بالفَسَادِ بَيْنَ هَؤلاءِ الأقَارِب.

ولَمَّا خَرَجَ الحَاجُّ سَنَةَ ثَمانٍ وثَمانِين، أوْصَى أمِيرَ حَاجٍ بِعَزْلِ الصَّبِيِّ المَنْصُوبِ، والاسْتِبْدَالِ مِنه بعِنَان بن مُغامِس، والقَبْضِ عَلَى كُبَيْش، ولَمَّا وَصَلَ الحَاجُّ إلى مَكَّة، وخَرَجَ الصَّبِيُّ لِتَلَقِّي المَحْمِلِ الخِلافِي، وقَدْ أرْصَدَ الرِّجَالَ حِفَافَيْه للبَطْشِ بِكُبَيْش وأمِيرِه المَنْصُوبِ، فَقَعَدَ كُبَيْشٌ عَنِ الحُضُورِ، وجَاءَ الصَّبِيُّ وتَرَجَّلَ عَنْ

(أ) في س: ليلتهم. (ب) من س، وفي ط: فسلمهم.

(1) في سلخ جمادى الأولى. السلوك 3: 546.

(2) في رمضان 788 هـ. السلوك 3: 549.

(3) كانت وفاته ليلة السبت العشرين من شعبان. العقد الثمين 3: 96.

(4) السلوك 3: 550.

فَرَسِه / لِتَقْبِيلِ الخُفِّ مِنْ زاحِلَةِ المَحْمِلِ عَلَى العَادَةِ، [فَتَوَاثَبَ][أ] بِه أُولَئِكَ [387أ] المُرْصَدُون طَعْناً بالخَناجِرِ يظُنّونَهُ كُبَيْشاً[1]، ثُمّ غَابُوا فَلَمْ يُوقَفْ لَهم عَلَى خَبَرٍ، وتَرَكُوه صَرِيعًا بالبَطْحَاءِ.

ودَخَلَ الأَميرُ إلى الحَرَمِ فَطَافَ وَسَعَى، وَخَلَعَ عَلَى عِنَانِ بن مُغَامِس بالإمَارَةِ[ب] عَلَى عَادَةِ مَنْ سَلَفَ مِن قَوْمِه[2]، ونَجَا كُبَيْشٌ إلى جُدَّةَ مِن سَوَاحِلِ مَكَّةَ، ثُمّ لَحِقَ بِأَحْيَاءِ العَرَبِ المُنْتَبِذِينَ بِبِقَاعِ الحِجَازِ صَرِيخاً، فَقَعَدُوا عَنْ نُصْرَتِه، وفَاءً بِطَاعَةِ السُّلْطَانِ، وَافْتَرَقَ أَمْرُه، وخَذَلَه [عَشِيرُه][ج]، وَانْقَلَبَ الأَمِيرُ بالحَاجِّ إلى مِصْرَ، فَعَنَّفَهُ السُّلْطَانُ عَلَى قَتْلِ[د] الصَّبِيّ، وَاعْتَذَرَ بافْتِيَاتِ أُولَئِكَ الرِّجَالِ عَلَيْه، فَأَعْذَرَه.

وَجَاءَ كُبَيْشٌ بَعْدَ مُنْصَرَفِ الحَاجِّ، وقَدِ انْضَمَّ إلَيْه أَوْشَابٌ مِنَ العَرَبِ، فَقَعَدَ[هـ] بالمَرَاصِدِ يُخِيفُ السَّابِلَةَ، ويُخِيفُ الرُّكَّابَ والمسَافِرِينَ، ثُمّ زَحَفَ إلى مَكَّةَ وحَاصَرَهَا أَوَّلَ تِسْعٍ وثَمانِين[3]، وخَرَجَ عِنَانُ بنُ مُغَامِس [بَعْضَ][و] الأَيّامِ وبَارَزَه فَقَتَلَه، وَاضْطَرَبَ الأَمْرُ بِمَكَّةَ، وَامْتَدَّتْ أَيْدِي عِنَانٍ و[الأَشْرَافِ][ز] مَعَه إلى أَمْوَالِ المجَاوِرِينَ[4] فَتَسَلَّطُوا عَلَيْها، ونَهَبُوا زَرْعَ الأُمَرَاءِ هُنَالِكَ، وَزَرْعَ السُّلْطَانِ للصَّدَقَةِ.

(أ) من س، وفي ظ: فواثب. (ب) من س، وفي ظ: للإمارة. (ج) من س، وفي ظ: عشيرته. (د) في س: قتله.
(هـ) في س: فقعدوا. (و) من س، وفي ظ: بعد. (ز) من س، وفي ظ: الأشرف.

---

(1) نفسه المصدر 3: 554 – 555.

(2) العقد الثمين 6: 434.

(3) السلوك 3: 563.

(4) المصدر نفسه 3: 566.

ووَلّى السُّلْطَانُ عَلى مَكَّةَ عَلِيَّ بنَ عَجْلَان، مِنْ أصَاغِرِ إخْوَةِ أحْمَد، وَوَفَدَ عَلَيْه(1) عِنَانُ بنُ مُغَامِس بِمِصْرَ، فَقَبَضَ عَلَيه(2) وَاعْتَقَلَه حَسْمًا لِطَوَارِقِ الفَسَادِ عَنْ مَكَّة، واسْتَقَرَّ الحَالُ عَلى ذَلِكَ إلى أنْ كَانَت فِتْنَةُ النَّاصِرِيّ، كَمَا نَذْكُر.

انتِقَاضُ منطاش بمَلَطْيَة ولحَاقُهُ بسيوَاس ومَسِيرُ العَسَاكِرِ فِي طَلَبِه

كَانَ مِنْطَاشُ(3) هَذا وتَمُرْبَاي الدّمِرْدَاشِيُّ، الّذِي مَرّ ذِكْرُه، أخَوَيْنِ لِتِمْرَازَ النَّاصِرِيّ، مِنْ مَوَالِي المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمّدِ بنِ قَلاوُون، ورُبِّيَا في كَفَالَةِ أُمِّهِا، وكَانَ اسْمُ تَمُرْبَاي مُحَمَّداً، وهُوَ الأكْبَرُ، واسْمُ مِنْطَاش أحْمَد، وهُوَ الأصْغَرُ، واتَّصَلَ تَمُرْبَاي بالسُّلْطَانِ الأشْرَفِ وتَرَقَّى في دَوْلَتِه في الوَظَائِفِ إلى أنْ وَلِيَ نَائِباً بِحَلَبَ [387ب] سَنَةَ ثَمَانِينَ(4)، وكَانَت وَاقِعَتُه مَعَ التُّرْكُمَان، / وذَلِكَ أنّه وَفَدَ عَلَيْه أُمَرَاؤُهم فَقَبَضَ عَلَيْهِم، لِمَا كَانَ مِنْ عَيْثِهِم في النَّوَاحِي، وَاجْتَمَعُوا، فَسَارَ إلَيْهِم، وأَمَدَّه السُّلْطَانُ بِعَسَاكِرِ الشَّامِ وحَمَاة، وَانْهَزَمُوا أمَامَهم إلى الدَّرْبَنْدِ، ثُمّ كَرُّوا عَلى العَسَاكِرِ فَهَزَمُوهَا ونَهَبُوهَا في المَضَائِقِ(5)، وتُوفِّي تَمُرْبَاي سَنَةَ [خَمْسٍ](6) وثَمَانِين.

---

(1) المقصود: وفد على السلطان، يراجع ما يلي.

(2) في تاسعه (رمضان 791 هـ). تاريخ ابن الفرات 9: 132، السلوك 3: 651.

(3) هو: تمر بغا بن عبدالله الأفضلي، ينظر المنهل الصافي 4: 94، الدرر الكامنة 2: 52، 5: 124.

(4) في سابع رجب: السلوك 3: 338.

(5) السلوك 3: 347 - 348.

(6) في الأصول: ثنتين، والتصويب من السلوك 3: 492، 510، وينظر المنهل الصافي 4: 88 – 89.

وكَانَ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقٌ يَرْعَى لَهما هَذا الوَلاءَ، فَوَلَّى مِنْطَاش عَلَى مَلَطْيَة[1]، ولَمَّا اقْتَعَدَ الكُرْسِيَّ وَاسْتَبَدَّ بالسُّلْطَانِ، بَدَتْ مِنْ مِنْطَاش عَلامَاتُ الخِلافِ، فَهَمَّ أَنْ يَسْطُوَ بِه، ثُمَّ رَاجَعَ ووَفَدَ وتَنَصَّلَ للسُّلْطَان[2].

وكَان سُودُون بَاق مِنْ أُمَرَاءِ الأُلُوفِ خَالِصَةً للسُّلْطَانِ، ومِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِه، وكَان مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ في جُمْلَةِ الأَمِيرِ تَمُرْبَاي، فَرَعَى لِمِنْطَاش حَقَّ أَخِيه، وشَفَعَ لَه عِنْدَ السُّلْطَانِ، وكَفَلَ حُسْنَ الطَّاعَةِ مِنه، وأَنَّه يُحَاوِلُ عَلَى التُّرْكُمَانِ المخَالِفِينَ، ويَحْسِمُ[أ] عِلَلَ فَسَادِهِم. وَانْطَلَقَ إلى قَاعِدَةِ عَمَلِه بمَلَطْيَة، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ آثَارُ العِصْيَانِ بَادِيَةً عَلَيه، ورُبَّمَا دَاخَلَ أُمَرَاءَ التُّرْكُمَانِ في ذَلِكَ، ونُمِيَ الخَبَرُ إلى السُّلْطَانِ فَطَوَى لَه، وشَعَرَ هُوَ بِذَلِكَ، فَرَاسَلَ صَاحِبَ سِيوَاس، قَاعِدَةِ بِلادِ الرُّومِ، وبِهَا قَاضٍ مُسْتَبِدٌّ[3] عَلَى صَبِيٍّ مِنْ أَعْقَابِ بَنِي أَرْتِنَا، مُلُوكِهَا مِنْ عَهْدِ بَنِي هُولاوُو، قَدِ اعْصَوْصَبَ عَلَيه بَقِيَّةٌ مِنْ أَحْيَاءِ الطَّطَرِ [الذِين][ب] كَانُوا حَامِيَةً هُنَالِكَ مَعَ الشِّحْنَةِ فِيهَا، كَمَا نَذْكُرُه.

ولَمَّا وَصَلَتْ رُسُلُ مِنْطَاش وكُتُبُه إلى هَذا القَاضِي بَادَرَ بإِجَابَتِه، وبَعَثَ وَفْدًا مِنْ أَصْحَابِه في اتْمامِ الحَدِيثِ مَعَه، فَخَرَجَ مِنْطَاشُ للقَائِهِم، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَلَطْيَةَ دَوَادَارَه، وكَان مُعَقَّلاً، فَخَشِيَ مَغَبَّةَ مَا يَرُومُه صَاحِبُه مِنَ الانْتِقَاضِ، ولاذَ بالطَّاعَةِ، وتَبَرَّأَ مِنْ مِنطَاش، وأَقَامَ دَعْوَةَ السُّلْطَانِ في البَلَدِ.

(أ) في س: يحاول.　　(ب) من س، وفي ظ: التي.

---

(1) اشتراه الملك الظاهر برقوق وأعتقه (787 هـ)، وولاه نيابة ملطية من سنته. المنهل الصافي 4: 94.

(2) ينظر السلوك 3: 567، 573، النجوم الزاهرة 11: 251.

(3) القاضي برهان الدين أحمد. السلوك 3: 567، النجوم الزاهرة 11: 251.

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى مِنطَاش فاضطَرَبَ، ثُمّ استَمَرَّ علَى(أ) اليَأسِ، وسَارَ معَ وَفدِ القَاضِي إلى سِيوَاس، فلَمَّا قَدِمَ علَيه(ب)، وقَدِ انقَطَعَ الحَبْلُ في(ج) يدِه، أعرَضَ عنه، وصَارَ(د) إلى مُغَالَطَةِ السُّلطَانِ عمّا أتاه مِن مُدَاخَلَةِ مِنطَاش، فقَبَضَ علَيه / [388 أ] وحَبَسَه.

وسَرَّحَ [السُّلطَانُ عَسَاكِرَه](هـ) سَنَةَ تِسعٍ وثَمانِينَ[1] معَ: يُونُسَ الدَّوَادَارِ، وقَرَدَم رَأسِ نَوبَةٍ، وألطُنبُغَا الرَّمَّاحِ أمِيرَ سِلاحٍ، وسُودُون بَاق مِنْ أُمَرَاءِ الألُوفِ، وأوعَزَ إلى النَّاصِرِيِّ[2] نائِبِ حَلَبَ أنْ يَخرُجَ مَعَهم بِعَسَاكِرِه، وإلى إينَالَ اليُوسُفِيِّ مِنْ أُمَرَاءِ الألُوفِ بِدِمَشقَ، وسَارُوا جَمِيعاً.

وكَانَ يَومَئِذٍ مَلِكُ التُّركِ، بِمَا وَرَاءَ النَّهرِ وخُرَاسَانَ، تَمَر[3] مِن نَسَبِ جُغْطَاي، قَدْ زَحَفَ إلى العِرَاقَيْنِ وأذرَبِيجَان، ومَلَكَ تَورِيز عَنوَةً[4] واستَبَاحَهَا، وهُو يُحَاوِلُ مُلْكَ بَغدَادَ، فَسَارَتْ هَذِه العَسَاكِرُ تُورِي بِغَزوِه ودِفَاعِه، حَتَّى إذَا بَلَغُوا حَلَبَ لَقِيَهم الخَبَرُ بأنَّ تَيمُورَ رَجَعَ بِعَسَاكِرِه لِخَارِجٍ خَرَجَ علَيه بِقَاصِيَةِ بِلادِه وَرَاءَ النَّهرِ.

فرَجَعَتْ عَسَاكِرُ السُّلطَانِ إلى جِهَةِ سِيوَاس[5]، واقتَحَمُوا تُخُومَهَا علَى حِينِ غَفلَةٍ مِنْ أهلِهَا، فبَادَرَ القَاضِي بإطلاقِ مِنطَاش لِوَقتِه، وقَدْ كَانَ أيّامَ حَبسِه يُوسْوِسُ

(أ) في س: مع. (ب) في س: وصل إليه. (ج) في س: من. (د) مكررة في ط: وصار. (هـ) من س. وفي ط: السلطان سنة تسع وثمانين عساكره.

---

(1) ارتبط خروج هذه القوات في رجب 789 هـ بتواتر الأخبار بقصد تمرلنك البلاد الشامية، ينظر تاريخ ابن الفرات 9: 11، السلوك 3: 564، وينظر ما يلي.

(2) أعيد النّاصري إلى نيابة حلب، عوضاً عن سودون المظفري، في الخامس من ذي القعدة 789 هـ، تاريخ ابن الفرات 9: 19، السلوك 3: 567.

(3) من أسماء تيمور كما في تاريخ ابن عربشاه، عجائب المقدور 9.

(4) هي تبريز نفسها. نهاية الأرب 27: 392 وسيأتي.

(5) في جمادى الأولى 790 هـ تاريخ ابن الفرات 9: 29، السلوك 3: 579.

إِلَيْهِ بِالرُّجُوعِ عَنْ مُوَالاةِ السُّلْطَانِ ومُمالأتِه، ومَا زَالَ يَفْتِلُ لَه في الذِّرْوَةِ والغَارِبِ(1) حَتَّى جَنَحَ إلى قَوْلِه، فَبَعَثَه إلى أَحْيَاءِ الطُّطَرِ، الذِين كَانُوا بِبِلادِ الرُّومِ فِيئَةً لابْنِ أَرْتِنَا مُذْ أَوَّلِ دَوْلَتِهِم، فَسَارَ إِلَيْهِم وَاسْتَجَاشَهم عَلَى عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ، وحَذَّرَهم اسْتِئْصَالَ شَأْفَتِهِم بِاسْتِئْصَالِ مُلْكِ بَني(ا) أَرْتِنَا وبَلَدِه. وَوَصَلَتِ العَسَاكِرُ خِلالَ ذَلِكَ إلى سِيوَاس فَحَاصَرُوهَا أَيَّاماً وضَيَّقُوا عَلَيْهَا، وكَادَتْ أَنْ تُلْقِيَ بِاليَدِ، وَوَصَلَ مِنْطَاش إِثْرَ ذَلِكَ بِأَحْيَاءِ الطُّطَرِ، فَقَاتَلَتْهم العَسَاكِرُ ودَافَعُوهم، ونَالُوا مِنْهم، وجَلَّى النَّاصِرِيُّ في هَذِه الوَقَائِعِ، وأَدْرَكَ العَسَاكِرَ الفَشَلُ والضَّجَرُ مِنْ طُولِ المُقَامِ، وبُطْءِ الظَّفَرِ، وَانْقِطَاعِ المِيرَةِ بِتَوَغُّلِهِم في البِلادِ، وبُعْدِ الشُّقَّةِ(ب)، فَتَدَاعَوْا لِلرُّجُوعِ، ودَعَوا الأُمَرَاءَ إِلَيْه، فَجَنَحَ لِذَلِكَ بَعْضُهم، فَانْكَفَأُوا رَاجِعِين عَلَى تَعْبِئَتِهِم، وَسَارَ بَعْضُ الطُّطَرِ في اتِّبَاعِهِم فَكَرُّوا عَلَيْهِم وَاسْتَلْحَمُوهم، وخَلَصُوا إلى بِلادِ الشَّامِ عَلَى أَحْسَنِ حَالاتِ الظُّهُورِ، وَبِنِيَّةِ العَوْدِ لِيَحْسِمُوا عِلَلَ(ج) العَدُوِّ، ويَمْحُوا آثَارَ الفِتْنَةِ(2).

نكبة الجوباني واعتقاله بالإسكندرية

[388ا] / كَانَ الأُمَرَاءُ الَّذِين حَاصَرُوا سِيوَاسَ قَدْ لَحِقَهم الضَّجَرُ والسَّآمَةُ مِن طُولِ المُقَامِ، وفَزِعَ قُرْدُم وأَلْطُنْبُغَا المُعَلِّم مِنْهم إلى النَّاصِرِيِّ، مُقَدَّمِ العَسَاكِرِ، بِالشَّكْوَى مِنَ السُّلْطَانِ فِيمَا دَعَاهم إِلَيْه مِنْ هَذَا المُرْتَكَبِ، وتَفَاوَضُوا في ذَلِكَ مَلِيّاً، وتَدَاعَوْا إلى الإِفْرَاجِ عَنِ البَلَدِ، بَعْدَ أَنْ بَعَثُوا إلى القَاضِي بِها وَاتَّخَذُوا عِنْدَه يَدًا بِذَلِكَ، وأَوْصَوْهُ

(ا) في س: ابن. (ب) في س: المشقة. (ج) في س: آثار.

(1) مثل يضرب للمخادعة حتى يزيل المرء صاحبه عن رأيه. مجمع الأمثال 2: 69.

(2) تاريخ ابن الفرات 9: 30، السلوك 3: 579.

بِمنطّاش والابقاءِ علَيْه لِيَكُونَ لَهم زَبُوناً للفِتْنَةِ، وعَلِمَ الدّوَادَارُ يُونُس إذهَانَهم في الطَّاعَةِ، وَلَم يَسَعه خِلافُهم، فَفَوَّضَ عنهم[ا]، ولَمّا انْتَهى إلى حَلَب غَدَا علَيْه دِمِرْدَاش مِنْ أُمَرَائِها، فَتَنَصَّحَ لَه بأنّ الجُوبَانِيَّ نَائِبَ دِمَشْقَ مُدَاخِلٌ للنّاصِرِيّ[ب] في تَمرِيضِه في الطَّاعَة، وأنَّهما مُعْتَزِمَانِ عَلَى الخِلافِ، وَقَفَلَ يُونُس إلى مِصْرَ فَقَصَّ عَلَى السُّلْطَانِ نَصِيحَتَه، وَاسْتَدْعَى دِمِرْدَاش فَشَافَهَ السُّلْطَانَ بِذَلِك، وَاطَّلَعَ مِنه عَلَى جَلِيّ الخَبَرِ في شَأْنِهِمَا.

وكَان للجُوبَانِيّ مَمَالِيكُ أَوْغَادٌ قَدْ أَبْطَرَتهم النِّعْمَةُ، وَاسْتَهْوَاهم الجَاه، وشَرِهُوا إلى التَّوثُّبِ وهُوَ يَزْجُرُهم، فَصَارُوا إلى إِغْرَائِه بالحَاجِب، لِيَنْقَطِعَ بَيْنَهما، فتَحَصَّلُوا عَلَى غَرَضِهم، وهَمَّ الجُوبَانِيُّ بحَاجِبِ الحُجَّابِ يَوْمَئِذٍ طُرُنْطَاي، فَقَعَدَ في بَيْتِه عَنِ المَجْلِس السُّلْطَانِي، وطَيَّرَ بالخَبَرِ إلى مِصْرَ، فَاسْتَرَابَ الجُوبَانِيّ، وسَابَقَه بِطَلَبِ الحُضُورِ عِنْدَ السُّلْطَانِ لِيَتَّضِحَ عَنه مَا عَلِقَ بِه مِنَ الأَوْهَام، وأُذِنَ لَه في ذَلِك، فَنَهَضَ مِنْ دِمَشْقَ عَلَى البَرِيدِ في [شَوَّالِ][1] تِسْعِين، ولَمّا انْتَهى إلى سِرْيَاقُوس[2] أَزْعَجَ إلَيْه السُّلْطَانُ أُسْتَادَارَه بَهَادِرَ المنْجَكِيّ[3] فَقَبَضَ عَلَيْه، وطَيَّرَ بِه السُّفِينَ إلى [الإسْكَنْدَرِيّة][ج].

وأَصْبَحَ السُّلْطَانُ[د] مِنَ الغَدِ فَقَبَضَ عَلَى قُرْدُم وأَلْطُنْبُغَا المُعَلِّم، وأَلْحَقَهُمَا بِه، فَحُبِسُوا هُنَالِك جَمِيعاً، وانْحَسَمَ مَا كَان يُتَوَقَّعُ مِنَ انْتِقَاضِهِم، وَوَلَّى السُّلْطَانُ مَكَانَ

(ا) في س: معهم. (ب) في س: الناصري. (ج) من س، وفي ظ: اسكندرية. (د) سقط من س.

---

(1) في الأصول: في ربيع، وانظر تاريخ ابن الفرات 9: 36.

(2) ليلة الخميس سابع عشري شوال 790 هـ. تاريخ ابن الفرات 9: 36، السلوك 3: 584.

(3) الأمير فارس الصرغتمشي الجوكندار. تاريخ ابن الفرات 9: 36، السلوك 3: 584.

الجوبانِي بدِمَشق طُرُنطاي الحَاجِبَ[1]، ومَكَان قُرْدُم بِمِصْرَ ابن عَمّه[2] قَجْماس، ومَكَان [أَلْطُنْبُغا][3] المُعلِّم دِمِرْداش، واسْتَمَرَّ الحَالُ / عَلى ذَلِك. [399ا]

فِتنَةُ النَّاصِرِيّ وَاستيلاؤُه عَلَى الشَّام ومِصْر واعتِقَال السُّلطَان بالكَرَك

ولَمّا[أ] بَلَغَ النّاصِرِيَّ بحَلَب اعْتِقَالُ هَؤلاءِ الأُمَرَاءِ اسْترَابَ واضْطَرَب، وشَرَعَ في أَسْبَابِ الانْتِقَاض، ودَعَا إِلَيْه شِيَعَ الشَّرِّ وسَمَاسِرَةَ الفِتَن مِنَ الأُمَرَاءِ وغَيْرِهم، فأَطَاعُوه، وافْتَتَحَ أَمْرَه بالتَّنَكُّرِ للأَمِيرِ سَوْدُون المظَفَّرِي والانْحِرَافِ عَنْه، بِمَا كَانَ مِنْه في نَكْبَتِه وإِغْرَاءِ السُّلْطَانِ بِه ثُمَّ وِلايَتِه مَكَانَه.

ومِنْ وَظَائِفِ الحَاجِبِ في دَوْلَةِ التُّرْكِ: خِطَّةُ البَرِيدِ المعْرُوفَةُ في الدُّوَلِ القَدِيمَة، فَهو يُطَالِعُ السُّلْطَانَ بِمَا يَحْدُثُ في عَمَلِه، ويَعْتَرِضُ شَجاً في صَدْرِ مَنْ يُرِيدُ الانْتِقَاضَ مِنْ وُلاتِه.

فأَظْلَمَ الجَوُّ بَيْنَ هَؤلاءِ الرَّهْطِ وَبَيْنَ المظَفَّرِي، وتَفَاقَمَ الأَمْرُ، وطَيَّرَ بِالخَبَرِ إِلى السُّلْطَانِ، فأَخْرَجَ للوَقْتِ[4] دَوادارَه الأَصْغَر تِلِكْتَمُر لِيُصْلِحَ بَيْنَهما، ويُسَكِّنَ الثَّائِرَة. وحِينَ [مَا سَمِعُوا بِمَقْدِمِه][ب] ارْتَابُوا وَارْتَبَكُوا في [أَمْرِهِم][ج]، وقَدِمَ تَلَكْتَمُر

(أ) س: ولمّا. (ب) من س. (ج) من س، وفي ظ: أميرهم.

(1) في ذي القعدة 790 هـ. تاريخ ابن الفرات 9: 36، السلوك 3: 584.

(2) المقصود ابن عم السلطان، وهو الأمير سيف الدين قجماس الصالحي.

(3) إضافة مما سبق للتوضيح.

(4) في عاشره (صفر 791 هـ). السلوك 3: 591، النجوم الزاهرة 11: 256.

فتلقّاه النّاصِريُّ، وألقَى إليه كِتابَ السُّلطانِ بالتَّذبة إلى الصُّلحِ مع الحاجِبِ، والإغضاءِ لَه، فأجابَ بَعْدَ أنِ التَمَسَ في حقائِبِ تِلِكْتَمُرَ مُخاطَباتِ السُّلطانِ ومُلاطَفاتِه للأُمَراءِ حتّى وَقَفَ عليها، ثُمّ غَلَبَ عليه أُولئكَ الرَّهطُ مِنْ أصحابِه في الفَتْكِ بالحاجِبِ، فأطاعَهم.

وباكَرَهم تِلِكْتَمُرُ بِدارِ السَّعادَةِ لِيُتِمَّ الصُّلحَ بَيْنَهم ويُذْهِبَ الهَواجِسَ والنُّفرَةَ، فدَعاه النّاصِريُّ إلى بَعْضِ خَلَواتِه، [وبَيْنَما][(أ)] هُوَ يُحادِثُه وإذَا بالقَوْمِ قَدْ وَثَبوا عَلَى[(ب)] الحاجِبِ وفتَكُوا بِه، وتَوَلّى كِبْرَ ذَلِكَ أَقْبُغا الجُوهَرِيُّ، واتَّصَلَتِ الهَيْعَةُ فوَجَمَ تِلِكْتَمُر، ونَهَضَ إلى مَكانِ نُزُلِه، وَاجْتَمَعَ الأُمَراءُ إلى النّاصِري وَاعْصَوْصَبُوا عَلَيه، ودَعاهم إلى الخُلْعانِ فَأجابُوا، وذَلِكَ في [صَفَرٍ][(1)] إحْدَى وتِسْعِين.

وَاتَّصَلَ الخَبَرُ بِطَرابُلُس، وبها جَماعَةٌ مِنَ الأُمَراءِ يَرُومُونَ الانْتِقاضَ، مِنْهم: بُزْلار النّاصِرِيُّ عَمِيدُ الفِتَن، فتَوَلّى كِبْرَها، وجَمَعَ الّذين تمالأُوا عَلَيها، وعَمَدُوا إلى [389 ب] الإيوانِ السُّلْطانِيِّ، المُسَمّى دارَ السَّعادَة، وقَبَضُوا عَلَى النّائِبِ / وحَبَسُوه، ولَحِقَ بُزْلار النّاصِرِيُّ في عَساكِرِ طَرابُلُس وأُمَرائِها، وفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ أَهْلُ حَلَبَ وحِمْص وسَائِرِ مَمالِكِ الشّام[(2)].

وسَرَّحَ السُّلْطانُ الأُمَراءَ لِقِتالِهم، فَسارَ: أَيْتَمُش الأتابِك، ويُونُس الدَّوادار، والخَلِيلِيُّ [جَرْكَس][(ج)] أَمِيرُ المَاخُورِيَّة، وأَحْمَدُ بنُ يَلْبُغا أَمِيرُ مَجْلِس، وأَيْدَكارُ حاجِبُ

(أ) من س، وفي ط: فبينما. (ب) في س: به. (ج) من س.

(1) في الأصول: محرم، انظر تاريخ ابن الفرات 9: 51، السلوك 3: 590 – 592.
(2) النجوم الزاهرة 11: 259، 262.

الحُجَّاب، فَبِمَن إليهم مِن العَسَاكِرِ، وَانْتَخَبَ مِنْ أَبْطَالِ مَمَالِيكِه وشُجْعَانِهم خَمْسَ مائة[1] مُقَاتِلٍ[أ] اسْتَضَافَهم إلى الخَلِيلِيّ، وعَقَدَ لَهم لِوَاءه المُسَمَّى بالشَّالِيش، وأَزَاحَ عِلَلَهم وعِلَلَ سَائِرِ العَسَاكِرِ، وسَارُوا عَلَى التَّعْبِئَة مُنْتَصَفَ رَبِيعٍ [الأَوَّلِ][2] مِنَ السَّنَة.

وكَانَ النَّاصِرِيُّ لَمَّا فَعَلَ فَعْلَتَه بَعَثَ عَنْ مِنْطَاش، وكَانَ مُقِيماً بَيْنَ أَحْيَاءِ الطُّطَرِ مُنْذُ رُجُوعِ العَسَاكِرِ عَنْ سِيوَاس، فَدَعَاه لِيُمْسِكَ مَعَه حَبْلَ الفِتْنَةِ والخِلافِ، فَجَاءَ[ب] ومَلأَه مَبَرَّةً وإحْسَاناً، وَاسْتَنْفَرَ طَوَائِفَ التُّرْكُمَانِ والعَرَبِ، ونَهَضَ فِي جُمُوعِه يُرِيدُ دِمَشْق، والطُّرُنْطَاي نَائِبُها يُوَاصِلُ تَعْرِيفَ السُّلْطَانِ بالأَنْبَاءِ، ويَسْتَحِثُّ العَسَاكِرَ.

ولَمَّا فَصَلَتِ العَسَاكِرُ مِن مِصْرَ مَرُّوا بِغَزَّةَ، ونَائِبُها الأَمِير [أَقْبُغَا][3] الصَّفَوِيُّ، وبَيْنَه وبَيْنَ النَّاصِرِيِّ عِلاقَةُ صُحْبَة، فَاسْتَرَابُوا بِه وتَقَبَّضُوا عَلَيه، ونَهَبُوا بَيْتَه، وبَعَثُوا بِه حَبِيسًا بالكَرَكِ[ج] ووَلَّوا مَكَانَه [حُسَيْنَ][4] بنَ بَاكِيش مِنْ جُنْدِ التُّرْكُمَانِ، كَانَ مُسْتَخْدَماً عِنْدَ بَيْدَمُرَ هُوَ وأَبُوه، وَوَلِيَ لِهَذَا العَهْدِ عَلَى نَابُلُس والعَشِيرِ فَنَقَلُوه إلى غَزَّة[5].

ثُمَّ تَقَدَّمُوا إلى دِمَشْقَ، وَاخْتَارُوا مِنَ القُضَاةِ وَفْداً أَوْفَدُوه عَلَى النَّاصِرِيِّ وأَصْحَابِه للإِصْلاحِ، فَلَمْ يُجِيبُوا، وأَمْسَكُوا الوَفْدَ عِنْدَهم وسَارُوا لِلِّقَاءِ، ولَمَّا تَرَاءَى

(أ) في س: مقاتلة. (ب) في س: لجاءه. (ج) في س: إلى الكرك.

---

(1) أربعمائة وثلاثين. السلوك 3: 593، النجوم الزاهرة 11: 259.

(2) من السلوك 3: 595، النجوم الزاهرة 11: 263.

(3) من السلوك 3: 597.

(4) في الأصول: محمد، وانظر السلوك 3: 597، 636، المنهل الصافي 5: 151.

(5) السلوك 3: 597، النجوم الزاهرة 11: 263.

الجَمْعَانِ بالمَرْجِ نَزَعَ أَحْمَدُ بنُ يَلْبُغَا وأَيْدَكَارُ الحَاجِبُ ومَنْ مَعَهمَا إلى القَوْمِ فصَارُوا مَعَهم، واتَّبَعَهم مَمَالِيكُ الأُمَرَاءِ، وصَدَقَ القَوْمُ الحَمْلَةَ عَلَى مَنْ بَقِيَ، فانْفَضُّوا[1].

ونَجَا أَيْتَمُش إلى قَلْعَةِ دِمَشْقَ فدَخَلَها، وكَانَ مَعَه مَكْتُوبُ السُّلْطَانِ بذَلِكَ مَتَى احْتَاجَ إلَيْه، وذَهَبَ يُونُسُ حَيْرَانَ، وقَدْ أَفْرَدَه مَمَالِيكُه، فلَقِيَه عَنْقَاءُ [بنُ شَطِّي][2] أَمِيرُ آلِ مِرَّا، وكَانَ يَحْقِدُ لَه بَعْضَ النَّزَعَاتِ أَيَّامَ سُلْطَانِه، فقَبَضَ عَلَيْه، وأُحِيطَ بجَرْكَس الخَلِيلِيّ ومَمَالِيكُ السُّلْطَانِ حَوْلَه، وقَدْ أَبْلَوْا في / [390 ا] ذَلِكَ المَوْقِفِ، وَاسْتُلْحِمَ عَامَّتُهم، فخَلَصَ بَعْضُ العَدُوِّ [إلَيْه][أ] وطَعَنَه فأكَبَّه، ثُمّ احْتَزَّ رَأْسَه، وذَهَبَ ذَلِكَ الجَمْعُ شَعَاعاً، وَافْتَرَقَتْ بَقِيَّةُ العَسَاكِرِ في كُلِّ وَادٍ، وَجِيءَ بِهِم أَسْرَى مِنْ كُلِّ نَاحِيةٍ[3].

ودَخَلَ النَّاصِرِيُّ وأَصْحَابُه دِمَشْقَ لِوَقْتِهِم وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْها، وعَاثَتْ عَسَاكِرُهم مِنَ العَرَبِ والتُّرْكُمَانِ في نَوَاحِيها، وبَعَثَ إلَيْهِم عَنْقَاءُ يَسْتَأْذِنُهم[ب] في أَمْرِ يُونُس، فأَمَرُوه بقَتْلِه، [فقَتَلَه][ج]، وبَعَثَ إلَيْهِم بِرَأْسِه، وأَوْعَزَ إلى نَائِبِ القَلْعَةِ بِحَبْسِ أَيْتَمُش عِنْدَه، وفَرَّقُوا المَحْبُوسِينَ مِنْ أَهْلِ الوَاقِعَةِ عَلَى السُّجُونِ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ وصَفَدَ وحَلَبَ وغَيْرِهَا، وأَظْهَرَ ابنُ بَاكِيش دَعْوَتَهم في غَزَّةَ، وأَخَذَ بِطَاعَتِهم، ومَرَّ بِه إينَالُ اليُوسُفِيُّ، مِن أُمَرَاءِ الأُلُوفِ بِدِمَشْقَ، نَاجِيًا مِنَ الوَقْعَةِ[د] إلى مِصْرَ، فقَبَضَ عَلَيْه وحَبَسَه بالكَرَكِ[4].

(أ) من س. (ب) في س: يستأذنوه. (ج) من س. (د) في س: الواقعة.

---

(1) السلوك 3: 598 – 599.

(2) من السلوك 3: 603.

(3) السلوك 3: 599.

(4) المصدر نفسه 3: 603.

وَاسْتَعَدَّ السُّلْطَانُ للمُدَافعَةِ، وَوَلَّى [قَرَا][1] دِمِرْدَاش أَتَابِكاً مَكَانَ أَيْتَمُش، وقُرْقُمَاس الخَازِنْدَار دَوَادَارًا مَكَانَ يُونُس، وعَمَّرَ سَائِرَ المَرَاتِبِ عَمَّنْ فُقِدَ مِنها[2]، وأَطْلَقَ الخَلِيفَةَ المُعْتَقَلَ المُتَوَكِّلَ ابنَ المُعْتَضِدِ وأَعَادَه إلى خِلافَتِه[3]، وعَزَلَ زَكَرِيَّاء المَنْصُوبَ مَكَانَه.

وَأَقَامَ النَّاصِرِيُّ وأَصْحَابُه بِدِمَشْقَ أيَّاماً، ثُمَّ أَجْمَعُوا المَسِيرَ إلى مِصْرَ، ونَهَضُوا إِلَيْهَا بِجُمُوعِهِم، وعُمِّيَتْ أَنْبَاؤُهم حَتَّى أَطَلَّتْ مُقَدِّمَتُهم عَلَى بِلْبِيس، ثُمَّ تَقَدَّمُوا إلى بِرْكَةِ الحَاجِّ وخَيَّمُوا بِهَا لِسَبْعٍ[4] مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ.

وبَرَزَ السُّلْطَانُ في مَمَالِيكِه وَوَقَفَ أَمَامَ القَلْعَةِ بَقِيَّةَ يَوْمِه، والنَّاسُ يَتَسَاتَلُونَ إلى النَّاصِرِيِّ مِنَ العَسَاكِرِ ومِنَ العَامَّةِ، حَتَّى غَصَّتْ بِهِم بَسَائِطُ البِرْكَةِ، وَاسْتَأْمَنَ أَكْثَرُ الأُمَرَاءِ مَعَ السُّلْطَانِ إلى النَّاصِرِيِّ، فَأَمَّنَهم، وأَطْلَعَ السُّلْطَانَ عَلَى شَأْنِهِم، وسَارَتْ طَائِفَةٌ مِنَ العَسْكَرِ ونَاوَشُوهُمُ القِتَالَ، فَعَادُوا مُنْهَزِمِينَ إلى السُّلْطَانِ، وَارْتَابَ السُّلْطَانُ بأَمْرِه، وعَايَنَ انْحِلالَ عُقْدَتِه، فَدَسَّ إلى النَّاصِرِيِّ بالخَلْعِ، وبَعَثَ إِلَيْه بسَيْفِه، فَأَجَابَه بالمُلاطَفَةِ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى مُلْكِه ويَقُومُوا بِدَوْلَتِه خَدَمَةً وأَعْوَاناً، وأَشَارَ بِأَنْ يَتَوَارَى بِشَخْصِه أَنْ يُصِيبَه أَحَدٌ مِنْ [غَيْرِ][أ] اليَلْبُغَاوِيَّةِ بِسُوءٍ، / فَلَمَّا [390 ب]

(أ) من س.

---

(1) من السلوك 3: 605.

(2) السلوك 3: 605.

(3) في يوم الأربعاء أول جمادى الأولى 791 هـ. السلوك 3: 603، مورد اللطافة 1: 254.

(4) يوم السبت ثالثه. السلوك 3: 611، النجوم الزاهرة 11: 263.

غَشِيَه الليْلُ أذِنَ لِمَنْ بَقِيَ مَعَه مِنْ مَمالِيكِه في الانطِلاقِ وَدَخلَ إلى بَيْتِه، ثُمّ خَرَجَ مُتَنَكِّراً، وتَسَرَّبَ في غَيابَاتِ المَدِينَةِ(1).

وبَاكَرَ النَّاصِرِيُّ وأصْحَابُه القَلْعَةَ فاسْتَوْلَوْا عَلَيْها، [ونَزَلَ النَّاصِرِيُّ بالإِصْطَبْلِ](أ)، ودَعَوْا أَمِيرَ حَاجّ ابنَ الأشْرَف [فَأَعادُوه](ب) إلى التَّخْتِ كَما كَانَ، ونَصَّبُوه لِلمُلْكِ ولَقَّبُوه المَنْصُور، وبَادَرُوا باسْتِدْعَاءِ الجُوبَانِيِّ والأُمَراءِ المُعْتَقَلِينَ بالإِسْكَنْدَرِيَّة، فَأَغَذُّوا السَّيْرَ ووَصَلُوا ثَانِيَ يَوْمِهم، ورَكِبَ النَّاصِرِيُّ وأَصْحَابُه لِلِقَائِهم، وأَنْزَلَ الجُوبَانِيَّ عِنْدَه بالإِصْطَبْلِ، وأَشْرَكَه في أَمْرِه.

وأَصْبَحُوا يُنَادُونَ بِطَلَبِ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ بَقِيَّةَ يَوْمِهم ذَلِكَ، ومِنَ الغَدِ، حَتَّى دَلَّ عَلَيْه بَعْضُ المَمَالِيكِ(2)، فَرَكِبَ الجُوبَانِيُّ إِلَيْه(ج)، وحِينَ رَآه قَبَّلَ الأَرْضَ وبَالَغَ في الأَدَبِ مَعَه، وحَلَفَ لَه عَلَى الأَمَانِ، وجَاءَ بِه إلى القَلْعَةِ فَأَنْزَلَه بِقَاعَةِ الفِضَّةِ(3)، وَاشْتَوَرُوا في أَمْرِه، وكَانَ حِرْصُ مِنْطَاش وبُزْلَار عَلَى قَتْلِه أَكْثَرَ مِمَّنْ سِوَاهُما، وأَبَى الجُوبَانِيُّ والنَّاصِرِيُّ إِلَّا الوَفَاءَ بِما اعْتَقَدُوا مَعَه(4).

وَاسْتَقَرَّ [يَلْبُغَا](5) النَّاصِرِيُّ أَتابِكاً، و[أَلْطُنْبُغَا](6) الجُوبَانِيُّ رَأْسَ النَّوْبَةِ الكُبْرَى، و[قَرَا](7) دِمِرْدَاش الأَحْمَدِيُّ أَمِيرَ سِلاح، وأَحْمَدُ بنُ يَلْبُغَا أَمِيرَ مَجْلِس،

(أ) من س. (ب) من س، وفي ظ: فعادوه. (ج) في س: إليه الجوباني.

---

(1) السلوك 3: 615، النجوم الزاهرة 11: 285.

(2) ينظر، النجوم الزاهرة 11: 324 - 325.

(3) يوم الثلاثاء ثالث عشره (جمادى الآخرة). السلوك 3: 629 .

(4) النجوم الزاهرة 11: 326.

(5)، (6)، (7) من تاريخ ابن الفرات 9: 108، السلوك 3: 633.

وآلابُغا العُثْمانِيُّ دَوَادارًا، وأقْبُغا الجوهَرِيُّ أُسْتَادارًا، وعُمِّرَتْ سَائِرُ الوَظَائِف والمَرَاتِب[1].

ثُمَّ بَعَثُوا بُزْلار نائِباً عَلَى دِمَشْق وأخْرَجُوه إلَيها، وبَعَثُوا كَمُشْبُغا اليَلْبُغاوِيَّ عَلَى حَلَب، وكَان السُّلْطَانُ قَدْ عَزَلَه عَن طَرَابُلُس وَاعْتَقَلَه بِدِمَشْق. فَلَمَّا جَاءَ في حَمْلَةِ النَّاصِرِيِّ، بَعَثَه عَلَى حَلَبَ مَكَانَه، وقَبَضُوا عَلَى جَمَاعَة مِنَ الأُمَرَاء فِيهِم: النَّائِبُ سُودُون، وقَجْمَاس ابنُ عَمِّ السُّلْطَان، وسَوْدُونُ الطُّرُنْطَائِيُّ، وسُودُونُ بَاق، فَحَبَسُوا بَعْضَهم بالإسْكَنْدَرِيَّة، وأشْخَصُوا آخَرِينَ إلى الشَّام فَحُبِسُوا هُنَالِك[أ].

وتَتَبَّعُوا مَمَالِيكَ السُّلْطَانِ فَحَبَسُوا أكْثَرَهم، وأُشْخِص بَقِيَّتُهم إلى الشَّام يُسْتَخْدَمُونَ عِنْدَ الأُمَرَاءِ، وقَبَضُوا عَلَى أُسْتَادَار مُحْمُود، قَهْرَمَانِ الدَّوْلَة وقَارُونِ العَصْرِ، فَصَادَرُوه عَلَى أَلْفِ أَلِفِ دِرْهَم، ثُمَّ أوْدَعُوه السِّجْن.

وهم مَعَ ذَلِك يَتَشَاوَرُونَ / في مُسْتَقَرِّ السُّلْطَانِ بَيْنَ الكَرَكِ وقُوص [139ا] والإسْكَنْدَرِيَّة، حَتَّى أجْمَعُوا عَلَى الكَرَكِ، فَوَرَّوْا بالإسْكَنْدَرِيَّة حَذَراً عَلَيه مِنَ مِنْطَاش، فَلَمَّا أَزِفَ مَسِيرُه قَعَدَ لَه مِنْطَاش عِنْدَ البَحْرِ رَصَداً وبَاتَ عَامَّةَ لَيْلَتِه، ورَكِبَ الجُوبَانِيُّ مَعَ السُّلْطَانِ مِنَ القَلْعَةِ[2]، وأرْكَبَ مَعَه صَاحِبَ الكَرَكِ[ب] مُوسَى ابنَ مُحَمَّدِ بن عِيسَى[3] في لُمَّةٍ مِنْ قَوْمِه، يُوصِلُونَه إلى الكَرَكِ، وَسَارَ مَعَه بُرْهَةً

(أ) في س: هناك. (ب) سقط من س.

---

(1) السلوك 3: 633 – 635.

(2) ليلة الخميس ثاني عشرى جمادى الآخرة 791 هـ. تاريخ ابن الفرات 9: 106.

(3) شمس الدين محمد بن عيسى. تاريخ ابن الفرات 9: 107، السلوك 3: 632.

مِنَ الليْلِ مُشيّعاً، ثُمّ رَجَعَ، وشعَرَ مِنطَاش بأمْرِه، فطَوَى عَلَى النَّثّ، وأخَذَ في أسْبَابِ الثَّوْرَةِ، كَما نَذكُر.

ونَجَا السُّلْطَانُ إلى الكَرَكِ في فَلٍّ مِنْ غِلْمَانِه ومَوَالِيه، وَوَكَّلَ النَّاصِرِيُّ بِه حَسَناً الكَشْكَنِيّ[1] مِنْ خَوَاصِّه، وَوَلَّاه عَلَى الكَرَك، وأوْصَاه بِخِدْمَتِه ومَنْعِه مِمَّنْ يَرومُهُ بِسُوءٍ، فتَقَدَّمَه إلى الكَرَكِ وأنْزَلَه بالقَلْعَةِ، وهَيَّأَ لَه النُّزُولَ بِما يَحْتَاجُ إلَيْه[2]، وأقَامَ هُنَالِكَ حَتّى وَقَعَ مِنْ لَطَائِفِ الله في أمْرِه مَا نَذكُرُ بَعْدُ.

وجَاءَ الخَبَرُ بِأنَّ جَمَاعَةً مِنْ مَمَالِيكِ الظَّاهِرِ كَانُوا مُخْتَفِينَ مُنْذُ الوَاقِعَةِ، فَاعْتَزَمُوا عَلَى الثَّوْرَةِ بِدِمَشْق، وأنَّه ظُفِرَ بِهِم وحُبِسُوا جَميعاً، ومِنْهم: أقْبُغَا الصَّغِير[3].

ثَوْرَةُ مِنطَاش، ونَكْبَةُ الجُوبَانِيّ، واسْتِيلاؤُه عَلَى الأمْرِ، وحَبسُ النَّاصِرِيّ وأُمَرَاءِ اليَلْبُغَاوِيَّة بالإسْكَنْدَرِيَة

كَان مِنطَاشُ مُنْذُ دَخَلَ مَعَ النَّاصِرِيِّ إلى مِصْرَ مُتَرَبِّصًا بالدَّوْلَة، طَاوِياً جَوَانِحَه عَلَى الغَدْرِ، لأنَّهم لَم يُوَفِّرُوا حَظَّه مِنَ الإقْطَاعِ، ولَم يَجْعَلُوا لَه اسْماً في الوَظَائِف حِينَ اقْتَسَمُوهَا، ولا رَعَى لَه النَّاصِرِيُّ حَقَّ خِدْمَتِه ومُقَارَعَتِه الأعْدَاءَ دُونَه، وكَان يَنْقِمُ عَلَيْه ـ مَعَ ذَلِكَ ـ ايثَارَهُ الجُوبَانِيَّ وَاخْتِصَاصَه، فَاسْتَوْحَشَ وأجْمَعَ الثَّوْرَةَ.

وكَان مَمَالِيكُ الجُوبَانِي، لَمَّا حُبِسَ أمِيرُهم وَانْتَقَضَ النَّاصِرِيُّ بحَلَبَ لَحِقُوا بِه

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 107، السلوك 3: 632، النجوم الزاهرة 11: 326: الكجكني.

(2) السلوك 3: 632.

(3) ينظر النجوم الزاهرة 11: 326.

وجاءُوا في جُمْلَتِه، وَاشْتَمَلُوا عَلَى مِنْطَاش، فكَان لَه بِهِم في ذَلِك السَّفرِ أُنسَةٌ، ولَهم إِلَيْه صَغْوٌ، فَدَاخَلَ جَمَاعَةً مِنْهم في الثَّوْرَةِ، وجَعَلَهم عَيْناً عَلَى صَاحِبِهم، وتَطَفَّلَ عَلَى الجُوبَانِيِّ في المُخَالَصَة بِغِشْيَانِ / مَجْلِسِه، ومُلابَسَةِ نُدَمَائِه، وحُضُورِ مائِدَتِه. [391 ب]

وكَان اليَلْبُغَاوِيَّةُ جَمِيعاً يَنْقِمُونَ عَلَى النَّاصِرِيِّ، ويَرَوْنَ أَنَّه مُقَصِّرٌ بِهِم في المَرَاتِبِ والإِقْطَاعِ والعَطَاءِ، وطَوَوْا مِنْ ذَلِك عَلَى النَّثِّ، ودَعَاهم مِنْطَاش إِلَى التَّوَثُّبِ، فكَانُوا إِلَيْه أَسْرَعَ، إِلَّا أَنَّهم أَغْرَوْهُ وزَيَّنُوه لَه، وقَعَدُوا عَنْه عِنْدَ الحَاجَة.

ونُمِيَ الخَبَرُ إِلى النَّاصِرِيِّ والجُوبَانِيِّ، فاعْتَزَمُوا عَلَى إِشْخَاصِ مِنْطَاش إِلَى الشَّامِ، فتَمَارَضَ وتَخَلَّفَ في بَيْتِه أَيَّامًا يُطَاوِلُهم لِيُحْكِمَ التَّدْبِيرَ عَلَيْهم، ثُمَّ غَدَا عَلَيْه الجُوبَانِيُّ يَعُودُه يَوْمَ الاثْنَيْن مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ[1] مِنَ السَّنَة، وقَدْ أَكْمَنَ في بَيْتِه مُنْذُ أَيَّامٍ رِجَالاً[ا] للثَّوْرَةِ، فقَبَضُوا عَلَى الجُوبَانِيِّ لِحِينِه، ورَكِبَ مِنْطَاش إِلى الرُّمَيْلَة، فنَهَبَ مَرَاكِبَ الأُمَرَاء بِبَابِ الإِصْطَبْلِ[2]، ووَقَفَ عِنْدَ مِئْذَنَةِ المَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّة، وقَدْ شَحَنَهَا نَاشِبَةً ومُقَاتِلَةً مَعَ أَمِيرٍ مِنْ أَصْحَابِه، ووَقَفَ في جَمَاعَتِهم، وَاجْتَمَعَ إِلَيْه مَنْ دَاخَلَه في الثَّوْرَةِ مِنَ الأَشْرَفِيَّةِ وغَيْرِهم، وتَسَاتَلَ إِلَيْه مَنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ مَمَالِيكِ الظَّاهِرِ، وَاتَّصَلَتِ الهَيْعَةُ، فرَكِبَ الأُمَرَاءُ اليَلْبُغَاوِيَّةُ مِنْ بُيُوتِهم، ولَمَّا أَفْضَوْا إِلى الرُّمَيْلَة وَقَفُوا يَنْتَظِرُونَ مَآلَ الحَالِ، وبَرَزَ النَّاصِرِيُّ مِنَ الإِصْطَبْلِ فِيمَنْ حَضَرَه، وأَمَرَ الأُمَرَاءَ بِالحَمْلَةِ عَلَيْه، *فَوَقَفُوا، فأَحْجَمَ*[ب] هُو عَنِ الحَمْلَةِ رِيبَةً بِهِم، وتَجَاوَلَ أَصْحَابُه وأَصْحَابُ

(ا) في س: رجالا منذ أيام. (ب) في س: ووجم.

(1) سادس عشر شعبان. تاريخ ابن الفرات 9: 117، السلوك 3: 641، النجوم الزاهرة 11: 326.

(2) وأخذ جميع الخيول التي كانت واقفة على باب السلسلة. النجوم الزاهرة 11: 332.

مِنطَاش، ومَالَ إلى النَّاصِرِيِّ مَمَالِيكُ الجوبَانِيِّ لِنَكبَةِ صَاحِبِهِم، فَتهدَّدَهم مِنطَاش بِقَتْلِه، فَافْتَرَقُوا، وتَحَاجَزَ الفَرِيقَان آخِرَ النَّهارِ، وبَاكَرُوا شأنَهم مِنَ الغدِ، وحَمَلَ النَّاصِرِيُّ فانهَزَمَ، وأقَامُوا عَلَى ذَلِكَ ثلاثاً، وجُمُوعُ مِنطَاش في تَزَيُّدٍ، ثُمَّ انفَضَّ النَّاسُ عَنِ النَّاصِرِيِّ عَشِيَّ الأربعَاء[1] لِسَبعِينَ يَوماً مِنْ دُخُولِه القَلْعَةَ، وَاقتَحَمَهَا عَلَيْه مِنطَاش، ونَهَبَ بُيُوتَه وخَزَائِنَه، وذَهَبَ النَّاصِرِيُّ حَيرَاناً، وأصْحَابُه يَرجِعُونَ عَنه.

وبَاكَرَ الأمَرَاءُ اليَلبُغَاوِيَّةُ مَجْلِسَ مِنطَاش مِنَ الغدِ، فَقَبَضَ عَلَيهم، وسِيقَ مَنْ تَخَلَّفَ مِنهم عَنِ النَّاصِـرِيِّ أفْـذَاذاً، وبَعَثَ بِهِم جَمِيعاً إلى الإسْكَندَرِيَّةِ، ثُمَّ جَاءَ / أربَابُ الدَّرَكِ بِالنَّاصِرِيِّ مِن نَوَاحِي سَرْيَاقُوس، فَألْحَقَه بِهِم، وبَعَثَ بِالجُوبَانِيِّ إلى الإسكَندَرِيَّةِ مَعَهم، وبَعَثَ جَمَاعَةً مِمَّنْ حَبَسَهمُ النَّاصِرِيُّ إلى قُوص ودِمْيَاط[2]. [392أ]

ثُمَّ جَدَّدَ البَيْعَةَ لأمِيرِ حَاجّ المَنصُور، ثُمَّ نَادَى في مَمَالِيكِ السُّلطَانِ الظَّاهِرِ بِالعَرْضِ، وقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنهم، وفَرَّ البَاقُون، وبَعَثَ بِالمَحْبُوسِينَ مِنهم إلى قُوص، وصَادَرَ جَمَاعَةً مِنْ أهلِ الأموَالِ[3].

وأفْرَجَ عَنْ مَحمُود أسْتَادَار وخَلَعَ عَلَيه[4]، *لِيُوَلِّيه في وَظِيفَتِه*[أ]، ثُمَّ بَدَا لَه في أمرِه وعَاوَدَ مُصَادَرَتَه وَامْتِحَانَه، وَاسْتَصْفَى مِنه أموالاً عَظِيمَة، يُقَالُ: سِتُّونَ قِنطَاراً مِنَ الذَّهَبِ[5].

(أ) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) ثامن عشر شعبان. تاريخ ابن الفرات 9: 122، السلوك 3: 645، النجوم الزاهرة 11: 339.

(2) تاريخ ابن الفرات 9: 126.

(3) السلوك 3: 649 - 651، النجوم الزاهرة 11: 339.

(4) في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان 791 هـ. تاريخ ابن الفرات 9: 132، السلوك 3: 651.

(5) في يوم الجمعة تاسع عشر رمضان 791 هـ. تاريخ ابن الفرات 9: 136، السلوك 3: 655.

ولَمَّا [اسْتَقَلَّ][أ] بِتَدْبِيرِ الدَّوْلَةِ، عَمَّرَ [المَرَاتِبَ والوَظَائِفَ][ب]، وَوَلَّى فِيهَا بِنَظَرِهِ، وبَعَثَ عَنْ تَمَان تَمُرَ الأَشْقُتَمُرِيّ مِنَ الشَّامِ، وكَانَ أَخُوه تَمُرْبَاي قَدْ آخَى بَيْنَهُمَا، فَوَلَّاه النَّوْبَةَ الكُبْرَى[1]، وعَنْ أَسَنْدَمُر بنِ يَعْقُوبَ شَاه، فَجَعَلَه أَمِيرَ سِلَاحٍ[2]، وعَنْ أَقْبُغَا الصَّفَوِيّ فَوَلَّاه حَاجِبَ الحُجَّابِ[3]، وَاخْتَصَّ الثَّلَاثَةَ بِشُورَاه، وأَقَامَهم أَرْكَاناً لِدَوْلَتِه.

وكَانَ إِبْرَاهِيمُ بنُ قَطْلُقْتَمُرَ، أَمِيرُ جِنْدَار، قَدْ دَاخَلَه فِي الثَّوْرَةِ، فَرَعَى لَه ذَلِكَ وقَدَّمَه فِي أُمَرَاءِ الأُلُوفِ[4]، ثُمَّ بَلَغَه أَنَّه يُفَاوِضُ الأَشْرَفِيَّةَ فِي الثَّوْرَةِ بِه واسْتِبْدَادِ السُّلْطَانِ، فَقَبَضَ عَلَيْه، ثُمَّ أَشْخَصَهُ إِلَى حَلَبَ عَلَى إِمَارَتِه هُنَالِكَ[ج].

وكَان قَدِ اخْتَصَّ أَرْغُون البَشْمَقْدَارَ وأَلْقَى عَلَيْه مَحَبَّتَه وعِنَايَتَه، فَغَشِيَه النَّاسُ وبَاكَرُوا بَابَه، وعَظُمَ فِي الدَّوْلَةِ صِيتُه، ثُمَّ نُمِيَ عَنْه أَنَّه مِنَ المُدَاخِلِينَ لإِبْرَاهِيمَ ابن أَمِيرِ جِنْدَار، فَسَطَا بِه وامْتَحَنَه أَنْ يَدُلَّه عَلَى هَؤُلَاءِ المُدَاخِلِين، فَلَاذَ بالإِنْكَارِ وأَقَامَ فِي مَحْبِسِه[5].

وأَفْرَجَ عَنْ سَوْدُونَ النَّائِبِ، وجَاءَ إِلَى مِصْرَ، فَأَلْزَمَه بَيْتَه[6]، واسْتَمَرَّتِ الأَحْوَالُ عَلَى ذَلِكَ.

(أ) من س، وفي ظ: استقر. (ب) من س، وفي ظ: الوظائف والمراتب. (ج) في س: هناك.

(1) رأس نوبة النوب. السلوك 3: 659.
(2) في تاريخ ابن الفرات 9: 143، السلوك 3: 659: أمير مجلس.
(3) وعلى قطلوبغا الصفوي واستقر أمير سلاح. تاريخ ابن الفرات 9: 143، السلوك 3: 659.
(4) تاريخ ابن الفرات 9: 128، السلوك 3: 648.
(5) تاريخ ابن الفرات 9: 133. السلوك 3: 659.
(6) السلوك 3: 680.

ثَوْرَةُ بُزْلَار بِدِمَشْقَ وَنَكْبَتُه

وَلَمَّا بَلَغَ الخَبَرُ إلى بُزْلَار بِدِمَشْقَ باسْتِقْلَالِ[أ] مِنطَاش بالدَّوْلَة، أَنِفَ مِن ذَلِك وَازْتَابَ وَدَاخَلَتْه العِزَّةُ، وأَجْمَعَ الانْتِقَاضَ، وكَاتَبَ نُوَّابَ المَمَالِكِ بالشَّام، فِي حَلَبَ [392 ب] وغَيْرِهَا، يَدْعُوهم إلى الوِفَاقِ / فَأَعْرَضُوا وتَمَسَّكُوا بِطَاعَتِهِم.

وكَان الأَمِيرُ الكَبِيرُ بِدِمَشْقَ جَنْتَمُرْ، أَخُو طَاز، فَدَاخَلَ الأُمَرَاءَ هُنَالِكَ[ب] فِي التَّوَثُّبِ بِه، وتَوَثَّقَ مِنْهم لِلدَّوْلَة. ونُمِيَ الخَبَرُ إلى بُزْلَار، فَرَكِبَ فِي مَمَالِيكِه وشِيعَتِه يَرُومُ القَبْضَ عَلَيْهِم، فَلَم يَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِك، وَاجْتَمَعُوا وظَاهَرَهم عَامَّةُ دِمَشْقَ عَلَيْه، فَقَاتَلُوه سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ [أَيْقَنَ بالغُلْبِ][ج] والهَلَكَة فَأَلْقَى بِيَدِه وقَبَضُوا عَلَيْه، وطَيَّرُوا بالخَبَرِ إلى مِنطَاش، وهُوَ صَاحِبُ الدَّوْلَة، فَأَمَرَ بِاعْتِقَالِه، وهَلَكَ مَرِيضاً فِي مَحْبَسِه، وَوَلَّى مِنطَاشُ الأَمِيرَ جَنْتَمُرْ نِيَابَةَ دِمَشْق، واسْتَقَرَّتِ الأَحْوَالُ عَلَى ذَلِك[1].

خُرُوجُ السُّلْطَانِ مِن الكَرَك
وظَفَرُه بِعَسَاكِرِ الشَّامِ وحِصَارُه دِمَشْقَ

وَلَمَّا بَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ بالكَرَكِ بِأَنَّ مِنطَاش اسْتَقَلَّ بالدَّوْلَة وحَبَسَ اليَلْبُغَاوِيَّةَ جَمِيعاً، وَأَدَالَ مِنْهم بِأَصْحَابِه، فَأَهَمَّتْه نَفْسُه وخَشِيَ غَائِلَتَه، ولَم يَكُنْ عِنْدَ مِنطَاش لِأَوَّلِ اسْتِقْلَالِه أَهَمُّ مِنْ شَأْنِ السُّلْطَانِ، فَكَتَبَ إلى حَسَن الكَشْكَنِيِّ

(أ) في س: باستقال. (ب) في س: هناك. (ج) من س، وفي ظ: اتيقن الغلب.

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 137. السلوك 3: 655، 685، وينظر النجوم الزاهرة 11: 347.

نائِبِ الكَرَكِ بِقَتْلِه، وقَدْ كَانَ النّاصِرِيُّ أَوْعَاه في وَصِيَّتِه حِينَ وَكَّلَه بِه أَنْ لا يُمَكِّنَه مِمَّنْ يَرُومُه بِسُوءٍ، فَتَجَافَى عَنْ ذَلِكَ واسْتَوْعَرَ مَرْكَبَه، وفَاوَضَ أَصْحَابَه وقَاضِيَ البَلَدِ وكَاتِبَ السِّرِّ، فَأَشَارُوا بالتَّحَرُّجِ مِنْ دَمِه والقِيَامِ دُونَه جُهْدَ الطَّاقَةِ، فَكَتَبَ إلى مِنْطَاش مُعْتَذِرًا بالخَطَرِ الَّذِي في ارْتِكَابِه دُونَ إِذْنِ السُّلْطَانِ والخَلِيفَةِ، فَأَعَادَ عَلَيْه الكِتَابَ مَعَ كِتَابِ السُّلْطَانِ والخَلِيفَةِ بالإِذْنِ فِيه، وَاسْتَحَثَّه لِلإِجْهَازِ عَلَيْه، فَأَنْزَلَ البَرِيدِيَّ وعَلَّلَه بالوَعْدِ وطَاوَلَه، يَرْجُو المَخْلَصَ مِنْ ذَلِكَ[1].

وكَانُوا يَطْوُونَ الأَمْرَ عَنِ السُّلْطَانِ شَفَقَةً وإِجْلالًا، فَشَعَرَ بذَلِكَ، وأَخْلَصَ اللُّجُوءَ إلى الله [تَعَالَى][أ]، والتَّوَسُّلَ بإِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ [عَلَيْه السَّلامُ][ب]، لأَنَّه كَانَ يُرَاقِبُ مَدْفِنَهُ مِنْ شُبَّاكٍ في بَيْتِه، وَانْطَلَقَ غِلْمَانُه في المَدِينَةِ حَتّى ظَفِرُوا بِرِجَالٍ دَاخَلُوهم في حُسْنِ الدِّفَاعِ عَنِ السُّلْطَانِ، وأَفَاضُوا فِيهِمُ / [393] المَالَ، فَأَجَابُوا وَ﴿صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية 23]، وَاتَّعَدُوا لِقَتْلِ البَرِيدِيّ، وكَانَ مَنْزِلُه بإِزَاءِ السُّلْطَانِ، فَتَوَافَوْا بِبَابِه عِنْدَ الفِطْرِ لَيْلَةَ العَاشِرِ مِنْ رَمَضَان، وهَجَمُوا عَلَيْه فَقَتَلُوه، ودَخَلُوا بِرَأْسِه إلى السُّلْطَانِ، وشِفَارُ سُيُوفِهم دَامِيَةٌ، وكَانَ النَّائِبُ حَسَنٌ الكَشْكَنِيُّ يُفْطِرُ عَلَى سِمَاطِ السُّلْطَانِ تَأْنِيساً لَه، فَلَمَّا رَآهم دَهِشَ وهَمُّوا بِه، فَأَجَارَه السُّلْطَانُ، ومَلَكَ السُّلْطَانُ أَمْرَه بالقَلْعَةِ، وبَايَعَه النَّائِبُ، وصَعِدَ إِلَيْه أَهْلُ البَلَدِ[ج] مِنَ الغَدِ فَبَايَعُوه، وَوَفَدَ عَلَيْه عَرَبُ الضَّاحِيَةِ[2] مِنْ بَنِي عُقْبَةَ وغَيْرِهم فَأَعْطَوْه طَاعَتَهم[3].

(أ) من س. (ب) من س. (ج) في س: المدينة.

---

(1) ينظر النجوم الزاهرة 11: 348 .

(2) عرب الكرك. تاريخ ابن الفرات 9: 140.

(3) تاريخ ابن الفرات 9: 137 – 140، السلوك 3: 655 - 657.

وفَشا الخَبَرُ في النّواحِي، فتَساقَطَ إليه مَمالِيكُه مِنْ كُلّ جِهَةٍ، وبلَغَتْ أخبارُهُ إلى مِنْطاش فأوْعَزَ إلى ابنِ باكِيش، نائِبِ غَزّة، أنْ يَسِيرَ في العَساكِرِ إلى الكَرَكِ، وتَرَدّدَ السُّلْطانُ بَيْنَ لِقائِه أوِ النُّهوضِ إلى الشّام، ثُمّ أجْمَعَ المَسِيرَ إلى دِمَشْق، وبَرَزَ مِنَ الكَرَكِ مُنْتَصَفَ شوّالٍ فعَسْكَرَ بالثَّنِيَّة، واجْتَمَعَ إليه جَماعَةٌ مِنَ العَرَبِ، وارْتَحَلَ بَعْدَ ثالِثَةٍ[1] في ألْفٍ أو يَزِيدُونَ مِنَ العَرَبِ والتُّرْكِ، وطَوَى المَراحِلَ إلى الشّام.

وسَرَّحَ جَنْتَمُر، نائِبُ دِمَشْق، العَساكِرَ لِدِفاعِه، فِيهم أُمَراءُ الشّام وأوْلادُ بَيْدَمُر، *فالتَقَوْا بِشَقْحَب*[أ]، وكانَتْ بَيْنَهم واقِعَةٌ عَظِيمَةٌ أجْلَتْ عَنْ هَزِيمَةِ أهْلِ دِمَشْق، وقُتِلَ الكَثِيرُ مِنْهم، وظَفِرَ السُّلْطانُ بِهِم، واتّبَعَهم إلى دِمَشْق، ونَجا الكَثِيرُ مِنْهم إلى مِصْرَ، ثُمّ أحَسَّ السُّلْطانُ بأنّ ابنَ باكِيش وعَساكِرَه في اتّباعِه، فكَرَّ عَلَيْهم[ب]، وأسْرَى لَيْلَتَه، وصَابَحَهم عَلَى غَفْلَةٍ، في عَشْرِ ذِي القَعْدَة، فانْهَزَمُوا، ونَهَبَ السُّلْطانُ وقَوْمُه جَمِيعَ ما مَعَهم، فامْتَلأَتْ أيْدِيهم[ج] واسْتَفْحَلَ أمْرُه[2].

ورَجَعَ إلى دِمَشْقَ ونَزَلَ بالمَيْدانِ، وثارَ العَوّامُ، أهْلُ القُبَيْباتِ ونَواحِيها، بالسُّلْطانِ، وقَصَدُوه بالمَيْدانِ، فرَكِبَ ناجِياً وتَرَكَ أثْقالَه، [فنَهَبَها][د] العَوّامُ وسَلَبُوا مَنْ لَقُوه مِنْ مَمالِيكِه، ولَحِقَ بِقُبّةِ يَلْبُغا *فأقامَ بِها، وأغْلَقُوا الأبْوابَ دُونَه، فأقامَ [393ب] / بِقُبّةِ يَلْبُغا*[هـ] يُحاصِرُهم إلى مُحَرّمِ اثْنَتَيْنِ وتِسْعِين[3].

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) في س: إليهم. (ج) سقط من س. (د) من س، وفي ظ: فنهبوها.
(هـ) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) في السلوك 3: 666: في ثامن عشرين شوال 791 هـ. وفي النجوم الزاهرة 11: 355: ثاني عشرين شوال.
(2) تاريخ ابن الفرات 9: 151 – 154، السلوك 3: 667.
(3) السلوك 3: 668.

وكان كَمشبُغا الحَمَوِيُّ، نائِبُ حلَب، قد أظهَرَ دَعْوتَه في عَمَلِه، وكاتَبه بذلك عِندَما نَهَض مِنَ الكَرَكِ إلى الشَّام، كَما نَذكُرُه، ولما بلَغه حِصارُه لِدِمَشْق تَجهَّز لِلقائه، وَاحتَمَلَ مَعَه مَا يُزيحُ عِلَلَ السُّلطانِ مِنْ كُلِّ صِنفٍ، وأقامَ لَه أُبهَةَ المُلكِ. وَوَصَلَ إينالُ اليُوسُفِيُّ وقَجْماس، ابنُ عَمِّ السُّلطانِ، وجَماعَةٌ مِنَ الأُمَراءِ كانُوا مَحبُوسِينَ بِصَفَد، وكَانَ مع نائِبِها جَماعَةٌ مِن مَمالِيكِ السُّلطانِ مُستَخدَمُونَ فَغَدَرُوا بِه، وأَطلَقُوا مَنْ كَانَ مِنَ الأُمَرَاءِ فِي سِجْنِ صَفَد، كَما نَذكُرُ، ولَحِقُوا بالسُّلطانِ، يَقدُمُهم إينال، وهُو مُحاصِرٌ بِدِمَشْق، فَأَقامُوا مَعَه[1].

ثورة المُعتَقَلِينَ بقُوص
ومَسيرُ العَساكِرِ إليهم من مِصرَ واعتقالُهم

ولَمَّا بَلَغَ الخَبَرُ إلَى الأُمَرَاءِ المَحبُوسِينَ بِقُوص: خَلاصُ السُّلطان مِنَ الاعْتِقَالِ، وَاستِيلاؤُه عَلَى الكَرَكِ، وَاجْتِمَاعُ[أ] النَّاسِ إلَيه، فَثَارُوا بِقُوص أَوَائِلَ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ، وقَبَضُوا عَلَى الوَالِي بِها، وأَخَذُوا [مِن][ب] مُودِعِ القَاضِي مَا كَانَ فِيه مِنَ المَالِ، وبَلَغَ خَبَرُهم إلى مِصْرَ، فَسَرَّحَ إلَيهم مِنطَاشُ العَساكِرَ، ثُم بَلَغَهُ أَنَّهم سَارُوا إلى أُسوَانَ وشَايَعُوا الوَالِيَ بِها حُسَيْنَ[2] بنَ قُرْط، فَلَحَنَ لَهم بالوَعْدِ، وَعَرَّضَ بِالوِفَاقِ،

(أ) في س: ومسير. (ب) من س، وفي ظ: في.

---

(1) السلوك 3: 669.

(2) في تاريخ ابن الفرات 9: 148: حسن.

فَطَمِعُوا وَاعْتَزَمُوا عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهُوا مِنْ وَادِي القَصَبِ عَلَى العُدْوَةِ الشَّرْقِيَّةِ إِلَى السُّوَيْس، وَيَسِيرُوا مِنْ هُنَالِكَ إِلَى الكَرَكِ[1].

وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ ابنِ قُرْط أَخْرَجَ مِنْطَاشُ أَسَنْدَمُرَ بنَ يَعقُوب شَاه ثَامِنَ عَشَرَ[ا][2] مِنْ شَوَّالٍ مِن السَّنَة، وَأَكْثَفَ جُمُوعَه، وسَارَ عَلَى العُدْوَةِ الشَّرْقِيَّة لاعْتِرَاضِهِم، فَوَصَلَ إِلَى قُوص، وبَادَرَ ابنُ قُرْطٍ فَخَالَفَه إِلَى مِنْطَاش بِطَاعَتِه، فَأَكْرَمَه وَرَدَّه عَلَى عَمَلِه، فَوَافَى ابنَ يَعقُوب شَاه بِقُوص، وقَدِ اسْتَوْلَى عَلَى النَّوَاحِي، وَاسْتَنْزَلَ الأُمَرَاءَ المُخَالِفِين، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِم، وقَتَلَ جَمِيعَ مَنْ كَانَ مَعَهم مِنْ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ ومَمَالِيكِ وُلَاةِ الصَّعِيدِ، / وجَاءَ بالأُمَرَاءِ إِلَى مِصْرَ، فَدَخَلَ بِهِم [394 ا] مُنْتَصَفَ[3] ذِي الحِجَّة مِنَ السَّنَة، فَأُفْرِجَ عَنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْهم: قُنُق بَاي[4] اللَّالَا، وحُبِسَ البَاقُونَ[5].

ثورة كمشبغا بحلب وقيامه بدعوة السلطان

قَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ النَّاصِرِيَّ وَلَّى كُمُشْبُغَا الحَمَوِيَّ، رَأْسَ نَوْبَةِ يَلْبُغَا، نِيَابَةَ حَلَب، وَلَمَّا اسْتَقَلَّ مِنطَاش بالدَّوْلَة ارْتَابَ، ودَعَاه بُزْلارُ لَمَّا ثَارَ بدِمَشْقَ إِلَى الوِفَاقِ فَامْتَنَع، ثُمَّ بَلَغَه الخَبَرُ بِخَلَاصِ السُّلْطَانِ مِنَ الاعْتِقَالِ بالكَرَكِ، فَأَظْهَرَ الانْتِقَاضَ وقَامَ بِدَعْوَةِ

(ا) سقط من س.

---

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 146، السلوك 3: 663 - 664.

(2) في يوم الثلاثاء ثامن عشرينه. تاريخ ابن الفرات 9: 148.

(3) سادس عشر. تاريخ ابن الفرات 9: 163.

(4) قنق بيه. تاريخ ابن الفرات 9: 164.

(5) تاريخ ابن الفرات 9: 164.

السُلْطَانِ، وخَالَفَه إِبْرَاهِيمُ بنُ أَمِيرِ جَنْدَار، وَاعْصَوْصَبَ عَلَيْه أَهْلُ بَانْقُوسَا، مِنْ أَرْبَاضِ حَلَب، فَقَاتَلَهم كَمُشْبُغَا جَمِيعاً وهَزَمَهم، وقُتِلَ إِبْرَاهِيمُ فِي جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْهم، وقُتِلَ القَاضِي [أَحْمَدُ بنُ عُمَر][1] بنِ أَبِي الرِّضَا، وكَانَ مَعَهم فِي ذَلِكَ الخِلَاف، وَاسْتَقَلَّ بأَمْرِ حَلَب، وذَلِكَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَة[2].

ثُمّ بَلَغَه أَنَّ السُلْطَانَ هَزَمَ عَسَاكِرَ دِمَشْقَ وابنَ بَاكِيش، وأَنَّه مُقِيمٌ بِقُبَّةِ يَلْبُغَا مُحَاصِراً لدِمَشْق، بَعْدَ أَنْ نَهَبُوا أَثْقَالَه وأَخْرَجُوه مِنَ المَيْدَانِ، فَتَجَهَّزَ مِنْ حَلَب إِلَيْه فِي العَسَاكِرِ والحُشُودِ، وجَهَّزَ لَه جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْه مِنَ المَالِ والأَقْمِشَة والسِّلَاحِ والخَيْلِ والإِبِلِ وخِيَامِ المُلْكِ بفُرُشِهَا ومَاعُونِها وآلَاتِ الحِصَارِ[3].

وتَلَقَّاه السُلْطَانُ وبَالَغَ فِي تَكْرِمَتِه، وَفَوَّضَ إِلَيْه فِي الأَتَابِكِيَّةِ والشُورَى، وأَقَامَ مَعَه مُحَاصِرًا لِدِمَشْق.

وَاشْتَدَّ الحِصَارُ عَلَى أَهْلِ دِمَشْقَ بَعْدَ وُصُولِه، واسْتِكْثَارِ السُلْطَان مِنَ المُقَاتِلَةِ وآلَاتِ الحِصَارِ[ا]، وخَرَّبَ كَثِيراً مِنْ جَوَانِبِها بِحِجَارَة المَجَانِيقِ[ب]، وَتَصَدَّعَتْ حِيطَانُها، وأَضْرَمَ كَثِيراً مِنَ البُيُوتِ فِي أَرْبَاضِها نَاراً فَاحْتَرَقَتْ، وَاسْتَوْلَى الخَرَابُ والحَرِيقُ عَلَى القُبَيْبَاتِ أَجْمَع، وتَفَاحَشَ فِيها. وَاشْتَدَّ أَهْلُ دِمَشْقَ فِي القِتَالِ والدِّفَاعِ مِنْ فَوْقِ الأَسْوَارِ، وتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ فِيهم قَاضِي الشَّافِعِيَّة أَحْمَدُ بنُ القُرَشِي، بِما أَسَاءَ عَاقِبَتَه، وَبَاءَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والدِّينِ بالنَّكِيرِ فِيه.

(ا) في س: والآلات. (ب) في س: المنجنيق.

---

(1) من السلوك 3: 662.

(2) تاريخ ابن الفرات 9: 147، السلوك 3: 662.

(3) السلوك 3: 668.

384 ب وكَانَ مِنطَاش لَمَّا بَلَغَه / حِصَارُ دِمَشْق، بَعَثَ الطُّنْبُغَا الحَلَبِيَّ، دَوَادَارَ الأَشْرَف، بِمَدَدٍ مِنَ المَالِ يَمُدُّ بِهِ العَسَاكِرَ هُنَالِكَ وأَقَامَ مَعَهم، ثُمَّ بَعَثَ جَنْتَمُرَ إلى أَمِيرِ آلِ فَضْلٍ نُعَيْرِ بن حَيَّار يَسْتَنْجِدُ بِهِ، فَجَاءَ لِقِتَالِهم، وسَارَ كُمُشْبُغَا نَائِبُ حَلَبَ فَلَقِيَه وفَضَّ جُمُوعَه، وأَسَرَ خَادِمَه وجَاءَ بِهِ أَسِيراً، فَمَنَّ [عَلَيْه](أ) السُّلْطَانُ وأَطْلَقَه وكَسَاهُ وحَمَلَه(ب) وَرَدَّه إِلَى صَاحِبِه[1]، وَاسْتَمَرَّ حِصَارُ دِمَشْق إلى أَنْ كَانَ مَا نَذْكُرُ.

ثورة إينال بصفد بدعوة السلطان

كَانَ إِينَالُ لَمَا انْهَزَمَ يَوْمَ وَاقِعَةِ دِمَشْقَ عَلَى أَيْتَمُش وَيُونُس [فَرَّ][2] إِلَى مِصْرَ، وَمَرَّ بِغَزَّةَ فَاعْتَقَلَه ابنُ بَاكِيش وَحُبِسَ بِالكَرَك، فَلَمَّا اسْتَوْلَى النَّاصِرِيُّ عَلَى مِصْرَ أَشْخَصَهُ مِن الكَرَكِ(ج) إلى صَفَد، فَحُبِسَ بِهَا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الأُمَرَاء، وَوَلَّى عَلَى صَفَدَ قَطْلُبَك النِّظَامِيَّ، فَاسْتَخْدَمَ جَمَاعَةً مِنْ مَمَالِيكِ بَرْقُوق، وَاتَّخَذَ مِنْهم يَلْبُغَا السَّالِمِيَّ دَوَادَاراً. فَلَمَّا بَلَغَ خَلَاصُ السُّلْطَانِ مِنَ الاعْتِقَالِ وَمَسِيرُهُ إِلى الشَّام، دَاخَل يَلْبُغَا مَمَالِيكَ أُسْتَاذِه قَطْلُوبُغَا فِي الخِلَافِ وَاللَّحَاقِ بِالسُّلْطَانِ، وهَرَبَ مِنْهم جَمَاعَةٌ، فَرَكِبَ قَطْلُوبُغَا فِي اتِّبَاعِهم، وَاتَّفَقَ يَلْبُغَا السَّالِمِيُّ الدَّوَادَارُ وحَاجِبُ صَفَدَ فَأَطْلَقُوا إِينَالَ وَسَائِرَ المَحْبُوسِينَ مِنْ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ، فَمَلَكَ إِينَالُ القَلْعَةَ، وَرَجَعَ قَطْلُوبُغَا مِنَ اتِّبَاعِ الهَارِبِينَ فَوَجَدَهم قَدِ اسْتَوْلَوْا وَامْتَنَعُوا، وَارْتَابَ بِمَمَالِيكِه، فَسَارَ عَنْ صَفَد، وَنُهِبَ بَيْتُه ومَخْلَفُه، ولَحِقَ بالشَّامِ فَلَقِيَ الأُمَرَاءَ المَهْزُومِينَ أَمَامَ السُّلْطَانِ

(أ) من س، وفي ظ: غلبه. (ب) سقط من س. (ج) سقط من س.

(1) السلوك 3: 668.

(2) إضافة مما سبق ص 539.

بِشَقْحَب قَاصِدِينَ مِصْرَ فَسَارَ معَهم، ولَحِقَ إِينَالُ بالسُّلْطَانِ مِنْ صَفَد بَعْدَ أَنْ ضَبَطَها وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْها، وأَقَامَ معَ السُّلْطَانِ وهُو يُحَاصِرُ دِمَشْق[1].

مَسِيرُ مِنطَاشَ وسُلْطَانه أَمِيرِ حَاجِي[أ] إلى الشَّامِ وَانْهِزَامُهم ودُخُولُ منطَاشَ إلى دمَشقَ، وظَفَرُ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ بأَمِيرِ حَاجِي والخَلِيفَة والقُضَاة وعَوْدُهُ إلى مُلْكِه

/ ولَمَّا تَوَاتَرَتِ الأَخْبَارُ بِهَزِيمَةِ عَسَاكِرِ الشَّامِ، وحِصَارِ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ دِمَشْقَ، وظُهُورِ دَعْوَتِه في حَلَبَ وصَفَدَ[ب] وَسَائِرِ بِلادِ الشَّامِ، ثُمّ وَصَلَتِ العَسَاكِرُ المُنْهَزِمُونَ وأَوْلادُ بَيْدَمُر ونَائِبُ صَفَدَ وَاسْتَحَثُّوه، وتَوَاتَرَتْ كُتُبُ جَنْتَمُرَ، نَائِبِ دِمَشْق، وصَرِيخُهُ، أَجْمَعَ مِنطَاشُ أَمْرَه حِينَئِذٍ عَلَى المسِيرِ إلى الشَّامِ، فَتَجَهَّزَ ونَادَى في العَسَاكِرِ، وأَخْرَجَ السُّلْطَانَ والخَلِيفَةَ والقُضَاة والعُلَمَاءَ[ج] سَابِعَ عَشَرَ ذِي[د] الحِجَّة [سَنَةَ][هـ] إِحْدَى وتِسْعِينَ، وخَيَّمُوا بالرَّيْدَانِيَّة مِنْ سَاحَةِ القَاهِرَة، حَتَّى أَزَاحَ العِلَلَ[2]. [1395]

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى القَاهِرَةِ دَوَادَارَهُ صَرَاي تَمُرْ، وأَطْلَقَ يَدَه في الحَلِّ والعَقْدِ، والتَّوْلِيَة والعَزْلِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى القَلْعَةِ تُكَا الأَشْرَفِيَّ، وَعَمَدَ إلى خِزَانَةٍ مِنْ خَزَائِنِ الذَّخِيرَةِ بالقَلْعَةِ فَسَدَّ بَابَها ونَقَبَها مِنْ أَعْلاها حَتَّى صَارَتْ كَهَيْئَةِ الجُبِّ، ونَقَلَ إلَيْها مَنْ

(أ) في س، في هذا الموضع والمواضع التالية: أمير حاج، وأثبتنا ما في ظ، وكلاهما صيغة تركية لمعنى أمير الحاج. انظر حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية 1: 202. (ب) في س: في صفد وحلب. (ج) سقط من س.
(د) سقط من س. (هـ) من س.

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 156، السلوك 3: 669.
(2) تاريخ ابن الفرات 9: 165، السلوك 3: 678.

كَانَ فِي سِجْنِه مِنْ أَهْلِ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ، ونَقَلَ سُودُون النَّائِبَ إلى القَلْعَةِ فأَنْزَلَه بِها، وأَمَرَ بالقَبْضِ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ حَيْثُ كَانُوا، فَتَسَرَّبُوا فِي غَيَابَاتِ المَدِينَةِ ولاَذُوا بالاخْتِفَاءِ، وأَوْعَزَ بِسَدِّ كَثِيرٍ مِنْ أَبْوَابِ الدُّرُوبِ بالقَاهِرَةِ فَسُدَّتْ[1].

وَرَحَلَ فِي الثَّانِي والعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ بالسُّلْطَانِ وَعَسَاكِرِه عَلَى التَّعْبِئَةِ، وَطَوَوا المَرَاحِلَ، ونُمِيَ إِلَيْه أَثْنَاءَ طَرِيقِه أَنَّ بَعْضَ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ المُسْتَخْدَمِينَ عِنْدَ الأُمَرَاءِ مُجْمِعُونَ عَلَى التَّوَثُّبِ ومُدَاخِلُونَ لِغَيْرِهِم، فَأَجْمَعَ السَّطْوَةَ بِهِم، وَفَرُّوا فَلَحِقُوا بالسُّلْطَانِ، ولَمَّا بَلَغَ خَبَرُ مَسِيرِه السُّلْطَانَ، وهُوَ مُحَاصِرٌ دِمَشْقَ، ارْتَحَلَ فِي عَسَاكِرِه لِلِقَائِهِم، ونَزَلَ قَرِيباً مِنْ شَقْحَب، وأَصْبَحُوا عَلَى التَّعْبِئَةِ، وكُمُشْبُغَا بِعَسَاكِرِ حَلَبَ فِي مَيْمَنَةِ السُّلْطَانِ[2].

وَمِنْطَاشُ قَدْ عَبَّأَ السُّلْطَانَ أَمِير حَاجِي، والخَلِيفَةَ والقُضَاةَ والرَّحَائِلَ مِنْ وَرَائِهِم، وَوَقَفَ مَعَهم تُمَان تَمُر رَأْسَ نَوْبَة، وأَسَنْدَمُر بنُ يَعْقُوب شَاه أَمِيرَ سِلَاحٍ، وَوَقَفَ هُوَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ مَمَالِيكِه وأَصْحَابِه فِي حَوْمَةِ المُعْتَرَكِ.

فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ[3] حَمَلَ هُوَ وأَصْحَابُهُ عَلَى مَيْمَنَةِ السُّلْطَانِ فَفَضُّوهَا، [395 ب] وَانْهَزَمَ / كُمُشْبُغَا إلى حَلَب، ومَرُّوا فِي اتِّبَاعِه، ثُمَّ عَطَفُوا عَلَى مُخَيَّمِ السُّلْطَانِ فَنَهَبُوه وأَسَرُوا(أ) قَجْمَاس، ابنَ عَمِّه، كَانَ هُنَالِكَ(ب) جَرِيحاً[4].

(أ) وأسروا: مكررة في ظ. (ب) في س: هناك.

---

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 167.

(2) المصدر نفسه 9: 185، النجوم الزاهرة 11: 365، 367.

(3) في يوم الأحد رابع عشر المحرم 792 هـ. تاريخ ابن الفرات 9: 185، النجوم الزاهرة 11: 367.

(4) تاريخ ابن الفرات 9: 185 - 186.

ثُمَّ حَطَمَ السُّلْطَانُ عَلَى الصَّفِّ [الَّذِي][أ] فِيهِ أَمِيرُ حَاجِي والخَلِيفَةُ والقُضَاةُ فَفَضَّه، وَاخْتَلَّ مَرْكَزُهم، ونَهَبَ رَحَائِلَهم وأَثْقَالَهم، وقَادَ أَمِيرَ حَاجِي والخَلِيفَةَ والقُضَاةَ فِي حُكْمِه، وَوَكَّلَ بِهِم، وَاخْتَلَطَ الفَرِيقَانِ، وصَارُوا فِي عَمْيَاءَ مِنْ أَمْرِهم، والسُّلْطَانُ فِي لُمَّةٍ مِنْ فُرْسَانِه يَخْتَرِقُ جَوَانِبَ المُعْتَرَك، ويَحْطِمُ الفُرْسَانَ ويَصْرَعُهم فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، وشُذَّاذُ مَمَالِيكِه وأُمَرَائِه يَتَسَاقَطُونَ إِلَيْه حَتَّى كَثُفَ جَمْعُه، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى بَقِيَّةِ العَسَاكِرِ، وهُمْ مُلْتَفُّونَ عَلَى الصُّفُوِي، فَهَزَمَهم، ولَحِقُوا بِدِمَشْق، وَضَرَبَ خِيَامَه فِي شَقْحَب، وَأَصْبَحَ مُقِيماً[1].

وَلَمَّا وَصَلَ مِنْطَاش إِلَى دِمَشْقَ أَوْهَمَ النَّائِبَ جَنْتَمُرَ أَنَّ الغَلَبَ لَه، وأَنَّ السُّلْطَانَ أَمِيرَ حَاجِي عَلَى الأَثَرِ، ونَادَى العَسَاكِرَ بِالخُرُوجِ فِي السِّلَاحِ لِتَلَقِّيه، وخَرَجَ مِنَ الغَدِ مُورِياً بِذَلِك، فَرَكِبَ إِلَيْهِمُ السُّلْطَانُ فِي العَسَاكِرِ وهَزَمَهم وأَثْخَنَ فِيهِم، وَاسْتَلْحَمَ كَثِيراً مِنْ عَامَّةِ دِمَشْق، ورَجَعَ السُّلْطَانُ إِلَى خِيَامِه[2].

وَبَعَثَ إِلَيْه أَمِيرُ حَاجِي بِالتَّبَرُّءِ مِنَ المُلْكِ والعَجْزِ عَنْه، والخُرُوجِ إِلَيْه عَنْ عُهْدَتِه، فَأَحْضَرَ الخَلِيفَةَ والقُضَاةَ فَشَهِدُوا[ب] عَلَيْه بِالخَلْعِ، وعَلَى الخَلِيفَةِ بِالتَّفْوِيضِ إِلَى السُّلْطَانِ والبَيْعَةِ لَه والعَوْدِ إِلَى كُرْسِيِّه[3].

وَأَقَامَ السُّلْطَانُ بِشَقْحَبَ تِسْعاً، وَاشْتَدَّ كَلَبُ البَرْدِ، وَافْتُقِدَتِ الأَقْوَاتُ لِقِلَّةِ

(أ) من س.   (ب) من س، وفي ظ: وشهدوا.

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 186 - 187.

(2) المصدر نفسه 9: 187.

(3) تاريخ ابن الفرات 9: 187 – 188، السلوك 3: 695.

المِيرَة، فأجْمعَ العَوْدَ إلى مِصْرَ وَرَحَلَ يَقْصِدُهَا، وبلَغَ الخَبَرُ إلى مِنطَاش فرَكِبَ لاتّبَاعِه، فلَمَّا أطَلَّ عَلَيْه أحْجَمَ عَنِ الحَمْلَةِ وَرَجَعَ، واسْتَمَرَّ السُّلْطَانُ لِقَصْدِه، وقَدَّمَ حَاجِبَ غَزَّةَ للقَبْضِ عَلَى ابن بَاكِيش، فقَبَضَ عَلَيْه، ولَمَّا وَافَى[أ] السُّلْطَانُ غَزَّةَ[1] وَلَّى عَلَيْهَا مَكَانَه وحَمَلَه مُعْتَقَلاً، وسَارَ وهُو[ب] مُسْتَطْلِعٌ أحْوَالَ مِصْرَ حَتَّى كَانَ مَا نَذْكُرُ[ج].

ثَورَةُ بُطَا والمُعتَقَلِينَ بالقَلعَة وَاستيلاؤهم عَلَيهَا بدَعوَة السُّلطَان الظَّاهر /وعَودُه إلَى كُرسِيّه بمصْرَ وَانتظَامُ أمرِه [396 أ]

كَانَ مِنطَاشُ لَمَّا فَصَلَ إلى الشَّام بِسُلْطَانِه وَعَسَاكِرِه[د]، كَمَا مَرَّ، اسْتَخْلَفَ عَلَى القَاهِرَةِ دَوَادَارَه صَرَاي تَمُرْ وأنْزَلَه بالإصْطَبْلِ، وعَلَى القَلْعَةِ تُكَا الأشْرَفِيَّ وَوَكَّلَه بالمُعْتَقَلِين هُنَالِك، فأخَذُوا أنْفُسَهم بالحَزْمِ والشِّدَّةِ، وبَعْدَ أيَّامٍ نُمِيَ إلَيْهم أنَّ جَمَاعَةً مِنْ مَمَالِيكِ السُّلْطَان مُجْتَمِعُونَ للثَّوْرَةِ، وقَدْ دَاخَلُوا مَمَالِيكَهم، فبَيَّتُوهم وقَبَضُوا عَلَيْهِم، بَعْدَ جَوْلَةٍ دَافَعَ فِيهَا المَمَالِيكُ عَنْ أنْفُسِهم، ثُمَّ قَبَضُوا عَلَى مَنْ دَاخَلَهم مِنْ مَمَالِيكِهم وَكَانُوا جَمَاعَةً كَثِيرَةً، وحَدَثَتْ لَهم بِذَلِك رِيبَةٌ واشْتِدَادٌ في الحَزْمِ، فنَادَوْا بالوَعِيدِ لِمَنْ وُجِدَ عِنْدَه أحَدٌ مِنْ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ، ونَقَلُوا ابن أُخْتِ السُّلْطَان مِنْ بَيْتِ أُمِّه إلى القَلْعَةِ وحَبَسُوه، وأوْعَزُوا بِقَتْلِ الأُمَرَاءِ المُعْتَقَلِين بالفَيُّومِ، فقُتِلُوا، وعُمِّيَتْ عَلَيْهم أنْبَاءُ

(أ) في س: قدم. (ب) في س: هو. (ج) في س: نذكره. (د) من س، وفي ظ: عساكر.

---

(1) في مستهل صفر 792 هـ. تاريخ ابن الفرات 9: 188.

منطَاش والعَسَاكِر، وبَعَثُوا مَنْ يَنْفُضُ لَهمُ الطُّرُقَ[1] ويُسَائِلُ الرُّكْبَانَ، وَاعْتَزَمُوا عَلَى قَتْلِ المَسَاجِينِ بالقَلْعَةِ، ثُمَّ تَلَاوَمُوا في ذَلِكَ، و[رَجَعُوا][أ] إلى التَّضْيِيقِ عَلَيْهِم ومَنْعِ المتَرَدِّدِينَ بِأَقْوَاتِهِم، فَضَاقَتْ أَحْوَالُهم وضَجِرُوا، و[أَهَمَّتْهم][ب] أَنْفُسُهم، وفي خَلَالِ ذَلِكَ عَثَرَ بَعْضُهم عَلَى مَنْفَذٍ إلى سِرْبٍ تَحْتَ الأَرْضِ يُفْضِي إلى حَائِطِ الإِصْطَبْلِ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ وتَنَسَّمُوا رَوْحَ الفَرَجِ[2].

ولَمَّا أَظَلَّتْهم لَيْلَةُ الأَرْبعاء غُرَّةُ صَفَرٍ[3] [سنةَ] اثْنَتَيْنِ وتِسْعِينَ، مَرُّوا في ذَلِكَ السِّرْبِ، فَوَجَدُوا فِيه آلَةَ النَّقْبِ فَنَقَبُوا الحَائِطَ، وأَفْضَوا إلى أَعْلَى الإِصْطَبْلِ، وتَقَدَّمَ بِهِم بُطَا [الطُّولُوتَمرِيّ][4] الخَاصِكِي، مِنْ كِبَارِ[ج] الخَاصِكِيَّة، وهَجَمُوا عَلَى الحُرَّاسِ، فَثَارُوا إِلَيْهِم، فَقَتَلُوا بَعْضَهم بِالقُيُودِ مِنْ أَرْجُلِهم، وهَرَبَ البَاقُونَ، ونَادَوْا بِشِعَارِ تَكَا[5] نَائِبِ القَلْعَةِ، يُوهِمُونَ أَنَّه مُنْتَقِضٌ، ثُمَّ كَسَرُوا البَابَ بَيْنَ الإِصْطَبْلِ الأَعْلَى والأَسْفَلِ، [وأَفْضَوْا][د] إلى مَنْزِلِ صُرَاي تَمُرْ، وهم يُنَادُونَ، فَأَيْقَظَه لَغَطُهم، وهَلَعَ مِنْ شَأْنِ تَكَا[6]، / فَتَدَلَّى مِنَ السُّورِ نَاجِياً، ومَرَّ بالحَاجِبِ قَطْلُوبُغَا، ولَحِقَا بِمَدْرَسَةِ حَسَن، [396 ب] وقَدْ كَانَ مِنطَاشُ أَنْزَلَ بها نَاشِبَةً مِنَ التُّرْكُمَانِ لِحِمَايَةِ الإِصْطَبْلِ، وأَجْرَى لَهمُ الأَرْزَاقَ، وجَعَلَهم لِنَظَرِ تَنكِزْ رَأْسِ نَوْبَة.

(أ) من س، وفي ظ: رجوا. (ب) من س، وفي ظ: وأوهمتهم. (ج) في س: أكابر. (د) من س، وفي ظ: وفضوا.

---

(1) ينفضون الطريق: الجماعة يُبعثون في الأرض متجسسين لينظروا هل فيها عدو أو خوف.

(2) تاريخ ابن الفرات 9: 190.

(3) ليلة الخميس ثاني صفر. تاريخ ابن الفرات 9: 190، السلوك 3: 697، النجوم الزاهرة 11: 373.

(4) من تاريخ ابن الفرات 9: 190، السلوك 3: 697.

(5) يا تكا يا منصور، كما في النجوم الزاهرة 11: 374.

(6) وظن أن تكا هو الذي أخرجهم. تاريخ ابن الفرات 9: 190.

ثُمَّ هَجَمَ أَصْحَابُ بُطَا عَلَى بَيْتِ صُرَاي تَمُرْ فَنَهَبُوا مَالَه وقُمَاشَه وسِلَاحَه، وَرَكِبُوا خَيْلَه، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الإِصْطَبْلِ، وقَرَعُوا الطُّبُولَ لَيْلَتَهم، وقَاتَلَهم تُكَا مِنَ الغَدِ، وسَرَّبَ الرِّجَالَ إِلَى الطَّبْلَخَانَاه فَمَلَكَهَا، ثُمَّ أَزْعَجُوه عَنْهَا، وزَحَفَ صُرَاي تَمُرْ وقَطْلُوبُغَا الحَاجِبُ إِلَى الإِصْطَبْلِ لِقِتَالِهِم، فَبَرَزُوا إِلَيْهِم وهَزَمُوهم، فَاعْتَصَمُوا بِالمَدْرَسَةِ، وَاسْتَوْلَى بُطَا عَلَى أَمْرِه، وعَمَدَ إِلَى بَابِ السِّرِّ مِنَ المَدْرَسَةِ لِيَحْرِقَه، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْه التُّرْكُمَانُ الَّذِين بِهَا، فَأَنْزَلَهم عَلَى الأَمَانِ، وَسَرَّبَ أَصْحَابَه فِي البَلَدِ لِنَهْبِ بُيُوتِ مِنْطَاش وأَصْحَابِه، فَعَاثُوا فِيهَا، وتَسَلَّلَ إِلَيْه مَمَالِيكُ السُّلْطَانِ المُخْتَفُون بِالقَاهِرَةِ، فَبَلَغُوا أَلْفاً أَوْ يَزِيدُونَ، ثُمَّ اسْتَأْمَنَ تُكَا مِنَ الغَدِ، فَأَمَّنَه سُودُون النَّائِبُ، وَجَاءَ بِه، وبِمُقْبِل أَمِيرِ سِلَاح، ودِمِرْدَاش القَشْتَمُرِيِّ، وكَانَا عِنْدَه، فَحَبَسَهمَا بُطَا، ثُمَّ وَقَفَ سُودُون عَلَى مَدْرَسَةِ حَسَن، والأَرْضُ تَمُوجُ بِعَوَالِم النَّظَّارَة، فَاسْتَنْزَلَ مِنْهَا صُرَاي تَمُرْ وقَطْلُوبُغَا الحَاجِبَ، فَنَزَلُوا عَلَى أَمَانِه، وهَمَّ [العَوَامُّ](أ) بِهِمَا، فَحَالَ دُونَهُمَا، وجَاءَ بِهِمَا إِلَى بُطَا فَحَبَسَهُمَا(1).

وَرَكِبَ سُودُون يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي(ب) القَاهِرَة ونَادَى بِالأَمَانِ والخُطْبَةِ للسُّلْطَانِ، فَخُطِبَ لَه مِنْ يَوْمِه، وأَمَرَ بُطَا فَفُتِّقَتِ السُّجُونُ وخَرَجَ مَنْ كَانَ بِهَا فِي حَبْسِ مِنْطَاش وحُكَّامِ تِلْكَ الدَّوْلَة، وهَرَب حُسَيْنُ بْنُ الكُورَانِيِّ خَوْفاً عَلَى نَفْسِه، بِمَا كَانَ شِيعَةً لِمِنْطَاش عَلَى تَتَبُّعِ مَمَالِيكِ السُّلْطَان، ثُمَّ عَثَرَ عَلَيْه بُطَا وحَبَسَه مَعَ سَائِرِ [شِيَعِ](ج) مِنْطَاش، وأَطْلَقَ جَمِيعَ الأُمَرَاءِ الَّذِين حَبَسَهم بِمِصْرَ ودِمْيَاطَ والفَيُّومِ، ثُمَّ

(أ) من س، وفي ظ: الأعوام. (ب) في س: إلى. (ج) من س، وفي ظ: شيعة.

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 191 - 192، السلوك 3: 697 – 699، وينظر النجوم الزاهرة 11: 375 - 376.

بَعَثَ[1] الشَّرِيفَ عِنَان بن مُغَامِس أَمِيرَ بني حَسَن بِمَكَّة، كَانَ مَحْبُوساً وَخَرَجَ مَعَهم، فَبَعَثَه مَعَ أَخِيه أَقْبُغَا [الطُّولُوتَمُرِيّ][2] عَلَى الهُجُنِ لاستِكْشَافِ خَبَرِ / السُّلْطَان[3]. [397أ]

•وَوَصَلَ يَوْمَ الأَحَد بَعْدَهَا كِتَابُ السُّلْطَانِ•[أ] مع ابن صَاحِبِ الدَّرَكِ سَيْف [الدِّين][4] بن مُحَمَّد[5] بن عِيسَى العَائِذِيّ بإعْدَادِ المِيرَة والعَلُوفَة في مَنَازِلِ السُّلْطَانِ عَلَى العَادَة[6]، وقَصَّ خَبَرَ الوَاقِعَةِ، وأَنَّ السُّلْطَانَ تَوَجَّهَ إلى مِصْرَ وَانْتَهَى إلى الرَّمْلَة، ثُمَّ وَصَلَ أَقْبُغَا أَخُو بُطَا يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ ثَامِنَ صَفَر بِمِثْلِ ذَلِك[7]، وَتَتَابَعَ الوَاصِلُونَ مِنْ عَسْكَرِ السُّلْطَانِ، ثُمَّ نَزَلَ بِالصَّالِحِيَّة، وخَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيه، ثُمَّ بالعِكْرِشَة[8].

ثُمَّ أَصْبَحَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَر في سَاحَةِ القَلْعَةِ، وبَرَزَ إلَيْه النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهم، ومَاجَتِ الأَرْضُ بِعَوَالِم النُّظَّارَة، وَدَخَلَ في التَّعْبِئَة إلى القَلْعَةِ، وجُدِّدَتْ لَه البَيْعَةُ، وقَلَّدَه الخَلِيفَةُ، وَعَادَ إلى سَرِيرِه[9].

ثُمَّ بَعَثَ عَنِ الأُمَرَاءِ الذين حَبَسَهم مِنْطَاش بالإسْكَنْدَرِيَّة، وفِيهم: النَّاصِرِيّ،

(أ) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) يوم الجمعة ثالث صفر. تاريخ ابن الفرات 9: 193.

(2) من تاريخ ابن الفرات 9: 196.

(3) المصدر نفسه 9: 193.

(4) من السلوك 3: 701.

(5) سيف الدين محمد، كما في النجوم الزاهرة 11: 377.

(6) تاريخ ابن الفرات 9: 195، السلوك 3: 701، النجوم الزاهرة 11: 377.

(7) تاريخ ابن الفرات 9: 196، السلوك 3: 702.

(8) في ثالث عشر صفر، كما في تاريخ ابن الفرات 9: 199، السلوك 3: 703.

(9) تاريخ ابن الفرات 9: 199 - 200، السلوك 3: 704 – 705، النجوم الزاهرة 12: 2 – 4.

والجُوبانِي، وابنُ يَلْبُغَا، وقَرَا دِمِرْدَاش، وأَقْبُغَا الجُوهَرِيُّ، وسَوْدُون بَاق، وسُودُون الطُّرُنْطَايُّ، وقُرْدُم، والمُعَلِّمُ، في آخَرِينَ مُتَعَدِّدِين، وَاسْتَعْتَبُوا للسُّلْطَانِ فَأَعْتَبَهم، وَأَعَادَهم إلى مَرَاتِبِهم، وَوَلَّى إِينَالَ اليُوسُفِيَّ أَتَابِكًا، و[يَلْبُغَا][1] النَّاصِرِيَّ أَمِيرَ سِلاحٍ، و[أَلْطُنْبُغَا][2] الجُوبَانِيَّ رَأْسَ نَوْبَة، وسُودُون نَائِبًا كَمَا كَان، وبُطَا دَوَادَارًا، وقُرْقُمَاس أُسْتَادَارًا[أ]، وكَمَشْبُغَا الخَاصِكِيَّ أَمِيرَ مَجْلِس، وبَكْلَمِش أَمِيرَ الْمَاخُورِيَّة، وعَلَاءَ الدِّين كَاتِبَ سِرِّ الكَرَكِ كَاتِبَ سِرِّه بِمِصْرَ، وعَمَّرَ سَائِرَ المَرَاتِبِ والوَظَائِف[3].

وتُوفِّي قُرْقُمَاس قَرِيبًا، فَأَعَادَ مَحْمُودٌ أُسْتَادَارَه الأَوَّلَ[4]، وَرَعَى لَه سَوَابِقَ خِدَمِه، ومِحْنَةَ العَدُوِّ لَه في مَحَبَّتِه.

وَانْتَظَمَ أَمْرُ دَوْلَتِه، وَاسْتَوْثَقَ مُلْكُه، وَصَرَفَ نَظَرَه إلى الشَّامِ وتَلَافِيه مِنْ مِلْكَةِ العَدُوِّ وفَسَادِه، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

وِلَايَةُ الجُوبَانِي عَلَى دِمَشْقَ وَاسْتِيلَاؤُه عَلَيْهَا مِن يَدِ مِنْطَاشَ ثُمَّ هَزِيمَتُه وَمَقْتَلُه وَوِلَايَةُ النَّاصِرِيِّ مَكَانَه

لَمَّا اسْتَقَرَّ السُّلْطَانُ عَلَى كُرْسِيِّه بِالقَاهِرَةِ، [وَانْتَظَمَتْ][ب] أُمُورُ دَوْلَتِه صَرَفَ نَظَرَه إلى الشَّامِ، وَشَرَعَ في تَجْهِيزِ العَسَاكِرِ لإِزْعَاجِ العَدُوِّ مِنْه، وعَيَّنَ الجُوبَانِيَّ

(أ) من س، وفي ظ: أستاذ الدار. (ب) من س، وفي ظ: وانتظم.

(1)، (2) من تاريخ ابن الفرات 9: 202، السلوك 3: 707.

(3) تاريخ ابن الفرات 9: 202، السلوك 3: 707.

(4) في تاسع عشرينه (ربيع الآخر 792 هـ). السلوك 3: 713.

/ لِنِيَابَة دِمشق ورِيَاسَة العَسَاكِر، والنَّاصِرِيَّ لحَلَب، لأنَّ السُّلْطَان كَانَ عَاهَدَ كَمْشُبُغَا عَلَى أتَابِكِيَّة مِصْرَ، وعَيَّنَ قَرَا دِمِرْدَاش لِطَرَابُلُس، ومَأمُورَ القَلَمْطَاي لِحَمَاة، وَوَلَّى في جَمِيعِ مَمَالِكِ الشَّام [وَوَظَائِفِه][أ]، وَأَمَرَهـم بِالتَّجَهُّزِ، ونُودِيَ في العَسَاكِرِ بذَلِك، وخَرَجُوا ثَامِن جُمَادَى الأُولَى مِن سَنَة اثْنَتَيْنِ وتِسْعِين[1]. [397ر]

وكَان مِنْطَاش قَدِ اجْتَهَدَ جُهْدَه في طَيِّ خَبَرِ السُّلْطَانِ بِمِصْرَ عَنْ أُمَرَائِه وسَائِرِ[ب] عَسَاكِرِه، وَمَا زَالَ يَفْشُو حَتَّى شَاعَ وظَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ[ج]، فَانْصَرَفَ هَوَاهم إلى السُّلْطَانِ.

وبَعَثَ [مِنْطَاش][2] في أَثْنَاءِ ذَلِكَ الأَمِيرَ تُمَان تَمُرْ نَائِباً عَلَى حَلَب، فَاجْتَمَعَ إِلَيْه أَهْلُ بَانْقُوسَا، وَحَاصَرَ كَمْشُبُغَا بِالقَلْعَةِ نَحْواً مِنْ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وَشَدَّ حِصَارَهَا، وأَحْرَقَ بَابَ القَلْعَةِ والجِسْرَ، ونَقَبَ سُورَهَا مِن ثَلاثَة مَوَاضِعَ، وَاتَّصَلَ القِتَالُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ في أَحَدِ الأَنْقَابِ شَهْرَيْنِ عَلَى أَضْوَاءِ الشُّمُوعِ[3].

ثُم بَعَثَ العَسَاكِرَ إلى طَرَابُلُس مَعَ ابنِ أَيْمَان التُّرْكُمَانِيّ، فَحَاصَرُوهَا وَمَلَكُوهَا[4] مِنْ يَدِ أَسَنْدَمُر حَاجِبِ حُجَّابِها، كَانَ مُسْتَبِدًا عَلَيْهَا بِدَعْوَة الظَّاهِرِ، ولَمَّا مَلَكَهَا وَلَّى عَلَيْها قَشْتَمُرُ الأَشْرَفِيَّ.

(أ) من س. وفي ظ: ووظائفهم. (ب) سقط من س. (ج) في س: للناس.

---

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 207، السلوك 3: 712، النجوم الزاهرة 12: 9.

(2) من السلوك 3: 717.

(3) تاريخ ابن الفرات 9: 215، السلوك 3: 717 – 718، وينظر النجوم الزاهرة 12: 12 - 13.

(4) السلوك 3: 720.

ثُمَّ بَعَثَ العَساكِرَ إلى بَعْلَبَكَّ مَعَ مُحَمَّد شاه بن بَيْدُمُر، وبِها ابنُ الحَنَش، مِنَ التُّرْكُمانِ المُسْتَخْدَمِينَ، قائِماً بِدَعْوَةِ السُّلْطانِ، فَحاصَرَها أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَمَلَكَها، وأَسَرَ ابنَ الحَنَش في نَفَرٍ مِنْ قَرابَتِه وجُنْدِه، فَقَتَلَهم مِنْطاشُ بِدِمَشْقَ أَجْمَعِين[1].

ثُمَّ أَوْعَزَ إلى قَشْتَمُرَ الأَشْرَفِي نائِبِ طَرابُلُس بالمَسِيرِ لِحِصارِ صَفَد، فَسارَ إلَيْها، وَبَرَزَ إلَيْه جُنْدُها فَقاتَلُوه وَهَزَمُوه[2].

فَجَهَّزَ[أ] إلَيْها العَساكِرَ مَعَ [قَطْلُوبُغا][3] الصَّفَوِي، كَبِيرِ دَوْلَتِه، فَسارَ إلَيْها في سَبْعِ مِائَة مِنَ المُقاتِلَة، وَقَدْ كانَ لَمَّا تَيَقَّنَ عِنْدَه اسْتِيلاءُ السُّلْطانِ عَلَى كُرْسِيِّه بِمِصْرَ جَنَحَ إلى الطَّاعَةِ والاعْتِصامِ بِالجَماعَةِ، وكاتَبَه السُّلْطانُ مُقارَبَةً وَوَعْداً. فَلَمَّا وَصَلَ إلى صَفَد بَعَثَ إلى نائِبِها بِطاعَتِه، وَفارَقَ أَصْحابَ مِنْطاش[ب] وَمَنْ لَه هَوىً فِيه وَصِغْوٌ إلَيْه، وبَاتَ لَيْلَتَه بِظاهِرِ صَفَد، وَارْتَحَلَ مِنَ الغَدِ إلى مِصْرَ فَوَصَلَها[ج] مُنْتَصَفَ جُمادَى الآخِرة[4]، / وَأُمَراءُ الشَّامِ مُعَسْكِرُونَ مَعَ الجُوبانِي بِظاهِرِ القاهِرَةِ، [398 أ] فَأَقْبَلَ السُّلْطانُ عَلَيْه، وَجَعَلَه مِنْ أُمَراءِ الأُلُوفِ[5].

وَلَمَّا رَجَعَ أَصْحابُه مِنْ صَفَدَ إلى دِمَشْق اضْطَرَبَ مِنْطاش، وتَبَيَّنَ لَه نَكْراءُ

(أ) في س: وجهز. (ب) سقط من س. (ج) في س: فدخلها.

---

(1) السلوك 3: 713.

(2) المصدر نفسه 3: 714.

(3) في الأصول: أقبغا، والتصويب من السلوك 3: 712.

(4) ثالث عشر جمادى الأولى. النجوم الزاهرة 12: 10، وينظر السلوك 3: 713.

(5) وفي رابع عشر (جمادى الأولى) أنعم على الأمير قطلوبغا الصفوي بإمرة مائة وتقدمة ألف. السلوك 3: 714.

النَّاسِ، وَارْتَابَ بِأَصْحَابِه، وقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الأُمَرَاءِ، وَعَلَى جَنْتَمُرَ[1] نَائِبِ دِمَشْقَ، و[أَحْمَدَ][2] بنِ جُرْجِي مِنْ أُمَرَاءِ الأُلُوفِ، و[أَحْمَدَ][3] بنِ قَفْجَقَ الحَاجِبِ وَقَتَلَه، والقَاضِي أَحْمَدَ بنِ القُرَشِيِّ في جُمْلَةٍ مِنَ(أ) الأَعْيَانِ، وَاسْتَوْحَشَ النَّاسُ وَنَفَرُوا عَنه، وَاسْتَأْمَنُوا إِلَى السُّلْطَانِ، مِثْلَ: مُحَمَّد بن بَيْدُمُر وغَيْرِه، وهَرَبَ كَاتِبُ السِّرِّ بَدْرُ الدِّينِ بنُ فَضْلِ الله، ونَاظِرُ الجَيْشِ، وقَدْ كَانُوا يَوْمَ الوَاقِعَةِ(ب) عَلَى شَقْحَب ولَحِقُوا بِدِمَشْقَ يَظُنُّونَ أَنَّ السُّلْطَانَ يَمْلِكُهَا يَوْمَه ذَلِكَ، فَبَقُوا في مِلْكَةِ مِنْطَاش، وَأَجْمَعُوا الفِرَارَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهم، وشَرَعَ مِنْطَاش في الفَتْكِ بالمُنْتَمِينَ(ج) إلى السُّلْطَانِ مِنَ المَمَالِيكِ المَحْبُوسِينَ بالقَلْعَةِ وَغَيْرِهِم، وَذَبَحَ جَمَاعَةً مِنَ الجَرَاكِسَة، وَهَمَّ بِقَتْلِ أَيْتَمُش فَدَفَعَه اللهُ عَنه.

وَارْتَحَلَ الأُمَرَاءُ مِنْ مِصْرَ في العَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ إلى الشَّامِ مَعَ الجُوبَانِيِّ يَطْوُونَ المَرَاحِلَ، وَالأُمَرَاءُ مِنْ دِمَشْقَ يَلْقَوْنَهم في كُلِّ مَنْزِلَةٍ هَارِبِينَ إِلَيْهِم، حَتَّى كَانَ آخِرَ مَنْ لَقِيَهم ابنُ نُعَيْرٍ أَمِيرُ العَرَبِ بِطَاعَةِ أَبِيه، وَدَخَلُوا حُدُودَ الشَّامِ[4].

ثُمَّ ارْتَبَكَ مِنْطَاشُ في أَمْرِه، واسْتَفَزَّه(د) الخَوْفُ والهَلَعُ والاسْتِرَابَةُ بِمَنْ مَعَه، فَخَرَجَ مُنْتَصَفَ[5] جُمَادَى الآخِرَة هَارِباً مِنْ دِمَشْقَ في خَوَاصِّه[6] وأَصْحَابِه، وَمَعَه

(أ) سقط من س. (ب) في س: الوقعة. (ج) في س: في المنتمين. (د) من س، وفي ظ: واستفز.

---

(1) في تاريخ ابن الفرات 9: 208: جردمر.

(2) المصدر نفسه 9: 208.

(3) المصدر نفسه 9: 208.

(4) المصدر نفسه 9: 210، السلوك 3: 714.

(5) ليلة الأحد ثالث عشر. السلوك 3: 715.

(6) وهم نحو الست مائة فارس. السلوك 3: 715.

سَبْعُونَ جِمْلاً مِنَ المَالِ والأقْمِشَةِ، وَاحْتَمَلَ مَعَه مُحَمَّد بن إينال، وَانْتَقَضَ عَلَيْه جَمَاعَةٌ مِنَ المَمَالِيكِ فَرَجَعُوا بِهِ إلى أبِيه، وَكَان نُعَيْرُ بنُ حَيَّارٍ أَمِيرُ [آلِ][أ] فَضْل مُقِيماً في أحْيَائِه بِقَارَا[1] والنَّبَك، ومَعَه أحْيَاءُ آلِ مِرَّا وَأمِيرُهم عَنْقَاءُ بنُ شَطِّي، فَلَحِقَ بِهِم هُنَالِكَ مِنطَاش مُسْتَجِيراً، فَأجَارُوه، وَنَزَلَ مَعَهم[2].

وَلَمَّا فَصَلَ مِنطَاش عَنْ دِمَشْق، خَرَجَ أيتَمُش مِن مَحْبِسِه وَمَلَكَ القَلْعَةَ وَمَعَه مَمَالِيكُ السُّلْطَانِ مُعصَوْصِبِينَ عَلَيْه، وَأرْسَلَ إلى الجُوبَانِي بالخَبَرِ / [398 ب] فَأغَذَّ السَّيْرَ إلى دِمَشْق، وَجَلَسَ بِمَوْضِعِ نِيَابَتِه، وَقَبَضَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أصْحَابِ مِنطَاش وَحَبَسَهم مع مَنْ كَانَ هُو حَبَسَ مِنْهم. وَوَصَلَ ألطُنْبُغَا الحَلَبِيُّ وَدِمِرْدَاش اليُوسُفِيُّ مِنْ طَرَابُلُس، وكَانَ مِنطَاشُ اسْتَقْدَمَهم وَهَرَبَ قَبْلَ وُصُولِهم[3]، وَبَلَغَ الخَبَرُ إلى تُمان تَمُر، وهو يُحَاصِرُ حَلَبَ وَأهْلُ بَانقُوسَا مُعْصَوْصِبُونَ عَلَيْه، فَأجْفَلَ، وَلَحِقَ بِمِنطَاش، وَرَكِبَ كَمُشْبُغَا مِنَ القَلْعَةِ إلَيْهم، بَعْدَ أنْ أصْلَحَ الجِسْرَ، وَرَكِبَ مَعَه الحُجَّابُ، وقَاتَلُوا أهْلَ بَانقُوسَا وَمَنْ مَعَهم مِنْ أشْيَاعِ مِنطَاش ثَلاثَةَ أيَّام، ثُمَّ هَزَمُوهم، وَقَتَلَ كَمُشْبُغَا مِنْهم أكْثَرَ مِنْ ثَمَانِ مِائَة، وَخَرَّبَ بَانقُوسَا ونَسَفَهَا نَسْفاً وأصْبَحَتْ خَرَاباً، وعَمَّرَ القَلْعَةَ وَحَصَّنَهَا وشَحَنَهَا بالأقْوَاتِ[4].

(أ) من س، وسقط من ظ.

---

(1) في الأصول: بقارا كما أثبتناه، وعند ياقوت: قارَةُ، وهي قرية كبيرة على الطريق، وهي المنزل الأول من حمص وآخر حدودها للقاصد إلى دمشق. معجم البلدان 4: 295.

(2) تاريخ ابن الفرات 9: 210 - 211، السلوك 3: 715 - 716.

(3) المصدر نفسه 9: 212، السلوك 3: 715 - 716.

(4) المصدر نفسه 9: 215، السلوك 3: 718.

وبَعَثَ الجُوبَانِيُّ العَسَاكِرَ إلى طَرَابُلُس وَمَلَكُوهَا مِنْ يَدِ قَشْتَمُرَ الأَشْرَفِيِّ، نَائِبِ مِنْطَاش، مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، وَكَذَلِكَ حَمَاةَ وَحِمْصَ(1).

ثُمَّ بَعَثَ الجُوبَانِيُّ، نَائِبُ دِمَشْقَ وَكَافِلُ [المَمَالِكِ](أ) الشَّامِيَّة، إلى نُعَيْرِ بنِ حَيَّار أَمِيرِ العَرَبِ بِإِسْلَامِ مِنْطَاش أَوْ إِخْرَاجِه مِنْ أَحْيَائِه، فَامْتَنَعَ وَاعْتَذَرَ، فَبَرَزَ مِنْ دِمَشْقَ في العَسَاكِرِ وَمَعَه النَّاصِرِيُّ وَسَائِرُ الأُمَرَاءِ، وَنَهَضَ إلى نُعَيْر، فَلَمَّا انتَهوا إلى حِمْصَ أَقَامُوا بِها، وَبَعَثُوا إلى نُعَيْرٍ يَعْذِرُونَ إِلَيْه، فَلَجَّ وَاسْتَكْبَرَ، وَحَالَ دُونَه(2).

وبَعَثَ إِلَيهِم أَيْتَمُش خِلَالَ ذَلِكَ مِنْ دِمَشْقَ بِأَنَّ جَمَاعَةً مِنْ شِيعَةِ بَيْدُمُر وَجَنْتَمُرَ يَرُومُونَ الثَّوْرَة، فَرَكِبَ النَّاصِرِيُّ إلى دِمَشْقَ وَكَبَسَهم وَأَثْخَنَ فِيهم وَرَجَعَ إلى المُعَسْكَرِ(ب)، وَارْتَحَلُوا إلى سَلَمِيَّة(3).

وَاسْتَمَرَّ نُعَيْرٌ في غُلَوَائِه، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهما فَلَم تُغْنِ، ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ حَرْبٌ(ج) شَدِيدَةٌ، وَحَمَلَتِ العَسَاكِرُ عَلَى مِنْطَاش وَالعَرَبِ فَهَزَمُوهم إلى الخِيَام، وَاتَّبَعَ دِمِرْدَاشُ مِنْطَاشَ حَتَّى جَاوَزَ بِه الحَيَّ، وَارْتَحَلَتِ العَرَبُ وَحَمَلُوا بِظَعَائِنِهم عَلَى العَسَاكِرِ فَلَمْ يَثْبُتُوا لِحَمْلَتِهم، وكَانَ مَعَهم آلُ عَلِيٍّ بِجُمُوعِهم فَنَهَبُوهم مِنْ وَرَائِهم وَانْهَزَمُوا، وَأَفْرَدَ الجُوبَانِيَّ مَمَالِيكُه / فَأَسَرَه العَرَبُ، وَسِيقَ إلى نُعَيْر فَقَتَلَه(4). [399 أ]

(أ) من س، وفي ظ: المماليك. (ب) في س: العسكر. (ج) في س: وقعة حرب.

---

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 222، السلوك 3: 724.

(2) المصدر نفسه 9: 217.

(3) تاريخ ابن الفرات 9: 218.

(4) المصدر نفسه 9: 218، وينظر السلوك 3: 721، والنجوم الزاهرة 12: 16.

وَلَحِقَ النَّاصِرِيُّ بِدِمَشْق، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ، وَقُتِلَ مِنْهم: أقْبُغَا الجُوهَرِي، وَمَأمُورُ القَلَمْطَاوِي في عِدَّةٍ آخَرِين، وَنَهَبَ العَرَبُ مُخَيَّمَهم وأَثْقَالَهم، وَدَخَلَ النَّاصِرِيُّ إلى دِمَشْق فَبَاتَ لَيْلَتَه[1]، وَبَاكَرَ مِنَ الغَدِ آلَ عَلِيّ في أَحْيَائِهم فَكَبَسَهم، وَاسْتَلْحَمَ مِنهم جَمَاعَةً، فَثَأَرَ مِنْهم بِمَا فَعَلُوه في الوَاقِعَةِ. ثُمَّ بَعَثَ إلَيْه السُّلْطَانُ بِنِيَابَة دِمَشْقَ مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَة[2]، فَقَامَ بِأَمْرِهَا وأَحْكَمَ التَّصْرِيفَ في حِمَايَتِها[أ].

إعَادَةُ محمُود إلى أُسْتَاذِيَةِ الدَّار وَاسْتِقلاله فِي الدَّوْلَة

هَذَا الرَّجُلُ مِنْ نَاشِئَةِ التُّرْكِ وَوِلْدَانِهم، وَمِنْ أَعْقَابِ كَرَاي المَنْصُورِي مِنْهم، شَبَّ في ظِلِّ الدَّوْلَة وَمَرْعَى نِعَمِهَا، وَنَهَضَ بِنَفْسِه إلى الاضْطِلاعِ والكِفَايَة [في جَوِّهَا][ب]، وَبَاشَرَ كَثِيراً مِنْ أَعْمَالِ الأُمَرَاءِ وَالوُزَرَاء، [مُتَقَلِّباً في أَطْوَارِهَا][ج] حَتَّى أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّة النَّجَابَة، وَعَرَّضَته الشُّهْرَةُ عَلَى اخْتِيَارِ السُّلْطَانِ، فَعَجَم عُودَهُ ونَقَدَ جَوْهَرَه، ثُمَّ رَمَى بِه أَغْرَاضَ الخِدْمَةِ بِبَابِه، فَأَصَابَ [فِيه][د] شَاكِلَةَ الرَّمِيَّة، وَمَضَى قُدُماً في مَذَاهِبِ السُّلْطَانِ [وَالدَّوْلَة][هـ]، مُرْهَفَ الحَدِّ قَوِيَّ الشَّكِيمَةِ، فَصَدَقَ ظَنُّهُ، وشُكِرَ اخْتِيَارُه، ثُمَّ دَفَعَه إلى نِقَابَةِ الجَيْشِ وَشَدِّ الدَّوَاوِين مِنْ وَظَائِفِ الدَّوْلَةِ فَجَلَّى فِيهِمَا، وَهَلَكَ خِلَالَ ذَلِكَ أُسْتَادَار[و] بَهَادِر المَنْجَكِيُّ سَنَةَ تِسْعِينَ، فَأَقَامَه السُّلْطَانُ

(أ) من س، وفي ظ: بحمايتها. (ب)، (ج)، (د)، (هـ) من س. (و) في س: أستاذ الدار.

---

(1) في تاريخ ابن الفرات: أقام يومين 9: 219، السلوك 3: 721.

(2) تاريخ ابن الفرات 9: 21، النجوم الزاهرة 12: 16 - .

مَكَانَه[1] قَهْرَمَاناً لِدَارِه وَدَوْلَتِه[2]، وَانْتَضَاه عَلَى دَوَاوِينِ الجِبَايَةِ مِنْ قِرَابِ اخْتِيَارِه وَنَقْدِه، جَمَّاعَةً لِلأَمْوَالِ، غَوَّاصاً عَلَى اسْتِخْرَاجِ الحُقُوقِ السُّلْطَانِيَّة، قَارُوناً لِلكُنُوزِ، إِكْسِيراً لِلنُّقُودِ، مِغْنَاطِيساً لِلقِنيَةِ[3]، يُسَابِقُ أَقْلَامَ الكُتَّابِ[أ]، وَيَسْتَوْفِي تَفَاصِيلَ الحُسْبَانِ بِمَدَارِكَ إِلْهَامِيَّة، وَتَصَوُّرٍ صَحِيحٍ، وَحَدْسٍ ثَاقِبٍ، لَا يَرْجِعُ إِلَى حَذْلَقَةِ الكُتَّابِ ولا تَنْمِيقِ الأَعْمَالِ، بَلْ يَتَنَاوَلُ الصِّعَابَ فَيُذَلِّلُهَا، وَيَحُومُ عَلَى الأَغْرَاضِ البَعِيدَةِ فَيُقَرِّبُهَا، وَرُبَّمَا يُحَاضِرُ بِذَكَائِه •فِي العُلُومِ فَيَنْفُذُ فِي مَسَائِلِهَا•[ب]، وَيُفْحِمُ جَهَابِذَتَهَا، مَوْهِبَةً مِنَ اللهِ اخْتَصَّه بِهَا، وَنِعْمَةً أَسْبَغَ عَلَيْه لَبُوسَهَا، فَقَامَ بِمَا دَفَعَ إِلَيْه السُّلْطَانُ مِن ذَلِكَ، وَأَدَرَّ ضُرُوعَ الجِبَايَةِ فَضَاقَتْ أَفْنِيَةُ / الحَوَاصِلِ وَالخَزَائِنِ[ج] بِمَا [399 ب] تَسَرَّبَ إِلَيْهَا، [وَطَفَحَتِ الخَزَائِنُ بِمَا فِي جَوَانِبِهَا][د]، وَكَفَى السُّلْطَانَ مُهِمَّهُ فِي دَوْلَتِه وَمَمَالِيكِه وَرِجَالِه بِمَا يَسُوغُ لَهم مِنْ نِعْمَةٍ، وَيُوَسِّعُ مِنْ أَرْزَاقِه وَعَطَائِه، حَتَّى أَزَاحَ عِلَلَهم بِتَوَالِي إِنْفَاقِه، وَقَرَّتْ عَيْنُ السُّلْطَانِ بِاصْطِنَاعِه، وَغَصَّتْ بِه الدَّوَاوِينُ وَالحَاشِيَةُ، فَفَوَّقُوا إِلَيْه سِهَامَ السِّعَايَةِ، وَسَلَّطُوا عَلَيْه أَلْسِنَةَ المُتَظَلِّمِينَ، وَخَلَصَ مِنْ ذَلِكَ خُلُوصَ الإِبْرِيزِ، وَلَمْ تَعْلَقْ بِه ظِنَّةٌ وَلَا حَامَتْ عَلَيْه رِيبَةٌ.

ثُمَّ طَرَقَ الدَّوْلَةَ مَا طَرَقَهَا مِنَ النَّكْبَةِ وَالاعْتِلَالِ، وَأَوْدَعَته المِحْنَةُ غَيَابَاتِ السُّجُونِ، وحَفَّتْ بِه أَنْوَاعُ المَكَارِه، وَاصْطُلِمَتْ نِعْمَتُهُ، وَاسْتُصْفِيَتْ أَمْوَالُه فِي المُصَادَرَةِ

(أ) في س: العمال. (ب) في س: في مسائل العلوم فينفذ فيها. (ج) سقط من س. (د) من س.

---

(1) في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة 790 هـ. السلوك 3: 579.

(2) فتحدث في الدولة، والخاص، والديوان المفرد، وصار عزيز مصر. السلوك 3: 580.

(3) القنية: ما اكتسب من المال.

والامْتِحَانِ، حتّى لَزَعَمُوا[1] أنّ النّاصِرِيَّ، المُتَغَلِّبَ يَوْمَئِذٍ، اسْتأثَرَ مِنْه بِخَمْسَةِ [قَنَاطِيرَ[ب] مِنْ دَنَانِيرِ][ج] الذّهَبِ، وَمِنطَاش بَعْدَه، بِخَمْسَةٍ وخَمْسِين، ثُمّ خَلَصَ إبْرِيزُه مِنْ ذَلِكَ السَّبْكِ، وَأَهَلَّ قَمَرُه مِنْ بَعْدِ المَحَاقِ، وَاسْتَقَلَّ السُّلْطَانُ مِنْ نَكْبَتِه وَطَلَعَ بِأُفُقِ قَصْرِه وَتَهَنَّأَ أَرِيكَةَ مُلْكِه، وَدَفَعَه لِمَا كَانَ بِسَبِيلِه[1]، فَأَحْسَنَ الكَرَّةَ في كِفَايَةِ مُهِمِّه وتَوْسِعَةِ عَطَائِه وَأَرْزَاقِه وتَمْكِينِ أحْوَالِ دَوْلَتِه، وَتَسَرَّبَتْ أَمْوَالُ الجِبَايَةِ مِنْ غَيْرِ حُسْبَانٍ ولَا تَقْدِيرٍ إلى خَزَائِنِه، وحُسْنَ النَّظَرِ في الصَّرْفِ والخَرْجِ بِحَزْمِه وَكِفَايَتِه، حَتّى عَادَتِ الأُمُورُ إلى أحْسَنِ مَعْهُودِه بِيُمْنِ نَقِيبَتِه[2]، وَسَدِيدِ رَأْيِه وَصَلَابَةِ عُودِه وقُوَّةِ صَرَامَتِه، معَ بَذْلِ مَعْرُوفِه وَجَاهِه لِمَنْ تَحْتَ يَدِه، وَبَشَاشَةِ لِقَائِه لِغَاشِيَتِه، وَحُسْنِ الكَرَامَةِ لِمُنْتَابِه، وَمُعَامَلَةِ الله بِكَرَمِ مَقَاصِدِه، فَأَصْبَحَ طِرَازًا للدَّوْلَة، وَتَاجًا للخَوَاصّ. وَقَذَفَه المُنَافِسُونَ بِحَصَى السِّعَايَاتِ، فَزَلَّتْ في صَفَاةِ[د] حِلْمِ السُّلْطَانِ وجَمِيلِ اغْتِبَاطِهِ وَتَثَبُّتِهِ، حَتّى أَعْيَتْهم المَذَاهِبُ وَانْسَدَّتْ عَلَيْهِم الطُّرُقُ، وَرَسَخَتْ قَدَمُه في الدَّوْلَةِ، وَاعْتَلَقَ مِنَ السُّلْطَانِ بِكَرِيمِ العَهْدِ وَالذِّمَّةِ، وَوَثِقَ بِغَنَائِه وَاضْطِلَاعِهِ، فَرَمَى إِلَيْه بِمَقَالِيدِ الأُمُورِ، وَأَوْطَأَ عَقِبَهُ أَعْيَانَ الخَاصّةِ والجُمْهُورِ، وَأَفْرَدَهُ في الدَّوْلَةِ بِالنَّظَرِ في الأُمُورِ حُسْبَاناً وَتَقْرِيراً، وَجَمْعاً وَتَقْدِيراً، وَكَنْزاً وَتَوْفِيراً / [١٥٥أ] وَصَرْفاً لَا يَعْرِفُ تَبْذِيراً، وَنَظَراً في وُلَاتِها بالعَزْلِ والإِبْقَاءِ مَشْهُوراً، معَ مَا يَمْتَازُ بِه مِنْ مُخَالَصَةِ

(ا) في س: لقد زعموا. (ب) من س، وفي ظ: من قناطير. (ج) من س. (د) في س: صفات.

---

(1) في 27 صفر 792 هـ استقر الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار مشير الدولة...، وفي 29 ربيع الآخر 792 هـ استقر في أستادارية السلطان على عادته. ينظر السلوك 3: 708، 713.

(2) النقيبة: الرأي والمشورة، تاج العروس.

السُّلْطَان، وَمُفَاوَضَتِه أَكْثَرَ الأَحْيَانِ فِيمَا يَعْرِضُ مِنَ الأَمْرِ والشَّانِ، والسُّمُوّ بِه وبِرُتْبَتِه عَلَى مَرّ الأَيَّامِ وَالأَزْمَان.

وَهُو عَلَى هَذَا العَهْدِ عِنْدَ سَفَرِ السُّلْطَانِ إلى الشَّام[1] لِمُدَافَعَةِ سُلْطَانِ المُغُل تمُرْ، [كَمَا نَذْكُرُ][2]، واللهُ مُتَوَلِّي [الأُمُورِ](ا) لَا رَبَّ غَيْرُه.

مَسِيرُ منطَاشَ ونُـعَيرٍ إلىَ نواحي حَلَبَ وحِصَارُهُا ثُـمَّ مُفَارقَتُه نُعَيرًا وحِصَارُهُ عَيْنتَابَ ثُـمَّ رُجُوعُه

وَلَمَّا انْهَزَمَتِ العَسَاكِرُ بِسَلَمِيَّة، كَمَا قُلْنَا، ارْتَحَلَ نُعَيْرٌ فِي أَحْيَائِه، وَمَعَه مِنطَاش وأَصْحَابُه، إلى نَوَاحِي حَلَب، وَسَارَ نُعَيْرٌ إلى بَلَدِ سَرْمِينَ مِنْ إقْطَاعِه، لِيَقْسِمَهَا في قَوْمِهِ عَلَى عَادَتِهِم، وكَانَ كَمَشْبُغَا نَائِبُ حَلَبَ قَدْ أَقْطَعَهَا لِجُنْدٍ مِنَ التُّرْكُمَانِ في خِدْمَتِه، فَلَمَّا وَافَاهَا نُعَيْرٌ هَرَبُوا إلى حَلَبَ، وَلَقُوا في طَرِيقِهِم أَحْمَدَ بنَ المِهْمِنْدَار في العَسَاكِرِ، وَقَدْ نَهَضَ إلى نُعَيْر، فَرَجَعُوا مَعَه، وَلَقِيَهم ابْنُه عَلِيُّ بنُ نُعَيْر، فَقَاتَلُوه وَهَزَمُوه، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِه صَبْرًا، وَرَجَعَ نُعَيْرٌ إلى أَحْيَائِه، وَارْتَحَلُوا إلى حَلَبَ فَحَاصَرُوهَا، وَضَيَّقُوا عَلَيْهَا أَيَّامَ رَمَضَان[3].

ثُمَّ رَاجَعَ نُعَيْرٌ نَفْسَه وَرَاسَلَ كَمَشْبُغَا نَائِبَ حَلَبَ فِي الطَّاعَةِ، وَاعْتَذَرَ عَمَّا

(ا) من س. وفي ظ: الأمر.

---

(1) في يوم الأربعاء تاسعه (ربيع الآخر 796 هـ). السلوك 3: 807، وينظر النجوم الزاهرة 12: 53.

(2) في الأصول: كما مر ذكره، والتصويب مما يلي ص 660، 593.

(3) في يوم السبت ثالث عشري شعبان 792 هـ. تاريخ ابن الفرات 9: 220، السلوك 3: 722.

وَقَعَ مِنه، وَطَوَّقَ الذَّنَبَ بِالجُوبَانِي وَأَصْحَابِه أَهْلِ الوَاقِعَةِ، وَسَأَلَ الأَمَانَ مَعَ حَاجِبِه عَبْدِالرَّحْمٰن، فَبَعَثَه كَشْبُغَا إِلى السُّلْطَانِ، وأَخبَرَه بِمَا اشتَرَطَ نُعَيرٌ، فَأَجَابَه السُّلْطَانُ إِلى سُؤَالِه[1].

وَشَعَرَ بِذَلِكَ مِنطَاشُ بِمَكَانِه مِنْ حِصَارِ حَلَبَ، فَارْتَابَ وَخَادَعَ نُعَيرًا فِي الغَارَةِ عَلَى بَعْضِ التُّرْكُمَانِ بِقُرْبِهِم، فَأَذِنَ لِلعَرَبِ فِي المَسِيرِ مَعَه، وَسَارَ[أ] مَعَه مِنْهم نَحْوُ سَبْعِ مِائَة، فَلَمَّا جَاوَزَ الدُّرْبَنْد أَرْجَلَهم عَنِ الخَيْلِ فَأَخَذَهَا وَلَحِقَ بِالتُّرْكُمَان[2]، وَنَزَلَ بِمَرْعَش بَلَدِ أَمِيرِهم سُولِي، وَرَجَعَ العَرَبُ مَشَاةً إِلى نُعَيْر، فَارْتَحَلَ إِلى سَلَمِيَّة رَاجِعًا، وَسَارَ مِنطَاشُ إِلى عَيْنْتَاب [400ب] / مِنْ قِلَاعِ حَلَب، وَنَائِبُهَا مُحَمَّدُ بنُ شَهْرِي، فَمَلَكَهَا، وَاعْتَصَمَ نَائِبُهَا بِالقَلْعَةِ أَيَّامًا، ثُمَّ بَيَّتَ مِنطَاشَ وَأَثْخَنَ فِي أَصْحَابِه، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أُمَرَائِه[3]، وَكَانَتِ العَسَاكِرُ قَدْ جَاءَتْ مِن حَلَبَ وحَمَاةَ وَصَفَدَ لِقِتَالِه، فَهَرَبَ إِلى مَرْعَش، وَسَارَ مِنْهَا إِلى بِلَادِ الرُّومِ، وَاضْمَحَلَّ أَمْرُه، وَفَارَقَه جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِه إِلى العَسَاكِرِ[ب]، وَرَاجَعُوا طَاعَةَ السُّلْطَانِ آخِرَ ذِي القَعْدَة مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وتِسْعِين[4].

وَبَعَثَ سُولِي بنُ دُلْغَادِر، أَمِيرُ التُّرْكُمَانِ، فِي عَشْرِ[5] ذِي الحِجَّة، يَسْتَأْمِنُ إِلى السُّلْطَانِ، فَأَمَّنَه وَوَلَّاه عَلَى البُلُسْتَيْن كَمَا كَان[6].

(أ) في س: وسار مكررة. (ب) في س: العسكر.

---

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 232 – 233، السلوك 3: 724.

(2) تاريخ ابن الفرات 9: 233.

(3) المصدر نفسه 9: 235.

(4) المصدر نفسه 9: 235.

(5) في يوم الاثنين خامس ذى الحجة. تاريخ ابن الفرات 9: 235، السلوك 3: 727.

(6) تاريخ ابن الفرات 9: 236.

قُدُومُ كَمَشْبُغَا مِن حَلَبَ

قَدْ كَانَ(ا) تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ كَمَشْبُغَا الحَمَوِيَّ، رَأْسَ نَوْبَةِ يَلْبُغَا، كَانَ نَائِبًا بِطَرَابُلُس، وأنَّ السُّلْطَانَ عَزَلَه وَحَبَسَه بِدِمَشْق. فَلَمَّا اسْتَوْلَى النَّاصِرِيُّ عَلَى دِمَشْق أَطْلَقَه مِنَ الاعْتِقَالِ وَجَاءَ في جُمْلَتِه إلى مِصْرَ. فَلَمَّا وَلِّيَ عَلَى مَمَالِكِ الشَّامِ وَأَعْمَالِهَا وَلَّاه عَلَى حَلَبَ مَكَانَه مُنْتَصَفَ(1) إحْدَى وَتِسْعِين، ولَمَّا اسْتَقَلَّ السُّلْطَانُ مِنَ النَّكْبَةِ وَخَرَجَ مِنَ الكَرَكِ طَالِباً لِمُلْكِه، وَقَصَدَ دِمَشْقَ، كَمَا مَرَّ، أَرْسَلَ كَمَشْبُغَا إِلَيْه بِطَاعَتِه وَمُشَايَعَتِه عَلَى أَمْرِه، وأَظْهَرَ دَعْوَتَه في حَلَبَ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ أَعْمَالِه، ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ وَحَاصَرَهَا، وَأَمَدَّه كَمَشْبُغَا بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْه، ثُمَّ جَاءَه بِنَفْسِه في عَسَاكِرِ حَلَبَ صَرِيخاً، وَحَمَلَ إِلَيْه جَمِيعَ حَاجَاتِه، وَأَزَاحَ عِلَلَه، وَأَقَامَ لَه رُسُومَ مُلْكِه، وَشَكَرَ السُّلْطَانُ أَفْعَالَه في ذَلِك، وَعَاهَدَه عَلَى أَتَابِكِيَّة مِصْرَ.

ثُمَّ كَانَتِ الوَاقِعَةُ عَلَى شَقْحَب وَانْهَزَمَ كَمَشْبُغَا إِلَى حَلَبَ فَامْتَنَعَ بِهَا، وَحَاصَرَه تُمَان تَمُر أَتَابِكُ مِنْطَاش أَشْهُراً، كَمَا مَرَّ(2)، ثُمَّ هَرَبَ مِنْطَاش مِنْ دِمَشْقَ إِلَى العَرَبِ، فَأَفْرَجَ تُمَان تَمُر عَنْ حَلَب، ثُمَّ كَانَتْ وَاقِعَةُ الجُوبَانِي وَمَقْتَلُه، وَزَحَفَ مِنْطَاش وَنُعَيْرٌ إِلَى حَلَبَ فَحَاصَرُوهَا مُدَّةً، ثُمَّ وَقَعَ الخِلَافُ بَيْنَهُمَا وَهَرَبَ مِنْطَاش إِلَى بِلَادِ التُّرْكُمَان، وَرَجَعَ نُعَيْرٌ إِلَى بَلْدَةِ سَلَمِيَّة، وَاسْتَأْمَنَ لِلسُّلْطَانِ وَرَجَعَ إِلَى طَاعَتِه مُنْتَصَفَ شَوَّال، وَلَمَّا أَفْرَجُوا عَنْ حَلَبَ / نَزَلَ كَمَشْبُغَا مِنَ القَلْعَةِ، وَأَتَمَّ خَرَابَ [1401]

(ا) سقط من س.

---

(1) في تاسع عشره (جمادى الآخرة). السلوك 3: 631.

(2) ينظر ما سبق ص 598.

بانقُوسا، واستَلْحَمَ أَهْلَهَا، وأَخَذَ في إِصْلاحِ أَسْوارِ حَلَبَ وَرَمِّ ما تَثَلَّمَ مِنها، وكَانَتْ خَرَاباً مِنْ عَهْدِ هُولاكُو، وَجَمَعَ لَه أَهْلُ حَلَبَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَم للنَّفَقَةِ فِيه، وَفَرَغَ مِنْه لِثَلاثَةِ أَشْهُرٍ.

وَلَمَّا اسْتَوْسَقَ أَمْرُ السُّلْطَانِ وَانتَظَمَتْ دَوْلَتُه، بَعَثَ إِلَيْه يَسْتَدْعِيه في عَشْرِ ذِي [الحِجَّة[أ] سَنَةَ][ب] اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِين[1]، وَوَلَّى مَكَانَه في حَلَبَ قَرَا دِمِرْدَاش، نَقَلَه إِلَيْها مِنْ طَرَابُلُس، وَوَلَّى مَكَانَه في طَرَابُلُس إِينَالَ الصَّغِير[2]. فَسَارَ كَمُشْبُغَا مِنْ حَلَب وَوَصَلَ مِصْرَ تَاسِعَ[3] صَفَرٍ ثَلاثٍ وَتِسْعِين، فَاهْتَزَّ لَه السُّلْطَان وَأَرْكَبَ الأُمَرَاءَ للقَائِه مَعَ النَّائِبِ[4]، ثُمَّ دَخَلَ إِلى السُّلْطَانِ، فَحَيَّاه وَبَالَغَ في تَكْرِمَتِه وَتَلَقِّيه بالرُّحْبِ، وَرَفَعَ مَجْلِسَه فَوْقَ الأَتَابِكِ إِينَال[5]، وَأَنْزَلَه بِبَيْتِ مَنْجَك، وَقَدْ هُيِّئَ فِيه مِنَ الفَرْشِ والمَاعُونِ والخُرْثِيِّ مَا فِيه كِفَايَةُ المَنْزِلِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْه بالأَقْمِشَة، وَقَرَّبَ إِلَيْه الجِيَادَ بِالمَرَاكِبِ الثَّقِيلَة، وَتَقَدَّمَ للأُمَرَاءِ أَنْ يُتْحِفُوهُ بِهَدَايَاهم، فَتَنَاغَوْا في ذَلِك، وَجَاءوا مِنْ وَرَاءِ الغَايَةِ.

وَحَضَرَ في رِكَابِه مِنْ أُمَرَاءِ الشَّامِ أَلْطُنْبُغَا الأَشْرَفِيُّ وَحَسَنٌ الكُشْكُنِيُّ، فَأَكْرَمَهُمَا السُّلْطَانُ، وَاسْتَقَرَّ كَمُشْبُغَا بِمِصْرَ في أَعْلَى مَرَاتِبِ الدَّوْلَة إِلى أَنْ تُوفِّيَ إِينَال

(أ) من س، وفي ظ: حجة. (ب) من س.

(1) تاريخ ابن الفرات 9: 236، السلوك 3: 727، وينظر النجوم الزاهرة 12: 17.

(2) في تاريخ ابن الفرات 9: 236، السلوك 3: 727: أينال من خجا علي.

(3) في النجوم الزاهرة 12: 18: سابع، وينظر السلوك 3: 733.

(4) السلوك 3: 733.

(5) وأجلسه في الميمنة فوق الأمير الكبير أينال اليوسفي. النجوم الزاهرة 12: 18.

الأتَابِكَ فِي جُمَادَى [الآخِرَة سنةَ] (1) أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، فَوَلاَّه السُّلْطَانُ مَكَانَه، كَمَا عَاهَدَه عَلَيْه بِشَقْحَب، وَجَعَلَ إِلَيْه نَظَرَ المَارِسْتَانِ عَلَى عَادَةِ الأَتَابِكِيَّة(2)، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا العَهْدِ(3).

اسْتِقْدَامُ أَيْتَمُش

كَانَ أَيْتَمُش البجَاسِيُّ أَتَابِكَ الدَّوْلَة قَبْلَ نَكْبَةِ السُّلْطَانِ، وَسَارَ فِي العَسَاكِرِ إِلَى الشَّامِ، مُنْتَصَفَ رَبِيع [الأَوَّل(4) سنةَ] إِحْدَى وَتِسْعِين، لِقِتَالِ النَّاصِرِيِّ وأَصْحَابِه، لَمَّا انْتَقَض بِحَلَب، وَكَانَتِ الوَاقِعَةُ بَيْنَهم بِالمَرْجِ مِنْ نَوَاحِي دِمَشْق، وَانْهَزَمَتِ العَسَاكِرُ وَنَجَا أَيْتَمُش إِلَى قَلْعَةِ دِمَشْقَ وَمَعَه كِتَابُ السُّلْطَانِ بِالإِذْنِ فِي دُخُولِهَا مَتَى اضْطُرَّ إِلَيْها، فَاعْتَصَمَ بِها، وَمَلَكَهَا النَّاصِرِيُّ مِنَ الغَدِ بِطَاعَةِ نَائِبِها ابن الحِمْصِيِّ(أ)، فَوَكَّلَ بِأَيْتَمُش، وَأَقَامَ هُنَالِكَ حَبِيساً / مُوَسَّعاً عَلَيْه، ثُمَّ سَارَ النَّاصِرِيُّ إِلَى مِصْرَ وَمَلَكَهَا، [401 ب] وَبَعَثَ بِالسُّلْطَانِ إِلَى الكَرَكِ، ثُمَّ ثَارَ بِه مِنْطَاش، وَاسْتَقَلَّ بِالدَّوْلَةِ بِمِصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ السُّلْطَانُ مِنَ الكَرَكِ وَقَصَدَ دِمَشْقَ، وَهَزَمَ عَسَاكِرَهَا وَحَاصَرَهَا، وَجَاءَ مِنْطَاش فَهَزَمَه السُّلْطَانُ، ولَجَأَ إِلَى دِمَشْق، وَسَارَ السُّلْطَانُ إِلَى مِصْرَ، وَعَادَ إِلَى كُرْسِيِّه فِي صَفَرِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِين، كَمَا تَفْصِيلُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ، وأَيْتَمُش فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُلِّه مَحْبُوسٌ

(أ) من س، وفي ظ: الحمص.

---

(1) من السلوك 3: 776، وتوفي الأمير إينال في رابع عشر جمادى الآخرة، ينظر المنهل الصافي 3: 189، 193، النجوم الزاهرة 12: 128.

(2) السلوك 3: 766.

(3) توفي كشبغا الحموي في 28 رمضان 801 هـ: المنهل الصافي 9: 142، إنباء الغمر 2: 81.

(4) من السلوك 3: 595 .

بالقَلْعَةِ. ثُمَّ زَحَفَ الجُوبانِيُّ في العَساكِرِ إلى دِمَشْق، فَهَرَبَ مِنْها مِنْطاش، وَمَلَكَها الجُوبانِيُّ بِدَعْوَةِ السُّلْطانِ مُنْتَصَفَ جُمادَى الآخِرَة، وَخَلَّصُوا أَيْتَمُش مِن اعْتِقالِه، وَفَتَقَ مَمالِيكُ السُّلْطانِ السِّجْنَ الّذي كانُوا فيه بِقَلْعَةِ دِمَشْق، وَخَرَجُوا واعْصَوْصَبُوا عَلَى أَيْتَمُش قَبْلَ مَجِيءِ الجُوبانِي، وَبَعَثَ بالخَبَرِ، وَبَعَثَ إلى السُّلْطانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْه السُّلْطانُ بالمُقامِ بالقَلْعَةِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ أَمْرِ عَدُوِّه.

ثُمَّ كانَ بَعْدَ ذَلِكَ واقِعَةُ الجُوبانِي مَعَ مِنْطاش وَالعَرَبِ وَمَقْتَلُه، وَوِلايَةُ النّاصِرِيِّ عَلَى دِمَشْقَ مَكانَه، ثُمَّ افْتَرَقَ العَرَبُ وَفارَقَهم مِنْطاش إلى بِلادِ[ا] التُّرْكُمانِ، وَانْتَظَمَتْ [مَمالِكُ][ب] الشّامِ في مَمْلَكَةِ السُّلْطانِ، وَاسْتَوْسَقَ مُلْكُه، وَاسْتَفْحَلَتْ دَوْلَتُه، فاسْتَدْعَى [الأَمِيرَ][ج] أَيْتَمُش مِنْ قَلْعَةِ دِمَشْق، وَسارَ لاسْتِدْعائِه قُنُقْ باي [الأَحْمَدِي][(1)]، مِنْ مَمالِيكِ السُّلْطانِ، ثامِنَ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ ثَلاثٍ وَتِسْعِينَ[(2)]، وَوَصَلَ إِلى مِصْرَ رابِعَ جُمادَى [الأُولَى][د] مِنَ السَّنَة، وَوَصَلَ في رِكابِه حاجِبُ الحُجّابِ بِدِمَشْق، وَمَعَه الأُمَراءُ الذين حُبِسُوا بالشّامِ، مِنْهُم: جَنْتَمُر، نائِبُ دِمَشْق، وَابْنُهُ وابنُ أُخْتِه وأُسْتادارُهُ آلْطُنْبُغا، ودِمِرْداش اليُوسُفِيُّ نائِبُ طَرابُلُس، وآلْطُنْبُغا الحَلَبِي، والقاضِي أَحْمَدُ بنُ القُرَشِيِّ، وفَتْحُ الدِّين [مُحَمَّدُ بنُ إِبْراهِيمَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ][(3)] بنِ الشَّهِيد كاتِبِ السِّرِّ، في سِتَّةٍ وثَلاثِينَ نَفَراً مِنَ الأُمَراءِ وَغَيْرِهم[(4)].

(ا) في س: بلد. (ب) من س، وفي ظ: ممالك. (ج) من س. (د) من س، وفي ظ: أول.

(1) إضافة للتوضيح من السلوك 3: 735، النجوم الزاهرة 12: 19.
(2) السلوك 3: 735.
(3) من السلوك 3: 736 - 737.
(4) السلوك 3: 736 - 737.

ولمّا وَصَلَ أيتمُش قابَلَه السُّلْطَانُ بالتَّكْرِمَةِ والرَّحْبِ، وعَرَضَ الحَاجِبُ المَسَاجِينَ الذين مَعَه، وَوَبَّخَ السُّلْطَانُ بَعْضَهم، ثُمّ حُبِسُوا بالقَلْعَةِ حَتَّى نَفَذَ فِيهِم قَضَاءُ الله، وقُتِلُوا مَعَ غَيْرِهم مِمَّنْ أَوْجَبَتِ السِّيَاسَةُ / قَتْلَهم[1]. [1402]

هَدِيَّةُ إفْرِيقِيَّة

كَانَ السُّلْطَانُ قَدْ حَصَلَ بَيْنَه وبَيْنَ صَاحِبِ[أ] إفْرِيقِيَّةَ، أبي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بن مُحَمَّدِ ابن السُّلْطَانِ أبي بَكْرٍ مِن بَنِي أبي حَفْصٍ المُوَحِّدِينَ، مَوَدَّةٌ والْتِحَام، وَكَانَتْ كَثِيرًا مَا تُجَدِّدُهَا الهَدَايَا مِنَ الجَانِبَيْنِ وَتُؤَكِّدُهَا، وَلَمَّا بَلَغَ الخَبَرُ إلى تُونِس بِنَكْبَةِ السُّلْطَانِ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِه، امْتَعَضَ له هَذَا السُّلْطَانُ بِتُونِس وتَفَجَّعَ لِشَأْنِه، وَأَقَامَ يَسْتَطْلِعُ خَبَرَه وَيَسْتَكْشِفُ، مِنَ [التُّجَّارِ][2] الذين بِمِصْرَ مِنْ أَهْلِ تُونِسَ، أَنْبَاءَه، حَتَّى وَقَفَ عَلَى الجَلِيِّ مِنْ أَمْرِه، وَمَا كَيَّفَ اللهُ مِن أَسْبَابِ السَّعَادَةِ في خَلَاصِه وَعَوْدِه إلى كُرْسِيِّه، فَمَلَأَ السُّرُورُ جَوَانِحَه، وَأَوْفَدَ عَلَيْه بِالتَّهْنِئَةِ رَسُولَه بِهَدِيَّةٍ مِنَ المُقَرَّبَاتِ عَلَى سَبِيلِ الوِدَادِ مَعَ خَالِصَتِه مِنْ كُبَرَاءِ المُوَحِّدِينَ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بن [أبي][ب] هِلَال.

فَوَصَلَ في [العَشْرِ][ج] الآخِرِ[ةِ][3] مِن رَمَضَانِ اثْنَتَيْنِ وتِسْعِين، فَتَلَقَّاه السُّلْطَانُ بِالكَرَامَةِ، وَرَكِبَ مَحْمُودٌ أُسْتَادَار لِتَلَقِّي[د] نُزُولِه مِنَ البَحْرِ بِسَاحِلِ بُولَاق، وأُنْزِلَ

(أ) في س: سلطان. (ب)، (ج) من س. (د) في س: لتلقيه.

---

(1) السلوك 3: 737.

(2) في الأصول: التجر، والتصويب يتفق مع السياق.

(3) في تاريخ ابن الفرات 9: 222، السلوك 3: 724: ثاني عشري.

بِبَيْتِ طُشْتَمُرْ بِالرَّمِيلَةِ قُبَالَةَ الإِصْطَبْلِ، وَأُجْرِيَتْ عَلَيْهِ النَّفَقَةُ بِمَا لَمْ يَجْرِ لأَمْثَالِه[1]، وَرَغِبَ مِنَ السُّلْطَانِ فِي الحَجِّ، فَزَوَّدَه وَحَمَلَه، وَتَأَنَّقَ لَه فِي الخِيَامِ وَالأَبْنِيَةِ، فَقَضَى فَرْضَه وَعَادَ[2].

وَبَعَثَ السُّلْطَانُ مَعَه هَدِيَّةً إِلَى مُرْسِلِه، مِنْ ثِيَابِ الوَشْيِ وَالدِّيبَاجِ وَالسِّلَاحِ لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهَا، وَانْصَرَفَ آخِرَ رَبِيع [الأَوَّلِ سَنَةَ][3] ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ[4].

حِصَارُ مِنْطَاش لِدِمَشْقَ، وَمَسِيرُ السُّلْطَانِ مِن مِصْرَ إِلَيْه وفِرَارُهُ، وَمَقْتَلُ النَّاصِرِي

لَمْ يَزَلْ مِنْطَاش شَرِيداً عِنْدَ التُّرْكُمَانِ مُنْذُ فَارَقَ العَرَبَ، وَلَمَّا كَانَ مُنْتَصَفُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ اعْتَزَمَ عَلَى قَصْدِ دِمَشْقَ، وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ بِإِغْرَاءِ النَّاصِرِي، يُخَادِعُه بِذَلِكَ لِيَقْبِضَ[(1)] عَلَيْه. فَسَارَ مِنْطَاشُ مِنْ مَرْعَش عَلَى نَوَاحِي حَلَب، وَتَقَدَّمَ خَبَرُه إِلَى حَمَاةَ فَهَرَبَ نَائِبُهَا إِلَى طَرَابُلُس، وَدَخَلَ مِنْطَاشُ حَمَاةَ وَنَادَى فِيهَا بِالأَمَانِ، [402 ب] ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى حِمْص كَذَلِكَ، ثُمَّ إِلَى بَعْلَبَكَّ، وَهَرَبَ / نَائِبُهَا إِلَى دِمَشْق، فَخَرَجَ

(1) في س: حتى يقبض.

---

(1) في تاريخ ابن الفرات 9: 222: ورتب له في كل يوم مائة درهم، وهذا شيء لم يتفق لأحد من رسل ملوك تونس، وينظر السلوك 3: 724.

(2) تاريخ ابن الفرات 9: 222.

(3) من السلوك 3: 735.

(4) ينظر نص الرسائل المتبادلة في تاريخ ابن الفرات 9: 222 – 232، صبح الأعشى 8: 79 – 84، 7: 379 – 384.

النَّاصِرِيُّ، نَائِبُ دِمَشْقَ فِي العَسَاكِرِ لِمُدَافَعَتِه، وَسَارَ عَلَى طَرِيقِ الزَّبَدَانِي، فَخَالَفَه مِنطَاش إِلَى دِمَشْقَ وَقَدَّمَ إِلَيْهَا أَحْمَد [شُكْر][1] ابنَ أَخِي بَيْدَمُر، فَثَارَ شِيعَةُ الخُوَارَزْمِيَّة وَالبَيْدَمُرِيَّة، وَفَتَحُوا لَه أَبْوَابَ البَلَدِ، وَمَرَّ بِالاسْطَبْلاتِ فَقَادَ مِنْهَا نَحْوًا مِنْ ثَمَانِ مِائَة فَرَسٍ[2].

وَجَاءَ مِنطَاش مِنَ الغَدِ عَلَى أَثَرِه فَنَزَلَ بِالقَصْرِ الأَبْلَقِ[3]، وَأَنْزَلَ الأُمَرَاءَ الذِين مَعَه فِي البُيُوتِ حَوَالَي القَصْرِ، وَفِي جَامِعِ تَنْكِز وَجَامِعِ يَلْبُغَا، وَشَرَعَ فِي مُصَادَرَةِ النَّاسِ وَالفَرِيضَةِ(أ) عَلَيْهِم، وَأَقَامَ يَوْمَه ذَلِك، وَإِذَا بِالنَّاصِرِيِّ قَدْ وَصَلَ فِي عَسَاكِرِه، فَاقْتَتَلُوا عَشِيَّ ذَلِكَ اليَوْمِ مَرَّاتٍ، وَمِنَ الغَدِ كَذَلِك، وَأَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي حَوْمَتِه، وَالقِتَالُ مُتَّصِلٌ بَيْنَهُمَا سَائِرَ رَجَبٍ وَشَعْبَان.

وَلَمَّا بَلَغَ الخَبَرُ إِلَى السُّلْطَانِ بِمِصْرَ ارْتَابَ بِالنَّاصِرِيِّ وَاتَّهَمَه بِالمُدَاهَنَةِ فِي أَمْرِ مِنطَاش، وَتَجَهَّزَ لِقَصْدِ الشَّامِ، وَنَادَى فِي العَسَاكِرِ بِذَلِكَ عَاشِرَ شَعْبَان، وَقَتَلَ أَهْلَ الخِلافِ مِنَ الأُمَرَاءِ المَحْبُوسِين، وَأَشْخَصَ البَطَّالُونَ مِنَ الأُمَرَاءِ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّة وَدِمْيَاط، وَخَرَجَ يَوْمَ عِشْرِينَ شَعْبَان فَخَيَّمَ بِالرِّيدَانِيَّة حَتَّى أَزَاحَ عِلَلَ العَسَاكِرِ وَقَضَوْا حَاجَاتِهِم، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى القَاهِرَةِ الأَتَابِك كَمُشْبُغَا الحَمَوِيَّ، وَأَنْزَلَه بِالإِصْطَبْلِ، وَجَعَلَ لَه التَّصَرُّفَ فِي التَّوْلِيَةِ وَالعَزْلِ، وَنَزَّلَ بِالقَاهِرَةِ مِنَ الأُمَرَاءِ جَمَاعَةً لِنَظَرِ الأَتَابِكِ

(أ) في س: والفرضة.

(1) في الأصول: شكار، والتصويب من السلوك 3: 741، وفي النجوم الزاهرة 12: 22: أحمد بن شكر.

(2) وخرج (أحمد شكر) في يوم الأحد تاسع عشرين جمادى الآخرة. السلوك 3: 741، النجوم الزاهرة 12: 22.

(3) في أول شهر رجب. السلوك 3: 741، النجوم الزاهرة 12: 22.

وَتَحتَ أمرِه، وَأنزَلَ النَّائِبَ سُودُون بِالقَلْعَةِ، وَتَرَكَ بها سِتَّ مائة مِنْ [مَمَالِيكِه](أ) الأَصَاغِرِ، وَأخرَجَ مَعَه القُضَاةَ الأَربَعَةَ وَالمُفتِين، وَارتَحَلَ غُرَّةَ رَمَضَان(1) مِنَ السَّنَةِ بِقَصْدِ الشَّام.

وَجَاءَ الخَبَرُ رَابِعَ الشَّهرِ، بِأنَّ مِنطَاش لَمَّا بَلَغَه مَسِيرُ السُّلطَانِ مِنْ مِصْرَ هَرَبَ مِنْ دِمَشق مُنتَصَفَ شَعْبَان مَعَ عَنقَاءَ بنِ شَطِّي أَمِير آلِ مِرَّا، وَافتَرَقَ عَنه أَصْحَابُه إلى طَاعَةِ السُّلطَانِ(2)، وَرَكِبَ النَّاصِرِيُّ مِنَ الغدِ في اتبَاعِه، فَلَقِيَ نُعَيْرَ بنَ [403 أ] حَيَّار قَدْ جَاءَ لِصَرِيخِ مِنطَاش، فَكَانَتْ بَيْنَهما وَاقِعَةٌ(ب) انهَزَمَ فِيها النَّاصِرِيُّ، / وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الشَّام، نَحوَ خَمسَةَ عَشَرَ، فِيهِم إبْرَاهِيمُ بنُ مَنجَك وَغَيرُه، ثُمَّ خَرَجَ النَّاصِرِيُّ مِنَ الغدِ في اتبَاعِ مِنطَاش، وَقَدْ ذُكِرَ لَه أَنَّ الفَلَّاحِينَ بِزُرَع(3) مِنْ نَوَاحِي دِمَشق، احتَاطُوا بِه، فَرَكِبَ إلَيه مِنطَاشُ لِيُقَاتِلَه، فَفَارَقَه أتَابكُه تُمَانُ تَمُرْ إلى النَّاصِرِيِّ في أكثَرِ العَسكَرِ، وَوَلَّى هَارِباً، وَرَجَعَ النَّاصِرِيُّ إلى دِمَشق وَأكرَمَ تُمَان تَمُر، وأجمَلَ لَه الوَعْدَ، وَجَاءَه الخَبَرُ بأنَّ السُّلطَانَ قَدْ دَخَلَ حُدودَ الشَّام، فَسَارَ لِتَلَقِّيه، فَلَقِيَه بِقَاقُون(4).

وَبَالَغَ السُّلطَانُ في تَكرِمَتِه، وَتَرَجَّلَ حِينَ تَرَجَّلَ لَه، وَعَانَقَه، وَأَرْكَبَه مَقْرَبَه، وَرَدَّه إلى دِمَشق، ثُمَّ سَارَ في أثَرِه إلى أنْ وَصَلَ دِمَشق، وخَرَجَ النَّاصِرِيُّ ثَانِيَةً

(أ) من س، وفي ظ: المماليك. (ب) في س: وقعة.

(1) في سادس عشرينه (شعبان 793 هـ). السلوك 3: 746، النجوم الزاهرة 12: 28.
(2) السلوك 3: 747.
(3) هي قرية بُسْر من قرى حوران إلى جنب زُرَّة، وزُرَع هي تسمية العامة لها. معجم البلدان 1: 420.
(4) في السلوك 3: 748: بمنزلة اللجون.

وَدَخَلَ القَلْعَةَ ثَانِي عَشَرَ[أ] رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ، وَالأُمَرَاءُ مُشَاةٌ بَيْنَ يَدَيْه، وَالنَّاصِرِيُّ رَاكِبٌ مَعَه يَحْمِلُ الجِتْرَ[1] عَلَى رَأْسِه.

وَبَعَثَ إِلَيْه نُعَيْرٌ فِي كِتَابِ نَائِبِ حَمَاةَ بِالعُذْرِ عَمَّا وَقَعَ مِنْه، وَأَنَّه اتَّهَمَ النَّاصِرِيَّ فِي أَمْرِ مِنْطَاش، فَقَصَدَ حَسْمَ العِلَّةِ فِي ذَلِكَ، وَاسْتَأْمَنَ السُّلْطَانَ، وَضَمِنَ لَه إِحْضَارَ مِنْطَاش مِنْ حَيْثُ كَانَ، فَأَمَّنَه، وَكَتَبَ إِلَيْه، فَأَجَابَه سُؤَالَه.

وَلَمَّا قَضَى عِيدَ الفِطْرِ بَرَزَ مِنْ دِمَشْقَ سَابِعَ[2] شَوَّالٍ إِلَى حَلَبَ فِي طَلَبِ مِنْطَاش، وَلَقِيَه فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِه رَسُولُ[3] سُولِي بنُ دُلْغَادِر، أَمِيرُ التُّرْكُمَان، بِهَدِيَّتِه وَاسْتِئْمَانِه وَعُذْرِه عَنْ [تَعَرُّضِه لِسِيس][ب]، وَأَنَّه سَلَّمَهَا لِنَائِبِ حَلَب، فَتَقَبَّلَ السُّلْطَانُ مِنْه وَأَمَّنَه وَوَعَدَه بِالجَمِيلِ.

ثُمَّ وَفَدَ عَلَيْه أُمَرَاءُ آلِ مهنَّا[ج] وَآلِ عِيسَى بِالطَّاعَةِ وَمُظَاهَرَةِ السُّلْطَانِ عَلَى مِنْطَاش وَنُعَيْر، وَأَنَّهُمَا نَازِلانِ بِالرَّحْبَةِ مِنْ تُخُومِ الشَّام، فَأَكْرَمَ السُّلْطَانُ وِفَادَتَهُم وَتَقَبَّلَ طَاعَتَهُم، وَسَارَ إِلَى حَلَبَ وَنَزَلَ بِالقَلْعَةِ مِنْهَا[د] ثَانِيَ [عَشْرِي][هـ] شَوَّال.

ثُمَّ وَصَلَ الخَبَرُ إِلَى السُّلْطَانِ بِأَنَّ مِنْطَاش فَارَقَ نُعَيْراً وَمَرَّ بِبِلادِ صَاحِبِ مَارْدِينَ فَوَاقَعَتْه عَسَاكِرُه هُنَاكَ، وَقَبَضُوا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِه، وَخَلَصَ هُوَ مِنَ

(أ) في س: عشرين. (ب) من س: تعرض سيس. (ج) في س: أهل مهنا. (د) سقط من س.

(هـ) من س، وفي ظ: عشر.

---

(1) هو المظلّة تحمل على رأس السلطان مع أحد أكابر الأمراء المقدّمين وهو راكب فرساً إلى جانبه. صبح الأعشى 4: 46.

(2) ثاني شوال. النجوم الزاهرة 12: 30، وينظر السلوك 3: 750.

(3) دوادار الأمير سولي. السلوك 3: 750.

[403 ب] الوَاقِعَةِ إلى سَالِم الدُّوكاريّ(1) مِن أُمَرَاءِ التُّرْكُمَان، فَقَبَض / عَلَيه، وَأَرسَلَ إلى السُّلْطَانِ يُطَالِعُهُ بِشَأنِه، وَيَطْلبُ بَعْضَ أُمَرَاءِ السُّلْطَان لِيُسَلّمه إلَيه، وَأَرسَلَ صَاحِبُ مَارْدِينَ بالوَاقِعَةِ بَيْنَ عَسْكَرِه وَبَيْنَ مِنطَاش وَبِمَنْ قَبَض عَلَيه مِنْ أَصْحَابه وَمِنْهم: قَشْتَمُرُ الأَشْرَفِيُّ، وَيَطْلُبُ مَنْ يَحْمِلُهم إلى السُّلْطَانِ، فَأَرسَلَ السُّلْطَانُ قَرَا دِمِرْدَاش، *نَائِبَ حَلَب*(ا)، في عَسَاكِرِه إلى سَالِم الدُّوكَارِي لإحْضَارِ مِنطَاش، وَأَتْبَعَه بالنَّاصِرِيّ، وَأَرسَلَ الأَتَابِكَ إينَال إلى مَارْدِينَ لإحْضَارِ مَنْ حَصَلَ بِها مِنْ أَصْحَابِ مِنطَاش.

وَانْتَهى إينَالُ إلى رَأْسِ العَيْنِ، وَلَقِيَ أَصْحَابَ سُلْطَان مَارْدِينَ وَتَسَلَّمَ مِنْهم أَصْحَابَ مِنطَاش، وَكِتَابَ سُلْطَانِهم بِأَنَّه مُعْتَمِلٌ في مَقَاصِدِ السُّلْطَانِ وَمُتَرَصِّدٌ لِعَدُوِّه(2).

وَانْتَهى قَرَا دِمِرْدَاش إلى سَالِم الدُّوكَارِي وَأَقَامَ عِنْدَه أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ في طَلَبِ مِنطَاش وَهُوَ يُمَاطِلُه، فَأَغَارَ قَرَا دَمِرْدَاش عَلَيه وَنَهَبَ أَحْيَاءَه وَفَتَكَ في قَوْمِه، وَهَرَبَ هُو وَمِنطَاش إلى سِنجَار، وَجَاءَ النَّاصِرِيُّ إثْرَ(ب) ذَلِك، وَنَكِرَ عَلَى دَمِرْدَاش مَا أَتَاه، وَارْتَفَعَتِ المُلاحَاةُ بَيْنَهما حَتّى هَمَّ النَّاصِرِيُّ بِه وَرَفَعَ الآلَةَ لِضَرْبِه، وَلَمْ يَحْلُ أَحَدٌ مِنْهما بِطَائِلٍ، وَرَجَعُوا بِالعَسَاكِرِ إلى السُّلْطَان(3).

(ا) سقط ما بين النجمين من س. (ب) في س: على إثر ذلك.

---

(1) في السلوك 3: 751: سالم الذكرى، وينظر النجوم الزاهرة 12: 32.

(2) السلوك 3: 752.

(3) المصدر نفسه 3: 752.

وَكَتَبَ إِلَيْه سَالِمٌ الدُّوكَارِيُّ بِالعُذْرِ عَنْ أَمْرِ مِنْطَاش، وَأَنَّ النَّاصِرِيَّ كَتَبَ إِلَيْه وَأَمَرَه بِالمحافظَةِ عَلَى مِنْطَاش، وَأَنَّ فِيه زَبُوناً[1] للتُّرْكِ.

فجَلَسَ السُّلْطَانُ بِالقَلْعَةِ جُلوساً فَخْماً سَادِسَ ذِي الحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ، وَاسْتَدْعَى النَّاصِرِيَّ فَوَبَّخَه، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْه، وَعَلَى مُؤَاخِيه كِشْلِي، وَرَأْسِ نَوْبَتِه شَيخ حَسَن، وَعَلَى أَحْمَدَ بن المِهْمَنْدَار الَّذِي أَمْكَنَه مِنْ قَلْعَة حَلَب، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِم، وَقَشْتَمُرُ الأَشْرَفِيُّ الَّذِي وَصَلَ مِنْ مَارْدِينَ مَعَهم، وَوَلَّى عَلَى نِيَابَةِ دِمَشْقَ مَكَانَه بُطَا الدَّوَادَار، وَأَعْطَى إِقْطَاعَه لِقَرَا دِمِرْدَاش وَأَمَرَه بِالمَسِيرِ إِلى مِصْرَ، وَوَلَّى مَكَانَه بِحَلَبَ جُلْبَان رَأْسَ نَوْبَة، وَوَلَّى أَبَا يَزِيدَ دَوَادَاراً مَكَانَ بُطَا، وَرَعَى لَه وَسَائِلَه فِي الخِدْمَة وَتَرَدُّدَه فِي السِّفَارَةِ بَيْنَه وَبَيْنَ النَّاصِرِيِّ / [140أ] أَيَّامَ مَلَكَ الشَّامَ، وَأَجْلَبَ عَلَى مِصْرَ، وَأَشَارَ عَلَيْه النَّاصِرِيُّ بِالاخْتِفَاءِ، كَمَا ذَكَرْنَاه، فَاخْتَفَى عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِ أَبِي يَزِيدَ هَذَا بِسِعَايَتِه فِي ذَلِكَ[2].

ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْ حَلَبَ وَوَصَلَ إِلى(أ) دِمَشْقَ مُنْتَصَفَ[3] ذِي الحِجَّة، وَقَتَلَ بِهَا جَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ أَهْلِ الفَسَادِ، يَبْلُغُونَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ [أَمِيرًا](ب)، وَوَلَّى عَلَى العَرَبِ مُحَمَّدَ بنَ قَارَا بن مُهَنَّا[4]، وَأَعْطَى إِقْطَاعَ نُعَيْر لِجَمَاعَةٍ مِنَ التُّرْكُمَان، وَقَفَلَ إِلى

(أ) سقط من س. (ب) من س.

---

(1) زبوناً للترك: دفعاً للترك.

(2) السلوك 3: 753.

(3) في ثالث عشره. السلوك 3: 753، النجوم الزاهرة 12: 34.

(4) السلوك 3: 774.

مِصْرَ، وَلَقِيَه الأَتَابِكُ كَمُشْبُغَا وَالنَّائِبُ سُودُون وَالحُجَّابُ بِبِلْبِيس، ثُمَّ دَخَلَ إلى القَلْعَةِ عَلَى التَّعْبِئَة مُنْتَصَفَ مُحَرَّم أَرْبَعٍ وتِسْعِينَ في يَوْمٍ مَشْهُود[1].

وَوَصَلَ الخَبَرُ لِعَاشِرَةِ دُخُولِه[2] بِوَفَاةِ بُطَا نَائِبِ دِمَشْق، فَوَلَّى مَكَانَه سُودُون الطُّرُنْطَاي، ثُمَّ قَبَضَ في مُنْتَصَفِ[3] صَفَرٍ عَلَى قَرَا دِمِرْدَاش الأَحْمَدِيّ وهَلَكَ في مَحْبِسِه، وَقَبَضَ عَلَى أَلْطُنْبُغَا المُعَلِّم وَقُرْدُم الحَسَنِي[4].

وَجَاءَ الخَبَرُ آخِرَ صَفَرٍ مِنَ السَّنَة بِأَنَّ جَمَاعَةً مِنَ المَمَالِيكِ ـ مُقَدَّمُهم أَقْبُغَا دَوَادَارُ بِزْلار ـ لَمَّا هَلَكَ بُطَا وَاضْطَرَبَ أَصْحَابُه وَهَرَبَ بَعْضُهم، عَمَدَ هَؤُلاءِ المَمَالِيكُ إلى قَلْعَةِ دِمَشْقَ فَهَجَمُوا عَلَيْهَا وَمَلَكُوهَا، وَفَتَقُوا السِّجْنَ وَأَخْرَجُوا المُعْتَقَلِينَ به مِنْ أَصْحَابِ النَّاصِرِيّ ومِنْطَاش، وَهُمْ نَحْوُ المائة، وَرَكِبَتِ العَسَاكِرُ إِلَيْها وَحَاصَرُوهَا ثَلاثًا، ثُمَّ هَجَمُوا إلى البَابِ فَأَحْرَقُوه وَدَخَلُوا إلى القَلْعَةِ فَقَبَضُوا عَلَيْهم أَجْمَعِينَ وَقَتَلُوهم، وَأَفْلَتَ أَقْبُغَا دَوَادَارُ بِزْلارَ في خَمْسَةِ نَفَرٍ، وَانْحَسَمَتْ[ا] عَلَيْهِم[5].

ثُمَّ وَصَلَ الخَبَرُ آخِرَ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ بِوَفَاةِ سُودُون الطُّرُنْطَاي، فَوَلَّى السُّلْطَانُ مَكَانَه كَمُشْبُغَا الأَشْرَفِيَّ أَمِيرَ مَجْلِس[6]، وَوَلَّى مَكَانَ كَمُشْبُغَا أَمِيرَ شَيْخ الخَاصِكي.

(ا) في س: وحسمت.

---

(1) السلوك 3: 760 – .

(2) في خامس عشرينه (محرم 794 هـ). السلوك 3: 761.

(3) في ثانى عشر. في السلوك 3: 762، والنجوم الزاهرة 12: 34.

(4) السلوك 3: 762.

(5) السلوك 3: 762 - .

(6) المصدر نفسه 3: 768.

مَقتَلُ منطاش

كَان مِنطَاش مُنذُ فَرَّ معَ سَالِم الدُّوكَارِيِّ إلى سِنجَار أقَامَ مَعَه أيَّاماً، ثُمّ فارَقَه ولَحِقَ بنُعَيْرٍ فأقَامَ في أحْيَائِه، وَأصْهَرَ إلَيْه بَعْضُ أهْلِ الحَيِّ بِابْنَتِه فتَزوَّجهَا وأقَامَ معَهم، ثُمّ سَارَ أوّلَ رَمَضَان أرْبَعٍ وتِسعِين وَعَبَرَ الفُرَاتَ إلى نَوَاحِي حَلَب، وَوَاقَعَتْه العَسَاكِرُ هُنَالِكَ / وَهَزَمُوه وَأسَرُوا جَمَاعَةً مِنْ أصْحَابِه[1]، ثُمّ طَالَ عَلَى نُعَيْرٍ أمَدُ [404ب] الخِلَافِ، وَضَجِرَ قَوْمُه مِنَ افتِقَادِ المِيرَة مِنَ التُّلُولِ، فَأرْسَلَ حَاجِبَه يَسْألُ الأمَانَ، وَأنَّه يُمَكِّنُ مِن مِنطَاش عَلَى أنْ يُقْطِعَ أرْبَعَةَ بِلَادٍ مِنْهَا المَعَرَّة، فَكَتَبَ لَه الدَّوَادَارُ أبُو يَزِيد عَلَى لِسَانِه بالإجَابَةِ إلى ذَلِكَ.

ثُمّ وَفَدَ مُحَمَّدُ بنُ قَارَا في[2] جُمَادَى [الأولى[3] سنةَ] خَمْسٍ وَتِسْعِين فَأخْبَرَ بِأنَّه كَان مُقِيماً بِأنحَاءِ سَلَمِيَّة في أحْيَائِه، وَمَعَه التُّرْكُمَانُ المُقِيمُون بِشَيْزَر في إقْطَاعِ نُعَيْر فَأغَارَ عَلَيْهم نُعَيْرٌ ومِنطَاش، بَعْدَ أنِ اسْتَجَاشُوا بابنِ بَرْدُعَان[4] وابنِ يَنَالَ[5] مِنَ التُّرْكُمَان، فَرَكِبُوا إلَيْهِم وَهَزَمُوهم، وَضَرَبَ بَعْضُ الفُرْسَانِ مِنطَاش فَأكَبَّه وَجَرَحَه، وَلَم يُعْرَف في المَعْرَكَة لِتَشَوُّهِ صُورَتِه بِمَا أصَابَه مِنَ الشَّظَفِ وَالجَلَاءِ، فَأرْدَفَه ابنُ نُعَيْر ونَجَا بِه، وَقُتِلَ مِنْهم جَمَاعَةٌ، فِيهِم: ابنُ بَرْدُعَان، وابنُ يَنَال، وَجِيءَ بِرَأسَيْهِمَا إلى

---

(1) السلوك 3: 768.

(2) في المصدر نفسه 3: 782: في تاسع عشرين.

(3) من المصدر نفسه 3: 782.

(4) في المصدر نفسه 3: 782: ابن بزدغان.

(5) في المصدر نفسه 3: 782: ابن أينال التركماني.

دِمَشق[1]، وَأَوْعَزَ السُلْطَانُ إلى أُمَرَاءِ الشَّام أَنْ يَخْرُجوا بالعَسَاكِرِ وَيَقِفُوا عَلى حُدُودِ البِلَادِ لِحِمَايَتِها حَتّى يَرْفَعَ النَّاسُ زُرُوعَهم(ا).

ثُمّ زَحَفَ نُعَيْرٌ وَمِنْطَاش فِي العَسَاكِرِ أَوَّلَ جُمادَى الآخِرَة مِنَ السَّنَة إلى سَلَمِيَّة فَلَقِيَهم نَائِبُ حَمَاة وَنَائِبُ طَرَابُلُس فَهزَمُوهما وَنَهَبُوا حَمَاة، وَخَالَفَهم [جُلْبَانُ][2] نَائِبُ حَلَبَ إلى أَحْيَاءِ نُعَيْرٍ، فَأَغَارَ عَلَيْها وَنَهَبَ سَوَادَها وَأَمْوَالَها وَاسْتَاقَ نِعَمَها وَمَوَاشِيَها، وَأَضْرَمَ النَّارَ فِيما بَقِيَ، وَأَكْمَنَ لَهم يَنْتَظِرُ رُجُوعَهم، وَبَلَغَهم الخَبَرُ بِحَمَاة فَأَسْرَعُوا الكَرَّ إلى أَحْيَائِهم، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الكُمَنَاءُ وَأَثْخَنُوا فِيهم، وَهَلَكَ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ مِنَ العَرَبِ وَالأُمَرَاءِ وَالمَمَالِيكِ[3].

ثُمّ وَفَدَ عَلَى السُلْطَان آخِرَ[4] شَعْبَانَ عَامِرُ بنُ [ظَالِم][5] بنِ حَيَّارٍ طَائِعًا لِلسُلْطَانِ وَمُنَابِذًا لِعَمِّه، وَذَكَرَ أَنَّ بَنِي نُعَيْر عَلى طَاعَةِ السُلْطَانِ، وَأَنَّهم يُمَكِّنُون مِنْ مِنْطَاش مَتَى طُلِبَ مِنهم، فَأَقْبَلَ عَلَيْه السُلْطَانُ وَأَثْقَلَ كَاهِلَه بالإِحْسَانِ وَالمَوَاعِدِ، وَدَسَّ مَعَه إلى بَنِي نُعَيْرٍ بِإِمْضَاءِ ذَلِكَ، وَلَهم مَا يَخْتَارُونَه. فَلَمّا رَجَعَ إلَيْهم عَامِرٌ ابنُ عَمِّهم ظَاهِراً بِمَوَاعِدِ السُلْطَانِ، تَفَاوَضُوا مَعَ آلِ مُهَنّا جَمِيعاً وَرَغَّبُوهم / فِيمَا عِنْدَ السُلْطَانِ، وشَاكَوْهُم مَا هم فِيه مِنَ الضَّنْكِ وَسُوءِ العَيْشِ بِالخِلَافِ وَالانْحِرَافِ عَنِ

(ا) في س: زرعهم.

---

(1) السلوك 3: 782.

(2) من المصدر نفسه 3: 783.

(3) المصدر نفسه 3: 783.

(4) في المصدر نفسه 3: 785: سابع عشرينه.

(5) في الأصول: طاهر، انظر إنباء الغمر 1: 452، السلوك 3: 785.

الطَّاعَة، وَغَدَوْا عَلَى نُعَيْر بِأَن يُجِيبَهم إلى إحْدَى الحُسْنَيَيْن: مِن إمْسَاكِ مِنْطَاش أَوْ تَخْلِيَة سَبِيلِهم إلى طَاعَةِ السُّلْطَانِ، وَيُفَارِقَهم هُوَ إلى حَيْثُ يَشَاءُ مِنَ البِلَادِ. فَجَزِعَ لِذَلِك وَلَم يَسَعْهُ خِلَافُهم، وَأَذِنَ لَهم في القَبْضِ عَلَى مِنْطَاش وَتَسْلِيمِه إلى نُوَّابِ السُّلْطَانِ، فَقَبَضُوا عَلَيْه، وَبَعَثُوا إلى نَائِبِ حَلَبَ فِيمَنْ يَتَسَلَّمُه، وَاسْتَحْلَفُوه عَلَى مَقَاصِدِهم مِنَ السُّلْطَانِ لَهم وَلأَبِيهم نُعَيْر، فَحَلَفَ لَهم، وَبَعَثَ إلَيْهم بَعْضَ أُمَرَائِه فَأَمْكَنُوه مِنْه، وَبَعَثُوا مَعَه الفُرْسَانَ والرَّجَّالَةَ لِيُوصِلُوه، وَدَخَلَ إلى حَلَبَ في يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَحُبِسَ بِالقَلْعَة[1]، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ أَمِيراً مِنَ القَاهِرَةِ فَامْتَحَنَه ثُمَّ قَتَلَه[2]، وَحَمَلَ رَأْسَه وَطَافَ بِها في مَمَالِكِ الشَّام، وَجَاءَ بِها إلى القَاهِرَة حَادِيَ عَشَرَ[3] رَمَضَانِ خَمْسٍ وَتِسْعِين فَعُلِّقَتْ عَلَى بَابِ القَلْعَةِ، ثُمَّ طِيفَ بِها عَلَى مِصْرَ وَالقَاهِرَةِ، وَعُلِّقَتْ عَلَى بَابِ زُوَيلَة، ثُمَّ دُفِعَتْ إلى أَهْلِه فَدَفَنُوهَا أَوَاخِرَ رَمَضَان[4] مِنَ السَّنَة[5]، واللهُ وَارِثُ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْها.

حَوَادِثُ مَكَّة

قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ عِنَانَ بنَ مُغَامِس وَلَّاه السُّلْطَانُ عَلَى مَكَّةَ بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عَجْلان في مَوْسِمِ ثَمَانٍ وَثَمَانِين[6]، وَأَنَّ كُبَيْش بنَ عَجْلَانَ أَقَامَ عَلَى

(1) السلوك 3: 785.

(2) درة الأسلاك (حوادث 795 هـ)، المنهل الصافي 4: 94.

(3) حادي عشرينه. السلوك 3: 786.

(4) في سادس عشرينه. المصدر نفسه 3: 787.

(5) المصدر نفسه 3: 786 – 787.

(6) المصدر نفسه 3: 550، 555، وينظر ما سبق ص 530 – .

خِلافِه وَحاصَرَه بِمَكَّة، فقُتِلَ [كُبَيْش][1] في حَوْمَةِ الحَرْبِ سَنَةَ تِسْعٍ بَعْدَها، وَسَاءَ أثَرُ عِنَان وَعَجَزَ عَنْ مُغَالَبَةِ الأَشْرَافِ مِنْ بَنِي عَمِّه وَسِوَاهم، وَامْتَدَّتْ أيْدِيهم إلى أمْوَالِ المُجَاوِرِينَ وَصَادَرُوهم عَلَيْها[2]، وَنَهَبُوا الزَّرْعَ الوَاصِلَ في الشَّوَانِي مِنْ مِصْرَ إلى جُدَّةَ للسُّلْطَانِ وَالأُمَرَاءِ وَالتُّجَّارِ، وَنَهَبُوا تُجَّارَ اليَمَن، وَسَاءَتْ أحْوَالُ مَكَّةَ بِهم وَبِتَابِعِيهم، وَطَلَبَ النَّاسُ مِنَ السُّلْطَانِ إعَادَةَ بَنِي عَجْلَانَ لإمَارَةِ مَكَّة.

وَوَفَدَ عَلَى السُّلْطَان بِمِصْرَ سَنَةَ تِسْعٍ وثَمَانِين صَبِيٌّ مِنْ أبْنَاءِ عَجْلَان اسْمُه [405ب] / عَلِيٌّ، فَوَلَّاهُ عَلَى إمَارَةِ مَكَّة، وَبَعَثَه مع [أميرِ][أ] الحَاجِّ[3]، وَأوْصَاهُ بِالإصْلَاحِ بَيْنَ الشُّرَفَاءِ. وَلَمَّا وَصَلَ الأمِيرُ إلى مَكَّة، وهُو يَوْمَئِذٍ قُرْقُمَاس، خَشِيَ الأشْرَافُ مِنْه، وَاضْطَرَبَ عِنَانٌ وَرَكِبَ لِلِقَائِه، ثُمَّ تَوَجَّسَ [الخِيفَةَ][ب] وَكَرَّ رَاجِعاً، واتَّبَعَ الأشْرَافَ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى مُنَابَذَةِ عَلِيِّ بنِ عَجْلَانَ وَشِيعَتِه مِنَ القُوَّادِ وَالعَبِيدِ[4].

وَوَفَدَ عِنَانُ بنُ مُغَامِس عَلَى السُّلْطَانِ سَنَةَ تِسْعِين[5]، فَقَبَضَ عَلَيْه وَحَبَسَه[6]، وَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا إلى أنْ خَرَجَ مع بُطَا عِنْدَ ثَوْرَتِه بِالقَلْعَةِ في صَفَرِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِين، وَبَعَثَه مع أخِيه أقْبُغَا يَسْتَكْشِفُ خَبَرَ السُّلْطَانِ، كَمَا مَرَّ. فَلَمَّا انْتَظَمَ أمْرُ السُّلْطَانِ سَعَى لَه بُطَا في العَوْدِ إلى إمَارَتِه، رَعْياً لِمَا كَانَ بَيْنَهما مِنَ العِشْرَةِ في السِّجْنِ،

(أ) من س. (ب) من س، وفي ظ: الخليفة.

---

(1) من السلوك 3: 566.

(2) المصدر نفسه 3: 566.

(3) المصدر نفسه 3: 567 - 568.

(4) العقد الثمين 6: 206.

(5) في تاسعه (شوال 790 هـ). السلوك 3: 583.

(6) في تاسعه (رمضان 791 هـ). السلوك 3: 651.

وَأسعفه السُلْطَانُ بِذَلِكَ، وَوَلَّاه شريكاً لِعَلِيّ بن عَجْلَان في الإِمَارَةِ[5]، فَأَقَامَا كَذَلِكَ سَنَتَيْن، وَأَمْرُهُما مُضْطَرِبٌ، وَالأَشْرَافُ مُعْصَوْصِبُونَ عَلَى عِنَان، وَهُو عَاجِزٌ عَنِ الضَّرْبِ عَلَى أَيْدِيهِم، وَعَلِيُّ بنُ عَجْلَانَ مع القُوَّادِ وَالعَبِيدِ كَذَلِكَ، وَأَهْلُ مَكَّةَ عَلَى وَجَلٍ مِنْ أَمْرِهِم وفي ضَجَرٍ مِنَ اخْتِلَافِ الأَيْدِي عَلَيْهِم.

ثُمّ اسْتَقْدَمَهُمَا السُلْطَانُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وتِسْعِين، فَقَدِمَا أَوَّلَ شَعْبَانَ مِن السَّنَةِ فَأَكْرَمَهُما، وَرَفَعَ مَجْلِسَ عَلِيّ عَلَى سَائِرِهِم[1]. وَلَمَّا انْقَضَى الفِطْرُ وَلَّى عَلِيَّ بنَ عَجْلَان عَلَى مَكَّةَ مُسْتَقِلاً، وَاسْتَبْلَغَ في الإِحْسَانِ إِلَيْه بِأَصْنَافِ الأَقْمِشَةِ وَالخُيُولِ وَالمَمَالِيكِ وَالحُبُوبِ، وَأَذِنَ لَه في اسْتِخْدَامِ مِائَةٍ مِنَ المَمَالِيكِ، وَسَارَ إِلى بَلَدِه[2].

وَأَمَرَ عِنَانَ بنَ مُغَامِس بِالمُقَامِ عِنْدَه بِمِصْرَ، وَرَتَّبَ لَه الجِرَايَةَ وَالعَلُوفَةَ فَوْقَ الكِفَايَةِ[3]، ثُمّ ظَهَرَ عَلَيْه بَعْدَ أَشْهُرٍ وَقَدْ أَعَدَّ الرَّوَاحِلَ لِيَلْحَقَ بِمَكَّةَ هَارِباً[أ]، فَقَبَضَ عَلَيْه وَحَبَسَه بِالقَلْعَةِ[4].

وَسَارَ عَلِيُّ بنُ عَجْلَانَ إِلى مَكَّةَ، وَقَبَضَ عَلَى الأَشْرَافِ لِتَسْتَقِيمَ إِمَارَتُهُ، ثُمّ خُودِعَ عَنْهُم فَأَطْلَقَهُم، فَنَفَرُوا عَنْه وَلَم يُعَاوِدُوا طَاعَتَه، فَاضْطَرَبَ أَمْرُه وَفَسَدَ رَأْيُه،

(أ) سقط من س.

---

(1) في رابعه (ربيع الآخر 792 هـ). السلوك 3: 711، وينظر العقد الثمين 6: 438.

(2) السلوك 3: 768.

(3) المصدر نفسه 3: 770، 772، العقد الثمين 6: 210، 440.

(4) المصدر نفسه 3: 772.

(5) المصدر نفسه 3: 783، وفي العقد الثمين 6: 440: في أثناء سنة 795 هـ.

وَهُو مُقِيمٌ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا العَهْدِ[1]، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

/ وُصُولُ صَاحِب بَغْدَادَ نَاجِيًا مِن الطَّطَرِ وسُلْطَانِهِم [تِيمُور][2]، واسْتِيلاؤُه عَلَيْهَا، ومَسِيرُ السُّلْطَانِ بالعَسَاكِرِ إليه

كَانَ هَؤلاءِ الطَّطَرُ مِنْ شُعُوبِ التُّرْكِ قَدْ مَلَكُوا جَوَانِبَ المَشْرِقِ مِنْ تُخُومِ الصِّينِ إلى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، ثُمَّ خُوَارِزْمَ وَخُرَاسَانَ وَجَانِبَيْهَا إلى سِجِسْتَانَ وَكَرْمَانَ جَنُوبًا، وبِلَادِ القَفْجَاقِ وَبُلْغَارَ شَمَالاً، ثُمَّ عِرَاقِ العَجَمِ وبِلادِ فَارِس وَأَذْرَبِيجَانَ وَعِرَاقِ العَرَبِ والجَزِيرَةِ وبِلادِ الرُّومِ، إلى أَنْ بَلَغُوا حُدُودَ الفُرَاتِ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الشَّامِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، كَمَا تَقَدَّمَ وَيَأْتِي فِي أَخْبَارِهِم.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنْهم مَلِكُهم جِنْكِزْ خَان أَعْوَامَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَة، وَاسْتَغَلُّوا بِهَذِهِ المَمَالِكِ كُلِّهَا، ثُمَّ انْقَسَمَتْ دُوَلُهم بَيْنَ بَنِيه فِيها، فَكَانَ لِبَنِي دُوشِي خَان مِنْهم: بِلادُ القَفْجَاقِ وَجَانِبُ الشَّمَالِ بِأَسْرِه، وَلِبَنِي هُولاكُو بن طُولِي خَان: بِلادُ خُرَاسَانَ وَالعِرَاقَيْنِ وَفَارِس وَأَذْرَبِيجَان وَالجَزِيرَة وَالرُّوم، وَلِبَنِي جَغَطَاي: خُوَارِزْمُ إلى تُرْكِسْتَانَ وَمَا بَيْنَهُمَا[أ]، وَاسْتَمَرَّتْ هَذه الدُّوَلُ الثَّلاثَةُ إلى هَذَا العَهْدِ فِي نَحْوِ مِنْ[ب] مِائَة وَثَمَانِينَ سَنَة، انْقَرَضَ فِيهَا مُلْكُ بَنِي هُولاكُو فِي سَنَة أَرْبَعِينَ مِنْ هَذِهِ المِائَة بِوَفَاة

(أ) في س: وما إليها. (ب) سقط من س.

(1) قتل علي بن عجلان يوم الأربعاء سابع شوال سنة 797 هـ. العقد الثمين 6: 213.

(2) في الأصول: تمر، انظر ما يلي من أخبار تيمور ص 651.

أبي سَعيد[1] آخِرهم ولَم يُعقِبْ، وافتَرَقَ مُلكُه بَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنْ أهلِ دَولَتِه في خُرَاسَان وأَصْبَهانَ وفارِسَ وعِرَاقِ العَرَبِ وأَذْرَبِيجَان وتَورِيز وبِلادِ الرُّوم:

فكَانَتْ خُرَاسَانُ للشَّيخِ وَلِيّ، وأَصْبَهانُ وفَارِسُ وسِجِسْتَانُ للمُظَفَّرِ اليَزْدِيِّ وبَنِيه، وخُوارِزْمُ وأعمَالُها إلى تُرْكِسْتَان لِبَني جَغَطَاي، وبِلادُ الرُّومِ لِبَني أَرْتَنَا، مَوْلًى مِنْ مَوَالِي دِمِرْدَاش بن جُوبَان، وبَغْدَادُ وأَذْرَبِيجَانُ والجَزِيرَةُ للشَّيخِ حَسَنِ بنِ حُسَيْنِ ابن أَقْبُغَا بنِ إيلْكَان، وإيلْكَانُ سِبطُ [أرغُونَ][أ] بنِ أبغَا بنِ هُولاكو لِبِنتِه، وهُو مِنْ كِبَارِ المُغلِ في نَسَبِه.

ولَم يَزَلْ مُلكُهم المُفتَرِقُ في هَذِه الدُّوَلِ مُتَنَاقِلاً بَيْنَ أعقَابِهم إلى أَنْ تَلاشَى وَاضْمَحَلَّ، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُ بَغْدَادَ وأَذْرَبِيجَانَ والجَزِيرَةِ لِهَذا العَهْدِ لأَحْمَدَ بن أُوَيسِ بنِ الشَّيخِ حَسَنٍ سِبط أرغُون [كَمَا][ب] في أَخبَارِ/ يَأتِي شَرحُها في دُوَلِ الطَّطَرِ بَعْدُ[2]. [406ب]

ولَمَّا كَانَ في هَذِه العُصُورِ ظَهَر بِتُرْكِسْتَانَ وبُخَارَى فِيما وَرَاءَ النَّهرِ أَمِيرٌ اسْمُهُ تَيْمُور في جُمُوعٍ مِنَ المُغلِ والطَّطَرِ[3]، يُنْسَبُ هُو وقَومُه إلى جَغَطَاي، لا أَدْرِي هو جَغَطَايُ بنُ جِنكِزْ خَان أَوْ جَغَطَايٌ آخَرُ مِنْ شُعُوبِ المُغلِ، والأَوَّلُ أَقْرَبُ لِمَا قَدَّمْنَاه مِنْ وِلايَةِ جَغَطَاي بن جِنكِز خَان عَلَى بِلادِ مَا وَرَاءَ النَّهرِ بِعَهْدِ أَبِيه[4].

وإِنِ اعْتَرَضَ مُعتَرِضٌ بِكَثْرَةِ هَذَا الشَّعْبِ الَّذِي مَعَ تَيْمُور، وقِصَرِ المُدَّة، فنَقُولُ:

(أ) من س هنا وفيما يأتي، وفي ظ: أرغو.   (ب) من س.

---

(1) توفي أبو سعيد سنة 736هـ، ينظر ما سبق ص 427، وما يلي ص 711.

(2) ينظر ما يلي ص 713 - .

(3) ينظر ما يلي ص 651 - .

(4) في نسبه ودرجة صلته بجنكز خان، اختلافٌ بين المؤرخين.

إنَّ هَذه المُدَّةَ مِنْ لَدُنْ جغطاي تُقارِبُ مِائتي سَنة، لِأنَّ جغطايَ كان لِعَهْدِ أبيه جنكِزْ خان يُقارِبُ الأربعين، فهذِه المُدَّةُ أزيَدُ مِنْ خَمسَةِ عُصُورٍ، لأنَّ العَصْرَ أربَعُون سَنة، وأقَلُّ مَا يَتَناسَلُ مِنَ الرَّجُلِ في هَذا العَصْرِ عَشَرَةٌ مِنَ الوَلَدِ، فإذا ضُوعِفَتِ العَشَرَةُ بالضَّرْبِ خَمسَ مرَّات كانَتْ مِائةَ ألفٍ، وإنْ فرَضْنا أنَّ المُتَناسِلِينَ تِسعَةٌ لِكُلِّ عَصْرٍ بلَغُوا في الخَمسَةِ عُصُورٍ إلى نَحْوٍ مِنْ سَبعِينَ ألفاً، وإنْ جعَلْناهُم ثمانِيَةً بلَغُوا فَوْقَ الاثنَيْنِ وثَلاثِينَ ألفاً، وإنْ جعَلْناهم سَبعَةً بلَغُوا سِتَّةَ عشَرَ ألفاً، والسَّبعَةُ أقَلُّ ما يُمكِنُ للرَّجُلِ الوَاحِد[ا]، لَا سِيَّمَا مَعَ البَدَاوَةِ المُقْتَضِيَةِ كَثْرَةَ التَّناسُلِ، والسِّتَّةَ عشَرَ ألفًا عِصابَةٌ كافِيَةٌ في استِتْباعِ غَيْرِها مِنَ العَصائِبِ حَتّى تَنتَهِيَ إلى غَاياتِ العَساكِرِ.

ولَمَّا ظَهَرَ هَذا الرَّجُلُ في مَا وَرَاءَ النَّهْرِ *استَوْلَى عَلَى جَمِيعِ أمْصارِه، وعَلَى بُخَارَى وسَمَرْقَنْدَ وخُوارِزْم، ثُمَّ*[ب] عَبَرَ إلى خُراسانَ فمَلَكَها مِنْ يَدِ الشَّيْخ وَلِيّ صَاحِبِها أعْوامَ أربَعَةٍ وثَمانِين، بَعْدَ مُزاحَفاتٍ وحُرُوبٍ، وهَرَبَ الشَّيْخُ وَلِيّ إلى تَوْرِيزَ فصَمَدَ[1] إليه تِيمُورُ في جُمُوعِه سَنَةَ سَبْعٍ وثَمانِين، ومَلَكَ تَوْرِيزَ وأذْرَبِيجانَ وخَرَّبَها، وقُتِلَ الشَّيْخُ وَلِيّ في حَرْبِه، ومَرَّ بِأصْفَهانَ وأعْطَوْه[ج] طاعَةً مَعْرُوفَةً، وأطَلَّ بَعْدَ تَوْرِيزَ عَلَى نَواحِي بَغْدادَ فأُرْجِفُوا مِنْه، ووَاقَعَتْ عَساكِرُه بِأذْرَبِيجانَ جُمُوعَ التُّرْكُمانِ، أهْلَ الجَزِيرَةِ والمَوْصِلِ، وكانَتِ الحَرْبُ بَيْنَهُما سِجَالاً، ثُمَّ تَأخَّرَ إلى نَاحِيَةِ أصْفَهان.

وجاءَ الخَبَرُ بخَارِجٍ خَرَجَ عَلَيْه مِنْ قَوْمِه يُعْرَفُ بِقَمَرِ الدِّين، وأنَّ طَقْطُمُش مَلِكَ الشَّمَالِ مِنْ بَنِي دُوشِي / خَان بن جِنْكِزْ خَان، وهُو صَاحِبُ كُرْسِيّ صَرَايْ، [407 ا]

(ا) سقط من س. (ب) سقط ما بين النجمين من س. (ج) في س: فأعطوه.

---

(1) صمده: قصده.

أمدّه بأمْوَالِه وَعَسَاكِرِه، فكَرَّ تيمُورُ رَاجِعاً إلى بِلَادِه، وَعُمِّيَتْ أنبَاؤه إلى سَنَة خَمْسٍ وَتِسْعِين، ثُمّ جاءَتِ الأخْبَارُ بِأنّه غَلَبَ قَمَرَ الدِّين الخَارِجَ عَلَيْه ومَحَا أثرَ فَسَادِه، وَاسْتَوْلَى عَلَى كُرْسِيّ صَرَايْ وَمَمْلَكَتِهَا، ثُمّ خَطَا إلى أصْفَهَانَ وَعِرَاقِ العَجَم وَفَارِسَ وَكَرْمَان فَمَلَكَ جَمِيعَهَا مِنْ يَدِ بَنِي المُظَفَّرِ اليَزْدِي، بَعْدَ حُرُوبٍ هَلَكَ فِيها مُلُوكُهم وبَادَتْ جُمُوعُهم.

وَرَاسَلَه صَاحِبُ بَغْدَادَ أحْمَدُ بنُ أُوَيس[1] وَصَانَعَه بِالهَدَايَا وَالتُّحَفِ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْه، وَمَا زَالَ يُخَادِعُه بِالمُلَاطَفَةِ وَالمُرَاسَلَةِ إلى أنْ فَتَرَ عَزْمُ أحْمَدَ وَافْتَرَقَتْ عَسَاكِرُه، فَصَمَدَ إلَيْه يُغِذُّ السَّيْرَ حَتّى انْتَهى إلى دِجْلَة، وَسَبَقَ النَّذِيرُ إلى[أ] أحمد، [فأسْرَى][ب] مِنْ لَيْلِه وَاحْتَمَلَ مَا خَفَّ وَأقَلَّتْه الرَّوَاحِلُ مِنْ أمْوَالِه وَذَخَائِرِه، وَخَرَقَ سُفُنَ دِجْلَة، وَسَارَ لَيْلَه، وَمَرَّ بِجِسْرِ الحِلَّة فَقَطَعَه، وَصَبَّحَ مَشْهَدَ عَلِيٍّ[ج].

وَوَافَى تَيْمُورُ وَعَسَاكِرُه دِجْلَةَ يَوْمَ الحَادِي وَالعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ [سَنَةَ][د] خَمْسٍ وتِسْعِين[2]، وَأجَازُوا النَّهْرَ[هـ] سَبْحاً، وَدَخَلُوا بَغْدَادَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْها، وَبَعَثَ العَسَاكِرَ في اتِّبَاعِ أحْمَد فَلَحِقُوا بِأعْقَابِه، وَخَاضُوا إلَيْه النَّهْرَ مِنْ عِنْدِ الجِسْرِ المَقْطُوعِ، وَأدْرَكُوه بِالمَشْهَدِ، فَكَرَّ عَلَيْهم في جُمُوعِه، فَقَتَلَ[و] الأمِيرَ الذِي كَانَ في اتِّبَاعِه، وَرَجَعُوا عَنْه، بَعْدَ أنْ كَانُوا اسْتَوْلَوْا عَلَى جَمِيعِ أثْقَالِه وَرَوَاحِلِه بِمَا فِيها مِنَ الأمْوَالِ

(أ) في س: إليه إلى. (ب) من س، وفي ط: فسار. (ج) سقط من س. (د) من س.
(هـ) في س: دجلة. (و) في س: وقتل.

(1) من سلالة الأمراء الجلائريين الذين حكموا العراق وأذربيجان بعد انقراض أسرة هُولَاوُو (هولاكو). انظر عنه وعن صراعه مع تيمور: عجائب المقدور 122 – ، ككشن خلفا 167 - .
(2) السلوك 3: 788، النجوم الزاهرة 12: 43.

وَالذَّخِيرَةِ، فَرَجَعُوا بِها، وَنَجَا أَحْمَدُ إِلى الرَّحْبَةِ مِنْ تُخُومِ الشَّامِ، فَأَزاحَ بِها، وَطَالَعَ نائِبُها السُّلْطَانَ بِأَمْرِه، فَأَخْرَجَ إِلَيْه بَعْضَ خَوَاصِّه[1] بِالنَّفَقَاتِ وَالأَزْوادِ لِيَسْتَقْدِمَه، فَقَدِمَ بِه إِلى حَلَبَ آخِرَ ذِي القَعْدَة، فَأَزاحَ بِها(أ)، وَطَرَقَه مَرَضٌ أَبْطَأَ بِه عَنْ مِصْرَ[2].

وَجَاءَتِ الأَخْبَارُ بِأَنَّ تَيْمُورَ عَاثَ فِي مَخْلَفِه واسْتَصْفَى ذَخائِرَه، وَاسْتَوْعَبَ مَوْجُودَ أَهْلِ بَغْدَادَ بِالمُصَادَرَاتِ لِأَغْنِيائِهِم وَفُقَرائِهِم حَتَّى مَسَّتْهُم الحَاجَةُ، وَأَقْفَرَتْ جَوَانِبُ بَغْدَادَ مِنَ العَيْثِ.

ثُمَّ قَدِمَ أَحْمَدُ بْنُ أُوِيس عَلَى السُّلْطَانِ بِمِصْرَ •شَهْرَ رَبِيعٍ [الأَوَّل[3] سَنَةَ] سِتٍّ وَتِسْعِين•(ب) مُسْتَصْرِخاً بِه عَلَى طَلَبِ مُلْكِه وَالانْتِقَامِ مِنْ عَدُوِّه، فَأَجَابَ السُّلْطَانُ صَرِيخَه، وَنَادَى فِي عَسْكَرِه بِالتَّجَهُّزِ إِلى الشَّامِ[4].

[407 ب] وَقَدْ كَانَ / تَيْمُورُ بَعْدَ مَا اسْتَوْلَى عَلَى بَغْدَادَ زَحَفَ فِي عَسَاكِرِه إِلى تَكْرِيت، مَأْوَى المُخَالِفِينَ وَعُشِّ أَهْلِ الحَرَابَةِ وَرَصَدِ السَّابِلَة، وَأَنَاخَ عَلَيْها بِجُمُوعِه أَرْبَعِين يَوماً يُحَاصِرُها حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِه، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهم، ثُمَّ خَرَّبَها وَأَقْفَرَها، وَانْتَشَرَتْ عَسَاكِرُه فِي دِيَارِ بَكْر إِلى الرُّهَا، وَوَقَفُوا عَلَيْها سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَمَلَكُوهَا، وَانْتَسَفُوا نِعَمَها وَافْتَرَقَ أَهْلُها.

(أ) سقط من س. (ب) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) وأن يخرج إلى مجيئه الأمير عز الدين أزدمر ومعه نحو ثلاث مائة ألف درهم فضة وألف دينار برسم النفقة على ابن أويس في طريقه إلى مصر. النجوم الزاهرة 12: 45.

(2) السلوك 3: 788، وينظر النجوم الزاهرة 12: 44.

(3) من السلوك 3: 799، وينظر النجوم الزاهرة 12: 45.

(4) في ثالث ربيع الآخر 796 هـ، وفيه قدم كتاب تيمور يتضمن الأرواع والتخويف. ينظر نص خطاب تيمور والرد عليه في السلوك 3: 803 – 807، النجوم الزاهرة 12: 49 – 52.

وَبَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلْطَانِ فَخَيَّمَ بالرَّيْدانِيَّةِ أيَّامًا أزاحَ فِيها عِلَلَ عَسَاكِرِه، وَأفَاضَ العَطَاءَ في مَمَالِيكِه، وَاسْتَوْعَبَ الحَشْدَ مِنْ سَائِرِ أصْنَافِ الجُنْدِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى القَاهِرَةِ النَّائِبَ سُودُون، وَارْتَحَلَ إلى الشَّامِ عَلَى التَّعْبِئَةِ وَمَعَه أحْمَدُ بنُ أُوَيس صَاحِبُ بَغْدَادَ، بَعْدَ أنْ كَفَاه مُهِمَّه وَسَرَّبَ النَّفَقَاتِ في تَابِعِه وَجُنْدِه.

وَدَخَلَ دِمَشْقَ آخِرَ[1] جُمَادَى الأُولَى، وَقَدْ كَانَ أوْعَزَ إلى جُلُبَّان، نَائِبِ حَلَب، بِالخُرُوجِ إلى الفُرَاتِ، وَاسْتِنْفَارِ العَرَبِ وَالتُّرْكُمَان لِلإقَامَةِ هُنَالِكَ رَصَداً للعَدُوِّ، فَلَمَّا وَصَلَ إلى دِمَشْقَ وَفَدَ عَلَيْه جُلُبَّان وَطَالَعَه بِمُهِمَّاتِه وَمَا عِنْدَه مِنْ أخْبَارِ القَوْمِ، وَرَجَعَ لإنْفَاذِ أوَامِرِه وَالفَصْلِ فِيمَا طَالَعَه فِيه، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ عَلَى أثَرِه العَسَاكِرَ مَدَدًا لَه مَعَ: كَمُشْبُغَا الأتَابِك، وَبَكْلَمِش أمِيرِ السِّلاحِ، وَأحْمَدَ بنِ يَلْبُغَا.

وَكَانَ العَدُوُّ تِيمُورُ قَدْ شُغِلَ بِحِصَارِ مَارْدِينَ، فَأقَامَ عَلَيْها أشْهُراً، ثُمَّ مَلَكَهَا، وَعَاثَتْ عَسَاكِرُه فِيها، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْه قَلْعَتُها فَارْتَحَلَ عَنْها إلى نَاحِيَةِ بِلادِ الرُّومِ، وَمَرَّ بِقِلاعِ الأكْرَادِ فَأغَارَتْ عَسَاكِرُه عَلَيْها وَاكْتَسَحَتْ نَوَاحِيَها، وَالسُّلْطَانُ لِهَذَا العَهْدِ، وهُو شَعْبَانُ سِتٍّ وَتِسْعِين، مُقِيمٌ بِدِمَشْق، مُسْتَجْمِعٌ لِنِطَاحِه وَالوَثْبَةِ بِه مَتَى اسْتَقْبَلَ جِهَتَه[1]، وَاللهُ وَلِيُّ الأُمُور.

وَهَذَا آخِرُ مَا انْتَهَتْ إلَيْه دَوْلَةُ التُّرْكِ بِانْتِهَاءِ الأيَّامِ، وَمَا يَعْلَمُ أحَدٌ مَا في غَدٍ، واللهُ مُقَدِّرُ الأُمُورِ وَخَالِقُهَا.

---

(1) في عشرين جمادى الأولى. النجوم الزاهرة 12: 256، وينظر السلوك 3: 813.

(2) ينظر باقي أخبار تمور حتى سنة 803 هـ فيما يلي ص 660 – ، وفي عجائب المقدور.

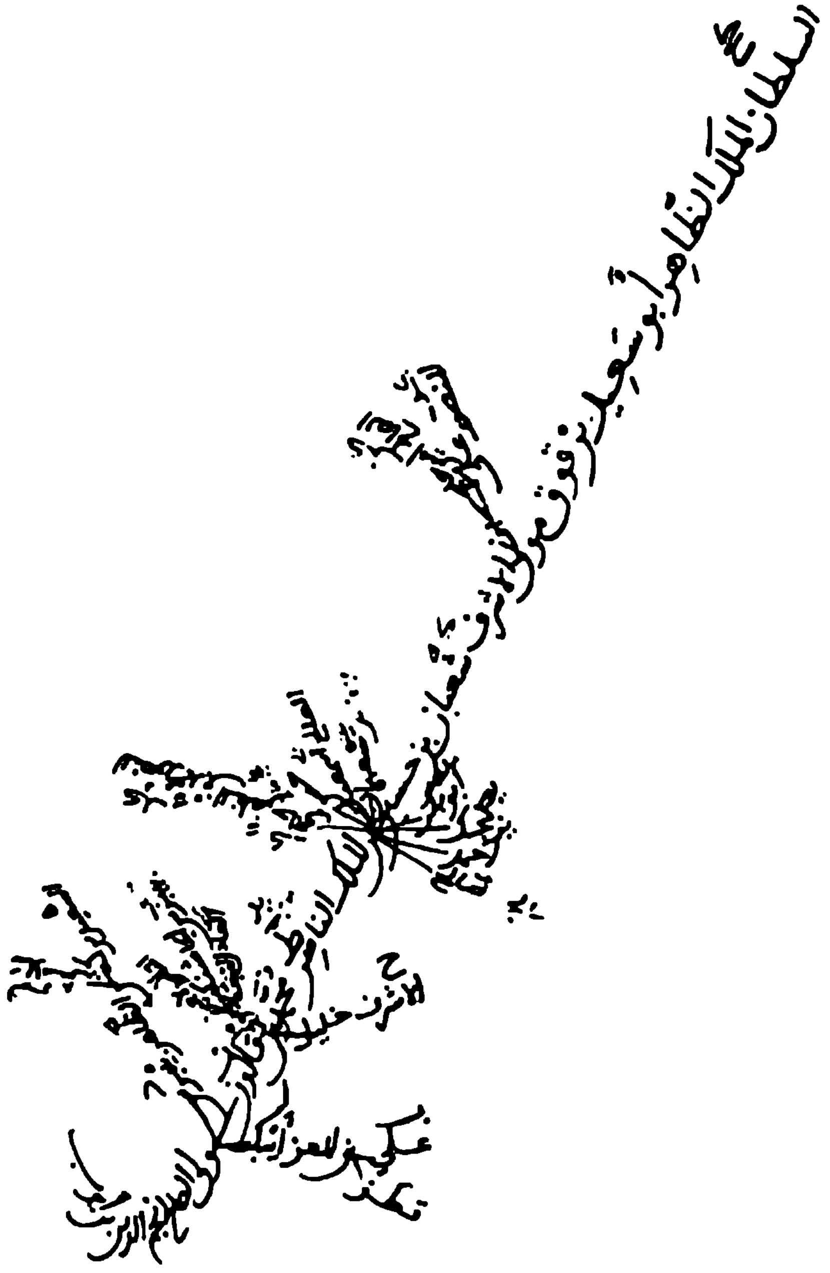

[مشجّر سلاطين المماليك موالي الصالح أيوب، حتى الظاهر برقوق]

[408 ب]

/ ● الخَبَرُ عَن دَوْلَةِ بَنِي رَسُولٍ مَوَالِي بَنِي أَيُّوب المُلُوكِ بِاليَمَنِ بَعْدَهُم، وَمَبْدَإِ أَمْرِهِم وَتَصَارِيفِ أَحْوَالِهِم

قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ لَنَا كَيْفَ اسْتَوْلَى بَنُو أَيُّوبَ عَلَى اليَمَنِ، وَاخْتَلَفَ عَلَيْهَا الوُلَاةُ مِنْهم إِلَى أَنْ مَلَكَهَا مِنْ بَنِي المُظَفَّرِ بنِ شَاهِنْشَاه بن أَيُّوبَ: حَافِدُه سُلَيْمَانُ بنُ شَاهِنْشَاه بن المُظَفَّر، وَانْتَقَضَ أَيَّامَ العَادِلِ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وستِّ مِائَة، فَأَمَرَ العَادِلُ ابْنَه الكَامِلَ، وهُو خَلِيفَتُه عَلَى مِصْرَ، أَنْ يَبْعَثَ ابنَه يُوسُفَ(ا) المَسْعُودَ عَلَى اليَمَن، وهُو أَخُو الصَّالِحِ، ويُلَقَّبُ بِالتُّرْكِي أَطْسِز، وَيُقَالُ: [أَقْسِيس](1)، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ هَذَا اللَّقَبِ، فَمَلَكَهَا المَسْعُودُ مِنْ يَدِ سُلَيْمَان، وَبَعَثَ بِه مُعْتَقَلاً إِلَى مِصْرَ، وَهَلَكَ فِي جِهَادِ الفِرَنْجِ بِدِمْيَاط سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِين(2)، وَهَلَكَ العَادِلُ جَدُّ المَسْعُودِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مائة، وَمَلَكَ بَعْدَه ابنُه الكَامِلُ وَجَدَّدَ العَهْدَ لابنِه المَسْعُود عَلَى اليَمَن.

وَحَجَّ المَسْعُودُ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِه فِي تَأْخِيرِ أَعْلَامِ الخَلِيفَةِ عَنْ أَعْلَامِه مَا مَرَّ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهِم. ثُمَّ جَاءَ سَنَةَ عِشْرِينَ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمِيرُهَا حَسَنُ بنُ قَتَادَةَ مِنْ بَنِي مطَاعِن، إِحْدَى بُطُونِ بَنِي حَسَن، فَجَمَعَ لِقِتَالِه، وَهَزَمَه المَسْعُودُ، وَمَلَكَ مَكَّةَ وَوَلَّى عَلَيْهَا(3)، وَرَجَعَ إِلَى اليَمَن فَأَقَام، ثُمَّ طَرَقَه المَرَضُ سَنَةَ سِتٍّ

(ا) سقط من س.

(1) في الأصول: أقسنس، والتعديل مما سبق ص 172.

(2) ينظر ما سبق ص 172.

(3) استناب الملك المسعود بمكة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول. كما في السلوك 1: 213، والعقود اللؤلؤية.

وَعِشْرِينَ فَارْتَحَلَ إلى مَكَّةَ[1]، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى اليَمَنِ عَلِيَّ[2] بنَ رَسُول[3] التُّرْكُمَانِيَّ أُسْتَاذَ دَارِهِ. ثُمَّ هَلَكَ المَسْعُودُ بِمَكَّةَ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ، وَبَلَغَ خَبَرُ وَفَاتِهِ إلى أَبِيهِ وَهُوَ يُحَاصِرُ دِمَشْقَ، وَرَجَعَ ابنُ قَتَادَةَ إلى مَكَّةَ، وَنَصَّبَ عَلِيُّ بنُ رَسُول بِاليَمَنِ مُوسَى بنَ يُوسُفَ المَسْعُودِ، وَلَقَّبَه الأَشْرَفَ، وَأَقَامَ مُمَلَّكاً عَلَى اليَمَنِ إلى أَنْ خُلِعَ، وَخَلَّفَ المَسْعُودُ وَلَداً آخَرَ اسْمُهُ يُوسُفَ، وَمَاتَ أَيَّامَ الصَّالِحِ وَتَرَكَ ابْنَهُ مُوسَى الَّذِي نَصَّبَه التُّرْكُ بَعْدَ أَيْبَكَ ثُمَّ خَلَعُوه.

عَلِيُّ بنُ رَسُول

ثُمَّ خَلَعَ عَلِيُّ بنُ رَسُول مُوسَى الأَشْرَفَ بنَ المَسْعُود واسْتَبَدَّ بِالمُلْكِ في اليَمَنِ، وَأَخَذَ بِدَعْوَةِ الكَامِلِ بِمِصْرَ، وَبَعَثَ / بِأَخَوَيْهِ رَهْناً عَلَى الطَّاعَةِ، ثُمَّ هَلَكَ [409أ] سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، وَوَلِيَ ابنُه عُمَر.

المَنْصُورُ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ رَسُول

وَلَمَّا هَلَكَ عَلِيُّ بنُ رَسُولٍ وَلِيَ بَعْدَه ابنُه عُمَر، ثُمَّ تُوُفِّيَ الكَامِلُ سَنَةَ خَمْسٍ[أ]

(أ) في س: سبع.

---

(1) كان في طريقه إلى الديار المصرية. ينظر نهاية الأرب 33: 130، غاية الأماني 1: 418.

(2) اختلفت المصادر في اسم نائب الملك المسعود باليمن، وهل هو علي بن رسول، كما ورد هنا، وفي السلوك 1: 237، صبح الأعشى 5: 30 – 31، المختصر 3: 185، أم أنه عمر بن علي بن رسول، كما ورد في العقود اللؤلؤية 1: 41، وفي اسم أول من ملك من بني رسول، ينظر نهاية الأرب 33: 130 (نقلاً عن بهجة الزمن في تاريخ اليمن).

(3) هو: محمد بن هارون، اختصه بعض الخلفاء العباسيين في الرسالة إلى الشام ومصر، فعرف برسول، وترك اسمه الحقيقي لاشتهاره برسول، ينظر العقود اللؤلؤية 1: 26 - 27، العقد الثمين 6: 339.

وَثَلاثِين، وَشُغِلَ بَنُو أَيُّوبَ بِالفِتْنَةِ بَيْنَهم، فَاسْتَغْلَظَ سُلْطَانُ عُمَر بِاليَمَن وَتَلَقَّبَ المَنْصُورَ[1]، وَقَطَع الإِتَاوَةَ الَّتِي كَانَ يَبْعَثُ بِهَا إِلَى مِصْرَ، فَأَطْلَقَ صَاحِبُ مِصْرَ العَادِلُ ابْنُ الكَامِل عُمُومَتَه، الَّذِي كَانَ أَبُوهُمْ عَلِيٌّ رَهَنَهم عَلَى الطَّاعَةِ، لِيُنَازِعُوه الأَمْرَ، فَغَلَبَ عَلَيْهِم وَحَبَسَهم.

وَكَان أَمْرُ الزَّيْدِيَّة بِصَعْدَةَ قَدْ •خَرَجَ مِن بَنِي الرَّسِّي وَ•[أ] صَارَ لِبَنِي سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُد[ب]، كَمَا مَرَّ فِي أَخْبَارِهِم، ثُمَّ بُويِعَ مِن بَنِي الرَّسِّي أَحْمَدُ بنُ الحُسَين مِنْ بَنِي الهَادِي يَحْيى بنِ الحُسَين بنِ القَاسِم الرَّسِّيّ، بَايَعَ لَه الزَّيْدِيَّةُ بِحِصْنِ ثُلَا، وَكَانُوا مِنْ يَوْمِ أَخْرَجَهم السُّلَيْمَانِيُّونَ مِنْ صَعْدَةَ قَدْ أَوَوْا إِلَى جَبَل قَطَابَة.

فَلَمَّا بُويِعَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَين هَذَا لَقَّبُوه المُوَطِّىء، وَكَان بِحِصْن ثُلَا، وَكَان الحَدِيثُ شَائِعاً بَيْنَ الزَّيْدِيَّة بِأَنَّ الأَمْرَ يَرْجِعُ إِلَى بَنِي الرَّسِّي[ج]، وَكَان أَحْمَدُ فَقِيهاً أَدِيباً[د]، عَالِماً بِمَذْهَبِ الزَّيْدِيَّة، مُجْتَهِداً فِي العِبَادَةِ، وَبُويِعَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَة، وَأَهَمَّ عُمَرَ بنَ رَسُول شَأْنُه فَشَمَّرَ لِحَرْبِه، وَحَاصَرَه بِحِصْن ثُلَا مُدَّة، ثُمَّ أَفْرَجَ عَنْه، وَجَمَّرَ [العَسَاكِرَ][هـ] لِحِصَارِه، مِنَ الحُصُونِ المُجَاوِرَةِ لَه[2].

(أ) سقط ما بين النجمين من س. (ب) بن داوود: سقط من س، وفيها: منهم. (ج) بني الرسي، يوجد بياض في س. (د) سقط من س. (هـ) من س، وفي ظ: العسكر.

---

(1) وفي سنة 630 هـ أمر السلطان نور الدين بضرب السكة باسمه، وأمر الخطباء أن يخطبوا له في سائر أقطار اليمن. العقود اللؤلؤية 1: 51.

(2) العقود اللؤلؤية 1: 76 – 77.

وَلَم يَزَلْ قَائِماً بِأَمْرِه إِلى أَنْ وَثَبَ(1) عَلَيه سَنَةَ [سَبْعٍ](2) وأَرْبَعِينَ جَمَاعَةٌ مِنْ مَمَالِيكِه بِمُمَالأَةِ بَنِي أَخِيه حَسَن، فَقَتَلُوه لِثَمَانِ عَشْرَةَ [سَنَةً](أ) مِنْ وِلاَيَتِه.

المُظَفَّرُ يُوسُفُ بنُ عُمَر

وَلَمَّا هَلَكَ المَنْصُورُ [عُمَرُ(ب) بنُ عَلِيٍّ](3) بنِ رَسُول، كَمَا قُلْنَاه، قَامَ بالأَمْرِ [بَعْدَه](ج) ابنُهُ المُظَفَّرُ شَمْسُ الدِّين يُوسُف، وكَانَ عَادِلاً مُحْسِناً، وَطَالَتْ أَيَّامُه، وَفَرَضَ الإِتَاوَةَ عَلَيه لِمُلُوكِ مِصْرَ مِنَ التُّرْكِ لَمَّا اسْتَبَدُّوا بالمُلْكِ، وَمَا زَالَ يُصَانِعُهم بِها وَيُعْطِيهِم إِيَّاهَا، وَكَانَ لأَوَّلِ مُلْكِه امْتَنَعَ عَلَيه حِصْنُ الدُّمْلُوه(4)، فَشُغِلَ بِحِصَارِه، وتَمَكَّنَ أَحْمَدُ المُوطِّىءُ، الثَّائِرُ بِحِصْنِ ثُلَا مِنَ الزَّيْدِيَّة مِنْ أَعْقَابِ بَنِي الرَّسِّي، [409 ب] / فَمَلَكَ عِشْرِين حِصْناً مِنْ حُصُونِ الزَّيْدِيَّة، وَزَحَفَ إِلى صَعْدَةَ فَمَلَكَهَا مِنْ يَدِ السُّلَيْمَانِيِّين، وَنَزَلَ لَه أَحْمَدُ المُتَوكِّلُ إِمَامُ الزَّيْدِيَّة، [مِنْهم](د)، فَبَايَعَه وَأَمَّنَه، وَلَمَّا كَانُوا في [جَبَلِ](5) قُطَابَةَ لَمْ يَزَلْ في كُلِّ عَصْرٍ مِنْهم إِمَامٌ، كَمَا ذَكَرْنَاه في أَخْبَارِهم قَبْل.

(أ) من س. (ب) من س، وفي ظ: علي. (ج) من س، وفي ظ: مكانه. (د) من س.

---

(1) تاسع ذي القعدة 647 هـ. العقود اللؤلؤية 1: 82، العقد الثمين 6: 348.

(2) في الأصول: ثمان، والتصويب من العقود اللؤلؤية 1: 82، العقد الثمين 6: 348.

(3) إضافة للتوضيح مما سبق ص 600.

(4) العقود اللؤلؤية 1: 101.

(5) إضافة للتوضيح مما سبق ص 600.

وَلَم يَزَلِ المُظَفَّرُ وَالِياً عَلَى اليَمَن إلى أنْ هَلَكَ[1] بِقَلْعَة تَعِزّ سَنَةَ أرْبَعٍ وَتِسْعِين، لِسِتٍّ وَأَرْبَعِين سَنَةً[2] مِنْ مُلْكِه.

الأَشْرَفُ عُمَرُ بنُ المُظَفَّرِ يُوسُفَ

وَلَمَّا هَلَكَ المُظَفَّرُ يُوسُف، كَمَا قُلْنَاه، وَلِيَ بَعْدَه ابنُهُ الأَشْرَف [مُمَهِّدُ الدِّين][أ] عُمَر، وَكَان أَخُوه دَاوُدُ وَالِياً عَلَى الشِّحْر فَدَعَا لِنَفْسِه وَنَازَعَه الأَمْرَ. فَبَعَثَ الأَشْرَفُ عَسَاكِرَه وَقَاتَلُوه وَهَزَمُوه، وَقَبَضُوا عَلَيْه وَحَبَسَه[3]. وَاسْتَمَرَّ الأَشْرَفُ في مُلْكِه إلى أنْ سَمَّتْهُ جَارِيَتُه فَمَاتَ[4] سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِين، لِعِشْرِينَ [شَهْراً][ب] مِنْ وِلَايَتِه.

أَخُوه المُؤَيَّدُ دَاوُدُ بنُ المُظَفَّرِ يُوسُفَ

وَلَمَّا هَلَكَ الأَشْرَفُ عُمَرُ بنُ المُظَفَّر يُوسُف، أُخْرِجَ أَخُوه هِزَبْرُ الدِّين دَاوُدُ مِنْ مُعْتَقَلِه، وَوَلَّوْه عَلَيْهِم، وَلَقَّبُوه المُؤَيَّدَ، وَافْتَتَحَ أَمْرَه بِقَتْلِ الجَارِيَةِ التي سَمَّتْ أَخَاه، وَمَا زَالَ يُواصِلُ مُلُوكَ [التُّرْكِ بِـ][ج] مِصْرَ بِهَدَايَاه وَتُحَفِه وَالضَّرِيبَةِ التي قَرَّرَهَا سَلَفُه،

(أ) من س. وفي ظ: مهد من. (ب) من س. (ج) من س.

---

(1) ثالث عشر شهر رمضان. العقود اللؤلؤية 1: 275، غاية الأماني 1: 475، نهاية الأرب 33: 140.

(2) وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات تقريباً. نهاية الأرب 33: 140.

(3) العقود اللؤلؤية 1: 285.

(4) في العقود اللؤلؤية 1: 297: لسبع بقين من المحرم، وفي نهاية الأرب 33: 141: لسبع خلون من المحرم، وينظر غاية الأماني 1: 477 – 478.

وَانْتَهَتْ هَدِيَّتُه سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعِ مِائَة إِلَى مِائَتَيْ وِقْرٍ[1] بَعِيرٍ بِالثِّيَابِ وَالتُّحَفِ وَطُرَفِ اليَمَنِ، وَمِائَتَيْنِ مِنَ الجِمَالِ وَالخَيْلِ، ثُمَّ بَعَثَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَفَسَدَ مَا بَيْنَه وَبَيْنَ مُلُوكِ مِصْرَ، وَبَعَثَ بِهَدِيَّتِه سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ فَرَدُّوهَا عَلَيْه.

ثُمَّ هَلَكَ[2] سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَة، لِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِه.

وَكَانَ فَاضِلاً، شَافِعِيَّ المَذْهَبِ، قَرَأَ التَّنْبِيهَ وَالكِفَايَةَ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِي، وَلَه تَفَنُّنٌ فِي العُلُومِ، وَجَمَعَ الكُتُبَ مِنْ سَائِرِ الأَمْصَارِ، فَاشْتَمَلَتْ خِزَانَتُه عَلَى مِائَة أَلْفِ مُجَلَّد، وَكَانَ يَتَفَقَّدُ العُلَمَاءَ بِصِلَاتِه، وَيَبْعَثُ لابنِ دَقِيقِ العِيدِ، فَقِيهِ الشَّافِعِيَّةِ بِمِصْرَ، بِجَوَائِزِه[3].

المُجَاهِدُ عَلِيُّ بنُ المُؤَيَّدِ دَاوُدَ

وَلَمَّا تُوفِّيَ المُؤَيَّدُ دَاوُدُ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، كَمَا قُلْنَاه، قَامَ بِمُلْكِه بَعْدَه ابنُه
المُجَاهِدُ سَيْفُ الدِّينِ عَلِيٌّ ابن / ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً[4]. [410 ا]

---

(1) وِقر: بكسر أوله، حِمل.

(2) في نصف الليلة المسفرة عن يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة. العقود اللؤلؤية 1: 440، نهاية الأرب 33: 163.

(3) ينظر العقود اللؤلؤية 1: 441 - ، غاية الأماني 1: 494 – 495.

(4) خمس عشرة سنة، وخمسة أشهر، وثمانية عشر يوماً. نهاية الأرب 33: 164، وينظر العقد الثمين 6: 159.

ثورة جلال الدين بن عمر الأشرف [وحبسه][أ]

وَلَمَّا مَلَكَ المُجَاهِدُ عَلِيٌّ شُغِلَ بِلَذَّاتِه، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ في أَهْلِ المَنَاصِبِ الدِّينِيَّة بِالعَزْلِ وَالاسْتِبْدَالِ بِغَيْرِ حَقٍ، فَنَكِرَه أَهْلُ الدَّوْلَةِ، وَانْتَقَضَ عَلَيْه جَلَالُ الدِّين ابنُ عَمِّه عُمَر الأَشْرَف، وَزَحَفَ إِلَيْه، وَكَانَتْ بَيْنَهما حُرُوبٌ وَوَقَائِعُ كَانَ النَّصْرُ فِيهَا لِلمُجَاهِدِ، وَغَلَبَ عَلَى جَلَالِ الدِّين وَحَبَسَه.

ثورة جلال الدين ثانية وحبس المجاهد وبيعة المنصور أيوب بن المظفر يوسف

وَبَعْدَ أَنْ قَبَضَ المُجَاهِدُ عَلَى جَلَالِ الدِّين ابن عَمِّه الأَشْرَف وَحَبَسَه، لَم[ب] يَزَلْ مُشْتَغِلاً بِلَهْوِه، عَاكِفاً عَلَى لَذَّاتِه، وَضَجِرَ مِنه أَهْلُ الدَّوْلَة، وَدَاخَلَهم جَلَالُ الدِّين في خَلْعِه فَوَافَقُوه، وَرَحَلَ إِلى تَعِزّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِين، فَخَرَجَ جَلالُ الدِّين مِنْ مَحْبِسِه وَهَجَم عَلَيْه في بَعْضِ البَسَاتِين، وَفَتَكَ بِحَرَسِه، وَقَبَضَ عَلَيْه[1]، وَبَايَعَ لِعَمِّه المَنْصُور أَيُّوبَ[2] بنِ المُظَفَّر يُوسُف، وَاعْتَقَلَ المُجَاهِدَ عِنْدَه في تَعِزّ، وَأَطْلَقَ جَلَالُ الدِّين ابن عَمِّه الأَشْرَف.

(أ) من س، وفي ظ: وحبسه. (ب) من س، وفي ظ: ولم.

---

(1) في النصف الأخير من جمادى الآخرة. نهاية الأرب 33: 165.

(2) كانت سلطنته في جمادى الآخرة 722 هـ. العقد الثمين 6: 160.

خَلْعُ المنصور أيوبَ ومَقتَلُه، وعَوْدُ المجاهد إلى مُلكه ومُنازَعةُ الظَّاهِر بن المنصور أيوبَ له

وَلَمَّا حُبِسَ المُجاهِدُ بِقَلْعَةِ تَعِزّ، وَاسْتَقَلَّ المَنْصُورُ بالمُلْكِ، [اجْتَمَعَ][أ] شِيعَةُ المُجاهِدِ وَهَجَمُوا عَلَى المَنْصُورِ في بَيْتِه بِتَعِزّ وَحَبَسُوه، وَأَخْرَجُوا المُجَاهِدَ وَأَعَادُوه إلى مُلْكِه، وَرَجَعَ أَهْلُ اليَمَنِ إلى طَاعَتِه.

وَكَانَ أَسَدُ الدِّين عَبْدُ الله بنُ المَنْصُور أيُّوبَ بالدُّمْلُوةِ، فَعَصَى عَلَيْه وَامْتَنَعَ بِها، وَكَتَبَ إلَيْه المُجاهِدُ يَتَهَدَّدُه بِقَتْلِ أَبِيه، فَلَجَّ وَاتَّسَعَ الخَرْقُ بَيْنَهما، وَعَظُمَتِ الفِتْنَةُ، وَافْتَرَقَ عَلَيْهِمَا العَرَبُ، وَكَثُرَ عَيْثُهم، وَبَعَثَ المَنْصُورُ مِنْ مَحْبِسِه إلى [ابْنِه][ب] عَبْدِ الله أَنْ يُسَلِّمَ الدُّمْلُوة، خَوْفاً عَلَى نَفْسِه مِنَ القَتْلِ، فَأَبَى عَبْدُ الله مِنْ ذَلِكَ وَأَسَاءَ الرَّدَّ عَلَى أَبِيه.

[410 ب] وَلَمَّا يَئِسَ المُجَاهِدُ مِنه، قَتَلَ أَبَاه المَنْصُورَ أَيُّوب[1] / بنَ المُظَفَّر في مَحْبِسِه، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الدُّمْلُوة، وَكَبِيرُهم الشَّرِيفُ ابنُ حَمْزَة، وَبَايَعُوا لأَسَدِ الدِّين عَبْدِ الله بنِ المَنْصُور أيُّوب، وَبَعَثَ عَسْكَراً مَعَ الشِّهَابِ الصَّفَوِيِّ إلى زَبِيد فَحَاصَرُوها وَفَتَحُوها، وَجَهَّزَ المُجَاهِدُ عَسَاكِرَه إلَيها مَعَ قَائِدِه عَلِيِّ بن الدَّوَادَار، وَلَمَّا قَارَبُوا زَبِيدَ أَصَابَهم سَيْلٌ، وبَيَّتَهم أَهْلُ زَبِيدَ فَنَالُوا مِنْهم، وَأَسَرُوا أُمَرَاءَهم.

(أ) من س، وفي ظ: اجتمعوا. (ب) من س، وفي ظ: إلى أبيه.

---

(1) في ثاني شهر صفر 723 هـ. العقود اللؤلؤية 2: 14، في الحرم. نهاية الأرب 33: 167، وينظر العقد الثمين 6: 161.

واتَّهم المُجَاهِدُ قَائِدَه عَلِيّ بن الدَّوَادَار بِمُدَاخَلَة عَدُوّه، فكَتَبَ إِلَيْه أَنْ يَسِيرَ إلى عَدَن لِتَحْصِيلِ أَمْوَالِها، وَكَتَبَ إلى وَالِي عَدَن بالقَبْض عَلَيْه، وَوَقَعَ الكِتَابُ في يَدِ الظَّاهِر فبَعَثَ بِه إلى ابنِ الدَّوَادَار فَرَجَعَ إلى عَدَن وَحَاصَرَهَا وَفَتَحَهَا[1]، وَخَطَبَ بِها [للظَّاهِرِ](أ) سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِين، وَمَلَكَ عَدَنَ بَعْدَهَا، ثُمّ اسْتَمَالَ صَاحِبَ صَنْعَاء وَحَرَض، فَقَامُوا بِدَعْوَةِ الظَّاهِرِ، وَبَعَثَ المُجَاهِدُ إلى مَذْحِج وَالأَكْرَادِ يَسْتَنْجِدُهم فَلَم يُنْجِدُوه، وَبَقِيَ بِحِصْنِ المُعِزِّيّة، وَكَتَبَ الظَّاهِرُ إلى أَشْرَافِ مَكّة وَقَاضِيها نَجْمِ الدِّين الطَّبَرِيّ بِأَنَّ الأَمْرَ قَدِ اسْتَقَرَّ لَه بِاليَمَن.

وصُولُ العَسَاكِرِ من مصْرَ مَدَداً للمُجَاهِد، واسْتِيلاؤُه عَلَى أَمْرِه، وصُلْحُهُ مَعَ الظَّاهِر

وَلَمَّا غَلَبَ الظَّاهِرُ بنُ المَنْصُور أَيُّوب عَلَى قِلَاعِ اليَمَن وَانْتَزَعَهَا مِنَ المُجَاهِد وَحَاصَرَه بِقَلْعَةِ المُعِزِّيّة، بَعَثَ المُجَاهِدُ(ب) سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ بِصَرِيخِه إلى السُّلْطَان بِمِصْرَ مِنَ التُّرْكِ النَّاصِر مُحَمّدِ بن قَلَاوُونَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِين، فَبَعَثَ إِلَيْه العَسَاكِرَ مَعَ بَيْبَرْس الحَاجِبِ وَطِينَال مِنْ أُمَرَاءِ دَوْلَتِه، وَوَصَلُوا إِلَيْه سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِين، فَسَارَ بِهِم المُجَاهِدُ مِنْ حِصْن المُعِزِّيَّةِ بِنَوَاحِي عَدَنَ إلى تَعِز، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْه أَهْلُها فَأَمَّنَهم، وَرَاسَلُوا الظَّاهِرَ في الصُّلْحِ، فَأَجَابَ عَلَى أَنْ تَكُونَ لَه الدُّمْلُوة، وَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِك.

(أ) من س، وفي ط: إلى الظاهر. (ب) في س: بصريخه.

(1) في الثامن والعشرين من شعبان 723 هـ. نهاية الأرب 33: 171.

وَطَلَبَ أُمَرَاءُ التُّرْكِ الشِّهابَ الصَّفَرِيَّ الَّذي أَنْشَأَ الفِتْنَةَ بَيْنَ المُجَاهِدِ وَالظَّاهِرِ، [411أ] فَامْتَنَعَ عَنْ / إجَابَتِهِم، فَرَكِبَ بِيبَرْسُ وَهَجَمَ عَلَيْه فِي[أ] خَيْمَتِه، وَقَتَلَه بِسُوقِ الخَيْلِ بِتَعِزَّ، وَأَثْخَنُوا فِي العُصَاةِ عَلَى المُجَاهِدِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ حَتَّى أَطَاعُوا، وَتَمَهَّدَ لَه المُلْكُ، وَرَجِعَتِ العَسَاكِرُ إِلَى مِصْرَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِين[1].

نزولُ الظَّاهِرِ للمُجَاهِدِ عَنِ الدُّمْلُوَةِ ومَقْتَلُه

وَلَمَّا اسْتَقَامَ الأَمْرُ لِلْمُجَاهِدِ بِاليَمَن، وَاسْتَخْلَفَه الظَّاهِرُ عَلَى الدُّمْلُوَة، أَخَذَ المُجَاهِدُ فِي تَأْنِيسِه، وَإِحْكَامِ الوَصْلَةِ بِه حَتَّى اطْمَأَنَّ، وَهُوَ يَفْتِلُ لَه فِي النَّزْوَةِ وَالغَارِبِ حَتَّى نَزَلَ لَه عَنِ الدُّمْلُوَة، وَوَلَّى عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِه، وَصَارَ الظَّاهِرُ فِي جُمْلَتِه، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْه وَحَبَسَه بِقَلْعَةِ تَعِزَّ، ثُمَّ قَتَلَه فِي مَحْبِسِهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلاثِين[2].

حَجُّ المجَاهد عَلِيِّ بن المؤيَّد دَاوُد، وَوَاقِعَتُه بِمَكَّةَ مَعَ أُمَرَاءِ مِصْرَ واعتِقَالُه بالكَرَك، ثُمَّ إطلاقُه ورُجُوعُه إلَى مُلْكِه

ثُمَّ حَجَّ المُجَاهِدُ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِين، أَيَّامَ حَسَنٍ [النَّاصِرِ][ب] الأُولَى، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي حَجَّ فِيهَا طَازُ كَافِلُ المَمْلَكَةِ أَمِيراً، وَحَجَّ بَيْبُغَا رُوس الكَافِلُ الآخَرُ مُقَيَّداً، لأَنَّ السُّلْطَانَ أَمَرَ طَازَ بِالقَبْضِ عَلَيْه فِي طَرِيقِه، فَلَمَّا قَبَضَ عَلَيْه رَغِبَ مِنْه أَنْ

(أ) سقط من س. (ب) من س.

---

(1) ينظر العقد الثمين 6: 165، نهاية الأرب 33: 178 – 181، غاية الأماني 1: 502 – 503.
(2) مات حتف أنفه. في العقود اللؤلؤية 2: 61، وينظر العقد الثمين 6: 169.

يُخلِّي سَبيلَه لأداءِ فرضِه، فأجابَه وَحجَّ به مُقيَّداً، وَجاءَ المُجاهِدُ مَلِكُ اليَمنِ للحَجِّ، وَشاعَ عَنه أنَّه يَرومُ كِسْوةَ الكَعْبةِ، فتَنكَّرَ أمَراءُ مِصرَ وَعَساكِرُها لأهْلِ اليَمَن.

وَوَقعتْ في بَعْضِ الأيَّامِ هَيْعَةٌ في رَكْبِ الحاجِّ، فتَحارَبُوا وانْهزَمَ المُجاهِدُ، ونُهِبَ سَوادُه، وَرَكِبَ أهْلُ اليَمنِ كافَّةً، وأُطْلِقَ بَنيْفا رُوس [للقِتالِ][أ]، فجَلَّى في تِلْكَ الوَاقِعةِ وأُعِيدَ إلى اعْتِقالِه، وَحُمِلَ المُجاهِدُ إلى مِصرَ مُعْتقَلاً، فَحُبِسَ بها، ثُمَّ أُطْلِقَ سَنةَ اثنتَيْنِ وَخَمسِينَ في دَولَةِ الصَّالحِ، وَبَعثُوا مَعَه قَشْتَمُر المَنْصُوريَّ إلى بِلادِه، فلَمَّا انْتَهى إلى اليَنْبُعِ ظَهَرَ عَلَيه قَشْتَمُر أنَّه يَرومُ الهَرَبَ، فَرَدَّه وَحَبَسَه بالكَركِ، ثُمَّ أُطْلِقَ بَعْدَ ذَلِكَ وأُعِيدَ إلى مُلْكِه[1]، / وَقامَ[ب] عَلَى مُهاداةِ صَاحِبِ مِصرَ[2] وَمُصانَعاتِه إلَى [411ب] أنْ تُوفِّي[3] سَنةَ [أرْبعٍ][4] وَسِتِّينَ، لاثْنتَيْنِ وَأرْبَعِينَ سَنةً مِنْ مُلْكِه.

وِلايَةُ الأفْضَلِ عَبّاسِ بنِ المُجاهِدِ عَلِيّ

وَلَما تُوفِّي المُجاهِدُ سَنةَ [أرْبعٍ][5] وَسِتِّينَ وَلِيَ بَعْدَه ابنُه عَبّاسٌ، وَاسْتقامَ لَه مُلْكُ اليَمنِ[ج] إلى أنْ هَلَكَ[6] سَنةَ ثَمانٍ وَسَبْعِينَ، [لأرْبَعَ][7] عَشْرةَ سَنةً مِنْ مُلْكِه.

(أ) من س، وفي ظ: في القتال. (ب) في س: وأقام. (ج) في س: الملك اليمن.

---

(1) ينظر العقد الثمين 6: 170 – 171.

(2) وفي سنة خمس وخمسين جهز المجاهد هدية لمصر مع الطواشي جوهر الرضواني، فغرق والهدية عند جبل الزقر. العقد الثمين 6: 171.

(3) في الخامس والعشرين من جمادى الأولى. العقود اللؤلؤية 2: 124، العقد الثمين 6: 173.

(4) في الأصول: ست، والتصويب من العقد الثمين 5: 94، 6: 173، غاية الأماني 2: 518.

(5) في الأصول: ست، والتصويب مما سبق.

(6) في الحادي والعشرين من شعبان. العقود اللؤلؤية 2: 157، العقد الثمين 5: 94.

(7) في الأصول: لاثنتي، والتصويب يتفق مع تصويب تاريخ وفاة المجاهد، تنظر الهوامش السابقة.

المنصورُ محمّدُ بنُ الأفضلِ عبّاس

وَلَمَّا تُوفِّيَ الأفضلُ عبّاس بنُ المُجَاهِد سَنَةَ ثمانٍ وَسَبْعِين، كما ذكرناه، وَلِيَ بَعْدَهُ ابنُه المَنْصُورُ مُحمّد[1]، وَاستَوْلَى عَلَى أمرِه، وَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِن مَمَالِيكِه سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ للثَّوْرَة بِه وَقَتْلِه، وَاطَّلَعَ عَلَى شأنِهم فَهَرَبُوا إلى الدُّمْلُوَة، وَأَخَذَهم العَرَبُ في طَرِيقِهم، وَجَاءوا بِهم، فَعَفَا عَنْهم، وَاسْتَمَرَّ في مُلْكِه إلى •أنْ هَلَكَ سَنَةَ•[أ] ....[2].

أخوه الأشرفُ إسماعيلُ بنُ الأفضلِ عبّاس

وَلَمَّا تُوفِّيَ المَنْصُورُ مُحمّدُ بنُ الأفضَل عبّاس سَنَةَ........[3]، وَلِيَ مَكَانَه أخُوه الأشْرَفُ إسْمَاعِيلُ، وَاسْتَقَامَ أمْرُه، وَهُوَ صَاحِبُ اليَمَن لِهَذا العَهْدِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِين[4].

وَاللهُ وَارِثُ الأرْضِ وَمَنْ عَلَيْها.

(أ) سقط ما بين النجمين من س. وفي الأصول ثم بياض.

---

(1) لم يرد في المصادر المتداولة، عدا صبح الأعشى 5: 33، ما يدل على تولية المنصور محمد بن الأفضل عباس، وما ورد هو: الذي ولي السلطنة بعده (بعد أبيه) هو الأشرف إسماعيل، وظل حاكماً حتى مات في الثامن عشر من ربيع الأول سنة 803 هـ. تنظر العقود اللؤلؤية 2: 316، العقد الثمين 5: 96، غاية الأماني 2: 526، ويراجع تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة 1: 207.

(2)، (3) في الأصول بياض، وفي صبح الأعشى أيضاً، ولم تسعفنا المصادر المتداولة بتاريخ وفاة الأفضل محمد.

(4) توفي الأشرف إسماعيل سنة 803 هـ، وقام بعده ولده الملقب الملك الناصر أحمد بن إسماعيل. ينظر غاية الأماني 2: 558.

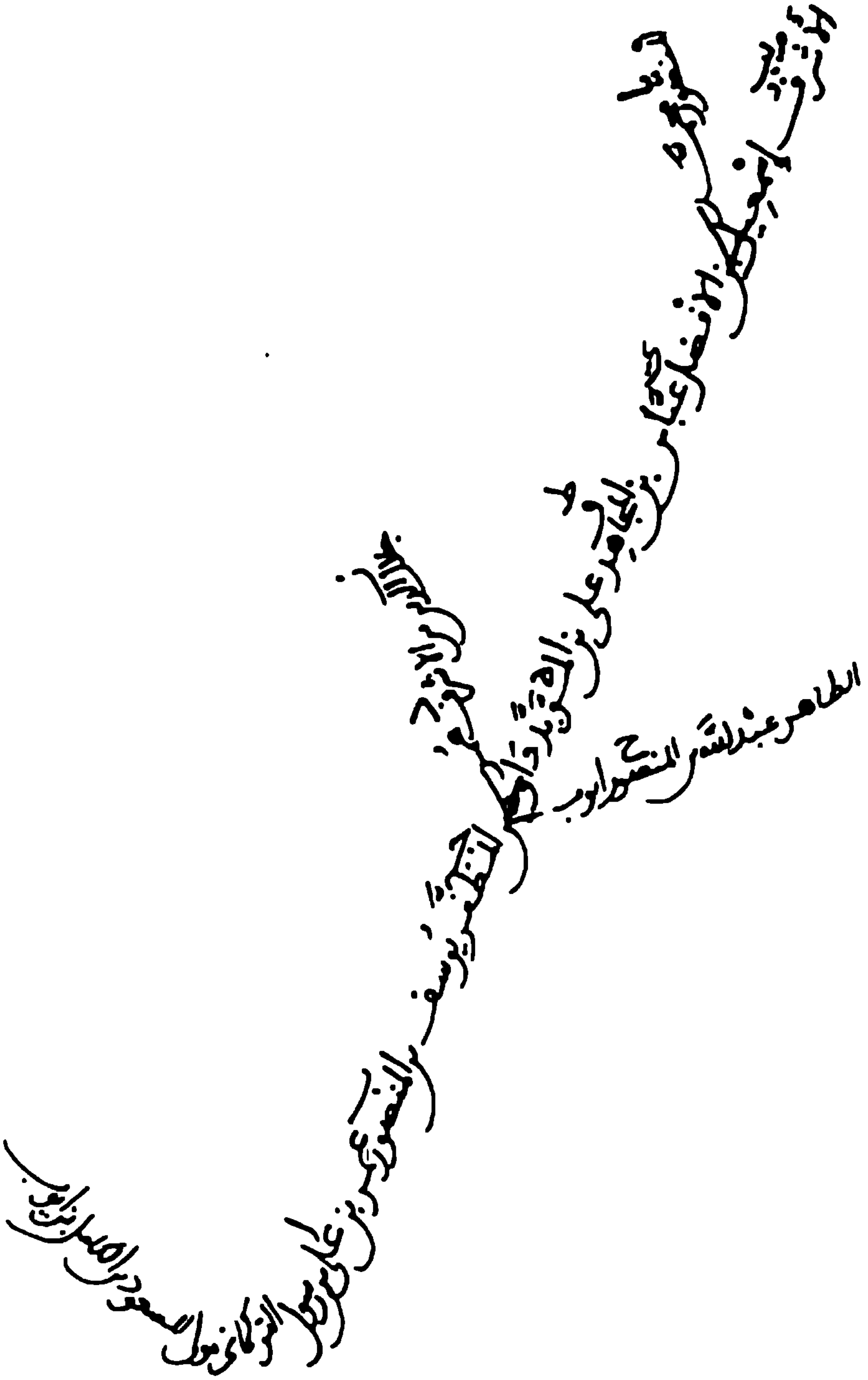

[مشجّر نسب بني رسول مولى المسعود بن الكامل وحتّى الأشرف إسماعيل]

[412 ب] / ۞

الخَبَرُ عَن دَوْلَةِ الطَّطَرِ من شُعُوبِ التُّرك، وكَيفَ تَغلَّبُوا عَلَى المَمَالك الإسلاميَّة وانتَزَوْا عَلَى كُرسيِّ الخلافة بَغدَادَ، ومَا كَانَ لَهُم من الدُّوَلِ المُفتَرِقَة، وكَيفَ أَسلَمُوا بَعدَ ذلك ومَبدَإِ أُمُورِهِم وتَصَارِيفِ أحوالهم

قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا ذِكْرُ هَؤُلاءِ الطَّطَرِ، وَأَنَّهم مِنْ شُعُوبِ التُّرْكِ، وَأَنَّ التُّرْكَ كُلَّهم وَلَدُ كُومَر بنِ يَافِث عَلَى الصَّحِيحِ، وَهُوَ الّذي وَقَعَ في التَّوْرَاة، وَتَقَدَّمَ لَنَا ذِكْرُ أَجْنَاسِ التُّرْكِ وَشُعُوبِهِم، وَعَدَدْنَا مِنْهم: الغُزُّ الّذين كَانَ مِنْهم السَّلْجُوقِيَّة، وَالهَيَاطِلَة الذين مِنْهم القَلَج، وَبِلادُهُمُ الصُّغْدُ قَرِيباً مِنْ سَمَرْقَنْد، وَيُسَمَّوْنَ بها أيضاً، وَعَدَدْنَا مِنْهم: الخِطَا، والطُّغزغُر وَهُم الطَّطَر، وَكَانَتْ مَسَاكِنُ هَاتَيْنِ الأُمَّتَيْنِ بِأَرْضِ طَمْغَاج، وَيُقَالُ: إنّها بِلادُ تُرْكِسْتَان وَكَاشْغَر وَمَا [إِلَيْهِما][أ] مِنْ وَرَاءِ النَّهرِ، وَهِي بِلادُ مُلُوكِهم في الإِسْلامِ، وَعَدَدْنَا مِنْهم: الخَزْلَخِيَّة، والغُورَ، والخَزَر، والخَفْشَاخ وَهُم القَفْجَاق، وَيَمَك، والعَلاَن وَيُقَالُ: آلان، وشَرْكَس، وَأَذْكَش.

وعَدَّدَ صَاحِبُ رُوجَار في كِتَابِه عَلَى [الجُغْرَافيا][ب]: التُّبَّتِيَّة، واليَغزغُرِيَّة، والخَزخِيرِيَّة، والكيماكِيَّة، والخَزْلَخِيَّة، والخُوز، والخَلْخ، وبُلغَار، وبُجْنَاك، وبُرطَاس، وبَسْجَرْت، وغُوجَان، وأُنْكر، وَذَكَرَ مَسَاكِنَ أُنكر في بِلادِ البَنَادِقَة مِنْ أَرضِ الرُّوم[1].

(أ) من س، وفي ط: وما إليها. (ب) من س، وفي ط: الجصرافيا.

---

(1) نزهة المشتاق 1: 518، 2: 932، وبراجع ما سبق ص 238.

وَجُمْهُورُ هَذه الأُمَمِ مِنَ التُّرْكِ فِيمَا وَرَاءَ النَّهرِ شَرْقاً إِلى البَحْرِ المُحِيطِ مَا بَيْنَ الجَنُوبِ وَالشَّمَالِ مِنَ الإِقْلِيمِ الأَوَّلِ إِلى السَّابِعِ، وَالصِّينُ في وَسَطِ بِلادِهِم.

وكَانَ الصِّينُ أوَّلاً لِبَنِي صِينِي إِخْوَانِهِم مِنْ بَنِي يَافِث، ثُمَّ صَارَ لَهم وَاسْتَوْلَوا عَلَى مُعْظَمِه إِلَّا قَلِيلًا مِنْ أَطْرَافِه عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، وَهم رَحَّالَة، كَما مَرَّ في[أ] ذِكْرِهِم أَوَّلَ الكِتَابِ[1] وَفي دَوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّة[2]، وَأَكْثَرُهم في المَفَازَةِ التي بَيْنَ الصِّينِ وَبَيْنَ[ب] / بِلادِ تُرْكِسْتَان. وَكَانَ لَهم قَبْلَ الإِسْلَام دَوْلَةٌ، وَلَهم مَعَ الفُرْسِ حُرُوبٌ مَذْكُورَةٌ، [413أ] وَمِلْكُهم لِذَلِكَ العَهْدِ في بَنِي أفْرَاسِيَاب، وَكَانَ بَيْنَهم وَبَيْنَ العَرَبِ لأوَّلِ الفَتْحِ حُرُوبٌ طَوِيلَة، قَاتَلُوهم عَلَى الإِسْلَامِ، فَلَم يُجِيبُوا، فَأَثْخَنُوا فِيهم، وَمَلَكُوا عَلَيهم أَطْرَافَ بِلادِهِم، وَامْتَلأَتْ أَيْدِي العَرَبِ مِنْ سَبْيِهم وَرَقِيقِهم، ثُمَّ أَذْعَنُوا للجِزْيَةِ، فَأَعْطَوْهَا، وَأَقَامَ مُلُوكَهم عَلَى بِلادِهِم، وَذَلِكَ مِنْ[ج] بَعْدِ القَرْنِ الأَوَّلِ.

وَكَانَتْ لَهم في الإِسْلَامِ دَوْلَةٌ بِبِلادِ تُرْكِسْتَان وَكَاشْغَر، وَلا أَدْرِي مِنْ أَيِّ شُعُوبِهم كَانَ هَؤُلاءِ المُلوكُ، وَقَدْ قِيلَ فِيهم: إِنَّهم مِنْ وَلَدِ أفْرَاسِيَاب، ولا يُعْرَفُ شَعْبُ أفْرَاسِيَاب فِيهم، وَكَانَ هَؤُلاءِ المُلُوكُ يُلَقَّبُونَ بِالخَان، بالقَافِ أَوْ الخَاءِ، سِمَةً لِكُلِّ مَنْ يَمْلِكُ مِنْهم، مِثْلَ: كِسْرَى [للفُرْسِ][د]، وَقَيْصَرَ للرُّومِ.

وَأَسْلَمَ مُلُوكُهم بَعْدَ صَدْرٍ مِنَ المِلَّةِ عَلَى بِلادِهِم وَمُلْكِهم فَأَقَامُوا بِها، وكَانَ بَيْنَهم وَبَيْنَ بَني سَامَان، المُلُوكِ القَائِمِين فِيمَا وَرَاءَ النَّهرِ بِدَوْلَةِ بَني العَبَّاس، حَرْبٌ

(أ) سقط من س. (ب) سقط من س. (ج) سقط من س. (د) من س، وفي ظ: للفوس.

---

(1) كتاب العبر (المقدمة) 1: 114.

(2) يراجع ما سبق في الجزء التاسع.

وَسِلْم، اتَّصَلَتْ حَالُهم عَلَيها إلى أنْ تَلاشَتْ دَوْلَتُهم وَدَوْلَةُ بَني سَامَان جَمِيعاً. وَقَامَ[أ] مَحْمُودُ بنُ سُبُكْتِكِين، مِنْ مَوَالِي بَني سَامَان، بِدَوْلَتِهم ومُلْكِهم فِيما وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَان، وَقَدْ ظَهَرَ لِذَلِكَ العَهْدِ بَنُو سَلْجُوق وَغَلَبُوا مُلُوكَ التُّرْكِ عَلى أمْرِهِم، وَأصْبَحُوا في عِدَادِ وُلاتِهم، شَأنَ الدُّوَلِ البَادِيَة الجَدِيدَةِ مَعَ الدُّوَلِ [القَائِمَةِ][ب] الحَاضِرَةِ، ثُمّ قَارَعُوا بَني سُبُكْتِكِين وَغَلَبُوهم عَلى مُلْكِهم فِيمَا بَعْدَ المائة الرَّابِعَة، وَاسْتَوْلَوْا عَلى مَمَالِكِ الإسْلام بِأسْرِهَا، وَمَلَكُوا مَا بَيْنَ الهِنْدِ وَنِهَايَةِ المَعْمُورِ في الشَّمَالِ، وَمَا بَيْنَ الصِّينِ وَخَلِيج القُسْطَنطِينَة [في][ج] الغَرْبِ، وَعَلى اليَمَنِ وَالحِجَازِ وَالشَّام، وَفَتَحُوا كَثِيرًا مِنْ بِلادِ الرُّومِ، وَاسْتَفْحَلَتْ دَوْلَتُهم لِمَا لَم تَنْتَهِ إلَيها دَوْلَةٌ بَعْدَ العَرَبِ وَالخُلَفَاءِ في المِلَّة، ثُمّ تَلاشَتْ دَوْلَتُهم وَانْقَرَضَت[د] بَعْدَ مِائتَين مِنَ السِّنِين، شَأنَ الدُّوَلِ وَسُنَّةَ الله في العِبَادِ.

[413 ب] / وَكَانُوا بَعْدَ خُرُوجِ السَّلْجُوقِيَّة إلى خُرَاسَانَ قَدْ خَلَّفَهم في بِلادِهِم بِضَوَاحِي تُرْكِسْتَان وَكَاشْغَر مِنْ أُمَمِ التُّرْكِ: أُمَّةُ الخِطَا، وَمِنْ وَرَائِهِم أُمَّةُ الطَّطَرِ، مَا بَيْنَ تُرْكِسْتَانَ وحُدُودِ الصِّين، وَلَم يَقْدِرْ مُلُوكُ الخَانِيَّة بِتُرْكِسْتَان عَلى دِفَاعِهم عَنها لِعَجْزِهِم عَنْ ذَلِكَ، فَكَانَ أرْسَلان خَان مُحَمَّد بن سُلَيْمَانَ يُنْزِلُهم مَسَالِحَ عَلى الدُّرُوبِ مَا بَيْنَه وَبَيْنَ الصِّين، وَيُقْطِعُهم عَلى ذَلِكَ، وَيُوقِعُ بِهِم عَلى الفَسَادِ وَالعَيْثِ.

ثُمّ زَحَفَ مِنَ الصِّين مَلِكُ التُّرْكِ الأعْظَم كُوخَان[هـ] سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِ مِائَة، وَلَحِقَتْ بِه أُمَمُ الخَطَا، وَلَقِيَهم الخَانُ مَحْمُودُ بنُ مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بنِ السُّلْطَان سَنْجَر بن مَلِكْشَاه صَاحِب خُرَاسَان مِنْ مُلُوكِ السَّلْجُوقِيَّة فَهَزَمُوه، وَبَعَثَ بِالصَّرِيخِ إلى خَالِه سَنْجَر، فَاسْتَنْفَرَ مُلُوكَ خُرَاسَان وَعَسَاكِرَ المُسْلِمِين وَعَبَرَ جَيْحُونَ

(أ) في س: وأقام. (ب) من س، وفي ظ: القديمة. (ج) من س، وفي ظ: بالغرب. (د) سقط من س. (هـ) في س: كورخان.

لِلِقَائِهِم، وَسَارَتْ إِلَيْه أُمَمُ التُّرْكِ والخِطَا، وَتَوَاقَعُوا فِي صَفَرٍ سِتٍ وَثَلاثِينَ وَخَمْسِ مِائَة، وَانْهَزَمَ سَنْجَرُ وَأُسِرَتْ زَوْجَتُه[1]، ثُمَّ أَطْلَقَهَا كُوخَان مَلِكُ التُّرْكِ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.

ثُمَّ مَاتَ كُوخَان سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثِين، وَمَلَكَتْ بَعْدَه بِنْتُه[2]، ثُمَّ مَاتَتْ فَمَلَكَتْ بَعْدَهَا أُمُّها زَوْجَةُ كُوخَان وَابْنُهُ مُحَمَّد، ثُمَّ انْقَرَضَ مُلْكُهم، وَاسْتَوْلَى الخِطَا عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.

ثُمَّ غَلَبَ عَلَى خُوَارِزْمَ عَلاءُ الدِّين مُحَمَّدُ بنُ تَكَش[3]، كَمَا قَدَّمْنَاه، وَيُلَقَّبُ هُو وَبَنُوهُ خُوَارِزْم شَاه، وَكَان مُلُوكُ الخَانِيَّة بِبِلادِهِم فِيمَا وَرَاءَ النَّهر، فَاسْتَصْرَخُوا بِه عَلَى الخِطَا، لَمَّا كَثُرَ مِنْ عَيْثِهِم وَفَسَادِهِم، فَأَجَابَ صَرِيخَهُم، وَعَبَرَ إِلَيهِم سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّ مِائَة، وَمَلِكُهُم يَوْمَئِذٍ طَايِنْكُوه، كَبِيرُ السِّنِّ[4] بَصِيرٌ بِالحَرْبِ، فَلَقِيَهُم فَهَزَمُوه، وَأَسَرَ خُوَارِزْم شَاه مَلِكَهُم طَايِنْكُوه وَحَبَسَه بِخُوَارِزْم، وَمَلَكَ سَائِرَ بِلادِ الخِطَا إِلَى أُوزْكَنْد[5]، وَأَنْزَلَ فِيهَا نُوَّابَه، / وَزَوَّجَ [ابْنَتَه][6] مِنَ الخَانِ صَاحِبِ سَمَرْقَنْد، وَأَنْزَلَ مَعَه شِحْنَةً، كَمَا كَانَتْ لِلخِطَا، وَعَادَ إِلَى بَلَدِه[7]. [1414]

(1) تركان خاتون بنت أرسلان خان. زبدة التواريخ 185، وينظر تاريخ دولة آل سلجوق 254.
(2) في تاريخ دولة آل سلجوق 254 - 255: أخته.
(3) ولي حكم الدولة الخوارزمية في المدة 596 - 617 هـ: 1199 – 1219 م، سيرة السلطان 5: 38، وفي تاج العروس: بضمّ ثم فتح.
(4) وكان عمره قد تجاوز مائة سنة. نهاية الأرب 27: 222، وينظر ما سبق في الجزء التاسع.
(5) في الأصول: أوركند، والزاي من الكامل 12: 267 – 268.
(6) في الأصول: أخته، والتصويب من سيرة السلطان 97، الكامل 12: 268، نهاية الأرب 27: 222.
(7) الكامل 12: 268، نهاية الأرب 27: 222.

وَثَارَ مَلِكُ الخَانِيَّةِ بِالشِّحْنَةِ بَعْدَ سَنَة مِنْ رُجُوعِه وَقَتَلَهم، وَهَمَّ بِقَتْلِ زَوْجَتِه [ابْنَة][1] خُوَارِزْم شَاه، ثُمَّ تَرَكَها، وَبَعَثَ إلى مَلِكِ الخِطَا بِطَاعَتِه، وَعَبَر إلَيْه خُوَارِزْم شَاه، وَحَاصَرَه بِسَمَرْقَنْدَ وَاقْتَحَمَها عَلَيْه عَنْوَةً، وَقَتَلَه في جَمَاعَةٍ مِنْ أَقَارِبِه، وَمَحَا أَثَرَ الخَانِيَّة وَمُلْكَهم مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَأَنْزَلَ في سَائِرِ البِلادِ نُوَّابَه[2].

وَكَانَت أُمَّةُ الطَّطَرِ، مِنْ وَرَاءِ الخِطَا هؤلاء، قَدْ نَزَلُوا في حُدُودِ الصِّين مَا بَيْنَها وَبَيْنَ تُرْكِسْتَان، وكَانَ مَلِكُهم كُشْلِي خَان[3]، وَوَقَعَ بَيْنَهم وَبَيْنَ الخِطَا مِنَ العَدَاوَةِ والحُرُوبِ مَا يَقَعُ بَيْنَ الأُمَمِ المُتَجَاوِرَةِ. فَلَمَّا بَلَغَهم مَا فَعَلَه خَوَارِزْم شَاه بالخِطَا أَرَادُوا الانْتِقَامَ مِنْهم، وَزَحَفَ كُشْلِي خَان في أُمَمِ الطَّطَرِ إلى الخِطَا لِيَنْتَهِزَ الفُرْصَةَ فِيهم، فَبَعَثَ الخِطَا إلى خُوَارِزْم شَاه يَتَلَطَّفُونَ لَه وَيَسْأَلُونَه النَّصْرَ مِنْ عَدُوِّهم قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْكِمَ أَمْرُه وَتَضِيقَ عَنه قُدْرَتُه وَقُدْرَتُهم، وَبَعَثَ إليه كُشْلِي [خَان مَلِكُ الطَّطَرِ يَقُولُ: إنَّ هَؤلاءِ الخِطَا أَعْدَاؤُكَ وَأَعْدَاءُ آبَائِكَ وَأَعْدَاؤُنَا، فَسَاعِدْنَا عَلَيْهم.... فَأَجَابَ بِمَا][4] يُوهِمُ كُلَّ وَاحِدٍ[ا] مِنَ الفَرِيقَيْنِ أَنَّه لَه، وَأَقَامَ مُنْتَبِذاً عَنْهما، حَتَّى تَوَاقَعُوا وَانْهَزَمَ الخِطَا فَمَالَ مَعَ الطَّطَرِ عَلَيْهم، وَاسْتَلْحَمُوهم في كُلِّ وَجْهٍ، وَلَم يَنْجُ مِنْهم إلَّا قَلِيلٌ

(ا) سقط من س.

---

(1) في الأصول: أخت، والتصويب من الكامل 12: 268، ونهاية الأرب 27: 223، وينظر الهامش السابق.

(2) الكامل 12: 269، نهاية الأرب 27: 224.

(3) الكامل 12: 270، وورد: كشلو خان. في سيرة السلطان 40، نهاية الأرب 27: 305.

(4) في الأصول: ملك الخطا، مما يجعل النص مضطرباً، والإضافة لاستكمال النص من الكامل 12: 270، نهاية الأرب 27: 225.

تحصَّنُوا بَيْنَ جِبَالٍ في[أ] نَوَاحِي تُرْكِسْتَان، وَقَلِيلٌ آخَرُون لَحِقُوا بخَوَارِزم شَاه فَكَانُوا مَعَه[5].

وَبَعَثَ خُوَارِزم شَاه إلى كُشْلِي خَان مَلِكِ الطَّطَرِ يَعْتَدُّ عَلَيه بهَزِيمَةِ الخِطَا، وَأَنَّه إنَّما كَانَت بِمُظَاهَرَتِه، فَأَظْهَرَ لَه الاعْتِرَاف وَشُكْرَه، ثُمَّ نَازَعَه فِي بِلَادِهِم وَأَمْلَاكِهِم، وَقَالَ لِخُوَارِزم شَاه: نَقْتَسِمُها كَما اقْتَسَمْنَا [غَلَبَهم][ب] وإبَادَتَهم، فَامْتَعَضَ لِذَلِكَ خُوَارِزم شَاه وَتَوَعَّدَهم، وَسَارَ لِحَرْبِهِم، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّه لا طَاقَةَ لَه بِهِم، فَمَكَثَ يُرَاوِغُهم عَنِ اللِّقَاءِ، وَكُشْلِي خَان يَعْذِلُهُ فِي ذَلِكَ وَهُوَ يُغَالِطُه، وَاسْتَوْلَى كُشْلِي خَان خِلَالَ ذَلِكَ عَلَى كَاشْغَر وَبِلَادِ تُرْكِسْتَان وَ[بَلَاسَاغُون][1]. / ثُمَّ عَمَدَ خُوَارِزم شَاه [414ب] إلى الشَّاشِ وَفَرْغَانَة[ج] وَأَسْبِيجَاب[2] وَكَاشَان وَمَا حَوْلَهَا مِنَ المُدُنِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِي بِلَادِ اللهِ أَنْزَه مِنْهَا ولا أَحْسَنَ عِمَارَةً، [فَأَجْلَى][3] أَهْلَهَا إلى بِلَادِ المُسْلِمِين، وَخَرَّبَ جَمِيعَهَا أَنْ[د] يَمْلِكَهَا الطَّطَرُ. ثُمَّ اخْتَلَفَ الطَّطَرُ بَعْدَ ذَلِك، وَخَرَجَ عَلَى كُشْلِي خَان طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُم يُعْرَفُونَ بِالمُغُلِ، وَمَلِكُهم جِنْكِزْ خَان، فَشُغِلَ كُشْلِي خَان بِحَرْبِهِم عَنْ خُوَارِزم شَاه، فَعَبَرَ خُوَارِزم شَاه النَّهْرَ إلى خُرَاسَان[4]، وَتَرَكَ خُوَارِزمَ إلى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِه مَا نَذْكُرُ.

(أ) في: سقط من س. (ب) عليهم: في ظ، والتصويب من س. (ج) في س: فرغاه. (د) في س: إلى أن.

---

(5) الكامل 12: 270، نهاية الأرب 27: 225 – 229، وينظر ما سبق بالجزء التاسع.

(1) في الأصول: ساغون، وينظر الكامل 12: 362، نهاية الأرب 27: 305، ومعجم البلدان 1: 476.

(2) ترد في مصادر، أسفيجاب، وهي: من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان، معجم البلدان 1: 179.

(3) في الأصول: لجلا، وعدلت بما يتفق مع السياق.

(4) الكامل 12: 271، نهاية الأرب 27: 227، وينظر سيرة السلطان 43 - 44، وما سبق في الجزء التاسع.

اسْتِيلاءُ الطَّطَرِ عَلَى مَمَالِكِ خُوَارِزم شَاه فِيمَا وَرَاءَ النَّهرِ وخُرَاسَانَ، ومَهلكُ السُّلطَانِ خُوَارِزم شَاه محمَّد بن تكش

وَلَمَّا رَحلَ السُّلْطَانُ إِلَى خُرَاسَان وَاسْتَوْلَى عَلَى الأَعْمَالِ مَا بَيْنه وَبَيْنَ بَغْدَادَ، مِنْ: خُرَاسَان، وَمَازِنْدَرَان[أ]، وَبَامِيَان، وَغَزْنَة إِلى بِلادِ الهِنْدِ، وَغَلَبَ الغُورِيَّةُ عَلَى مَا بِأَيْدِيهِم، ثُمَّ مَلَكَ: الرَّيَّ، وَأَصْبَهَانَ، وَسَائِرَ بِلادِ الجَبَلِ، وَسَارَ إِلَى العِرَاقِ، وَبَعَثَ إِلى الخَلِيفَةِ في الخُطْبَةِ كَمَا كَانَتْ لِمُلُوكِ بَنِي سَلْجُوق، فَامْتَنَعَ الخَلِيفَةُ مِن ذَلِكَ[1]، كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ كُلِّه في أَخْبَارِ دَوْلَتِهِم.

ثُمَّ عَادَ مِنَ العِرَاقِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَة، وَاسْتَقَرَّ بِنَيْسَابُور، فَوَفَدَتْ عَلَيْه رُسُلُ جِنكِزْ خَان بِهَدِيَّتِه مِنْ: نُقْرَةِ[2] المَعْدِنَيْن، وَنَوَافِجِ المِسْكِ، وَحَجَرِ اليَشْم[ب][3]، وَالثِّيَابِ الخِطَائِيَّةِ المَنْسُوجَة مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ البِيض[4]، وَيُخْبِرُ أَنَّه مَلَكَ الصِّينَ وَمَا يَلِيهَا مِنْ بِلادِ التُّرْكِ، وَيَطْلُبُ المُوَادَعَةَ وَالإِذْنَ لِلتُّجَّارِ بِالتَّرَدُّدِ لِمَتَاجِرِهِم[ج] مِنَ الجَانِبَيْنِ، وَكَانَ فِي خِطَابِه إِطْرَاءُ السُّلْطَانِ خُوَارِزْم شَاه بِأَنَّه مِثْلُ أَعَزِّ أَوْلادِه[5]، فَاسْتَنْكَفَ السُّلْطَانُ[د] مِنْ ذَلِكَ وَامْتَعَضَ لَه، وَأَجْمَعَ عَدَاوَتَه، وَاسْتَدْعَى مَحْمُوداً

(أ) في س: مازندان. (ب) سقط من س. (ج) في س: في متاجرهم. (د) في س: خوارزم شاه.

---

(1) سيرة السلطان 49 - 50، نهاية الأرب 27: 230.

(2) النقرة: القطعة المضروبة من الذهب أو الفضة، صبح الأعشى 3: 43، 466.

(3) في سيرة السلطان 83، نهاية الأرب 27: 239: اليشب، وهو معرب اليشم: وهو حجر معدني أجوده الزيتي والأبيض فالأصفر وله خواص، تاج العروس، ويراجع أزهار الأفكار في جواهر الأحجار 194.

(4) التي تسمى طرقوا. سيرة السلطان 83، نهاية الأرب 27: 239.

(5) نص الخطاب في سيرة السلطان 83 – 84.

الخَوَارِزْمِيّ، مِنْ رُسُلِ جِنْكِزْ خان، وَاصْطَنَعَه لِيَكُونَ عَيْنًا لَه عَلَى / صَاحِبِه، [415أ] وَاسْتَخْبَرَه عَمَّا قَالَه فِي كِتَابِه مِنْ أَنَّه مَلَكَ الصِّينَ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَدِينَة طُوغَاج[1]، فَصَدَّقَ لَه ذَلِكَ، وَسَأَلَه عَنْ مِقْدَارِ العَسَاكِرِ، فَقَلَّلَهَا، وَغَشَّه فِي ذَلِكَ، ثُمَّ نَكِرَ عَلَيْه الخِطَابَ بِالوَلَدِ، وَصَرَفَ الرُّسُلَ بِمَا طَلَبُوه مِنَ المُوَادَعَةِ وَالإِذْنِ لِلتُّجَّارِ[2].

وَوَصَلَ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ بَعْضُ التُّجَّارِ مِنْ بِلادِهِم إِلَى أَطْرَارَ[3] وَبِهَا يَنَال خَان ابنُ خَالِ السُّلْطَان خُوَارِزْم شَاه، [فَشَرِهَ](أ) إِلَى أَمْوَالِهِم، وَرَفَعَ إِلَى السُّلْطَانِ أَنَّهم عُيُونٌ عَلَى البِلادِ وَلَيْسُوا بِتُجَّارٍ، فَأَمَرَه بِالاحْتِيَاطِ عَلَيْهِم فَفَعَلَ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهم، ثُمَّ قَتَلَهم خُفْيَةً[4]. وَفَشَا الخَبَرُ إِلَى جِنْكِزْ خَان فَبَعَثَ بِالنَّكِيرِ عَلَى السُّلْطَانِ، وَأَنَّ [مَا](ب) فَعَلَه يَنَالُ افْتِيَاتاً، فَتَبْعَثُه إِلَيَّ، وَتَهَدَّدَ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِه، فَانْزَعَجَ السُّلْطَانُ لَهَا، وَقَتَلَ الرُّسُلَ، وَبَلَغَ الخَبَرُ إِلَى جِنْكِزْخَان فَسَارَ فِي العَسَاكِرِ إِلَى بِلادِه[5].

وَجَبَى السُّلْطَانُ مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْد خَرَاجَ سَنَتَيْنِ حَصَّنَ بِهَا أَسْوَارَ سَمَرْقَنْد، وَجَبَى ثَالِثَةً اسْتَخْدَمَ بِهَا الفُرْسَانَ لِحِمَايَتِهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى أَحْيَاءِ جِنْكِزْ خَانَ فَكَبَسَهم وَهُو غَائِبٌ عَنْهم فِي مُحَارَبَةِ عَدُوِّه كُشْلِي خَان، فَغَنِمَ وَرَجَعَ، وَاتَّبَعَه ابن جِنْكِزْ خَان، فَكَانَتْ بَيْنَهما وَاقِعَةٌ عَظِيمَةٌ، هَلَكَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الفَرِيقَيْنِ، وَرَجَعَ خُوَارِزْم شَاه إِلَى

(أ)، (ب) من س.

---

(1) في سيرة السلطان 84، الكامل 12: 361: طمغاج، ويبدو أن هناك خلطاً بين أرض طمغاج ومدينة طوغاج، ينظر ما سبق ص609، نهاية الأرب 27: 240، وينظر ما يلي ص 635.

(2) سيرة السلطان 83 – 85، نهاية الأرب 27: 239 - 241.

(3) في سيرة السلطان 85، نهاية الأرب 27: 241: اترار، ووردت في الكامل 12: 362: أوترار.

(4) سيرة السلطان 85 – 86، نهاية الأرب 27: 241.

(5) سيرة السلطان 87 – 88، نهاية الأرب 27: 242، 307.

جَيْحُونَ فَأَقَامَ عَلَيْه، وَفَرَّقَ عَسَاكِرَه في أَعْمَالِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ: أُطْرَار، وَسَمَرْقَنْد، وترمذ، وجَنْد، وَأَنْزَلَ أينانج مِنْ أَكْبَرِ أُمَرَائِه وَحُجَّابِ دَوْلَتِه فِي بُخَارَى، وَجَعَلَهم لِنَظَرِه، ثُمَّ سَارَ جِنْكِزْ خَان إِلَيْه فَعَبَرَ النهرَ مُجْفِلاً، وَقَصد جِنْكِزْ خَان أُطْرَارَ فَحَاصَرَهَا وَمَلَكَهَا غِلاباً[أ] وَأَسَرَ أَمِيرَهَا يِنَال خَان، الَّذِي قَتَلَ التُّجَّارَ، فَأَذَابَ الفِضَّةَ فِي أُذُنِيه وَعَيْنَيْه[1]، ثُمَّ حَاصَرَ بُخَارَى وَمَلَكَها عَلَى الأَمَانِ[2]، وَقَاتَلُوا مَعَه القَلْعَةَ حَتَّى مَلَكَهَا وَخَرَّبَها، ثُمَّ غَدَرَ بِهِم، فَقَتَلَهم وَسَبَاهم[3]، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي سَمَرْقَنْدَ سَنَةَ [سَبْعَ][4] عَشْرَةَ.

ثُمَّ كَتَبَ كُتُباً إِلَى أُمَرَاءِ خُوَارِزْم شَاه، قَرَابَةِ أُمِّه مِنْ يَمك[5]، كَأَنَّهَا أَجْوِبَةٌ، عَنْ كُتُبِهم إِلَيْه بِاسْتِدْعَائِه وَالبَرَاءَةِ مِنْ خَوَارِزْم شَاه، وَذَمِّه بِعُقُوقِ أُمِّه، فَبَسَطَ آمَالَهم [415 ب] فِي كُتُبِه، وَوَعَدَهم وَتُرْكَان / خَاتُون أُمَّ السُّلْطَانِ، وَكَانَتْ فِي خُوَارِزْم، فَوَعَدَهَا بِزِيَادَةِ خُرَاسَان، وَأَنْ تَبْعَثَ مَنْ يَسْتَحْلِفُه عَلَى ذَلِكَ، وَبَعَثَ بِالكُتُبِ مَنْ يَتَعَرَّضُ بِها لِلسُّلْطَانِ، فَلَمَّا قَرَأَهَا السُّلْطَانُ ارْتَابَ بِأُمِّه وَبِقَرَابَتِها، فَاسْتَوْحَشُوا، وَوَقَعَ [التَّقَاطُعُ][ب] وَالنَّفْرَةُ.

وَلَمَّا اسْتَوْلَى جِنْكِزْ خَان عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَنَجَا نَائِبُ بُخَارَى فِي الفَلِّ وَأَجْفَلَ السُّلْطَانُ وَعَبَرَ جَيْحُونَ إِلَى خُرَاسَان، وَرَجَعَ عَنْه طَوَائِفُ الخِطَا الَّذِين كَانُوا

(أ) في س: أغلابا. (ب) من س، وفي ظ: التقابع.

---

(1) سيرة السلطان 90 - 91، نهاية الأرب 27: 242 - 243، 307.

(2) يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة 616 هـ. الكامل 12: 365، نهاية الأرب 27: 308.

(3) سيرة السلطان 100، الكامل 12: 366 – 368.

(4) في الأصول: تسع، والتصويب من الكامل 12: 368، نهاية الأرب 27: 311.

(5) يمك: من قبائل الترك، نهاية الأرب 27: 246 - 247.

مَعه، وَتَخاذَل النَّاس، وَسَرَّحَ جِنكِزْ خَان العَسَاكِرَ فِي إثْرِه نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ أَلْفاً كَانُوا يُسَمُّونَهم الطُّطَرَ المُغَرِّبَةَ لِتَوَغُّلِهم فِي البِلادِ غَرْبِيَّ خُرَاسَان إلى بِلادِ القَفْجَاقِ[1].

وَوَصَلَ السُّلْطَانُ إلى نَيْسَابُور، فَلَمْ يَثْبُتْ بِها، وَارْتَحَلَ إلى مَازَنْدَرَان وَالطُّطَرُ في إثْرِه، ثُمَّ انْتَهى إلى هَمَذَان فَكَبَسُوه هُنَالِكَ، وَفَرَّقُوا جُمُوعَه، وَنَجَا إلى بِلادِ جِبَالِ طَبَرِسْتَان، فَأَقَامَ بِقَرْيَةٍ بِسَاحِلِ البَحْرِ[2] في فَلٍّ مِنْ قَوْمِه، ثُمَّ كَبَسَه الطُّطَرُ أُخْرَى، فَرَكِبَ البَحْرَ إلى جَزِيرَةٍ في[أ] بُحَيْرَةِ طَبَرِسْتَان، وَخَاضُوا في إثْرِه فَغَلَبَهم المَاءُ وَرَجَعُوا، وَأَقَامَ خُوَارِزْم شَاه [هُنَالِكَ][ب] بِالجَزِيرَةِ، وَمَرِضَ بِها، وَمَاتَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائة، وَعَهِدَ لابْنِه جَلالِ الدِّين مَنْكَبَرْتِي[3].

وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ إجْفَالِه إلى أُمِّه تُرْكَان خَاتُون بِخُوَارِزْم خَرَجَتْ هَارِبَةً[4]، وَاعْتَصَمَتْ بِقَلْعَة [إيلَال][5] مِنْ مَازَنْدَرَان، وَرَجَعَ الطُّطَرُ عَنِ اتِّبَاعِ خُوَارِزْم شَاه فَافْتَتَحُوا قِلَاعَ مَازَنْدَرَان وَمَلَكُوهَا، وَمَلَكُوا قَلْعَةَ إيلَال صُلْحاً، وَأَسَرُوا أُمَّ السُّلْطَانِ وَبَنَاتِه وَتَزَوَّجَهُنَّ الطُّطَرُ، وَتَزَوَّجَ دُوشِي خَان بنُ جِنكِزْ خَان بِإحْدَاهُنَّ[6]، وَبَقِيَتْ تُرْكَان خَاتُون أَسِيرَةً عِنْدَهم في ذُلٍّ وَخُمُول.

(أ) جزيرة في: سقط من س. (ب) من س.

---

(1) الكامل 12: 369، وورد في سيرة السلطان 102، نهاية الأرب 27: 248: ثلاثين ألف فارس.

(2) فوصل إلى مرسى من بحر طبرستان يُعرف بباب سكون. الكامل 12: 370. وهي آبسكون. معجم البلدان 1: 43.

(3) سيرة السلطان 104 - 108، الكامل 12: 370، نهاية الأرب 27: 248 – 252.

(4) وذلك في سنة خمس عشرة وستمائة. نهاية الأرب 27: 246.

(5) في الأصول: إيلان، والتصويب من نهاية الأرب 27: 245، سيرة السلطان 95.

(6) في سيرة السلطان 97: هي: سلطان خان التي كانت مزوجة بسلطان عثمان صاحب سمرقند.

مَسيرُ الطَّطَرِ المُغَرِّبة [بَعدَ](أ) خُوارَزْمْ شَاه إلى العِراق وأذرَبِيجَان، واستِيلاؤُهم عَلَيهَا إلى بلادِ قَفْجَاق والرُّوسِ وأبوابِ الحَديدِ

وَلَمّا رَجَعَ الطَّطَرُ المُغَرِّبَةُ عَن اتّبَاعِ خُوارِزْم شَاه سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، عَادُوا إلى [417 أ] هَمَذَان، وَانْتَسَفُوا مَا مَرُّوا عَلَيْه، وَصَانَعَهم أَهْلُ هَمَذَانَ بِمَا طَلَبُوه، /[1] ثُمّ سَارُوا إلى زَنْجَانَ كَذَلِكَ، ثُمّ إلى قَزْوِينَ فَامْتَنَعُوا مِنهم، وَحَاصَرُوهَا وَمَلَكُوهَا غِلاباً، وَقَتَلُوا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلفاً. ثُمّ سَارُوا إلى أَذْرَبِيجَان، وَصَانَعَهم صَاحِبُ تَبْرِيز، وَانْصَرَفُوا إلى مُوقَان، وَمَرُّوا بِبِلادِ الكُرْجِ فَاكْتَسَحُوها، وَجَمَعُوا لَهم فَهَزَمُوهم وَأَثْخَنُوا فِيهِم، وَذَلِكَ آخِرَ سَبْعَ عَشْرَةَ[2]، ثُمّ عَادُوا إلى مَرَاغَة فَمَلَكُوهَا عَنْوَةً •في صَفَر ثَمانِ عَشْرَةَ•(ب) وَاسْتَبَاحُوهَا، وَرَحَلُوا عَنْهَا إلى إِرْبِل، وَبِها مُظَفَّرُ الدِّين كُوكُبُورِي، فَاسْتَمَدَّ صَاحِبَ المَوْصِلِ وَأَمدَّه بِالعَسَاكِرِ، ثُمّ اسْتَدْعَاهم الخَلِيفَةُ النَّاصِرُ إلى [مَدِينَة][3] دَقُوقَا لِلمُدَافَعَة عَنِ العِرَاقِ مَعَ عَسَاكِرِه، وَوَلّى عَلَيْهِم جَمِيعاً مُظَفَّرَ الدِّين صَاحِبَ إِرْبِل، فَخَامَ عَنْ لِقَائِهم، وَخَامُوا عَنْ لِقَائِه[4].

وَسَارُوا إلى هَمَذَانَ وَبِها شِحْنَتُهم، فَامْتَنَعُوا مِنْ مُصَانَعَتِهم، وَقَاتَلُوهم فَمَلَكُوهَا

(أ) من س، وفي ظ: مع. (ب) سقط ما بين النجمين من س.

---

(1) ورقة 416 أ، ب: سقطت من الترقيم فقط، فالنص متصل.

(2) في ذي القعدة. الكامل 12: 375، وينظر ما سبق في الجزء التاسع.

(3) من الكامل 12: 378.

(4) الكامل 12: 379.

عَنْوَةً وَاسْتَبَاحُوهَا وَاسْتَلْحَمُوا أَهْلَهَا[1]، وَرَجَعُوا إِلَى أَذْرِبِيجَان، فَمَلَكُوا أَرْدَبِيلَ[2] وَاسْتَبَاحُوهَا وَخَرَّبُوهَا، وَسَارُوا إِلَى تَبْرِيز، وَقَدْ فَارَقَهَا أُزْبَكُ[3] بْنُ الْبَهْلَوَان إِلَى [نَخْجُوَان][4] فَصَانَعُوهم بِالأَمْوَالِ، وَسَارُوا إِلَى بَيْلَقَان وَمَلَكُوهَا عَنْوَةً فَأَفْحَشُوا[أ] فِي القَتْلِ وَالمُثْلَة، وَاكْتَسَحُوا جَمِيعَ الضَّاحِيَةِ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى كَنْجَة قَاعِدَةِ أَرَّان فَصَانَعَهم أَهْلُهَا[5]، فَسَارُوا إِلَى بِلَادِ الكُرْج فَهَزَمُوهم وَحَاصَرُوهم بِقَاعِدَتِهم تَفْلِيس، وَخَرَّبُوا بِلَادَهم، وَرَدَّهم كَثْرَةُ الأَوْعَارِ وَالدَّرْبَنْدَاتِ عَنِ التَّوَغُّلِ فِيهَا[6]، ثُمَّ قَصَدُوا دَرْبَنْد شَرْوَان وَحَاصَرُوا مَدِينَةَ [شَمَاخِي][7] عِنْدَه وَمَلَكُوه [وَدَخَلُوه][ب] وَاسْتَبَاحُوه، وَأَعْجَزَهم الدَّرْبَنْدُ عَنِ المَسِيرِ، فَرَاسَلُوا شَرْوَانَ [شاه][8] فِي الصُّلْحِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِم رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِه، فَقَتَلُوا بَعْضَهم وَاتَّخَذُوا البَاقِينَ أَدِلَّاء، وَأَفْضَوْا مِنَ الدَّرْبَنْدِ إِلَى الأَرْضِ الفَسِيحَة، وَبِهَا أُمَمُ القَفْجَاقِ وَاللَّانِ وَاللَّكْزِ وَطَوَائِفُ مِنَ التُّرْكِ، مُسْلِمُونَ وَكُفَّارٌ فِي أُمَمٍ لا تُحْصَى، وَلَم يُطِيقُوا مُغَالَبَتَهم لِكَثْرَتِهم، فَرَجَعُوا إِلَى التَّضْرِيبِ بَيْنَهم حَتَّى اسْتَوْلَوْا عَلَى بِلَادِهِم، وَاكْتَسَحُوهَا وَأَوْسَعُوهم قَتْلًا وَسَبْيًا، وَفَرَّ أَكْثَرُهم إِلَى بِلَادِ الرُّوسِ وَرَاءَهم، وَاعْتَصَمَ البَاقُونَ بِالجِبَالِ / وَالغِيَاضِ[9]. [417 ب]

(أ) في س: وافحشوا. (ب) من س.

---

(1) في شهر رجب سنة ثمان عشرة. الكامل 12: 381، نهاية الأرب 27: 317.

(2) في الكامل 12: 382: أردويل: ينظر معجم البلدان 1: 145.

(3) في الكامل 12: 374: أوزبك.

(4) في الأصول: بقجوان، والتصويب من الكامل 12: 382، وينظر معجم البلدان 5: 298.

(5) الكامل 12: 382.

(6) الكامل 12: 383، نهاية الأرب 27: 319 – 320.

(7) في ظ: مساجي: في س: سماجي: والتصويب من الكامل 12: 384، وينظر معجم البلدان 3: 361.

(8) من الكامل 12: 385

(9) الكامل 12: 385 – 386.

وَانْتَهَى الطَّطَرُ إلى مَدِينَتِهِم الكُبْرَى [سُودَاق][1] عَلَى بَحْرِ نِيطِش[2] المُتَّصِلِ بِخَلِيجِ القُسْطَنْطِينَة، وَهِيَ مَادَّتُهم، وَفِيهَا تِجَارَتُهم، فَمَلَكَهَا الطَّطَرُ، وَافْتَرَقَ أَهْلُهَا فِي الجِبَالِ، وَرَكِبَ بَعْضُهم البَحْرَ إلى بِلادِ الرُّومِ فِي إِيَالَةِ بَنِي قِلِيج أَرْسَلَان[3].

ثُمَّ سَارَ الطَّطَرُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَة مِنْ بِلادِ قَفْجَاق إلى بِلادِ الرُّوسِ المُجَاوِرَة لَهَا، وَهِيَ بِلادٌ فَسِيحَةٌ، وَأَهْلُهَا يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّة، فَسَارُوا إلى مُدَافَعَتِهِم فِي تُخُومِ بِلادِهِم، وَمَعَهم جُمُوعٌ مِنَ القَفْجَاقِ فَرُّوا إِلَيهِم، فَاسْتَطْرَدَ لَهم الطَّطَرُ مَرَاحِلَ ثُمَّ كَرُّوا عَلَيْهِم، وَهم غَادُون، فَصَابَرَهم الرُّوسُ وَقَفْجَاقُ أَيَّاماً، ثُمَّ انْهَزَمُوا، وَأَثْخَنَ الطَّطَرُ فِيهِم قَتْلاً وَسَبْياً وَنَهباً، وَرَكِبُوا السُّفِنَ هَارِبِينَ إلى بِلادِ المُسْلِمِين، وَتَرَكُوا بِلادَهم فَاكْتَسَحَهَا الطَّطَرُ، ثُمَّ عَادُوا عَنْهَا[4].

وَقَصَدُوا بُلْغَارَ أَوَاخِرَ السَّنَة[5]، وَاجْتَمَعَ أَهْلُهَا وَسَارُوا[أ] لِلِقَائِهِم، بَعْدَ أَنْ

(أ) في س: وساروا أهلها واجتمعوا.

---

(1) في ظ: سرداق، في س: سرادق، والتصويب من الكامل 12: 386، صبح الأعشى 4: 460، والعامة تقول سرداق.

(2) في الكامل 12: 386: الخزر: وهو بحر قزوين، وهو غير بحر نيطش المذكور في المتن، فقد ذكر ابن سعيد المغربي في كتابه الجغرافيا أن: أول ما يلقاك منه... مدينة سوداق... وهي على بحر نيطش، الذي يسافر فيه التجار منها إلى خليج القسطنطينية، وهو البحر الأسود، ويسمى البحر الأزرق وبحر القرم، وسماه ياقوت بحر بنطس: بضم الطاء والسين، وهو البحر الذي منه خليج قسطنطينية أوله في أطراف بلاد الترك في الشمال ويمتد إلى ناحية المغرب والجنوب حتى يتصل ببحر الشام. ينظر كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي، كتاب غرائب الاغتراب للآلوسي (الفصل التاسع)، ومعجم البلدان.

(3) الكامل 12: 386.

(4) الكامل 12: 387 - 388.

(5) سنة عشرين وستمائة. الكامل 12: 388.

أَكْمَنُوا لَهم، ثُمَّ اسْتَطْرَدُوا أَمَامَهم، وَخَرَجَ عَلَيْهِم الكُمَنَاءُ مِنْ خَلْفِهم، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهم إلا القَلِيلُ، وَارْتَحَلُوا[أ] عَائِدِينَ إلى جِنْكِزْ خَان بِأَرْضِ الطَّالَقَانِ[1]، وَرَجَعَ القَفْجَاقُ إلى بِلَادِهِم وَاسْتَقَرُّوا فِيهَا[2].

مَسِيرُ جِنْكِزْ خَانَ إلى خُرَاسَان
وتَغَلُّبُه عَلَى أَعْمَالِها وعَلَى خُوَارِزْم

كَانَ جِنْكِزْ خَان بَعْدَ إجْفَالِ خُوَارِزْم شَاه مِنْ جَيْحُون، وَمَسِيرِ الطُّطَرِ المُغَرِّبَة في طَلَبِه مُقِيماً بِسَمَرْقَنْد، فَبَعَثَ عَسْكَراً إلى تِرْمِذ، وَعَسْكَراً إلى فَرْغَانَة، وَعَسْكَراً إلى خُوَارِزْم، وَعَسْكَراً إلى خُرَاسَان[3].

وَكَان عَسْكَرُ خُوَارِزْم أَعْظَمَها لأنها كُرْسِيُّ المُلْكِ وَمَأْوَى العَسَاكِرِ، وَبَعَثَ معَ العَسَاكِرِ ابْنَيْهِ جَغَطَايَ وَأُوكَطَاي فَحَاصَرُوهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، وَامْتَنَعَتْ [عَلَيْهِم][ب] فَأَمَدَّهم جِنْكِزْ خَان بِالعَسَاكِرِ مُتَلَاحِقَة، وَمَلَكُوهَا نَاحِيَةً نَاحِيَةً إلى أَنِ اسْتَوْعَبُوهَا، ثُمَّ فَتَحُوا السَّدَّ[4] الَّذِي يَمْنَعُ مَاءَ جَيْحُونَ عَنْهَا، فَسَالَ إلَيها جَيْحُونُ فَغَرَّقَها، وَتَقَسَّمَ أَهْلُها بَيْنَ السَّيْفِ وَالغَرَقِ، هَكَذَا قَالَ ابنُ الأَثِير[5].

(أ) في س: فارتحلوا. (ب) من س.

---

(1) في الكامل 12: 389: وهو بسمرقند.
(2) الكامل 12: 388 - 389.
(3) الكامل 12: 389.
(4) في الكامل 12: 395: السكر.
(5) الكامل 12: 394 - 395.

وَقَالَ النَّسَائِيُّ كَاتِبُ جَلالِ الدِّين: إنَّ دُوشِي خَان عَرَضَ عَلَيْهِم الأَمَان، |418ا| وَخَرَجُوا إلَيْه فَقَتَلَهم أجْمَعِين(1)، وَذَلِكَ فِي [صَفَر/ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ](2)، وَعَادَ دُوشِي خَان وَالعَسَاكِرُ إلى جِنْكِزْ خَان، فَوَجَدُوه بالطَّالَقَان(3).

وَأمَّا عَسْكَر تِرْمِذ فَسَارُوا إلَيها وَمَلَكُوهَا، وَتَقَدَّمُوا مِنها إلى كَلَانَة، مِنْ قِلَاعِ جَيْحُون، فَمَلَكُوهَا وَخَرَّبُوهَا(4). وَعَسْكَر فَرْغَانَة كَذَلِكَ.

وَأمَّا عَسْكَرُ خُرَاسَان فَعَبَرُوا إلى بَلْخ، وَمَلَكُوهَا عَلَى الأَمَانِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَأنْزَلُوا بِها شِحْنَةً(5).

ثُمَّ سَارُوا إلى الزَّوْزَان وَ[أَنْدَخُوى](6) و[فَارِيَاب](7) فَمَلَكُوهَا وَوَلَّوْا عَلَيْها، ثُمَّ سَارُوا إلى [الطَّالَقَان](أ)، وَحَاصَرُوا قَلْعَةَ [مَنْصُوركُوه](8)، وَكَانَت مَنِيعَةً، وَجَاءَهم جِنْكِزْ خَان بِنَفْسِه، بَعْدَ امْتِنَاعِها سِتَّةَ أشْهُرٍ، فَحَاصَرَها أرْبَعَةَ أشْهُرٍ أُخْرَى، ثُمَّ أَمَرَ بِنَقْلِ الخَشَبِ وَالتُّرَابِ لِيَجْتَمِعَ مِنْه تَلٌّ يُعَالِي بِه البَلَدَ(9)، فَلَمَّا اسْتَيْقَنُوا بِالهَلَكَةِ(ب)

(أ) في ظ: الصالقان. (ب) في س: الهلكة.

---

(1) سيرة السلطان 171 – 173.

(2) في الأصول: محرم سبع عشرة، والتصويب من سيرة السلطان 170.

(3) الكامل 12: 395.

(4) المصدر نفسه 12: 389.

(5) المصدر نفسه 12: 390.

(6) في ظ: ايدحرى، في س: إيدحوي، والتصويب من الكامل 12: 390.

(7) في الأصول: فاريان، في الكامل 12: 390: قاريات، والتصويب من نهاية الأرب 27: 324، وينظر معجم البلدان 4: 229.

(8) في الأصول: صور كوه، والتصويب من الكامل 12: 390، نهاية الأرب 27: 324.

(9) في الكامل 12: 391: يوازي القلعة.

فَتحُوا البَابَ وَصَدَقُوا الحَمْلَة، فَنجَا الخَيَالةُ وَتَفَرَّقُوا في الجِبَالِ وَالشِّعَابِ، وَقُتِلَ الرَّجَّالَةُ، وَدَخَلَ الطَّطَرُ، فَاسْتَبَاحُوا البَلَدَ[1].

وَبَعثَ جِنكِيزْ خَان عَسكَرًا إلى [خُرَاسَان][2] مَعَ صِهْرِه [تَغَجَار][3] نُوين، [فَوَصَلَتْ عَوَّارَةٌ[4] مِنهم إلى نَسَا مُقَدَّمُهَا أَمِيرٌ يُعْرَفُ بِبِلْ كُوش][5] فَقُتِلَ في حِصَارِها، ثُمَّ مَلَكُوهَا، فَاسْتَبَاحُوهَا وَخَرَّبُوهَا، •وَيُقَالُ: قُتِلَ فِيهَا•[أ] أَكْثَرُ مِن سَبعِينَ أَلفًا[6].

[ثُمّ][ب] بَعَثَ جِنكِيزْ خَان ابْنَه في العَسَاكِرِ إلى مَرْو، وَاسْتَنْفَرَ [صَاحِبُهَا][7] أَهْلَ البِلَادِ الَّتي مَلَكَهَا [الطَّطَرُ][8] مِنْ قَبلُ، وَقَدْ كَانَ النَّاجُونَ مِنْ هَذه الوَقَائِعِ أَرزُوا إِلَيْها، فَاجْتَمَعُوا[ج] بِظَاهِرِهَا أَكْثَرَ مِن مِائَتي[د] أَلف، لا يَشُكُّونَ [في][هـ] الظَّفَرِ، فَلَمَّا زَحَفَ إِلَيهِم الطَّطَرُ وَلَّوْا مُنهَزِمِين، وَأَثْخَنُوا فِيهم، ثُمَّ حَاصَرُوا البَلَدَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَاسْتَنْزَلُوا أَمِيرَهَا عَلَى الأَمَانِ، ثُمَّ قَتَلُوهم جَمِيعًا، وَحَضَرَ جِنكِيزْ خَان لِقَتْلِهم، يُقَالُ: كَانُوا سَبْعَ مِائَة أَلفٍ[9].

ثُمَّ سَارُوا إلى نَيْسَابُورَ فَاقْتَحَمُوهَا عَنْوَةً، وَقَتَلُوا وَعَاثُوا[10].

(أ) في س: قتل منها. (ب) في ظ: وبعث. (ج) في س: فاجتمع. (د) في س: مائة. (هـ) من س.

---

(1) الكامل 12: 390 – 391.
(2) في الأصول: نسا، والتصويب من سيرة السلطان 113.
(3) في الأصول: بقجان، والتصويب من سيرة السلطان 113.
(4) عوارة: فرقة صغيرة.
(5) إضافة لتوضيح النص، من سيرة السلطان 113 - 115.
(6) سيرة السلطان 113 – 115.
(7)، (8) إضافة اقتضاها السياق للتوضيح.
(9) الكامل 12: 391 - 393.
(10) المصدر نفسه 12: 393.

ثُمَّ إلى طُوس[أ] كَذَلِكَ[1].

ثُمَّ سَارُوا إلى هَرَاةَ فَمَلَكُوهَا عَلَى الأَمَان[ب] وَأَنْزَلُوا عِنْدَهُمُ الشِّحْنَةَ، وَعَادُوا إلى جِنْكِزْ خَان بِالطَّالَقَان، وَهو يُرْسِلُ العَسَاكِرَ وَالسَّرَايَا في نَوَاحِي خُرَاسَانَ حَتَّى أَتَوا عَلَيْهَا تَخْرِيبًا، وَذَلِكَ كُلُّه سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ[2].

أخبارُ جلالِ الدّين، ومَسيرُ الطّطَرِ في اتّباعِه، وفرارُهُ إلى الهند

[418 ب] / ثُمَّ بَعَثَ العَسَاكِرَ في طَلَبِ جَلالِ الدِّين، وَقَدْ كَانَ بَعْدَ مَهْلِكِ أَبِيه وَخُرُوجِ تُرْكَان خَاتُون مِنْ خُوَارِزْمَ سَارَ إِلَيْها وَمَلَكَها، وَاجْتَمَعَ إِلَيْه النَّاسُ، ثُمَّ نُمِيَ إِلَيْه أَنَّ قَرَابَةَ تُرْكَان خَاتُون، وَهم البَيَاوُوتِيَّةُ[3]، مَالُوا إلى أَخِيه [أُولَاغ شَاه][4]، وَهُوَ ابنُ أُخْتِهِم، وَأَنَّهم يُرِيدُونَ الوُثُوبَ بِجَلالِ الدِّين، فَفَرَّ وَلَحِقَ بِنَيْسَابُور[5].

وَجَاءَتْ عَسَاكِرُ الطَّطَرِ إلى خُوَارِزْم فَأَجْفَلَ أُولَاغ شَاه وَإِخْوَتُه لِيَلْحَقُوا بِه بِنَيْسَابُور، فَأَدْرَكَهُمُ الطَّطَرُ فَقَتَلُوهم، وَنَهَبُوا مَا كَانَ مَعَهم[6].

(أ) في س: طرسوس. (ب) على الأمان: سقط من س.

---

(1) الكامل 12: 393.
(2) المصدر نفسه 12: 393.
(3) نسبة إلى قبيلة بياووت التي كانت تقيم في السهول الواقعة شمال خوارزم وشمال شرق بحر قزوين، سيرة السلطان 122 هـ: 3.
(4) في الأصول: يولاغ شاه، في هذا الموضع، والتصويب مما ورد في الأسطر التالية، وورد أزلاغ شاه. سيرة السلطان 71، 120، نهاية الأرب 27: 252، كما وردت أوزلاغ شاه في تركستان لبارتولد 540.
(5) سيرة السلطان 122، 126، 129، نهاية الأرب 27: 252 – 253.
(6) سيرة السلطان 133 - 134، نهاية الأرب 27: 254 – 256.

وَرَحَلَ جَلالُ الدِّين مِنْ نَيْسَابُورَ إلى[أ] نَوَاحِي غَزْنَة، وَكَبَسَ الطَّطَرَ وَهُم يُحَاصِرُونَ[ب] قَلْعَةَ قُنْدُهَار فَاسْتَلْحَمَهم، ثُمَّ سَارَ إلى غَزْنَةَ فَمَلَكَهَا مِنْ يَدِ الثُّوَّارِ الذِين اسْتَبَدُّوا بها أيَّامَ هَذه الفِتْنَة، •وذَلِكَ سَنَةَ ثَمانِ عَشْرَةَ، وَلَحِقَ بِه أُمَرَاءُ أبِيه الذِين تَغَلَّبُوا عَلَى نَوَاحِي خُرَاسَان في هَذِه الفِتْنَة•[ج]، وَأزْعَجَهم الطَّطَرُ عَنْها، فَحَضَرُوا مَعَ جَلالِ الدِّين كَبْسَةَ[د] الطَّطَرِ بِقَلْعَة قُنْدُهَار، ولَحِقَ فَلُّهم بِجِنْكِزْ خَان[1].

وَبَعَثَ ابنَه طُولِي خَان[2] لِقِتَالِ جَلالِ الدِّين، فَهَزَمَه جَلالُ الدِّين وَقَتَلَه[3]، وَلَحِقَ الفَلُّ مِنْ عَسَاكِره بِجِنْكِزْ خَان، فَسَارَ في أُمَمِ الطَّطَرِ وَلَقِيَ جَلالَ الدِّين فَانْهَزَمَ[هـ]، وَلَم يَفْلِتْ مِنَ الطَّطَرِ إلا الأَقَلُّ، وَرَجَعَ جَلالُ الدِّين فَنَزَلَ عَلَى بَرِّ[و] السِّنْدِ، وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَائِه انْخَذَلُوا عَنه يَوْمَ الوَاقِعَةِ الأُولَى بِسَبَبِ الغَنَائِم، فَبَعَثَ إلَيْهم[ز] لِيَسْتَأْلِفَهم، فَعَاجَلَه جِنْكِزْ خَان وَقَاتَلَه ثَلاثاً، ثُمَّ هَزَمَه، وَاعْتَرَضَه نَهْرُ السِّنْدِ فَاقْتَحَمَه، وَخَلَصَ إلى الهِنْدِ بَعْدَ أنْ قَتَلَ حَرَمَهُ أَجْمَعِين، وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمانِ عَشْرَةَ[4].

(أ) في س: ﻫم. (ب) في س: محاصرون. (ج) سقط ما بين النجمين من س. (د) في ظ: كبس. (هـ) في س: فهزمه جلال الدين. (و) في س: نهر. (ز) سقط من س.

---

(1) سيرة السلطان 133 - 134، نهاية الأرب 27: 254 - 256.

(2) في سيرة السلطان 154، نهاية الأرب 27: 256: تولي خان.

(3) ورد في جامع التواريخ أن تولي خان (تولوي) لم يقتل في هذه الموقعة، بل إنه لم يشترك فيها أصلاً، وأنه توفي وفاة طبيعية سنة 630 هـ. جامع التواريخ 1: 559، وينظر سيرة السلطان 154 هـ: 8، نهاية الأرب 27: 256، 335.

(4) ولما عاد جلال الدين إلى حافة ماء السند كسيراً، رأى والدته وأم ولده وجماعة من حرمه يصحن بأعلى صوتهن: بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الأسر، فأمر بهن فغُرِّقن. سيرة السلطان 159.

أخبار غياث الدين بن خوارزم شاه مع الططر

كَانَ خُوارِزم شَاه قَدْ قَسَّمَ المُلْكَ بَيْنَ وَلَدِه: وَجَعَلَ العِرَاقَ لِغُورشَاه[1]، وكَرْمَان لِغِيَاثِ الدِّين تِيرْ شَاه، فَلَم يَنفُذْ إلَيها أيَّامَ أبِيه، وَلَمَّا فَرَّ خُوارِزْم شَاه إلى نَاحِيَة الرَّيِّ لَقِيَه [ابنُه][أ] غُورشَاه صَاحِبُ العِرَاقِ، ثُمَّ كَانَتْ وَاقِعَةُ الطَّطَرِ بِهِم عَلَى قَزوِين، وَلَحِقَ خُوارِزْم شَاه / بِجَزِيرَة طَبَرِسْتَان، وَلَحِقَ غُورشَاه بِكَرْمَان، ثُمَّ رَجَعَ [419أ] وَاسْتَوْلَى عَلَى أَصْفَهَانَ وَعَلَى [الرَّيِّ][ب]، ثُمَّ زَحَفَ الطَّطَرُ إلَيه وَحَاصَرُوه بِقَلْعَة آوَنْد وَقَتَلُوه، وَكَانَ أَخُوه غِيَاثُ الدِّين بِكَرْمَان، فَجَاءَ إلى العِرَاقِ وَمَلَكَه، وَوَقَعَ بَيْنَه وَبَيْنَ [إيغَان طَائِيسِي][2] أتَابِكِه أيَّامَ أبِيه فِتْنَةٌ، وَفَرَّ إلى نَاحِيَة أَذْرَبِيجَان، وَاسْتَوْلَى غِيَاثُ الدِّين عَلَى العِرَاقِ وَمَازَنْدَرَانَ وَخُرَاسَان، وَأَقْطَعَ إيغَان طَائِيسِي هَمَذَانَ، ثُمَّ سَارَ غِيَاثُ الدِّين إلى أَذْرَبِيجَانَ فَصَانَعَه صَاحِبُهَا أُزْبَك بنُ البَهْلَوَان، وَلَحِقَ بِه مَنْ كَانَ[ج] مُتَغَلِّباً مِنْ أُمَرَاءِ أَبِيه بِخُرَاسَان، وَكَانَ إينَانْج خَان نَائِبُ بُخَارَى قَدْ تَغَلَّبَ بَعْدَ الوَاقِعَةِ عَلَى نَسَا وَنَوَاحِيهَا، وَجُرْجَانَ، وَعَلَى سِيرَوَان، وَعَامَّةِ خُرَاسَان، وَكَانَ تَكِين بَهْلَوَان مُتَغَلِّباً [عَلَى مَرْو][د]، فَعَبَرَ جَيْحُونَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَكَبَسَ شِحْنَةَ الطَّطَرِ بِبُخَارَى، فَهَزَمُوه وَاتَّبَعُوه إلى سِيرَوَان، وَلَقُوا إينَانْج خَان عَلَى جُرْجَانَ فَهَزَمُوه، وَنَجَا جَمِيعُهم إلى غِيَاثِ الدِّين وَأَقَامُوا عِنْدَه.

(أ) من س، وفي ظ: أبيه. (ب) من س، وفي ظ: للري. (ج) في س: وكان. (د) ظ: بمرو.

---

(1) في سيرة السلطان 72: غور شايجي.

(2) في الأصول: بغا طابسي، والتصويب من الكامل 12: 415، ووردت: يغان طايسي. سيرة السلطان 145.

وَرَجَعَ الطَّطَرُ إلى مَا وَرَاءَ النَّهرِ، وَاسْتَوْلَى غِيَاثُ الدِّين عَلى العِرَاقِ وَالرّيِ وَمَا وَرَاءَهما في الجَنُوبِ مِنْ كَرْمَانَ وَأَذْرَبِيجَان، وَبَقِيَتْ خُرَاسَانُ طَوَائِف، وَفي كُلّ نَاحِيَة مِنْها[أ] مُتَغَلِّبٌ، وَعَسَاكِرُ الطَّطَرِ[ب] في كُلّ وَقْتٍ تَدَوّخُ بِلادَ العِرَاقِ، وَغِيَاثُ الدِّين مُنْهَمِكٌ في لَذَّاتِه.

رُجُوعُ جَلالِ الدِّينِ مِنَ الهِندِ وَاستِيلاؤه عَلَى العِرَاقِ وكَرْمَان وأَذْرَبِيجَانَ، ثُمّ زَحْفُ الطَّطَرِ إليه

ثُمّ رَجَعَ جَلالُ الدِّين مِنَ الهِندِ سَنَةَ إحْدَى وَعِشْرِين، وَاسْتَوْلَى عَلَى مُلْكِ أَخِيه غِيَاثِ الدِّين بِالعِرَاقِ وَكَرْمَان، وَبَعَثَ إلى الخَلِيفَة بِطَلَبِ الخُطْبَةِ فَلَم يُسْعِفْه، فَاسْتَعَدَّ لِمُحَارَبَتِه، وَ[قَدْ][ج] كَانَتْ[د] بِلادُ الرّيِ، مِنْ بَعْدِ تَخْرِيبِ الطَّطَرِ المُغَرِّبَة لَهَا، عَادَ إلَيها بَعْضُ أَهْلِهَا وَعَمّرُوهَا، فَبَعَثَ[هـ] إلَيها جِنْكِزْ خَان عَسْكَراً مِنَ الطَّطَرِ فَخَرَّبُوهَا ثَانِيَةً، وَخَرَّبُوا سَاوَةَ وَقَاشَان، وَقُمّ، وَأَجْفَلَ أَمَامَهم عَسْكَرُ خُوَارِزْم شَاه مِنْ هَمَذَان، فَخَرَّبُوهَا وَاتَّبَعُوهم / فَكَبَسُوهم في حُدُودِ أَذْرَبِيجَان، وَلَحِقَ بَعْضُهم بِتِبْرِيزَ [419 ب] وَالطَّطَرُ في اتّبَاعِهم، فَصَانَعَهم صَاحِبُها أُزْبَكُ بنُ البَهْلَوَان، وَبَعَثَ بِهم إلى الطَّطَرِ الذين في اتّبَاعِهِم، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ جَمَاعَةً مِنْهم، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهم وَبِالأَمْوَالِ في سَبِيلِ المُصَانَعَة، فَرَجَعُوا عَنْ بِلادِه.

وَسَارَ جَلالُ الدِّين إلى أَذْرَبِيجَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ فَمَلَكَهَا، وَكَانَتْ لَه فِيها

(أ)، (ب) سقط من س. (ج) من س. (د) مكررة في ظ. (هـ) في س: وبعث.

أخبارٌ ذكرناها في دَوْلَتِه[1]، ثُمّ بلغَ السُّلطانَ جلالَ الدّين أنّ الطُّطَر زحفُوا مِن بِلادِهِم وَرَاءَ النَّهرِ إلى العِرَاقِ، فنَهَضَ مِن تِبْرِيز لِلِقَائِهِم في رَمَضَان خَمْسٍ وَعِشْرِين، وَلَقِيَهم عَلَى أَصْفَهَان، وانْفَضَّ عَنْه أخُوه غِيَاثُ الدّين في طَائِفَةٍ مِنَ العَسْكَرِ، وانْهَزَمَتْ مَيْسَرَةُ الطُّطَرِ، وَسَارَ السُّلطَانُ في اتّبَاعِهَا، وَقَدْ أكْمَنُوا لَه[أ] فأحَاطُوا بِه وَاسْتُشْهِدَ جَمَاعَةٌ، ثُمّ صَدَقَ عَلَيهِمُ الحَمْلَةَ، فأفْرَجُوا له وَمَضَى لِوَجْهِه، وَانْهَزَمَتِ العَسَاكِرُ إلى فَارِس وَكَرْمَان وَأذْرَبِيجَان، وَرَجَعَ المُتّبِعُونَ للطُّطَرِ مِن قَاشَانَ فَوَجَدُوه قَدِ انْهَزَمَ، فَافْتَرَقُوا أشْتَاتاً، وَلَحِقَ السُّلطَانُ بِأصْفَهَانَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أيّامٍ، فَوَجَدَ الطُّطَرَ يُحَاصِرُونَ أصْفَهَان، فَبَرَزَ إلَيهم في عَسَاكِرِ أصْفَهَان، وَهَزَمَهم وَاتّبَعَهم إلى الرَّيِّ، وَبَعَثَ العَسَاكِرَ مِنْ هُنَالِكَ في اتّبَاعِهِم إلى خُرَاسَان، وَرَجَعَ إلى أذْرَبِيجَانَ [فأقَامَ][ب] بِها، وَكَانَتْ لَه فِيها أخْبَارٌ مَذْكُورَةٌ في دَوْلَتِه[2].

مَسيرُ الطُّطَرِ إلى أذْرَبِيجَانَ واستيلاؤُهم على تِبْرِيزَ ثُمّ وَاقِعَتُهم عَلَى جَلالِ الدّين بآمِدَ وَمَقْتَلُه

كَانَ الطُّطَرُ عِندَمَا اسْتَقَرّوا فِيمَا وَرَاءَ النَّهرِ عَمَّرُوا تِلْكَ البِلادَ وَاخْتَطُّوا قُرْبَ خُوَارِزْمَ مَدِينَةً عَظِيمَةً تُعَوِّضُ مِنها، وَبَقِيَتْ خُرَاسَانُ خَالِيَةً، وَاسْتَبَدَّ بِالمُدُنِ فِيهَا طَوَائِفُ مِنَ الأُمَرَاءِ شِبْهِ المُلُوكِ يُعْطُونَ الطَّاعَةَ للسُّلطَانِ جَلالِ الدّين مُنذُ جَاءَ مِنَ

(أ) سقط من س. (ب) في س: وأقام.

---

(1) ينظر ما سبق في الجزء التاسع.
(2) المصدر نفسه.

الهِندِ، وَانفَرَدَ جَلالُ الدِّينِ / بِمُلْكِ العِرَاقِ وَفَارِسَ وَكَرمَانَ وَأَذرَبيجَانَ وَأَرَّانَ وَمَا [420أ] [وَرَاءَ](أ) ذَلِكَ، وَبَقِيَتْ خُرَاسَانُ مَجَالاً لِغَارَاتِ الطُّطَرِ وَعَسَاكِرِهِم. وَسَارَتْ طَائِفَةٌ مِنهُم(ب) سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشرِينَ إلى أَصْفَهَان، وَكَانَتْ بَيْنَهُم وَبَيْنَ جَلالِ الدِّينِ الوَاقِعَةُ، كَمَا مَرَّ، ثُمَّ زَحَفَ جَلالُ الدِّينِ إلى خِلَاط وَمَلَكَهَا، وَزَحَفَ إِلَيْهِ صَاحِبُها الأَشْرَفُ ابنُ العَادِلِ مِنَ الشَّامِ، وَعَلاءُ الدِّينِ كَيقُبَاذُ صَاحِبُ بِلادِ الرُّومِ، وَأَوْقَعُوا بِهِ، كَمَا مَرَّ فِي أَخْبَارِهِم(1)، سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشرِينَ، الوَاقِعَةَ الَّتِي أَوْهَنَتْ مِنهُ، وَحَلَّتْ عُرَى مُلْكِهِ(2).

وَكَانَ عَلاءُ الدِّينِ، مُقَدَّمُ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ، بِقَلْعَةِ أَلَمُوت عَدُوًّا لِجَلالِ الدِّينِ بِمَا أَثْخَنَ فِي بِلادِهِ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِ وَظَائِفَ الأَمْوَالِ، فَبَعَثَ إلى الطُّطَرِ بِخَبَرِهِ، وَأَنَّ الهَزِيمَةَ أَوْهَنَتْهُ، وَيَحُثُّهُم عَلَى قَصْدِهِ، فَسَارُوا إلى أَذْرَبيجَانَ أَوَّلَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشرِينَ، وَبَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلْطَانِ بِمَسِيرِهِم، فَرَحَلَ مِنْ تَبْرِيزَ إلى مُوقَان وَأَقَامَ بِهَا فِي انتِظَارِ شِحْنَةِ خُرَاسَانَ وَمَازَنْدَرَان، وَشُغِلَ بِالصَّيْدِ، فَكَبَسَهُ الطُّطَرُ وَنَهَبُوا مُعَسْكَرَهُ، وَخَلَصَ إلى نَهْرِ أَرَس مِنْ أَرَّان، ثُمَّ رَجَعَ إلى أَذْرَبيجَان وَشَتَّى بِمَاهَان، ثُمَّ جَاءَهُ النَّذِيرُ بِمَسِيرِ الطُّطَرِ إِلَيْهِ، فَرَحَلَ إلى أَرَّان وَتَحَصَّنَ بِهَا، وَثَارَ أَهْلُ تَبْرِيزَ لَمَّا بَلَغَهُم خَبَرُ الوَاقِعَةِ الأُولَى بِمَنْ عِندَهُم مِنْ عَسَاكِرِهِ الخُوَارِزْمِيَّةِ فَقَتَلُوهُم(ج)، وَمَنَعَهُم رَئِيسُهُم الطُّغرَيَانِيُّ مِنْ طَاعَةِ الطُّطَرِ، وَوَاصَلَ السُّلْطَانَ [جَلالُ الدِّينِ](د) بِكُتُبِهِ، ثُمَّ هَلَكَ(هـ) قَرِيباً، فَسَلَّمُوا بَلَدَهُم لِلطُّطَرِ، وَكَذَا فَعَلَ أَهْلُ كَنجَةَ وَأَهْلُ بَيْلَقَان.

(أ) ظ: إلى. (ب) في س: منها. (ج) في س: وقتلوهم. (د) من س. (هـ) في س: وهلك.

(1) ينظر ما سبق ص623- .

(2) الكامل 12: 489 – 490.

ثُمّ سَارَ السُّلْطَانُ إلى كَنْجَة وَارْتَجَعَهَا، وَقَتَلَ المُتَعَرِّضِينَ للثَّوْرَة فِيهَا، وَسَارَ إلى خِلَاط، وَاسْتَمَدَّ الأَشْرَف بنَ العَادِل صَاحِبَ الشَّام، فَعَلَّلَه [بِالمَوَاعِيدِ](أ) [وَسَارَ](ب) إلى مِصْرَ، وَيَئِسَ السُّلْطَانُ مِنْ إنْجَادِه، فَبَعَثَ إلى جِيرَانِه مِنَ المُلُوكِ يَسْتَنْجِدُهم، مِثْلَ: صَاحِبِ حَلَب، وَآمِد، وَمَارِدِين، وَجَرَّدَ عَسْكَراً إلى بِلادِ الرُّومِ في خِرْتَ بِرْت، وَمَلَطْيَة، وَأَرْزِنْجَان، فَاكْتَسَحُوهَا، لِمَا بَيْنَ صَاحِبِها كَيْقُبَاذ وَبَيْنَ الأَشْرَفِ مِنَ المُوَالاةِ، فَاسْتَوْحَشَ جَمِيعُ المُلُوكِ مِنْ ذَلِك، وَقَعَدُوا عَنْ نُصْرَتِه، وَجَاءَه [420 ب] / الخَبَرُ وَهُوَ بِخِلَاطَ أَنَّ الطَّطَرَ زَحَفُوا إلَيْه، فَاضْطَرَبَ في رَأْيِه، وَبَعَثَ أَتَابِكَه أُورخَان(ج)(1) في أَرْبَعَةِ آلافِ فَارِسٍ طَلِيعَةً، فَرَجَعَ وَأَخْبَرَه بِأَنَّ الطَّطَرَ رَجَعُوا مِنْ حُدُودِ مَلاذكَرْد، وَأَشَارَ عَلَيْه قَوْمُه بِالمَسِيرِ إلى أَصْفَهَان، وَزَيَّنَ لَه صَاحِبُ(د) آمِد قَصْدَ بِلادِ(هـ) الرُّومِ، وَأَطْمَعَه في الاسْتِيلاءِ عَلَيْهَا وَلِيَتَّصِلَ(و) بِالقَفْجَاقِ وَيَسْتَظْهِرَ بِهِم عَلَى الطَّطَرِ، وَوَعَدَه الإمْدَادَ بِنَفْسِه، وَكَانَ يَرُومُ الانْتِقَاضَ مِنْ صَاحِبِ الرُّومِ بِمَا مَلَكَ مِنْ قِلاعِه، فَجَنَحَ السُّلْطَانُ إلى رَأْيِه وَعَدَلَ عَنْ أَصْفَهَان، وَنَزَلَ بِآمِد، وَبَعَثَ إلَيْه التُّرْكُمَانُ بِالنَّذِيرِ وَأَنَّهم رَأَوا نِيرَانَ الطَّطَرِ، فَاتَّهَمَ خَبَرَهم، وَصَبَّحَه الطَّطَرُ عَلَى آمِدَ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ ثَمَانٍ وَعِشْرِين، وَأَحَاطُوا بِخَيْمَتِه، وَحَمَلَ عَلَيْهم أَتَابِكُه أُورخَان وَكَشَفَهم عَنِ الخَيْمَةِ، وَرَكِبَ السُّلْطَانُ، وَأَسْلَمَ أَهْلَه وَسَوَادَه، [وَرَدَّ](ز) أُورخَان وَالعَسَاكِرَ، وَانْتَبَذَ لِيَتَوَارَى عَنْ عَيْنِ العَدُوِّ(2).

(أ) في ظ: بالمواعد. (ب) في ظ: ثم سار. (ج) في ظ: أوتر خان. (د) كذا في س وهو أصوب، وفي ظ: صاحب بلاد آمد. (هـ) من س. (و) في س: ليتصل. (ز) في ظ: ورد إلى.

---

(1) في سيرة السلطان 379: أرخان.

(2) نهاية الأرب 27: 296.

وَسَارَ أُورخَان إِلَى أَصْفَهَانَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا إِلَى أَنْ مَلَكَهَا الطَّطَرُ مِنْ يَدِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ[1]، وَذَهَبَ السُّلْطَانُ مُتَخَفِّيًا إِلَى آمِد، وَقَدِ امْتَلَأَتِ الدَّرْبَنْدَاتُ وَالْمَضَائِقُ بِالْمُفْسِدِينَ يَعْتَرِضُونَهم بِالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أُوتَرْخَان - مِنْ أُمَرَائِهِ - بِالرُّجُوعِ، فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مَيَّافَارِقِين، وَنَزَلَ فِي بَيْدَرِهَا[2]، وَفَارَقَهُ أُوتَرْخَان إِلَى حَلَب، وَهَجَمَ الطَّطَرُ عَلَى السُّلْطَانِ بِالْبَيْدَرِ وَقَتَلُوا مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَهَرَبَ فَصَعِدَ جَبَلَ الأَكْرَادِ، وَهُمْ مُتَرَصِّدُونَ بِالطُّرُقِ لِلنَّهْبِ، فَسَلَبُوهُ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ[3].

وَشَعَرَ بَعْضُهُم بِأَنَّهُ السُّلْطَانُ، فَمَضَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ لِيُخَلِّصَهُ إِلَى بَعْضِ النَّوَاحِي، وَدَخَلَ الْبَيْتَ فِي [مَغِيبِهِ][أ] بَعْضُ سَفِلَتِهِم وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَثْأَرَ مِنَ الْخَوَارِزْمِيَّةِ بِأَخٍ لَهُ كَانَ [قُتِلَ][ب] بِخِلَاط، فَقَتَلَهُ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ أَهْلُ الْبَيْتِ[4].

ثُمَّ انْتَشَرَ الطَّطَرُ بَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ فِي سَوَادِ آمِدَ وَأَرْزَن وَمَيَّافَارِقِين وَسَائِرِ دِيَارِ بَكْرٍ فَاكْتَسَحُوهَا وَخَرَّبُوهَا، وَمَلَكُوا مَدِينَةَ إِسْعِرْد عَنْوَةً فَاسْتَبَاحُوهَا بَعْدَ حِصَارِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَمَرُّوا بِمَارِدِينَ فَامْتَنَعَتْ، / [421أ] ثُمَّ وَصَلُوا إِلَى نَصِيبِين فَاكْتَسَحُوا نَوَاحِيَهَا، ثُمَّ إِلَى سِنْجَارَ وَجِبَالِهَا، وَالْخَابُورِ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى بَدْلِيس فَأَحْرَقُوهَا، ثُمَّ إِلَى أَعْمَالِ خِلَاطَ فَاسْتَبَاحُوا بَاكْرِي وَأَرْجِيش[5].

(أ) في ظ: مغيبه. (ب) من س.

---

(1) سيرة السلطان 379، نهاية الأرب 27: 296..

(2) البيدر: المكان المرشح لجمع الغلة فيه. تاج العروس.

(3) سيرة السلطان 380، نهاية الأرب 27: 297.

(4) في النصف من شوال سنة 628 هـ. سيرة السلطان 382، نهاية الأرب 27: 297 – 298.

(5) أرجيش: مدينة قديمة من نواحي أرمينية قرب خلاط، معجم البلدان 1: 144.

وَجَاءَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى أَعْمَالِ إِرْبِل، وَمَرُّوا فِي طَرِيقِهِم بِالتُّرْكُمَانِ الإِيوَائِيَّةِ وَالأَكْرَادِ الجُوزَقَان، فَنَهَبُوا وَقَتَلُوا، وَخَرَجَ مُظَفَّرُ الدِّينِ صَاحِبُ إِرْبِل، بَعْدَ أَنِ اسْتَمَدَّ عَسَاكِرَ المَوْصِل، فَلَمْ يُدْرِكْهُم، وَعَادُوا، وَبَقِيَتْ البِلادُ قَاعاً صَفْصَفًا. وَاللهُ وَارِثُ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهو خَيْرُ الوَارِثِين.

التَّعْرِيفُ بِجِنْكِزْ خَان وَقِسْمَتُهُ الأَعْمَالَ بَيْنَ وَلَدِه، وَانْفِرَادُهُ بِالكُرْسِيِّ فِي قَرَاقُرُوم[1] بِلادِ الصِّين

هَذَا السُّلْطَانُ جِنْكِزْ خَان هُو سُلْطَانُ الطَّطَرِ لِعَهْدِه، ثُمَّ مِنَ المُغْلِ[أ] إِحْدَى شُعُوبِهِم، وَفِي كِتَابِ شِهَابِ الدِّين بن فَضْلِ الله[2]: أَنَّه مِنْ قَبِيلَةٍ تُسَمَّى قِيَات، مِنْ أَشْهَرِ قَبَائِلِ المُغْلِ وَأَكْثَرِهِم[3]، وَزَايُه الَّتِي بَيْنَ الكَافِ وَالخَاءِ لَيْسَتْ صَرِيحَةً وَإِنَّمَا هِي [مُشَمَّةٌ][ب] بِالصَّادِ، فَيُنْطَقُ بِهَا بَيْنَ الزَّايِ وَالصَّادِ[4].

(أ) سقط من س. (ب) من س، وفي ظ: متسمة.

---

(1) قراقروم: اسم مدينتين في مغولستان، إحداهما قديمة، والثانية على بعد نحو 60 كم من أطلال المدينة القديمة، وهي عاصمة المغول التي أنشأها أوكتاي سنة 632هـ / 1234 م، في الموضع الذي اقترحه جنكز خان، ينظر تاريخ المغول 19، صبح الأعشى 4: 480، ووردت: قرا قورم: في المغول 160.

(2) المقصود كتاب: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ويقوم على نشره كاملاً مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة 2001 م.

(3) مسالك الأبصار 3: 73، وورد أنه من قبيلة التمرجي. سيرة السلطان 39، المختصر 3: 123.

(4) واللفظ الصحيح به جنكص خان بالصاد المُشَمَّة بالزاي، مسالك الأبصار 3: 82، وينظر نهاية الأرب 27: 301.

وَكَان اسْمُهُ تمُوجِين[1]، ثُمّ أصَارُوه جِنكِز، وَخَان تَمامُ الاسْم، وَهو بِمَعْنَى المَلِك عِنْدَهم، وَأمّا نَسَبُه فَهو [هَكَذا][أ]: جنكِز بنُ بِيسُوكِي بهَادر بن تِزبَان بن تَبَل ابن تُومَنَيه بن بَاي سُنقُر بن طَيْدُو[ب] بن ذُو تُوم منن بن بُغا بن بُوذَنجَر بن آلان قُوا، في أحَدَ عَشَرَ اسْماً أعْجَمِيَّةً صَعْبَةَ الضَّبْطِ، وَهَذا جُهْدُ امْتِحَانِها[2].

وَفي كِتَابِ شِهَابِ الدّين بن فَضْلِ الله فِيمَا نَقَلَه عَن شَمْسِ الدّين الأصْفَهَاني، إمَامِ المَعْقُولاتِ بِالمَشْرِقِ، أخَذَهَا عَنْ أصْحَابِ[ج] نَصِيرِ الدّين الطُّوسِي، قَالَ: إنَّ آلان قُوا اسْمُ امْرَأة، وَهي[د] جَدَّتُهم، وَأنّها وَلَدَتْ بُوذَنْجَر مِنْ غَيْرِ أبٍ، قَالُوا: وَكَانَتْ مُتَزَوّجَة وَوَلَدَت وَلَدَيْنِ: اسْمُ أحَدِهِما بَكْتُوت، وَالآخر بَلْكِتُوت[هـ]، وَيُقَالُ لِوَلَدِهما: بَنُو الدُّرْلكِيَّة، ثُمّ مَاتَ زَوْجُها وَتَأيَّمَتْ، وَحَمَلَتْ وَهي أيِّمٌ، فَنَكِرَ عَلَيْها أقْرِبَاؤُهَا، فَذَكَرَتْ أنّها بَعْضَ الأيّامِ رَأتْ نُورا دَخَلَ في فَرْجِها ثَلاثَ / مَرّاتٍ، وَطَرَأ عَلَيْها [421 ب] الحَمْلُ بَعْدَه، وَقَالَتْ لَهم: إنّ في حَمْلِي ثَلاثَةَ ذُكُورٍ، فَإنْ صَدَقَ ذَلِكَ عِنْدَ الوَضْعِ وَإلا فَافْعَلُوا مَا بَدَا لَكُم، فَوَضَعَتْ ثَلاثَةَ تَوَائِمَ مِنْ ذَلِكَ الحَمْلِ، وَظَهَرَتْ بَرَاءَتُها بِزَعْمِهم، اسْمُ أحَدِهِم: [بُوقَن قُوتَاغِي، وَيُوسَن سَالْجِي][3]، وَالثَّالِثُ: بُوذَنْجَر، وَهو

(أ) في ظ: كذا. (ب) المنجر: تيدو. (ج) سقط من س. (د) في س: هي. (هـ) في س: تلكتوت.

---

(1) مسالك الأبصار 3: 73، وورد في صبح الأعشى 4: 305: تمرجين. وتموجين Temuchin: لفظ صيني بمعنى الحداد، ومن معانيه أيضاً الفارس الكامل، المغول 43 هـ.

(2) مسالك الأبصار 3: 70.

(3) في الأصول: بُوقَن والآخر قُوتَاغي، وورد في صبح الأعشى 4: 306: بوقن قوتاغى والثاني يوسن ساغى، والتصويب من مسالك الأبصار 3: 70.

جَدُّ جِنكِزْ خَان الَّذِي فِي عَمُودِ نَسَبِه، كَمَا مَرَّ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهم النُّورَانِيِّينَ نِسْبَةً إلى النُّورِ الَّذِي ادَّعَتْه، [ولِذَلِكَ][ا] يَقُولُونَ لِجِنْكِزْ خَان: إنَّه ابْنُ الشَّمْسِ[1].

وَأَمَّا أَوَّلِيَّتُه، فَقَالَ [مُحَمَّدُ][2] بْنُ أَحْمَدَ بن عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ، كَاتِبُ جَلَالِ الدِّين خُوَارِزْم شَاه فِي تَارِيخِ دَوْلَتِه[3]: إنَّ مَمْلَكَةَ الصِّين مُتَّسِعَةٌ، وَدَوْرُهَا مَسِيرَةُ [سِتَّةِ][4] أَشْهُرٍ، وَهِي مُنْقَسِمَةٌ عَلَى قَدِيمِ الزَّمَانِ بِسِتَّةِ أَجْزَاءٍ، كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَيَتَوَلَّى مَمْلَكَةَ كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا مَلِكٌ يُسَمَّى بِلُغَتِهِم خَان، وَيَكُونُ نَائِباً عَنِ الخَانِ الأَعْظَم، قَالَ: وَكَانَ الخَانُ الأَعْظَمُ الَّذِي عَاصَرَ خُوَارِزْم شَاه عَلَاءَ الدِّين مُحَمَّدَ بنَ تَكَش يُقَالُ لَه: أَلْطُنْ خَان[5]، تَوَارَثَهَا عَنْ آبَائِه، وَكَانَ مُقِيماً بِطُوغَاج[6]، وَهِي وَسَطُ الصِّينِ، [وَكَانَ مِنْ زُمْرَتِهِم فِي عَصْرِ المَذْكُورِ شَخْصٌ يُسَمَّى دُوشِي خَان، وَهُو أَحَدُ الخَانَاتِ المُتَوَلِّي أَحَدَ الأَجْزَاءِ السِّتَّة، وَكَانَ مُزَوَّجاً بِعَمَّةِ جِنْكِزْ خَان اللعِينِ، وَقَبِيلَةُ جِنكِزْ خَان اللعِينِ هِيَ المَعْرُوفَةُ بِقَبِيلَة التُّمُرْجِي سُكَّان البَرَارِي، وَمَشْتَاهم مَوْضِعٌ يُسَمَّى أرْغُون، وَهم المَشْهُورُون بَيْنَ الطَّطَرِ بِالشَّرِّ وَالغَدْرِ... فَاتَّفَقَ أَنَّ دُوشِي

(ا) من س، وفي ظ: وذلك.

---

(1) ينظر مسالك الأبصار 3: 70، حيث يوجد اختلاف في بعض الألفاظ.

(2) في الأصول: يحيى، والتصحيح من الكتاب الذي ألفه بعنوان سيرة السلطان جلال الدين.

(3) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: 38.

(4) في الأصول: تسعة، والتصويب من سيرة السلطان.

(5) في سيرة السلطان 38: ألتون خان، في المختصر 3: 123: الطون خان، وورد بالتاء والطاء في نهاية الأرب 27: 302، 303، كما ورد: الطرخان في صبح الأعشى 4: 307.

(6) طمغاج: في سيرة السلطان 39.

خَان زَوجَ عَمَّةِ جنكيزْ خَان مَاتَ][1]، فَحَضَرَ جِنْكِيزْ خَان إِلى عَمَّتِه يَومَ وَفَاةِ زَوْجِها دُوشِي خَان فَوَلَّته مَكَانَه، وَحَمَلَتْ قَومَها عَلَى طَاعَتِه، فَالْتَحَمُوا بِه، وَبَلَغَ الخَبَرُ إلى الخَان الأَعْظَم أَلطُنْ خَان فَنَكِرَ ذَلِكَ، وَزَحَفَ إِلَيهِم فَقَاتَلُوه وَهَزَمُوه، وَغَلَبُوه عَلَى أَكْثَرِ بِلادِه، ثُمَّ صَالَحَهم عَلَيها، وَأَقَامَ مُغَلَّباً، ثُمَّ مَاتَ بَقِيَّةُ الخَانَاتِ السِّتَّة، وَانْفَرَدَ جِنْكِيزْ خَان بِأَمْرِهم جَمِيعاً، وَأَصْبَحَ مَلِكَهم[2]، وَكَانَ بَيْنَه وَبَيْنَ خُوَارِزْم شَاه مُحَمَّد ابن تَكَش مِنَ الحُرُوبِ مَا قَدَّمْنَاه[3].

وَفِي كِتَابِ ابن فَضْلِ الله، يَحْكِيه عَنِ الصَّاحِبِ عَلاءِ الدِّين عَطَا مَلِك الجُوَينِيّ[4]، وَحَدَّثَه بِه، قَالَ: كَانَ مَلِكٌ عَظِيمٌ مِنَ / الطَّطَرِ[أ] فِي قَبِيلَةٍ عَظِيمَةٍ مِن [1422] قَبَائِلِهم يُدْعَى أَوْنَكْ خَان[5]، وَكَانَ مُطَاعاً فِي قَوْمِه، وَاتَّصَلَ بِه جِنْكِيزْ خَان فَقَرَّبَه وَاسْتَخْلَصَه، وَنَافَسَهُ قَرَابَةُ السُّلْطَانِ، وَسَعَوْا بِه عِنْدَه حَتَّى اسْتَفْسَدُوه عَلَيه، وَطَوَى بِه وَتَرَبَّص لَه[ب]، وَسَخِطَ أَوْنَكْ خَان عَلَى مَمْلُوكَيْنِ عِنْدَه، فَاسْتَجَارَا بِجِنْكِيزْ خَان، فَأَجَارَهُمَا وَضَمِنَ لَهما أَمْرَه، وَأَطْلَعَاه عَلَى رَأْيِ السُّلْطَانِ فِيه، فَاسْتَوْحَشَ وَحَذِرَ،

(أ) من الططر: سقط من س. (ب) في س: وطوى له وتربص به.

---

(1) في الأصول: وكان جنكزخان من أولئك الستة، وكانوا من سكان البدو، ومن أهل النجدة والشرّ، وكان مشتاهم بأرغون من بلاد الصين، وكان من خاناتهم أيضا ملك آخر اسمه دوشي خان، كان متزوجا بعمة جنكزخان واتفقت وفاته. ولم ترد هذه العبارة في المطبوع من سيرة السلطان.
ولكن يفهم مما ورد فيها أن أحد حكام أقاليم الصين يسمى جنكز خان، وهو غير جنكز خان حاكم المغول، تنظر سيرة السلطان 39 – 40. أما التصويب المثبت فهو من المختصر 3: 123، حيث يقتبس ابن خلدون ما ذكره أبو الفدا عن صاحب سيرة السلطان.

(2) سيرة السلطان 38 – 42، نهاية الأرب 27: 301 – 304.

(3) ينظر ما ورد بالجزء التاسع عن الدولة الخوارزمية.

(4) جها نكشاي 1: 69 - .

(5) في صبح الأعشى 4: 36: أزبك خان.

وَبَيَّته السُّلْطَانُ، فَأَجفَلَ أَمَامَه، وَاتَّبَعَهُ السُّلْطَانُ في عَسَاكِرِه، فَلَمَّا أَدْرَكَه [كَرَّ][أ] عَلَيْه جِنكِزْ خَان فَهَزَمَه، وَغَنِمَ سَوَادَه وَمَا مَعَه، ثُمّ اسْتَمَرَّتِ العَدَاوَةُ، وَانْتَبَذَ عَنِ السُّلْطَانِ وَاسْتَأْلَفَ العَشَائِرَ وَالأَتْبَاعَ، وَأَفَاضَ فِيهم الإِحْسَانَ، فَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُه، وَدَخَلَ فِي طَاعَتِه قَبِيلَتَانِ عَظِيمَتَانِ مِنَ المُغُلِ، وَهُمَا: أُوَيرَات وَ[قَنْقُورات][1]، فَعَظُمَتْ جُمُوعُه، وَأَحْسَنَ إِلَى المَلُوكَيْنِ اللذين حَذَّرَاه مِنْ أُونَكْ خَان، وَرَفَعَ رُتبَتَهما[2]، وَكَتَبَ لَهُمَا العُهُودَ فِيمَا[ب] اخْتَارَاه، وَكَتَبَ فِيهَا[ج] أَنْ يَسْتَمِرَّ لَهُمَا ذَلِكَ إِلَى سَبْعَةِ بُطُونٍ مِنْ أَعْقَابِهِمَا[3].

ثُمّ جَهَّزَ العَسَاكِرَ لِحَرْبِ أُونَكْ خَان [فَهَزَمَه وَقَتَلَه][د]، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَمْلَكَةِ الطَّطَرِ بِأَسْرِهَا.

وَلَمَّا تَوَطَّدَ أَمْرُه تَسَمَّى جِنكِزْ خَان، وَكَانَ اسْمُهُ تَمُوجِين كَمَا مَرّ، وَكَتَبَ لَهم فِي السِّيَاسَةِ كِتَاباً سَمَّاه [اليَاسَق][4] الكَبِيرَ، ذَكَرَ فِيه أَحْكَامَ السِّيَاسَة فِي المُلْكِ وَالحُرُوبِ وَالأَحْكَامِ العَامَّةِ، شِبْهَ أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ، وَأَمَرَ أَنْ يُوضَعَ فِي خِزَانَتِه، وَأَنْ يَخْتَصَّ بِقَرَابَتِه، وَلَمْ يَكُنْ يَدِينُ بِمِلَّةٍ وَإِنَّمَا كَانَ دِينُه وَدِينُ آبَائِه وَقَوْمِه المَجُوسِيَّةَ[5] حَتَّى مَلَكُوا الأَرْضَ، وَاسْتَفْحَلَتْ بِالعِرَاقِ وَالشَّمَالِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، فَأَسْلَمَ مِنْ مُلُوكِهِم

(أ) من س، وفي ظ: كره. (ب) في س: بما. (ج) في س: فيما. (د) من س، وفي ظ: فقتله وهزمه.

(1) في الأصول: تَنْقُورات، والتصويب من مسالك الأبصار 3: 72، وينظر صبح الأعشى 4: 306.

(2) في صبح الأعشى 4: 307: وجعل كلاً منهما ترخاناً.

(3) مع اختلاف في بعض الألفاظ وتقديم وتأخير، ينظر مسالك الأبصار 3: 71 – 72.

(4) من س، وسقط من ظ: الياسق، وفي مسالك الأبصار 3: 73: الياسة.

(5) في مسالك الأبصار 3: 73: الظاهر من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالى.... وأن من أولاده من دان بملة عيسى، ومن دان بملة موسى، ومنهم من اطّرح الجميع... ومنهم من تقرب بالأصنام.

مَنْ هَدَاهُ اللهُ [للإسْلام][أ]، كَمَا نَذْكُرُه، فَدَخَلُوا فِي عِدَادِ مُلُوكِ الإسْلام إلى أَنْ ذَهَبَتْ دَوْلَتُهم وَانْقَرَضَتْ أَيَّامُهم.

وَأَمَّا وَلَدُهُ فَكَثِيرٌ، وَهو الَّذِي تَقْتَضِيه حَالُ بَدَاوَتِه وَعَصَبِيَّتِه، إلا أَنَّ المَشْهُورَ[ب] مِنْهم أَرْبَعَة: أَوَّلُهم طُوشِي وَيُقَالُ: جُوجِي، وَثَانِيهم [جَغَطَاي][1] وَيُقَالُ كَدَايْ، وَثَالِثُهم أُوكَدَايْ / [422 ب] وَيُقَالُ: أُوكْتَاي، [وَرَابِعُهم][2] طُولِي، بَيْنَ الطَّاءِ وَالتَّاءِ، وَالثَّلاثَة الأُوَلُ لأُمٍّ وَاحِدَة وَهِي [أُويُوجِين بِيكِي][3] مِنْ كِبَارِ المُغُل.

وَعَدَّ شَمْسُ الدِّين الأَصْفَهَانِيُّ الأَرْبَعَة، فَقَالَ: جُوجِي [وَهو أَكْبَرُهم][4]، وَكَدَاي، وَطُولِي، وَأُوكَدَاي.

وَقَالَ نِظَامُ الدِّين يَحْيَى بنُ الحَكِيم نُورِ الدِّين عَبْدِ الرَّحْمَن الطَّيَّارِيُّ كَاتِبُ السُّلْطَان أَبِي سَعِيد، فِيمَا نَقَلَه عَنْه شِهَابُ الدِّين بنُ فَضْلِ الله: إنَّ كَدَاي هُوَ جَغَطَاي، وَجُوجِي هُوَ تُوشِي.

فَلَمَّا مَلَكَ جِنْكِزْ خَان البِلادَ قَسَّمَ بَيْنَهم المَمَالِكَ، فَكَانَ[ج] لِوَلَدِه طُوشِي بِلادُ قَيَالِق إلى بُلْغَار، وَهِي دَشْت[5] القَفْجَاقِ، وَأَضَافَ إِلَيه أَرَّان وَهَمَذَانَ وَتَبْرِيزَ وَمَرَاغَة،

(أ) س، في ط: إلى الإسلام.   (ب) في س: المشهورين.   (ج) في س: وكان.

---

(1) في الأصول: جغطاى، وسيجرى تصويبها من مسالك الأبصار 3: 82، صبح الأعشى 4: 308.

(2) إضافة تتفق مع السياق، وينظر ما يلي.

(3) في الأصول: أُوْبُولي بنت ينكى، في صبح الأعشى 4: 308: أوبولى من تيكى، والتصويب من مسالك الأبصار 3: 77.

(4) من صبح الأعشى 4: 308.

(5) الدَّشت: الصحراء، وهو فارسي، تاج العروس، وينظر صبح الأعشى 4: 456.

وَعَيَّن لأوكتَاي حُدُودَ إيَمِلْ[1] وَقَرَابَاق، وَمَا أدْرِي تَفْسِيرَ هَذه، وَجَعَلَه وَلِيَّ عَهْدِه، وعَيَّن لِجَغْطَايَ مِنَ الأيغُور إلى سَمَرْقَنْدَ وَبُخَارَى، وَهِيَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَلَم يُعَيِّن لِطُولِي شَيْئًا، وَعَيَّن لأخِيه أوتْكِين نُوِين[2] بِلادَ أَبْختا[3]، وَلا أَدْرِي مَعْنَى هَذا الاسْم.

وَلَمَّا اسْتَفْحَلَ مُلْكُه وَاسْتَوْلَى عَلَى هَذِه المَمَالِك جَلَسَ عَلَى التَّخْتِ، وَانْتَقَلَ إلى وَطَنِهم القَدِيم بَيْنَ الخِطَا وَبِلادِ الأيغُور، وَهِيَ تُرْكِسْتَانُ وَكَاشْغَر، وَفِي ذَلك الوَطَنِ مَدِينَةُ قَرَاقُروم وبِها[أ] كَانَ كُرْسِيُّه، وَكَان مَكَانُه مِنْ أعْمَالِ وَلَدِه مَكَانَ المَرْكَزِ مِنَ الدَّائِرَة وَكَانَ كَبِيرَ وَلَدِه طُوشِي، وَيُقَالُ: دُوشِي، وَمَاتَ فِي حَيَاتِه[4]، وَخَلَّفَ مِنَ الوَلَدِ: بَاطُو، وَبَرَكَه، وَأَوْرْدَه، وَطَوُول[5] [وَجِمْنِي][6]، هَكَذا قَالَ ابنُ الحَكِيم، وَقَالَ شَمْسُ الدِّين: [المَشْهُورُ][7] بَاطُو وَبَرَكَةُ فَقَط[8].

وَمَاتَ طُولِي أيضاً في حَيَاتِه في حَرْبِه مَعَ جَلالِ الدِّين خُوَارِزْم شَاه في نَوَاحِي[ب] غَزْنَة[9]، وَخَلَّفَ مِنَ الوَلَدِ مَنْكُو، وَقُبْلاي، وَأَرِيبُك، وَهُولاكو[10].

(أ) في س: بها. (ب) في س: بنواحي.

---

(1) في مسالك الأبصار 3: 77: امل، في صبح الأعشى 4: 308: ايمك.

(2) في مسالك الأبصار 3: 77: نويان.

(3) في مسالك الأبصار 3: 77: الختا.

(4) ذكر النويري أن دوشى خان فتح البلاد الشمالية في عهد أخيه أوكتاى، وأنه توفي سنة 641 هـ. نهاية الأرب 27: 357، وينظر زبدة الفكرة 4.

(5) في مسالك الأبصار 3: 77: بوول.

(6)، (7) من مسالك الأبصار 3: 78.

(8) مسالك الأبصار 3: 77 – 78.

(9) ينظر ما سبق ص626: 3 هـ.

(10) ينظر نهاية الأرب 27: 335.

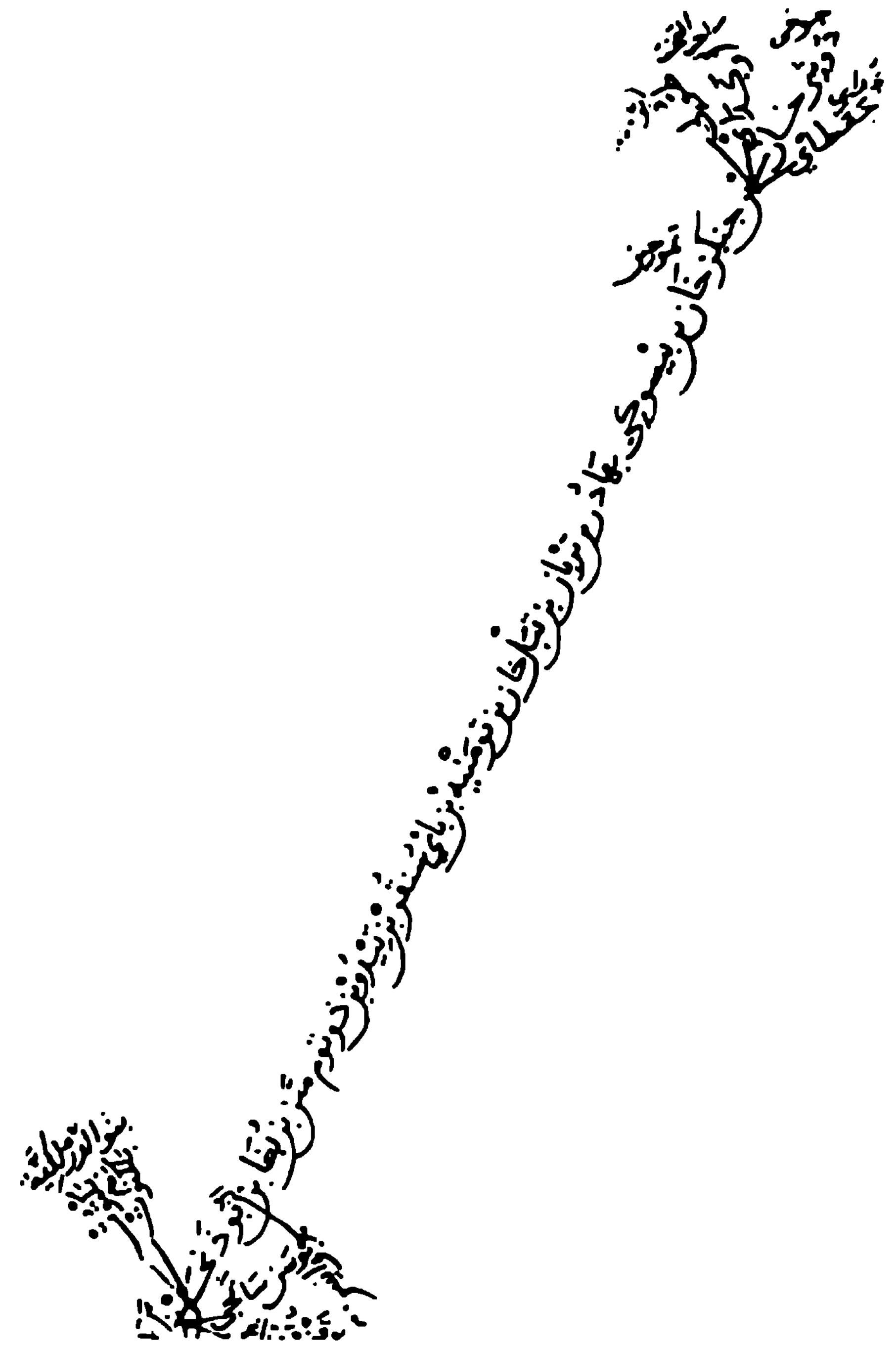

[مشجّر نسب جنكز خان وأولاده]

[423 ب] / مُلوكُ التَّختِ بقَرَاقُرُوم[1] مِن بَعدِ جنكِزخَان

قَالَ ابنُ فَضلِ الله عَنِ [ابنِ][أ] الحَكيمِ: وَلَمَّا هَلَكَ جِنكِزخَان[2] اسْتَقَلَّ أُوكَدَاي بِالتَّختِ وَبِدَشْتِ القَفجَاقِ وَمَا مَعَه، وَكَانَ أَصغَرَ وَلَدِه، وَانتَقَلَ إِلى قَرَاقُرُوم مَكَانِهم الأَصلِي، وَأَعطَى إِيمَلْ وَقَرَابَاق الَّتِي كَانَتْ بِيَدِه لابنِه كَيُوك[ب]، وَلَم يَتَمَكَّنْ جَدَايْ، وَهُوَ جَغطَاي، مِنْ مَملَكَةِ مَا وَرَاءَ النَّهرِ، ثُمَّ مَاتَ أُوكَدَاي[3] فَوَرِثَ التَّختَ بَعدَه ابنُه كَيُوك[4]، وَكَانَ جَبَّاراً مُسَلَّطاً، فَقَهَرَ إِخوَتَه وَبَنِي أَبِيه، وَنَازَعَ بَاطُو ابنَ دُوشِي خَان فِي أَرَّانَ وَهَمَذَانَ وَتَبْرِيزَ وَمَرَاغَةَ، وَبَعَثَ أَمِيراً مِنْ أُمَرَائِه[5] لِحَمْلِ أَموَالِهَا وَالقَبضِ عَلَى عُمَّالِه بِهَا[6].

وَقَدْ[ج] كَانَ بَاطُو كَتَبَ إِلَيهِم بِالقَبْضِ عَلَى ذَلِكَ الأَمِيرِ، فَقَبَضُوا عَلَيه وَحَمَلُوه إِلَى بَاطُو فَطَبَخَه[7]. وَبَلَغَ ذَلِكَ إِلَى[د] كَيُوك، فَسَارَ إِلَى بَاطُو فِي سِتِّ مِائَة أَلفٍ مِنَ العَسَاكِرِ، وَهَلَكَ قَبلَ أَنْ يَصِلَ [إِلَيهِ][هـ] بِعَشرِ مَرَاحِل[8]، فَبَعَثَ القَومُ إِلَى بَاطُو

(أ) من س. (ب) في س: كيكوك. (ج) سقط من س. (د) سقط من س. (هـ) من س.

---

(1) ينظر ما سبق ص633: 1هـ.

(2) توفي في رابع شهر رمضان 624 هـ. الوافي بالوفيات11: 198، وينظر نهاية الأرب 27: 334.

(3) توفي سنة 631 هـ. نهاية الأرب 27: 345، وورد في جامع التواريخ 1: 480: أنه توفي سنة 639 هـ.

(4) بوصية والده. ينظر نهاية الأرب 27: 345.

(5) في مسالك الأبصار 3: 78: اسمه الجكداي.

(6) مسالك الأبصار 3: 78.

(7) مسالك الأبصار 3: 78: فصلقه بالماء. في صبح الأعشى: فطبخه وأكله.

(8) في مسالك الأبصار 3: 79: حتى كان بينها نحو عشرة أيام.

أنْ يَكُونَ صَاحِبَ التَّخْتِ، فأَبَى، وَجَعَلَه [لابْنِ أخِيه][1] مَنْكُو قَان[2] بنِ طُولِي، وَبَعَثَه إلَيْه وَأَخَوَيْه مَعَه قُبْلَاي وهُولَاكُو، وَبَعَثَ مَعَهم أخَاه بَرَكَة بن دُوشِي خَان[أ] في مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ العَسَاكِرِ لِيُجْلِسَه عَلَى التَّخْتِ[3].

فلَمَّا عَادَ مَرَّ بِبُخَارَى وَلَقِيَ الشَّيْخ شَمْسَ الدِّين[4] البَاخَرْزِيّ[5] مِنْ أَصْحَابِ نَجْمِ الدِّين كُبْرَى[6]، شَيْخِ الصُوفِيَّة، فأَسْلَمَ عَلَى يَدِه[7]، وَتأكَّدَتْ صُحْبَتُه مَعَه، وَحَرَّضَه عَلَى التَّمَسُّكِ بِطَاعَةِ الخَلِيفَةِ وَمُكَاتَبَةِ المُسْتَعْصِم وَمُبَايَعَتِه وَمُهَادَاتِه، فَفَعَلَ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَه وَبَيْنَ المُسْتَعْصِم، وَتأكَّدَتِ المُوَالاةُ[8].

وَاسْتَقَلَّ مَنْكُو قَان بالتَّخْتِ، وَوَلَّى أَوْلادَ جَغَطَاي، عَمّه، عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ إمْضَاءً لِوَصِيَّةِ جِنْكِزْ خَان لأَبِيهم الَّتِي مَاتَ دُونَهَا[9].

وَوَفَدَ عَلَيْه جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ قَزْوِينَ وَبِلادِ الجِبَالِ يَشْكُونَ مَا نَزَلَ بِهِم مِنْ ضَرَرِ الإسْمَاعِيلِيَّة وفَسَادِهم، فَجَهَّزَ أَخَاه هُولَاكُو لِقِتَالِهم وَاسْتِئْصَالِ قِلاعِهم، فَمَضَى

(أ) في س: طوشي.

---

(1) في الأصول: لأخيه، والتصويب مما سبق ص639.

(2) في صبح الأعشى 4: 309: منكوتان.

(3) مسالك الأبصار 3: 79، صبح الأعشى 4: 309، وينظر ما ورد في نهاية الأرب 27: 346.

(4) في مسالك الأبصار 3: 79، الوافي بالوفيات 15: 262: سيف الدين.

(5) هو سعيد بن المطهر بن سعيد الباخرزي، توفي سنة 659 هـ. الوافي بالوفيات 15: 262.

(6) هو أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الصوفي، توفي سنة 618 هـ. طبقات الشافعية الكبرى 8: 25.

(7) في صبح الأعشى 4: 309: وهو أول من أسلم من بيت جنكز خان.

(8) مسالك الأبصار 3: 79.

(9) مسالك الأبصار 3: 79، صبح الأعشى 4: 309

لِذلِك، وَحَسَّنَ [هُولاكُو][1] لأخِيه مَنكُو قَان الاسْتِيلاءَ عَلَى أعْمَالِ الخَلِيفَة، فَأذِنَ [424 أ] لَه / فِيه[أ]. وَبَلَغَ ذَلِك بَرَكَة بنَ دُوشِي، فَنَكِرَه عَلَى أخِيه بَاطُو الَّذِي وَلِيَ مَنكُوقَان، لِمَا كَانَ بَيْنَ بَرَكَةَ وَالمُسْتَعْصِم مِنَ المُوَالاة[ب] وَالوُصْلَة بِوَصِيَّة الشَّيْخ البَاخَرْزِي، فَبَعَثَ بَاطُو إلى أخِيه هُولاكُو بِالنَّهْي عَن ذَلِك، وَأَنْ لا يَتَعَدَّى مَكَانَه. فَوَصَلَتْ[ج] رُسُلُ بَاطُو بِذَلِك، وَهو فِيمَا وَرَاءَ النَّهْر، قَبْلَ أَنْ يَفْصِلَ بِالعَسْكَر، فَأَقَامَ سَنَتَيْنِ امْتِثَالًا لأمْرِه حَتَّى هَلَكَ بَاطُو وَوَلِيَ بَرَكَة، فَاسْتَأذَنَ أخَاه مَنكُو قَان ثَانِيَةً، وَسَارَ لِقَصْدِ المَلَاحِدَة •وَأعْمَالِ الخَلِيفَةِ•[د]، فَأَوْقَعَ بِالمَلَاحِدَةِ وَفَتَحَ قِلَاعَهم وَاسْتَلْحَمَهم، وَأَوْقَعَ بِأهْلِ هَمَذَان وَاسْتَبَاحَهم، لِمَيْلِهم إلى بَرَكَةَ وَأخِيه بَاطُو، ثُمّ سَارَ إلى بَرَكَة بِدَشْتِ القَفْجَاقِ، فَزَحَفَ إلَيْه بَرَكَةُ فِي جُمُوعٍ لا تُحْصَى، وَالتَقَيَا، فَاسْتَحَرَّ القَتْلُ فِي أَصْحَابِ هُولاكُو، وَهَمَّ بِالهَزِيمَةِ[2]، ثُمّ حَالَ نَهْرُ الكُرّ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ[هـ]، وَعَاثَ هُولاكُو فِي البِلادِ، وَاسْتَحْكَمَتِ العَدَاوَةُ بَيْنَهُما[3].

وَسَارَ هُولاكُو إلى بَغْدَادَ فَكَانَتْ لَه الوَاقِعَةُ المَشْهُورَةُ عَلَيْها، كَما مَرّ، وَيَأتِي فِي أخْبَارِ دَوْلَتِه.

وَفِي كِتَابِ ابنِ فَضْلِ الله فِيمَا نَقَلَه عَنْ شَمْسِ الدِّين الأصْفَهَانِي: أَنَّ هُولاكُو لَم يَكُنْ مُسْتَقِلًّا بِالمُلْكِ، وَإنَّما كَانَ نَائِباً عَنْ أخِيه مَنكُو قَان، وَلا ضُرِبَتِ السِّكَّةُ

(أ) سقط من س. (ب) في س: الولاية. (ج) في س: وبلغته. (د) سقط ما بين النجمين من س.

(هـ) سقط من س.

---

(1) من مسالك الأبصار 3: 79.

(2) مسالك الأبصار 3: 79 – 80، صبح الأعشى 4: 309 - 310.

(3) مسالك الأبصار 3: 79 - 80.

بِاسْمِه، وَكَذَا ابنُه أبْغَا، وَإنَّمَا ضَرَبَها مِنهم أرْغُون [بنُ أبغَا][1] حِينَ اسْتَقَلَّ، فَجَعَلَ اسْمَهُ في السِّكَّةِ معَ اسْمِ صَاحِبِ التَّخْتِ، قَالَ: وَكَانَ شِحْنَةُ صَاحِبِ التَّخْتِ لا يَزَالُ بِبَغْدَادَ إلى أنْ مَلَكَ [مَحْمُودُ غَازَان بن أرْغُون][2] فَطَرَدَ الشِّحْنَةَ، وَأفْرَدَ اسْمَهُ في السِّكَّةِ، وَقَالَ: أنَا مَا مَلَكْتُ البِلادَ إلا بِسَيْفِي[3].

وَبَيْتُ [بَنِي][أ] جِنكِزْ خَان يَرَوْنَ أنَّ بَنِي هُولاكُو إنَّمَا كَانُوا ثُوَّاراً، وَأنَّ جِنكِزْ خَان لَم يَمَلِّكْ طُولِي شَيْئاً، وَأنَّ أخَاه مَنكُو قَان الَّذِي وَلَّاه عَلَيْهَا، إنَّمَا بَعَثَه نَائِباً، معَ أنَّ مَنكُو قَان إنَّمَا وَلَّاه بَاطُو بنُ دُوشِي خَان، كَمَا مَرَّ، قَالَ، وَنَقَلَه عَنْ ثِقَاتٍ: إنَّه لَم يَبْقَ مِنْ بَنِي هُولاكُو مَنْ يَتَحَقَّقُ نَسَبُه لِكَثْرَةِ مَا وَقَعَ فِيهِم مِنَ القَتْلِ غَيْرَةً عَلَى المُلْكِ، وَمَنْ نَجَا طَلَبَ الاخْتِفَاءَ بِشَخْصِه، فَخَفِيَ نَسَبُه، إلا مَا قِيلَ / [424 ب] في [مُحَمَّدٍ][ب] المَنْسُوبِ إلى عَنبَرْجِي[4].

قَالَ شَمْسُ الدِّينِ الأَصْفَهَانِيُّ، وَنَقَلَه عَنْ أمِيرٍ كَبِيرٍ[5] مِنهم [نَغَتَهُ][ج] بِأنَّه نَسِيبُ السُّلْطَانِ: إنَّ أوَّلَ مَنِ اسْتَقَلَّ بِالتَّخْتِ جِنكِزْ خَان[6]، ثُمَّ ابنُه أُوكَدَاي[7]،

(أ) من س. (ب) في ظ: بتحد. (ج) من س، ظ: بغته.

---

(1) من مسالك الأبصار 3: 81.

(2) في الأصول: غازان، والإضافة للتوضيح من مسالك الأبصار 3: 81.

(3) المصدر نفسه 3: 81.

(4) المصدر نفسه 3: 81 - 82، وهو: محمد بن عنبرجي المغولي، ت 738 هـ. الدرر 4: 79.

(5) هو: طاير بغا، كما في مسالك الأبصار 3: 82.

(6) والتلفظ الصحيح به جنكص خان بالصاد. مسالك الأبصار 3: 82.

(7) أوكديه، والتلفظ الصحيح به أوكتاي. مسالك الأبصار 3: 82.

ثُمّ ابنه كَيُوك بنُ أُوكتَاي، ثُمّ مَنكُو قَان[1] بنُ طُولِي، ثُمّ أَخُوه أَرِيبُكَان[2]، ثُمّ أَخُوهُما قُبلاي[3]، ثُمّ دِمِرْ قَان وَيُقَالُ: تِمِرْ قَان، ثُمّ تِمِرْ بَاي[4]، ثُمّ تِرْبِي كَيزي[5]، ثُمّ كِيَان قَان[6]، ثُمّ سُنْدُمُرْ قَان بنُ طِرَمَالا بن خَمكُم بن قُبلاي[7] بن طُولِي [بن جِنكِزْ خَان][8]. انتَهى كَلَامُ ابنِ فَضلِ الله[9].

ومِنْ غَيْرِه: أنَّ مَنكُو قَان جَهَّزَ عَسَاكِرَ الطَّطرِ أيّامَ مُلكِه عَلَى التَّخْتِ إلى بِلادِ الرُّومِ سَنَةَ [أَربَعٍ وخَمسِينَ وَسِتِّ مِائَة][10] مَعَ أَمِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ المُغلِ اسْمُه [بِيجو][11]، فَمَلَكَهَا مِنْ يَدِ بَني قِلِيج أَرسَلَان، كَمَا هُو مَذكُورٌ في أَخبَارِهِم، فَأَقَامَتْ في طَاعَةِ القَانِ إلى أَنِ انقَرَضَ أَمرُ المُغلِ مِنهَا.

ثُمّ بَعَثَ مَنكُو قَان العَسَاكِرَ لِغَزوِ بِلادِ الخِطَا مَعَ أَخِيه قُبلاي بَعدَ أنْ عَهِدَ لَه بِالقَانِيّة، ثُمّ سَارَ عَلَى أَثَرِه بِنَفسِه، وَاستَخْلَفَ أَخَاه الآخَرَ [أَرِيبُكَان][12] عَلَى كُرسِيّ

---

(1) في مسالك الأبصار 3: 82: مونككا قان.

(2) في المصدر نفسه 3: 82: أرى بكا، وفي نهاية الأرب 27: 353: أرنبكا.

(3) في المصدر نفسه 3: 82: قبلى قان.

(4) في المصدر نفسه 3: 82: برباى.

(5) في المصدر نفسه 3: 82: تزى طيزى.

(6) في المصدر نفسه 3: 82: قيسان قان.

(7) في مسالك الأبصار 3: 82: قبلى قان.

(8) من المصدر نفسه 3: 82.

(9) ينظر المصدر نفسه 3: 82.

(10) بياض في الأصول، والإضافة من نهاية الأرب 27: 349، وينظر ما يلي.

(11) في الأصول: بيكو، والتصويب مما سبق ص 297.

(12) في الأصول: أريك، في جامع التواريخ: أريق بوكا. في نهاية الأرب 27: 347: أرنبكا، والتصويب مما سبق ص 646.

قَرَاقُرُوم، وَهَلَكَ مَنْكُو قَان فِي طَرِيقِه ذَلِكَ[أ] عَلَى نَهْرِ أَلطَاي مِنْ بِلادِ الغُورِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِين[1]، فَجَلَسَ أَرِيْتِكَانُ عَلَى التَّخْتِ، وَعَادَ قُبْلاي مِنْ بِلادِ الخِطَا، فَزَحَفَ إِلَيْه أَرِيْتِكَان، فَهَزَمَه إِلى بَعْضِ النَّوَاحِي، وَاسْتَأْثَرَ بِالغَنَائِمِ عَنْ إِخْوَتِه وَقَوْمِه فَمَالُوا إِلى طَاعَةِ قُبْلاي، فَاسْتَدْعَوْه، فَجَاءَ[ب] وَقَاتَلَ أَخَاه أَرِيْتِكَان فَغَلَبَه، وَتَقَبَّضَ عَلَيْه وَحَبَسَه، وَاسْتَقَرَّ فِي القَانِيَّة. وَبَلَغَ الخَبَرُ إِلى هُولاَكُو وَهُوَ فِي الشَّامِ عِنْدَمَا اسْتَوْلَى عَلَيْه، فَرَجَعَ، لِمَا كَانَ يُؤَمِّلُه مِنَ القَانِيَّة، وَلَمَّا انْتَهَى إِلى جَيْحُونَ بَلَغَهُ اسْتِقْرَارُ قُبْلاي أَخِيه[ج] فِي القَانِيَّة، وَتَبَيَّنَ لَهُ عَجْزُه عَنْه، فَسَالَمَه وَقَنِعَ بِمَا فِي يَدِه، وَرَجَعَ إِلى العِرَاقِ[2].

ثُمَّ نَازَعَ قُبْلاي فِي القَانِيَّة لآخِرِ دَوْلَتِه سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ بَعْضُ بَنِي أُوكَدَاي صَاحِبِ التَّخْتِ الأَوَّلِ، وَهو قَيْدُو بنُ قَاشِي بنِ كَيُوك بن أُوكَدَاي[3]، وَنَزَعَ إِلَيْه بَعْضُ / أُمَرَاءِ قُبْلاي، وَزَيَّنُوا لَه ذَلِك، فَسَارَ [إِلَيْه][د]، وَبَعَثَ قُبْلاي العَسَاكِرَ لِلِقَائِه [425أ] مَعَ ابْنِه تَمْغَان[4] فَهَزَمَه قَيْدُو، وَرَجَعَ مُنْهَزِماً إِلى أَبِيه، فَسَخِطَه وَطَرَدَه إِلى بِلادِ الخِطَا فَمَاتَ هُنَالِك[5].

(أ) سقط من س. (ب) في س: وجاء. (ج) في س: أخيه قبلاى. (د) في ط: له.

---

(1) توفي سنة 655 هـ، في جامع التواريخ 2: 603.

(2) نهاية الأرب 27: 354.

(3) في نهاية الأرب 27: 354: وهو: قيدوا بن قيجى بن طلو خان بن جنكز خان، صاحب ما وراء النهر.

(4) في نهاية الأرب 27: 355: نمغان.

(5) نهاية الأرب 27: 355.

وَسَلَّطَ قبلاي[ا] عَلَى قَيْدُو، وَكَان قَدْ غَلَبَ عَلَى مَا وَرَاء النَّهْرِ، فَسَلَّطَ عَلَيْه بُرَاق بنَ بَسَنْتُو بنِ مَلْكُوكَان بن جَغْطَاي، مِنْ بَني جَغْطَاي مُلُوكِ مَا وَرَاء النَّهْرِ بِوَصِيَّةِ أبِيهِم جِنْكِزْ خَان، فَغَلَبَه بُرَاق وَاسْتَوْلَى عَلَى مَا وَرَاء النَّهْرِ. ثُمّ هَلَكَ قبلاي صَاحِبُ التَّخْتِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِين، وَمَلَكَ ابنُه سَرْمُون[1].

هَذا مَا انْتَهى إلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ التَّخْتِ بِقَرَاقُرُوم مِنْ بَنِي جِنْكِزْ خَان، وَلَمْ نَقِفْ عَلَى غَيْرِهَا[ب].

(ا) سقط من س. (ب) مكان المشجّر التالي بياض في س.

---

(1) في نهاية الأرب 27: 355 – 356: شرمون، وينظر جامع التواريخ 1: 446.

[425 ب](1)

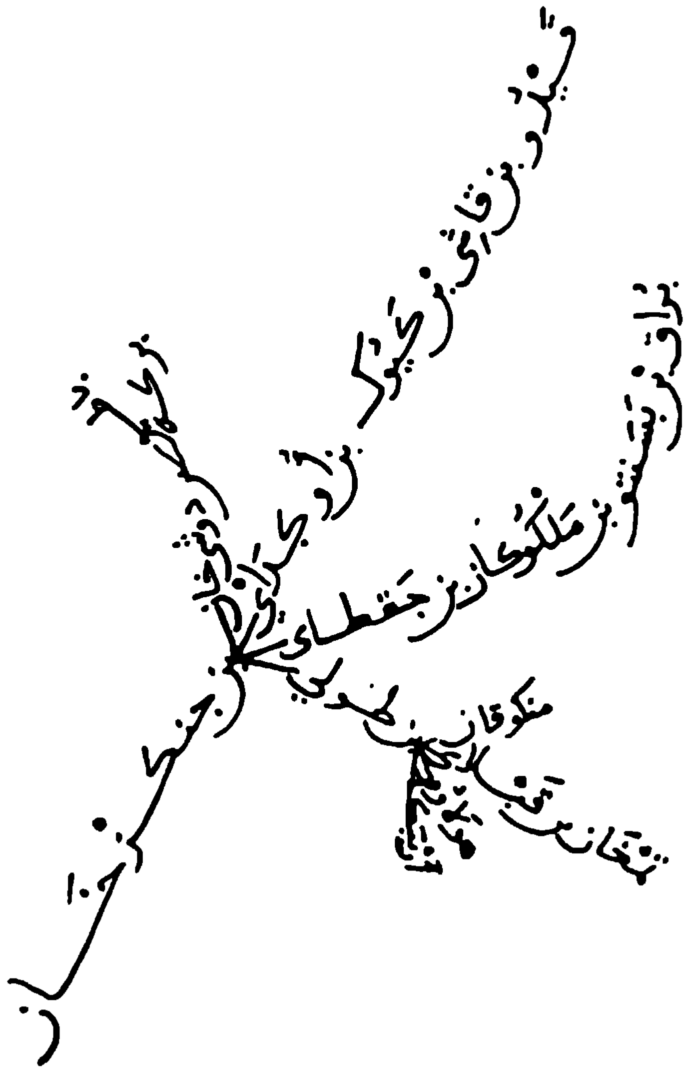

[مشجّر نسب ملوك التخت بقراقروم، من س]

(أ) بداية سقط الورقة 425 أ - 426 ب واستكملت من س

[426 أ]

/مُلُوكُ بَنِي جَغْطَايَ بنِ جِنْكِزخَان بِتُرْكِستَانَ وكَاشْغَرَ ومَا وَرَاءَ النَّهرِ

هَذا الإِقْلِيمُ هُو مَمْلَكَةُ التُّرْكِ الأُولَى قَبْلَ الإسْلَامِ، وَأَسْلَمَ مُلُوكُهم عَلَى تُرْكِسْتَانَ وَكَاشغَر، فَأَقَامُوا بِها، وَكَانَ لَهم هُنَالِكَ مُلْكٌ وَدَوْلَةٌ لِبَنِي سَبق، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا، وَكَانُوا في ظِلِّ الدَّوْلَةِ السَّامَانِيَّةِ وَرَاءَ النَّهرِ، ثُمَّ نَازَعُوا بَنِي سَامَان مُلُوكَ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْد إلى أَنِ انقَرَضَتِ الدَّوْلَتَانِ، كَما مَرَّ(ا).

وَظَهَرَتْ دَوْلَةُ الغُزِّ مِنَ التُّرْكِ، خَرَجُوا مِنْ مَفَازَةِ الصِّين، وَالمُلْكُ فِيهم في بَنِي سَلْجُوق، وسُلْطَانُهم طُغْرُلْبك بنُ مِيكَائِيلَ بنِ سَلْجُوق، فَغَلَبَ عَلَى دَوْلَةِ بَنِي سُبُكْتِكِين، الوَارِثِينَ لِمُلْكِ بَنِي سَامَان، وَعَلَى دَوْلَةِ بَنِي بُوَيه بِالعِرَاقَيْنِ، وَعَلَى كُرْسِيِّ الخِلَافةِ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ كُرسِيُّهم بِغَزْنَة، وَأَعْمَالُهم خُرَاسَانُ وَمَا وَرَاءَ النَّهرِ وَالعِرَاقَانِ، وَامْتَدَّ المُلْكُ فِيهم نَحْواً مِنْ مِائَتَي سَنَة، وَاسْتَقَرَّ المُلْكُ آخِرَها في مَا وَرَاءَ النَّهرِ بِخُوَارِزْم لِبَنِي خَوَارِزْم شَاه مِنْ مَوَالِيهِم، ثُمَّ كَانَ ظُهُورُ دَوْلَةِ الطَّطَرِ.

وَاستَوْلَى جِنْكِزخَان عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهرِ مِن بَنِي خُوَارِزْم شَاه، وَعَلَى الأَعْمَالِ الخِلَافِيَّةِ كُلِّها، وَقَسَّمَ المُلْكَ بَيْنَ بَنِيه، وَأَوْصَى بِهَذِه المَمْلَكَةِ، وَرَاءَ النَّهرِ في تُرْكِسْتَانَ وَكَاشغَر لابْنِه جَغْطَاي، فَلَم يَتِمَّ ذَلِكَ، لِوَفَاةِ جَغْطَاي في حَيَاةِ أَبِيه.

(ا) إضافة من س، وفي ظ: وملك بنو سامان نواحي بُخارى وسمرقند واستبدّوا. ومنها كان ظهور بني سلجوق والططر من بعدهم. ولمّا استولى جنكزخان على البلاد أوْصى بهذه المملكة لابنه جغطاي، ولم يتمّ في حياته، ومات جغطايُ دونه.

فَلَمَّا وَلِيَ مَنكُو قَان بنُ طُولِي عَلَى التَّخْتِ، كَمَا مَرَّ، رَدَّ بَنِي جَغْطَاي إلى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ إمْضَاءً لِوَصِيَّةِ جِنْكِزْ خَان، وَوَلَّى مِنْهُم مَلكُو قَان[أ][1] بن جَغْطَاي، فَلَمَّا هَلَكَ وَلَّى ابنه [قَرَا][2] هُولَاوُو، وَمِنْ بَعْدِهِ ابنه مُبَارَك شَاه، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِم قَيْدُو ابنُ قَاشِي بن كَيُوك بنِ أُوكدَاي بن جِنكِزْ خَان، وَانْتَزَعَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مِنْ أَيْدِيهِم، وَكَانَ جَدُّه كَيُوك صَاحِبَ التَّخْتِ، وَبَعْدَه وَلِيَ مَنْكُو قَان، فَلَمَّا وَلِيَ قَيْدُو نَازَعَ صَاحِبَ التَّخْتِ يَوْمَئِذٍ وهُوَ قُبْلَاي، وَكَانَتْ بَيْنَهما حُرُوبٌ.

وَأَعَانَ قُبْلَاي فِي خِلَالِها بَنِي جَغْطَاي عَلَى اسْتِرْجَاعِ مُلْكِهِم، وَوَلَّى مِنْهم بُرَاق ابنَ بَسَنْتُو بنِ مَلكُو قَان بن جَغْطَاي، وَأَمَدَّه بِالعَسَاكِرِ وَالأَمْوَالِ، فَغَلَبَ قَيْدُو، وَانْتَزَعَ البِلَادَ مِنْ يَدِه، وَاسْتَبَدَّ بِمُلْكِ آبَائِه، ثُمَّ هَلَكَ، فَوَلِيَ مِنْ بَعْدِه ابنُه دُوَا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ دُوَا، بَنُونَ لَه أَرْبَعَةٌ، وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، أَوَّلُهم: كَيْجَك، ثُمَّ أَسَنْبُغَا، ثُمَّ كَبَك، ثُمَّ الجُكْدَاي[3].

ثُمَّ وَلِيَ بَعْدِ الأَرْبَعَةِ دَرَاتَمُو، ثُمَّ تَرْمَا شِيرِين، ثُمَّ مِنْ غَيْرِ دُوَا، تُوزُونُ بنُ أُوِيَا[ب] كَانَ بن ....[4].

وَتَخَلَّلَ هَؤُلاءِ مَنْ تَوَثَّبَ عَلَى المُلْكِ، فَلَمْ يَنْتَظِمْ لَه، مِثْلَ: بَيْسَاوُر بنِ أَرْكَتَمُر

(أ) في هذا الموضع والمواضع التالية في س: منكو قان. (ب) في س: أوتا.

---

(1) في مسالك الأبصار 3: 82: منكو كان.

(2) من مسالك الأبصار 3: 82.

(3) مسالك الأبصار 3: 82، وينظر صبح الأعشى 4: 449 – 450.

(4) بياض في الأصول، ومسالك الأبصار 3: 83.

ابن بُغَا تَمُرْ بن بُرَاق بنِ بَسَنتُو، وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهم بَعْدَ تُرْمَا شِيرِين مُضْطَرِباً إلى أَنْ مَلَكَ مِنهم[أ] جَنْغَصُو بنُ دَرَا تَمُرْ بنِ [طَوَا][ب] بن بُرَاق بن بَسَنتُو[1].

[426 ب] وكَانُوا كُلُّهم عَلَى دِينِ المَجُوسِيَّةِ][ج]، / وخُصُوصاً دِينِ جِنكِزْخَان وَعِبَادَتهُ للشَّمسِ، وكَان فِيمَا يُقَالُ عَلَى رَأْيِ النَّجشِيَّة، فكَان بَنُو جَغَطَاي يَعَضُّونَ عَلَيْها بِالنَّوَاجِذِ، وَيَتَّبِعُونَ سِيَاسَتَه مِثْلَ أَصْحَابِ التَّخْتِ. فلَمَا صَارَ المُلْكُ إلى تُرْمَا شِيرِين مِنهم أَسْلَمَ، رَحِمَه الله، سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِين [وَسَبْعِ مِائَة][د] وَجَاهَدَ وَأَكْرَمَ التُّجَّارَ المُتَرَدِّدِينَ، وكَانَ[هـ] تُجَّارُ مِصْرَ مُمْتَنِعونَ مِنْ بِلادِه، فلَمَّا بَلَغَهم ذَلِكَ قَصَدُوهَا فَحَمِدُوهَا[2].

[ظُهُورُ الأَمِيرِ تَمُرْ[3] مِن بَنِي جَغَطَاي المُستَولِي عَلَى دُوَلِ بَنِي جِنكِزخَان، وتَغَلُّبُه عَلَى سَائِرِ الأَعْمَال][و]

وَلَما انقَرَضَتْ دُوَلُ بَني جِنكِزْ خَان وَتَلاشَتْ في جَمِيعِ النَّوَاحِي ظَهَرَ في أَعْقَابِ دَوْلَةِ[ز] بَني جَغَطَاي هَؤُلاءِ[ح] [بِتُرْكِستَانَ وَ[ط] سَمَرْقَنْد] وَمَا وَرَاءَ النَّهرِ[ي] مَلِكٌ اسْمُه تَمُرْ[ك] [بنُ طَرَغَاي]، وَلَا أَدْرِي كَيْفَ يَتَّصِلُ [نَسَبُه إلى جَغَطَاي][ل].

(أ) في س: إلى أن ملكهم. (ب) في ظ: حلو. (ج) إلى هنا نهاية سقط الورقة 426. (د) من س.
(هـ) في س: وكانت. (و) من س. (ز)، (ح) سقط من س. (ط) من س. (ي) سقط من س.
(ك) في س يسميه في الأغلب تمور. (ل) في ظ: نسبه فيهم.

---

(1) مسالك الأبصار 3: 83.

(2) ينظر صبح الأعشى 4: 450.

(3) اختلفت المصادر والأصول في ضبط ورسم هذا الاسم، فهو تيمور، وتمر، وتيمور لنك، وتمر لنك، وتمر لانغ... إلخ، ومن حيث الضبط، ورد في عجائب المقدور 3: بتاء مكسورة وياء ساكنة وميم مضمومة وراء مهملة، وفي إنباء الغمر 1: 17: بفتح المثناة وسكون التحتانية وضم الميم، ومعناه بالعربية حديد، والتصويب المثبت، في هذا الموضع والمواضع الأخرى، من س.

•وَيُقَالُ: إنّه مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِم•[أ]، وَإنَّمَا هُوَ[ب] مُتَغَلِّبٌ عَلَى •صَبِيٍّ مِنْ أَعْقَابِ مُلُوكِهِم اسْمُه صَلْغَتْمِش أَوْ مَحْمُودٌ•[ج]، تَزَوَّجَ أُمَّه بَعْدَ مَهْلِكِ أَبِيه، وَاسْتَبَدَّ عَلَيْه •مِنْ أُمَرَائِهِم، وَأَخْبَرَنِي مَنْ لَقِيتُه مِنَ الصِّينِ أَنَّ أَبَاه أَيْضاً كَانَ فِي مِثْلِ مَكَانِه مِنَ الإمَارَةِ وَالاسْتِبْدَادِ، وَمَا أَدْرِي أَهُو صَلِيبَةٌ فِي نَسَبِ جَغْطَاي أَوْ مِنْ أَخْلَافِهِم وَأَتْبَاعِهِم•[د].

وَأَخْبَرَنِي الفَقِيهُ[هـ] بُرْهَانُ الدِّينِ الخُوَارِزْمِيُّ[و]، وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ خُوَارِزْمَ وَأَعْيَانِهَا[ز]، قَالَ: كَانَ لِعَصْرِه وَأَوَّلِ ظُهُورِه[ح] [وَهُو بِتُرْكِسْتَانَ][ط] أَمِيرٌ بِبُخَارَى يُعْرَفُ بِحَسَن، مِنْ أَكَابِرِ المُغْلِ، وَآخَرُ بِخُوَارِزْمَ مِنْ مُلُوكِ صَرَايِ أَهْلِ التَّخْتِ يُعْرَفُ بِالحَاجّ حَسَن[ي] الصُّوفِي، [وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الطُّطَرِ][ك]، فَنَبَذَ إلَيْهِم تَمُر العَهْدَ، وَزَحَفَ إلَى بُخَارَى فَمَلَكَهَا مِنْ يَدِ حَسَن، ثُمَّ زَحَفَ إلَى خُوَارِزْم، •وَطَالَتْ حُرُوبُه مَعَ صَاحِبِهَا الحَاج حَسَنِ الصُّوفِي، وَحَاصَرَهَا مِرَاراً•[ل]، وَهَلَكَ حَسَنٌ خِلَالَ ذَلِكَ، وَوَلِيَ أَخُوه يُوسُفُ، فَمَلَكَهَا تَمُر مِنْ يَدِه وَخَرَّبَهَا فِي حِصَارٍ طَوِيلٍ، ثُمَّ كَلِفَ بِعِمَارَتِهَا وَبِنَاءِ[م] مَا خَرِبَ مِنْهَا(1).

وَانْتَظَمَ لَه مُلْكُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَنَزَلَ[ن] بُخَارَى، [ثُمّ انْتَقَلَ إلَى سَمَرْقَنْدَ][س]، ثُمَّ زَحَفَ إلَى خُرَاسَان فَمَلَكَ هَرَاةَ مِنْ يَدِ صَاحِبِهَا، وَأَظُنُّه مِنْ بَقَايَا مُلُوكِ الغُورِيَّة، ثُمَّ زَحَفَ إلَى مَازَنْدَرَان، [وَهِيَ كُرْسِيُّ طَبَرِسْتَان، وَجُرْجَان][ع]، وَطَالَ تَمَرُّسُه بِهَا

(أ) سقط من س. (ب) في س: إلا أنه. (ج) في س: سلطانهم المتصل نسبه في عظم القان إلى جغطاى، واسمه محمود، وأظنه ابن ساطلمش. (د) سقط من س. (هـ) في س: وأخبرنى الثقة. (و) سقط من س. (ز) في س: من أعيان خوارزم وأعيانها. (ح) أول ظهوره: سقط من س. (ط) من س. (ي) في س: حسين، في هنا الموضع والمواضع التالية. (ك) من س. (ل) سقط ما بين النجمين من س، وفيه: وتمرّس بها. (م) في س: وتشييد. (ن) س: واستبدّ ببخارى. (س)، (ع) من س.

(1) ينظر عجائب المقدور 21، 32 – 34.

وحُرُوبُه مع صَاحِبِها الشَّيْخِ[أ] وَلِيٍّ إلى أنْ مَلَكَهَا عَلَيْه سَنَةَ أرْبَعٍ وثَمانِين، ولَحِقَ الشَّيْخُ وَلِيٌّ بِتَورِيز[ب] [وَبِها أَحْمَدُ ابنُ الشَّيْخِ حَسَنٍ صَاحِبُ العِرَاقِ وأَذْرْبِيجَانَ][ج] / [427 أ] إلى أنْ مَلَكَها تَمُرْ[د] سَنَةَ ثَمانٍ وثَمانِين[1]، فَهَلَكَ [الشَّيْخُ وَلِيٌّ][هـ] في حُرُوبِه مَعَها[و]، ثُمَّ زَحَفَ إلى أصْفَهَانَ فأَتَوْه طَاعَةً[ز] مُمَرَّضَةً.

وَخَالَفَه في قَوْمِه كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ نَسَبِه يُعْرَفُ بِقَمَرِ الدِّين، وأَمَدَّه طَقْطُمُش، صَاحِبُ التَّخْتِ بِصَرَاي، فَكَرَّ رَاجِعاً إلَيْه، وَشُغِلَ بِحُرُوبِه إلى أنْ غَلَبَه[ح] وَمَحَا أثَرَه، [وَاسْتَقَلَّ بسُلْطَانِ المُغْلِ][ط].

[وَزَاحَفَ طَقْطُمُش مِرَاراً حَتَّى أَوْهَنَ مِنْه][ي]، وغَلَبَ طَقْتَمِش على ما بِيَدِه من البِلادِ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أصْفَهَانَ سَنَةَ أرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمَلَكَهَا، وَمَدَّ يَدَه[ك] إلى فَارِس، وَبِها أعْقَابُ بَني المُظَفَّرِ اليَزْدِي، المُتَغَلِّبِين عَلَيْها بَعْدَ بَني هُولاكُو، فَغَلَبَهم عَلَيْها[ل] سَنَةَ أرْبَعٍ وَتِسْعِين، ثُمَّ زَحَفَ إلى بَغْدَادَ آخِرَ خَمْسٍ وَتِسْعِين[م]، فَأَجْفَلَ عَنْها مَلِكُها[ن] أَحْمَدُ بنُ أُوَيْس ابنِ الشَّيْخِ حَسَنٍ المُتَغَلِّبُ عَلَيْها بَعْدَ بَني هُولاوُو[س]، فَلَحِقَ أَحْمَدُ بِالشَّامِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِين.

وَاسْتَوْلَى تَمُرْ عَلَى بَغْدَادَ وَالجَزِيرَة وَدِيَارِ بَكْر إلى الفُرَاتِ، وَاسْتَعَدَّ مَلِكُ مِصْرَ لِلِقَائِه، وَنَزَلَ الفُرَاتَ[ع]، [وَنَزَلَ تَمُرْ بِالرُّهَا، وَبَلَغَه زَحْفُ طَقْطُمُش في جُمُوعِ

(أ) في س، في هذا الموضع والمواضع التالية: شاه. (ب) في س: ونجا شاه ولي في فَلِّه إلى توريز. (ج) من س.
(د) في س: إلى أن زحف إليهم تيمور. (هـ) في س: عليها وملكها تيمور. (و) سقط من س. (ز) إلى أن غلبه: سقط من س. (ح) من س. (ط) في ظ: وغلب طقطمش على ما بيده من البلاد. (ي) في س: ثم سار. (ك) في س: فملكها من أيديهم. (ل)، (م) سقط من س. (ن) س: هولاكو. (س) في س: وجمع ولحق بالفرات.

---

(1) قَدِم الخبر من ماردين باستيلاء تيمور لنك على مدينة تبريز في صفر 788 هـ. السلوك 3: 542.

المُغلِ، ووُصُولُهُ إلى الأبـوَابِ][ا] فأَحجَمَ عَنه[ب] وتَأَخَّرَ إلى قِلَاعِ الأَكْرَادِ وأَطرَافِ بِلادِ الرُّومِ، وأَنَاخَ عَلَى قَرَابَاغ، مَا بَيْنَ أَذرَبِيجَانَ والأَبْوَابِ، وَرَجَعَ •خِلالَ ذَلِكَ•[ج] طَقْطُمُش صَاحِبُ التَّخْتِ إلى [صَرَاي][د] وَمُلْكِه[ه]، فَسَارَ[و] إِلَيْه تَمُرْ أَوَّلَ سَنَةِ[ز] سَبْعٍ وتِسْعِينَ وَغَلَبَه عَلَى مُلْكِه، وَأَخرَجَه عَنْ سَائِرِ ممالكِه[ح]، ثُمَّ وَصَلَ الخبرُ آخرَ السَّنةِ بظَفرِه بطَقْطَمُش وقتْلِه اياهُ واستيلائهِ على جميعِ أعمالِه، والحالُ على ذلك لهذا العَهْد، والحالةُ هذه، واللهُ وارثُ الأرضِ ومَن عليها. وفي خبرِ العَجم أنّ ظهورَه كان سنةَ عَذَاب، يَعْنُونَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسبعِينَ وسبعِ مائة بحسابِ الجُمّلِ في حروفِ هذه اللفظة. [ط]انتهى مَا نَقَلْتُه مِنْ أَخْبَارِه عَنِ الشَّيْخِ بُرْهَانِ الدِّينِ الخَوَارِزْمِيِّ، وَعَمَّنْ لَقِيتُه مِنْ ثِقَاتِ تِلْكَ الأَعْمَالِ.

ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى تَقْيِيدٍ مِنْ إِمْلاءِ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ بنِ كَثِيرٍ، الذِي كَانَ أَبُوه مُؤَرِّخَ دِمَشْق، قَالَ: كَانَ مَبْدَأُ أَمْرِه أَنَّه أَغَارَ لَيْلَةً، فِي شَبَابٍ مِنَ المُغلِ، عَلَى بَعْضِ أَعْدَائِهم، فَظَفِرُوا وَغَنِمُوا، وَأَصَابَه سَهْمٌ فِي رُكْبَتِه اليُمْنَى فَتَعَطَّلَتْ حَرَكَتُها، ثُمَّ كَبِرَ سِنُّه وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُه، وَكَانَ عَلَى بَنِي جَقْطَاي يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ اسْمُهُ حَبَق، فَأَدْرَكَتْه الغَيْرَةُ مِنه وَهَمَّ بِالقَبْضِ عَلَيْه، فَنَافَرَه وَجَمَعَ لَه فَغَلَبَه، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي آمَادٍ طَوِيلَة، ثُمَّ قَصَدَ هَرَاةَ وَبِها غِيَاثُ الدِّين بنُ حُسَيْنِ بن قِيَاس، الذين[ي] مِنْ أَعْقَابِ مُلُوكِ الغُورِيَّة، وَكَانُوا أَهْلُهَا قَدْ أَدَارُوا مِنْ وَرَاءِ بَسَاتِينِها سُوراً آخَر يُقَاتِلُون مِنْ

(ا) من س. (ب) سقط من س. (ج) سقط ما بين النجمين من س. (د) في ظ: خراتي، والأخيران مهملان. (ه) سقط من س. (و) ثم سار: في س. (ز) سقط من س. (ح) نهاية هذه الفقرة في س: [أعمالِه، فَلَحِق بِبُلْغَار، واستَجَارَ بأُرُوص، مِن قَبَائِلِ التُّرك، وَرَجَعَ سَائِرُ المُغلِ الذين كَانُوا مَعَه إلى تَمُور، فَأَصْبَحَتْ أُمَمُ المُغلِ وَالطَّطَرِ كُلُّهَا فِي جُمْلَتِه وَسَارُوا تَحْتَ لِوَائِه، وَاللهُ مَالِكُ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا. (ط) كذا في س، ولم نتبيّنه، ونحتمل أن تكون: قوام الدين. (ي) بداية سقط في ظ، والتكملة من س.

وَرائِه، فَلَمَّا زَحَفَ إِلَيهم تَيْمُورُ اخْتَلَّ مَصافُّهم، وَرَجَعُوا إِلى سُورِ المَدِينَةِ الأَوَّلِ، فَأَعْجَلَهم قَبْلَ أَنْ يَأْخُذُوا مَصافَّهم عِنْدَه، وَاقْتَحَمَ المَدِينَةَ عَلَيْهم، وَقَتَلَ المَلِكَ غِيَاثَ الدِّين، وَأَفْحَشَ فِي القَتْلِ وَالنَّهْبِ، وَعَادَ إِلى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.

ثُمَّ عَاوَدَ خُرَاسَانَ، وَقَصَدَ مَدِينَةَ أَبِيوَرْدَ فَمَلَكَهَا مِنْ يَدِ عَلِيِّ بِك، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالعَدْلِ، فَتَحَصَّنَ مِنه، ثُمَّ غَلَبَه، وَاقْتَحَمَ عَلَيْه الحِصْنَ وَقَتَلَه، وَسَارَ إِلى نَيْسَابُور، وَبِهَا مُؤَيَّدٌ الرَّافِضِيُّ، فَأَطَاعُوه، وَكَانَ وَالِياً عَلَيْها مِنْ قِبَلِ صَاحِبِ شِيرَازَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَدْ قَطَعَ ذِكْرَ الصَّحَابَةِ مِنْ مَنَابِرِه، فَشَرَطَ عَلَيْه تَيْمُورُ الدُّعَاءَ لِلصَّحَابَةِ، وَأَمَرَهم بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَتَوَعَّدَ عَلَى مُخَالَفَتِها، وَزَارَ مَشْهَدَ عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا وَأَظْهَرَ تَعْظِيمَه، وَأَطْلَقَ الأَمْوَالَ لِعِمَارَتِه، وَرَجَعَ إِلى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.

ثُمَّ عَاوَدَ خُرَاسَان، وَمِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِهَا يَوْمَئِذٍ الأَمِيرُ شَاه وَلِيّ بنُ شَاه عَلِيّ ابنِ هِنْدُو بن أُرُوسَ مِنْ كِبَارِ المُغْلِ، وَكَانَ لَه سَلَفٌ فِي إِمَارَةِ خُوَارِزْم، فَلَمْ يُطِقْ شَاه وَلِيّ مُدَافَعَتَهُ وَانْهَزَمَ[1] إِلى دَامَغَان.

وَكَان شَاه وَلِيّ قَدْ مَلَكَ مَازَنْدَرَان مِنْ يَدِ لُقْمَانَ بنِ طَلْغُتَمُر، وَكَان قَدْ أَقَامَ بِهَا أَمِيراً خَمْساً وَثَلاثِينَ سَنَةً، وَوَلِيَ بَعْدَه ابْنُه، وَمَلَكَهَا شَاه وَلِيّ مِنْ بَعْدِه، وَكَان شَاه وَلِيّ فِي بِدَايَتِه يَسْتَخْدِمُ قِجْمَاس مِنْ أُمَرَاءِ خُوَارِزْمَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنه إِلى قَزْغَان.

وَكَانَ بِبِلادِ التُّرْكِ، يَوْمَئِذٍ، أَمِيرٌ مُسْتَبِدٌّ مِنْ وَلَدِ جِنْكِزْ خَان اسْمُه قَزْغَان، فَقَصَدَه تَيْمُورُ[1] بَعْدَ شَاه وَلِيّ، وَفَرَّ أَمَامَه، وَتَغَلَّبَ عَلَى سَائِرِ خُرَاسَان وَمَلَكَهَا مِنْ

(ا) تلتزم نسخة س بكتابة اسمه تمور حيثما ورد، بينما التزمت ظ: تمر.

(1) بداية الورقة [212 ب] من نسخة س.

بِدِ شاه وَلِيّ، وَلَحِقَ شاه وَلِيّ بِتورِيز، / وَمَلِكُهَا يَوْمَئِذٍ أَحْمَدُ بنُ أُوَيس ابنِ الشَّيْخِ حَسَن، صَاحِبُ العِرَاقِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُه، فَلَمَّا قَدِم عَلَيه شَاه وَلِيّ بَالَغَ في إِكْرَامِه، وَأَرْكَبَ أَهْلَ الدَّوْلَةِ لِتَلَقِّيه، وَلَمَّا مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْه، قُرِّبَ إِلَى التَّخْتِ، وَأُمِرَ بِتَقْبِيلِ الأَرْضِ تِسْعاً، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَشُيِّعَ بِالتَّشْرِيفَاتِ الرَّائِقَةِ وَالمَرَاكِبِ الثَّمِيلَةِ وَأَكْيَاسِ الدَّنَانِيرِ الوَافِرَةِ.

وَقَصَدَ تَيْمُورُ بِلادَ الرَّيِّ وَالسُّلْطَانِيَّةِ[1]، فَبَالَغَ السُّلْطَانُ أَحْمَدُ في كَرَامَتِه، وَأَطْلَقَ لِقَوْمِه المِيرَةَ في سَائِرِ أَوْطَانِه رَغْياً، بِزَعْمِه، لأَذِمَّةِ القَوْمِ وَسُلْطَانِهِم سَاطِلْمُش، صَاحِبِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، مِنْ أَعْقَابِ جَقْطَاي.

ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بنِ أُوَيس كَبِيرُ أُمَرَائِه، وَهُو صَارُو عَادِل، مِنْ أَكَابِرِ المُغْلِ، وَلَحِقَ بِتَيْمُورَ عَلَى الرَّيِ، فَتَلَقَّاه بِالكَرَامَةِ، وَعَاهَدَه عَلَى الأَمَانِ لَهُ وَلِقَوْمِه، وَبَعَثَ مَعَه العَسَاكِرَ إِلَى تَبْرِيز، فَمَلَكَهَا مُدَّةً، ثُمَّ قَصَدَه السُّلْطَانُ أَحْمَدُ في العَسَاكِرِ مِنْ بَغْدَادَ، فَفَرَّ عَادِلٌ وَلَحِقَ بِالمَلِكِ تَيْمُورَ عَلَى هَمَذَانَ، فَسَارَ مَعَه في عَسَاكِرِه، فَمَلَكَ تَبْرِيزَ، وَسَارَ في اتِّبَاعِ أَحْمَدَ فَفَاتَه بَعْدَ مُحَارَبَاتٍ وَقَعَتْ بَيْنَ عَسَاكِرِهِما، وَنَجَا أَحْمَدُ عَلَى دَرْبِ إِرْبِلَ إِلَى بَغْدَادَ، وَهَلَكَ شَاه وَلِيّ بنُ هِنْدُو صاحبُ خُرَاسَانَ في بَعْضِ تِلْكَ الحُرُوبِ، وَخَلَّفَ وَلَدَيْنِ: مُظَفَّرَ وَلِيّ، وَوَلِيَّ وَلِيّ، وَلَحِقَ مُظَفَّرٌ مِنْهما بِمِصْرَ، وَنَزَلَ عَلَى المَلِكِ الظَّاهِرِ وَأَكْرَمَه بِما يَلِيقُ بِه.

وَرَجَعَ المَلِكُ تَيْمُورُ فَخَيَّمَ عَلَى تَورِيز، وَتَقَبَّضَ عَلَى الأَمِيرِ عَادِلٍ وَقَتَلَه، ثُمَّ

(1) من مدن إقليم الجبال، أسسها المغول وصارت قاعدة للدولة الإيلخانية. بلدان الخلافة الشرقية 257.

اسْتَبَاحَ تَبْرِيزَ وَاسْتَوْعَبَهَا نَهْباً وَمُصَادَرَةً حَتَّى أَبَادَهَا، وَمَكَثَ بَقِيَّةَ سَنَتِهِ بِبِلادِ أُوجَان وَكُرْجِسْتَان، وَجَالَ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي وَدَوَّخَ بِلادَ أَرْمِينِيَّةَ وَانْتَهَى إِلَى صَحْرَاءِ مُوش، وَعَاثَ فِي أَحْيَاءِ التُّرْكُمَان، وَأَمِيرُهم قَرَا مُحَمَّد، ثُمَّ رَجَعَ بِعَسَاكِرِهِ، وَانْتَهَى إِلَى أَصْبَهَان، فَتَمَرَّسَ بِهَا، وَأَعْظَمَ القَتْلَ وَالنَّهْبَ فِيهَا، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَعْمَالِهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى مَدِينَةِ شِيرَاز، فَمَلَكَهَا، وَلَحِقَ سُلْطَانُهَا زِينُ العَابِدِين بنُ شُجَاع بن مُظَفَّر اليَزْدِيُّ بِابنِ عَمِّهِ شَاه مَنْصُور صَاحِبِ تُسْتَر، فَغَدَرَ بِهِ وَكَحَلَهُ وَاعْتَقَلَهُ بِبَعْضِ قِلاعِهِ.

ثُمَّ بَلَغَ الخَبَرُ إِلَى الأَمِيرِ تِيمُورَ وَهُوَ بِشِيرَازَ أَنَّ السُّلْطَانَ تَقْطُمُش، صَاحِبَ التَّخْتِ بِصَرَاي، قَدْ قَصَدَ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ مِنْ أَعْمَالِهِ، فَسَارَ إِلَى أَعْمَالِهِ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَخَالَفَهُ شَاه مَنْصُورٌ إِلَى شِيرَازَ فَمَلَكَهَا، وَاسْتَوْلَى عَلَى كُرْسِيِّهَا وَأَعْمَالِهَا.

وَقَصَدَ تِيمُورُ مَدِينَةَ خُوَارِزْم، وَكَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ تَقْطُمُش، فَاقْتَحَمَهَا وَخَرَّبَهَا وَأَبَادَهَا، وَحَمَلَ مَنْ بَقِيَ فِيهَا مِنَ الفُضَلاءِ فِي رِكَابِهِ، ثُمَّ جَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَعَزَمَ عَلَى قَصْدِ السُّلْطَانِ تَقْطُمُش، وَسَارَ إِلَيْهِ فِي القَفْرِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرْحَلَةٍ مُتَوَارِياً عَنِ الجَادَّةِ، أَنْ يَجْفُلَ تَقْطُمُش فَيَلْحَقَ بِمَنْجَاتِهِ، حَتَّى تَرَاءَتْ عَسَاكِرُهُما فَاصْطَدَمَا وَانْهَزَمَ تَقْطُمُش وَلَحِقَ عَسَاكِرَهُ الوَهْنُ بِمَا لاقَوهُ فِي سَفَرِهِم مِنَ المَتَاعِبِ، وَكَانَ قَدْ نَزَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ أُمَرَاءِ تَقْطُمُش وَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ نَدِمَ، فَدَاهَنَهُ الأَمِيرُ تِيمُورُ بِأَنِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى بِلادِ صَاحِبِهِ تَقْطُمُش.

وَرَجَعَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، فَاسْتَجَمَّ بِهَا مُدَّةً، ثُمَّ عَبَرَ النَّهْرَ إِلَى خُرَاسَانَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِين، وَوَصَلَ بِلادَ آمُل[1] وَمَازَنْدَرَان، وَهِيَ أَرْضٌ

(1) آمُل: أكبر مدينة بطبرستان السهل، معجم البلدان 1: 57.

صَعْبَة كَثِيرَةُ الغِيَاضِ وَالأَشْجَارِ، وَكَانَ مَلِكَهَا السَّيِّدُ قَوَامُ الدِّين، وَكَانَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَه وَبَيْنَ الأَمِيرِ تِيمُور مُتَّصِلَةً، وَوَرِثَهَا بَنُوه مِنْ بَعْدِه، فَاسْتَعْصَوْا عَلَيْه، فَجَهَّزَ[1] عَسَاكِرَه في البَرِّ، وَشَحَنَ الأَسَاطِيلَ بِالمُقَاتِلَة وَالأَزْوَادِ في بَحْرِ طَبَرِسْتَان، وَهُو بَحْرُ [الخَزَر][2]، حَتَّى خَيَّمَ بِسَاحَتِهِم، وَانْطَلَقَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ في قَطْعِ الشَّعْرَاءِ التي كَانَتْ سِيَاجاً عَلَيْهِم، وَأَفْضَتْ العَسَاكِرُ إلى حُصُونِهَا،/ [3] فَاقْتَحَمُوهَا وَاسْتَبَاحُوهَا قَتْلاً وَنَهْباً وَأَسْراً، يُقَالُ: إنَّه قَتَلَ فِيهَا مَا يُنَاهِزُ خَمْسَ مِائَةٍ مِنْ مُلُوكِهَا الشُّرَفَاءِ وَأَهْلِ أَنْسَابِهِم.

ثُمَّ سَارَ عَلَى دَرْبِ الرَّيِّ، وَكَاتَبَ مُلُوكَ كِيلَانَ فَدَانُوا بِطَاعَتِه، وَخَطَبُوا عَلَى مَنَابِرِهِم بِذِكْرِه، وَحَمَلُوا لَه أَمْوَالاً كَثِيرَةً، فَأَقَرَّهُم في بِلادِهِم وَلَم يَهِجْهُم.

ثُمَّ سَارَ عَلَى هَمَذَانَ إلى تُسْتَر، وَهِي في وِلايَةِ شَاه مَنْصُور اليَزْدِي، فَهَرَبَ عُمَّالُه عَنْهَا، وَمَلَكَهَا.

ثُمَّ سَارَ إلى مَدِينَةِ شِيرَاز، وَبِهَا شَاه مَنْصُور اليَزْدِي، وَقَدْ فَرَّقَ عَسَاكِرَه في أَعْمَالِه، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالأَمِيرِ تِيمُورَ، عَلَى فَرْسَخٍ مِنْ شِيرَاز، خَرَجَ إِلَيْه فِيمَنْ حَضَرَه، بَعْدَ أَنْ خَيَّرَهُم، فَفَارَقَه أَكْثَرُهُم، وَلَمَّا خَفَّ جَمْعُهُ اسْتَقْتَلَ وَصَمَّمَ لِلِقَاءِ الأَمِيرِ تِيمُورَ، وَقَصَدَ مَوْقِفَهُ حَتَّى ضَرَبَه بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً تَتَرَّسَ لَهَا أَهْلُ مَوْقِفِه، وَمَرَقَ مِنْ بَيْنِهِم، ثُمَّ حَمَلَ أُخْرَى في الفَلِّ الذِينَ مَعَه، فَنَضَحُوهم بِالنِّبَالِ حَتَّى سَقَطَ شَاه مَنْصُورٌ عَنْ فَرَسِه وَقُتِلَ، وَبَعَثَ بِرَأْسِه إلى أَبِيه بِالسُّلْطَانِيَّة، فَبَعَثَه إلى السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بنِ أُوَيْس

---

(1) في الأصول: فجهزه.

(2) في الأصول: القلزم، والتصويب من معجم البلدان، تنظر مادة بحر الخزر 1: 342.

(3) بداية الورقة [213 أ] من نسخة س.

بغداد، واستلحم الأمير تيمور أهل بيت بني اليزدي حتى أباذهم، ولم يبق منهم إلا زين العابدين المكحول وابن عم له منهم يسمى المعتصم عند خاله أحمد بن أويس ببغداد.

وكاتب الأمير تيمور أحمد بن أويس صاحب بغداد يخبره بهذه الوقائع والفتوحات، ويشير بإنفاذ بعض أهل دولته ليحكم معه العهد، فبعث إليه السلطان أحمد الشيخ نور الدين عبد الرحمن الخراساني في جماعة من أهل دولته، معهم هدية إليه من خيول رائعة وتحف منتقاة، فلحقوه على السلطانية، وعاملهم بالقبول والكرامة، وردهم إلى مرسليهم، فرجعوا على درنبند خسرو شاه، ثم ركب في أعقابهم متحرفا عن طريقهم، وأغذ السير إلى بغداد، فوصلها لست من مسيره، يوم الجمعة تاسع عشر شوال خمس وتسعين، وخيم بساحة دجلة، وأجفل السلطان أحمد ليلتئذ إلى الحلة، وباكر الأمير تيمور دجلة، وقد هدمت جسورها ومعابرها، فخاضوا النهر على الخيول والزقاق المنفوخة، وتفرقت العساكر [تتبع][1] أحمد، فأدركوه أثناء طريقه، وقاتلهم إلى أن دخل الحلة، ثم لحق بمشهد الحسين، وسار عنه إلى أن أدركوه فواقفهم مليا، وقتل من عسكر الأمير تيمور جماعة، فرجعوا عنه[2].

وسار السلطان أحمد إلى قلعة هيت، ثم توجه إلى الرحبة، ثغر الدولة التركية، ورجع تيمور إلى بغداد، والحاج مخيمون بظاهرها لسفر مكة، فانطلقت أيدي عساكره في نهبهم، وشرع في مصادرة أهل بغداد، فاستخلص منهم أموالا،

---

(1) إضافة تتفق مع السياق.

(2) عجائب المقدور 69، السلوك 3: 788 – 789، وينظر ما سبق ص 629.

وَمَاتَ أَكْثَرُهم تَحْتَ العُقُوبَةِ، وَأَخَذَ مِنْ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ نَحْواً مِنْ سَبْعِينَ أَلْف تُومَان ـ قَالَ ابنُ كَثِيرٍ[1]: وتُقَارِبُ أَرْبَعَ مِائَة أَلْفِ دِرْهم نُقْرَة، لأَنَّ التُّومَانَ عَشَرَةُ آلافِ دِينَار رَابِح بَغْدَادِيَّة، وَهِيَ سِتَّةُ آلافِ دِرْهم نُقْرَة ـ وَاسْتَصْفَى خَزَائِنَ السُّلْطَانِ أَحْمَد، وَكَان فِيها مِنَ الأَقْمِشَةِ الفَاخِرَة: الإِسْكَنْدَرَانِيَّة وَالبَرْدِيَّة، وَعَمَلِ الكَارْخَانَاةِ بِبَغْدَادَ، وَأَثْوَابِ الجُوخِ الرَّفِيعِ، نَحْوٌ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ جِمْلاً، وَمِنَ الجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ نَحْوُ جِمْل.

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ عَنْ شَيْخِه: حَكَى لِي الخَوَاجَا زِينُ الدِّين عَلِيُّ بنُ صُفَار، عَنِ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ، أَنَّ الَّذِي كَانَ فِي خِزَانَتِه اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مِثْقَالٍ وَخَمْسُ مِائَة مِثْقَالٍ مِنَ اللُّؤْلُؤِ، وَالحَبَّةُ مِنْها خَمْسَةُ(ا) قَرَارِيط، قَالَ ابنُ صُفَار: وَأَنَا بِعْتُ الحَبَّةَ مِنْ مِثْلِها بِثَلَاثِ مِائَة دِرْهَم. انْتَهى كَلَامُ ابنِ كَثِيرٍ.

/ [2] ثُمَّ لَحِقَ السُّلْطَانُ أَحْمَدُ بِالظَّاهِرِ، صَاحِبِ [مِصْرَ][3] صَرِيخاً، فَتَقَبَّلَه وَأَجَابَه، وَخَرَجَ مَعَه فِي العَسَاكِرِ، وَانْتَهى إِلى الفُرَاتِ.

وَقَدْ سَارَ تِيمُورُ عَنْ بَغْدَادَ إِلى مَارِدِين فَحَاصَرَهَا، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْه قَلْعَتُها، فَعَاجَ مِنْ هُنَالِكَ إِلى حُصُونِ الأَكْرَادِ وَالأَرْمَنِ[4].

(ا) في س: خمس.

---

(1) هكذا في الأصول، وقد توفي المؤرخ ابن كثير سنة 774 هـ، والمقصود هنا ما سبق أن أشار إليه ابن خلدون من أنه وقف على تقييد من إملاء محمد بن إسماعيل بن كثير، الذي كان أبوه مؤرخ دمشق، ثم نقل عنه. ينظر ما سبق ص697.

(2) بداية الورقة [213 ب] من نسخة س.

(3) إضافة تتفق مع السياق، ينظر ما يلي.

(4) عجائب المقدور 70 - 71.

وَبعثَ الظَّاهِرُ بَرْقُوقٌ، صَاحِبُ مِصْرَ، العَسَاكِرَ مَدَداً لابنِ أُوَيْس، فَسَارَ بِهَا إلى بَغْدَاد، فَفَرَّ مَنْ كَانَ بَقِيَ بِها مِنْ عَسْكَرِ تَمُرْ، وَمَلَكَهَا السُّلْطَانُ أَحْمَدُ، وَرَجَعَ الظَّاهِرُ إلى مِصْرَ، وَقَدْ أَظَلَّ الشِّتَاءُ، وَرَجَعَ الأَميرُ تَيْمُورُ إلى نَوَاحِي أَعْمَالِه، وَأَقَامَ في عَمَلِ قَرَابَاغ، مَا بَيْنَ أَذْرَبِيجَانَ وَهَمَذَانَ وَالأَبْوَابِ.

ثُمَّ زَحَفَ إلى الشَّامِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِين، وَبَلَغَ الرُّهَا، وَخَرَجَ الظَّاهِرُ بَرْقُوقٌ مِنْ مِصْرَ، وَجَمَعَ العَرَبَ وَالتُّرْكُمَان، وَأَنَاخَ عَلَى الفُرَاتِ، وَصَرَخَ بِتَقْطَمُش مِنْ كُرْسِيِّه بِصَرَاي، فَحَشَدَ وَوَصَلَ إلى الأَبْوَابِ، فَرَجَعَ الأَميرُ تَيْمُورُ مِنَ الرُّهَا، ثُمَّ سَارَ بَعْدَ ذَلِكَ إلى مُحَارَبَةِ تَقْطَمُش، وَاتَّصَلَتْ حُرُوبُه مَعَه سِجَالاً، ثُمَّ هَزَمَهُ آخِراً وَاسْتَوْلَى عَلَى أَعْمَالِه كُلِّها، وَرَجَعَتْ عَنْه قَبَائِلُ المُغْلِ إلى الأَميرِ تَيْمُورَ، وَأَصْفَقُوا عَلَى اتِّبَاعِ رَايَتِه، وَذَهَبَ تَقْطَمُش في نَاحِيَةِ الشَّمَالِ، وَرَاءَ بُلْغَار، مُتَذَمِّماً بِقَبَائِلِ التُّرْكِ هُنَالِكَ، حَتَّى نَزَلَ عَلَى أُرُوس مِنْهم، فَأَقَامَ عِنْدَهم غَرِيباً شَرِيداً. وَاسْتَتْبَعَ السُّلْطَانُ تَيْمُورُ عَصَائِبَ التُّرْكِ تَحْتَ رَايَاتِه. وَاللهُ مَالِكُ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْها.

ثُمَّ بَلَغَنَا آخِرَ المِائَةِ الثَّامِنَةِ أَنَّ مُلُوكَ الهِنْدِ اخْتَلَفُوا وَاضْطَرَبُوا في مُلْكِهِم، وَاسْتَصْرَخَ خَارِجٌ مِنْهم بِالأَميرِ تَيْمُورَ، فَسَارَ في عَسَاكِرِه إلَيْهِم، وَقَطَعُوا المَفَازَةَ الكُبْرَى بَيْنَه وَبَيْنَ أَرْضِ الهِنْدِ حَتَّى احْتَلَّ بِسَاحَةِ دِلِّي، فَفَرَّ صَاحِبُها إلى كِنْبَايَة، مَرْفَإِ بِلادِ الهِنْدِ عَلَى البَحْرِ الجَنُوبِي، وَهِيَ عَلَى أَرْبَعِين مَرْحَلَةً مِنْ دِلِّي في جِهَةِ الغَرْبِ، وَدَخَلَ تَيْمُورُ إلى دِلِّي، وَعَاثَتْ عَسَاكِرُه في نَوَاحِيها، وَفَعَلُوا فِيها مِنَ العَيْثِ وَالنَّهْبِ وَالمُصَادَرَاتِ مَا فَعَلُوه في غَيْرِهَا مِنْ قَبْل، وَاسْتَوْلَى عَلَى الفُيُولِ الَّتي كَانَتْ في مَرَابِطِ

سُلْطَانِها، وَبَلَغَه الخَبَرُ هُنَالِكَ بِمَهْلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقٍ[1]، صَاحِبِ مِصْرَ، فَكَرَّ إلى البِلادِ بَعْدَ طُولِ سَفَرِه في بِلادِ الهِنْدِ[2].

ثُمَّ بلغَنَا الخَبَرُ أوَّلَ سَنَةِ ثَلاثٍ مِنَ المائة [التَّاسِعَة][3] أنَّه مَرَّ بِأرْزَنْكَان في عَسَاكِرِه قَاصِداً بِلادَ الرُّومِ، وَكَان ابنُ السُّلْطَانِ أبِي يَزِيدَ مَلِكِ التُّرْكمَانِ مُقِيماً بِسِيوَاس، كُرْسِيِّ المُلْكِ، فَأجْفَلَ عَنْها، وَلَحِقَ بِأبِيه وَهُو في كُرْسِيِّه بِبُرْصَا، وَأجَازُوا جَمِيعًا الخَلِيجَ إلى بِلادِ الفِرنْجِ، وَنَزَلَ الأمِيرُ تِيمُورُ عَلَى سِيوَاس، وَيَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ لَهَا مَنْعَةً، فَحَاصَرَهَا أيَّامًا حَتَّى أزَالَ مَنْعَتَهَا، وَخَرَّبَ أسْوَارَهَا، وطَمَّ خَنْدَقَهَا، وَعَاثَ في نَوَاحِيهَا، وَاسْتَلْحَمَ أهْلَهَا في عَاشُورَاءَ سَنَةَ ثَلاثٍ.

ثُمَّ كَرَّ رَاجِعاً، وَقَصَدَ بِلادَ الشَّامِ، وَأجَازَ إلَيْه الدَّرْبَنْدَاتِ، وَنَازَلَ قَلْعَةَ الرُّومِ فَامْتَنَعَتْ عَلَيْه، فَاسْتَصْغَرَ شَأنَها وَتَجَاوَزَهَا إلى حَلَب، وَقَدْ جَمَعَ الأمِيرُ سُودُون، صَاحِبُ الشَّامِ، العَسَاكِرَ وَسَارَ لِلِقَائِه، فَنَزَلَ بِسَاحَتِها، فَعَبَّأ الأمِيرُ تِيمُورُ عَسَاكِرَه وَزَحَفَ لِلِقَائِهِم، فَتَجَاوَلُوا ثَلاثًا، ثُمَّ انفَضَّتْ عَسَاكِرُ الشَّامِ في الرَّابِعَةِ، وَدَخَلُوا المَدِينَةَ عَاشِرَ رَبِيعٍ الأوَّلِ مِنَ السَّنَةِ، وَصَعِدَ الأمَرَاءُ إلى القَلْعَةِ، وَكُسِرَتْ أبْوَابُ البَلَدِ، فَاقْتَحَمَهَا المُغُلُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَلاذَ الحُرَمُ وَالأصَاغِرُ بِالمَسَاجِدِ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهم[4]، وَعُرِضَ الأمَانُ عَلَى مَنْ كَان بِالقَلْعَةِ مِنَ الأمَرَاءِ، فَنَزَلُوا وَاعْتُقِلُوا، وَانْطَلَقَتْ

---

(1) عجائب المقدور 107.

(2) ينظر عجائب المقدور 101 - .

(3) في الأصول: الثامنة، والتصويب يتفق مع السياق، وينظر التعريف بابن خلدون 379، وينظر ما يلي ص 708.

(4) ينظر التعريف بابن خلدون 379.

أَيْدِي النَّهْبِ فِي الْبُيُوتِ فَأَقْفَرَتْ، وَنُزِعَتِ الْحُرْمَةُ عَنِ الْمَسَاجِدِ وَاسْتُبِيحَتْ، وَانْتَظَمَتْ مَقَاوِدُ الأَسْرَى مِنَ الْوِلْدَانِ وَالْمَقَاتِلِ وَتَعَدَّدَتْ، وَكَثُرَ الْعَيْثُ وَالْخَرَابُ فِي نَوَاحِي الْبَلَدِ، وَصُودِرَ الْقُضَاةُ وَالأَمْلِيَاءُ، وَكَانَ هُنَالِكَ دَاوَادَارٌ يُسَمَّى سُنْبُغَا، وَكَانَ نُصِّبَ حَاجِبًا بِمِصْرَ بَعْدَ وَفَاةِ / [1] السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ وَبُعِثَ إِلَى الشَّامِ لِيَسْتَنْفِرَ النَّاسَ وَيَسْتَطْلِعَ الأَخْبَارَ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ الأُمَرَاءِ، وَلَمَّا عُرِضُوا عَلَى الأَمِيرِ تَيْمُورَ وَعَرَفَ مَكَانَهُ أَطْلَقَهُ إِلَى مِصْرَ لِيُعَرِّفَهُمْ خَبَرَ الْوَاقِعَةِ، وَوَاعَدَهُمُ اللِّقَاءَ بِدِمَشْقَ.

وَكَانَ الظَّاهِرُ بَرْقُوقٌ عِنْدَمَا قَضَى نَحْبَهُ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِ مِائَةٍ عَهِدَ إِلَى ابْنِهِ أَبِي السَّعَادَاتِ فَرَج[2]، فَنَصَّبُوهُ مَكَانَهُ فِي كَفَالَةِ الأَمِيرِ أَيْتَمُش بِوَصِيَّةِ أَبِيهِ، وَكَانَ عَلَى الشَّامِ مَوْلَاهُ تَنَم، فَنَازَعَهُمْ فِي رِيَاسَةِ الْمُلْكِ، وَطَلَبَ لِنَفْسِهِ، وَغَصَّ مَوَالِي السُّلْطَانِ بِمِصْرَ بِرِيَاسَةِ أَيْتَمُش عَلَيْهِمْ، فَنَبَذُوا إِلَيْهِ الْعَهْدَ، وَأَطْلَقُوا السُّلْطَانَ مِنْ حَجْرِهِ وَكَفَالَتِهِ، فَقَاتَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِيمَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ انْفَضُّوا آخِرَ يَوْمِهِمْ، وَلَحِقُوا بِالشَّامِ وَأَغْرَوُا الأَمِيرَ تَنَمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى مِصْرَ، لِكَفَالَةِ السُّلْطَانِ وَالظَّفَرِ بِمَا رَامَهُ مِنْ رِيَاسَةِ الْمُلْكِ، فَجَمَعَ وَاحْتَشَدَ، وَارْتَحَلَ مِنْ دِمَشْقَ عَلَى التَّعْبِئَةِ، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ مِنْ مِصْرَ فِي مَوَالِيهِ وَأُمَرَائِهِ[3] حَتَّى نَزَلَ غَزَّةَ، وَرَاسَلَهُمْ فِي الصُّلْحِ، فَاغْتَرُّوا وَاشْتَطُّوا، فَبَاكَرَهُمْ لِلْحَرْبِ أَوَائِلَ شَعْبَانَ، فَالْتَقَوْا بَيْنَ غَزَّةَ وَالرَّمْلَةِ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ، وَقُبِضَ عَلَى الأَمِيرِ تَنَم، وَعَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أُمَرَائِهِمْ فِي مَجَالِ الْحَرْبِ، وَلَحِقَ

---

(1) بداية الورقة [214 أ] من نسخة س.

(2) ينظر العقد الثمين 3: 357، المنهل الصافي 3: 326، درة الأسلاك (حوادث 801 هـ).

(3) وسافرت معهم منتصف شهر المولد الكريم من سنة ثلاث. ينظر التعريف بابن خلدون 381.

البَاقُونَ بِدِمَشْق فَحُبِسُوا، وَأغذَّ السُّلْطَانُ السَّيْرَ فَدَخَلَ دِمَشْقَ وَأقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ شَهْرِه، وَقَتَلَ أيْتَمُش وَجَمَاعَةً مَعَه مِنَ الأمَرَاءِ المَحْبُوسِين، وَوَلَّى قَرِيبَه سُودُون نِيَابَةَ دِمَشْق، وَرَجَعَ إلى مِصْرَ فَدَخَلَهَا لِثَلاثٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَان[1].

وَجَاءَ الخَبَرُ أوَّلَ ثَلاثٍ وَثَمَانِ مِائَة بِأنَّ الأمِيرَ تَيْمُور مَرَّ بِعَسَاكِرِه عَلَى أرزنْجَان قَاصِداً سِيوَاس، فَتَأهَّبَ لِلمَسِيرِ إلى الشَّام، وَتَثَاقَلَتِ الحُشُودُ عَنْ مَوَاعِدِهَا بِبَابِه، إلى أنْ جَاءَ خَبَرُ حَلَب، فَرَحَلَ السُّلْطَانُ حَتَّى نَزَلَ غَزَّةَ، وَعَرَضَ الجُنْدَ هُنَالِكَ، وَرَحَلَ مُغِذًّا، وَالأخْبَارُ تُوَافِيه فِي كُلِّ مَنْزِلٍ بِمَسِيرِ تَيْمُور وَجُمُوعِه إلى جَمَاعَةِ الشَّام، وَجَاءَ عَلَى حَمَاةَ وَخَرَّبَهَا، وَنَكَبَ عَنْ حِمْصَ إلى بَعْلَبَكَّ فَنَزَلَهَا، وَرَحَلَ عَنْهَا إلى جَبَلِ الثَّلْجِ، وَجَاءَ خَبَرٌ عَلَى ألسِنَةِ الطَّوَالِعِ بِمَوْعِدِ اللِّقَاءِ عَلَى شَقْحَب، فَوَاصَلَ السُّلْطَانُ السَّيْرَ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ، وَبَاكَرَ دِمَشْقَ يَوْمَ الخَمِيسِ سَادِسَ جُمَادَى [الأولَى][2].

وَرَحَلَ تَيْمُورُ مِنَ الغَدِ، وَقَطَعَ الجَبَلَ إلى قَطَنَة[3]، وَصَارَ مَعَهم فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَنَاوَرَ الفَرِيقَانِ لَيْلَتَهم، وَأصْبَحُوا فِي تَعْبِئَةِ الحَرْبِ، فَتَجَاوَلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَرَجَعُوا، فَضَرَبَ السُّلْطَانُ خِيَامَه بِقُبَّةِ يَلْبُغَا، وَأقَامُوا كَذَلِكَ إلى عِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى [الأولَى][4]، وَالأمِيرُ تَيْمُورُ يُزَاحِمُهم بِالمَرَاحِلِ أنْ يُحِيطَ بِهِم. ثُمَّ بَدَا لَه[5] الإقْلاعُ عَنْ

(1) في السلوك 3: 1016: في عشرينه.

(2) من السلوك 3: 1040.

(3) قطنا: من قرى دمشق، معجم البلدان 4: 374.

(4) من السلوك 3: 1041.

(5) المقصود السلطان فرج بن برقوق، ينظر ما يلي.

دِمَشْقَ[1]، فانفضُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَة[2]، وتَسابَقُوا مُتَسايِلِينَ عَلَى ساحِلِ البَحْرِ إلى أن وَصَلَ غَزَّةَ، فأَرَاحُوا أَوْيَامًا، ثُمَّ ارْتَحَلُوا وَدَخَلُوا مِصْرَ آخِرَ جُمَادَى [الآخِرَة][3].

وَاتَّبَعَتْهم عَسَاكِرُ تِيمُورَ لَيْلَةَ إِسْرَائِهِم مِنْ دِمَشْق، فانْتَهوا إلى شَقْحَب، وَتَخَطَّفُوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَثْقَالِ، وَرَجَعُوا وَفِي أَيْدِيهِم جَمَاعَةٌ مِنَ الأَسْرَى فِيهم قَاضِي الشَّافِعِيَّة بِمِصْرَ صَدْرُ الدِّينِ المُنَاوِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الأُمَرَاءِ وَأَكَابِرِ الخَدَم.

وَأَصْبَحَ أَهْلُ دِمَشْقَ يَعَضُّونَ نَوَاجِذَهم مِنَ الأَسَفِ، وَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِمُ الحَيْرَةُ وَالدَّهَشُ كُلَّ مَذْهَبٍ، وَامْتَنَعَ نَائِبُ القَلْعَةِ بِقَلْعَتِه، فِيمَن انْضَمَّ إِلَيْه مِن مُخَلَّفِ المَوَالِي وَالجُنْدِ، وَبَعَثَ أَهْلُ البَلَدِ الفَقِيهَ بُرْهَانَ الدِّين [إِبْرَاهِيمَ بنَ مُحَمَّدِ][4] بنِ مُفْلِح، كَبِيرَ الحَنَابِلَة، لِيَسْتَأْمِنَ لَهم الأَمِيرَ تِيمُورَ عَلَى مَا شَاءَ مِن شَرْطِه، فَمَنَعَ نَائِبُ القَلْعَةِ مِن فَتْحِ البَابِ لِذَلِكَ، وَتَدَلَّى مِنَ السُّورِ، وَجَاءَهم بِرَسُولٍ مِنَ الأَمِيرِ تِيمُور، وَقَدْ بَذَلَ لَهُمُ الأَمَانَ، وَأَمَرَهم بِحَمْلِ الضِّيَافَةِ إلى المَلِكِ، وَخَرَجَ إِلَيْه القُضَاةُ الَّذِين كَانُوا هُنَالِكَ مُتَدَلِّينَ / [5] مِنَ السُّورِ، فَلَقَّاهُم مَبَرَّةً وَتَكْرِيماً، وَبَذَلَ لَهم مَا سَأَلُوهُ مِنَ الأَمَانِ، عَلَى أَن يُخَلُّوا بَيْنَه وَبَيْنَ القَلْعَةِ، فَأَطَاعُوا لِذَلِك رَغْماً، وَحَضَرُوا عِنْدَه وُصُولَ القَاضِي صَدْرِ الدِّين أَسِيراً، وَشَفَعُوا فِي الإِبْقَاءِ عَلَيْه، فَشَفَّعَهُم، وَدَخَلُوا لَيْلَتَهم إلى البَلَدِ، وَقَرَأُوا كِتَابَ الأَمَانِ عَلَى مِنْبَرِ المَسْجِدِ الجَامِعِ، وَخَرَجُوا مِنَ الغَدِ، فَخَلَعَ عَلَيْهم فِي

(1) ثم نُمي إلى السلطان وأكابر أمرائه أن بعض الأمراء المنغمسين في الفتنة يحاولون الهرب إلى مصر للثورة بها، فأجمع رأيهم للرجوع إلى مصر خشية من انتقاض الناس وراءهم. ينظر التعريف بابن خلدون 382.

(2) في السلوك 3: 1045: آخر ليلة الجمعة حادي عشرينه (جمادى الأولى).

(3) يوم الخميس خامسه (جمادى الآخرة) قدم السلطان إلى قلعة الجبل. ينظر السلوك 3: 1045.

(4) إضافة للتوضيح من السلوك 3: 1046.

(5) بداية الورقة [214 ب] من نسخة س.

وِلَايَتِهم، وَعَلَى مُبَاشِرِي الأَعْمَالِ مِنَ الأَحْكَامِ وَالجِبَايَةِ بِإِشَارَتِهم، وَطَالَبَهم بِأَمْوَالٍ يُفَرِّقُهَا فِي عَسَاكِرِه، وَبَالَغَ فِي الإِكْثَارِ مِنْ عَدَدِهَا، فَوَجَمُوا، وَمَدُّوا يَدَ الضَّرَاعَةِ، فَتَلَطَّفَ بِهم إِلَى أَنِ انْتَهَى مَعَهم إِلَى أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَم[1]، وَشَرَعُوا فِي اسْتِخْلَاصِهَا، وَشَرَعَ هُوَ فِي حِصَارِ القَلْعَةِ، وَنَصَبَ الآلَاتِ لِذَلِكَ مِنَ المَجَانِيقِ وَالعَرَّادَاتِ لِلحِجَارَةِ وَالمَدَافِعِ لِنَفْطِ النَّارِ، وَسَلَّطَ عَلَى جُدْرَانِهَا أَيْدِيَ النَّقْبِ، وَأَحَاطَ بِذَلِكَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَاهْتَمَّ أَهْلُ القَلْعَةِ بِالمُدَافَعَةِ بِمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ، وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوَ الشَّهْرِ، حَتَّى يَئِسَ أَهْلُ القَلْعَةِ مِنَ الصَّرِيخِ، وَاسْتَأْمَنُوا لَه، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِه.

وَكَانَ فِي أَثْنَاءِ الحِصَارِ مُعْتَنِياً بِجَمْعِ الأَمْوَالِ، فَأَخَذَ مِنْ مُخَلَّفِ الدَّوْلَةِ وَالعَسْكَرِ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ وَالمَلَابِسِ وَالسِّلَاحِ وَالجِيَادِ وَالظَّهْرِ وَالكُرَاعِ مَا لَا يَسَعُه الحَصْرُ، ثُمَّ طَالَبَ أَهْلَ البَلَدِ بِأَمْوَالِ الغَائِبِينَ، مُتَعَلِّلاً عَلَيْهِم بِالفِرَارِ مِنْه، وَتَنَاوَلَ بِهَا كُلَّ غَائِبٍ، فَفَتَحَ بُيُوتَ التُّجَّارِ وَمَخَازِنَهم، مِنَ المُسْلِمِينَ وَالفِرِنْجِ المُتَرَدِّدِين، فَاسْتَوْعَبَهَا، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا لَا يُقِلُّه الوَصْفُ، ثُمَّ اشْتَطَّ عَلَى أَهْلِ البَلَدِ فِي فَرِيضَةٍ يَحْمِلُونَهَا إِلَيْه، وَسَمَّى لَهم بَعْدَ المُرَاوَضَةِ عَشَرَةَ آلافِ أَلْفٍ[2] فَاسْتَوْعَبَهَا، بَعْدَ إِنْزَالِ العُقُوبَاتِ، وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ جَمْعِ ذَلِكَ، أَطْلَقَ أَيْدِيَ عَسَاكِرِه فِي انْتِهَابِ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْه، فَامْتَكُّوا[3] العِظَامَ، وَأَتْلَفُوا بِالمُصَادَرَةِ النُّفُوسَ، وَانْتَظَمُوا فِي رِبْقَةِ الأَسْرِ الأَطْفَالَ وَالنِّسَاءَ وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الفِدَاءِ[4]، وَأَجْمَعَ الرَّحِيلَ إِلَى أَرْضِه.

---

(1) في السلوك 3: 1047: دينار.

(2) في السلوك 3: 1047: ألف تومان، والتومان عبارة عن عشرة آلاف دينار من الذهب.

(3) امتك العظم: امتصّ ما فيه.

(4) ينظر السلوك 3: 1050 – 1051.

وَكَان عِنْدَمَا مَلَكَ القَلْعَةَ بَعَثَ نَقِيباً مِنهم إلى مِصْرَ بِكِتَابِه إلى السُّلْطَانِ يُعَرِّفُه بِفَتْحِهَا، وَيَطْلُبُ أَسِيراً كَانَ عِنْدَهم مِنْ قَوْمِه يُسَمَّى أَطْلَمُش، حَصَلَ في أَسْرِ السُّلْطَانِ بَرْقُوقٍ فَحَبَسَه، فَبَعَثَ إِلَيْه صَاحِبُ مِصْرَ بالجَوَابِ مَعَ بَيْسَق، مِنْ أُمَرَاءِ مَاخُورِيَّه، وَوَعَدَه بِإِرْسَالِ أَطْلَمُش بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَه مِنَ الاعْتِقَالِ وَخَلَعَ عَلَيْه وَنَظَمَه في أَهْلِ دَوْلَتِه، وَأَشَارَ إِلَيْهم في كِتَابِه بِمَكَان القَاضِي صَدْرِ الدِّين وَرُتْبَتِه في العِلْمِ وَالقَضَاءِ وَالدَّوْلَةِ، فَاغْتَبَطُوا بِحَبْسِه، وَأَوْدَعَه عِنْدَ أَمِيرٍ مِنْ كِبَارِ قَوْمِه، يُعْرَفُ شَاه مَلك، وَلَه التَّصَرُّفُ في دَوْلَتِه، وَهُوَ الَّذِي كَانَ أَقَامَه في نِيَابَةِ دِمَشْقَ لَمَّا مَلَكَهَا.

وَارْتَحَلَ[1] إلى أَرْضِه بَعْدَ أَنِ انْطَلَقَتْ أَيْدِي عَسَاكِرِه عَلَى عُمْرَانِهَا بالنَّهْبِ وَالتَّخْرِيبِ، وَإِطْلاقِ النَّارِ في جُدْرَانِهَا فَأَحْرَقَتِ السُّقُفَ، وَتَعَدَّى الحَرِيقُ إلى المَسَاجِدِ وَالمَدَارِسِ وَالخَوَانِقِ وَالزَّوَايَا والرُّبُطِ، وَجَامِعِهَا الأَعْظَم جَامِعِ بَنِي أُمَيَّة، فَسَقَطَتْ كُلُّها إلا بَقَايَا مِنَ الجُدْرَانِ مَائِلَةً لَم تَكُن مُسْتَبْطَنَة للخَشَبِ، وَخُرِّبَ سُورُ البَلَدِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَنَاوُلِه بِأَيْدِي العَيْثِ، وَأَصْبَحَتْ دِمَشْقُ أَثَراً ذَمِيمًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَيْناً رَائِقَةً.

وَسَارَ تَيْمُورُ بِعَسَاكِرِه إلى حَلَب، فَأَكْمَلُوا مَا فَاتَهم فِيهَا مِنَ العَيْثِ، وَقَطَعُوا الفُرَاتَ ـ عَلَى ثَلاثِ فِرَقٍ ـ إلى دِيَارِ بَكْر، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهم قَلْعَةُ مَارِدِين، وَخَرَّبُوا المَدِينَةَ.

(1) ثالث رجب 803 هـ. السلوك 3: 1051.

ثُمَّ أجَازُوا إلى بَغْدَادَ، وَبَلَغَنَا أنَّ أهْلَهَا أهَمُّوا بِقِتَالِ عَسَاكِرِه، فاسْتَشَاطَ وَأمَرَ بِنَهْبِهَا وَالعَيْثِ في نَوَاحِيهَا، فلَمْ يُبْقِ لَهَا بَاقِيَةً، أعْظَمَ مِنْ فَعْلَةِ دِمَشْق.

وَارْتَحَلَ إلى الاذَاغ، وَيُقَالُ: إنَّهَا جَزِيرَةُ ابنِ عُمَر، وَجَعَلَ مَصِيفَه في مُرُوجِهَا، وبَعَثَ بِمَا مَعَه مِنَ الأثْقَالِ وَالظَّهْرِ إلى كُرْسِيِّه بِسَمَرْقَنْد. هَذَا آخِرُ مَا بَلَغَنَا عَنْهُ إلى آخِرِ ثَلاثٍ وَثَمَانِ مِائة. واللهُ مُقَدِّرُ الأُمُورِ وَمُقَلِّبُ الأحْوَالِ لَا إلَهَ إلَّا هُو[1].

---

(1) نهاية الإضافة من نسخة س، ينظر ما سبق ص 697.

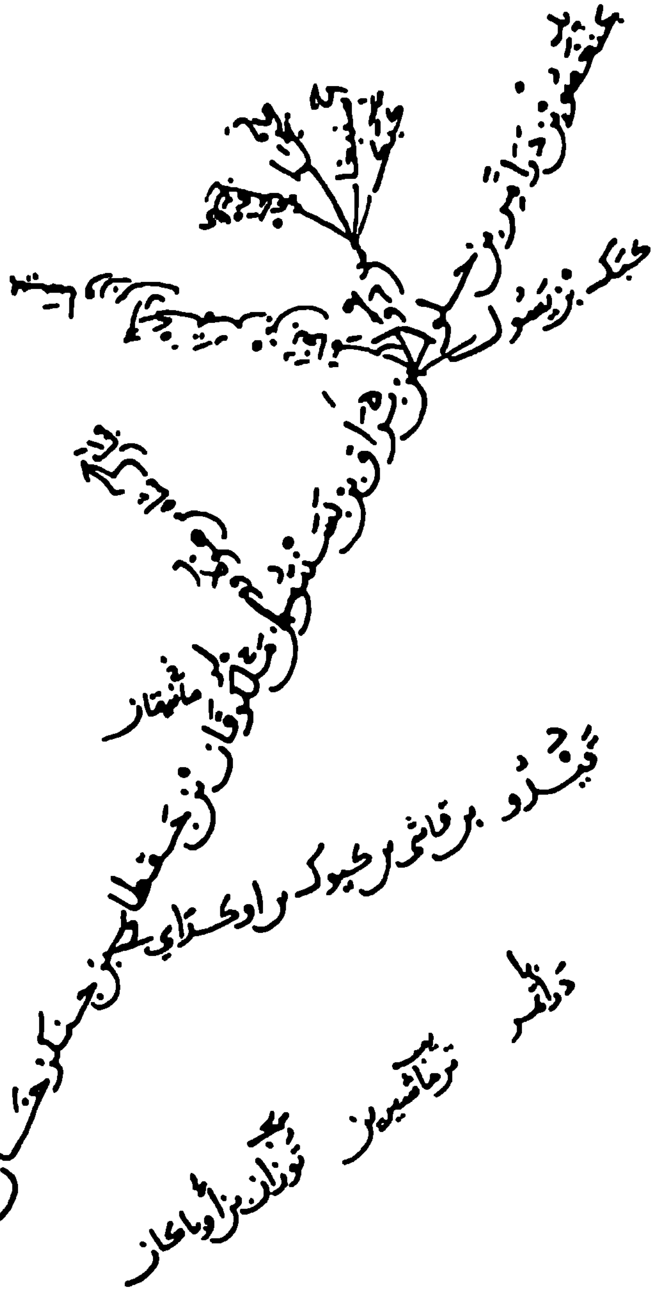

[مشجر نسب ملوك بني جغطاي بن جنكز خان بتركستان وكاشغر وما وراء النهر]

● دَوْلَةُ بَنِي دُوشِي خَان مُلُوكُ الطَّطَرِ فِي خُوَارِزْم وَدَشْتِ القَفْجَاق بِالشَّمَال، وَمَبَادِئُ أُمُورِهِم وَتَصَارِيفُ أَحْوَالِهِم

قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ جِنكِزْ خَان عَيَّنَ هَذه البِلَادَ لابنِهِ دُوشِي خَان وَمَلَّكَه عَلَيْها، وَهِيَ مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِي الشَّمَالِ آخِذَةٌ مِنْ خُوَارِزْمَ إِلى تَارْكَنْد وَجَنْد وَ[أ] صَرَاي وَمَدِينَةِ مَاجَر وَآزَاق و[سُوداق][1] وَبُلْغَار وَبَاشْقَرْد وَجُولْمَان، وفي حُدُودِ هَذه المَمْلَكَةِ مَدِينَةُ بَاكُو حَدُّ مُدُنِ شَرْوَان، وَعِنْدَهَا بَابُ الحَدِيدِ، وَتُسَمِّيه التُّرْكُ دَمُرْ قَبُو، وَتَنْتَهِي حُدُودُ هَذه المَمْلَكَةِ فِي الجَنُوبِ إِلى حُدُودِ القُسْطَنْطِينَة، وَهِيَ قَلِيلَةُ المُدُنِ كَثِيرَةُ العِمَارَةِ.

دُوشِي خَان بنُ جِنكِزْ خَان

وأَوَّلُ مَنْ وَلِيَهَا مِنَ الطَّطَرِ دُوشِي خَان بنُ جِنكِزْ خَان، فَلم يزَلْ مُمَلَّكًا[ب] عَلَيْها إلى أَنْ هَلَكَ فِي حَيَاةِ أَبِيه[2]، كَمَا مَرَّ، سَنَةَ........ [3].

(أ) حرف العطف من س.   (ب) في س: ملكا.

---

(1) في الأصول: سرداق، والتصويب من تقويم البلدان، وينظر ما سبق ص 621: 2هـ. والعامة تقول: سرادق، ينظر تقويم البلدان.

(2) ذكر النويري أن دوشى خان فتح البلاد الشمالية في عهد أخيه أوكداى، وأنه توفي سنة 641 هـ. نهاية الأرب 27: 357، وينظر زبدة الفكرة 4، وينظر ما سبق ص 639.

(3) بياض في الأصول.

بَاطُوخَان بنُ دُوشِي خَان

وَلَمَّا هَلَكَ دُوشِي خَان، وَلِيَ مَكَانَه ابْنُه بَاطُو خَان، وَيُقَالُ[1]: صَايِنْ قَان، وَمَعْنَاه: المَلِكُ الجَيِّدُ. فَلَمْ يَزَلْ مَلِكاً عَلَيْهَا إلى أنْ هَلَكَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَة[2].

صَرْطُق بنُ دُوشِي خَان

وَلَمَّا هَلَكَ بَاطُو خَان بنُ دُوشِي خَان، وَلِي مَكَانَه أَخُوه صَرْطُق، فَأَقَامَ مُمَلَّكاً سَنَتَيْنِ[3]، [ثُمَّ هَلَكَ][أ] سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِين[4].

بَرَكَةُ بنُ دُوشِي خَان

وَلَمَّا هَلَكَ صَرْطُق بن دُوشِي خَان مَلَكَ مَكَانَه أَخُوه بَرَكَةُ، هَكَذَا نَقَلَ ابنُ فَضْلِ الله عَنِ ابنِ الحَكِيم[5].

وَقَالَ المُؤَيَّدُ صَاحِبُ حَمَاةَ في تَارِيخِه: إنَّه لَمَّا هَلَكَ صَرْطُق هَلَكَ عَنْ غَيْرِ عَقِبٍ، وَكَانَ لأَخِيه بَاطُو خَان وَلَدَان، وَهُمَا: تُدَان[6] وَبَرَكَةُ، وَكَان تُدَانُ مُرَشَّحاً

(أ) من س، وفي ظ: وهلك.

---

(1) في زبدة الفكرة 7: وكان لقبه.

(2) زبدة الفكرة 7، نهاية الأرب 27: 357.

(3) في زبدة الفكرة 14: سنة وشهوراً.

(4) زبدة الفكرة 14، نهاية الأرب 27: 357.

(5) مسالك الأبصار 3: 83.

(6) في زبدة الفكرة 14: تدان منكوا.

لِلمَمْلَكَةِ، فَعَدَلَ عنه أَهْلُ الدَّوْلَةِ، وَمَلَّكُوا أَخَاه بَرَكَةَ، وَسَارَتْ أُمُّ تُدَانَ[1] إلى هُولَاوُو عِنْدَمَا مَلَكَ العِرَاقَ تَسْتَحِثُّه لِمُلْكِ قَوْمِهَا، فَرَدُّوهَا مِنَ الطَّرِيقِ وَقَتَلُوهَا[2]، وَاسْتَمَرَّ بَرَكَةُ في سُلْطَانِه. انْتَهى[3].

فَنَسَبَ المُؤَيَّدُ بَرَكَةَ إلى بَاطُو خَان[4] بن دُوشِي خَان، وَابنُ الحَكِيمِ، عَلَى مَا [نَقَلَه][أ] ابنُ فَضْلِ الله، جَعَلَه ابنَ دُوشِي خَان نَفْسَه، وَذَكَرَ المُؤَيَّدُ قِصَّةَ إِسْلَامِه][ب] / عَلَى يَدِ شَمْسِ الدِّينِ البَاخَرْزِيِّ المُرِيدِ، مِنْ أَصْحَابِ نَجْمِ الدِّينِ[ج] [428 ب] كُبْرَى، وَأَنَّ البَاخَرْزِيَّ كَانَ مُقِيماً بِبُخَارَى، وَبَعَثَ إلى بَرَكَةَ يَدْعُوهُ إلى الإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ، وَبَعَثَ إِلَيْه كِتَابَه[د] بِإِطْلَاقِ يَدِه في سَائِرِ أَعْمَالِه بِمَا شَاءَ، فَرَدَّه عَلَيْه، وَأَعْمَلَ بَرَكَةُ الرِّحْلَةَ لِلِقَائِه، فَلَمْ يَأْذَنْ لَه في الدُّخُولِ، حَتَّى تَطَارَحَ عَلَيْه أَصْحَابُه، وَسَهَّلُوا الإِذْنَ لِبَرَكَة، فَدَخَلَ وَجَدَّدَ الإِسْلَامَ، [وَعَاهَدَ][هـ] الشَّيْخَ عَلَى إِظْهَارِه، فَحَمَلَ عَلَيْه سَائِرَ قَوْمِه، وَاتَّخَذَ المَسَاجِدَ وَالمَدَارِسَ[و] في جَمِيعِ بِلَادِه، وَقَرَّبَ العُلَمَاءَ وَالفُقَهَاءَ وَوَصَلَهم[5].

وَمَسَاقُ القِصَّةِ ـ عَلَى مَا ذَكَرَه المُؤَيَّدُ ـ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِسْلَامَه كَانَ أَيَّامَ

(أ) من س، وفي ظ: نقل. (ب) إلى هنا ينتهي السقط في ظ المبتدئ في ص 654 السابقة والاستكمال من س

(ج) في س: شمس الدين. (د) سقط من س. (هـ) في ظ: وعاهده. (و) في س: المدارس والمساجد.

(1) في زبدة الفكرة 14: براق شين.

(2) في زبدة الفكرة 14: وغرقوها. وينظر نهاية الأرب 27: 358.

(3) لم يرد هذا النص في المطبوع من كتاب المختصر.

(4) ينظر نهاية الأرب 27: 358.

(5) نهاية الأرب 27: 358 - 359.

مُلكِه، وعلَى مَا ذكَرَهُ ابنُ الحكِيم كَان إسْلامُه أيَّامَ أخِيه بَاطُو، وَلَم يَذكُرِ ابنُ الحكِيم صُرطُق، وَإنَّما ذكَر بَعْدَ بَاطُو أخَاه بَرَكَة[1].

وَلَم نَقِفْ عَلَى تَارِيخٍ لِدَولَتِهم حَتَّى نَرجِعَ [إلَيْه][أ]، وَهَذا مَا أدَّاه[ب] إلَيْه الاجْتِهَاد، وَمَا بَعْدَ هَذا فَمَأخُوذٌ مِنْ تَارِيخِ المُؤيَّدِ[2] صَاحِبِ حَمَاةَ مِنْ بَنِي المُظَفَّرِ بنِ شَاهِنْشَاه بن أيُّوبَ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَرَكَةُ أيَّامَ سُلطَانِه أخَاه بَاجُو إلَى نَاحِيَةِ الغَرْبِ للجِهَادِ، وَقَاتَلَ مَلِكَ اللَّمَان مِنَ الفِرنْج، فَانْهَزَمَ وَرَجَعَ وَمَاتَ أسَفاً، ثُمَّ حَدَثَتْ الفِتْنَةُ بَيْنَ بَرَكَةَ وَبَيْنَ قُبلاي صَاحِبِ التَّخْتِ، وَانْتَزَعَ بَرَكَةُ الخَاقَانِيَّةَ مِنْ أعْمَالِ قُبلاي، وَوَلَّى عَلَيْها سَرْخَادَ ابنَ أخِيه بَاجُو، وَكَان عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّة، وَدَاخَلَه هُولاَوُو فِي الانْتِقَاضِ عَلَى عَمِّه بَرَكَةَ وَالرُّجُوعِ إلَى قُبلاي أخِيه صَاحِبِ التَّخْتِ، وَيُقْطِعُه الخَاقَانِيَّةَ وَمَا يَشَاءُ مَعَهَا، وَشَعَرَ [بَرَكَةُ][ج] بِشَأنِه، وَأنَّ سَرْخَادَ يُحَاوِلُ قَتْلَه بِالسُّمِّ، فَقَتَلَه، وَوَلَّى بِالخَاقَانِيَّةِ أخَاه مَكَانَه، [وَقَامَ][د] هُولاَوُو طَالِباً بِثَأرِ سَرْخَاد، وَوَقَعَتِ الحَرْبُ بَيْنَه وَبَيْنَ بَرَكَةَ عَلَى نَهرِ إتِل سَنَةَ سِتِّين[3]، ثُمَّ هَلَكَ هُولاَوُو سَنَةَ ثَلاثٍ وَسِتِّين، وَوَلِيَ ابنُه أبْغَا، فَسَارَ إلَى حَرْبِه، وَسَرَّحَ بَرَكَةُ لِلِقَائِه سَنْتَاي[4] بنَ بَاينِقَان بن جَقْطَاي، وَنُوغَيه بنَ طَطَر بن مُغل بن دُوشِي خَان[5]، فَلَمَّا التَقَى الجَمْعَان / أحْجَمَ [429 أ]

(أ) في ظ: عليه. (ب) في س. (ج) من س، وفي ظ: هو. (د) من س، وفي ظ: وأقام.

(1) ينظر صبح الأعشى 4: 472 – 473، ويقارن بما سبق ص 642- .

(2) لم يرد النص التالى في المطبوع من كتاب المختصر.

(3) ينظر نهاية الأرب 27: 359.

(4) في نهاية الأرب 27: 361: بستاى.

(5) في نهاية الأرب 27: 361: جهز (بركة) جيشاً وقدم عليه يسوا نوغا بن ططر بن مغل، فصار في المقدمة، ثم أردفه بمقدم آخر اسمه بستاى.

سَنْتَاي وَرَجَعَ مُنْهَزِماً[1]، وَانْهَزَمَ أَبْغَا أَمَامَ نُوغَيه، وَأَثْخَنَ فِي عَسَاكِرِه، وَعَظُمَتْ مَنْزِلَةُ نُوغَيه بِذَلِكَ عِنْدَ [بَرَكَة][2]، وَسَخِطَ بَرَكَةُ سَنْتَاي وَسَاءَتْ مَنْزِلَتُه عِنْدَه إِلَى أَنْ هَلَكَ بَرَكَةُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّين[3].

مَنكُوتَمُر بنُ طُغَان بنِ بَاطُوخَان

وَلَمَّا هَلَكَ بَرَكَةُ، مَلَكَ الدَّشْتَ بِالشَّمَالِ مَكَانَه مَنْكُوتَمُر بنُ طُغَان ابنِ أَخِيه[4] بَاطُو خَان بن دُوشِي خَان[5]، وَطَالَتْ أَيَّامُه. [وَ][أ] زَحَفَ سَنَةَ سَبْعِينَ[6] إِلَى القُسْطَنْطِينَة لِمَوْجِدَةٍ وَجَدَهَا عَلَى الأَشْكَرِي مَلِكِهَا، فَاتَّقَاه بِالخُضُوعِ وَالرَّغْبَةِ، وَرَجَعَ عَنْه.

ثُمَّ زَحَفَ [سَنَةَ][ب] ثَمَانِينَ إِلَى الشَّامِ فِي مُظَاهَرَةِ أَبْغَا بنِ هُولَاوُو، وَنَزَلَ بَيْنَ قَيْسَارِيَّةَ وَأَبْلُسْتَيْنِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، ثُمَّ أَجَازَ الدَّرْبَنْدَ، وَمَرَّ بِأَبْغَا وَهُو مُنَازِلٌ الرَّحْبَةَ، وَتَقَدَّمَ مَعَ أَخِيه مَنْكُوتَمُر بنِ هُولَاوُو إِلَى حَمَاةَ [فَنَازَلُوهَا][ج]، وَزَحَفَ إِلَيهم المَنْصُورُ قَلَاوُونُ مَلِكُ مِصْرَ وَالشَّامِ مِنْ دِمَشْقَ، وَلَقِيَهم بِظَاهِرِ حِمْص، وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى

(أ) واو العطف من س.   (ب) من س.   (ج) من سن، وفي ظ: فنازلها.

---

(1) نهاية الأرب 27: 361: فلما أشرفت عساكر أبغا على بستاي وهو مقبل في سواده العظيم، تكردسوا وتجمعوا للهزيمة، فظن بستاي أنهم أحاطوا بنوغا ومن معه، فانهزم راجعا من غير لقاء.

(2) في الأصول: أبغا، والتصويب يتفق مع السياق، وينظر ما يلي ص 697 – .

(3) زبدة الفكرة 108.

(4) في المختصر 4: 4: ابن عمه.

(5) زبدة الفكرة 108.

(6) في المختصر 4: 6، نهاية الأرب 27: 362: ثمان وستين.

مُلوكِ الطَّطَرِ، وهَلَكَ فِيها خَلْقٌ مِنْ عَساكِرِهِم وَأُسِرَ آخَرُون، وَأَجْفَلَ أبغَا مِنْ مُنَازَلَةِ الرَّحْبَة، وَرَجَعُوا إلى بِلَادِهِم مُنْهَزِمِين[1].

وَهَلَكَ عَلَى إثْـرِ ذَلِكَ مَنكُوتَمُر بنُ طُغَان مَلِكُ الشَّمَالِ[2]، ومَنكُوتَمُر بنُ هُولَاوُو سَنَةَ إحْدَى وَثَمَانِين[3].

تُدَان مَنْكو بن مَنكُوتَمُر[4]

وَلَمَّا هَلَكَ مَنكُوتَمُر، مَلَكَ مَكَانَه ابْنُه[5] تُدَان مَنْكُو، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ مُلْكِهِم بِصَرَاي، فَأَقَامَ خَمْسَ سِنِين، ثُمَّ تَرَهَّبَ وَخَرَجَ عَنِ المُلْكِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِين، وَانقَطَعَ إلى صُحْبَةِ المَشَايِخِ الفُقَرَاءِ[6].

تَلابُغا بن مَنكُوتَمُر

وَلَمَّا تَرَهَّبَ تُدَان بنُ مَنكُوتَمُر وَخَرَجَ عَنِ المُلْكِ، مَلَكَ مَكَانَه[ا] أَخُوه[7] تَـلَا

(ا) في س: بعده.

---

(1) زبدة الفكرة 198، 200.

(2) المختصر 4: 16.

(3) زبدة الفكرة 213، المختصر 4: 15 – 16.

(4) في زبدة الفكرة 260، المختصر 4: 16: تدان منكو بن طغان.

(5) في المختصر 4: 16: أخوه.

(6) زبدة الفكرة 260، المختصر 4: 22.

(7) في المختصر 4: 16، 22: ابن أخيه، باعتبار أن تدان منكو ابن طغان.

بُغَا[1]، وَأَجْمَعَ غَزْوَ بِلَادِ الكَرَكِ[2]، وَاسْتَنْفَرَ نُوغَيْه بنَ طَطَر بن مُغُل بن دُوشِي خَان، وَكَانَ حَاكِماً عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بِلَادِ الشَّمَالِ، وَلَه اسْتِبْدَادٌ عَلَى مُلُوكِ بَني دُوشِي خَان، / فَنَفَرَ [مَعَه][أ] في عَسَاكِرِه، وَكَانَتْ عَظِيمَةً، وَدَخلُوا جَمِيعاً بِلَادَ الكَرَكِ، [429ب] وَأَغَارُوا عَلَيْها، وَعَاثُوا في نَوَاحِيهَا، وَفَصَلُوا مِنْها، وَقَدْ تَمَكَّنَ فَصْلُ الشِّتَاءِ، وَسَلَكَ السُّلْطَانُ مَسَافَةَ اعْتَسَفَ[3] فِيها البِيدَ، وَهَلَكَ أَكْثَرُ عَسْكَرِه مِنَ البَرْدِ وَالجُوعِ، وَأَكَلُوا دَوَابَّهم وَكِلَابَهم، وَسَارَ نُوغَيْه مِنْ أَقْرَبِ المَسَالِكِ، فَنَجَا إِلى بِلَادِه سَالِماً مِنْ تِلْكَ الشِّدَّة.

فَاتَّهَمه السُّلْطَانُ تَلا بُغَا بِالإِدْهَانِ في أَمْرِه، وَكَان يَنْقِمُ عَلَيْه اسْتِبْدَادَه، حَتَّى أَنَّه قَتَلَ اِمْرَأَةَ أَبِيه حُجُك، وَكَانَتْ [مُتَحَكِّمَةً][ب] في أَيَّامِ أَخِيه وَأَبِيه[ج]، وَشُكِيَتْ إلى نُوغَيْه، فَأَمَرَ بِقَتْلِهَا خَنْقاً، وَقَتَلَ أَمِيراً كَانَ[د] في خِدْمَتِها اسْمُه بِيَطْرا.

فَتَنَكَّرَ لَه تَلَا بُغَا وَأَجْمَعَ الفَتْكَ بِه، وَأَرْسَلَ يَسْتَدْعِيه لِمَا طَوَى لَه عَلَيْه، وَنُمِيَ الخَبَرُ بِذَلِكَ إلى نُوغَيْه فَبَالَغَ في إِظْهَارِ النَّصِيحَةِ وَالإِشْفَاقِ عَلَى السُّلْطَانِ، وَخَاطَبَ أُمَّه بِأَنَّ[هـ] عِنْدَه نَصَائِحَ يَوَدُّ لَوْ أَلْقَاهَا للسُّلْطَانِ في[و] خَلْوَةٍ، فَثَنَتِ ابْنَها عَنْ رَأْيِه فِيه، وَأَشَارَتْ عَلَيْه بِاسْتِدْعَائِه وَالاطِّلَاعِ عَلَى مَا عِنْدَه.

(أ) في ظ: عنه. (ب) في ظ: متحكد. (ج) في س: ابيه واخيه. (د) سقط من س. (هـ) في س: في أن.
(و) سقط من س.

---

(1) في زبدة الفكرة 260: ملك تلا بغا عوضاً عن عمه تدان منكو.
(2) كذا في الأصول، ويدلّ السياق أنها ليست من كرك بلاد الشام.
(3) اعتسف الطريق: قطعه دون صوب توخاه فأصابه، لسان العرب.

وَجَاءَ نُوغَيه، وَقَدْ بَعَثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ إِخْوَةِ السُّلْطَانِ تَلَا بُغَا كَانُوا يَمِيلُونَ إِلَيه، وَمِنْهم: طَقْطَاي، وَبُرْلُك، وَصَرَاي بُغَا، وَتُدَان، بَنُو مَنْكُوتَمُر بن طُغَان، فَجَاؤُوا مَعَه، وَلَمَّا قَارَبُوا مُخَيَّمَ السُّلْطَانِ تَلَا بُغَا، رَكِبَ لِلِقَاءِ نُوغَيه فِي لُمَّةٍ مِن عَسْكَرِه، وَجَاءَ نُوغَيه(1)، وَقَدْ أَكْمَنَ لَه طَائِفَةٌ مِنَ العَسْكَرِ، فَلَمَّا التَقَيَا تَحَادَثَا مَلِيّاً، وَخَرَجَ الكُمَنَاءُ وَأَحَاطُوا بالسُّلْطَانِ تَلَا بُغَا وَقَتَلُوه سَنَةَ تِسْعِينَ [وسِتِّ مِائَة](أ)(2).

طَقْطَاي بن مَنْكُوتَمُر

وَلَمَّا قُتِلَ تَلَا بُغَا وَلَّوا مَكَانَه أَخَاه طَقْطَاي(3) لِوَقْتِه، ورَجَعَ نُوغَيه إِلى بِلَادِه، وَبَعَثَ إِلى طَقْطَاي فِي قَتْلِ الأُمَرَاءِ الذين دَاخَلُوا تَلَا بُغَا فِي قَتْلِه، فَقَتَلَهم طَقْطَاي أَجْمَعِين(4).

ثُمَّ تَنَكَّرَ طَقْطَاي لِنُوغَيه لِمَا كَانَ لِنُوغَيه مِنَ الاسْتِبْدَادِ، وَأَنِفَ طَقْطَاي مِنْه، وَأَظْلَمَ الجَوُّ بَيْنَهُمَا، وَاجْتَمَعَ أَعْدَاءُ الدَّوْلَةِ إِلى نُوغَيه(ب)، فَكَانَ يُجِيرُهم عَلَى طَقْطَاي،
[430 أ] / وَأَصْهَرَ إِلى طَاز بن مَنْجَك مِنْهم بِابْنَتِه، فَسَارَ إِلَيه طَقْطَاي، وَلَقِيَه نُوغَيه فَهَزَمَه، وَاعْتَرَضَه نَهْرُ إِتِل(5) فَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِه، وَرَجَعَ نُوغَيه عَنِ اتِّبَاعِه، وَاسْتَوْلَى

(أ) في س: وسبعمائة. (ب) س: نوغاي.

(1) في الأصول: نوغاى، والتصويب مما سبق.
(2) زبدة الفكرة 260، 285 – 286، المختصر 4: 26.
(3) في المختصر 4: 26: طقطغا.
(4) زبدة الفكرة 286، 294.
(5) في زبدة الفكرة 322: نهر تن.

عَلى بِلَادِ الشَّمَالِ، [وَأَقْطَعَ](أ) سِبْطَه قَرَاجَا بنَ طُشْتَمُر سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ مَدِينَةَ القِرَمِ، وَسَارَ إِلَيْهَا لِقَبْضِ أَمْوَالِها، فَأَضَافُوه وَبَيَّتُوه مِنْ لَيْلَتِه فَقَتَلُوه، وَبَعَثَ نُوغَيْه العَسَاكِرَ إِلى القِرَمِ فَاسْتَبَاحُوهَا وَمَا يُجَاوِرُهَا مِنَ القُرَى وَالضِّيَاعِ وَخَرَّبَ سَائِرَهَا.

وَكَان نُوغَيْه كَثِيرَ الإِيثَارِ لأَصْحَابِه، فَلَمَّا اسْتَبَدَّ بِأَمْرِه، اعْتَزَّ وَلَدُه عَلى الأُمَرَاءِ الذِين مَعَه وَجَنِفُوا عَلَيْهم، وَكَان رَدِيفَه مِنْ مُلُوكِ المُغُل أَيَاجِي بنُ قَرْمِش وَأَخُوه قَرَاجِي، فَلَمَّا آثَرَ وَلَدُه عَلَيْهِمَا نَزَعَا إِلى طَقْطَاي في قَوْمِهِمَا، وَسَارَ وَلَدُ نُوغَيْه في اتِّبَاعِهِمَا، فَرَجَعَ بَعْضُهم وَاسْتَمَرَّ البَاقُونَ، وَقَتَلَ وَلَدُ نُوغَيْه مَنْ رَجَعَ مَعَه مِنْ أَصْحَابِ أَيَاجِي وَقَرَاجِي وَوَلَدَهم، فَامْتَعَضَ لِذَلِك أُمَرَاءُ المُغُلِ الذين مَعَه، وَلَحِقُوا بِطَقْطَاي وَاسْتَحَثُّوه لِحَرْبِ نُوغَيْه.

فَجَمَعَ وَسَارَ إِلَيْه سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ بِكُوكَان لَك، فَانْهَزَمَتْ عَسَاكِرُ نُوغَيْه وَوَلَدِه، وَقُتِلَ في المَعْرَكَة، وَحُمِلَ رَأْسُه إِلى طَقْطَاي، فَقَتَلَ قَاتِلَه، وَقَالَ: السُّوقَةُ لَا تَقْتُلُ المُلُوكَ، وَاسْتُبِيحَ عَسْكَرُ نُوغَيْه وَبِيعَ أَسْرَاهم وَسَبَايَاهم في الأَقْطَارِ، وَكَان بِمِصْرَ مِنْهم جَمَاعَةٌ اسْتُرِقُّوا بِها وَانْتَظَمُوا في دِيوَانِ جُنْدِهَا[1].

وَلَمَّا هَلَكَ نُوغَيْه خَلَفَه في أَعْمَالِه ابْنُه جَكَا[2]، وَانْتَقَضَ عَلَيْه أَخُوه[3] فَقَتَلَه، فَاسْتَوْحَشَ(ب) لِذَلِك أَصْحَابُه وَاعْتَزَمُوا عَلَى الفَتْكِ بِه[4]، وَتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِك نَائِبُه طَغْرَمَن،

(أ) في ظ: واقطعه. (ب) في س: واستوحش.

---

(1) زبدة الفكرة 346 - 347.

(2) المختصر 4: 44.

(3) في زبدة الفكرة 348: تكا.

(4) زبدة الفكرة 348.

وَصِهْرُه عَلَى أُخْتِه طَازْ بنُ مَنْجَك، وَنُمِيَ الخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَيْه وَهُوَ فِي بِلَادِ اللّان[1] والرُّوس غَازِياً، فَهَرَبَ وَلَحِقَ بِبِلَادِ آصْ، ثُمَّ لَحِقَ بِه عَسْكَرُه، فَعَاذَ إِلَى حَرْبِهِما وَغَلَبَهُما عَلَى البِلَادِ، ثُمَّ أَمَدَّهُما طَقْطَاي عَلَى جَكَا بنِ نُوغَيْه فَانْهَزَمَ وَلَحِقَ بِبِلَادِ أُولَاق، / وَحَاوَلَ الامْتِنَاعَ بِبَعْضِ القِلَاعِ مِنْ بِلَادِ أُولاق، وَفِيها صِهْرُه، فَقَبَضَ عَلَيْه [430 ب] صَاحِبُ القَلْعَةِ، وَاسْتَخْدَمَ بِه لِطَقْطَاي، فَأَمَرَه بِقَتْلِه سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِ مِائَة، وَنَجَا أَخُوه طُرَاي[2] وابْنُه قَرَاكُسُك شَرِيدَيْنِ.

وَخَلَا الجَوُّ لِطَقْطَاي مِنَ المُنَازِعِينَ وَالمُخَالِفِين، وَاسْتَقَرَّتْ فِي الدَّوْلَة قَدَمُه، وَقَسَّمَ أَعْمَالَه بَيْنَ أَخِيه صَرَاي بُغَا وَبَيْنَ ابْنَيْه، وَأَنْزَلَ مَنْكَلِي بُغَا مِنَ ابْنَيْه فِي عَمَلِ نَهْرِ طَنَا مِمَّا يَلِي بَابَ الحَدِيدِ، ثُمَّ رَجَعَ طَرَاي بنُ نُوغَيْه مِنْ مَفَرِّه، وَاسْتَذَمَّ بِصَرَاي بُغَا أَخِي طَقْطَاي، فَأَذَمَّه وَأَقَامَ عِنْدَه، فَلَمَّا أَنِسَ بِه كَشَفَ لَه القِنَاعَ عَمَّا فِي صَدْرِه وَاسْتَهْوَاه للانْتِقَاضِ عَلَى أَخِيه طَقْطَاي، وَكَانَ أَخُوهُما بُرْلُك أَكْبَرَ مِنْه، وَكَانَ مُقِيماً عِنْدَ طَقْطَاي، فَرَكِبَ إِلَيْه صَرَاي بُغَا لِيُفَاوِضَه فِي الشَّأْنِ، فَاسْتَعْظَمَه، وَأَطْلَعَ عَلَيْه أَخَاهُمَا طَقْطَاي، فَأَمَرَه لِوَقْتِه بِإِحْضَارِ أَخِيه صَرَاي بُغَا [وَطُرَاي][1] بنِ نُوغَيْه، وَقَتَلَهُمَا، وَاسْتَضَافَ عَمَلَ أَخِيه صَرَاي بُغَا لابْنِه إِيل[3] بُصَار، ثُمَّ بَعَثَ فِي طَلَبِ قَرَاكُسُك بنِ جَكَا بن نُوغَيْه، فَأَبْعَدَ فِي نَاحِيَةِ الشَّمَالِ، وَاسْتَذَمَّ بِبَعْضِ المُلُوكِ هُنَالِكَ.

(1) في ظ: وصراى.

(1) في زبدة الفكرة 354: أولاق، وينظر ما يلي.
(2) ولم يبق من أولاد نوغيه إلا أصغرهم المسمى طربه (طراى): في زبدة الفكرة 355.
(3) في زبدة الفكرة 67: إير.

ثُمَّ هَلَكَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ أَخُوه بُرُلْك وابْنُه إيبل بُصَار بنُ طَقْطَاي، وَهَلَكَ طَقْطَاي [بَعْدَهُما](أ) سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

أُزْبَكُ بنُ طُغْرُلْجَاي بنِ مَنْكُوتَمُر

وَلَمَّا هَلَكَ طَقْطَاي بَايَعَ نَائِبُه قَطْلُقْتَمُر لأُزْبَكَ ابنِ أَخِيه طُغْرُلْجَاي، بإشَارَةِ الخَاتُون تَبَالُون زَوْجِ أَبِيه طُغْرُلْجَاي، وَعَاهَدَه عَلَى الإِسْلامِ، فَأَسْلَمَ وَاتَّخَذَ مَسْجِداً لِلصَّلاةِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْه بَعْضُ أُمَرَائِه فَقَتَلَهم، وَتَزَوَّجَ الخَاتُونَ امْرَأَةَ أَبِيه، بِمَا كَانَ كَافِراً مَجُوسِيّاً، وَوَلَّى قَطْلُقْتَمُر نَائِبَ أَبِيه عَلَى خُوَارِزْم وَأَرْكَنج، وَعَزَلَ عَنْها أَخَا الخَاتُون تَبَالُون.

وَكَانَتِ المُوَاصَلَةُ بَيْنَ طَقْطَاي وَبَيْنَ مُلُوكِ مِصْرَ، وَمَاتَ طَقْطَاي وَرُسُلُه عِنْدَ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بن قَلاوُون، فَرَجَعُوا إلى أُزْبَك مُكَرَّمِين، وَجَدَّدَ أُزْبَكُ الوِلايَةَ / مَعَه، وَدَسَّ إلَيْه قَطْلُقْتَمُر يُرَغِّبُه(ب) في بَعْضِ كَرَائِمِهم، وَعَيَّنَ لَه بِنْتَ بُرُلْك(1) أَخِي [431 أ] طَقْطَاي، وَتَكَرَّرَتِ الرِّسَالَةُ في ذَلِك، إلى أَنْ تَمَّ الأَمْرُ، وَبَعَثُوا بِكَرِيمَتِهم المَخْطُوبَةِ إلى مِصْرَ، فَعَقَدَ عَلَيْها النَّاصِرُ وَبَنَى بِها، كَما مَرَّ في أَخْبَارِه(2).

ثُمَّ حَجَزَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَ أُزْبَك وَبَيْنَ أَبِي سَعِيد مَلِكِ الطَّطَرِ بِالعِرَاقِ مِنْ بَنِي هُولاوُو، وَبَعَثَ أُزْبَكُ عَسَاكِرَه إلى بِلَادِ أَذْرَبِيجَان، وَكَان بَنُو دُوشِي خَان يَدَّعُون

(أ) في ظ: بعدها. (ب) في س: يرغبهم.

(1) فيما سبق ص 404: بنت طغاجي بن هندو بن تكو بن دوشي خان.

(2) ينظر ما سبق ص 403 – .

أنَّ توريزَ وَمَرَاغَةَ لَهم، وَأنَّ القَان لَمَّا بَعَثَ هُولاوُو لِغزْوِ بِلادِ الإسْماعِيلِيَّة وَفَتْحِ بَغْدَادَ اسْتَكْثَرَ مِنَ العَسَاكِرِ، وَسَارَ مَعَه عَسْكَرُ أهْلِ الشَّمَالِ هَؤلاءِ، فَرَتَّبَ لَهم العَلُوفَةَ بِتَورِيز وَمَرَاغَةَ. وَلَمَّا مَاتَ هُولاوُو طَلَبَ بَرَكَة مِنَ ابْنِه أبْغَا أنْ يَأذَنَ لَه في بِنَاءِ جَامِعٍ بِتَورِيز، وَدَارٍ لِنَسْجِ الثِّيَابِ وَالطُّرُز، فَأذِنَ لَه، وَبَنَاهُمَا، إلى أنْ وَقَعَتْ الفِتْنَةُ بَيْنَهما فَأبْطَلَ ذَلك، ثُمّ اصْطَلَحَا وَأُعِيدَتْ. فَادَّعَى بَنُو دُوشِي خَان أنَّ تَورِيزَ وَمَرَاغَةَ مِنْ أعْمالِهم، وَلَم يَزَالُوا مُطالِبِينَ بِهَذه الدَّعْوَى، فَلَمَّا(أ) وَقَعَت هَذه الفِتْنَةُ بَيْنَ أُزْبَكَ وَأبِي سَعِيد، افْتَتَحَ [أُزْبَكُ](1) أمْرَهُ(ب) بِغَزْوِ مُوغَان، فَبَعَثَ العَسَاكِرَ إلَيْها سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ، فَاكْتَسَحُوا نَوَاحِيَهَا وَرَجَعُوا، وَجَمَعَ جُوبَانُ وَسَارَ في أثَرِهم فَلَم يُدْرِكْهم، وَكَان أُزْبَك يَتَعَلَّلُ عَلَى أبي سَعِيد بِتَغَلُّبِ جُوبَانَ عَلَى دَوْلَتِه وَتَحَكُّمِه في بَنِي جِنْكِيزْ خَان، وَأنَّه يأنَفُ لَهم مِنْ ذَلِك.

وَكَان يَسُولُ بنُ بُرَاقَ بن بَسَنْتُو بنِ مَلْكُوقَان بن جَغْطَاي مَلِكاً عَلَى خُوَارِزْم، فَأغْرَاه أُزْبَكُ بِمُلْكِ خُرَاسَان، وَأمَدَّه بِالعَسَاكِرِ مَعَ نَائِبِه قُطْلُقْتَمُر، وَسَارَ يَسُولُ لِنَيْلِك، وَبَعَثَ أبُو سَعِيدٍ نَائِبَه جُوبَانَ [لِمُدَافعَتِها](ج)، فَلَم يُطِقْ، وَغَلَبَ يَسُولُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خُرَاسَان، وَصَالَحَه جُوبَان عَلَيْها، وَهَلَكَ يَسُولُ سَنَةَ عِشْرِين، ثُمّ عَزَلَ أُزْبَكُ نَائِبَه قُطْلُقْتَمُر سَنَةَ إحْدَى وَعِشْرِين، وَوَلَّى مَكَانَه عِيسَى كُرْكَنْ، ثُمّ رَدَّه سَنَةَ أرْبَعٍ وَعِشْرِينَ / إلى نِيَابَتِه، وَلَم تَزَلِ الحَرْبُ مُتَّصِلَةً بَيْنَ أُزْبَك وَأبي سَعِيد إلى أنْ [431 ب]

(أ) في س: فلما مات. (ب) في س: غزوه. (ج) من س، وفي ظ: لمدافعتها.

(1) إضافة للتوضيح تتفق مع السياق.

هَلَكَ أَبُو سَعِيد سَنَةَ سِتٍّ وَثَلاثِين[1]، ثُمّ هَلَكَ القَان أُزْبَكُ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وأَرْبَعِين[2].

جَانِي بِك بنُ أُزْبَك

وَلَمَّا هَلَكَ أُزْبَكُ بنُ طُغْرُ لِجَاي وَلِيَ مَكَانَه ابْنُه جَانِي بِك، وَكَان أَبُو سَعِيد قَدْ هَلَكَ قَبْلَه كَما ذَكَرْنَاه، فَلَمْ يُعْقِبْ، وَوَلِيَ عَلَى العِرَاقِ الشَّيْخُ حَسَنٌ مِنْ أَسْبَاطِ أَبْغَا بن هُولاوُو، وافْتَرَقَ المُلْكُ فِي عِمَالاتِهِم طَوَائِف.

وَرَدَّدَ جَانِي بِك العَسَاكِرَ إِلى خُرَاسَان، إِلى أَنْ مَلَكَهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِين، ثُمّ زَحَفَ إِلى أَذْرَبِيجَانَ وَتَورِيز، وَكَان قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيْها الشَّيْخُ حَسَنٌ الصَّغِيرُ بنُ دِمِرْدَاش بن جُوبَان، وَأَخُوه الأَشْرَفُ مِنْ بَعْدِه، كَما يُذْكَرُ في أَخْبَارِهِم، فَزَحَفَ جَانِي بِك في العَسَاكِرِ إِلى أَذْرَبِيجَانَ بِتِلْكَ المُطَالَبَة الّتي كَانَ سَلَفُه يَدَّعُونَ فِيهَا، فَقَتَلَ الأَشْرَفَ وَاسْتَوْلَى عَلَى تَورِيزَ وَأَذْرَبِيجَان، وَانْكَفَأَ رَاجِعاً إِلى خُرَاسَانَ بَعْدَ أَنْ وَلَّى عَلَى تَورِيزَ ابْنَه بَرْدِي بِك، وَاعْتَلَّ جَانِي بِك في طَرِيقِه وَمَاتَ [سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِين](أ).

بَرْدِي بِكُ بنُ جَانِي بِك

وَلَمَّا اعْتَلَّ جَانِي بِك في ذِهَابِه مِنْ تَوْرِيزَ إِلى خُرَاسَان، طَيَّرَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ الخَبَرَ إِلى ابْنِه بَرْدِي بِك، وَقَدِ اسْتَخْلَفَه في تَوْرِيز، فَوَلَّى عَلَيْها أَمِيراً مِنْ قِبَلِه، وَأَغَذَّ

(أ) من س.

---

(1) ينظر ما سبق ص 427.

(2) الوافي بالوفيات 8: 367، الدرر الكامنة 1: 376، وينظر المنهل الصافي 2: 343.

السَّيْرَ إلى قَوْمِه، وَوَصَلَ إلى صَرَاي وَقَدْ هَلَكَ أبُوه جَانِي بك، فَوَلُوه مَكَانَه، وَاسْتَقَلَّ بالدَّوْلَةِ، وَهَلَكَ[1] لِثَلاثِ سِنِين مِنْ مُلْكِه.

مَامَاي المُتَغَلِّبُ عَلَى مَمْلَكَةِ صَرَاي

وَلَمَّا هَلَكَ بَرْدِي بك خَلَّفَ ابْنَه طَقْطَمُش غُلاماً صَغِيراً، وَكَانَتْ أُخْتُه جَانِم بِنْتُ بَرْدِي بك تَحْتَ كَبِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ المُغْلِ اسْمُه مَامَاي، وَكَان مُتَحَكِّماً في دَوْلَتِه، وَكَانَتْ مَدِينَةُ القِرَمِ مِنْ وِلايَتِه، وَكَان يَوْمَئِذٍ غَائِباً بها، وَكَان جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ المُغْلِ أَيضًا مُتَفَرِّقِينَ في وِلاياتِ الأَعْمَال بِنَوَاحِي صَرَاي، فَفَرَّقُوا الكَلِمَةَ وَاسْتَبَدُّوا بِأَعْمَالِهِم، فَتَغَلَّبَ صُلْجِي شَرْكَس عَلَى نَاحِيَةِ هِجْ طَرْخَان، وَتَغَلَّبَ أَرْض خَان عَلَى عَمَلِه، وَآلبَك خَان كَذَلِك، وَكَانُوا كُلُّهم يُسَمُّونَ أُمَرَاءَ المَيْسَرَة.

[432 أ] فَلَمَّا هَلَكَ / بَرْدِي بك وَانْتَقَضَتِ الدَّوْلَةُ، وَاسْتَبَدَّ هَؤُلاء في النَّوَاحِي، خَرَجَ مَامَاي بِالقِرَمِ وَنَصَّبَ صَبِيّاً مِنْ وَلَدِ أُزْبَك القَان اسْمُه عَبْدُ الله، وَزَحَفَ بِه إلى صَرَاي، فَهَرَبَ مِنْها طَقْطَمُش وَلَحِقَ بِمَمْلَكَةِ أَرْض خَان في نَاحِيَةِ جِبَالِ خُوَارِزْم، وَاسْتَوْلَى مَامَاي عَلَى كُرْسِيِّ صَرَاي، وَأَجْلَسَ عَلَيْه الخَان عَبْدَ الله الَّذِي نَصَّبَه، وَنَازَعَه أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ وَنَصَّبَ مِنْ بَنِي القَان آخَرَ اسْمُه قَطْلُقْتَمُر، فَغَلَبَه مَامَاي وَقَتَلَهما، ثُمَّ انْتَقَلَ طَقْطَمُش مِنْ مَمْلَكَةِ أَرْض في نَاحِيَةِ خُوَارِزْمَ إلى مَمْلَكَةِ بَنِي جَقْطَاي بنِ جِنكِزْ خَان في سَمَرْقَنْدَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَالمُتَغَلِّبُ عَلَيْها يَوْمَئِذٍ السُّلْطَانُ

(1) توفي سنة 762 هـ. الدرر الكامنة 2: 7.

تِيْمُورُ مِنْ أُمَرَاءِ المُغْلِ، وَقَدْ نَصَّبَ صَبِيّاً مِنْهم اسْمُهُ مَحْمُودٌ أو صُلْغَتْمش، وَتَزَوَّجَ أُمَّه وَاسْتَبَدَّ عَلَيْه، فَأَقَامَ طَقْطُمُش هُنَالِكَ.

ثُمَّ تَنَافَسَ الأُمَرَاءُ المُتَغَلِّبُونَ عَلَى أَعْمَالِ صَرَاي، وَزَحَفَ صُلْجِي شَرْكَس صَاحِبُ عَمَلِ هِجْ طَرْخَان إلى مَامَاي، فَغَلَبَه عَلَى صَرَايْ وَمَلَكَهَا مِنْ يَدِه، وَصَارَ مَامَاي إلى القِرْمِ فَاسْتَبَدَّ بِها، وَلَمَّا زَحَفَ صُلْجِي شَرْكَس، مِنْ عَمَلِه، بَعَثَ أُرُض عَسَاكِرَه مِنْ نَوَاحِي جِبَالِ خُوَارِزْمَ فَحَاصَرُوا هِجْ طَرْخَان، وَبَعَثَ صُلْجِي العَسَاكِرَ إِلَيهم مَعَ بَعْضِ أُمَرَائِه، فَأَعْمَلَ الحِيلَةَ حَتَّى هَزَمَهم عَنْ هِجْ طَرْخَان، وَفَتَكَ بِهِم وَبِالأَمِيرِ الَّذِي كَانَ يَقُودُهم، وَشُغِلَ صُلْجِي شَرْكَس بِتِلْكَ الفِتْنَة. فَزَحَفَ إِلَيْه أَلْبَك خَان وَمَلَكَ صَرَاي مِنْ يَدِه وَاسْتَبَدَّ بِها أَيَّاماً، ثُمَّ هَلَكَ(1).

وَوَلِيَ بَعْدَه بِصَرَاي ابْنُه قَان بِيخَان، ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْه أُرُض مِنْ جِبَالِ خُوَارِزْم، فَغَلَبَه عَلَى صَرَاي، وَهَرَبَ قَان بِيخَان بن أَلْبَك خَان إلى عَمَلِهِم الأَوَّلِ.

وَاسْتَقَلَّ(أ) [أُرُض](ب) بِصَرَاي، وَمَامَاي بِالقِرْمِ، وَمَا بَيْنَه وَبَيْنَ صَرَاي في مِلْكَتِه، وَكَان هَذا في حُدُودِ أَعْوَام سِتٍّ وَسَبْعِين.

وَطَقْطُمُش في خِلَالِ ذَلِكَ مُقِيمٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ تَمُرْ وَبَنِي جَقْطَاي فِيما وَرَاءَ النَّهْرِ، ثُمَّ طَمِحَتْ نَفْسُ طَقْطُمُش إلى مُلْكِ آبَائِه بِصَرَاي، فَجَهَّزَ مَعَه السُّلْطَانُ تَمُرْ / العَسَاكِرَ، وَسَارَ بِها، فَلَمَّا بَلَغَ جِبَالَ خُوَارِزْمَ اعْتَرَضَتْه هُنَالِكَ عَسَاكِرُ أُرُض [432 ب] فَقَاتَلُوه، وَانْهَزَمَ وَرَجَعَ إلى تَمُرْ.

(أ) في س: استقر. (ب) في ظ: بأرض.

---

(1) توفي سنة 762 هـ. الدرر الكامنة 2: 7.

ثُمَّ هَلَكَ أرُض[أ] قَرِيباً فِي مَصِيفِه تِلْكَ السَّنَةَ، فَخَرَجَ السُّلْطَانُ تَمُرْ بالعَسَاكِرِ مع طَقْطَمُش مَدَداً لَه إلى حُدُودِ عَمَلِه، وَرَجَعَ، وَاسْتَمَرَّ طَقْطَمُش فَاسْتَوْلَى عَلَى أعْمَالِ أرُض بِجِبَالِ خُوَارِزم، ثُمَّ سَارَ إلى صَرَاي وَبِهَا عُمَّالُ أرُض، فَمَلَكَهَا مِنْ أيْدِيهِم، وَاسْتَرْجَعَ مَا تَغَلَّبَ عَلَيْه مَامَاي مِنْ ضَوَاحِيها، وَمَلَكَ أعْمَالَ صُلْجِي شَرْكَسْ فِي هِجْ طَرْخَان، وَانْتَزَعَ جَمِيعَ مَا كَانَ بِأيْدِي المُتَغَلِّبِينَ وَمَحَا آثَارَهُم، وَسَارَ إلى مَامَاي بالقِرْمِ فَهَرَبَ أمَامَه، وَلَمْ يُوقَفْ عَلَى خَبَرِه، ثُمَّ صَحَّ الخَبَرُ بِمَهْلِكِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، وَاسْتَوْسَقَ المُلْكُ بِصَرَاي وَأعْمَالِهَا لِطَقْطَمُش بنِ بَرْدِي بك كَمَا كَانَ لِقَوْمِه.

حُرُوبُ السُّلْطَان تَمُرْ مع طَقْطَمُش صَاحِبِ صَرَاي

قَدْ كُنَّا ذَكَرْنَا فِيمَا مَرَّ ظُهُورَ هَذا السُّلْطَان تَمُرْ فِي دَوْلَةِ بَنِي جَقْطَاي، وَكَيْفَ أجَازَ مِنْ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ إلى خُرَاسَان أعْوَامَ أرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَة، فَنَزَلَ عَلَى هَرَات، وَبِهَا مَلِكٌ مِنْ بَقَايَا الغُورِيَّة، فَحَاصَرَهَا وَمَلَكَهَا مِنْ يَدِه، ثُمَّ زَحَفَ إلى مَازَنْدَرَان، وَبِهَا الشَّيْخُ وَلِيّ، تَغَلَّبُوا عَلَيْهَا بَعْدَ بَنِي هُولاَوُو، فَطَالَتْ حُرُوبُه مَعَه إلى أنْ غَلَبَه عَلَيْهَا، وَلَحِقَ الشَّيْخُ وَلِيّ[ب] بِتَوْرِيز فِي فَلٍّ مِنْ أهْلِ دَوْلَتِه، ثُمَّ طَوَى تَمُرْ المَمَالِكَ طَيّاً، وَزَحَفَ إلى أصْفَهَان، فَأتَاه ابنُ المُظَفَّرِ بِهَا [بِطَاعَتِه][1]، ثُمَّ إلى تَوْرِيز سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ فَمَلَكَهَا وَخَرَّبَهَا، وَكَان قَدْ زَحَفَ قَبْلَهَا إلى دَشْتِ القَفْجَاقِ بِصَرَاي

(أ) في س: تمر. (ب) في س: علي.

---

(1) في الأصول: طاعته، والتصويب يتفق مع السياق، وينظر ما سبق ص 653.

فَملَكَهَا مِنْ يَدِ طَقْطَمُش وَأَخْرَجَه عَنها، فَأَقَامَ بِأَطْرَافِ الأَعْمَالِ حَتّى جَازَ تَمُرْ إِلى أَصْفَهَان، فَرَجَعَ إِلى كُرْسِيِّه[1].

وَكَان لِلسُّلْطَانِ تَمُرْ قَرِيعٌ في قَوْمِه يُعْرَفُ بِقَمَرِ الدِّين، فَرَاسَلَه طَقْطَمُش صَاحِبُ صَرَايِ وَأَغْرَاه بِالانْتِقَاضِ عَلَى تَمُرْ، وَأَمَدَّه بِالأَمْوَالِ وَالعَسَاكِرِ، فَعَاثَ في تِلْكَ البِلَادِ، وَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلى تَمُرْ مُنْصَرَفَهُ مِنْ فَتْحِ تَوْرِيز، فَكَرَّ رَاجِعاً، وَعَظُمَتْ حُرُوبُه مَعَ قَمَرِ / الدِّينِ إِلى أَنْ غَلَبَه وَحَسَم عِلَّتَه، وَصَرَفَ وَجْهَه إِلى شَأْنِه الأَوَّلِ، [433ا] فَبَدَأَ بِالزَّحْفِ إِلى طَقْطَمُش، وَسَارَ طَقْطَمُش لِلِقَائِه، وَمَعَه أَغْلَان بِلَاط مِنْ أَهْلِ بَيْتِه، فَدَاخَلَه تَمُرْ وَجَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ مَعَه، وَاسْتَرَابَ بِهِم طَقْطَمُش، وَقَدْ حَانَ اللِّقَاءُ وَتَصَافُّوا لِلحَرْبِ، فَصَدَمَ نَاحِيَةً مِنْ عَسَاكِرِ تَمُرْ، وَفَتَكَ بِمَنْ لَقِيَ فِيهَا، وَانْتَبَذَ عَنِ المَعْرَكَة، ثُمَّ ارْتَابَ تَمُرْ أَيضاً، فَرَجَعَ إِلى بِلَادِه، ثُمَّ[أ] سَارَ أَغْلَان بِلَاط إِلى صَرَايِ *فَمَلَكَهَا، وَفَتَكَ فِي مَخْلَفِ طَقْطَمُش وَعِيَالِه، وَافْتَرَقَ الأُمَرَاءُ الَّذِين دَاخَلُوا مَعَه تَمُرْ، وَسَارُوا إِلى الثُّغُورِ فَاسْتَوْلَوْا عَلَيها، وَجَاءَ طَقْطَمُش إِلى صَرَايِ*[ب] فَاسْتَرْجَعَهَا، وَهَرَبَ أَغْلَان بِلَاط إِلى القِرْمِ فَمَلَكَهَا، وَزَحَفَ إِلَيْه طَقْطَمُش في العَسَاكِرِ فَحَاصَرَهَا، وَخَالَفَه ابنُ أَرْض إِلى صَرَايِ فَتَغَلَّبَ عَلَيها، فَرَجَعَ طَقْطَمُش وَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِه، ولم تَزَلْ عَسَاكِرُه تَخْتَلِفُ عَلَى القِرْمِ وَتُعَاوِدُها بِالحِصَارِ إِلى أَنْ مَلَكَهَا، وَظَفِرَ بِأَغْلَان[ج] بِلَاط فَقَتَلَه.

وَكَان السُّلْطَانُ تِيمُورُ، بَعْدَ فَرَاغِه مِنْ حَرْبِه[د] مَعَ طَقْطَمُش، سَارَ إِلى أَصْفَهَانَ

(أ) سقط من س، وفيه: وسار. (ب) سقط ما بين النجمين من س. (ج) في س: أغلان. (د) من حربه: سقط من س.

---

(1) ينظر ما سبق ص 658.

فَمَلَكَهَا، ثُمَّ تَخَطَّى إلى فَارِسَ فَمَلَكَهَا أيضاً، وَاسْتَوْعَبَ مُلُوكَ بَني المُظَفَّر بالنَّاحِيَتَيْنِ بالقَتْلِ، وَانْتَظَمَ أَعْمَالَهم جَمِيعاً في مِلْكَتِه، ثُمَّ زَحَفَ إلى بَغْدَادَ فَمَلَكَهَا مِنْ يَدِ أَحْمَدَ بنِ أُوَيس سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِين، كَمَا مَرَّ ذِكْرُه.

وَلَحِقَ أَحْمَدُ بالسُّلْطَانِ الظَّاهِرِ صَاحِبِ مِصْرَ(أ) مُسْتَصْرِخاً بِه، فَخَرَجَ مَعَه في العَسَاكِرِ، وَانْتَهَى إلى الفُرَاتِ، وَقَدْ سَارَ تَيْمُورُ عَنْ بَغْدَادَ إلى مَارِدِينَ فَحَاصَرَهَا وَمَلَكَهَا، وَامْتَنَعَتْ عَلَيه قَلْعَتُهَا فَعَاجَ مِنْ هُنَالِكَ إلى حُصُونِ الأَكْرَادِ، وَمَرَّ بِهَا إلى بِلَادِ الأَرْمَن، ثُمَّ إلى بِلَادِ الرُّوم، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ صَاحِبُ مِصْرَ(ب) العَسَاكِرَ مَدَداً لابنِ أُوَيس، فَسَارَ إلى بَغْدَادَ وَبِهَا شِرْذِمَةٌ مِنْ عَسْكَرِ تَيْمُور فَمَلَكَهَا مِنْ أَيْدِيهم، وَرَجَعَ المَلِكُ الظَّاهِرُ إلى مِصْرَ وَقَدْ أَطَلَّ الشِّتَاءُ، وَرَجَعَ تَيْمُورُ إلى نَوَاحِي أَعْمَالِه، فَأَقَامَ في عَمَلِ قَرَابَاغ، مَا بَيْنَ أَذْرَبِيجَانَ وَهَمَذَانَ وَالأَبْوَابِ.

[433 ب] ثُمَّ بَلَغَ الخَبَرُ بِأَنَّ تَيْمُورَ سَارَ مِنْ مَكَانِه ذَلِكَ إلى مُحَارَبَةِ طَقْطُمُش، / وَعُمِّيَتْ أَنْبَاؤُهم مُدَّةً، ثُمَّ بَلَغَ الخَبَرُ آخِرَ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ بِأَنَّ السُّلْطَانَ تَيْمُورَ ظَفِرَ بِطَقْطُمُش [وَقَتَلَه](ج) وَاسْتَوْلَى عَلَى سَائِرِ أَعْمَالِه. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [سورة يوسف من الآية 21].

مُلُوكُ غَزْنَة وبَامِيَان من بَنِي دُوشِي خَان

كَانَتْ أَعْمَالُ غَزْنَة وَبَامِيَانَ هَذه قَدْ صَارَتْ لِدُوشِي خَان، وَهِي مِنْ أَعْمَالِ مَا

(أ)، (ب) صاحب مصر: سقط من س. (ج) من س، وفي ظ بياض.

وَرَاءَ النَّهْرِ مِنْ جَانِبِ الْجَنُوبِ، وَتُتَاخِمُ سِجِسْتَانَ وَبِلَادَ الهِنْدِ، وَكَانَتْ فِي مِلْكَةِ بَنِي خُوَارِزْم شَاه، فَمَلَكَهَا الطَّطَرُ لأَوَّلِ خُرُوجِهِم مِنْ أَيْدِيهِم، وَمَلَّكَهَا جِنْكِزْ خَان لابْنِه دُوشِي خَان، وَصَارَتْ لابْنِه أُرْدِنُو، ثُمَّ لابْنِه أَقْبَجِي بن أُرْدِنُو بن دُوشِي خَان، وَهَلَكَ عَلَى رَأْسِ المِائَةِ السَّابِعَةِ وَخَلَّفَ مِنَ الوَلَدِ: بَيَاناً، وَكَبْلَك، وَمُنْغُطَاي، وَانْقَسَمَتِ الأَعْمَالُ بَيْنَهم، وَكَانَ كَبِيرُهم بَيَانٌ فِي غَزْنَةَ، وَقَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَ [أَقْبَجِي][1] ابْنُه كَبْلَك، وَانْتَقَضَ عَلَيْه أَخُوه بَيَانٌ، وَاسْتَمَدَّ بِطَقْطَاي صَاحِبِ صَرَاي، فَأَمَدَّه بِأَخِيه بُزْلُك، وَاسْتَنْجَدَ كَبْلَك بِقَبْذُو، فَأَمَدَّه وَلَم يُغْنِ عَنْه، وَانْهَزَمَ وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِ مِائَة، وَاسْتَوْلَى بَيَانٌ عَلَى الأَعْمَالِ وَأَقَامَ بِغَزْنَة، وَزَحَفَ إِلَيْه قُوشْتَاي ابنُ أَخِيه كَبْلَك، وَاسْتَمَدَّ بِقَبْذُو، وَغَلَبَ عَمَّه[أ] بَيَاناً عَلَى غَزْنَة، وَلَحِقَ بَيَانٌ بِطَقْطَاي، وَاسْتَقَرَّ قُوشْتَاي بِغَزْنَة، وَيُقَالُ: إِنَّ الَّذِي غَلَبَ بَيَانَا إِنَّمَا هُوَ أَخُوه مُنْغُطَاي.

وَلَم نَقِفْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِهِم[2].

(أ) في س: على عمه.

---

(1) في الأصول: أقبجون، والتصويب مما سبق.

(2) نهاية ما وجد من نسخة س.

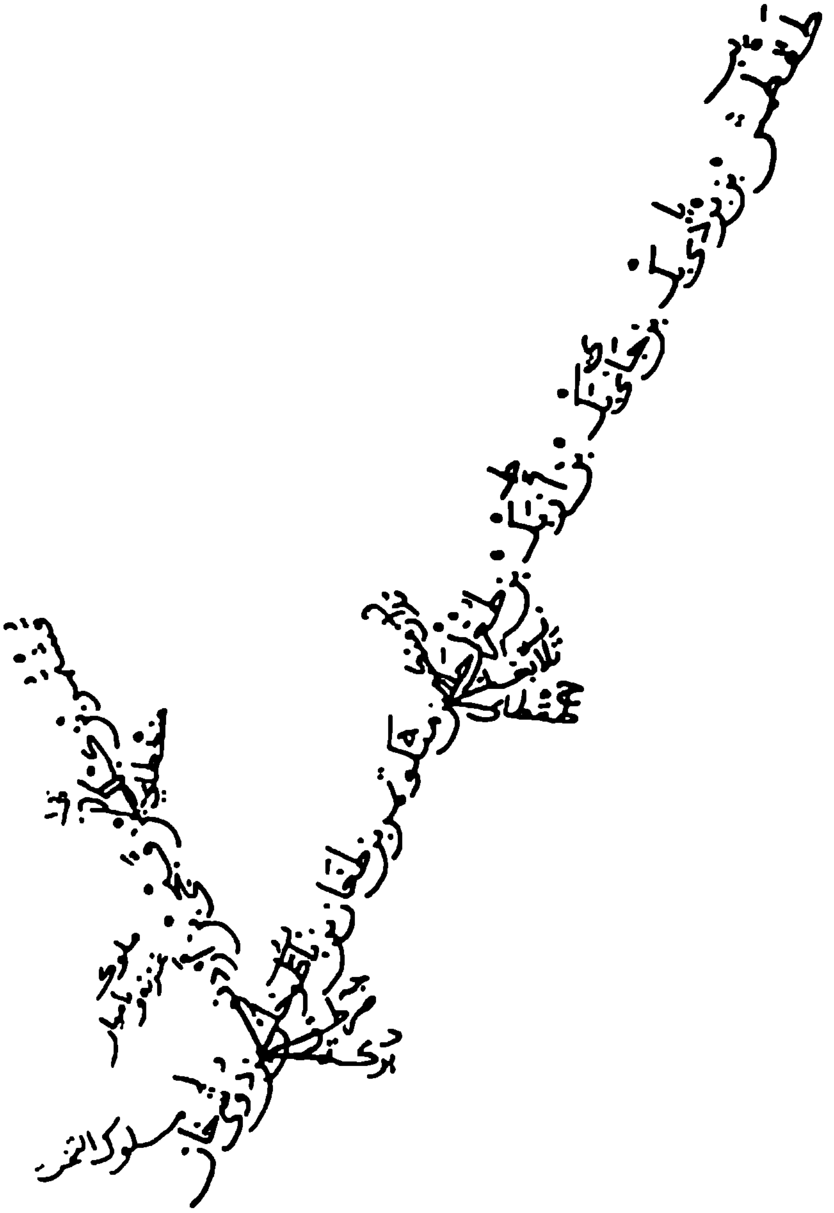

[مشجّر نَسب بني دوشي خان ملوك الططر في خوارزم ودشت القفجاق بالشمال]

[434 ب]

/دَوْلَةُ بَنِي هُولاوُو مُلُوكِ الطَّطَرِ بالعِرَاقَيْنِ وخُرَاسَانَ ومَبَادِئُ أُمُورِهِم وتَصَارِيفُ أَحوالِهِم

قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ جِنْكِزْ خَان عَهِدَ بِالتَّخْتِ، وَهو كُرْسِيُّ المُلْكِ بِقَرَاقُرُوم، لابنِه أُوكْدَاي، ثُمَّ وَرِثَه مِنْ بَعْدِه ابْنُه كَيُوك بنُ أُوكْدَاي، وَأَنَّ الفِتْنَةَ وَقَعَتْ بَيْنَه وَبَيْنَ صَاحِبِ الشَّمَالِ مِنْ بَنِي جِنْكِزْ خَان، وَهُوَ بَاطُو بنُ دُوشِي خَان صَاحِبُ التَّخْتِ بِصَرَايْ، وَسَارَ إِلَيْه فِي جُمُوعِ المُغُلِ وَالطَّطَرِ، وَهَلَكَ فِي طَرِيقِه، وَسَلَّمَ المُغُلُ الذِين مَعَه التَّخْتَ لِبَاطُو، فَامْتَنَعَ مِنْ مُبَاشَرَتِه بِنَفْسِه، وَبَعَثَ إِلَيْه أَخَاه مَنْكُوقَان، وَبَعَثَ مَعَه بِالعَسَاكِرِ أَخَوَيْه الآخَرَيْنِ: قُبْلاي وَهُولَاوُو، وَمَعَهُمَا أَخُوهُمَا بَرَكَةُ لِيُجْلِسَه عَلَى التَّخْتِ، فَأَجْلَسَه سَنَةَ خَمْسِين، وَذَكَرْنَا سَبَبَ إِسْلام بَرَكَةَ عِنْدَ مَرْجِعِه، وَأَنَّ مَنْكُوقَان اسْتَقَلَّ بِالتَّخْتِ وَوَلَّى بَنِي جَغْطَاي بنِ جِنْكِزْ خَان عَلَى بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، امْضَاءً لِوَصِيَّةِ جِنْكِزْ خَان، وَبَعَثَ أَخَاه هُولَاوُو لِفَتْحِ عِرَاقِ العَجَمِ وَقِلَاعِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ - وَيُسَمُّونَ المَلَاحِدَةَ - وَالاسْتِيلاءِ عَلَى مَمَالِكِ الخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ[1].

هُولاوُو[أ] بنُ طُولِي

وَلَمَّا بَعَثَ مَنْكُوقَان أَخَاه هُولَاوُو إِلى العِرَاقِ، فَسَارَ لِذَلِكَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَة، وَفَتَحَ الكَثِيرَ مِنْ قِلَاعِهِم[2]، وَضَيَّقَ بِالحِصَارِ مُخَنَّقَهم، وَوَلِيَ

(أ) يرسمه في المشجّر من نسخة س: هولاوو ايضاً.

---

(1) ينظر ما سبق ص 606 - .

(2) المقصود قلاع الإسماعيلية، ينظر زبدة الفكرة 8.

خِلَالَ ذَلِكَ فِي كُرْسِيِّ صَرَايِ بِالشَّمَالِ بَرَكَةُ بْنُ بَاطُو بن دُوشِي خَان، فَتَجَدَّدَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَه وَبَيْنَ هُولَاوُو، وَنَشَأَتِ الحَرْبُ، وَسَارَ بَرَكَةُ وَمَعَه [نُوغَيْه][1] بْنُ طَطَر بن مُغُل بن دُوشِي خَان، وَالتَقَوْا عَلَى نَهْرِ تِرْك، وَقَدْ جَمُدَ مَاؤُه لِشِدَّةِ البَرْدِ، وَانْخَسَفَ مِنْ تَحْتِهِم، فَانْهَزَمَ هُولَاوُو، وَهَلَكَ عَامَّةُ عَسْكَرِه[2]، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَسْبَابَ الفِتْنَةِ بَيْنَهُمَا.

ثُمَّ رَجَعَ هُولَاوُو إِلَى بِلَادِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَقَصَدَ قَلْعَةَ المَوْتِ، وَبِهَا صَاحِبُهَا عَلَاءُ الدِّين، فَبَلَغَه فِي طَرِيقِه وَصِيَّةٌ مِنَ ابنِ العَلْقَمِيِّ، وَزِيرِ المُسْتَعْصِم بِبَغْدَادَ، فِي كِتَابِ / ابنِ الصَّلَايَا، صَاحِبِ إِرْبِل، يَسْتَحِثُّه لِلمَسِيرِ إِلَى بَغْدَادَ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْه أَمْرَهَا، بِمَا [435أ] كَانَ ابنُ العَلْقَمِي رَافِضِيّاً هُوَ وَأَهْلُ [مَحَلَّتِه][3] بِالكَرْخِ[4]، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِم أَهْلُ السُّنَّةِ، وَتَمَسَّكُوا بِابنِ الخَلِيفَةِ وَالدَّوَادَار، فَظَاهَرُوهم، وَأَوْقَعُوا بِأَهْلِ الكَرْخِ، وَغَضِبَ لِذَلِكَ ابنُ العَلْقَمِي، وَدَسَّ إِلَى [ابنِ][5] الصَّلَايَا بِإِرْبِل، وَكَانَ صَدِيقاً لَه، بِأَنْ يَسْتَحِثَّ الطَّطَرَ لِمُلْكِ بَغْدَادَ، وَأَسْقَطَ عَامَّةَ الجُنْدِ، يُمَوِّهُ بِأَنَّهُ يُصَانِعُ الطَّطَرَ بِعَطَايَاهم، وَسَارَ هُولَاوُو إِلَى بَغْدَادَ، وَاسْتَنْفَرَ بِيجُو مُقَدَّمَ الطَّطَرِ بِبِلَادِ الرُّومِ فِيمَن كَانَ مَعَه مِنَ العَسَاكِرِ، فَامْتَنَعَ أَوَّلاً ثُمَّ أَصْحَبَ وَسَارَ إِلَيْه[6].

وَلَما أَطَلَّ هُولَاوُو عَلَى بَغْدَادَ فِي عَسَاكِرِه بَرَزَ لِلِقَائِهِم أَيْبَك الدَّوَادَار فِي عَسَاكِرِ المُسْلِمِين، فَهَزَمُوا عَسَاكِرَ الطَّطَرِ أَوَّلاً، ثُمَّ تَرَاجَعَ الطَّطَرُ فَهَزَمُوهم، وَاعْتَرَضَهم

---

(1) في الأصول: نوغاي، والتصويب هنا وفيما يلي مما سبق ص 674.

(2) زبدة الفكرة 17، وينظر ما سبق ص 643.

(3) في الأصول: محلية، وعدلناه من زبدة الفكرة 39، بما يتفق مع السياق.

(4) الكرخ: محلة كبيرة بالجانب الغربي من بغداد، زبدة الفكرة 39، معجم البلدان: 4: 448.

(5) إضافة مما سبق.

(6) نهاية الأرب 27: 381.

دُونَ بَغْدَاذَ بِثُوقٍ انْبَثَقَتْ فِي لَيْلَتِهِم تِلْكَ مِنْ دِجْلَةَ فَحَالَتْ دُونَها فَقُتِلُوا أجْمَعِين، وَهَلَكَ أيْبَكُ الدَّوَادَار، وَأُسِرَ الأُمَرَاءُ الذِين مَعَه، وَرَجَعُوا إلى البَلَدِ فَحَاصَرُوهَا مُدَّة، ثُمَّ اسْتَأْمَنَ ابنُ العَلْقَمِيِّ لِلمُسْتَعْصِمِ وَلِنَفْسِه، وَخَادَعَه بِأنَّ هُولَاوُو يَسْتَبْقِيه، فَخَرَجَ إلَيْه فِي مَوْكِبٍ مِنَ الأعْيَانِ وَالفُقَهَاءِ، وَذَلِكَ فِي مُحَرَّمِ سِتٍّ وَخَمْسِين، وَتَقَبَّضَ عَلَى المُسْتَعْصِمِ، فَشُدِخَ بِالعُمُدِ فِي عِدْلٍ[1] لِتَجَافِيهِم عَنْ سَفْكِ دَمِه بِزَعْمِهِم.

وَيُقَالُ: إنَّ الَّذِي أُحْصِيَ فِيها مِنَ القَتْلَى ألْفُ ألْفٍ وَثَلَاثُ مِائَةِ ألْفٍ، وَاسْتَوْلَوْا مِنْ قُصُورِ الخِلَافَةِ وَذَخَائِرِهَا عَلَى مَا لَا يَحْصُرُه العَدَدُ وَالضَّبْطُ، وَأُلْقِيَتْ كُتُبُ العِلْمِ التِي كَانَتْ بِخِزَانَتِهِم فِي دِجْلَة، مُقَابَلَةً، بِزَعْمِهِم، لِمَا فَعَلَه المُسْلِمُونَ بِكُتُبِ الفُرْسِ عِنْدَ فَتْحِ المَدَائِن، وَاعْتَزَمَ هُولَاوُو عَلَى إضْرَامِ بُيُوتِها نَاراً، فَلَمْ يُوَافِقْه أهْلُ مَمْلَكَتِه، وَاسْتَبْقَى ابنَ العَلْقَمِيِّ عَلَى الوِزَارَةِ، وَالرُّتْبَةُ سَاقِطَةٌ عِنْدَهم، فَلَمْ يَكُنْ قُصَارَى أمْرِه إلَّا الكَلَامَ فِي الدَّخْلِ وَالخَرْجِ مُتَصَرِّفاً مِنْ / [435ب] تَحْتِ آخَرَ، أقْرَبُ إلَى هُولَاوُو مِنْه، فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً ثُم اضْطَرَبَ وَقَتَلَه هُولَاوُو.

ثُمَّ بَعَثَ هُولَاوُو، بَعْدَ فَتْحِ بَغْدَاذَ، بِالعَسَاكِرِ إلَى مَيَّافَارِقِين، وَبِها الكَامِلُ مُحَمَّدُ بنُ غَازِي بن العَادِل، فَحَاصَرُوهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى جَهَدَ أهْلَهَا الحِصَارُ، ثُم افْتَتَحُوهَا عَنْوَةً وَاسْتَلْحَمُوا حَامِيَتَها[2].

ثُمَّ بَعَثَ إلَيْه بَدْرُ الدِّين لُؤْلُؤٌ، صَاحِبُ المَوْصِلِ، ابْنَه رُكْنَ الدِّين إسْمَاعِيل

(1) وأُحضر إلى هولاوو فأمر بأن يُجعل في عدل ويُداس بالأرجل حتى يموت. زبدة الفكرة 37.
(2) سنة 658 هـ. نهاية الأرب 27: 383.

بِالطَّاعَةِ وَالهَدِيَّةِ فَتَقَبَّلَه، وَبَعَثَه إلى القَان الأعْظَم مَنْكُوقَان بِقَرَاقُرُوم، مِنْ نَوَاحِي الصِّين، وَأبْطَأ عَلَى لُؤْلُؤ خَبَرُه، فَبَعَثَ وَلَدَيْه الآخَرَيْنِ: سَيْفَ الدِّين إسْحَاق وَعَلاءَ الدِّين بِهَدِيَّةٍ أُخْرَى، وَرَجَعُوا إلَيْه بِخَبَرِ ابْنِه وَقُرْبِ إيَابِه، فَتَوَجَّهَ لُؤْلُؤ بِنَفْسِه إلى هُولاَوُو وَلَقِيَه بِأذْرَبِيجَان، وَحَضَرَ حِصَارَ مَيَّافَارِقِين، وَجَاءَه ابْنُه رُكْنُ الدِّين مِنْ عِنْدِ مَنْكُوقَان بِوِلاَيَة المَوْصِلِ وَأعْمَالِهَا، ثُمَّ هَلَكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِين، وَوَلِيَ ابْنُه رُكْنُ الدِّين إسْمَاعِيلُ وَتَلَقَّبَ الصَّالِحَ[1].

وَبَعَثَ هُولاَوُو عَسْكَراً إلى إرْبِل، وَبِهَا ابنُ الصَّلاَيَا، فَحَاصَرُوهَا سِتَّةَ أشْهُرٍ وَامْتَنَعَتْ، فَأفْرَجَتْ عَنْهَا العَسَاكِرُ، فَاغْتَنَمَ ابنُ الصَّلاَيَا الفُرْصَةَ، وَنَزَلَ عَنْهَا لِشَرَفِ الدِّين الكُرْدِيِّ، وَلَحِقَ بِهُولاَوُو، فَقَتَلَه[2].

وَكَانَ صَاحِبَ الشَّام يَوْمَئِذٍ النَّاصِرُ يُوسُفُ بنُ العَزِيزِ مُحَمَّدِ بنِ الظَّاهِرِ غَازِي بنِ صَلاَحِ الدِّين، فَلَمَّا بَلَغَه اسْتِيلاءُ هُولاَوُو عَلَى بَغْدَادَ بَعَثَ إلَيْه ابْنَه مُحَمَّداً بِالهَدَايَا وَالمُصَانَعَة، وَالعُذْرِ عَنِ الوُصُولِ بِنَفْسِه، لِمَكَانِ الفِرَنْجِ مِنْ سَوَاحِلِ الشَّام، فَقَبِلَ هَدِيَّتَه وَعُذْرَه، وَرَجَعَ ابْنُه بِالمَوَاعِدِ[3].

وَلَمَّا تَمَّ لِهُولاَوُو الاسْتِيلاءُ عَلَى الجَزِيرَة وَدِيَارِ بَكْر وَدِيَارِ رَبِيعَة، وَانْتَهَى مُلْكُه إلى الفُرَاتِ وَتَاخَمَ الشَّامَ، عَبَرَ الفُرَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ فَمَلَكَ البِيرَةَ، وَوَجَدَ بِهَا السَّعِيدَ أخَا النَّاصِرِ بنَ العَزِيز مُعْتَقَلاً، فَأطْلَقَه وَرَدَّه إلى عَمَلِه بِالصُّبَيْبَةِ وَبَانِيَاس، ثُمَّ

(1) زبدة الفكرة 42، 46، نهاية الأرب 27: 384، وينظر ما سبق ص 228.

(2) زبدة الفكرة 43.

(3) زبدة الفكرة 43، نهاية الأرب 27: 385، وينظر ما سبق ص 229.

سارَ إلى حلَبَ فحاصَرها وافْتتَحَها / عَنْوةً، واسْتَباحَها سَبْعًا، واعْتَصَمَ نائِبُها المُعَظَّمُ تُورانشاه بنُ صَلاحِ الدّينِ يُوسُفَ بالقَلْعَةِ، فحاصَرها مُدَّةً ثُمّ مَلَكَها، ومَنَّ علَيْه وأطْلَقَه، ووَجَدَ بها المُعْتَقَلِينَ مِنَ البَحْرِيَّةِ مَمالِيكَ الصّالِحِ أيُّوبَ، الذِينَ حَبَسَهُمُ النّاصِرُ، وهُم: سُنْقُرُ الأشْقَرُ، وشُكُرُ، وبَرامِقُ، فأطْلَقَهم، وكانَ مَعَهم أميرٌ مِنْ أكابِرِ القَفْجاقِ لَحِقَ بِه واسْتُخْدِمَ لَه، فَجَعَلَهم مَعَه، ووَلَّى [علَى][1] البِلادِ التي مَلَكَها مِنَ الشّامِ[2]. [436ا]

ثُمّ جَهَّزَ العَساكِرَ إلى دِمَشْقَ، وارْتَحَلَ النّاصِرُ إلى مِصْرَ، ورَجَعَ عَنه الصّالِحُ ابنُ الأشْرَفِ، صاحِبُ حِمْصَ، إلى هُولاَوُو فوَلاّه دِمَشْقَ، وجَعَلَ نُوّابَه بها لِنَظَرِه، وبَلَغَ النّاصِرُ إلى [قَطْنا][3]، ثُمّ توَجَّسَ الخِيفَةَ مِن قُطُز سُلْطانِ مِصْرَ، لِما كانَ بَيْنَهما مِنَ الفِتْنَةِ، فَخَرَجَ إلى البَرِّيَّةِ ولَحِقَ بهُولاَوُو، فأقْبَلَ علَيْه، واسْتَشارَه في إنْزالِ الكَتائِبِ بالشّامِ حامِيَةً، فهَوَّنَ علَيْه الأمْرَ في عَساكِرِ مِصْرَ، ورَجَعَ إلى رَأيِه في ذلِكَ، وتَرَكَ نائِبَه كُتْبُغا، مِنْ أُمَراءِ الطَّطَرِ، في خِفٍّ مِنَ الجُنُودِ، فبَعَثَ كُتْبُغا إلى سُلْطانِ مِصْرَ، وأساءَ رُسُلُه، بِمَجْلِسِ السُّلْطانِ، في الخِطابِ بِطَلَبِ الطّاعَةِ، فقَتَلَهم، وسارَ إلى الشّامِ فلَقِيَ كُتْبُغا بِعَيْنِ جالُوت، فانْهَزَمَتْ عَساكِرُ الطَّطَرِ، وقُتِلَ أمِيرُهم كُتْبُغا، والسَّعِيدُ صاحِبُ الصُّبَيْبَة، أخُو النّاصِرِ، كانَ حاضِرًا معَ الطَّطَرِ فتُقُبِّضَ علَيْه وقُتِلَ صَبْرًا[4].

ثُمّ بَعَثَ هُولاَوُو العَساكِرَ إلى البِيرَةِ، والسَّعِيدُ بنُ لُؤلُؤ علَى حلَبَ، ومَعَه طائِفَةٌ مِنَ العَسْكَرِ، فَبَعَثَ بَعْضَهم لِمُدافَعَةِ الطَّطَرِ، فانْهَزَمُوا وحَنَقَ الأُمَراءُ علَى

---

(1) إضافة تتفق مع السياق، وينظر زبدة الفكرة 48.

(2) زبدة الفكرة 48 – 49، وينظر ما سبق ص 231.

(3) في الأصول: قطيا، ولم نعرفها، ونرجح أنها قطنا قرية من قرى دمشق وتقدمت قطنة.

(4) زبدة الفكرة 50 – 51، نهاية الأرب 27: 390 – 391، وينظر ما سبق ص 264.

السَّعِيدِ بن لُؤْلُؤ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَحَبَسُوه، وَوَلَّوْا عَلَيهم حُسَامَ الدِّين بن الجُوكَنْدَار، وَزَحَفَ الطَّطَرُ إِلى حَلَب، فَأَجْفَلَ عَنها إلى حَمَاة، وَاجْتَمَعَ مَعَ صَاحِبِها المَنْصُور، عَلَى حِمْص، وَزَحَفُوا إِلى الطَّطَرِ فَهَزَمُوهم، وَسَارَ الطَّطَرُ إِلى فَامِيَةَ فَحَاصَرُوهَا يَوماً، وَارْتَحَلُوا إِلى بِلَادِهِم.

وَبَلَغَ الخَبَرُ إِلى هُولَاوُو، فَقَتَلَ النَّاصِرَ صَاحِبَ دِمَشْق، لاتِّهَامِه إِيَّاه فِيمَا أَشَارَ بِه مِنَ الاسْتِهَانَةِ بِأَهْلِ مِصْرَ[1].

وَكَان هُولَاوُو لَمَّا افْتَتَحَ الشَّامَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِين، بَلَغَه مَهْلِكُ أَخِيه القَان الأَعْظَم مَنْكُوقَان فِي مَسِيرِه إِلى غَزْوِ بِلَادِ الخِطَا، فَطَمِعَ فِي القَانِيَّة، وَبَادَرَ لِذَلِك، فَوَجَدَ أَخَاه الآخَرَ قَبْلاي قَدِ اسْتَقَرَّ فِيها، بَعْدَ حَرْبٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيه [أَرْبِكَان][2]، تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا / فِي أَخْبَارِ القَان الأَعْظَم، فَشُغِلَ بِذَلِك عَنْ أَمْرِ الشَّام[3]. [436 ب]

ثُمَّ لَمَّا يَئِسَ مِنَ القَانِيَّة قَنِعَ بِمَا حَصَلَ فِي يَدِه مِنَ الأَقَالِيمِ وَالأَعْمَالِ، وَرَجَعَ إِلى بِلَادِه، وَالأَقَالِيمُ التِي حَصَلَتْ بِيَدِه يَوْمَئِذٍ هِي كَمَا نَذْكُرُ:

- إِقْلِيمُ خُرَاسَان: كُرْسِيُّه نَيْسَابُور، وَمِنْ مُدُنِه: طُوس، وَهَرَاةُ، وَتِرْمِذ، وَبَلْخ، وَهَمَذَانُ، وَنَهَاوَنْد، وَكَنْجَة.
- عِرَاقُ العَجَم: كُرْسِيُّه أَصْفَهَان، ومِنْ مُدُنِه: قَزْوِين، وَقُمُّ، وَقَاشَان، وَشَهْرَزُور، وَسِجِسْتَانُ، وَطَبَرِسْتَان، وَكِيلَان، وَبِلَادُ الإِسْمَاعِيلِيَّة.

---

(1) زبدة الفكرة 52 – 53.

(2) في الأصول: أرى بك، والتصويب مما سبق، ينظر ص 647.

(3) زبدة الفكرة 55 – 56، وينظر ما سبق ص 647.

- عِرَاقُ العَرَبِ: كُرْسِيُّه بَغْدَاد، وَمِنْ مُدُنِه: وَاسِط، وَالدِّينَوَر، وَالكُوفَة، وَالبَصْرَة.
- أَذْرَبِيجَانُ: كُرْسِيُّها تورِيزُ(1)، وَمِنْ مُدُنِهَا: خَرَاي، وَسَلْمَاس، وَنَقْجُوَان.
- خُوزِسْتَانُ(2): كُرْسِيُّها شُشْتَر، وَمِنْ مُدُنِهَا: الأَهْوَاز، وَغَيْرُهَا.
- فَارِسُ: كُرْسِيُّها شِيرَاز، ومِنْ مُدُنِهَا: كِيش، وَنُعْمَان، وَكَازَرُون، وَالبَحْرِين.
- دِيَارُ بَكْرٍ: كُرْسِيُّها المَوْصِلُ، وَمِنْ مُدُنِهَا: مَيَّافَارِقِين، وَنَصِيبِين، وَسِنْجَار، وَأَسْعَرْد، [وَرَأْسُ العَيْنِ](3)، وَدُنَيْسَر، وَحَرَّان، وَالرُّهَا، وَجَزِيرَةُ ابنِ عُمَر.
- بِلَادُ الرُّومِ: كُرْسِيُّها قُونِيَة، وَمِنْ مُدُنِهَا: مَلَطْيَة، وَأَقْصَرَا، وَأَرْزِنْكَان، وَسِيوَاس، وَأَنْطَاكِيَة، وَالعَلَايَه(4).

ثُمَّ جَاءَ أَحْمَدُ الحَاكِمُ خَلِيفَةً، فَزَحَفَ إِلى بَغْدَادَ، وَهَذا الحَاكِمُ هُو عَمُّ المُسْتَعْصِمِ، لَحِقَ بِمِصْرَ بَعْدَ الوَاقِعَةِ وَمَعَه الصَّالِحُ بنُ لُؤْلُؤ بَعْدَ أَنْ أَزَالَه الطَّطَرُ مِنَ المَوْصِل، فَنَصَّبَ الظَّاهِرُ بَيْبَرْسُ أَحْمَدَ هَذَا للخِلَافَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِين، وَبَعَثَه لاسْتِرْجَاعِ بَغْدَادَ، وَمَعَه الصَّالِحُ بنُ لُؤْلُؤ عَلَى المَوْصِلِ، فَلَمَّا أَجَازُوا الفُرَاتَ وَقَارَبُوا

(1) في نهاية الأرب 27: 392: تَوْرِيز هي تِبْرِيز.

(2) لم ترد في نهاية الأرب المطبوع.، ينظر 27: 392، معجم البلدان 2: 404.

(3) من زبدة الفكرة 56، ويذكر النويري أقاليم أخرى هي: أرزن الروم وأعمالها، مدينة التي وأعمالها . . .، وبلاد دانشمند. نهاية الأرب 27: 393.

(4) زبدة الفكرة 56.

بَغْدادَ، كَبَسَهم الطَّطَرُ مَا بَيْنَ هِيتَ وَعَانَة، فَقَتَلُوا الخَلِيفَةَ، وَفَرَّ ابنُ لُؤْلُؤ وَإِخْوتُه إلى المَوْصِلِ، فَنازَلَهم الطَّطَرُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ اقْتَحَمُوهَا عَنْوَةً وقَتَلُوا الصَّالِحَ(1).

وَخَشِيَ الظَّاهِرُ بَيْبَرْس غَائِلَةَ هُولاَوُو، وَكَانَ بَرَكَةُ، صَاحِبُ الشَّمَالِ، قَد بَعَثَ إلى الظَّاهِرِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ بِإسْلاَمِه، فَجَعَلَهَا الظَّاهِرُ وَسِيلَةً للوُصْلَةِ مَعه وَالاتِّحَادِ، وَأغْرَاه بِهُولاَوُو، لِمَا بَيْنَهما مِنَ الفِتْنَةِ، فَسَارَ بَرَكَةُ لِحَرْبِه، وَأَخَذَتِ الفِتْنَةُ بِحُجْزَتِه عَنِ الشَّام(2).

[437 أ] ثُمَّ بَعَثَ هُولاَوُو / عَسَاكِرَ الطَّطَرِ لِحِصَارِ البِيرَةِ، وَمَعَهم دِزِبَاي، مِنْ كِبَارِ أُمَرَاءِ المُغُلِ، وَأَرْدَفَه بِابْنِه أَبْغَا، وَبَعَثَ الظَّاهِرُ عَسَاكِرَه لإنْجَادِ أهْلِها، فَلَمَّا أَطَلُّوا عَلَى عَسْكَرِ دِزِبَاي وَعَايَنَهم، أَجْفَلَ وَتَرَكَ المُخَيَّمَ وَالآلَةَ وَلَحِقَ بِأَبْغَا مُنْهَزِماً، فَسَخِطَه وَاعْتَقَلَه(3).

ثُمَّ هَلَكَ هُولاَوُو سَنَةَ [ثَلاثٍ](4) وَسِتِّينَ وَسِتِّ مِائة، لِعَشْرِ سِنِينَ مِن وِلاَيَتِه العِرَاق.

أَبْغَا بنُ هُولاَوُو

وَلَمَّا هَلَكَ هُولاَوُو، وَلِيَ مَكَانَه ابْنُه أَبْغَا، وَسَارَ لأَوَّلِ وِلايَتِه لِحَرْبِ بَرَكَةَ صَاحِبِ الشَّمَالِ، فَسَرَّح إِلَيْه بَرَكَةُ العَسَاكِرَ مَعَ قَرِيبِه نُوغَيْه بنِ طَطَر بن مُغُل بن

---

(1) زبدة الفكرة 66 – 67.

(2) المصدر السابق 82 – 85.

(3) المصدر السابق 85.

(4) في الأصول: اثنين، والتصويب من زبدة الفكرة 99، وفيه: في تاسع ربيع الآخر، وورد في صبح الأعشى 4: 419 – 420: في تاسع عشر ربيع الآخر 683 هـ.

دُوشِي خَان، وَمَعَ بَسَنْتُو بن مَنْكُوقَان بن جَقْطَاي بن جِنْكِزْ خَان، وَخَامَ بَسَنْتُو عَنِ اللقَاءِ وَرَجَعَ مُنْهَزِماً، وَأَقْدَ[مَ] نُوغَيْه فَهَزَمَ أَبْغَا وَأَثْخَنَ فِي عَسَاكِرِه، وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُه بِذَلِكَ عِنْدَ بَرَكَة[1].

ثُمَّ بَعَثَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ عَسَاكِرَه مَعَ نَائِبِه دِزْبَاي لِحِصَارِ البِيرَةِ، وَعَبَرَ الظَّاهِرُ إِلَيْهِمُ الفُرَاتَ وَهَزَمَهم، وَقَتَلَ أَمِيرَيْنِ كَانَا مَعَ دِزْبَاي، وَلَحِقَ دِزْبَاي بِأَبْغَا مُنْهَزِماً، فَسَخِطَه وَأَدَالَ مِنْه بِأَبِطَاي[2].

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَحَفَ أَبْغَا إِلَى تَكُدَار بن مُوجِي بن جَقْطَاي بن جِنْكِزْ خَان، وَكَان صَاحِبَ [كُرْجِسْتَان][3]، فَاسْتَنْجَدَ بِابن عَمِّه بُرَاق بن بَسَنْتُو ابن مَنْكُوقَان بن جَقْطَاي، فَأَمَدَّه بِنَفْسِه وَعَسَاكِرِه، وَاسْتَنْفَرَ أَبْغَا عَسَاكِرَ بِلَادِ الرُّومِ، وَأَمِيرُهم صَمْغَار وَالبِرْوَانَاه، وَالتَقَى الجَمْعَانِ بِبِلَادِ الكُرْجِ، فَانْهَزَمَ تَكُدَار وَتَحَيَّزَ إِلَى جَبَلٍ هُنَاك، حَتَّى اسْتَأْمَنَ مِنْ أَبْغَا فَأَمَّنَه، وَعَهِدَ أَنْ لا يَرْكَبَ فَرَساً فَارِهاً[أ] وَلا يَمَسَّ قَوْساً[4].

وَنُمِيَ إِلَى أَبْغَا أَنَّ الظَّاهِرَ، صَاحِبَ مِصْرَ، سَارَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا العَسَاكِرَ مَعَ قَائِدَيْنِ مِنْ قُوَّادِ المُغُلِ، وَهما: تَدَاوُن[5] وَتُوقُو، فَسَارَا لِذَلِك.

(أ) ظ: فارحاً، ولعل الصواب ما ارتأيناه.

---

(1) زبدة الفكرة 100، نهاية الأرب 27: 361، 395 – 396، ويقارن بما سبق ص 673 - .

(2) زبدة الفكرة 137 – 138، وينظر نهاية الأرب 30: 333.

(3) في ظ: جستان، والتصويب مما سبق ص 657، وما يلي ص 702، وتعني بلاد الكُرج.

(4) زبدة الفكرة 141 - 142، وينظر نهاية الأرب 27: 396، 398.

(5) في نهاية الأرب 30: 351: تناون.

ثُمَّ زَحَفَ [الطَّطَرُ][1] سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ إلى نَوَاحِي الشَّامِ، وَمَعَهُمُ البِرْوَانَاه، وَسَارَ الظَّاهِرُ مِنْ مِصْرَ لِلِقَائِهِم، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ سُنْقُر الأَشْقَر، فَلَقِيَهم سُنْقُر في المُقَدِّمَةِ وَانْهَزَمَ، ثُمَّ التَقَى الجَمْعَانِ عَلَى [أَبُلُسْتَيْن][أ] / [437 ب] فَانْهَزَمَ الطَّطَرُ، وَاسْتُلْحِمُوا قَتْلاً وَأَسْراً، وَمَلَكَ الظَّاهِرُ قَيْسَارِيَّةَ مِنْ تُخُومِ بِلَادِهِم. وَبَلَغَ الخَبَرُ إلى أَبْغَا، فَجَاءَ بِنَفْسِهِ إلى مَوْضِعِ الهَزِيمَةِ وَعَايَنَ مَصَارِعَ قَوْمِهِ، وَلَم يَسْمَعْ ذِكْراً لأَحَدٍ مِنْ عَسْكَرِ البِرْوَانَاه أَنَّهُ صُرِعَ، فَاتَّهَمَهُ، وَبَعَثَ عَنْهُ بَعْدَ مَرْجِعِهِ إلى الأُرْدُو[2] فَقَتَلَهُ[3].

ثُمَّ سَارَ أَبْغَا سَنَةَ ثَمَانِينَ وَعَبَرَ الفُرَاتَ وَنَازَلَ الرَّحْبَةَ، وَبَعَثَ إلى صَاحِبِ مَارِدِينَ فَنَزَلَ مَعَهُ هُنَالِكَ، وَكَاتَبَ مَنْكُوتَمُر ابنَ أَخِي بَرَكَة، مَلِكَ صَرَاي، فَسَارَ بِعَسَاكِرِهِ مِنَ المُغُلِ وَحُشُودِ الكُرْجِ وَالأَرْمَنِ وَالرُّومِ وَالفِرِنْجِ، وَمَرَّ بِقَيْسَارِيَّةَ وَأَبُلُسْتَيْن، وَأَجَازَ الدَّرْبَنْدَ إلى حَمَاةَ فَنَازَلَهَا، وَبَعَثَ أَبْغَا إِلَيْهِ بِالعَسَاكِرِ مَعَ أَخِيهِ مَنْكُوتَمُر بنِ هُولَاوُو، وَأَقَامَ هُوَ عَلَى الرَّحْبَةِ، وَزَحَفَ [المَنْصُورُ قَلَاوُون][4] مِنْ مِصْرَ في عَسَاكِرِ المُسْلِمِينَ، فَلَقِيَهم [عَلَى حِمْصَ][5]، وَانْهَزَمَ الطَّطَرُ هَزِيمَةً شَنْعَاءَ هَلَكَ فِيهَا عَامَّةُ عَسَاكِرِهِم، وَأَجْفَلَ أَبْغَا مِنْ حِصَارِ الرَّحْبَةِ، وَهَلَكَ مَنْكُوتَمُر بنُ هُولَاوُو مَرْجِعَهُ مِنْ تِلْكَ الوَاقِعَةِ، يُقَالُ: مَسْمُوماً، وَأَنَّهُ مَرَّ بِبَعْضِ أُمَرَائِهِم بِالجَزِيرَةِ

(أ) في الأصول: إبلستان، وترد بعده صحيحة، وانظر معجم البلدان 1: 75.

---

(1) إضافة للتوضيح، ينظر ما سبق ص 299.

(2) الأردو: معناه بلغة الططر: المعسكر والمخيم. ورد هنا في النص لاحقاً.

(3) زبدة الفكرة 154 – 155، 157 – 158، نهاية الأرب 27: 396 – 397، وينظر ما سبق ص300.

(4) في الأصول: الظاهر، والتصويب مما سبق ص 313، وينظر زبدة الفكرة 195 - 196.

(5) في الأصول: بعين جالوت على حمص، ومن الواضح أن عين جالوت زائدة، ينظر ما سبق ص 303.

يُسَمَّى مُؤْمِنَ أغَا، كَانَ يَضْطَغِنُ لَه بَعْضَ الفِعْلاتِ فَسَقَاه سُمًّا عِنْدَ مُرُورِه بِه، وَهَرَبَ إلى مِصْرَ فَلَمْ يُدْرِكُوه، وَأَنَّهم قَتَلُوا أَبْنَاءَه وَنِسَاءَه[1].

ثُمَّ هَلَكَ أَبْغَا سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ بَعْدَهَا، وَيُقَالُ: مَسْمُوماً أيضاً عَلَى يَدِ وَزِيرِه الصَّاحِبِ شَمْسِ الدِّينِ الجُوَيْنِيِّ، وَكَانَ مُشِيرَ دَوْلَتِه وَكَبِيرَهَا، حَمَلَه الخَوْفُ عَلَى ذَلِكَ، فَاتُّقِيَ لَه[2].

تَكُدَارُ بنُ هُولاَوُو، وَيُسَمَّى أَحْمَد

وَلَمَّا تُوفِّيَ أَبْغَا كَمَا ذَكَرْنَاه، وَكَانَ ابْنُه [أَرْغُونُ][3] غَائِباً بِخُرَاسَان، فَبَايَعَ المُغَلُ لأَخِيه تَكُدَار[4]، فَأَسْلَمَ وَتَسَمَّى أَحْمَد، وَخَاطَبَ بِذَلِكَ المُلُوكَ لِعَصْرِه[5]، وَأَرْسَلَ إلى أَهْلِ مِصْرَ يُخْبِرُهم وَيَطْلُبُ مِنْهُمُ المُسَاعَدَةَ، وَجَاءَ بِذَلِكَ: قَاضِي سِيوَاس قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرَازِيّ، وَأَتَابِكُ بِلَادِ الرُّومِ، وَابنُ الصَّاحِبِ مِنْ وَرَاءِ مَارِدِين، وَكَانَ أَخُوه قُنْغُرْطاي بِبِلَادِ الرُّومِ مَعَ صُمْغَار الشِّحْنَة، فَبَعَثَ تَكُدَار عَنْ أَخِيه / فَامْتَنَعَ مِنَ [438ا] الإِجَابَة، وَأَجَارَه غِيَاثُ الدِّينِ كَيخُسْرُو[6] صَاحِبُ بَلَدِ الرُّوم، فَتَوَعَّدَه تَكُدَار فَخَافَ مِنْه، وَسَارَ هو وَقُنْغُرْطَاي إلى تَكُدَار، فَقَتَلَ أَخَاه قُنْغُرْطَاي وَحَبَسَ غِيَاثَ الدِّين

---

(1) زبدة الفكرة 194 – 201، نهاية الأرب 27: 399 – 400.

(2) زبدة الفكرة 217، نهاية الأرب 27: 400، صبح الأعشى 4: 420، وينظر ما سبق ص 315.

(3) في الأصول: أرغو، وتم الإكمال مما سبق في هذا الموضع والمواضع التالية.

(4) في صبح الأعشى 4: 420: بوكدار. في نهاية الأرب 27: 401: توكدار.

(5) ينظر نص خطابه إلى بغداد في نهاية الأرب 27: 402، وينظر ما سبق ص 316 – .

(6) في الأصول: غياث الدين بن كيخسرو، ينظر ما سبق ما يلي ص 701.

وَوَلَّى مَكَانه أَخَاه عِزَّ الدِّين، وَأَدَالَ مِنْ صُنغفارِ الشَّحْنَةِ بِأُولَاجُو، مِنْ أُمَرَاءِ المُغَلِ[1].

ثُمَّ جَهَّزَ العَسَاكِرَ إلى خُرَاسَانَ لِقِتَالِ أَرْغُونَ ابْنِ أَخِيه، فَسَارَ إِلَيْهِم أَرْغُونُ وَكَبَسَهم، وَهَزَمَهم وَفَتَكَ فِيهم، فَسَارَ تَكُدَارُ بِنَفْسِه فَهَزَمَ أَرْغُون وَأَسَرَه وَأَثْخَنَ فِي عَسَاكِرِه، وَقَتَلَ[2] اثْنَيْ عَشَرَ أَمِيراً مِنَ المُغَلِ، فَاسْتَوْحَشَ أَهْلُ عَسْكَرِه، وَكَانُوا يَنْقِمُونَ عَلَيْه اسْلَامَه، فَثَارُوا عَلَيْه وَقَتَلُوا نَائِبَه، ثُمَّ قَتَلُوه سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِين، وَبَعَثُوا إِلى أَرْغُونَ بنِ أَبْغَا بِطَاعَتِهِم[3].

أَرْغُونُ بنُ أَبْغَا

وَلَمَّا ثَارَ المُغَلُ عَلَى تَكُدَار وَقَتَلُوه، بَعَثُوا بِطَاعَتِهِم إلى أَرْغُون فَجَاءَ وَوَلَّوْه أَمْرَهم[4]، فَقَامَ بِسُلْطَانِه، وَقَتَلَ غِيَاثَ الدِّين كِيخُسْرو صَاحِبَ بِلَادِ الرُّومِ فِي مَحْبِسِه، اتَّهَمَهُ بِمُدَاخَلَتِه فِي قَتْلِ عَمِّه قُنْغُرْطَاي، وَتَقَبَّضَ لِأَوَّلِ وِلَايَتِه عَلَى الوَزِيرِ شَمْسِ الدِّين الجُوَيْنِيِّ، وَكَانَ مُتَّهَماً بِأَبِيه وَعَمِّه فَقَتَلَه، وَوَلَّى عَلَى وِزَارَتِه سَعْداً اليَهُودِيَّ المَوْصِلِي، وَلَقَّبَه سَعْدَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ عَالِماً بِالحِكْمَةِ، وَوَلَّى ابْنَيْه: غَازَان وَخُذَابَنْدَا عَلَى خُرَاسَانَ لِنَظَرِ نَيْرُوزَ أَتَابِكِه[5].

---

(1) زبدة الفكرة 218 – 219، وينظر نهاية الأرب 27: 402.

(2) أمسك من أكابر المغل اثني عشر أميراً وقيدهم وأهانهم. نهاية الأرب 27: 403.

(3) زبدة الفكرة 237 – 238، نهاية الأرب 27: 404.

(4) في نهاية الأرب 27: 404: في جمادى الأولى 682 هـ، وفي صبح الأعشى 4: 420: سنة 683.

(5) نهاية الأرب 27: 405 – 406: ويُرسم اسمُ أحد ابنيه في ظ: خُرَبَنْدا.

وَلَمَّا فَرَغَ مِن أُمورِ مُلْكِه، وَكَان قَدْ عَدَلَ عَنْ دِينِ الإِسْلامِ، وَاخْتَارَ دِينَ البَرَاهِمَة[1] مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَانْتِحَالِ السِّحْرِ وَالرِّيَاضَةِ لَه، وَفَدَ[أ] عَلَيْه بَعْضُ سَحَرَةِ الهِنْدِ، فرَكَّبَ لَه دَوَاءً لِحِفْظِ الصِّحَّةِ وَاسْتِدَامَتِها، فَأَصَابَه مِنْه صَرْعٌ، فَمَاتَ سَنَةَ تِسْعِين[2].

كيخاتو بن أبغا

وَلَمَّا هَلَكَ أَرْغُونُ بنُ أَبْغا، وَابْنَاه: غَازَانُ وَخربندا غَائِبَانِ بِخُرَاسَان، اجْتَمَعَ المُغُلُ عَلَى أَخِيه كِيخَاتُو[3] فَبَايَعُوه وَقَدَّمُوه لِلْمُلْكِ[4]، ثُمَّ سَاءَتْ سِيرَتُه وَأَفْحَشَ فِي المَنَاكِرِ، وَاسْتِبَاحَةِ المُحَرَّمَاتِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلغِلْمَانِ مِنْ أَبْنَائِهم، وَكَان فِي عَسْكَرِه بِيدُو ابْنُ عَمِّه [طُرْغَاي][5] بْنِ هُولَاوُو، فَاجْتَمَعَ إِلَيْه أُمَرَاءُ المُغُلِ وَبَايَعُوهُ / سِرّاً، وَشَعَرَ [438 ب] بِهم كِيخَاتُو فَفَرَّ مِنْ مُعَسْكَرِه إِلى جِهَةِ كُرْجِسْتَان، وَسَارُوا فِي أَثَرِه فَأَدْرَكُوه بِأَعْمَالِ مُوغَان، وَقَتَلُوه سَنَةَ ثَلاثٍ وَتِسْعِين[6]، لِثَلاثِ سِنِين وَأَشْهُرٍ مِنْ وِلايَتِه[7].

(أ) في الأصول: ووفد، حذفنا حرف العطف ليتحقق جواب لمّا فرغ...

(1) كان يدين بدين النجشية، وهي الطائفة المشهورة بعبادة الأصنام: في نهاية الأرب 27: 406.

(2) في زبدة الفكرة 284 – 285، صبح الأعشى 4: 420: في ربيع الأول.

(3) في صبح الأعشى 4: 420: كيختو.

(4) في نهاية الأرب 27: 406: في ربيع الأول 690 هـ.

(5) في الأصول: طراى، والتصويب مما يلي.

(6) في زبدة الفكرة 307: في ربيع الآخر 694 هـ. نهاية الأرب 27: 407، وورد في تاريخ ابن الفرات 8: 185، كنز الدرر 8: 356: سنة 693 هـ.

(7) زبدة الفكرة 306 – 307، نهاية الأرب 27: 407.

بِيدُو بنُ طُرْغَايِ بنِ هُولاوُو

وَلَما قَتَلَ أُمَرَاءُ المُغْلِ كَيخَاتُو بنَ أبغا، بَايَعُوا مَكَانَه لابْنِ عَمِّه [بِيدُو][1] بن طُرْغَاي بن هُولاوُو، وَكَان غَازَان بنُ أرْغُون بِخُرَاسَان، فَسَارَ لِحَرْبِ بِيدُو وَمَعَه الأَتَابِكُ نَيْرُوز، فَلَما تَقَارَبَا لِلقَاءِ تَرَدَّدَ النَّاسُ بَيْنَهما فِي الصُّلحِ، عَلَى أنْ يُقِيمَ نَيْرُوزُ الأَتَابِكُ عِنْدَ بِيدُو، فَاصْطَلَحَا، وَعَادَ غَازَانُ إلى خُرَاسَان، وَأَقَامَ نَيْرُوزُ عِنْدَ بِيدُو، وَدَاخَلَ أُمَرَاءَه وَعَسَاكِرَه فِي أَمْرِ غَازَان حَتَّى مَالُوا إلى طَاعَتِه، وَبَعَثَ إلى غَازَان يَسْتَحِثُّه، فَسَارَ مِنْ خُرَاسَان.

وَلَما بَلَغَ الخَبَرُ إلى بِيدُو، فَاوَضَ فِيه نَيْرُوزَ الأَتَابِكَ، فَقَالَ: أنَا أكْفِيكَهُ، فَسَرِّحْنِي إلَيْه، فَسَرَّحَه، وَلَما وَصَلَ إلى غَازَان أطْلَعَه عَلَى شَأْنِ أُمَرَاءِ بِيدُو وَأَنَّهم رَاغِبُونَ عَنْه، وَحَرَّضَه عَلَى المَسِيرِ، فَامْتَعَضَ[2] لِذَلِك بِيدُو، وَسَارَ لِلقَائِهِم، فَلَمَّا الْتَقَى الجَمْعَانِ انْتَقَضَ عَلَيْه أُمَرَاؤُه بِمُدَاخَلَةِ نَيْرُوز، فَانْهَزَمَ وَلَحِقَ بِنَوَاحِي هَمَذَان فَأُدْرِكَ هُنَالِك، وَقُتِلَ سَنَةَ [أَرْبَعٍ][3] وَتِسْعِين، لِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِنْ مُلْكِه[4].

غَازَان بنُ أرْغُون

وَلَما انْهَزَمَ بِيدُو وَقُتِلَ، مَلَكَ عَلَى المُغْلِ مَكَانَه غَازَانُ بنُ أرْغُون، فَتَرَكَ أَخَاهُ

---

(1) في الأصول: بيجو، والتصويب من العنوان ومما يلي.

(2) زبدة الفكرة 307، نهاية الأرب 27: 408.

(3) في الأصول: خمس، والتصويب من زبدة الفكرة 308، نهاية الأرب 27: 408، وهذا التصويب يتفق مع وفاة كيخاتو سنة 694 هـ، ينظر ما سبق ص 702: 6 هـ.

(4) زبدة الفكرة 307، نهاية الأرب 27: 408.

[خُدابَنْدا][أ] وَالِياً عَلَى خُرَاسَان، وَجَعَلَ نَيْرُوزَ الأَتَابِكَ مُدَبِّراً لِمَمْلَكَتِه، وَشَرَعَ لأَوَّلِ أَمْرِه في التَّدْبِيرِ عَلَى طُرْغَاي، مِنْ أُمَرَاءِ الأُويْرَاتِيَّة مِنَ المُغُلِ، الَّذِي دَاخَلَ بِيدُو في قَتْلِ عَمِّه كِيخَاتُو، وَتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِك، فَخَافَه طُرْغَاي عَلَى نَفْسِه، وَكَان نَازِلاً بَيْنَ بَغْدَادَ والمَوْصِلِ، فَبَعَثَ إلى كَتْبُغَا العَادِلِ، صَاحِبِ مِصْرَ وَالشَّام، يَسْتَأْذِنُه في اللَّحَاقِ بِه[1].

وَوَلَّى غَازَانُ عَلَى دِيَارِ بَكْر أَمِيراً مِنْ أَشْيَاعِه اسْمُهُ مُولَاي، وَأَمَرَه بِأَخْذِ الطُّرُقِ عَلَى طُرْغَاي، وَبَعَثَ بَعْضَ أُمَرَائِه للقَبْضِ عَلَيْه، وَأَحَسَّ / بِذَلِك، فَفَرَّ هُو [439أ] وَقَوْمُه، وَأَدْرَكَه مُولَاي فَهَزَمَه وَقَتَلَ الكَثِيرَ مِنْ أَصْحَابِه، وَنَجَا إِلى الشَّام، وَبَعَثَ كَتْبُغَا مَنْ تَلَقَّاه وَجَاءَ بِه إلى مِصْرَ، وَدَخَلَ مَجَالِسَ المُلْكِ، وَرَفَعَ مَجْلِسَه فِيها قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، وَاسْتَقَرَّ هُوَ وَقَوْمُهُ الأُوَيْرَاتِيَّةُ بِمِصْرَ وَأَقْطَعَ لَهم، وَكَان ذَلِكَ دَاعِياً إلى الفِتْنَةِ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ[2].

ثُمَّ قَتَلَ غَازَانُ الأَتَابِكَ نَيْرُوز، وَذَلِك أَنَّ الأَتَابِكَ نَيْرُوز اسْتَوْحَشَ مِنْ غَازَان وَكَاتَبَ لَاجِين سُلْطَانَ مِصْرَ والشَّامِ، المُتَوَلِّيَ بَعْدَ كَتْبُغَا، وَاطَّلَعَ غَازَانُ عَلَى كِتَابِه إِلَيْه[3]، فَأَوْعَزَ إلى نَائِبِه قَطْلُوشَاه بِأَنْ يَبْعَثَ العَسَاكِرَ في طَلَبِه، وَأَحَسَّ نَيْرُوزُ بِذَلِك، فَلَحِقَ بِهَرَاةَ مُسْتَجِيراً بِصَاحِبِها، وَهو فَخْرُ الدِّين بنُ شَمْس الدِّين كَرْت، صَاحِبُ سِجِسْتَان، فَقَبَضَ عَلَيْه فَخْرُ الدِّين وَأَسْلَمَه إلى قَطْلُوشَاه فَقَتَلَه، وَقَتَلَ غَازَان

(أ) في ط: خربندا.

(1) زبدة الفكرة 308، 309 – 310، نهاية الأرب 27: 409.

(2) ينظر ما سبق ص 342 – .

(3) فوقعت الأجوبة في يد غازان: في نهاية الأرب 27: 410.

ـ بَعْدَ ذَلِكَ ـ أَخَوَيْه بِبَغْدَادَ، وَهما: حَاجِي وَلُكْرِي، وَقَتَلَ [السَّفِيرَ][1] إِلَيْه بِالكُتُبِ مِنْ مِصْرَ[2].

ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَفَرُّ سَلَامِش بنِ أَفَاك بن [بِيجُو][3] إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ أَمِيراً فِي بِلَادِ الرُّومِ عَلَى الطُّومَانِ[4] المُجَمَّرِ فِيهَا، وَالطُّومَانُ عِنْدَهم عِبَارَةٌ عَنْ مِائَة أَلْفٍ مِنَ العَسَاكِرِ، وَبَلَغَه عَنْ غَازَان مَا ارْتَابَ بِه، فَأَرْسَلَ مُخْلِصٌ الرُّومِيُّ إِلَى لَاجِين صَاحِبِ مِصْرَ وَالشَّامِ يَسْتَأْذِنُه فِي اللَّحَاقِ بِه، وَبَعَثَ غَازَانُ العَسَاكِرَ إِلَيْه، وَقَاتَلُوه، وَانْتَقَضَ عَلَيْه أَكْثَرُ أَصْحَابِه، فَفَرَّ إِلَى مِصْرَ، وَنَزَلَ أَهْلَه وَوَلَدَه، وَبَعَثَ مَعَه صَاحِبُ مِصْرَ العَسَاكِرَ لِنُقْلَةِ أَهْلِه، وَمَرُّوا بِسِيس، فَاعْتَرَضَتْه عَسَاكِرُ الطَّطَرِ هُنَالِكَ فَهَزَمُوه، وَقَتَلُوا أَمِيرَ مِصْرَ الَّذِي هُوَ مَعَه، وَاعْتَصَمَ هُوَ بِبَعْضِ القِلَاعِ، فَاسْتَنْزَلُوه مِنْهَا، وَبَعَثُوا بِه إِلَى غَازَان فَقَتَلَه، وَأَقَامَ أَخُوه قُطْقُطُو بِمِصْرَ فِي جُمْلَةِ عَسَاكِرِهَا[5].

وَنَشَأَتْ بِهَذِه كُلِّهَا الفِتَنُ بَيْنَ غَازَان وَبَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ، وَنَزَعَ إِلَيْه أُمَرَاءُ الشَّامِ:
[439 ب] قَفْجَاقُ نَائِبُ دِمَشْق، وَبُلُكْتُمُرُ السِّلَحْدَار نَائِبُ حَلَب، وَأَلْبَكِي الظَّاهِرِيُّ، / وَعَزَّازٌ

---

(1) في الأصول: السفين، والتصويب يتفق مع السياق.

(2) زبدة الفكرة 318 - 319، نهاية الأرب 27: 410.

(3) في الأصول: بيختو، والتصويب من زبدة الفكرة 319، نهاية الأرب 27: 410.

(4) في زبدة الفكرة 319، نهاية الأرب 27: 410: التمان: فرقة من الجند يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل: ينظر صبح الأعشى 4: 423. وهذا مختلف عما أورده ابن خلدون في المتن.

(5) ينظر ما سبق ص 355 – .

الصَّالِحِي، اسْتَرَابُوا بِسُلْطَانِهِمُ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُون، فَلَحِقُوا بِهِ وَاسْتَحَثُّوهُ إلى الشَّام[1].

وَسَارَ [غَازَانُ][2] سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ فِي المُغْلِ وَالأَرْمَنِ، وَمَعَه نَائِبُه قَطْلُوشَاه وَجُوبَان، وَجَاءَ المَلِكُ النَّاصِرُ فِي عَسَاكِرِ المُسْلِمِين، وَلَمَّا انْتَهَى إلى غَزَّةَ اطَّلَعَ عَلَى تَدْبِيرِ بَعْضِ المَمَالِيكِ عَلَيْه مِنْ أَصْحَابِ كُتْبُغَا، وَمُدَاخَلَةِ الأُوَيْرَاتِيَّةِ، الذِينَ هَاجَرُوا مِنَ المُغْلِ إلى مَمْلَكَةِ مِصْرَ، لَهم فِي ذَلِكَ، فَشَنَقَ جَمِيعَهم، وَارْتَحَلَ إلى حِمْصَ لِلِقَاءِ الطَّطَرِ، ثُمَّ سَارَ فَصَبَّحَهم بِمَجْمَعِ المُرُوج. وَالتَقَى الجَمْعَانِ[3]، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى المُسْلِمِين، وَاسْتُشْهِدَ مِنْهم عَدَدٌ، وَنَجَا السُّلْطَانُ إلى مِصْرَ.

وَسَارَ غَازَانُ عَلَى التَّعْبِئَةِ فَمَلَكَ حِمْص، وَاسْتَوْعَبَ مَخْلَفَ السُّلْطَانِ فِيهَا، ثُمَّ تَقَدَّمَ إلى دِمَشْقَ فَمَلَكَ المَدِينَة، وَتَقَدَّمَ إلى قَفْجَاق بِجِبَايَةِ أَمْوَالِهَا وَبِحِصَارِ القَلْعَةِ، وَبِهَا عَلَاءُ الدِّين سَنْجَر المَنْصُورِيُّ فَامْتَنَعَ، وَهَدَمَ مَا حَوْلَهَا مِنَ العُمْرَانِ، وَفِيهَا دَارُ السَّعَادَةِ، الَّتِي بِه إِيوَانُ المُلْكِ، وَسَارَ غَازَانُ إلى حَلَبَ فَمَلَكَهَا، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْه القَلْعَةُ، وَعَاثَتْ عَسَاكِرُه فِي البِلَادِ، وانْتَهَتْ غَارَاتُهم إلى غَزَّةَ، وَلَمَّا امْتَنَعَتْ عَلَيْه القِلَاعُ ارْتَحَلَ عَائِداً إلى بِلَادِه، وَخَلَّفَ قَطْلُوشَاه فِي عَسَاكِرَ لِحِمَايَةِ البِلَادِ وَحِصَارِ القَلْعَةِ، وَيَحْيَى بنَ جَلَالَ الدِّين لِجِبَايَةِ الأَمْوَالِ، وَتَرَكَ قَفْجَاقَ عَلَى نِيَابَتِه بِدِمَشْق، وَبَكْتَمُرَ عَلَى نِيَابَةِ حَلَبَ وَحِمْص وَحَمَاة.

---

(1) زبدة الفكرة 319، نهاية الأرب 27: 410.

(2) إضافة للتوضيح.

(3) يوم الأربعاء ثامن عشرين شهر ربيع الأول: في زبدة الفكرة 331، نهاية الأرب 27: 411، 31: 384، وينظر ما سبق ص 357.

وَكَرَّ المَلِكُ النَّاصِرُ رَاجِعاً إلى الشَّامِ، بَعْدَ أَنْ جَمَعَ العَسَاكِرَ وَبَثَّ العَطَاءَ وَأَزَاحَ العِلَلَ، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ بَيْبَرْسُ الجَاشْنَكِيرُ وَسَلَّارُ، كَافِلاَ مَمْلَكَتِهِ. فَتَقَدَّمَا إلى حُدُودِ الشَّامِ، وَأَقَامَ هو بِالصَّالِحِيَّةِ، وَاسْتَأْمَنَ لَهُ قَفْجَاقُ وَبَكْتَمُرُ النَّائِبَانِ بِدِمَشْقَ وَحَلَب، وَرَاجَعَا طَاعَةَ السُّلْطَانِ، وَاسْتَوْلَى بَيْبَرْسُ وَسَلَّارُ عَلَى الشَّامِ، وَرَجَعَ قُطْلُوشَاه إلى العِرَاقِ[1].

ثُمَّ عَاوَدَ غَازَانُ المَسِيرَ إلى الشَّامِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَعَبَرَ الفُرَاتَ، وَنَزَلَ عَلَى الرُّحْبَةِ، وَكَاتَبَ أَهْلَ الشَّامِ يُخَادِعُهُم، وَقَدِمَ قُطْلُوشَاه فَأَغَارَ عَلَى القَرْيَتَيْنِ، وَبِهَا أَحْيَاءُ التُّرْكُمَانِ، فَقَاتَلُوهُ وَنَالُوا مِنْهُ، وَتَوَقَّفَ هُنَالِكَ./ [440 أ] وَسَارَ النَّاصِرُ مِنْ مِصْرَ فِي العَسَاكِرِ ثَالِثَ شَعْبَانَ، وَلَقِيَ قُطْلُوشَاه بِمَرْجِ الصُّفَّرِ، فَهَزَمَهُ بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ، وَسَارَ فِي اتِّبَاعِهِم إلى اللَّيْلِ، فَاعْتَصَمُوا بِجَبَلٍ فِي طَرِيقِهِم، وَبَاتَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِم، ثُمَّ تَسَلَّلُوا وَأَخَذَ القَتْلُ مِنْهُم كُلَّ مَأْخَذٍ، وَاعْتَرَضَهُم الوَحَلُ مِنْ أَمَامِهِم مِنْ بُثُوقٍ بَثَقَتْ لَهُم مِنْ نَهْرِ دِمَشْقَ، فَلَمْ يَخْلُصْ مِنْهُم أَحَدٌ، وَقَدِمَ الفَلُّ عَلَى غَازَانَ بِنَوَاحِي الرَّيِّ، وَمَرِضَ هُنَالِكَ، وَمَاتَ فِي ذِي الحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ[2]، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَاتَ أَسَفًا[3].

خُذَابَنْدَا بنُ أَرْغُون

وَلَمَّا هَلَكَ غَازَانُ وَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ خُذَابَنْدَا[4]، وَافْتَتَحَ أَمْرَهُ بِالدُّخُولِ فِي دِينِ

(1) زبدة الفكرة 331 - 333، نهاية الأرب 27: 413 – 414، وينظر ما سبق ص 359 - .

(2) في نهاية الأرب 27: 416: في الثالث عشر من شوال سنة 703: وينظر ما سبق ص 371.

(3) زبدة الفكرة 366 – 368، 373 – 378 ، وينظر التحفة الملوكية 174، البداية والنهاية 18: 35.

(4) ويقال فيه: خدابندا. نهاية الأرب 27: 417.

الإِسلام، وتَسَمَّى بِمُحَمَّد، وتَلَقَّبَ غِيَاثَ الدِّين، وأَقَرَّ قُطْلُوشاه عَلَى نِيَابَتِه، ثُمَّ جَهَّزَه لِقِتَالِ الكُرْدِ في جِبَالِ كِيلَان، وَقَاتَلَهم فَهَزَمُوه وَقَتَلُوه[1]، وَوَلَّى مَكَانَه جُوبَان ابنَ تَدَاوِن[2].

وَأَقَامَ في سُلْطَانِه حَسَنَ الدِّين مُعَظِّماً للخُلَفَاء، وَكَتَبَ أَسْمَاءَهم عَلَى سِكَّتِه، ثُمَّ صَحِبَ الرَّوَافِضَ فَفَسَدَ اعْتِقَادُه، وَحَذَفَ ذِكْرَ الشَّيْخَيْنِ مِنَ الخُطْبَة، وَنَقَشَ أَسْمَاءَ الأَئِمَّة الاثْنَيْ عَشَرَ عَلَى سِكَّتِه، ثُمَّ أَنْشَأَ مَدِينَةً مَا بَيْنَ قَزْوِينَ وَهَمَذَانَ وَسَمَّاهَا السُّلْطَانِيَّة[3]، وَنَزَلَهَا وَاتَّخَذَ بِهَا بَيْتاً لَطِيفاً، بَنَاه بِلَبِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّة، وَأَنْشَأَ بِإِزَائِها بُسْتَاناً جَعَلَ فِيه أَشْجَارَ الذَّهَبِ بِثَمَرِ اللُّؤْلُؤِ وَالفُصُوصِ، وَأَجْرَى فِيه اللَّبَنَ وَالعَسَلَ أَنْهَاراً وَأَسْكَنَه الغِلْمَانَ وَالجَوَارِي، تَشَبُّهاً لَه بِالجَنَّة، وَأَفْحَشَ في التَّعَرُّضِ لِحُرُمَاتِ قَوْمِه.

ثُمَّ سَارَ إِلى الشَّام سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَعَبَرَ الفُرَاتَ، وَنَزَلَ الرَّحْبَةَ، وَرَجَعَ، ثُمَّ هَلَكَ، وَيُقَالُ: مَاتَ مَسْمُوماً عَلَى يَدِ بَعْضِ أُمَرَائِه سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ[4].

أَبو سَعِيد بنُ خُذَابَنْدَا

وَلَمَّا هَلَكَ خُذَابَنْدَا خَلَفَ ابْنَه أَبَا سَعِيدٍ طِفْلاً صَغِيراً ابنَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً[5]،

(1) في الأصول: فقتلوه وهزموه، والتعديل يتفق مع السياق.

(2) نهاية الأرب 27: 417.

(3) في نهاية الأرب 27: 419: كان غازان قد شرع في بناء هذه المدينة، فهلك قبل تكملتها، فأمر خدابندا بالاهتمام بعمارتها... ووصلت الأخبار سنة 713 هـ بأنها كملت وسُكنت.

(4) في نهاية الأرب 27: 419: في سابع شوال من السنة.

(5) في نهاية الأرب 27: 420: أحد عشر سنة.

فاستصغره جوبان، وأرسل إلى أزبك ملك الشمال بكربيّ صراي يستدعيه لملك العراقين، فحذّره / نائبه قطلقتمر من ذلك، وبايع جوبان لأبي سعيد بن خذابندا، على صغره، وبدأ أمره بقتل الطبيب رشيد [الدين][1] فضل الله بن أبي الخير الهمذاني، اتّهمه بقتل أبيه فقتله، وكان مقدماً في العلوم، مثرياً في الغاية، وله تاريخ جمع فيه أخبار الططر وأنسابهم وقبائلهم، وكتبه مشجّراً نحواً ممّا في كتابنا هذا. [440 ب]

وكان جوبان يومئذٍ بخراسان يقاتل عليها يسول بن براق بن بستتو بن ماتيقان بن جقطاي صاحب خوارزم، أغراه أزبك صاحب الشمال بخراسان وأمدّه بعساكره، وكان جوبان موافقاً له، فلمّا هلك خذابندا طمع يسول في الاستيلاء على خراسان، وكاتب أمراء المغل بدولة أبي سعيد ورغّبهم فأطمعوه، فسار جوبان إلى الأزدو ـ ومعناه بلغتهم: المعسكر والمخيّم ـ فأنهى إلى أبي سعيد خبر أمرائه، فقتل منهم أربعين.

ورجع جوبان إلى خراسان سنة ثمان عشرة، وقد استولى يسول عليها، وعلى طائفة من عراق العجم، وبعث إليه أزبك صاحب الشمال نائبه قطلقتمر بمدد العساكر، فلقيهم جوبان، وكانت بينهم حروب، وانتزع جوبان ما ملكه يسول من بلاد خراسان، وصالحه على ما بقي ورجع.

ثمّ سار أزبك ملك الشمال إلى موغان، فأغار عليها وغنم ورجع، واتّبعه جوبان في العساكر فلم يدركه.

وهلك يسول سنة عشرين، وارتجع أبو سعيد ما كان بيده من خراسان.

(1) ط: الدولة.

وَكَان أُزبَكُ صَاحِبُ الشَّمَالِ يَنْقِمُ عَلَى أَبِي سَعِيد اسْتِبْدَادَ جُوبَانَ عَلَيْه وتَحَكُّمَهُ فِي بَنِي جِنكِزْ خَان، وَيُحَرِّضُ أَهْلَ النَّوَاحِي عَلَى جُوبَان، وَيَتَوَقَّعُ لَه المَهَالِكَ، وَيُوَاصِلُ المُلُوكَ فِي النَّوَاحِي لِلمُظَاهَرَةِ عَلَى جُوبَان وَسُلطَانِه أَبِي سَعِيد، حَتَّى لَقَدْ صَاهَرَ صَاحِبَ مِصْرَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، وَلَم يَتِم لِصُلحِ أَبِي سَعِيد مَعَه، كَمَا مَرَّ فِي أَخْبَارِهِم، وَجَهَّزَ أُزبَك العَسَاكِرَ سَنَةَ عِشْرِينَ لِحَرْبِ جُوبَان، فَعَارَضَهم المَدُّ بِنَهْرِ كُوز، الَّذِي فِي تُخُومِ مُلكِهِم فَرَجَعُوا، ثُمَّ جَهَّزَ جَيْشاً آخَرَ مَعَ قَطْلُقْتَمُر نَائِبِه، / فَعَارَضَهم الثَّلْجُ وَرَجَعُوا، ثُم جَهَّزَ جَيْشاً آخَرَ مَعَ قَطْلُقْتَمُر نَائِبِه. [1441]

وَكَان جُوبَان نَائِبُ أَبِي سَعِيد قَدْ وَلَّى عَلَى بِلَادِ الرُّومِ ابْنَه تِمِرْتَاش[1]، فَزَحَفَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِين إِلَى بِلَادِ سِيس، وَافْتَتَحَ مِنْها قِلَاعاً ثَلَاثاً وَخَرَّبَهَا، وَبَعَثَ إِلَى المَلِكِ النَّاصِرِ يَطْلُبُ المُظَاهَرَةَ فِي جِهَادِ الأَرْمَن بِسِيس، فَبَعَثَ السُّلطَانُ عَسَاكِرَه سَنَةَ اثْنَتَيْن وَعِشْرِين، وَمَعَهم مِنَ المُطَّوِّعَة عَدَدٌ، وَحَاصَرُوا إِيَاس، وَافْتَتَحُوهَا عَنْوَة، وَرَجَعُوا، ثُمَّ رَدَّدَ النَّاصِرُ عَسَاكِرَه لِلغَزْوِ هُنَالِكَ، فَكَانَتْ لَهم آثَارٌ فِي العَدُوِّ وَنِكَايَة.

ثُمَّ انْعَقَدَ الصُّلحُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ بَعْدَهَا بَيْنَ المَلِكِ النَّاصِرِ وَبَيْنَ أَبِي سَعِيد، وَاسْتَقَامَتِ الأَحْوَالُ، وَحَجَّ أَكَابِرُ المُغْلِ مِنْ قَرَابَة أَبِي سَعِيدِ مَلِكِ الطَّطَرِ بِالعِرَاقَيْنِ، وَاتَّصَلَتِ المُهَادَاةُ بَيْنَهما[2].

(1) هكذا في الأصول، وترد أيضاً دمرداش، ينظر ما يلي.

(2) ينظر ما سبق ص 405.

وَسَارَ نَائِبُه جُوبَانُ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ إلى خُرَاسَانَ في العَسَاكِرِ، وَقَدْ زَحَفَ إِلَيْهَا كِيكُ بنُ يَسُول، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ، وَانْهَزَمَ جُوبَانُ مَرَّتَيْنِ، وَاسْتَوْلَى كِيكُ عَلَى خُرَاسَان، ثُمَّ كَبَسَه جُوبَانُ، فَهَزَمَه وَأَثْخَنَ في عَسْكَرِه، وَغَلَبَهُ عَلَى خُرَاسَان، فَعَادَتْ إلى مِلْكَةِ أَبِي سَعِيد.

وَبَيْنَمَا جُوبَانُ مُشْتَغِلٌ بِتِلْكَ الفِتْنَةِ وَالحُرُوبِ في نَوَاحِي خُرَاسَان، إِذْ بَلَغَه الخَبَرُ بِأَنَّ السُّلْطَانَ أَبَا سَعِيد تَقَبَّضَ عَلَى ابْنِه خَوَاجَا دِمَشْق، فَلَمَّا بَلَغَه الخَبَرُ بِذَلِكَ انْتَقَضَ، وَزَحَفَ إِلَيْه أَبُو سَعِيد، فَافْتَرَقَ عَنه أَصْحَابُه، وَلَحِقَ بِهَرَاةَ فَقُتِلَ بِهَا سَنَةَ [ثَمانٍ][1] وَعِشْرِين، وَأَذِنَ أَبُو سَعِيدٍ لِوَلَدِه أَنْ يَنْقُلُوا شِلْوَهُ إلى تُرْبَتِه التي بَنَاهَا بِالمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة، وَنَقَلُوه، فَلَمْ يُقَدَّرْ دَفْنُه بِهَا، وَتَوَقَّفَ أَمِيرُ المَدِينَةِ عَلَى إِذْنِ السُّلْطَانِ بِمِصْرَ في ذَلِك، فَدُفِنَ بِالبَقِيعِ.

وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ جُوبَانَ لابْنِه تِيمُرْتَاش، وَهُوَ أَمِيرٌ بِبِلَادِ الرُّوم، انْزَعَجَ لِذَلِكَ وَلَحِقَ بِمِصْرَ فِيمَن مَعَه مِنَ الأُمَرَاءِ وَالعَسَاكِرِ، وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ المَلِكُ النَّاصِرُ عَلَيْه وَأَحَلَّه مَحلَّ التَّكْرِمَة.

[441 ب] وَجَاءَتْ عَلَى أَثَرِه رُسُلُ أَبِي سَعِيد / يَطْلُبُ حَكَمَ الله فِيه لِسَعْيِه في الفَسَادِ وَالفِتْنَةِ، وَأَجَابَه السُّلْطَانُ إلى ذَلِك، عَلَى أَن يُفْعَلَ مِثْلُ ذَلِكَ في قَرَاسُنْقُر النَّازِعِ إِلَيْهِم مِنْ أُمَرَاءِ الشَّامِ، فَأُمْضِيَ ذَلِكَ فِيهِمَا جَزَاءً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمَا[2]. ثُمَّ

---

(1) في الأصول: ست، والتصويب من تذكرة النبيه 2: 181، المنهل الصافي 5: 34، وورد أنه قتل سنة 729 هـ، في المختصر 4: 96، وينظر ما سبق ص 440، 441.

(2) ينظر ما سبق ص 440 – 441.

تأكَّدتْ أسبابُ المُوَاصلَةِ وَالالْتِحَامِ بَيْنَ هَذيْنِ السُّلْطَانَيْنِ بالإصْهَارِ وَالمُهَادَاةِ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ، وَانقَطَعَ زَبُونُ العَرَبِ وَفَسَادُهم بَيْنَ المَمْلَكَتَيْنِ.

وَهَلَكَ السُّلْطَانُ أبُو سَعِيد سَنَةَ سِتٍّ وَثَلاثِينَ، وَلَم يُعقِبْ، وَدُفِنَ بِالسُّلْطَانِيَّة، وَاختَلَفَ أهْلُ الدَّوْلَةِ[1].

وَانقَرَضَ المُلْكُ مِن بَني هُولاَوُو، وَافترَقَتِ الأعْمَالُ التي كَانَتْ في مُلْكِهِم، وَأصْبَحَتْ طَوَائِفَ: في خُرَاسَان، وَفي عِرَاقِ العَجَمِ، وَفَارِس، وَفي أذْرَبِيجَان، وفي عِرَاقِ العَرَبِ، وَفي بِلَادِ الرُّومِ، كَما نَذْكُرُ ذَلِكَ كُلَّه. واللهُ وَارِثُ الأرْضِ وَمَنْ عَلَيْها.

---

(1) ينظر ما سبق ص 452.

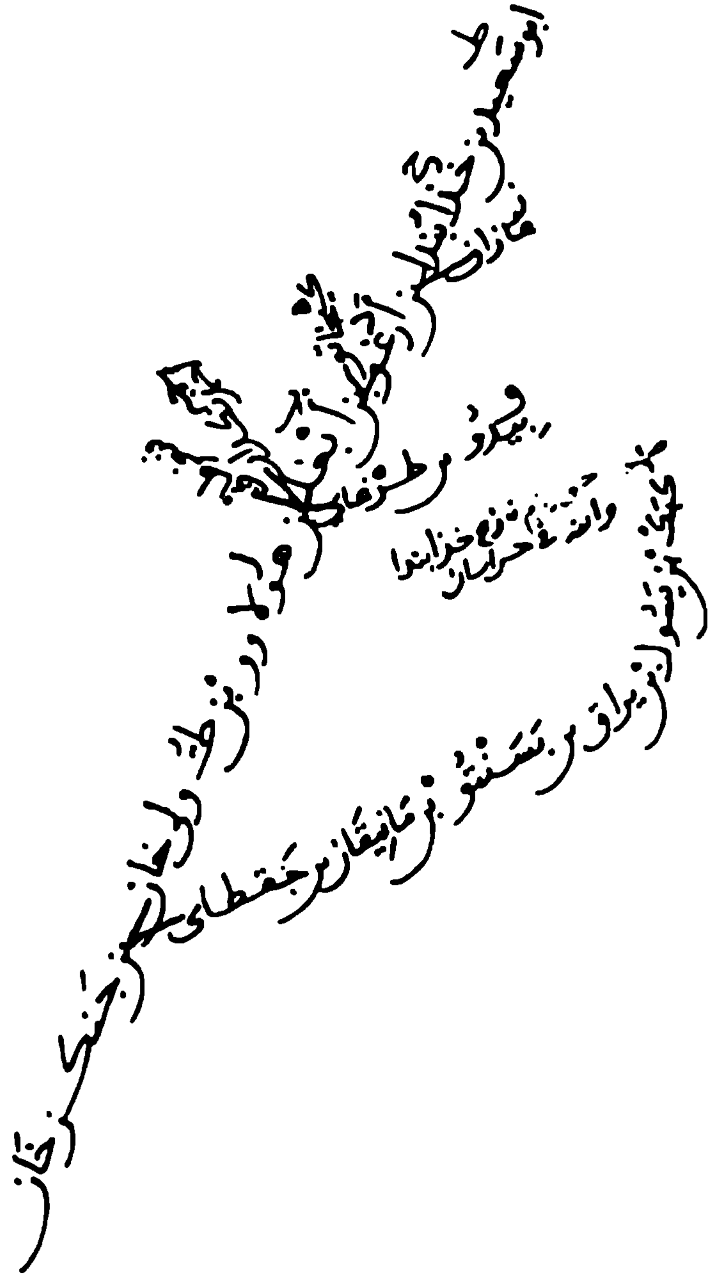

[مشجّر بني هولاكو ملوك الطّطر بالعراقين وخُراسان، من س بخطه]

/ اضطرابُ دولةِ بني هولاوو، وانقسامُ المُلكِ طوائفَ في أعمالهم، وانفرادُ الشيخ حسن ببغداد، واستيلاءُ بنيه معها على توريز، وما كانَ لهم فيها من المُلك والدولة، وابتداؤها ومصائرُها [442 ب]

لمّا هَلَكَ أبو سَعِيدِ بنُ خُذابَنْدا، مَلِكُ الطَّطَرِ عَلَيْهِم بِكُرْسِيِّه بِبَغْدَادَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، وَلَمْ يُعْقِبْ، نَصَّبَ أُمَرَاءُ المُغُلِ وَالوَزِيرُ غِيَاثُ الدِّين [أربا كاؤن][1]، [ثمّ][2] خلَعَ [أربا كاؤن][3]، وَنَصَّبَ لِلمُلْكِ مُوسَى خَان مِنْ أسْبَاطِهِم، وَقَامَ بِدَوْلَتِه[4].

الشيخُ حَسَنٌ الكَبيرُ

وَكَان الشَّيْخُ حَسَنُ بنُ حُسَيْنِ بنِ أَقْبُغَا بن إِيلْكَان، وَهُوَ ابْنُ عَمَّةِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيد، سِبْطَ أَرْغُونَ بنِ أَبْغَا، أَنْزَلَه أَبُو سَعِيد بِقَلْعَة كَامخ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَوَكَّلَ بِه، فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو سَعِيد وَانْحَلَّ عِقَالُه، ذَهَبَ إِلى[5] تَورِيز فَانْتَزَى عَلَيْهَا، وَبَلَغَه شَأْنُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَادَ فَلَمْ يُرْضِه، وَنَهَضَ إِلَيْهَا، فَقَتَلَ عَلِي بَاشَا، القَائِمَ بِالدَّوْلَةِ، وَعَزَلَ مُوسَى خَان المَلِكَ، وَنَصَّبَ مَكَانَه مُحَمَّدَ بنَ عَنبَرْجِي، وَهُوَ الَّذِي تَقَدَّمَ لَنَا فِي تَرْجَمَةِ مُلُوكِ التَّخْتِ صِحَّةُ نَسَبِه إِلى هُولَاوُو[6]، وَاسْتَوْلَى الشَّيْخُ حَسَنٌ عَلَى بَغْدَادَ وَتَوْرِيز.

---

(1) إضافة لاستكمال النص وللتوضيح، من السلوك 3: 397.

(2) في الأصول: و، والتّصويب يتفق مع السياق.

(3) في الأصول: أربيخان، والتّصويب من السلوك 3: 397.

(4) تفصيل ذلك في رسالة الملك موسى إلى الناصر محمد في شوال 736 هـ. السلوك 3: 397 - 398.

(5) في الأصول: أبو، وصوبناها بما يتفق مع السياق.

(6) ينظر ما سبق ص 645.

ثُمَّ سَارَ إِلَيْه حَسَنُ بنُ دِمِرْدَاش، مِنْ مَكَانِ إِمَارَتِه وَإِمَارَة أَبِيه بِبِلَادِ الرُّومِ، وَغَلَبَه عَلَى تَوْرِيز، وَقَتَلَ سُلْطَانَه مُحَمَّدَ بنَ عَنْبَرْجِي، وَلَحِقَ الشَّيْخُ حَسَنٌ بِبَغْدَادَ، وَاسْتَقَرَّ حَسَنُ بنُ دِمِرْدَاش فِي تَوْرِيز، وَنَصَّبَ لِلْمُلْكِ أُخْتَ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيد، وَاسْمُهَا صَاتِبِيك، وَزَوَّجَهَا سُلَيْمَان خَان، مِنْ أَسْبَاطِ هُولَاوُو، وَاسْتَقَلَّ بِمُلْكِ تَوْرِيز، وَكَانَ يُعْرَفُ بِالشَّيْخِ حَسَنِ الصَّغِير، لِأَنَّ صَاحِبَ بَغْدَادَ كَانَ يُشَارِكُه فِي اسْمِه وَهو أَسَنُّ، وَأُدْخِلَ فِي نَسَبِ القَان، فَمُيِّزَ بِالكَبِيرِ، وَمُيِّزَ هَذا بِالصَّغِيرِ.

وَلَمَّا اسْتَقَلَّ حَسَنٌ الصَّغِيرُ بِالْمُلْكِ وَالخَانُ عِنْدَه، عَجَزَ عَنْه الشَّيْخُ حَسَنٌ الكَبِيرُ، وَغَلَبَتْه أُمَمُ التُّرْكُمَانِ بِضَوَاحِي المَوْصِل عَلَى سَائِرِ بِلَادِ الجَزِيرَة، فَيُقَالُ: إِنَّه أَرْسَلَ إِلَى المَلِكِ النَّاصِرِ، / [443أ] صَاحِبِ مِصْرَ، بِأَنْ يُمَلِّكَه بَغْدَادَ، وَيَلْحَقَ بِه فَيُقِيمَ عِنْدَه، وَطَلَبَ مِنْه أَنْ يَبْعَثَ عَسَاكِرَه لِذَلِكَ عَلَى أَنْ يَرْهَنَ فِيهم ابْنَه، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ لِمَا اعْتَرَضَتْه مِنَ الأَحْوَالِ[1].

وَافْتَرَقَتْ مَمْلَكَةُ بَنِي هُولَاوُو، فَكَانَ هَؤُلَاءِ بِبَغْدَادَ وَتَوْرِيز، وَابنُ المُظَفَّر بِعِرَاقِ العَجَم وَفَارِس، وَالمَلِكُ حُسَيْنٌ بِخُرَاسَان، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَكْثَرِهَا مَلِكُ الشَّمَالِ أُزْبَك، صَاحِبُ التَّخْتِ بِصَرَاي مِنْ بَنِي دُوشِي خَان بن جِنْكِزْخَان، ثُمَّ اسْتَوْحَشَ الشَّيْخُ حَسَنٌ مِنْ سُلْطَانِه سُلَيْمَان خَان فَقَتَلَه وَاسْتَبَدَّ، ثُمَّ هَلَكَ حَسَنٌ الصَّغِيرُ بنُ دِمِرْدَاش بِتَوْرِيز سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِين، وَمَلَكَ مَكَانَه أَخُوه الأَشْرَف، ثُمَّ هَلَكَ الشَّيْخُ حَسَنٌ الكَبِيرُ بِبَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِين.

---

(1) ينظر ما سبق ص 728.

أُوَيْسُ ابنُ الشَّيخِ حَسَن

وَلَمَّا هَلَكَ الشَّيخُ حَسَنٌ الكَبِيرُ بِبَغْدَادَ، وَلِيَ مَكَانَه ابْنُه أُوَيْسٌ، وَكَانَ بِتَوْرِيز الأشْرَفُ بنُ دمِرْدَاش، فَزَحَفَ إِلَيْه مَلِكُ الشَّمَالِ جَانِي بِك بنُ أُزبَك سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِين، وَمَلَكَهَا مِنْ يَدِه، وَرَجَعَ إِلى خُرَاسَانَ بَعْدَ أنِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ابْنَه بَرْدِي بك، وَاعْتَلَّ في طَرِيقِه، فَكَتَبَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ إِلى بَرْدِى بِك يَسْتَحِثُّونَه لِلمُلْكِ، فَأَغَذَّ السَّيْرَ إِلَيهِم، وَتَرَكَ بِتَوْرِيز عَامِلَه أخِيجُوخ. فَسَارَ إِلَيْه أُوَيْس، صَاحِبُ بَغْدَادَ، وَغَلَبَه عَلَيْهَا وَمَلَكَهَا، ثُمَّ ارْتَجَعَهَا مِنه أَخِيجُوخ وَأَقَامَ بِهَا، فَزَحَفَ إِلَيْه ابنُ المُظَفَّر صَاحِبُ أَصْبَهَان، وَمَلَكَهَا مِنْ يَدِه وَقَتَلَه، وَانْتَظَمَ في مُلْكِه بَغْدَادُ وَعِرَاقُ العَرَبِ وَتَوْرِيز وَتُسْتَر وَخُوزِسْتَان، ثُمَّ سَارَ أُوَيْس فَانْتَزَعَها مِنَ ابنِ المُظَفَّرِ، وَاسْتَقَرَّتْ في مُلْكِه[1]، وَرَجَعَ إِلى بَغْدَادَ، وَجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُه، ثُمَّ هَلَكَ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِين.

حُسَيْنُ بنُ أُوَيْس

وَلَمَّا هَلَكَ أُوَيْسٌ خَلَّفَ بَنِينَ خَمْسَة، وَهُم: الشَّيْخُ حَسَن، وَحُسَيْن، وَالشَّيْخ عَلِيّ، وَأَبُو يَزِيد، وَأَحْمَد، وَكَان وَزِيرَه زَكَرِيَّاء، وَكَبِيرَ دَوْلَتِه أَمِيرُ عَادِل، وَكَانَ كَافِلًا لِحُسَيْن، وَمِنْ / إِقْطَاعِه السُّلْطَانِيَّة، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ وَبَايَعُوا لابْنِه حُسَيْن [443 ب] بِتَوْرِيز، وَقَتَلُوا الشَّيْخَ حَسَناً، وَزَعَمُوا أَنَّ أَبَاهم [أُوَيْساً][2] أَمَرَ بِقَتْلِه، وَكَان الشَّيْخ

---

(1) في سنة 767 هـ. البداية والنهاية 18: 714.

(2) في الأصول: أباهم الشيخ حسن.

عَلِيٌّ بنُ أُوَيس بِبَغْدَادَ فَدَخَلَ في طَاعَةِ أخِيه حُسَيْن، وَكَانَ بِيرْ عَلِيّ بَادِك، مِنْ أُمَرَائِهم، نَائِباً بِتُسْتَر وَخُوزِسْتَان، فَبَايَعَ لِحُسَيْن وَبَعَثَ إِلَيْه بِطَاعَتِه، وَاسْتَوْلَى عَلَى دَوْلَتِه بِتَوْرِيز زَكَرِيَّاء وَزِيرُ أَبِيه، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابنُ الوَزِير زَكَرِيَّاء بِالشَّام هَارِباً أَمَامَ أُوَيْس، فَقَدِمَ عَلَى [أبيه][1] زَكَرِيَّاء، وَبَعَثَ بِهِ إلى بَغْدَادَ لِيَقُومَ بِخِدْمَةِ الشَّيْخ عَلِيّ، فَاسْتَخْلَصَه وَاسْتَبَدَّ عَلَيْه.

تَغَلُّبُ شُجَاع بنِ المُظَفَّر عَلَى تَوْرِيز وارتِجَاعُهَا مِنه

وَلَمَّا اسْتَقَلَّ حُسَيْنٌ بِتَوْرِيز، وَكَانَ بَنُو المُظَفَّر طَامِعِينَ في وِلَايَتِها، وَقَدْ مَلَكَهَا ابنُ المُظَفَّر مِنْ قَبْلُ، كَمَا مَرَّ، وَانْتَزَعَهَا أُوَيْسٌ مِنهم، فَلَمَّا تُوفِّيَ أُوَيْسٌ سَارَ شُجَاعٌ إلى تَوْرِيز في عَسَاكِرِه، فَأَجْفَلَ عَنْها حُسَيْنُ بنُ أُوَيس إلى بَغْدَادَ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْها شُجَاعٌ، وَلَحِقَ حُسَيْنٌ بِأَخِيه الشَّيْخ عَلِيّ وَوَزِيرِه إِسْمَاعِيلَ بِبَغْدَادَ مُسْتَجِيشًا بِهما، فَسَرَّبُوا مَعَه العَسَاكِرَ، وَرَجَعَ أَدْرَاجَه إِلَيْها، فَهَرَبَ عَنْها شُجَاعٌ، وَاسْتَعَادَ حُسَيْنٌ مُلْكَه بِها، وَاسْتَقَرَّ فِيها.

مَقْتَلُ إِسْمَاعِيلَ واستِيلاءُ حُسَيْن عَلَى بَغْدَاد ثُمَّ ارتِجَاعُها مِنه

كَانَ إِسْمَاعِيلُ مُسْتَبِدًّا عَلَى الشَّيْخ عَلِيّ بِبَغْدَادَ، كَمَا قَدَّمْنَاه، فَوَثَبَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ، مِنهم: مُبَارَكُ شَاه، وَقَنْبَر، وَقَرَا مُحَمَّد، فَقَتَلُوه وَعَمَّه أَمِيرَ أَحْمَد،

(1) في الأصول: ابنه، خطأ، انظر ما تقدمه.

مُنْتَصَفَ إِحْدَى وَثَمانِين، وَاسْتَدْعَوا فِير عَلِيّ بادِك مِنْ تُسْتَر فَوَلَّوْهُ مَكَانَ إِسْمَاعِيلَ، وَاسْتَبَدَّ عَلَى الشَّيْخِ عَلِيٍّ بِبَغْدَادَ. وَنَكِرَ حُسَيْنٌ عَلَيْهِم مَا أَتَوْهُ، وَسَارَ فِي عَسَاكِرِه مِنْ تَوْرِيز إِلَى بَغْدَادَ، فَفَارَقَهَا الشَّيْخُ عَلِيٌّ وَفِير عَلِيّ بادِك، وَلَحِقَا بِتُسْتَر، وَاسْتَوْلَى حُسَيْنٌ عَلَى بَغْدَادَ، وَسَارَ عَادِلٌ فِي العَسَاكِرِ، فَحَاصَرَهُم بِتُسْتَر حَتَّى صَالَحُوه، وَأَقْطَعَ / حُسَيْنٌ أَخَاهُ أَحْمَدَ مَدِينَةَ وَاسِط، فَأَقَامَ بِهَا. [444 ا]

ثُمَّ تَجَهَّزَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ لِلمَسِيرِ إِلَى بَغْدَادَ، فَأَهَمَّ أَحْمَدَ أَمْرُه، وَطَيَّرَ بِالخَبَرِ إِلَى حُسَيْنٍ بِبَغْدَادَ، وَاسْتَمَدَّه، فَاتَّهَمَه بِمُمَالأَةِ أَخِيه الشَّيْخِ عَلِيّ، وَلَم يُمِدَّه، وَنَهَضَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ مِنْ تُسْتَرَ إِلَى وَاسِط، وَجَمَعَ العَرَبَ مِنْ عُبَادَة وَالحُوَيزَة، فَأَجْفَلَ أَحْمَدُ مِنْ وَاسِطَ إِلَى بَغْدَادَ، وَسَارَ الشَّيْخُ عَلَى أَثَرِه، فَأَجْفَلَ حُسَيْنٌ إِلَى تَوْرِيز، وَاسْتَوْسَقَ مُلْكُ بَغْدَادَ لِلشَّيْخِ عَلِيّ، وَاسْتَقَرَّ كُلٌّ مِنْهُما بِبَلَدِه.

انتِقَاضُ أَحمَدَ واستِيلاؤُه عَلَى تَوْرِيز ومَقتَلُ حُسَين

وَلَمَّا رَجَعَ حُسَيْنٌ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى تَوْرِيز، عَكَفَ عَلَى لَذَّاتِه، وَشُغِلَ بِلَهْوِه، وَاسْتَوْحَشَ مِنْه أَخُوهُ أَحْمَدُ فَلَحِقَ بِأَرْدَبِيل، وَبِهَا الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّين، وَالشَّيْخُ الصَّفِي، وَاجْتَمَعَ إِلَيْه مِنَ العَسَاكِرِ ثَلاثَةُ آلافٍ أَو يَزِيدُونَ، فَسَارَ إِلَى تَوْرِيز وَطَرَقَهَا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ فَمَلَكَهَا، وَاخْتَفَى حُسَيْنٌ أَيَّاماً، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيه أَحْمَدُ وَقَتَلَه.

انتقاضُ عادلٍ ومسيرُهُ لقتالِ أحمد

كَان الأميرُ عادِلُ والِياً عَلى السُلْطَانِيَّة، وَكَانَتْ مِنْ إقْطَاعِه. فلمّا بلَغه مقْتَلُ حُسَيْن ارتَمَض[1] لَه، وَكَانَ عِنْدَه أبو يَزِيدَ بنُ أُوَيْس، فسَارَ بِه إلى شُجَاع بنِ المُظَفَّر اليَزْدِيّ، صَاحِبِ فَارِس، يَسْتَصْرِخَانِه عَلَى الأَمِيرِ أَحْمَدَ بن أُوَيْس، فبَعَثَ العَسَاكِرَ في صَرِيخِهما، وبَرَزَ أَحْمَدُ لِلِقَائِهما، ثُمّ تَقَارَبُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى أنْ يَسْتَقِرَّ أبُو يَزِيدَ في السُلْطَانِيَّة أمِيرًا، ويَخْرُجَ الأَمِيرُ عادِلٌ عَنْ مَمْلَكَتِهم، ويُقِيمَ عِنْدَ شُجَاعٍ بِفَارِس، واصْطَلَحُوا عَلَى ذَلِكَ، وَعَادَ أبُو يَزِيدَ إلى السُلْطَانِيَّة فأقَامَ بِهَا، وَأَضَرَّ أُمَرَاؤُه وَحَاشِيَتُه بالرَّعَايَا، فَدَسُّوا بالصَّرِيخِ إلى الأَمِيرِ أَحْمَدَ بِتَوْرِيز، فَسَارَ في العَسَاكِرِ إلَيْه، وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَكَحَلَه، وَتُوفِّي بَعْدَ ذَلِكَ بِبَغْدَاد.

مَقْتَلُ الشَيْخِ عَلِيّ واسْتِيلاءُ أحْمَدَ عَلَى بَغْدَاد

لَمَّا قَتَلَ أَحْمَدُ أَخَاه حُسَيْنًا بِتَوْرِيز، جَمَعَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ العَسَاكِرَ، واسْتَنْفَرَ قَرَا مُحَمَّد، أمِيرَ التُرْكُمَانِ بالجَزِيرَةِ، وَسَارَ مِنْ / بَغْدَادَ يُرِيدُ تَوْرِيز، فَبَرَزَ أَحْمَدُ لِلِقَائِه، [444 ب] وَاسْتَطْرَدَ لَه لِمَكَانِ سَنَّه[2]، فبَالَغَ في اتِّبَاعِه إلى أنْ خَفَّتْ عَسَاكِرُه، فَكَرَّ مُسْتَمِيتاً، وَكَانَتْ جَوْلَةٌ أُصِيبَ فِيهَا الشَّيْخُ عَلِيٌّ بِسَهْمٍ فَمَاتَ، وَأُسِرَ فِير عَلِيّ بَادِك فَقُتِلَ، وَرَجَعَ أَحْمَدُ إلى تَوْرِيز وَاسْتَوْسَقَ لَه مُلْكُهَا.

---

(1) كما لو أصابه رمص، والرمص: غمص أبيض تلفظه العين فيوجعها.

(2) سنّه: حدده، قصده.

وَنَهَض إِلَيْه عَادِلٌ، مِنَ السُلْطَانِيَّةِ، يَرُومُ فُرْصَةً فِيه، فَهَزَمَه، ثُمَّ سَارَ أَحْمَدُ إِلى بغْدَادَ، وَقَدْ كَانَ اسْتَبَدَّ بِها - بَعْدَ مَهْلَكِ الشَّيْخِ عَلِيّ - خَوَاجَا عَبْدُ المَلِكِ، مِنْ صَنَائِعِهِم، بِدَعْوَةِ أَحْمَد.

ثُمَّ قَامَ الأَمِيرُ عَادِلٌ فِي السُلْطَانِيَّةِ بِدَعْوَةِ أَبِي يَزِيد، وَبَعَثَ إِلى بَغْدَادَ قَائِداً اسْمُهُ يَزِيسن لِيُقِيمَ بِها دَعْوَتَه، فَأَطَاعَه عَبْدُ المَلِك وَأَدْخَلَه إِلى بَغْدَادَ، ثُمَّ قَتَلَه يَزِيسن ثَانِي دُخُولِه، وَاضْطَرَبَ البَلَدُ شَهْراً، ثُمَّ وَصَلَ أَحْمَدُ مِنْ تَوْرِيز، وَخَرَجَ يَزِيسن القَائِدُ لِمُدَافَعَتِه فَانْهَزَمَ، وَجِيءَ بِه إِلى أَحْمَدَ أَسِيراً، فَحَبَسَه ثُمَّ قَتَلَه، ثُمَّ قَتَلَ عَادِلاً بَعْدَ ذَلِكَ، وكُفِيَ أَحْمَدُ شَرَّه، وَانْتَظَمَتْ فِي مُلْكِه: تَوْرِيز، وَبَغْدَاد، وتُسْتَر، والسُلْطَانِيَّةُ وَمَا إِلَيْها، وَاسْتَوْسَقَ أَمْرُه فِيها.

ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَيْه أَهْلُ دَوْلَتِه سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِين، وَسَارَ بَعْضُهم إِلى تَمُرْ سُلْطَانِ المُغُلِ مِنْ بَنِي جَقْطَاي، بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ، مَمْلَكَةِ قَوْمِه، وَاسْتَوْلَى عَلَى خُرَاسَان، فَاسْتَصْرَخَه عَلَى أَحْمَدَ وَأَجَابَ صَرِيخَه، وَبَعَثَ مَعَه العَسَاكِرَ إِلى تَوْرِيز، فَأَجْفَلَ عَنْها أَحْمَدُ إِلى بَغْدَادَ، وَاسْتَبَدَّ بِها ذَلِكَ الثَّائِرُ، وَرَجَعَ تَمُرْ إِلى مَمْلَكَتِه الأُولَى.

وَطَمِعَ طَقْطَمُش، مَلِكُ الشَّمَالِ مِنْ بَنِي دُوشِي خَان، فِي انْتِزَاعِ تَوْرِيز مِنْ يَدِ ذَلِكَ الثَّائِرِ، فَسَارَ إِلَيْها وَمَلَكَهَا، وَزَحَفَ تَمُرْ فِي عَسَاكِرِه سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِين وَانْتَهى إِلى أَصْفَهَان، وَبَعَثَ العَسَاكِرَ إِلى تَوْرِيز فَاسْتَبَاحَها وَخَرَّبَها، وَاسْتَوْلَى عَلَى تُسْتَرَ وَالسُلْطَانِيَّة، وَانْتَظَمَهُما فِي أَعْمَالِه، وَانْفَرَدَ أَحْمَدُ بِبَغْدَادَ، وَأَقَامَ فِيها.

استيلاءُ تَمُرْ[أ] عَلى بَغْدادَ، ولحاقُ أحمدَ بالشامِ

[445 أ] كَانَ تَمُرْ سُلْطَانُ المُغُلِ، بَعْدَ أنِ اسْتَوْلَى / عَلَى تَوْرِيز، خَرَجَ عَلَيْه خَارِجٌ مِنْ قَوْمِه فِي بِلَادِه يُعْرَفُ بِقَمَرِ الدِّين، فَجَاءَه الخَبَرُ عَنْه، وَأَنَّ طَقْطَمُش، صَاحِبَ كُرْسِيِّ صَرَايِ فِي الشَّمَالِ، أَمَدَّه بِأَمْوَالِه وَعَسَاكِرِه، فَكَرَّ رَاجِعاً مِنْ أَصْفَهَان إلى بِلَادِه، وَعُمِّيَتْ أَنْبَاؤُه إلى سَنَة خَمْسٍ وَتِسْعِين، ثُمَّ جَاءَتِ الأَخْبَارُ بِأَنَّه غَلَبَ قَمَرَ الدِّين الخَارِجَ عَلَيْه وَمَحَا أَثَرَ فَسَادِه، ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَى كُرْسِيِّ صَرَايَ وَأَعْمَالِها، ثُمَّ خَطَا إلى أَصْفَهَانَ وَعِرَاقِ العَجَمِ وَالرَّيِّ وَفَارِسَ وَكَرْمَانَ، فَمَلَكَ جَمِيعَهَا مِنْ بَنِي المُظَفَّر اليَزْدِي، بَعْدَ حُرُوبٍ هَلَكَ فِيهَا مُلُوكُهم وَبَادَتْ جُمُوعُهم[1].

وَأَيْقَظَ أَحْمَدُ بِبَغْدَادَ عَزَائِمَه، وَجَمَعَ عَسَاكِرَه، وَأَخَذَ في الاسْتِعْدَادِ، ثُمَّ عَدَلَ إلى مُصَانَعَتِه وَمُهَادَاتِه، فَلَمْ يُغْنِ ذَلِكَ عَنْه، وَمَا زَالَ تَمُرْ يُخَادِعُه بِالمُلَاطَفَةِ وَالمُرَاسَلَة، إلى أَنْ فَتَرَ عَزْمُه وَافْتَرَقَتْ عَسَاكِرُه، فَنَهَضَ إِلَيْه يُغِذُّ السَّيْرَ في غَفْلَةٍ مِنْه حَتَّى انْتَهى إلى دِجْلَة. وَسَبَقَ النَّذِيرُ إلى أَحْمَد، فَأَسْرَى بَقِيَّةَ لَيْلِه، وَاحْتَمَلَ مَا أَقَلَّتْه الرَّوَاحِلُ مِنْ أَمْوَالِه وَذَخَائِرِه، وَخَرَّقَ سُفُنَ دِجْلَة، وَمَرَّ بِجَسْرِ الحِلَّة فَقَطَعَه، وَصَبَّحَ مَشْهَدَ عَلِيّ[2].

وَوَافَى تَمُرْ وَعَسَاكِرُه دِجْلَةَ في حَادِي عِشْرِينَ شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِين، وَلَمْ يَجِدِ السُّفُنَ، فَاقْتَحَمَ بِعَسَاكِرِه النَّهْرَ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْها، وَبَعَثَ العَسَاكِرَ

(أ) يرد اسم تيمور بهذه الصيغة. انظر عجائب المقدور 9.

---

(1) ينظر ما سبق ص 696، وما يلي ص 727 - .

(2) مشهد الحسين: فيما سبق ص 659.

في اتّباعِ أحْمَد، فَسَارُوا وَمَرُّوا بالحِلَّة، وَقَدْ قُطِعَ جِسْرُهَا، فَخَاضُوا النَّهْرَ عِنْدَهَا، وَأَدْرَكُوا أَحْمَدَ بِمَشْهَدِ عَلِيّ[1]، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى أَثْقَالِه وَرَوَاحِلِه، فَكَرَّ عَلَيْهِم فِي جُمُوعِه وَاسْتَمَاتُوا، وَقَتَلُوا الأَمِيرَ الَّذِي كَانَ فِي اتِّبَاعِه، وَرَجَعَ بَقِيَّةُ الطَّطَرِ عَنْهُم، وَنَجَا أَحْمَدُ إِلَى الرَّحْبَةِ، مِنْ تُخُومِ الشَّامِ، فَأَرَاحَ بِهَا، وَطَالَعَ نَائِبُهَا السُّلْطَانَ بِمِصْرَ بِأَمْرِه، فَسَرَّحَ بَعْضَ خَوَاصِّه لِتَلَقِّيه بِالنَّفَقَاتِ وَالأَزْوَادِ، وَلِيَسْتَقْدِمَه، فَقَدِمَ بِه إِلَى حَلَب، وَأَرَاحَ بِهَا، وَطَرَقَه مَرَضٌ أَبْطَأَ بِه عَنْ مِصْرَ، وَجَاءَتِ الأَخْبَارُ بِأَنَّ تَمُرَ عَاثَ فِي مُخَلَّفِه وَاسْتَصْفَى ذَخَائِرَه، وَاسْتَوْعَبَ مَوْجُودَ أَهْلِ بَغْدَادَ بِالمُصَادَرَاتِ لأَغْنِيَائِهِم وَفُقَرَائِهِم حَتَّى مَسَّتْهم الحَاجَةُ، وَأَقْفَرَتْ جَوَانِبُ بَغْدَادَ مِنَ / العَيْثِ[2]. [445 ب]

ثُمَّ قَدِمَ أَحْمَدُ بنُ أُوَيْس عَلَى السُّلْطَانِ بِمِصْرَ شَهْرَ رَبِيعٍ [الأَوَّل][3] سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ مُسْتَصْرِخاً بِه عَلَى طَلَبِ مُلْكِه وَالانْتِقَامِ مِنْ عَدُوِّه، فَأَجَابَ السُّلْطَانُ صَرِيخَه، وَنَادَى فِي عَسْكَرِه بِالتَّجَهُّزِ إِلَى الشَّامِ.

وَقَدْ كَانَ تَمُرُ، بَعْدَ مَا اسْتَوْلَى عَلَى بَغْدَادَ، زَحَفَ فِي عَسَاكِرِه إِلَى تَكْرِيت، مَأْوَى المُخَالِفِينَ وَعُشِّ الحِرَابَةِ وَرَصَدِ السَّابِلَة، وَأَنَاخَ عَلَيْهَا بِجُمُوعِه أَرْبَعِينَ [يَوْماً][4] يُحَاصِرُهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِه، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُم، ثُمَّ خَرَّبَهَا وَأَقْفَرَهَا، وَانْتَشَرَتْ عَسَاكِرُهُ فِي دِيَارِ بَكْرٍ إِلَى الرُّهَا، وَوَقَفُوا عَلَيْهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَمَلَكُوهَا وَانْتَسَفُوا نِعَمَهَا، وَافْتَرَقَ أَهْلُهَا.

(1) مشهد الحسين: فيما سبق ص 659.

(2) ينظر ما سبق ص 659 – .

(3) من السلوك 3: 799.

(4) إضافة للتوضيح.

وَبَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلْطَانِ، فَخَيَّمَ بالرِّيْدَانِيَّةِ أيّامًا أزاحَ فِيها عِلَلَ عَسَاكِرِه، وَأفاضَ العَطَاءَ في مَمَالِيكِه، وَاسْتَوْعَبَ الحَشْدَ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الجُنْدِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى القَاهِرَةِ النَّائِبَ سُودُون، وَارْتَحَلَ إلى الشَّامِ عَلَى التَّعْبِئَةِ، وَمَعَه أحْمَدُ بنُ أُوَيْس صَاحِبُ بَغْدَادَ، بَعْدَ أنْ كَفَاه مُهِمَّه، وَسَرَّبَ النَّفَقَاتِ في تَابِعِه وَجُنْدِه، وَدَخَلَ دِمَشْقَ آخِرَ جُمَادَى الأُولَى، وَقَدْ كَانَ أَوْعَزَ إلى جُلُبَّان، صَاحِبِ حَلَب، بِالخُرُوجِ إلى الفُرَاتِ، وَاسْتِنْفَارِ العَرَبِ وَالتُّرْكُمَان للإقَامَةِ هُنَالِكَ رَصَدًا لِلعَدُوّ، فَلَمَّا وَصَلَ إلى دِمَشْقَ وَفَدَ عَلَيْه جُلُبَّانُ وَطَالَعَه بِمُهِمَّاتِه وَمَا عِنْدَه مِنْ أخْبَارِ القَوْمِ، وَرَجَعَ لإنْفَاذِ أَوَامِرِه وَالفَصْلِ فِيمَا طَالَعَه فِيه، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ عَلَى أَثَرِه العَسَاكِرَ مَدَدًا لَه، مَعَ كَمُشْبُغَا الأتَابِك، وَبَكْلَمِش أمِيرِ السِّلَاحِ، وَأحْمَدَ بنِ يَلْبُغَا.

وَكَانَ العَدُوُّ تَمُرُ قَدْ شُغِلَ بِحِصَارِ مَارِدِين، فَأقَامَ عَلَيْهَا أشْهُرًا ثُمّ مَلَكَهَا، وَعَاثَتْ عَسَاكِرُه فِيهَا، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْه قَلْعَتُهَا، فَارْتَحَلَ عَنْهَا إلى نَاحِيَةِ بِلَادِ الرُّومِ، وَمَرَّ بِقِلَاعِ الأكْرَادِ، فَأغَارَتْ عَسَاكِرُهُ عَلَيْهَا، وَاكْتَسَحَتْ نَوَاحِيَهَا، وَالسُّلْطَانُ لِهَذَا العَهْدِ، وَهُوَ شَعْبَانُ سِتٍّ وَتِسْعِين، مُقِيمٌ بِدِمَشْق، مُسْتَجْمِعٌ لِنِطَاحِه، وَالوَثْبَةِ بِه مَتَى اسْتَقْبَلَ جِهَتَه[1]. واللهُ وَلِيُّ الأمور.

(1) ينظر تطور الأحداث إلى آخر سنة 803 هـ: فيما سبق 660 – .

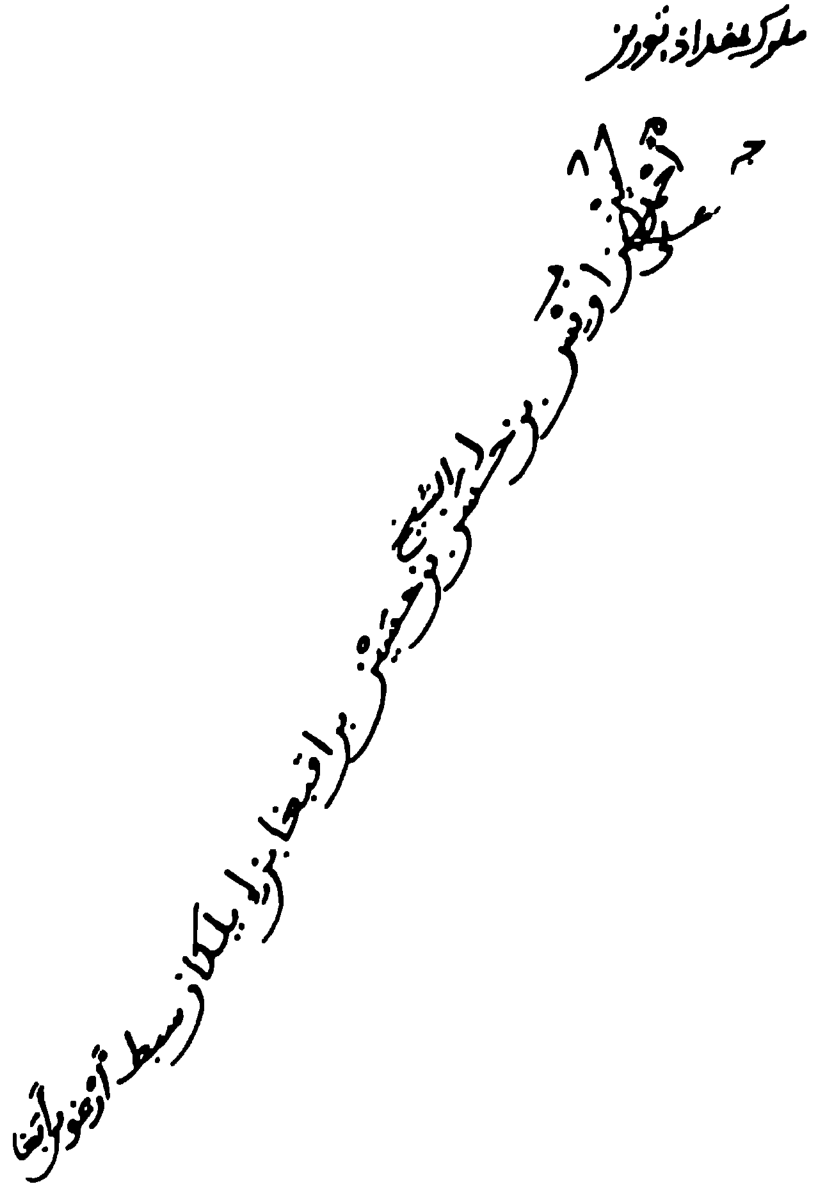

[مشجّر نسب ملوك بغداد وتوريز]

/ ● الخَبَرُ عَن بَني المظَفَّر اليَزْدِيّ المتَغلِّبِينَ على أصفَهانَ وفارِس بَعدَ انقِراضِ دَولَةِ بَني هُولاوُو، وابتِداءِ أُمورِهِم ومَصَائِرِهَا

كَانَ مُحَمَّدُ بنُ المُظَفَّرِ مِنْ أَهْلِ يَزْد، وَكَانَ شُجَاعاً، وَاتَّصَلَ بالدَّوْلَةِ أَيَّامَ أَبِي سَعِيد، فَوَلَّوه حِفظَ السَّابِلَةِ بِفَارِس، وَكَانَ مِنْهَا مَبْدَأُ أَمْرِه، وَذَلِكَ أَنَّه لَمَّا تُوفِّي أَبو سَعِيدٍ سَنَةَ سِتٍ وَثَلاثِينَ وَسَبْعِ مِائَة، وَلَم يُعْقِب، اضْطَرَبَتِ الدَّوْلَةُ، وَمَرِجَ أَمْرُ النَّاسِ، وَافْتَرَقَ المُلْكُ طَوَائِف، وَغَلَبَ أُزْبَكُ، صَاحِبُ الشَّمَالِ، عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ خُرَاسَانَ فَمَلَكَهَا، وَاسْتَبَدَّ بِهَرَاةَ المَلِكُ حُسَيْنُ.........[(1)].

وَكَانَ مَحْمُودُ بنُ إِينجَه، مِنْ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيد، [عَامِلاً][(2)] عَلَى أَصْفَهَانَ وَفَارِس، فَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِه، وَاتَّخَذَ الكُرْسِيَّ بِشِيرَازَ إِلى أَنْ هَلَكَ، وَوَلِيَ بَعْدَه ابْنُه [أبو][(3)] إِسْحَاق أَمِير شَيْخ، سَالِكاً سَبِيلَه فِي الاسْتِبْدَادِ، وَكَانَتْ لَه آثَارٌ جَمِيلَة، وَلَه صَنَّفَ الشَّيْخُ عَضُدُ الدِّين[(4)] كِتَابَ المَوَاقِف، وَالشَّيْخُ عِمَادُ الدِّين الكَاشِيُّ[(5)] شَرْحَ كِتَابِ المِفْتَاحِ، وَوَسَمُوهُمَا بِاسْمِه.

---

(1) بياض في الأصول، نحو أربع كلمات.

(2) في الأصول: عالماً، والتصويب بما يتفق والسياق.

(3) إضافة مما يلي.

(4) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، القاضي عضد الدين الأيجي، المتوفى سنة 756 هـ، انظر عنه: السلوك 3: 16، طبقات الشافعية 10: 46، الدرر الكامنة 2: 322، البدر الطالع 1: 326.

(5) يحيى بن أحمد، وفاته بأصبهان بعد سنة 745هـ، انظر عنه الاعلام 8: 136، كشف الظنون 1: 39 و2: 1542.

وَتَغَلَّبَ أيضاً مُحَمَّدُ بنُ المُظَفَّرِ عَلَى كَرْمَانَ وَنَوَاحِيهَا فَصَارَتْ بِيَدِهِ، وَطَمِعَ فِي الاسْتِيلَاءِ عَلَى فَارِس، وَكَانَ أَبُو إِسْحَاق أَمِير شَيْخ قَدْ قَتَلَ شَرِيفاً مِنْ أَعْيَانِ شِيرَاز، فَنَادَى بِالنَّكِيرِ عَلَيْه، لِيَتَوَصَّلَ إِلَى غَرَضِه مِنَ انْتِزَاعِ المُلْكِ مِنْ يَدِه. وَسَارَ فِي جُمُوعِه إِلَى شِيرَاز، وَمَالَ إِلَيْه أَهْلُ البَلَدِ، لِنَفْرَتِهِم عَنْ أَمِير شَيْخ لِفَعْلَتِه فِيهِم، فَأَمْكَنُوه مِنَ البَلَدِ، وَمَلَكَهَا، وَاسْتَوْلَى عَلَى كُرْسِيِّهَا، وَهَرَبَ أَبُو إِسْحَاق أَمِير شَيْخ إِلَى أَصْفَهَان، وَاتَّبَعَهُ فَفَرَّ مِنْهَا أَيضاً، وَمَلَكَ أَصْفَهَان، وَبَثَّ الطَّلَبَ عَلَيْه فِي الجِهَاتِ حَتَّى تَقَبَّضَ عَلَيْه، وَقَتَلَه قِصَاصاً بِالشَّرِيفِ الَّذِي قَتَلَه بِشِيرَاز.

وَكَانَ لَه مِنَ الوَلَدِ أَرْبَعَة: شَاه وَلِيّ، وَمَحْمُود، وَشُجَاعٌ، وَأَحْمَد، وَتُوُفِّيَ شَاه وَلِيّ أَيَّامَ أَبِيه، وَتَرَكَ ابْنَيْه: مَنْصُوراً وَيَحْيَى، وَمَلَّكَ ابْنَه مَحْمُودًا أَصْفَهَان، وَابْنَه شُجَاعاً شِيرَازَ وَكَرْمَان، وَاسْتَبَدَّ عَلَيْه مَحْمُودٌ وَشُجَاع، وَخَلَعَاه عَنْ مُلْكِه سَنَةَ سِتِّينَ، وَكَحَلَاه.

وَتَوَلَّى كِبْرَ ذَلِكَ شُجَاعٌ، وَسَارَ إِلَيْه مَحْمُودٌ مِنْ أَصْفَهَانَ / بَعْدَ مَا اسْتَجَاشَ [446 ب]
بِأُوَيْس بن حَسَنٍ الكَبِير، فَأَمَدَّه بِالعَسَاكِرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّين، وَمَلَكَ شِيرَاز، وَلَحِقَ شُجَاعٌ بِكَرْمَان وَأَبْرَقُوه مِنْ أَعْمَالِه، وَأَقَامَ بِهَا، وَاخْتَلَفَ عَلَيْه عُمَّالُه، ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَى طَاعَتِه.

ثُمَّ جَمَعَ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِين، وَرَجَعَ إِلَى شِيرَاز، فَفَارَقَهَا أَخُوه مَحْمُودٌ إِلَى أَصْفَهَان، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِين، فَاسْتَضَافَهَا شُجَاعٌ إِلَى أَعْمَالِه، وَأَقْطَعَهَا لابْنِه زَيْنِ العَابِدِين، وَزَوَّجَه بِابْنَةِ أُوَيْسٍ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ مَحْمُود، وَوَلَّى عَلَى يَزْدَ يَحْيَى ابنَ أَخِيه شَاه وَلِيّ، ثُمَّ هَلَكَ شُجَاعٌ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِين، وَاسْتَقَلَّ ابْنُه زَيْنُ العَابِدِينَ بِأَصْفَهَان، وَخَلَفَه فِي شِيرَازَ وَفَارِسَ مَنْصُورٌ ابنُ أَخِيه شَاه وَلِيّ.

ثُمَّ سَارَ زينُ العَابِدِين مِنْ أَصْفَهَان إلى شِيرَاز فَملَكَهَا مِنْ يَدِ مَنْصُورِ بن شَاه وَلِيّ، وَكَان عَادِلُ كَبِيرَ دَوْلَة بَني أُوَيْسٍ بالسُّلطَانِيَّة، كَمَا مَرَّ، وَلَحِقَ بِه مَنْصُورُ بنُ شَاه وَلِيّ هَارِباً مِنْ شِيرَاز، أَمَامَ عَمِّه زينِ العَابِدِين، فَحَبَسَه، ثُمَّ فَرَّ مِنْ مَحْبِسِه وَلَحِقَ بِأَحْمَدَ بنِ أُوَيْس مُسْتَصْرِخاً بِه، فَصَارَخَه[ا]، وَأَنْزَلَه بِتُسْتَر مِنْ أَعْمَالِه، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إلى شِيرَاز، فَفَارَقَهَا عَمُّه زَينُ العَابِدِينَ إلى أَصْفَهَان، وَسَارَ في اتبَاعِه إلى أَنْ تَقَبَّضَ عَلَيْه وَكَحَلَه، وَاسْتَقَلَّ بِمُلْكِ شِيرَاز وَأَصْفَهَان، وَأَخُوه يَحْيَى بِيَزد، وَعَمُّهما أَحْمَدُ ابنُ مُحَمَّدِ بنِ المُظَفَّر بِكَرْمَان.

ثُمَّ زَحَفَ تَمُرْ سُلْطَانُ الطَّطَرِ مِنْ بَني جَغْطَايَ بن جِنكِيزْ خَان سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِين، وَمَلَكَ تورِيز وَخَرَّبَهَا، كَمَا مَرَّ في أَخْبَارِه[1]، فَأَطَاعَه يَحْيَى صَاحِبُ يَزد، وَأَحْمَدُ صَاحِبُ كَرْمَان، وَهَرَبَ زَينُ العَابِدِينَ مِنْ أَصْفَهَان، وَمَلَكَهَا عَلَيْه تَمُرْ، فَلَحِقَ بِشِيرَاز، وَرَجَعَ تَمُرْ إلى بِلَادِه فِيمَا وَرَاءَ النَّهر، وَعُمِّيَتْ أَنْبَاؤه إلى سَنَة خَمْسٍ وَتِسْعِين، فَزَحَفَ إلى بِلَادِ فَارِس، وَجَمَعَ مَنْصُورُ بنُ شَاه وَلِيّ العَسَاكِرَ لِحَرْبِه، فَخَادَعَه تَمُرْ وَلَايَنَه، وَانكَفَأَ رَاجِعاً إلى هَرَاة، فَافْتَرَقَتْ عَسَاكِرُ مَنْصُورِ ابن شَاه وَلِيّ، وَجَاءَتْ عُيُونُ تَمُرْ بِخَبَرِ افْتِرَاقِهَا إلَيْه، فَأَغَذَّ السَّيْرَ مُنْقَلِباً، وَكَبَسَ مَنْصُورَ بنَ شَاه وَلِيّ بِظَاهِرِ شِيرَاز، وَهُوَ في قِلٍّ مِنَ العَسْكَرِ، لا يُجَاوِزُونَ أَلْفَيْنِ، فَهَرَبَ الكَثِيرُ [447 ا] / مِنْ أَصْحَابِه إلى تَمُرْ، وَاسْتَمَاتَ هُو وَالبَاقُون، وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ، وفُقِدَ هُوَ في المَعْرَكَةِ، فَلَمْ يُوقَفْ لَه عَلَى خَبَرٍ، وَمَلَكَ تَمُرْ شِيرَاز، وَاسْتَضَافَهَا إلى أَصْفَهَان، وَوَلَّى

(ا) استصرخه فأصرخه، واستعمال ابن خلدون غريب.

(1) ينظر ما سبق ص 653.

عَلَيْها مِنْ قِبَلِه، وَقَتَلَ أَحْمَدَ بنَ مُحَمَّد صَاحِبَ كَرْمَان، وَابْنَيْه، وَوَلَّى عَلَى كَرْمَانَ مِنْ قِبَلِه، وَقَتَلَ يَحْيَى بنَ شَاه وَلِيّ صَاحِبَ يَزْدَ وَأَبْنَاءَه، وَوَلَّى عَلَى يَزْدَ مِنْ قِبَلِه، وَاسْتَلْحَمَ بَنِي المُظَفَّر، وَاسْتَبْقَى زَيْنَ العَابِدِين لِعَمَاه، وَهَرَبَ ابْنُه فَلَحِقَ بِخَالِه أَحْمَدَ بنِ أُوَيْس، وَهُوَ لِهَذَا العَهْدِ مُقِيمٌ مَعَه بِمِصْرَ. واللهُ وَارِثُ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْها.

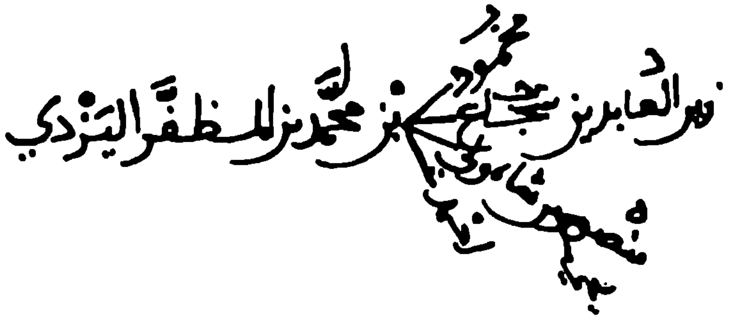

[مشجّر نسب بني المظفر اليزدي]

الخَبَرُ عَن بَني أَرْتَنَا[أ] مُلوك بلاد الرُّوم مِنَ المُغل بَعد بَني هُلاوو[ب]، والإِلمامُ بِمَبادِئ أُمُورِهِم وَمَصائرِهَا

قَد سَبَقَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ المَمْلَكَةَ كَانَتْ لِبَني قِلِيج أَرْسَلَان، مِنْ مُلُوكِ السَّلْجُوقِيَّة، وَهُم الذين أَقَامُوا فِيها دَعْوَةَ الإِسْلَامِ، وَانْتَزَعُوها مِنْ يَدِ مُلُوكِ الرُّوم أَهْلِ قُسْطَنْطِينَة، وَاسْتَضَافُوا إِلَيْها كَثِيراً مِنْ أَعْمَالِ الأَرْمَنِ وَمِنْ دِيَارِ بَكْر، فَاتَّسَعَتْ أَعْمَالُهم وَعَظُمَتْ مَمَالِكُهم، وَكَانَ كُرْسِيُّهم بِقُونِيَة، وَمِنْ أَعْمَالِهَا: أَقْصَرَا، وَأَنْطَاكِيَة، وَالعَلَايَا، وَطَنْغُزْلُو، وَدَمَرْلُو، وَقَرَا حِصَار، وَمِنْ مَمَالِكِهم أَرْزَنْجَان، وَمِنْ أَعْمَالِهَا: أَقْشَهْر، وَزَرْنْجَان، وَكَامِخ، وَقَلْعَةُ كَعُونِيَّة، وَمِنْ مَمَالِكِهم أيضاً قَيْسَارِيَّة، وَمِنْ أَعْمَالِهَا: نَكِدَة، وَعَرَاقْلِيَّة، وَمَنَال، وَمِنْ مَمَالِكِهم أيضاً: سِيوَاس وَأَعْمَالُها، مَلَكُوهَا مِنْ يَدِ بَنِي الدَّانَشْمِنْد، كَمَا مَرَّ في أَخْبَارِهِم، وَمِنْ أَعْمَالِهَا: كِنْسَار، وَأَنَاسِيَّة، وَتُوقَات، وَقَمْنَات، وَكَنكَر، وَأَنكُورِيَّة، وَسَامْسُون، وَصُنُوب، وَكَسْتَمُونِيَّة، وَطَرْخَلُوا، وَبَرْلُوا، وَمِمَّا اسْتَضَافُوه مِنْ بِلَادِ الأَرْمَن: خِلَاط، وَهِي أَرْمِينِيَّةُ الكُبْرَى، وَآنِي، وَسَطَان، وَأَرْجِيش، وَمِنْ بِلَادِ الكُرْجِ: آلْتِي وأَعْمَالُهَا، ومِنْ دِيَارِ بَكْر: خَرْتَ بِرْتَ، وَمَلَطْيَة، وَسُمَيْسَاط، وَمَشَار. فَكَانَتْ لَهم هَذِهِ الأَعْمَالُ وَمَا يَتَّصِلُ بِها مِنَ الشَّمَالِ إِلى مَدِينَة بُرْصَا، ثُمَّ إِلى خَلِيجِ القُسْطَنْطِينَة، وَاسْتَفْحَلَ مُلْكُهم فِيها، وَعَظُمَتْ دَوْلَتُهم، ثُمَّ [447 ب] طَرَقَهَا الهَرَمُ / وَالفَشَلُ، كَمَا يَطْرُقُ الدُّوَلَ.

(أ) يغلب على نطق هذا الاسم: أرتنا، ولفظه المؤرخ الاستراباذي المعاصر له: أرتنا، وورد الاسم في نقش قديم: ارتنا. (تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة 2: 514، حاشية 1).

(ب) يورد ابن خلدون اسم هولاكو بهذه الصيغة.

وَلَمَّا اسْتَوْلَى الطَّطَرُ عَلَى مَمَالِكِ الإِسْلامِ شَرْقاً وَغَرْباً، وَوَرِثُوا الدُّوَلَ مِنْ سَائِرِ النَّوَاحِي، وَاسْتَقَرَّ التَّخْتُ الأَعْظَمُ لِمَنْكُوقَان أَخِي هُولاَوُو، جَهَّزَ عَسَاكِرَ المُغْلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ[1] وَسِتِّ مِائَةٍ إِلَى هَذِهِ البِلَادِ، وَعَلَيْهِم [بِيجُو][2]، مِن أَكَابِرِ أُمَرَائِهِم، وَعَلَى بِلَادِ الرُّومِ يَوْمَئِذٍ غِيَاثُ الدِّينِ كَيخُسْرُو بنُ عَلاءِ الدِّينِ كَيقُبَاذ، وَهُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ مُلُوكِهِم، مِنْ لَدُنْ قُطْلُمُش، فَنَزَلُوا عَلَى أَرْزَنِ الرُّومِ، وَبِهَا سِنَانُ الدِّينِ يَاقُوتُ، مَوْلَى عَلَاءِ الدِّينِ، فَمَلَكُوهَا بَعْدَ الحِصَارِ شَهْرَيْنِ، وَاسْتَبَاحُوهَا، وَتَقَدَّمُوا أَمَامَهم، وَلَقِيَتْهم مُقَدِّمَةُ غِيَاثِ الدِّينِ بِالصَّحْرَاءِ عَلَى أَقْشَهْر زَنْجَان، فَهَزَمُوهَا، وَانْهَزَمَ غِيَاثُ الدِّينِ وَرَاءَهَا، وَاحْتَمَلَ ذَخِيرَتَه وَعِيَالَه، وَلَحِقَ بِقُونِيَة، وَاسْتَوْلَى بِيجُو عَلَى مُخَلَّفِه[3]، ثُمَّ سَارَ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ فَمَلَكَهَا، وَهَلَكَ غِيَاثُ الدِّينِ إِثْرَ ذَلِكَ[4]، وَمَلَكَ بَعْدَه بِعَهْدِه [ابْنُه][5] عَلاءُ الدِّينِ كَيقُبَاذ، وَأَشْرَكَ مَعَه أَخَوَيْه فِي أَمْرِه وَهُمَا: عِزُّ الدِّينِ كَيكَاوُس، وَرُكْنُ الدِّينِ قِلِيج أَرْسَلان[6].

وَعَاثَتْ عَسَاكِرُ الطَّطَرِ فِي البِلَادِ، فَسَارَ عَلاءُ الدِّينِ كَيقُبَاذ إِلَى مَنْكُوقَان، صَاحِبِ التَّخْتِ، وَاخْتَلَفَ أَخَوَاه مِنْ بَعْدِه، وَغَلَبَ عِزُّ الدِّينِ كَيكَاوُس، وَاعْتَقَلَ أَخَاه رُكْنَ الدِّينِ بِقُونِيَة، وَبَعَثَ فِي إِثْرِ أَخِيه عَلاءِ الدِّينِ مَنْ يَسْتَفْسِدُ لَه مَنْكُوقَان،

---

(1) سبقت هذه الحملة حملات أخرى للططر على بلاد الروم في سنوات 634هـ، 641 هـ. نهاية الأرب 27: 348.

(2) في الأصول: بيكو، وانظر زبدة الفكرة 20، ومما سبق ص 297.

(3) زبدة الفكرة 21 – 22، نهاية الأرب 27: 349.

(4) سنة 654 هـ: نهاية الأرب 27: 349.

(5) في الأصول: أبيه، والتصويب يتفق مع السياق.

(6) زبدة الفكرة 22، وينظر نهاية الأرب 27: 107.

فَلَم يَحْصُلْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى طَائِلٍ، وَهَلَكَ عَلاءُ الدِّين فِي طَرِيقِه، وَكَتَبَ مَنْكُوقَان بِتَشْرِيكِ المُلْكِ بِبِلَادِ الرُّومِ بَيْنَ عِزِّ الدِّين وَرُكْنِ الدِّين، وَالبِلَادُ بَيْنَهُمَا مَقْسُومَةٌ، فَلِعِزِّ الدِّين مِنْ سِيوَاس إِلى تُخُومِ القُسْطَنْطِينِيَّة، وَلِرُكْنِ الدِّين مِنْ [نهر][1] سِيوَاس إِلى أَرْزَن الرُّومِ مُتَّصِلاً مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بِبِلَادِ الطَّطَرِ. وَأُفْرِجَ عِزُّ الدِّين عَنْ رُكْنِ الدِّين، وَاسْتَقَرَّ فِي طَاعَةِ الطَّطَرِ[2].

وَسَارَ بِيجُو فِي بِلَادِ الرُّومِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ عِزُّ الدِّين، فَلَقِيَه أَرْسَلَان دُغْمُش، مِنْ أُمَرَاءِ عِزِّ الدِّين، فَهَزَمَه بِيجُو وَسَارَ إِلى قُونِيَة، فَأَجْفَلَ مِنْهَا عِزُّ الدِّين إِلى العَلَايَا[3]، وَحَاصَرَهَا / [448أ] بِيجُو فَمَلَكَهَا عَلَى يَدِ خَطِيبِهَا، وَخَرَجَ إِلى بِيجُو فَأَسْلَمَتْ زَوْجُه عَلَى يَدِه[4]، وَمَنَعَ الطَّطَرَ مِنْ دُخُولِهَا إِلَّا وِحْدَاناً، وَأَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا لِأَحَدٍ، وَاسْتَقَرَّ عِزُّ الدِّين وَرُكْنُ الدِّين فِي طَاعَةِ الطَّطَرِ، وَلَهُمَا اسْمُ السَّلْطَنَةِ، وَالحُكْمُ لِلشَّحْنَةِ بِيجُو[5].

وَلَمَّا زَحَفَ هُولَاوُو إِلى بَغْدَادَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِين، اسْتَنْفَرَ بِيجُو وَعَسَاكِرَه، فَامْتَنَعَ وَاعْتَذَرَ بِمَنْ فِي طَرِيقِه مِنْ طَوَائِفِ الأَكْرَادِ الفَارِسِيَّةِ وَاليَارُوقِيَّةِ، فَبَعَثَ إِلَيْه هُولَاوُو العَسَاكِرَ، وَمَرُّوا بِأَرْزَنْجَان، فَأَجْفَلَ أَهْلُهَا أَمَامَ الأَكْرَادِ فَمَلَكُوهَا، وَسَارُوا مَعَ بِيجُو إِلى هُولَاوُو، وَحَضَرَ مَعَه فَتْحَ بَغْدَادَ وَمَا بَعْدَهَا[6].

---

(1) إضافة للتوضيح من نهاية الأرب 27: 109.

(2) زبدة الفكرة 26 - 31.

(3) مدينة أسسها السلطان علاء الدين السلجوقي: بلدان الخلافة الشرقية 183.

(4) نهاية الأرب 27: 351 – 352.

(5) زبدة الفكرة 31 - 33 ، نهاية الأرب 27: 109.

(6) زبدة الفكرة 35 – 36، نهاية الأرب 27: 109.

وَلَمَّا نَزَلَ هُولَاوُو حَلَبَ، اسْتَدْعَى عِزَّ الدِّينِ وَرُكْنَ الدِّينِ فَحَضَرَا مَعَه فَتْحَهَا، وَحَضَرَ مَعَهُمَا وَزِيرُهُمَا مُعِينُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ البَرْوَانَاه، وَاسْتَحْسَنَه هُولَاوُو، وَتَقَدَّمَ إِلَى رُكْنِ الدِّينِ بِأَنْ يَكُونَ السَّفِيرَ إِلَيْه عَنْه، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ[1].

ثُمَّ هَلَكَ بيجو، مُقَدَّمُ الطَّطَرِ بِبِلَادِ الرُّومِ، وَوَلِيَ مَكَانَه صُمْغَار، مِنْ أُمَرَاءِ المُغْلِ، ثُمَّ اخْتَلَفَ الأَمِيرَانِ: ابْنَا غِيَاثِ الدِّينِ، سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَاقْتَتَلَا، وَاسْتَوْلَى عِزُّ الدِّينِ عَلَى أَعْمَالِ رُكْنِ الدِّينِ، فَسَارَ وَمَعَه البَرْوَانَاه إِلَى هُولَاوُو صَرِيخاً، فَأَمَدَّه بِالعَسَاكِرِ، وَسَارَ إِلَى عِزِّ الدِّينِ فَهَزَمَهم، وَاسْتَمَدَّ ثَانِياً فَأَمَدَّه هُولَاوُو، وَهَزَمَ عِزَّ الدِّينِ، فَلَحِقَ بِالقُسْطَنْطِينَة وَأَقَامَ عِنْدَ صَاحِبِهَا لَشْكَرِي، وَاسْتَوْلَى رُكْنُ الدِّينِ قِلِيج أَرْسَلَان عَلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَامْتَنَعَ التُّرْكُمَانُ الذِينَ بِتِلْكَ الأَعْمَالِ بِأَطْرَافِ الجِبَالِ وَالثُّغُورِ وَالسَّوَاحِلِ، وَطَلَبُوا الوِلَايَةَ مِنْ هُولَاوُو، فَوَلَّاهم وَأَعْطَاهم آلَةَ المُلْكِ، فَهُمْ مُلُوكٌ بِهَا مِنْ يَوْمَئِذٍ كَمَا يَأْتِي فِي أَخْبَارِهِم[2].

وَأَقَامَ عِزُّ الدِّينِ بِالقُسْطَنْطِينَة، وَأَرَادَ التَّوَثُّبَ بِصَاحِبِهَا لَشْكَرِي، وَوَشَى أَخْوَالُه مِنَ الرُّومِ، فَاعْتَقَلَه لَشْكَرِي فِي بَعْضِ قِلَاعِه، إِلَى أَنْ هَلَكَ.

وَيُقَالُ: إِنَّ مَلِكَ الشَّمَالِ مَنْكُوتَمُر، صَاحِبَ التَّخْتِ بِصَرَاي، حَدَثَتْ بَيْنَه وَبَيْنَ صَاحِبِ القُسْطَنْطِينَة فِتْنَةٌ، فَغَزَاه / [448 ب] وَاكْتَسَحَ بِلَادَه، وَمَرَّ بِالقَلْعَةِ التِي بِهَا عِزُّ الدِّينِ مُعْتَقَلاً، فَاحْتَمَلَه مَعَه إِلَى صَرَاي، وَهَلَكَ عِنْدَه[3]، وَلَحِقَ [ابْنُه][4] مَسْعُودٌ،

---

(1) زبدة الفكرة 47.

(2) ينظر ما يلي ص 739.

(3) سنة 657 هـ: نهاية الأرب 27: 111.

(4) في الأصول: أبيه، والتصويب يتفق مع السياق.

بَعْدَ ذَلِكَ، بِأَبْغَا بنِ هُولَاوُو فَأَكْرَمَه وَوَلَّاه عَلَى بَعْضِ القِلَاعِ بِبِلَادِ الرُّومِ.

ثُمَّ إِنَّ مُعِينَ الدِّين سُلَيْمَان البَرْوَانَاه ارْتَابَ بِرُكْنِ الدِّين فَقَتَلَه غِيلَةً سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّين، وَنَصَّبَ ابْنَه كَيخُسْرُو[1] لِلمُلْكِ، وَلَقَّبَه غِيَاثَ الدِّين، وَكَانَ مُتَغَلِّباً عَلَيْه[2]، وَمُقِيمًا مَعَ ذَلِكَ لِطَاعَةِ الطُّطَرِ، وَرُبَّمَا كَانَ يَسْتَوْحِشُ مِنهم فَيُكَاتِبُ سُلْطَانَ مِصْرَ بِالدُّخُولِ فِي طَاعَتِه، وَاطَّلَعَ أَبْغَا عَلَى كِتَابِه بِذَلِكَ إِلَى الظَّاهِرِ بَيْبَرْس، فَتَنَكَّرَ لَه[3].

وَهَلَكَ صَمْغَار الشَّحْنَةُ، فَبَعَثَ أَبْغَا مَكَانَه أَمِيرَيْنِ مِنَ المُغْلِ وَهُمَا: تَدَاوُن وَتُوقُو، فَتَقَدَّمَا سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، وَنَزَلَا كُوكْصُو[4] وَمَعَهُمَا غِيَاثُ الدِّين كَيخُسْرُو، وَكَافِلُه البَرْوَانَاه فِي العَسَاكِرِ، وَسَارَ الظَّاهِرُ مِنْ دِمَشْقَ فَلَقِيَهم بِأَبُلُسْتَيْنِ، وَقَدْ قَعَدَ البَرْوَانَاه عَمَّا كَانَ يُوَاعِدُ الظَّاهِرَ عَلَيْه، وَهَزَمَهم الظَّاهِرُ جَمِيعاً، وَقَتَلَ الأَمِيرَيْنِ: تَدَاوُن وَتُوقُو فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الطُّطَرِ، وَنَجَا البَرْوَانَاه وَسُلْطَانُهُ فَلَمْ يُصَبْ مِنْهم، وَاسْتَرَابَ[5] الطُّطَرُ بِالبَرْوَانَاه لِذَلِكَ، وَمَلَكَ الظَّاهِرُ قَيْسَارِيَّةَ، كُرْسِيَّ بِلَادِ الرُّومِ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ[6].

وَجَاءَ أَبْغَا حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَكَانِ المَلْحَمَةِ، وَرَأَى مَصَارِعَ قَوْمِه فَصَدَّقَ الرِّيبَةَ بِمُمَالَأَةِ الظَّاهِرِ فِي البَرْوَانَاه وَأَصْحَابِه، فَاكْتَسَحَ البِلَادَ وَخَرَّبَهَا، وَرَجَعَ، ثُمَّ اسْتَدْعَى

(1) وله من العمر أربع سنين. نهاية الأرب 27: 112.

(2) زبدة الفكرة 116، نهاية الأرب 27: 112.

(3) زبدة الفكرة 146، نهاية الأرب 27: 397، وينظر ما سبق ص 297 – .

(4) كوكصو = كوك صو: النهر الأزرق.

(5) في الأصول: واسترات، والتصويب يتفق مع السياق، وينظر ما سبق ص 299، 670.

(6) نهاية الأرب 30: 356 – 357، وينظر ما سبق ص 300.

البَرْوَانَاه إلى مُعَسْكَرِه فقتَلَه[1]، وأقَامَ مَكَانَه - في كَفَالَةِ كَيخُسْرُو - أخَاه عِزَّ الدِّين مُحَمَّداً[2].

وَلَم يَزَلْ غِيَاثُ الدِّين وَالِياً عَلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَالشّحْنَةُ مِنَ المُغْلِ حَاكِماً بالبِلَادِ، إلى أن وَلِيَ تَكُدَار بنُ هُولَاوُو، وَكَان أخُوه قُنْغُرْطَاي مُقِيماً بِبِلَادِ الرُّومِ مع صُمْغَار، فَبَعَثَ عَنه، وَامْتَنَعَ مِنَ الوُصُولِ، فَأَوْعَزَ إلى غِيَاثِ الدِّين بإشْخَاصِه إلَيه، فَجَاءَ غِيَاثُ الدِّين بِه إلى تَكُدَار، فَقَتَلَه تَكُدَار، وَعَزَلَ غِيَاثَ الدِّين وَاعْتَقَلَه بِأَرْزَنْكَان، وَوَلَّى عَلَى بِلَادِ الرُّومِ مَسْعُودَ بنَ عِزِّ / الدِّين كَيكَاوُس[3]، وَوَلَّى عَلَى الشّحْنَكِيَّة أُولَاكُو[أ]، مِن أُمَرَاءِ المُغْلِ، وَذَلِكَ سَنَةَ إحْدَى وَثَمَانِين. وَيُقَالُ: إنَّ أرْغُون ابنَ أبْغَا هُوَ الَّذِي وَلَّى أولَاكو شِحْنَةً بِبِلَادِ الرُّومِ بَعْدَ صُمْغَار، وَإنَّ تَدَاوُن وَتُوقُو إنَّمَا بَعَثَ بِهِمَا أبْغَا لِقِتَالِ الظَّاهِرِ وَلَم يُرْسِلْهُمَا شِحْنَةً. [449أ]

ثُمَّ أقَامَ مَسْعُودُ بنُ عِزِّ الدِّين كَيكَاوُس في سُلْطَانِه بِبِلَادِ الرُّومِ، وَالحُكْمُ لِشِحْنَةِ الطَّطَرِ، وَلَيْسَ لَه مِنَ المُلْكِ إلَّا اسْمُه، إلى أنِ افْتَقَرَ وَاضْمَحَلَّ أمْرُه[4].

وَبَقِيَ أُمَرَاءُ المُغْلِ يَتَعَاقَبُونَ في الشّحْنَكِيَّة بِبِلَادِ الرُّومِ، وَكَان مِنهم أوَّلَ المِائَة الثَّامِنَة الأمِيرُ بُرْغُلِي[5]، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مَلِكَ الأرْمَن هَيْثُومَ بنَ لِيفُون، صَاحِبَ

(أ) كذا، وفي زبدة الفكرة 239: أولاجو.

---

(1) في آخر صفر 676 هـ. نهاية الأرب 27: 399، وينظر ما سبق ص 699.

(2) زبدة الفكرة 157 – 158، نهاية الأرب 27: 113.

(3) نهاية الأرب 27: 113.

(4) زبدة الفكرة 238 – 239.

(5) في زبدة الفكرة 395: برلغوا.

سِيس، وَاسْتَعْدَى أَخُوه عَلَيْه بِخُرْبَنْدَا، فَأَعْدَاه وَقَتَلَه[1]، كَمَا مَرَّ فِي أَخْبَارِ مُلُوكِ الأَرْمَنِ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ.

وَكَان مِنْهم بَعْدَه سَنَةَ عِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَة الأَمِيرُ إِيتَمْش، ثُمَّ وَلَّى السُّلْطَانُ أَبُو سَعِيد عَلَى بِلَادِ الرُّومِ دِمِرْدَاش ابنَ نَائِبِه جُوبَان سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِين[2]، فَاسْتَفْحَلَ بِها مُلْكُه، وَجَاهَدَ الأَرْمَنَ بِسِيس، وَاسْتَمَدَّ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بنَ قَلَاوُونَ صَاحِبَ مِصْرَ عَلَيْهِم، فَأَمَدَّه بِالعَسَاكِرِ، وَافْتَتَحُوا إِيَاس عَنْوَةً وَرَجَعُوا. ثُمَّ نَكَبَ السُّلْطَانُ أَبُو سَعِيد نَائِبَه جُوبَانَ بنَ تَدَاوُن وَقَتَلَه، كَمَا مَرَّ فِي أَخْبَارِهِم[3].

وَبَلَغَ الخَبَرُ إِلَى دِمِرْدَاش ابنِه بِبِلَادِ الرُّومِ، فَاضْطَرَبَ لِذَلِكَ، وَلَحِقَ بِمِصْرَ فِي عَسَاكِرِه وَأُمَرَائِه، فَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ عَلَيْه وَتَلَقَّاه بِالتَّكْرِمَةِ وَالإِيثَارِ، وَجَاءَتْ رُسُلُ أَبِي سَعِيد فِي اتِّبَاعِه بِطَلَبِ حُكْمِ اللهِ فِيه بِسَعْيِه فِي الفَسَادِ وَإِثَارَةِ الفِتْنَة، عَلَى أَنْ يُفْعَلَ مِثْلُ ذَلِكَ بِقَرَا سُنْقُر النَّازِعِ إِلَيْهِم مِنْ أُمَرَاءِ الشَّامِ، فَقَتَلُوه، وَقُتِلَ دِمِرْدَاش بِمِصْرَ، وَذَهَبَا بِمَا كَسَبَا.

وَكَان دِمِرْدَاش لَمَّا هَرَبَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ إِلَى مِصْرَ تَرَكَ بِها مِنْ أُمَرَائِه أَرْتَنَا، وَكَان يُسَمَّى النُّوِين، [وهو] اسْمُ أَبْنَاءِ المُلُوكِ، فَبَعَثَ إِلَى أَبِي سَعِيد بِطَاعَتِه، وَوَلَّاه عَلَى البِلَادِ فَمَلَكَهَا، وَنَزَلَ سِيوَاس وَاتَّخَذَهَا كُرْسِيّاً لِمُلْكِه.

(1) ينظر ما سبق ص 377.

(2) ورد فيما سبق أن جوبان ولى ابنه تمرتاش على بلاد الروم، وأنه زحف سنة 721 هـ إلى بلاد سيس. ينظر ما سبق ص 709 – .

(3) ينظر ما سبق ص 757.

ثُمّ اسْتَبَدَّ حَسَنُ بنُ دمِرْدَاش / بِتَوْرِيز، فَبَايَعَ لَه أَرْتِنا، ثُمّ انتَقَضَ وَكَاتَبَ [449ب] المَلِكَ النّاصِرَ صَاحِبَ مِصْرَ وَدَخَلَ فِي طَاعَتِه، وَبَعَثَ إِلَيْه بِالوِلَايَةِ وَالخِلَعِ، فَجَمَعَ لَه حَسَنُ بنُ دمِرْدَاش وَسَارَ إِلَيْه بِسِيوَاس، وَسَارَ أَرْتِنا لِلِقَائِه، فَلَقِيَه بِصَحْرَاءِ اكْسَنْبُوك وَهَزَمَه، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ أُمَرَائِه، وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِين، وَاسْتَفْحَلَ مُلْكُ أَرْتِنا مِنْ يَوْمَئِذٍ، وَعَجَزَ الخَانُ وَحَسَنُ بنُ دمِرْدَاش عَنْ طَلَبِه إِلَى أَنْ تُوفِّيَ [أَرْتِنا][1] سَنَةَ ثَلاثٍ وَخَمْسِين.

وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِه بَنُوه، لا أَدْرِي مَنْ مَلَكَ مِنْهم[2]، وَلا تَرْتِيبَ وِلايَتِهم، إِلَّا أَنَّه وَقَعَ فِي أَخْبَارِ التُّرْكِ أَنَّ السُّلْطَانَ [الأشرف شعبان][3] أَوْعَزَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ إِلَى نَائِبِ حَلَبَ أَنْ يَسِيرَ فِي العَسَاكِرِ لإِنْجَادِ مُحَمَّد بِك بنِ أَرْتِنا فَمَضَوْا وَظَفِرُوا، وَمَا زَالَ أَرْتِنا وَبَنُوه مُسْتَبِدِّينَ بِبِلَادِ الرُّومِ وَأَعْمَالِهَا، وَاقْتَطَعَ لَهُمُ التُّرْكُمَانُ مِنْها بِلَادَ الأَرْمَن، بِسِيس وَمَا إِلَيها، فَاسْتَوْلَى عَلَيْها بَنُو دُلْغَادِر، وَهِيَ فِي أَيْدِيهِم لِهَذَا العَهْدِ.

وَلَمَّا خَالَفَ بَيْبُغَا رُوس مِنْ أُمَرَاءِ التُّرْكِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِين، ظَاهَرَه قَرَاجَا ابن دُلْغَادِر عَلَى خِلَافِه، وَزَحَفَ إِلَيْه السُّلْطَانُ مِنْ مِصْرَ، فَافْتَرَقَتْ جُمُوعُه، وَاتَّبَعَتْه العَسَاكِرُ فَقُتِلَ، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ عَسْكَراً فِي طَلَبِ قَرَاجَا، فَسَارُوا إِلَى البُلُسْتَيْن[4]، وَأَجْفَلَ عَنْها، فَنَهَبُوا أَحْيَاءَه، وَلَحِقَ هُوَ بِابْنِ أَرْتِنا فِي سِيوَاس، فَقَبَضَ عَلَيْه وَبَعَثَ بِه إِلَى السُّلْطَانِ بِمِصْرَ فَقَتَلَه.

---

(1) إضافة للتوضيح، وينظر الدرر الكامنة 1: 371.

(2) واستقر مكانه ولده محمد بك: في الدرر الكامنة 1: 371.

(3) إضافة للتوضيح، ينظر الدرر الكامنة 3: 468.

(4) يعني الأبلستين.

وَاقْتَطَعَ أيضاً التُّرْكُمَانُ نَاحِيَةَ الشَّمَالِ مِنْ أعْمَالِهِم إلى القُسْطَنْطِينَة، وَكَبِيرُهُم ابن عُثْمَان جُق، وَقَاعِدَةُ مُلْكِه بُرْصَا، كَما نَذْكُرُ في أخْبَارِهِم، فَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُم هُنَالِكَ، وَأَثْخَنُوا في أُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ وَرَاءَهُم، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ المَمَالِكِ وَرَاءَ القُسْطَنْطِينَة، وَأَمِيرُهُم لِهَذَا العَهْدِ في عِدَادِ المُلُوكِ الأَعَاظِمِ، وَدَوْلَتُهم نَاشِئَةٌ مُتَجَدِّدَةٌ.

وَكَان بَقِيَ بِسِيوَاس مُنْذُ أعْوَامِ الثَّمَانِين صَبِيٌّ[1] مِنْ أَعْقَابِ بَني أرْتِنَا، اسْتَبَدَّ عَلَيْه قَاضِي البَلَدِ إِبْرَاهِيمُ........[2]. بِمَا كَانَ كَافِلاً لَه بِوَصِيَّةِ أَبِيه، ثُمَّ قَتَلَ القَاضِي ذَلِكَ الصَّبِيَّ أعْوَامَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِين / [450أ] وَاسْتَبَدَّ بِذَلِكَ المُلْكِ، وَكَانَتْ هُنَالِكَ أحْيَاءٌ مِنَ الطَّطَرِ يُنَاهِزُونَ ثَلاثِينَ أَلْفاً أو نَحْوَهَا، مُقِيمِينَ بِتِلْكَ النَّوَاحِي، مُنْذُ دِمِرْدَاش بنِ جُوبَان، وَمَنْ قَبْلَه مِنْ أُمَرَاءِ المُغْلِ، وَكَانُوا شِيعَةً لِبَنِي أرْتِنَا وَعِصَابَةً لَهم، وَهم الذين اسْتَنْجَدَهُمُ القَاضِي حِينَ زَحَفَتْ إِلَيه عَسَاكِرُ مِصْرَ في طَلَبِ مِنْطَاش الثَّائِرِ بِمَلْطِيَة، ثُمَّ لَحِقَ بِه، وَسَارَتْ عَسَاكِرُ مِصْرَ في طَلَبِه سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِين، فَاسْتَنْجَدَ القَاضِي بِأَحْيَاءِ الطَّطَرِ هَؤُلاء، وَجَاءُوا لإِنْجَادِه، وَرَجَعَتْ عَسَاكِرُ مِصْرَ عَنْهم، كَما تَقَدَّم ذَلِكَ كُلُّه في أَخْبَارِ التُّرْكِ[3].

وَالحَالُ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا العَهْدِ. واللهُ مُصَرِّفُ الأُمُورِ بِحِكْمَتِه.

---

(1) ابن محمد بك. تنظر الدرر الكامنة 3: 468.

(2) بياض في الأصول.

(3) ينظر ما سبق ص 531.

[450 ب]

/ ❁ الخَبَرُ عَن الدَّوْلَةِ المُسْتَجِدَّةِ للتُّرْكُمَان فِي شَمَالِ بِلادِ الرُّومِ إِلَى خَلِيجِ القُسْطَنطِينَةِ وَمَا وَرَاءَه وَلِبَنِي عُثْمَانَ جُق مِنْهُم

قد تَقَدَّمَ لَنَا في أَنْسَابِ أُمَمِ العَالَمِ ذِكْرُ هَؤُلاءِ التُّرْكُمَان، وَأَنَّهم مِنْ وَلَدِ يَافِث ابنِ نُوح، ثُمّ مِنْ تُوغِرْمَا بن كُومَر[1] بن يَافِث، هَكَذَا وَقَعَ في التَّوْرَاةِ[2]، وَذَكَرَ الفَيُّومِيُّ، مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَسَّابَتِهم، أَنَّ تُوغِرْمَا هُم الخَزَر، وَأَنَّ الخَزَرَ هُم التُّرْكُمَان، إِخْوَةُ التُّرْكِ، وَمَوَاطِنُهم قَدِيماً وَحَدِيثاً مِنْ بَحْرِ طَبَرِسْتَان، وَيُسَمَّى بَحْرَ الخَزَر، إلى جَنُوبِيّ القُسْطَنْطِينَة، وَشَرْقِهَا إلى دِيَارِ بَكْر، وَبَعْدَ انْقِرَاضِ العَرَبِ وَالأَرْمَن مَلَكُوا نَوَاحِيَ الفُرَاتِ مِنْ أَوَّلِه إلى مَصَبِّه في دِجْلَة، وَهُم شُعُوبٌ مُتَفَرِّقُون، وَأَحْيَاءٌ مُخْتَلِفُون، لَا يَحْصُرُهم الضَّبْطُ وَلَا يَحْوِيهمُ العَدَدُ.

وَكَانَ مِنْهم بِبِلَادِ الرُّومِ جُمُوعٌ مُسْتَكْثَرَة، وَكَانَ مُلُوكُهَا يَسْتَكْثِرُونَ بِهِم في حُرُوبِهم مَعَ أَعْدَائِهم، وَكَانَ كَبِيرَهم فِيهَا لِعَهْدِ المِائَةِ الرَّابِعَة جُق، وَكَانَتْ أَحْيَاؤُه مَوْفُورَة، وَأَعْدَاؤُه كَاثِرَة.

وَلَمَّا مَلَكَ سُلَيْمَانُ بنُ قَطْلَمِش[3] قُونِيَة وَأَقْصَرَا، بَعْدَ أَبِيه، وَفَتَحَ أَنْطَاكِيَة

(1) في الأصول: غومر، والتصويب مما سبق ص 237.

(2) سفر التكوين 10.

(3) في نهاية الأرب 27: 90 – 91: قتلمش. ونهاية الأرب 27: 91: مَلَكَ ما كان بيد أبيه بعد وفاته في سنة 456 هـ.

سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ [وَأَرْبَعِ مِائَة][1] مِنْ يَدِ الرُّومِ، طَالَبَه مُسْلِمُ بنُ قُرَيْش [صَاحِبُ حَلَبَ][2] بِمَا كَانَ لَه عَلَى الرُّومِ فِيهَا مِنَ الجِزْيَةِ، فَأَنِفَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَدَثَتْ بَيْنَهما الفِتْنَةُ، وَجَمَعَ مُسْلِمُ بنُ قُرَيْش العَرَبَ وَالتُّرْكُمَانَ مَعَ أَمِيرِهِم جُق، وَسَارَ إِلَى حَرْبِ سُلَيْمَان بِأَنْطَاكِيَّة، فَلَمَّا الْتَقَيَا مَالَ التُّرْكُمَانُ إِلَى سُلَيْمَانَ لِعَصَبِيَّةِ التُّرْكِ، وَانْهَزَمَ مُسْلِمُ ابنُ قُرَيْش وَقُتِلَ[3].

وَأَقَامَ أُولَئِكَ التُّرْكُمَانُ بِبِلَادِ الرُّومِ أَيَّامَ بَني قَطْلَمِش مُوَطَّنِينَ بِالجِبَالِ وَالسَّوَاحِلِ. وَلَمَّا مَلَكَ الطَّطَرُ بِلَادَ الرُّومِ أَبْقَوا عَلَى بَني قَطْلَمِش مُلْكَهُم، وَوَلَّوا رُكْنَ الدِّين قِلِيج أَرْسَلَان، بَعْدَ أَنْ غَلَبَ أَخَاه عِزَّ الدِّين كِيكَاوُس وَهَرَبَ إِلَى القُسْطَنْطِينَة[4].

وَكَانَ أُمَرَاءُ هَؤُلَاءِ التُّرْكُمَانِ يَوْمَئِذٍ[5] مُحَمَّد بك وَأَخُوه إِيَاس[6] بك، وَصِهْرُه / عَلِيّ بك، وَقَرِيبُه سُونج، وَالظَّاهِرُ أَنَّهم مِنْ نَسَبِ جُق، فَانْتَقَضُوا عَلَى رُكْنِ الدِّين، [1451] وَبَعَثُوا إِلَى هُولَاوُو بِطَاعَتِهِم وَتَقْرِيرِ الإِتَاوَةِ عَلَيْهِم، وَأَنْ يَبْعَثَ إِلَيهِم بِاللِّوَاءِ عَلَى العَادَةِ، وَأَنْ يَبْعَثَ شِحْنَةً مِنَ الطَّطَرِ يَخْتَصُّ بِهِم، فَأَسْعَفَهم بِذَلِكَ وَقَلَّدَهم، فَهُم مِنْ يَوْمَئِذٍ مُلُوكٌ بِها[7].

(1) من نهاية الأرب 27: 91.

(2) من نهاية الأرب 27: 92.

(3) في نهاية الأرب 27: 92: يوم الجمعة لست بقين من صفر سنة 478 هـ.

(4) نهاية الأرب 27: 107 - 108.

(5) في زبدة الفكرة 73: سنة 659 هـ.

(6) في زبدة الفكرة 73: إلياس

(7) زبدة الفكرة 73.

ثُمّ أَرسَلَ هُولَاوُو إلى مُحَمَّد بك الأميرِ يَسْتَدْعِيه، فامْتَنَعَ مِنَ المَسيرِ إلَيْه واعْتَذَرَ، فَأَوْعَزَ هُولَاوُو إلى الشُّحْنَةِ الّذِي بِبِلَادِ الرُّومِ، وإلى السُّلْطَانِ رُكْنِ الدِّين قِلِيج أرسَلَان بِمُحارَبَتِه، فسَارُوا إلَيه وحَارَبُوه، وَنَزَعَ عَنه صِهرُه عَلي بك، وَوفَدَ عَلَى هُولَاوُو فقَدَّمَه عَلَى قَوْمِه مَكَانَ مُحَمَّدٍ صِهرِه، وَلَقِيَ مُحَمَّدٌ العَسَاكِرَ فانهَزَمَ وَأَبْعَدَ فِي المَفَرِّ، ثُمّ جَاءَ إلى قِلِيج أرسَلَانَ مُسْتَأمِناً فَأَمَّنَه، وَسَارَ مَعَه إلى قُونِيَة فَقَتَلَه[2]، وَاستَقَرَّ صِهرُه عَلِيّ بك أَمِيراً عَلَى التُّرْكُمَان، وَفَتَحَتْ عَسَاكِرُ الطَّطَرِ نَوَاحِي الشِّمَالِ إلى إسْطَنْبُول.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ ابن عُثْمَان، مَلِكَهُم لِهَذَا العَهْدِ، مِنْ أَعْقَابِ عَلِيّ بك أَوْ أَقَارِبِه، يَشْهَدُ لِذَلِكَ اتِّصَالُ هَذِه الإمَارَةِ فِيهِم مُدَّةَ هَذه المِائَة سَنَة.

وَلَمَّا اضْمَحَلَّ أَمْرُ الطَّطَرِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، وَاسْتَقَرَّ بَنُو أَرْتِنَا بِسِيوَاس وَأَعْمَالِهَا، غَلَبَ هَؤلاءِ التُّرْكُمَانُ عَلَى مَا وَرَاءَ الدُّرُوبِ إلى خَلِيجِ القُسْطَنْطِينِيَة، وَنَزَلَ مَلِكُهم مَدِينَةَ بُرْصَا مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَة، وَكَانَ يُسَمَّى أُورخَانَ بنَ عُثْمَان جُق، فَاتَّخَذَهَا سَرِيراً لِمُلْكِه، وَلَمْ يُفَارِقِ الخِيَامَ إلى القُصُورِ، وَإنَّمَا يَنْزِلُ بِخِيَامِه فِي بَسِيطِهَا وَضَوَاحِيهَا.

وَوَلِيَ بَعْدَه ابْنُه مُرَاد بك، وَتَوَغَّلَ فِي بِلَادِ النَّصْرَانِيَّةِ وَرَاءَ الخَلِيجِ، وَافْتَتَحَ بِلَادَهم إلى قَرِيبٍ مِنْ خَلِيجِ البَنَادِقَة وَجِبَالِ جنوَة، وَأَصَارَ أَكْثَرَهم ذِمَّةً وَرَعَايَاً، وَعَاثَ فِي بِلَادِ الصَّقَالِبَةِ بِمَا لَمْ يَعْهَدُوه مِمَّنْ قَبْلَه، وَأَحَاطَ بِالقُسْطَنْطِينِيَة مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا، حَتّى اعْتَقَدَ مَلِكُهَا، مِنْ أَعْقَابِ لَشكَرِي، مِنه الذِّمَّـةَ، وَأَعْطَاه الجِزْيَةَ، / وَلَمْ [451 ب]

---

(1) في زبدة الفكرة 73: سنة 660 هـ.

نَزَلَ عَلَى جِهَادِ أُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ وَرَاءَهُ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ الصَّقَالِبَةُ، فِي حُرُوبِهِ مَعَهُم، سَنَةَ [سِتٍّ][1] وَتِسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَة، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو يَزِيد، وَهُوَ مَلِكُهُم لِهَذَا العَهْدِ[2]، وَقَدِ اسْتَفْحَلَ مُلْكُهُم، وَاسْتَجَدَّتْ بِالعِزَّةِ دَوْلَتُهُم.

وَكَانَ قَدْ غَلَبَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مَا بَيْنَ سِيوَاس وَبِلَادِهِم، مِنْ أَنْطَاكِيَةَ وَالعَلَايَا بِسَاحِلِ البَحْرِ إِلَى قُونِيَة، بَنُو قَرَمَان، مِنْ أُمَرَاءِ التُّرْكُمَان، وَهُم الَّذِين كَانُوا فِي حُدُودِ أَرْمِينِيَّة، وَجَدُّهُم هُو الَّذِي هَزَمَ أُوشِين بنَ لِيفُون، مَلِكَ سِيس مِنَ الأَرْمَن، سَنَةَ عِشْرِينَ[3] وَسَبْعِ مِائَة.

ثُمَّ كَانَ بَيْنَ بَنِي عُثْمَان جُق وَبَيْنَ [بَنِي][4] قَرَمَان اتِّصَالٌ وَمُصَاهَرَةٌ، وَكَانَ ابنُ قَرَمَانَ لِهَذِهِ العُصُورِ صِهْرَ السُّلْطَانِ مُرَاد بِك عَلَى أُخْتِه، فَغَلَبَه السُّلْطَانُ مُرَاد بِك عَلَى مَا بِيَدِه، وَدَخَلَ ابنُ قَرَمَان، صَاحِبُ العَلَايَا، فِي طَاعَتِه، بَلْ وَالتُّرْكُمَانُ كُلُّهم، وَفَتَحَ سَائِرَ تِلْكَ البِلَادِ، وَلَمْ يَبْقَ لَه إِلَّا سِيوَاس، بَلَدُ ابنِ أَرْتِنَا، فِي اسْتِبْدَادِ القَاضِي الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهَا.

وَمَا أَدْرِي مَا اللهُ صَانِعٌ فِيهِم بَعْدَ ظُهُورِ هَذَا المَلِكِ تَمُر، المُتَغَلِّبِ عَلَى مُلْكِ المُغْلِ مِنْ بَنِي جَقْطَاي بنِ جِنْكِيز خَان.

(1) في الأصول: إحدى، والتصويب من المنهل الصافي 12: 366.

(2) توفي أبو يزيد بن مراد في أسر تيمور في أيام من ذي القعدة سنة 805 هـ. المنهل الصافي 12: 369، وينظر درر العقود 1: 439، إنباء الغمر 2: 255.

(3) فيما سبق ص 401: تسع عشرة، وينظر نهاية الأرب 33: 40.

(4) إضافة تتفق مع السياق.

وَمُلْكُ ابنِ عُثْمان لِهَذا العَهْدِ مُسْتَفْحِلٌ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ الشَّمالِيَّةِ، وَمُتَّسِعٌ في أَقْطارِها، وَمَرْهُوبٌ عِنْدَ أُمَمِ النَّصْرانِيَّةِ هُنالِكَ، وَدَوْلَتُه مُسْتَجَدَّةٌ عَزِيزَةٌ عَلَى تِلْكَ الأُمَمِ وَالأَحْياءِ. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[سورة يوسف، من الآية 21].

وَإلى هُنَا انْتَهَتْ أَخْبارُ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ العَرَبِ وَدُوَلِهِم، وَهم العَرَبُ التَّابِعَةُ لِلْعَرَبِ، بِمَا تَضَمَّنَتْه مِنَ الدُّوَلِ الإسْلَامِيَّة شَرْقاً وَغَرْباً، لَهم وَلِمَنْ تَبِعَهم مِنَ العَجَمِ.

فَلْنَرْجِعِ الآنَ إلى ذِكْرِ الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ العَرَبِ، وَهم المُسْتَعْجِمَةُ أَهْلُ الجِيلِ النَّاشِيءِ بَعْدَ انْقِرَاضِ اللِّسانِ المُضَرِيِّ وَدُرُوسِه، وَنَذْكُرُ أَخْبارَهم، ثُمَّ نَخْرُجُ إلى الكِتَابِ الثَّالِثِ مِنَ التَّأْلِيفِ في أَخْبارِ البَرْبَرِ وَدُوَلِهِم، فَنَفْرُغُ بِفَراغِها مِنَ الكِتَابِ / إنْ شَاءَ الله، كَما شَرَطْناه. وَاللهُ وَلِيُّ العَوْنِ وَالتَّوْفِيقِ. [1452]

* * *

تَمَّ الخَبَرُ عَنْ دَوْلَةِ بَني عُثْمانَ جُق مِنَ التُّرْكُمانِ، وَهُوَ آخِرُ الكَلَامِ في الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ العَرَبِ وَدُوَلِهِم، وَدُوَلِ مُعَاصِرِيهِم مِنْ أُمَمِ العَجَمِ، وَبِتَمامِه كَمُلَ السِّفْرُ العَاشِرُ مِنْ كِتابِ الظَّاهِرِيِّ في العِبَرِ بِأَخْبارِ العَرَبِ وَالعَجَمِ وَالبَرْبَرِ، وَيَتْلُوه في السِّفْرِ الحَادِي عَشَرَ: الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ العَرَبِ، وَهمُ المُسْتَعْجِمَة .

وَالحَمْدُ للهِ حَقَّ حَمْدِه، وَصَلَاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِه وَسَلَامُه.

المَصَادِرُ والمرَاجع

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ابن فهد، محمد بن محمد ت 885هـ، 5 مجلدات، جامعة أم القرى 1410هـ / 1990 م.
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، للمقريزي أبي العباس، أحمد بن علي ت 845 هـ، الجزء الأول، تحقيق جمال الدين الشيال، والجزآن: الثاني والثالث تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة 1967 ـ 1973 م.
- أخبار الأيوبيين، للمكين بن العميد، جرجس بن أبي ياسر بن أبي المكارم، ت 672هـ، نشره كلود كاهن، دمشق 1958 م.
- أخبار الدول المنقطعة، جمال الدين علي بن ظافر، القسم الخاص بالفاطميين، نشر أندريه خريه، المعهد الفرنسي بالقاهرة 1972 م.
- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، التيفاشي، أحمد بن يوسف، تحقيق محمد يوسف حسن، ومحمود بسيوني خفاجي، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1977 م.
- أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر ت 538 هـ، مجلدان، القاهرة 1973 م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، السلاوي، أحمد بن خالد الناصري ت 1315هـ، تحقيق ولدي المؤلف: جعفر ومحمد، 9 أجزاء، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954- 1956 م.
- إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ابن طولون، محمد بن علي الصالحي الدمشقي ت 953هـ، تحقيق د. عبدالعظيم حامد خطاب، القاهرة 1973 م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدي، خليل بن أيبك، ت 764 هـ، تحقيق علي أبو زيد ورفاقه، دبي – بيروت: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دار الفكر المعاصر، 1998م.
- الألقاب الرومانية عند قدماء العرب، للكرملي، أنستاس ماري، ت 1949 م، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد 1، الجزء 7، ص193، تموز 1921 م.
- إمبراطورية غانة الإسلامية، د. إبراهيم علي طرخان، القاهرة 1970 م.
- إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت 852هـ، تحقيق د. حسن حبشي، 4 أجزاء، القاهرة 1969- 1976 م.
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ابن دقماق، إبراهيم بن محمد ت 809هـ، نشر فولرز، بولاق 1309هـ/ 1893 م.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ابن أبي زرع، علي ابن محمد بن أحمد ت 726هـ، الرباط 1973 م.
- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في عصر سلاطين المماليك، د. محمد محمد أمين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980 م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، أبي الفدا، إسماعيل بن عمر ت 774هـ، 21 مجلداً، تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي، القاهرة، 1997 م.
- البرق الشامي، العماد الأصفهاني ت 597هـ، ج 3 تحقيق مصطفى الحياري، ج 5 تحقيق فالح صالح، عمان، 1987 م، (ينظر سنا البرق الشامي).
- بلدان الخلافة الشرقية، لكي لسترنج، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985 م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، أبي الفيض، محمد بن محمد ت 1205 هـ، تحقيق مجموعة من العلماء، الكويت، 1965 ـ 2001 م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي محمد بن أحمد ت 748هـ، تحقيق د. بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ابن الأثير الجزري، أبي الحسن، علي بن محمد ت 630هـ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة ـ مكتبة المثنى، القاهرة ـ بغداد، 1963 م.
- تاريخ ابن الجزري، شمس الدين محمد بن إبراهيم ت 738 هـ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، 3 أجزاء، بيروت 2006 م.
- تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، نقله إلى العربية د. السيد الباز العريني، 3 مجلدات، بيروت 1967 – 1969 م.
- تاريخ الخلفاء، للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت 911 هـ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1952م.
- تاريخ دولة آل سلجوق (زبدة النصرة ونخبة العصرة) مختصر تاريخ العماد الأصفهاني (نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الوزراء السلجوقية)، للبنداري، الفتح بن علي ت 643 هـ، القاهرة 1900 م.
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، د. أحمد السعيد سليمان، جزآن، دار المعارف بالقاهرة 1969 م.

- تاريخ الدولتين: الموحدية والحفصية، الزركشي، محمد بن إبراهيم، القرن التاسع الهجري، تحقيق محمد ماضور، تونس 1966 م.
- تاريخ الرسل والملوك، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير ت 310 هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1968 م.
- تاريخ السودان، السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله ت 1066 هـ، باريس 1898 م.
- تاريخ العالم، أوروسيوس Paulus Orosius، من علماء القرن الخامس الميلادي، الترجمة العربية القديمة – منتصف القرن الرابع الهجري، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979 م.
- تاريخ فاتح العالم، جهانكشاي، للجويني، عطا ملك، ترجمة د. محمد ألتونجي، الطبعة الأولى، دار الملاح للطباعة والنشر (د. م) 1985 م.
- تاريخ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، ت 807 هـ، المجلدات 7، 8، 9، تحقيق د. قسطنطين زريق، د. نجلاء عز الدين، بيروت 1936 – 1942 م.
- تاريخ ابن قاضي شهبة، ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي، ت 851 هـ، ج3: تحقيق عدنان درويش، دمشق 1977 م.
- تاريخ المغول، عباس إقبال، ترجمة عبد الوهاب علوب، أبو ظبي 2000 م.
- تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده، الشجاعي، شمس الدين الشجاعي، تحقيق بربارة شيفر، فيسبادن 1978 م.
- تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر ت 749 هـ، مجلدان، بيروت 1996م.
- تالي كتاب وفيات الأعيان، الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر، ت القرن الثامن الهجري، تحقيق جاكلين سوبلة، المعهد الفرنسي، دمشق 1974 م.
- تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ابن ناظر الجيش، عبدالرحمن بن محمد التميمي الحلبي، ت 786هـ، تحقيق رودلف فسلي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1987 م.
- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنوّاب، الصفدي، تحقيق إحسان خلوصي وزهير حميدان، دار صادر، بيروت / دار البشائر، دمشق، 1999 م.

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن ت 902هـ، 3 أجزاء، القاهرة 1979 - 1980 م.
- التحفة الملوكية في الدولة التركية، بيبرس المنصوري ت 725هـ، تحقيق د. عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة 1987 م.
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ابن حبيب الحلبي، الحسن بن عمر ت 779هـ، 3 أجزاء، تحقيق د. محمد محمد أمين، القاهرة 1976 - 1986 م.
- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتش، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت 1981 م.
- تشريف الأيام والعصور لسيرة السلطان الملك المنصور، ابن عبد الظاهر، عبد الله بن عبد الظاهر السعدي المصري ت 692 هـ، نشره د. مراد كامل، القاهرة 1961 م.
- التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت 808 هـ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط 1، دار القيروان للنشر، تونس، 2006 ـ 2007 م.
- تقويم البلدان، أبو الفدا، الملك المؤيد إسماعيل بن علي ت 732 هـ، باريس 1840 م.
- جامع التواريخ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني ت 718 هـ، تاريخ المغول، المجلد الثاني، الجزء الأول: الايلخانيون. عرّبه عن الفارسية: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصيّاد، القاهرة، (1960 م). قطعة منه نشرت باسم "تاريخ غازان خان" ترجمة: فؤاد عبدالمعطي الصيّاد، ط1، الدار الثقافية للنشر ـ القاهرة، (2000 م).
- جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد ت 456 هـ، القاهرة.

جهانكشاي = تاريخ فاتح العالم.

- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ابن دقماق، إبراهيم بن محمد ت 809هـ، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، جامعة أم القرى، 1403هـ / 1982 م.
- الخطط التوفيقية، علي مبارك، 20 جزءاً، بولاق 1306هـ .
- خطط الشام، محمد كرد علي، 6 أجزاء، دمشق 1925 م.

• درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ، حققه وعلق عليه د. محمود الجليلي، 4 مجلدات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002 م.

• الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، 5 أجزاء، القاهرة 1966 م.

• درة الأسلاك في دولة الأتراك، ابن حبيب الحلبي، الحسن بن عمر ت 779 هـ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم 6170 ح.

• دولة مالي الإسلامية، د. إبراهيم علي طرخان، القاهرة 1973 م.

• الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، المقريزي، أحمد بن علي ت 845 هـ، تحقيق د. جمال الدين الشيال، مصر 1955 م.

• الذيل على الروضتين (تراجم القرنين السادس والسابع)، أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ت 665هـ، نشر السيد عزت العطار، القاهرة، 1947 م.

• ذيل مرآة الزمان، لليونيني، قطب الدين موسى بن محمد ت 726هـ، 4 أجزاء، الهند 1380هـ / 1961 م.

• ذيل مفرج الكروب، ابن المغيزل، نور الدين علي بن عبد الرحيم المظفري ت 701 هـ، تحقيق د.عمر عبد السلام تدمري، بيروت 2004 م.

• رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ابن بطوطة، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله ت 779هـ، جزآن، تحقيق د. حامد عبد المجيد، محمد أبو سنة، القاهرة 1957- 1961 م.

• الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ابن عبد الظاهر، محيي الدين ت 692هـ، تحقيق د. عبد العزيز الخويطر، الرياض 1976 م.

• روضة النسرين في دولة بن مرين، لإسماعيل بن الأحمر النصري، أبي الوليد ت 807 هـ، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط 1962 م.

• الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل ت 665 هـ، تحقيق إبراهيم الزيبق، 4 أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997 م.

• زبدة الحلب من تاريخ حلب، ابن العديم، أبي القاسم، عمر بن أحمد ت 660 هـ، تحقيق د. سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1951 ـ 1968 م.

- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، بيبرس الدوادار، الأمير ركن الدين بن عبدالله المنصوري ت 725 هـ: تحقيق دونالد س. ريتشاردز، النشرات الإسلامية رقم 42، بيروت 1998 م.
- السفن الإسلامية على حروف المعجم، درويش النخيلي، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1974م.
- السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (1240 - 1249م)، د. محمد محمد أمين، رسالة ماجستير- غير منشورة، جامعة القاهرة 1968 م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ، 4 أجزاء (12 قسماً) ج1-2 (6 أقسام)، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1934 - 1958 م، ج3- 4 (6 أقسام)، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة 1970-1973 م.
- سنا البرق الشامي، البنداري، الفتح بن علي، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة، 1979 م.
- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، النسوي، محمد بن أحمد ت 639 هـ، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، القاهرة 1953 م.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الفاسي، محمد بن أحمد الحسني المكي ت 832هـ، القاهرة 1956م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ت 821 هـ، 14 جزءاً، القاهرة 1919- 1922 م.
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن ت 902هـ، 12 جزءاً، مصر، 1352 - 1355 م.
- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، عبد الوهاب بن علي ت 771هـ، 10 أجزاء، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، القاهرة 1964 م.
- العبر في خبر من غبر، الذهبي، نشره صلاح الدين المنجد، وفؤاد السيد، 5 أجزاء، الكويت 1960- 1966 م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، (الكتاب الأول، المقدمة) الجزء الأول - تحقيق إبراهيم شبوح، وإحسان عباس، الجزء الثاني - تحقيق إبراهيم شبوح، ط1، دار القيروان للنشر، تونس، 2006 _ 2007 م.
- عجائب المقدور في نوائب تيمور، ابن عربشاه، أبو محمد، أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي ت 854 هـ، تحقيق د. علي محمد عمر، القاهرة 1979 م.

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. الفاسي، محمد بن احمد الحسني المكي ت 832 هـ/ 1428 م، تحقيق فؤاد السيد، 8 أجزاء، القاهرة، 1959 - 1969 م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، العيني، محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين ت 855هـ، العصر الأيوبي، جزآن، تحقيق د. محمود رزق محمود، القاهرة 2003 – 2004 م. القسم الخاص بعصر سلاطين المماليك 4 مجلدات (648 – 708هـ) تحقيق د. محمد محمد أمين، القاهرة1987– 1992 م، وباقي الكتاب مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم 1584 تاريخ.
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الخزرجي، علي بن الحسن الخزرجي ت 812 هـ، جزآن، القاهرة 1329 هـ / 1911 م.
- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم، ت 1100 هـ، قسمان، تحقيق د.سعيد عاشور، القاهرة 1968 م.
- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ابن فهد، عبد العزيز بن عمر بن محمد الهاشمي القرشي ت 922هـ، جزآن، تحقيق فهيم شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1406- 1409هـ.
- الفتح القسي في الفتح القدسي، العماد الأصفهاني ت 597 هـ، تحقيق: محمد محمود صبيح، القاهرة، 1965 م.
- فتوح البلدان للبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر ت 279 هـ، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1983 م.
- الفنون الإسلامية والوظائف، على الآثار العربية، لحسن الباشا، 3 أجزاء، دار النهضة العربية، القاهرة 1969 م.
- فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد ت 764هـ، 5 أجزاء، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1973 م.
- فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك، مع نشر وتحقيق تسعة نماذج، د.محمد محمد أمين، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1981 م.
- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، لمحمد رمزي بك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994 م.
- قلائد العقيان في التعريف بقبائل عرب الزمان، القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري / دار الكتاب اللبناني، القاهرة / بيروت، 1982 م.

- قوانين الدواوين، ابن مماتي، الأسعد بن مماتي ت 606 هـ، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مصر 1943 م.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن، ت 630 هـ، 12 جزءاً، بيروت، 1982م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ت 1067هـ، طهران 1387هـ/ 1947 م.
- كلشن خلفا، لنظمي زاده، مرتضى أفندي ت 1136 هـ، ترجمة موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف 1971 م .
- كنز الدرر وجامع الغرر، ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله ت بعد 736هـ:

  ج 7 الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق د. سعيد عاشور، القاهرة 1972 م.

  ج 8 الدرر الزكية في أخبار الدولة التركية، حققه أولرخ هارمان، القاهرة 1971 م.

  ج 9 الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة 1960 م.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم ت 711 هـ، دار المعارف، القاهرة.
- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، النابلسي، فخر الدين عثمان بن إبراهيم، ت 660هـ، نشر كلود كاهن وبيكر، دمشق، 1961 م.
- مجمع الأمثال، للميداني، أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري ت 518 هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب الحديث، الكويت (د . ت).
- مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ)، بيبرس المنصوري ت 725هـ، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة، 1993 م.
- المختصر في أخبار البشر، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، الملك المؤيد ت 732هـ، 4 أجزاء، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، (د . ت).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد ت 768هـ، 4 أجزاء، حيدر آباد 1377 هـ.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف، ت 654 هـ، ج 8، حيدر آباد، 1952 م.

• مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى، أبو العباس ت 749 هـ، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، 2001 م.

• المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، د. محمد محمد أمين و ليلى علي ابراهيم، نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة، 1990 م.

• مضمار الحقائق وسر الخلائق، صاحب حماة الملك المنصور، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ت 617 هـ، تحقيق د. حسن حبشي، القاهرة 1968 م.

• معالم القربة في أحكام الحسبة، ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت 729 هـ، تحقيق د. محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي، القاهرة 1976 م.

• معجم البلدان، ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله ت 626 هـ، تحقيق وستنفلد، دار صادر، بيروت، 1977 م.

• معجم المدن والقبائل اليمنية، إبراهيم أحمد المقحفي، صنعاء 1985 م.

• المغول، د. السيد الباز العريني، بيروت 1967.

• مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ابن واصل الحموي، محمد بن سالم ت 697 هـ، 6 أجزاء، ج1، 2، 3 تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة 1953 ـ 1960 م، ج 4، 5 تحقيق حسنين محمد ربيع، القاهرة 1972م ـ 1977 م، ج 6 تحقيق عبد السلام تدمري، بيروت 2004 م.

• المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد ت 597 هـ، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت 1995 م.

• المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ابن تغري بردي، جمال الدين أبوالمحاسن يوسف ت 874هـ، 12 جزءاً، تحقيق د. محمد محمد أمين، ما عدا ج 3، 5، تحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز القاهرة، 1984 – 2006 م.

• المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ابن أبي دينار، محمد بن أبى القاسم الرعيني، من علماء القرن 11هـ، تحقيق محمد شمام، تونس 1967 م.

• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ، 5 مجلدات، تحقيق د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 2002- 2004 م.

- مورد اللطافة في مَنْ ولي السلطنة والخلافة، ابن تغري بردي، مجلدان، تحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة 1997 م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، 16 جزءاً، الأجزاء 1 ـ 12، بتعليق محمد رمزي بك، دار الكتب المصرية، 1929 ـ 1956 م، الأجزاء 13 ـ 16، تحقيق مجموعة من الأساتذة، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1970 ـ 1972 م.
- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، اليوسفي، موسى بن يحيى ت 759 هـ، تحقيق د. أحمد حطيط، عالم الكتاب، بيروت 1984 م.
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، الصيرفي، علي بن داود ت 900هـ، 4 أجزاء، تحقيق د. حسن حبشي، القاهرة، 1970 - 1994 م.
- نزهة النواظر (تاريخ حلب، المعروف بالدر المنتخب) ابن الشحنة، أبو الفضل محمد ت 890هـ، تحقيق: كيكو أوتا، معهد دراسات لغات وحضارات آسيا وأفريقيا، طوكيو 1990 م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت 732 هـ، 33 جزءاً مطبوعاً، القاهرة 1923 - 2002 م.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الإدريسي، أبو عبد الله، محمد بن محمد ت 560 هـ، نسخة مصورة عن الطبعة الأوروبية القديمة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د . ت).
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (أو سيرة صلاح الدين)، ابن شداد، بهاء الدين، ت 632 هـ، تحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة، 1964 م.
- هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، للبغدادي، إسماعيل باشا، جزآن، استنابول، 1941 ـ 1943 م.
- الوافي بالوفيات، الصفدي، 29 جزءاً، نشر جمعية المستشرقين الألمانية، وباقي الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (771 تاريخ تيمور).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت 681هـ، 8 أجزاء، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1994 م.

المحتوى

تقديم إبراهيم شبوح 1
● الخبر عن دولة بني أيوب القائمين بالدعوة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصائره 3
● مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر وإعادة شاور إلى وزارته 7
● مسير أسد الدين ثانيا إلى مصر وملكه الإسكندرية ثم صلحه عليها وعوده 9
● استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور 12
● وفاة أسد الدين وولاية صلاح الدين ابن أخيه 16
● واقعة السودان بمصر 18
● منازلة الفرنج دمياط وفتح أيلة من أيديهم 19
● إقامة الخطبة العباسية بمصر 21
● الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين 23
● وفاة نجم الدين أيوب 24
● استيلاء قراقوش على طرابلس المغرب 25
● استيلاء شمس الدولة توران شاه بن أيوب على بلاد النوبة، ثم على بلاد اليمن...... 27
● واقعة عمارة ومقتله 29
● وصول الفرنج من صقلية إلى الإسكندرية 31
● واقعة الكنز بالصعيد 32
● استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام بعد وفاة العادل نور الدين 32
● واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح [و]صاحب الموصل وما ملك من الشام بعد انهزامها 37
● مسير صلاح الدين إلى بلاد الإسماعيلية 39
● غزوات بين المسلمين والفرنج 40
● هزيمة صلاح الدين بالرملة أمام الفرنج 41

- حصار الفرنج مدينة حماة 42
- انتقاض ابن المقدّم ببعلبك وفتحها 43
- وقائع مع الفرنج 44
- تخريب حصن الفرنج 45
- الفتنة بين صلاح الدين وقليج أرسلان صاحب الروم 47
- مسير صلاح الدين إلى بلد ابن اليون 49
- غزو صلاح الدين إلى الكرك 50
- مسير سيف الإسلام طغتكين بن أيوب [إلى اليمن] واليًا عليها 50
- دخول قلعة البيرة في إيالة صلاح الدين، وغزوه الفرنج وفتح بعض حصونهم مثل شقيف والفور وبيروت 53
- مسير صلاح الدين إلى الجزيرة واستيلاؤه على حرّان والرها والرقّة والخابور وسنجار ونصيبين وحصار الموصل 55
- مسير شاه أرمن صاحب خلاط لنجدة صاحب الموصل 59
- واقعة الفرنج في بحر السويس 60
- وفاة فرخشاه 61
- استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصاحب كيفا 62
- استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعينتاب 63
- استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم 64
- غزوة بيسان 67
- غزو الكرك، وولاية العادل على حلب 68
- حصار صلاح الدين الموصل 69
- استيلاء صلاح الدين على ميافارقين 72
- قسمة صلاح الدين الأعمال بين ولده وأخيه 74

- اتّفاق القُمُّص صاحب طَرابُلُس مع صَلاحِ الدّينِ ومُنابَذةُ البرنس صاحب الكَرَك له وحِصارُهُ إيّاه، والإغارةُ على عَكّا 76
- هزيمة الفرنج، وفتحُ طَبَريّة ثمّ عكّا 79
- فتحُ يافا وصَيدا وجُبَيل وبيروت وحُصونٍ عكّا 83
- وصُولُ المَركيس إلى صُور وامتناعُهُ بها 85
- فتحُ عسقلانَ وما جاوزها 86
- فتحُ القُدس 87
- حِصارُ صُور ثمّ صَفد وكَوكَب والكَرَك 92
- غزوُ صَلاحِ الدّينِ إلى سَواحلِ الشّام وما فتحهُ من حُصونها، وصُلحُهُ آخرا مع صاحبِ أنطاكِية 95
- فتحُ جَبَلَة 96
- فتحُ اللاذِقيّة 97
- فتحُ صَهيُون 98
- فتحُ بَكاس والشُّغر 99
- فتحُ سَرمِينيَة 100
- فتحُ بَرزيه 101
- فتح دَربَساك 102
- فتحُ بَغراس 103
- [صُلحُ] أنطاكية 104
- فتحُ الكَرَكِ 105
- فتحُ صَفَد 105
- فتحُ كَوكَب 106
- فتحُ الشَّقيف 107

• مُحاصَرَةُ الفِرنجِ أهْلِ صُورَ لعَكّا والحُرُوبُ عَلَيها 110

• الواقِعَةُ عَلى عَكّا 112

• رَحِيلُ صَلاحِ الدّينِ عَنِ الفِرنجِ بِعَكّا 114

• مُعاوَدَةُ صَلاحِ الدّينِ حِصارَ الفِرنجِ عَلى عَكّا 115

• وُصُولُ مَلِكِ الألمانِ إلى الشّامِ ومَهْلِكُهُ 118

• واقِعَةُ المُسْلِمِينَ مَعَ الفِرنجِ عَلى عَكّا 120

• وَفاةُ زَيْنِ الدّينِ صاحِبِ إرْبِل وَوِلايَةُ أخِيه كُوكُبُورِي 124

• وُصُولُ أمْدادِ الفِرنجِ مِنَ المَغرِبِ إلى عَكّا 125

• اسْتِيلاءُ الفِرنجِ عَلى عَكّا 127

• تَخْرِيبُ صَلاحِ الدّينِ عَسْقَلانَ 129

• مَقتَلُ المَرْكِيسِ ومُلْكُ الكُنْدِ هِرِي مَكانَه 133

• مَسِيرُ الفِرنجِ إلى القُدْسِ 134

• الصُّلحُ بَيْنَ صلاحِ الدّينِ والفِرنجِ، ومَسِيرُ مَلِكِ إنْكِلْطارَ إلى بَلَدِه 137

• وَفاةُ صَلاحِ الدّينِ، وحَالُ وَلَدِهِ وأخِيه في المُلْكِ مِن بَعْدِه 139

• مَسِيرُ العَزِيزِ مِن مِصْرَ إلى حِصارِ الأفْضَلِ بِدِمَشْقَ، ومَا اسْتَقَرَّ بَيْنَهم مِنَ الوِلاياتِ 142

• حِصارُ العَزِيزِ ثانِيَةً دِمَشْقَ وهَزِيمَتُه 143

• اسْتِيلاءُ العادِلِ عَلى دِمَشْقَ 144

• فَتحُ العادِلِ يافا مِنَ الفِرنجِ، واسْتِيلاءُ الفِرنجِ عَلى بَيْرُوتَ، وحِصارُهُم تِبْنِينَ 146

• وفاةُ طُغْتِكِينَ بنِ أيُّوبَ باليَمَنِ، ومُلْكُ ابنِه إسْماعِيلَ، ثُمّ سُلَيْمانَ بنِ تَقِيِّ الدّينِ بنِ شاهِنشاه 148

• مَسِيرُ العادِلِ إلى الجَزِيرَةِ وحِصارُهُ مارِدِينَ 149

• وفاةُ العَزِيزِ صاحِبِ مِصْرَ، وَوِلايَةُ أخِيه الأفْضَل 150

• حِصارُ الأفضَلِ دِمَشْقَ وعَوْدُهُ عنها 152

- إفزاحُ الكامِلِ عن ماردِين 153
- استيلاءُ العادِلِ على مِصر 155
- مَسيرُ الظّاهِرِ والأفضَلِ لِحصارِ دِمَشق 157
- حِصارُ ماردِين ثمّ الصُّلحُ 160
- أخذُ البلادِ من يدِ الأفضَل 161
- واقِعَةُ الأشرَف مع صاحِبِ الموصِل 162
- وصُولُ الفرنجِ إلى الشّام والصُّلحُ معَهم 163
- إغارةُ ابنِ ليُونَ على أعمالِ حلَبَ 164
- استيلاءُ نجمِ الدّينِ بنِ العادِلِ على خِلاط 165
- إغارَةُ الفرنجِ بالشّام 167
- غاراتُ الكُرجِ على خِلاطَ وأعمالِها، ومُلكُهم أرجيش 168
- استيلاءُ العادِلِ على الخابُور ونَصيبِين من عمَلِ سِنجار، وحِصارُها 169
- وفاةُ الظّاهِرِ صاحِبِ حلَب، وولايَةُ ابنِه العَزيز 171
- وِلايَةُ مَسعُودِ بنِ الكامِلِ على اليَمَن 171
- وصُولُ الفرنجِ من وراءِ البحرِ إلى سَواحِلِ الشّام، ومَسيرُهم إلى دِمياط وحِصارُها، واستيلاؤهم علَيها 173
- وفاةُ العادِلِ، واقتِسامُ المُلكِ بينَ بَنيه 176
- وفاةُ المنصُورِ صاحِبِ حَماة، ووِلايَةُ ابنِه النّاصِر 178
- مَسيرُ صاحِبِ بِلادِ الرّومِ إلى حلَبَ وانهزامُهُ، ودُخولُها في طاعَةِ الأشرَف 179
- دُخولُ الموصِلِ في طاعَةِ الأشرَف، ومُلكُهُ سِنجار 181
- ارتِجاعُ دِمياطَ من يدِ الفرنج 186
- وفاةُ الأوحَدِ نجمِ الدّينِ بنِ العادِلِ صاحِبِ خِلاط، ووِلايَةُ أخيه الظّاهِرِ غازي علَيها 188
- فِتنةُ المُعَظَّمِ مع أخوَيه الكامِلِ والأشرَف وما دَعت إلَيه من الأحوال 189

● وَفاةُ المُعَظَّم صَاحِبِ دِمَشْق، وَوِلايَةُ ابنِه النَّاصِر، ثُمَّ اسْتِيلاءُ الأَشْرَف عَلَيها، واغتِياضُ النَّاصِرِ بالكَرَك 192
● اسْتِيلاءُ المُظَفَّرِ بنِ المَنْصُورِ عَلَى حَماة مِن يَدِ أخيهِ النَّاصِر 194
● اسْتِيلاءُ الأَشْرَف عَلَى بَعْلَبَكَّ مِنْ يَدِ الأَمْجَد، وإقطاعُها لأخيهِ إسْماعِيلَ بنِ العَادِل 195
● فِتنَةُ جَلالِ الدِّين خُوارِزْم شاه مَعَ الأَشْرَف، واستِيلاؤه عَلَى خِلاط 195
● مَسِيرُ الكَامِلِ فِي إنْجادِ الأَشْرَف، وهَزِيمَةُ جَلالِ الدِّين أَمامَ الأَشْرَف 197
● اسْتِيلاءُ العَزِيزِ صَاحِبِ حَلَبَ عَلَى شَيْزَر، ثُم وَفاتُهُ، ووِلايَةُ ابنِه النَّاصِرِ بَعْدَه 199
● فِتنَةُ كَيقُبَاذَ صَاحِبِ بِلادِ الرُّومِ، واسْتِيلاؤه عَلَى خِلاط 200
● وفاةُ الأَشْرَف بنِ العَادِل، واسْتِيلاءُ الكَامِلِ عَلَى دِمَشْق 201
● وَفَاةُ الكَامِل، ووِلايَةُ ابنِه العَادِلِ بِمِصْر، واسْتِيلاءُ ابنِه الآخَرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ عَلَى دِمَشْق 202
● أَخْبارُ الخُوارِزْمِيَّة 203
● مَسِيرُ الصَّالِح إِلَى مِصْرَ، واعتِقَالُ النَّاصِرِ لَهُ بالكَرَك 204
● وفاةُ شِيرْكُوه صَاحِبِ حِمْص، ووِلايَةُ ابنِه إبْراهِيمَ المَنْصُور 204
● خَلْعُ العَادِلِ واعتِقَالُه، واسْتِيلاءُ أخيهِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ عَلَى مِصْر 205
● فِتنَةُ الخُوارِزْمِيَّة 206
● أَخْبارُ حَلَب 207
● فِتنَةُ الصَّالِحِ أَيُّوبَ صَاحِبِ مِصْرَ مَعَ الصَّالِحِ إسْماعِيلَ صَاحِب دِمَشْق، واسْتِيلاءُ أَيُّوبَ آخِراً عَلَيها 208
● مَسِيرُ الصَّالِحِ أَيُّوبَ إِلى دِمَشْق أَوَّلاً وثَانِياً، وحِصارُ حِمْص، ومَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الأَحْداث 211
● اسْتِيلاءُ الفِرِنْجِ عَلَى دِمْيَاط 213
● اسْتِيلاءُ الصَّالِحِ عَلَى الكَرَك 214
● وفاةُ الصَّالِحِ أَيُّوبَ صَاحِبِ مِصْر والشَّام وسَيِّدِ مُلُوكِ التُّرْكِ بِمِصْر، ووِلايَةُ ابنِه تُورانْشاه وهَزِيمَةُ الفِرِنْجِ وأَسْرُ مَلِكِهِم 215

- مقتلُ المُعظّم تورانشاه وولايةُ شجرِ الدّرّ، وفداءُ الفرنسيس بدمياط 216
- استيلاءُ النّاصرِ صاحب حلَب على دمشق، وبيعةُ التُّرك بمصرَ لموسى الأشرف [حفيدِ] المسعُودِ صاحبِ اليَمن، وتزاحُفُها ثُم صُلحُها 219
- خلعُ الأشرَف [حفيدِ] أطسِز، واستبدادُ أيبكَ وأمَراءِ التُّركِ بمُلكِ مِصر 223
- مَسيرُ المُغيثِ بنِ العادِلِ صاحبِ الكَرَك مع البَحرِيةِ إلى مِصرَ وانهزامُهم 225
- زحفُ النّاصرِ صاحبِ دمَشقَ إلى الكَرَك وحِصارُها، والقبضُ على البَحرِيّة 226
- استيلاءُ الطّطرِ على الشّام، وانقِراضُ مُلوكِ بني أيّوب، وهَلاكُ مَن هلَكَ منهم 227

- الخبَرُ عَن دَولة التُّرك القائمينَ بالدَّعوة العَبّاسيّة بمصرَ والشّام من بَعد بَني أيوبَ بمصرَ ولهذا العَهد، ومَبادىءِ أمُورِهم وتَصارِيفِ أحوالِهم 237
- الخبَرُ عن استِبدادِ التُّركِ بمِصرَ وانفرادِهم بها عَن بَني أيّوبَ ودَولةِ المعِزّ أيبَك أوّلِ مُلوكِهم 247
- نُهوضُ النّاصِرِ صاحبِ دِمَشقَ مِن بَني أيّوبَ إلى مِصر، وولايةُ الأشرَفِ مُوسَى مَكانَ أيبَك 249
- واقِعةُ العَربِ بالصّعيدِ معَ أقطاي 252
- مَقتلُ أقطاي الجمَدار، وفِرارُ البَحريّةِ إلى النّاصِر، ورُجوعُ أيبَكَ إلى كُرسِيّه 253
- فِرارُ الأفرَم إلى النّاصِر بدِمَشق 255
- مَقتلُ المعِزّ أيبَك، وولايةُ ابنِه عَليٍّ المَنصور 257
- نُهوضُ البَحرِيّةِ بالمُغيثِ صاحِبِ الكَرَك إلى مِصرَ وانهزامُهم 258
- خَلعُ المَنصورِ عَليِّ بنِ أيبَك، واستِبدادُ قُطز بالمُلك 260
- استيلاءُ الطّطرِ على الشّام، وانقِراضُ أمرِ بني أيّوب، ثُمّ مَسيرُ قُطز بالعَساكِر وارتِجاعُهُ الشّامَ مِن أيدي الطّطَر بَعدَ هزيمتِهم، وحصُولُ [الشّامِ في مُلكِ] التُّرك 262
- مَقتلُ المظَفّرِ قُطز، وولايةُ الظّاهِرِ بيبَرس 265

• انتقاض سنجر الحلبيّ بدمشق، ثم آقوش البرلي بحلب 267
• البيعة للخليفة بمصر، ثم مقتله بالحديثة وعانة على يد الططر، والبيعة للآخر الذي استقرت الخلافة في عقبه بمصر 270
• فرار التركمان من الشام إلى بلاد الروم 274
• انتقاض الأشرفية والعزيزية واستيلاء البرلي على البيرة 275
• استيلاء الظاهر على الكرك من يد المغيث، وعلى حمص بعد وفاة صاحبها 276
• هزيمة الططر على البيرة، وفتح قيسارية وأرسوف بعدها 278
• غزو طرابلس، وفتح صفد 280
• مسير العساكر لغزو الأرمن 281
• مسير الظاهر لغزو حصون الفرنج بالشام، وفتح يافا والشقيف ثم أنطاكية 284
• الصلح مع الططر 287
• استيلاء الظاهر على صهيون 288
• نهوض الظاهر إلى الحج 289
• إغارة الفرنج والططر على حلب ونهوض السلطان إليهم 290
• فتح حصن الأكراد وعكار والقرين وحصون صور 291
• استيلاء الظاهر على حصون الإسماعيلية بالشام 293
• حصار الططر البيرة وهزيمتهم عليها 294
• غزوة سيس وتخريبها 295
• إيقاع الظاهر بالططر في بلاد الروم، ومقتل البرواناه بمداخلته في ذلك 296
• وفاة الظاهر وولاية ابنه السعيد 299
• خلع السعيد، وولاية أخيه سلامش 301
• خلع سلامش، وولاية المنصور قلاوون 304
• انتقاض السعيد بن الظاهر بالكرك، ووفاته، وولاية أخيه خضر مكانه 305

- انتقاضُ سُنقُر الأشقر بدمشق وهزيمته، ثمّ امتناعُهُ بصهيون 307
- مسيرُ السُّلطانِ لحصارِ المرقب ثمّ الصُّلحُ معهم ومع سُنقُر الأشقر بصهيون ومع بني الظّاهرِ بالكرك 311
- واقعةُ الطّطرِ بحمص ومهلكُ أبغا سُلطانِهم بأثرِها 313
- استيلاءُ السُّلطانِ قلاوون على الكرك، وعلى صهيون، ووفاةُ صاحبِ حماة 317
- وفاةُ ميخائيل ملكِ قسطنطينية 319
- أخبارُ النُّوبة 320
- فتحُ طرابُلس 323
- إنشاءُ المدرسةِ والمارستانِ بمصر 328
- وفاةُ المنصورِ قلاوون، وولايةُ ابنِه خليلٍ الأشرف 328
- فتحُ عكّا وتخريبُها 330
- فتحُ قلعةِ الرّوم 333
- مسيرُ السُّلطانِ إلى الشّام، وصُلحُ الأرمن، ونكبةُ بني مهنّا، وهدمُ الشّوبك 335
- مقتلُ الأشرف، وولايةُ أخيه مُحمّدٍ النّاصرِ في كفالةِ كُتبُغا 336
- وحشةُ كُتبُغا، ومقتلُ الشُّجاعي 339
- خلعُ النّاصر، وولايةُ كُتبُغا العادلِ 341
- خلعُ العادلِ كُتبُغا، وولايةُ لاجين المنصوريّ 343
- فتحُ حصونِ سيس 348
- مقتلُ لاجين، وعودُ النّاصرِ مُحمّدِ بنِ قلاوون إلى مُلكِه 351
- الفتنةُ مع الطّطرِ 355
- واقعةُ الطّطرِ على النّاصر، واستيلاءُ غازان على الشّام، ثمّ ارتجاعُهُ منه 356
- وفاةُ الخليفةِ الحاكمِ وولايةُ ابنِه المُستكفي، والغزاةُ إلى العربِ بالصّعيد 363
- تجديدُ العهدِ لأهلِ الذّمّة 364

• إيقاعُ النّاصرِ بالطّطرِ علَى شَقْحَب 369

• أخبارُ الأرْمَن، وغزْوُ بِلادِهِم، وإذْعانُهم للصُّلحِ، ثُمّ قتلُ مَلِكِهم صَاحِبِ سِيس علَى يَدِ الطّطر 373

• مُراسَلاتُ مَلِكِ المغرِبِ ومُهادَاتُه 377

• وحشَةُ النّاصِرِ مِن كافِلَيْه بَيْبَرْس وسَلار، ولَحاقُهُ بالكَرَك، وخلْعُه، والبَيْعَةُ لبَيْبَرْس 380

• انتِقاضُ أمرِ بَيْبَرْس وعَوْدُ النّاصِرِ إلى مُلكِه 382

• خبَرُ سَلار ومَآلُ أمرِه 387

• انتِقاضُ النُّوّابِ بالشّامِ ومَسيرُهم إلى الطّطر، وولايَةُ تَنكِز علَى الشّام 389

• رُجُوعُ حَماةَ إلَى بَنِي المُظَفّرِ بنِ شاهِنشَاه بنِ أيُّوب، ثُمّ لِبَنِي الأفْضَلِ مِنهم، وانقِرَاضُ أمرِهِم 391

• غَزْوُ العَرَبِ بالصّعيدِ، وفتحُ مَلَطْيَةَ وآمِد 395

• الوِلايَاتُ 396

• العَمَائِـر 397

• حِجّاتُ السُّلْطان 398

• أخبَارُ النُّوبَةِ وإسْلامُهم 399

• بقِيّةُ أخبَارِ الأرْمَن إلى فتحِ أياس، ثُمّ فتحِ سِيس، وانقِرَاضِ أمرِهِم 401

• الصُّلحُ معَ مُلوكِ الطّطَر، وصِهرُ النّاصِرِ معَ مُلوكِ الشّمَالِ مِنهم 403

• خبرُ أوْلادِ بَنِي نُمَيّ أُمَراءِ مَكّةَ مِن بَنِي حَسَن 407

• حَجُّ مَلِكِ التّكْرور 410

• إنجادُ المُجاهِدِ مَلِكِ اليَمَن 413

• ولايَةُ أحْمَدَ ابنِ المَلِكِ النّاصِرِ علَى الكَرَك 414

• وفَاةُ دِيمرْداش بنِ جُوبَان شِحنَةِ بِلادِ الرّوم، ومَقتَلُه 415

• وَفَاةُ مُهنّا بنِ عِيسَى أميرِ العَرَبِ بالشّام، وأخبَارُ قَوْمِه 417

- وَفَاةُ أبي سَعِيدٍ مَلِكِ العِرَاق، وانقِرَاضُ أمْرِ بَني هُولاوُو 427
- وُصُولُ هَدِيَّةِ مَلِكِ المَغْرِبِ الأقْصَى مَعَ رُسُلِه وكَرِيمَتِه صُحْبَةَ الحَاجّ 428
- وَفَاةُ الخَلِيفَةِ أبي الرَّبِيع، وولايَةُ ابْنِه 431
- نَكْبَةُ تَنْكِز، ومَقْتَلُه 432
- وفَاةُ المَلِكِ النَّاصِر، وابنِه أنُوكَ قَبلَه، وولايَةُ ابنِه أبي بَكر، ثُمَّ كُجُك 433
- مَقْتَلُ قُوصُون، ودَوْلَةُ أحْمَدَ ابنِ المَلِكِ النَّاصِر 437
- مَسِيرُ السُّلْطَانِ أحْمَدَ إلى الكَرَك، واتِّفَاقُ الأُمَرَاءِ عَلى خَلْعِه، والبَيعَةِ لأخِيه الصَّالِح 439
- ثَوْرَةُ رَمَضَانَ بنِ النَّاصِر ومَقْتَلُه، وحِصَارُ الكَرَكِ ومَقْتَلُ السُّلْطَانِ أحْمَد 441
- وَفَاةُ الصَّالِح بنِ النَّاصِر، وولايَةُ أخِيه الكَامِل 442
- مَقْتَلُ الكَامِلِ وبَيْعَةُ أخِيه المُظَفَّرِ حَاجِي 443
- مَقْتَلُ المُظَفَّرِ حَاجِي بنِ النَّاصِر وبَيْعَةُ أخِيه حَسَن النَّاصِر ودَوْلَتُه الأولَى 445
- مَقْتَلُ أرْغُون شَاه نَائِبِ دِمَشْق 448
- نَكْبَةُ بَيْبُغَا رُوس 449
- وَاقِعَةُ المُجَاهِدِ مَلِكِ اليَمَنِ بمكَّة، واعْتِقَالُه، ثُمَّ انْطِلاقُه 450
- خَلْعُ حَسَنٍ النَّاصِر، وولايَةُ أخِيه الصَّالِح 451
- انتِقَاضُ بَيْبُغَا رُوس واسْتِيلاؤُه عَلَى الشَّام، ومَسِيرُ السُّلْطَانِ إلَيه، ومَقْتَلُه 452
- وَاقِعَةُ العَرَبِ بِالصَّعِيد 454
- خَلْعُ الصَّالِح، وولايَةُ حَسَن النَّاصِر الثَّانِيَة 455
- مَهلِكُ شَيخُو، ثُمَّ صَرْغَتْمُش بَعْدَه، واسْتِبْدَادُ النَّاصِرِ بأمْرِه 456
- ثَوْرَةُ يَلْبُغَا، ومَقْتَلُ السُّلْطَانِ حَسَن، وولايَةُ المَنْصُورِ بنِ المُظَفَّر حَاجِي في كَفَالَةِ يَلْبُغَا 458
- انتِقَاضُ بَيْدَمُر بِدِمَشْق 460
- وَفَاةُ الخَلِيفَةِ المُعْتَضِد بنِ المُسْتَكْفِي، وولايَةُ ابنِه المُتَوَكِّل 461

• خلعُ المنصور، وولايةُ الأشرف 462

• واقِعةُ الإسكندرية 463

• ثورةُ الطويل، ونكبتُه 466

• ثورةُ المماليكِ يلبُغا، ومقتلُه، واستبدادُ أسندمر 468

• وقائعُ الأجلاب، ثمّ نكبتُهم، ومَهلِكُ أسندمر، وذهابُ دولتِهم 471

• مقتَلُ قشتمر المنصوريّ بحلَب في واقِعةِ العرَب 475

• استبدادُ ألجاي اليوسفيّ، ثمّ انتقاضُهُ ومقتلُه 476

• انتقاضُ ألجاى اليوسفيّ ومهلكُه، واستبدادُ الأشرفِ بملكِه من بعدِه 477

• استخدامُ منجك للنيابة 480

• الخبرُ عن مماليكِ يلبُغا وترشيحِهم في الدّولَة 482

• حجُّ السلطان الأشرف، وانتقاضُ المماليكِ عليه بالعقبة، وما كانَ مع ذلك مِن ثورةِ قرطاي بالقاهرة وبيعَتِه لأمير علي وليّ العهدِ، ومقتلُ السلطان إثرَ ذلك 484

• مجيءُ طشتمر من العقبةِ وانهزامُه، ثمّ مسيرُهُ ثانياً إلى الشّام، وتجديدُ البيْعةِ للمنصورِ بإذنِ الخليفة وتجديدِه 489

• نكبةُ قرطاي، واستقلالُ اينبك بالدّولة، ثمّ مهلكُه 491

• استبدادُ الأميرَين أبي سعيدٍ برقوق وبركةَ من بعدِ اينبك، ووصولُ طشتمرَ من الشّام وقيامُه بالدّولةِ، ثمّ نكبتُه 494

• ثورةُ إينالَ ونكبتُه 498

• ثورةُ بركةَ ونكبتُه، واستقلالُ الأميرِ برقوقٍ بالدّولَة 500

• انتقاضُ أهلِ البحيرة، وواقعةُ العساكرِ معهم 502

• مقتلُ بركةَ في محبسِه، وقتلُ ابن عرّام بثأرِه 505

• وفاةُ السلطانِ المنصور عليّ بن الأشرف، وولايةُ أخيه الصّالحِ أمير حاج 506

• وصولُ أنص العثمانيّ، والدِ الأميرِ برقوق، وانتظامُه في الأمَراء 507

- خلعُ الصّالح أمير حاج، وجلوس الأمير برقوق على التخت واستبداده بالسلطان 511
- مقتلُ قرط، وخلعُ الخليفة ونصبُ ابن عمّه الواثق للخلافة 513
- نكبةُ النّاصريّ، واستقلاله 515
- إقصاءُ الجوبانيّ إلى الكرك، ثمّ ولايته على الشّام، بعد واقعة بيدمر 518
- هديّةُ صاحب إفريقيّة 525
- حوادثُ مكّة وأمرائها 528
- انتقاضُ منطاش بملطية، ولحاقُهُ بسيواس، ومسيرُ العساكر في طلبه 531
- نكبةُ الجوبانيّ، واعتقالُهُ بالإسكندريّة 534
- فتنةُ النّاصريّ واستيلاؤه على الشّام ومصر، واعتقالُ السّلطان بالكرك 536
- ثورةُ منطاش، ونكبةُ الجوبانيّ، واستيلاؤه على الأمر، وحبسُ النّاصريّ وأمراء اليلبغاويّة بالإسكندريّة 543
- ثورةُ بزلار بدمشق ونكبته 547
- خروجُ السّلطان من الكرك، وظفره بعساكر الشّام، وحصارُهُ دمشق 547
- ثورةُ المعتقلين بقوص، ومسيرُ العساكر إليهم من مصر واعتقالُهم 550
- ثورةُ كمشبغا بحلب وقيامُهُ بدعوة السّلطان 551
- ثورةُ إينال بصفد بدعوة السّلطان 553
- مسيرُ منطاش وسلطانه أميرحاجي إلى الشّام وانهزامُهم، ودخولُ منطاش إلى دمشق، وظفرُ السّلطان الظّاهر بأمير حاجي والخليفة والقضاة، وعودُهُ إلى ملكه 554
- ثورةُ بطا والمعتقلين بالقلعة واستيلاؤهم عليها بدعوة السّلطان الظّاهر، وعودُهُ إلى كرسيّه بمصر وانتظامُ أمره 557
- ولايةُ الجوبانيّ على دمشق واستيلاؤه عليها من يد منطاش ثمّ هزيمته ومقتله وولايةُ النّاصريّ مكانه 561
- إعادةُ محمود إلى أستاذيّة الدّار واستقلاله في الدّولة 567

• مَسِيرُ منطاش ونَفِيرٍ إلى نواحي حلب وحصارها ثم مُفارقته نُغَيراً وحصارهُ عَيْنتاب ثم رجوعه 570
• قُدومُ كَمُشْبُغا من حلب 572
• استِقْدامُ أيتمش 574
• هدِيَّةُ إفريقيَّة 576
• حِصارُ منطاش لدِمشق، ومَسِيرُ السُّلطانِ من مِصرَ إليه، وفِرارُهُ، ومقتَلُ النّاصريّ 577
• مَقْتَلُ مِنطاش 584
• حَوادِثُ مَكَّة 586
• وُصولُ صاحِب بغداد ناجياً من الطَّطرِ وسُلطانِهم [تيمور] واستِيلاؤه عليها، ومَسِيرُ السُّلطانِ بالعَساكِرِ إليه 589

• الخَبَرُ عن دَوْلَةِ بَني رَسُول مَوالي بَني أيوبَ المُلوكِ باليَمَنِ بَعْدَهم، ومَبْدَإِ أَمْرِهم وتَصارِيفِ أَحْوالِهم 596
• عليُّ بنُ رَسُول 597
• المَنصورُ عُمَرُ بنُ عليِّ بن رَسُول 597
• المُظَفَّرُ يُوسُفُ بنُ عُمَر 599
• الأشرَفُ عُمَرُ بنُ المُظَفَّرِ يُوسُف 600
• أخوه المؤيّدُ داوُدُ بنُ المظفَّرِ يُوسُف 600
• المجاهِدُ عليُّ بنُ المؤيّدِ داوُد 601
• ثَورَةُ جَلالِ الدِّينِ بنِ عُمَرَ الأشرَفِ وحَبْسُه 602
• ثَورَةُ جَلالِ الدِّينِ ثانِيةً، وحَبسُ المجاهِد، وبَيعَةُ المنصورِ أيوبَ بنِ المظفَّرِ يُوسُف 602
• خَلْعُ المنصورِ أيوبَ ومَقْتَلُه، وعَوْدُ المجاهِدِ إلى مُلكِه، ومُنازَعَةُ الظَّاهِرِ بنِ المنصورِ أيوبَ له 603

● وصولُ العَساكِرِ مِن مِصْرَ مَدَدًا للمُجاهِد، واستيلاؤه على أمره، وصُلحُه مع الظّاهِر 604
● نزولُ الظّاهِرِ للمُجاهِدِ عن الدُّمْلُوه، ومَقْتَلُه 605
● حجُّ المجاهِد عليِّ بن المؤيّد داوُد، ووَاقِعتُه بمكّة مع أمراءِ مِصْرَ، واعتقالُه بالكَرَك، ثمّ إطلاقُه ورجوعُه إلى مُلكِه 605
● وِلايةُ الأفضلِ عبّاس بن المجاهِد عليّ 606
● المنصورُ محمّدُ بنُ الأفضلِ عبّاس 607
● أخوه الأشرَفُ إسماعيلُ بنُ الأفضلِ عبّاس 607

● الخَبَرُ عَن دَوْلَةِ الطَّطَرِ مِن شُعُوبِ التُّرْك، وكَيْفَ تَغَلَّبُوا عَلَى المَمالك الإسلاميَّةِ واسْتَوَوْا عَلَى كُرْسيِّ الخلافَةِ بِبَغْداد، ومَا كانَ لَهُم مِن الدُّوَلِ المفتَرِقَة، وكَيْفَ أَسلَمُوا بَعدَ ذلك، ومَبدأ أُمورِهِم وتَصارِيفِ أحوالِهِم 609

● استيلاءُ الطَّطَرِ على مَمالِكِ خُوارِزْم شاه فيما وراءَ النَّهرِ وخُراسان، ومَهْلِكُ السُّلطانِ خُوارِزْم شاه محمّدِ بن تكش 615
● مَسيرُ الطَّطَرِ المغرِّبة بعدَ خُوارِزْم شاه إلى العِراقِ وأذْرَبيجان، واستيلاؤُهم عليها، إلى بلادِ قفجاق والرّوس وأبوابِ الحديد 619
● مَسيرُ جِنكِزْ خان إلى خُراسان وتغلُّبه على أعمالِها وعلى خُوارِزْم 622
● أخبارُ جلالِ الدّين، ومَسيرُ الطَّطَرِ في اتباعِه، وفِرارُه إلى الهند 625
● أخبارُ غياثِ الدّين بنِ خُوارِزْم شاه مع الطَّطَر 627
● رجوعُ جلالِ الدّين من الهند، واستيلاؤه على العراقِ وكَرْمانَ وأذْرَبيجان، ثمّ زحْفُ الطَّطَرِ إليه 628
● مَسيرُ الطَّطَرِ إلى أذْرَبيجان واستيلاؤُهم على تِبريز، ثمّ واقِعتُهم مع جلالِ الدّين بآمِدَ ومَقْتَلُه 629

التَّعْرِيفُ بِجِنْكِزْخَان وقِسْمَتِهِ الأَعْمَالَ بَيْنَ وَلَدِهِ، وانْفِرَادُهُ بالكُرْسِيِّ فِي قَرَاقُرُوم بِلَادِ الصِّين 633

مُلُوكُ التَّخت بِقَرَاقُرُوم مِن بَعْد جِنْكِزْخَان 641

مُلُوكُ بَنِي جَغَطَايَ بِن جِنْكِزْخَان بِتُرْكِسْتَانَ وكَاشْغَر ومَا وَرَاءَ النَّهْر 649

ظُهُورُ الأَمِير تَمُرْ مِن بَنِي جَغَطَايَ المُسْتَوْلِي عَلَى دُوَلِ بَنِي جِنْكِزْخَان وتَغَلُّبُهُ عَلَى سَائِرِ الأَعْمَال 651

دَوْلَةُ بَنِي دُوشِي خَان مُلُوكِ الطَّطَرِ فِي خُوَارِزْم ودَشْتِ القَفْجَاق بالشَّمَال، ومَبَادِئُ أُمُورِهِم وتَصَارِيفُ أَحْوَالِهِم 670

- دُوشِي خَان بنُ جِنكِز خَان 670
- بَاطُو خَان بنُ دُوشِي خَان 671
- صَرْطُق بنُ دُوشِي خَان 671
- بَرَكَةُ بنُ دُوشِي خَان 671
- مَنكُوتمر بنُ طُغَان بنِ بَاطُوخَان 674
- تُدَان مَنكُو بنُ مَنكُوتمر 675
- تلا بُغا بنُ مَنكُو تمر 675
- طَقطاي بنُ مَنكُوتمر 677
- أُزبَك بنُ طُغرُلجاي بنِ مَنكُوتمر 680
- جَاني بك بنُ أُزبَك 682
- بَردِي بك بنُ جَاني بك 682

• مَامَاي المتغلّب على مملكة صَرَاي 683
• حروبُ السُّلطان تمُر مع طَقْطَمُش صَاحِب صَرَاي 685
• مُلوكُ غزنة وباميان من بَني دُوشي خَان 687

• دَوْلَةُ بَني هُولاوُو مُلوك الطَّطَرِ بالعِرَاقَيْنِ وخُرَاسَانَ، ومَبَادِيءُ أُمُورِهِمْ وتَصَارِيفُ أحْوَالِهِمْ 690
• هُولاوُو بنُ طُولي 690
• أبْغا بنُ هُولاوُو 697
• تِكْدار بنُ هُولاوُو، ويُسمّى أحْمَد 700
• أرْغُون بنُ أبْغا 701
• كِيخاتُو بنُ أبْغا 702
• بِيدُو بنُ طُرْغَاي بن هُولاوُو 703
• غَازَانُ بنُ أرْغُون 703
• خُذَابَنْدَا بنُ أرْغُون 707
• أبو سَعِيدٍ بنُ خُذَابَنْدَا 708

اضْطِرَابُ دَوْلَةِ بَني هُولاوُو، وانْقِسَامُ المُلْكِ طَوَائِفَ فِي أعْمَالِهِمْ وانْفِرَادُ الشَّيخِ حَسَنٍ بِبَغْدَادَ، واسْتِيلاءُ بَنِيهِ مَعَهَا عَلَى تُورِيزَ، ومَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ المُلْكِ والدَّوْلَةِ، وابْتِدَاؤُهَا ومَصَائِرُهَا 714
• الشيخ حَسَنٌ الكبير 714
• أُوَيْسُ ابنُ الشَّيخ حَسَن 716
• حُسَينُ بن أُوَيْس 716
• تَغَلُّبُ شُجَاع بنِ المظفّر عَلى تُورِيز وارْتِجَاعُها مِنه 717
• مَقْتَلُ إسْمَاعِيلَ، واسْتِيلاءُ حُسَينٍ عَلى بَغْدَاد، ثُمّ ارْتِجَاعُها مِنه 717

- انتقاض أحمد واستيلاؤه على توريز، ومقتل حسين 718
- انتقاض عادل ومسيرة لقتال أحمد 719
- مقتل الشيخ علي، واستيلاء أحمد على بغداد 719
- استيلاء تمر على بغداد، ولحاق أحمد بالشام 721

● الخبر عن بني المظفر اليزدي المتغلبين على أصفهان وفارس بعد انقراض دولة بني هولاكو وابتداء أمورهم ومصائرها 725

● الخبر عن بني أرتنا ملوك بلاد الروم من المغل بعد بني هولاكو، والإلمام بمبادىء أمورهم ومصائرها 729

● الخبر عن الدولة المستجدة للتركمان في شمال بلاد الروم إلى خليج القسطنطينية وما وراءه ولبني عثمان جق منهم 738

المصادر والمراجع 743

المحتوى 755